فهرست الجلد الرابع من التفسيرين الجليلين ❁ الاول

المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل ❁ الثانى

المسمى بلباب التأويل

فى معانى التنزيل

٠٢ سورة بنى اسرائيل

٠٠ فصل فى نزولها

٠٤ فصل فى ذكر حديث المعراج

٠٩ فصل قال البغوى

١٠ فصل فى شرح بعض الفاظ حديث المعراج

١٢ فصل فى ذكر الآيات التى ظهرت بعد المعراج

١٤ تفسير قوله عزوجل (وآتينا موسى الكتاب) الآية

١٦ ذكر القصة فى هذه الآيات على التفصيل

٢٥ تفسير قوله عزوجل (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه) الآية

٢٨ تفسير قوله عزوجل (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء) الآية

٢٩ تفسير قوله عزوجل (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) الآية

٣١ فصل فى ذكر الاحاديث التى وردت فى بر الوالدين

٣٤ تفسير قوله عزوجل (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها) الآية

٣٥ تفسير قوله عزوجل (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الآية

٣٧ تفسير قوله عزوجل (ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع) الآية

٣٨ تفسير قوله عزوجل (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض) الآية

٤١ تفسير قوله عزوجل (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) الآية

وفيه فوائد عظيمة وحديث حن الجذع

٤٥ تفسير قوله عزوجل (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) الآية

٤٦ تفسير قوله عزوجل (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة) الآية

وفيه بحث هلاك القرى فى المدارك

٤٨ تفسير قوله عزوجل (وما جعلنا الرؤيا التى اريناك) الآية

٥٠ تفسير قوله عزوجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الآية

٥٤ تفسير قوله عز وجل (ولقد كرمنا بنى آدم) الآية
٥٦ تفسير قوله عز وجل (يوم ندعوا كل أناس بأمامهم) الآية
٥٩ تفسير قوله عز وجل (اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل) الآية
٦٠ فصل فى الاحاديث الواردة فى قيام الليل
٦١ تفسير قوله عز وجل (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) الآية
وفيه ذكر الاحاديث التى وردت فى الشفاعة
٦٥ تفسير قوله عز وجل (وننزل من القرآن ماهو شفاء) الآية
٦٦ تفسير قوله عز وجل (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى) الآية
وفيه ذكر الاحاديث التى وردت فى حق الروح
٦٩ تفسير قوله عز وجل (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) الآية
٧٠ تفسير قوله عز وجل (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) الآية
٧٣ تفسير قوله عز وجل (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء) الآية
٧٤ تفسير قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية
٧٩ تفسير قوله عز وجل (ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها) الآية
٨٠ تفسير سورة الكهف
٨٣ تفسير قوله عز وجل (ام حسبت ان اصحاب الكهف) الآية
٨٤ ذكر قصة اصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه
١٠٢ تفسير قوله عز وجل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) الآية
١٠٥ تفسير قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا رجلين) الآية
١١١ تفسير قوله عز وجل (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) الآية
١١٣ تفسير قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) الآية
١١٦ تفسير قوله عز وجل (ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) الآية
١١٨ تفسير قوله عز وجل (واذ قال موسى لفتاه) الآية
١٢٨ الجزء السادس عشر
١٣٣ تفسير قوله عز وجل (ويسئلونك عن ذى القرنين) الآية
١٤٢ تفسير قوله عز وجل (أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى) الآية
١٤٥ تفسير سورة مريم عليها السلام
١٥٠ تفسير قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت) الآية

١٥٩ تفسير قوله عز وجل (وانذرهم يوم الحسرة) الآية
١٦٠ تفسير قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) الآية
١٦٤ تفسير قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) الآية
١٦٥ تفسير قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا) الآية
١٦٧ فصل وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن
١٦٨ تفسير قوله عز وجل (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة) الآية
١٧٠ تفسير قوله عز وجل (تلك الجنة التى نورث من عبادنا) الآية
١٧٣ تفسير قوله عز وجل (وان منكم الا واردها) الآية
وفيه عدة احاديث فليراجع اليها
١٨١ تفسير قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) الآية
١٨٥ تفسير سورة طه
١٨٨ تفسير قوله عز وجل (وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا) الآية
٢٠٩ تفسير قوله عز وجل (ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى) الآية
٢١١ تفسير قوله عز وجل (وما اعجلك عن قومك ياموسى) الآية
٢١٧ تفسير قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق) الآية
٢٢١ تفسير قوله عز وجل (وكذلك انزلناه قرآنا عربيا) الآية
٢٢٤ تفسير قوله عز جل (وعصى آدم ربه فغوى) الآية
وفيه حديث مشهور بين آدم وموسى عليهما السلام
٢٢٥ فصل فى بيان عصمة الانبياء عليهم السلام
٢٢٧ تفسير قوله عز وجل (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) الآية
٢٣٠ تفسير قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به) الآية
٢٣٤ الجزء السابع عشر
٢٣٩ تفسير قوله عز وجل (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) الآية
٢٤١ تفسير قوله عز وجل (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الآية
٢٤٧ تفسير قوله عز وجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) الآية
٢٥١ تفسير قوله عز وجل (ونضع الموازين القسط ليوم القيمة) الآية
٢٥٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل) الآية
٢٥٨ ذكر القصة فى ذلك
٢٦٢ تفسير قوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) الآية
٢٦٤ تفسير قوله عز وجل (ولسليمان الريح عاصفة) الآية

٢٦٦ تفسير قوله عز وجل (وايوب اذ نادى ربه) الآية
٠٠٠ ذكر قصة ايوب عليه السلام
٢٧٣ تفسير قوله عز وجل (واسمعيل وادريس وذا الكفل) الآية
٢٧٤ تفسير قوله عز وجل (وذا النون اذ ذهب مغاضبا) الآية
٢٧٧ تفسير قوله عز وجل (والتى احصنت فرجها) الآية
٢٧٨ تفسير قوله عز وجل (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) الآية
٠٠٠ وفيه حديث الدجال وشرح غريب الفاظ الحديث
٢٨١ تفسير قوله عز وجل (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون) الآية
٢٨٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) الآية
٢٨٤ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) الآية
٢٨٦ تفسير سورة الحج
٢٩١ تفسير قوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية
٢٩٥ فصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن
٢٩٨ تفسير قوله عز وجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية
٣٠٠ تفسير قوله عز وجل (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) الآية
٣١٥ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) الآية
وفيه بحث فليطالع
٣١٩ تفسير قوله عز وجل (والذين هاجروا فى سبيل الله) الآية
٣٢٣ تفسير قوله عز وجل (وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) الآية
٣٢٤ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) الآية
٣٢٧ فصل فى حكم سجود التلاوة هنا
٣٣٣ الجزء الثامن عشر
٣٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) الآية
٣٤٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) الآية
٣٤٥ تفسير قوله عز وجل (ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا) الآية
٣٤٧ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) الآية
٣٥٩ تفسير قوله عز وجل (فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم) الآية
٣٦٣ تفسير سورة النور
٣٦٨ تفسير قوله عز وجل (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء) الآية

مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا * وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء
عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا * ثم بين للناس ما نزل اليهم حسب

الاخلاق ونشر فضله في الآفاق وأنزل عليه نورا هدى به من الضلالة وأنقذ به من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن أعرض عنه بعدما سمعه عجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على ان يأتوا بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر آياته في قراءته ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره وأحكامه ومعرفة حلاله وحرامه وأسباب نزوله وأقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم أصلا وأسبغها فرعا وفصلا وأكرمها نتاجا وانورها سراجا فلاشرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا في سائر علومه المصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم * ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيي السنة قدوة الامة وامام الأئمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين ابن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من أجل المصنفات في علم التفسير واعلاها وأنبلها واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات مفرغا في قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبه ومآبه * ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التأويل والتعبير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكته واصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم أجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد فما أوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية أو بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح أبي عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته

والافهام المتصف بالالوهية قبل كل موجود الباقي بالنعوت السرمدية بعد كل

عبدالله الثقة ابن المأمون الهروي قال أخبرنا أبي

ماعن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الألباب تذكيرا * فكشف لهم
قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب * واخر متشابهات هن رموز الخطاب *
تأويلا وتفسيرا * وابرز غوامض الحقائق * ولطائف الدقائق * لينجلى لهم خفايا الملك

(م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنن أبى داود والترمذى والنسائى فانى اذكر اسمه بغير علامة ومالم أجده فى هذه الكتب ووجدت البغوى قد أخرجه بسنده انفرد به قلت روى البغوى بسنده وما رواه البغوى باسناد الثعلبى قلت روى البغوى باسناد الثعلبى وما كان فيه من أحاديث زائدة وألفاظ متغيرة فاعتمده فانى اجتهدت فى تصحيح ما أخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدى وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزرى * ثم انى عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث ومايتعلق به ليكون أكمل فائدة فى هذا الكتاب واسهل على الطلاب وسقته بابلغ ماقدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب * وينبغى لكل مؤلف كتابا فى فن قد سبق اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شئ كان معضلا أو جمعه ان كان متفرقا أو شرحه ان كان غامضا أو حسن نظم وتأليف او اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التى ذكرت ﴿ وسميته لباب التأويل * فى معانى التنزيل ﴾ والله تعالى أسأل التوفيق لاتمام ماقصدت واليه ارغب فى تيسير ما أردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله منى انه هو السميع العليم وهو حسبى ونعم الوكيل عليه توكلت واليه أنيب وقبل ان اشرع فى الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

﴿ الفصل الاول فى فضل القرآن وتلاوته وتعليمه ﴾

(م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيب وانى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى * زاد فى رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل * وفى رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة * وفى رواية الترمذى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم ماان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى أهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين * وعن الحرث الاعور قال مررت فى المسجد فاذا الناس يخوضون فى الاحاديث فدخلت على على فقلت ياأمير المؤمنين ألا ترى الناس

محدود الملك الذى طمست
سبحات جلاله الابصار
المتكبر الذى أزاحت
سطوات كبريائه الافكار
القديم الذى تعالى عن

قال أخبرنا أبو عبدالله قال
أخبرنا ابو عبيدالله محمود

والملكوت وخبايا قدس الجبروت * ليتفكروا فيها تفكيرا * ومهدلهم قواعدالاحكام واوضاعها * من نصوص الآيات والماعها * ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا * فمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد * فهو فى الدارين حميد وسعيد * ومن لم يرفع اليه رأسه * واطفأ نبراسه * يعش ذميما ويصلى سعيرا * فيا واجب الوجود * ويافائض

قد خاضوا فى الاحاديث قال أوقد فعلوها قلت نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألاانها ستكون فتنة فقلت ماالمخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأما كان قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهوالذى لاتزيغ به الاهواء ولاتلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولاتنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور أخرجه الترمذى و قال حديث غريب واسناده مجهول و فى الحرث مقال * قوله هو الفصل أى الفاصل بين الحق و الباطل ليس بالهزل أى هو جد كله ليس فيه شئ من الهزل والجبار فى صفة الآدمى هو المتسلط العاتى المتكبر على الناس قصمه الله أى أهلكه * قوله هو حبل الله المتين الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العارى من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لاتزيغ به الاهواء أى لايميل عن الحق * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران * قوله الماهر بالقرآن يعنى الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة * وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمى بذلك لانه يسفر برسالات الله الى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يأمر به ومعنى كونه مع الملائكة أن له منازل فى الجنة يكون فيها رفيقا لهم * وقوله يتتعتع أى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه له أجران يعنى يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التى تحصل له فيها وليس معناه ان له أجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبى موسى الاشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولاريح لها ومثل الفاجر

مماثلة الحدثان العظيم الذى تنزه عن مماسة المكان المتعالى عن مضاهاة الاجسام ومشابهة الانام القادر

ابن محمد الرازى قال أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروى قال أخبرنا على بن اسحق

الجود * ويا غاية كل مقصود * صل عليه صلاة توازى غناءه * وتجازى عناءه وعلى من اعانه وقرر بنيانه تقريرا * وافض علينا من بركاتهم * واسلك بنا مسالك كراماتهم *

الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها * فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه * عن ابن عباس قال قال رجل يارسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذى * عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند الله آخر آية تقرؤها آخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجئ القرآن يوم القيامة فيقول يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن سهل بن معاذ الجهنى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا أخرجه أبو داود * عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن يجهر به * معنى أذن فى اللغة استمع ولا نحمله على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن واجزال ثوابه فى ذلك وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث * وقوله يتغنى بالقرآن أى يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق فى القراءة وقيل معناه يستغنى به عن الناس والقول الاول أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

الفصل الثانى فى وعيد من قال فى القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتى القرآن فنسيه ولم يتعهده

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار * وفى روايه من قال فى القرآن برأيه أخرجه الترمذى

الذى لا يشار اليه بالتكييف القاهر الذى لا يسئل عن التحميل والتكليف العليم الذى خلق الانسان وعلمه البيان الحكيم الذى نزل القرآن شفاء للارواح والابدان والصلاة والسلام على المستل من أرومة البلاغة والبراعة المحتل

السمرقندى عن محمد بن مروان عن الكلبى عن أبى

وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا * وبعد * فان اعظم العلوم مقدارا * وارفعها شرفا ومنارا * علم التفسير الذى هو رئيس العلوم الدينية ورأسها * ومبنى قواعد الشرع واساسها *

وقال حديث حسن * قوله فليتبوأ معناه فليتخذله مباءة أى منزلا من النار * عن جندب ابن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث غريب * وسئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أى سماء تظلنى وأى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله بغير علم * قال العلماء النهى عن القول فى القرآن بالرأى انما ورد فى حق من يتأول القرآن على مرادنفسه وما هو تابع لهواه وهذا لايخلو اما أن يكون عن علم اولا فان كان عن علم لكن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع فى المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول فى القرآن بغير علم لكن عن جهل و ذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ماتحتمله من المعانى والوجوه فهذان القسمان مذمومان و كلاهما داخل فى النهى والوعيد الوارد فى ذلك * فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فان الصحابة رضى الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا فى تفسيره على وجوه وليس كل ماقالوه سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر مافهموا من القرآن تكلموا فى معانيه وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فكان أكثر مانقل عنه التفسير (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل فى عقلها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت الابل المعقلة التى حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى (ق) عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى استذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها * وفى رواية لايقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسى * قوله بئسما لاحدكم أى بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه * قوله لايقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل أن الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذى أنساه اياه * وقيل أصل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت الى نسيانه * وقوله بل نسى هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أى عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه اولسوء

فى بحبوحة النصاحة والفصاحة محمد المبعوث الى خليقته الداعى الى الحق وطريقته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشيعته (قال) مولانا الشيخ الامام المعظم والحبر الهمام المقدم أستاذ أهل الارض محيى السنة والفرض كشاف حقائق أسرار التنزيل مفتاح أسرار

صالح عن ابن عباس قال الباء بهاء الله وبهجته وبلاؤه وبركته وابتداء اسمه

لايليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه * الا من برع فى العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها * وفاق فى الصناعات العربية * والفنون الادبية * بانواعها ولطالما احدث

تعهده القرآن * وقوله أشد تفصيا أى خروجا من صدور الرجال وفى معناه تفلتا من الابل فى عقلها أى تخلصا من العقال وهو الحبل الذى تربط به * عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه الالقى الله يوم القيامة أجذم أخرجه أبو داود * الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذى به جذام * عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر فيها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء أراد بالقرآن المصحف فلايجوز حمله الى أرض العدو وهى بلاد الكفار للنهى الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلابأس من ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع قال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجئ أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس أخرجه الترمذى * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماآمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذى وقال ليس اسناده بالقوى * عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

﴿ الفصل الثالث فى جمع القرآن وترتيب نزوله وفى كونه نزل على سبعة أحرف ﴾

(خ) عن زيد بن ثابت قال بعث الى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر ان عمر جاءنى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى كل المواطن فيذهب من القرآن كثير وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر قال زيد فقال لى أبو بكر انك رجل شاب عاقل لانتهمك قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ماكان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر * وفى رواية فلم يزل عمر

حقائق التأويل ترجمان كلام الرحمن صاحب علم المعانى والبيان الجامع بين الاصول والفروع المرجوع اليه فى المعقول والمسموع حافظ الملة والدين شيخ الاسلام والمسلمين

بارئ * السين سناؤه وسموه أى ارتفاعه وابتداء اسمه سميع * الميم ملكه ومجده

نفسى ان اصنف فى هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة مابلغنى من عظماء الصحابة وعلماء

يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ورأيت فى ذلك الذى رأيا قال فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أومع أبى خزيمة الانصارى فلم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر براءة فألحقتها فى سورتها قال فكانت الصحف عند أبى بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر * قال بعض الرواة اللخاف يعنى الخزف (خ) عن أنس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود و النصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم فنسخوها فى المصاحف * و قال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق * قال ابن شهاب وأخبرنى خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها فى سورتها فى المصحف قال فى رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين * زاد فى رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ فى التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش

﴿ شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما ﴾

قوله بعث الى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة أى لأوان قتلهم وأراد به الوقعة التى كانت باليمامة فى زمن أبى بكر الصديق وهى وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن * واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة ولها عمائر وهى فى عداد أرض نجد * قوله استحر القتل أى كثر ونسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد * وشرح الصدر سعته وقبوله الخير * قوله فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع جمع رقعة وهى مايكتب فيها * والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه * واللخاف حجارة بيض رقاق واحدته لخفة * قوله يغازى أهل الشام أى مع أهل الشام * فى فتح ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف الياء لاغير سميت بارمين بن لمطى

وارث علوم الانبياء والمرسلين أكمل فحول المجتهدين قدوة قروم المحققين ذو السعادات والكرامات أبو البركات

ومنته على عباده الذين هداهم الله تعالى للايمان

التابعين * ومن دونهم من السلف الصالحين * وينطوى على نكت بارعة * ولطائف

ابن لومن بن يافث بن نوح وهو أول من نزل بها سميت باسمه * وأذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك فى ضبطها * وقال ابن جنى فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة * قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبى خزيمة الانصارى * وفى الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية * فاعلم أن المذكور فى الحديث الاول غير المذكور فى الحديث الثانى وهما قضيتان فاما المذكور فى الحديث الاول فهو أبو خزيمة بن اوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصارى شهد بدرا وما بعدها وتوفى فى خلافة عثمان وهو الذى وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر وأما المذكور فى الحديث الثانى فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمى الاوسى الانصارى يعرف بذى الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع على بن أبى طالب * قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذى كتب بامر النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت فى الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد يعنى ابن ثابت قلت لانس من أبو زيد قال أحد عمومتى أخرجاه فى الصحيحين اسم أبى زيد سعد بن عبيد * وأخرج الترمذى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استحر القتل بقراء القرآن فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه فى مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشئ بعد الشئ من التلاوة كما كان ينسخ بعض أحكامه فلم يجمع فى مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين فحفظ الله كتابه فى القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه أو

عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى نفع الله الاسلام بطول بقائه والمسلمين بيمن

وابتداء اسمه مجيد (الله) معناه الخلق يألهون

(نقصوا)

رائعة * استنبطتها انا ومن قبلى من افاضل المتأخرين * واماثل المحققين * ويعرب عن

نقصوا منه شيئا والذى حملهم على جمعه ماجاء مبينا فى الحديث وهو انه كان مفرقا فى العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم أبى بكر فدعوه الى جمعه فرأى فى ذلك رأيهم فامر بجمعه فى موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أو أخروا شيئا أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ماينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا فثبت ان سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه فان القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على النحو الذى هو فى مصاحفنا الآن وقد صح فى حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فى رمضان وانه عرضه فى العام الذى توفى فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهى العرضة التى نسخ فيها مانسخ وبقى فيها مابقى ولهذا أقام أبو بكر زيد بن ثابت فى كتابة المصحف وألزمه بها لانه قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الذى توفى فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه فى الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده فى حفظه على ماقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * واعلم ان الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا فى شهر رمضان فى ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث مايحدث على ماشاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه فى التلاوة والمصحف * فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول مانزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك الذى خلق * ثم نون والقلم * ثم يا أيها المزمل * ثم المدثر * ثم تبت يدا أبى لهب * ثم اذا الشمس كورت * ثم سبح اسم ربك الاعلى * ثم والليل اذا يغشى * ثم والفجر * ثم والضحى * ثم ألم نشرح * ثم والعصر * ثم والعاديات * ثم انا اعطيناك الكوثر * ثم الهاكم التكاثر * ثم أرأيت الذى * ثم قل يا أيها الكافرون * ثم الفيل * ثم قل هو الله أحد * ثم والنجم * ثم عبس * ثم سورة القدر * ثم سورة البروج * ثم التين * ثم لايلاف قريش * ثم القارعة * ثم القيامة * ثم الهمزة * ثم المرسلات * ثم ق * ثم سورة البلد * ثم الطارق * ثم اقتربت الساعة * ثم ص * ثم الاعراف * ثم الجن * ثم يس * ثم الفرقان * ثم فاطر * ثم مريم * ثم طه * ثم الواقعة * ثم الشعراء * ثم النمل * ثم القصص * ثم سورة بنى اسرائيل * ثم يونس * ثم هود * ثم يوسف * ثم الحجر * ثم الانعام * ثم والصافات * ثم لقمان * ثم

لقائه قد سألنى من تتعين اجابته كتابا وسطا فى التأويلات جامعا لوجوه

ويتألهون اليه أى يتضرعون اليه عند الحوائج ونزول

وجوه القرا آت المعزية الى الائمة الثمانية المشـهورين * والشواذ المروية عن القراء

سبأ * ثم الزمر * ثم المؤمن * ثم السجدة * ثم حم عسق * ثم الزخرف * ثم الدخان * ثم الجاثية * ثم الاحقاف * ثم الذاريات * ثم الغاشية * ثم الكهف * ثم النحل * ثم نوح * ثم ابراهيم * ثم الانبياء * ثم قدأفلح المؤمنون * ثم تنزيل السجدة * ثم الطور * ثم الملك * ثم الحاقة * ثم سأل سائل * ثم عم يتساءلون * ثم النازعات * ثم اذاالسماء انفطرت * ثم اذا السماء انشقت * ثم الروم * ثم العنكبوت و اختلفوا فى آخر مانزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين فهذا ترتيب مانزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على مااستقرت عليه روايات الثقات * وأما مانزل بالمدينة فاحد وثلاثون سورة فاول مانزل بها سورة البقرة * ثم الانفال * ثم آل عمران * ثم الاحزاب * ثم الممتحنة * ثم النساء * ثم اذا زلزلت الارض * ثم الحديد * ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم * ثم الرعد * ثم سورة الرحمن * ثم هل أتى على الانسان * ثم الطلاق * ثم لم يكن * ثم الحشر * ثم الفلق * ثم الناس * ثم اذا جاء نصر الله والفتح * ثم النور * ثم الحج * ثم اذا جاءك المنافقون * ثم المجادلة * ثم الحجرات * ثم التحريم * ثم الصف * ثم الجمعة * ثم التغابن * ثم الفتح * ثم التوبة * ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب مانزل من القرآن بالمدينة واختلفوا فى شورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك فى مواضعه ان شاء الله تعالى

فصل فى كون القرآن نزل على سبعة أحرف وماقيل فى ذلك

(ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ماقرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اقرأ ياعمر فقرأت بقراءتى التى أقرأنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر منه * قوله فكدت أساوره فى الصلاة أى أواثبه وأقاتله وهو فى الصلاة * و التربص التثبت * قوله فلببته بردائه هو بتشديد الباء الاولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه فى عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة وفيه بيان ماكانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غـير عدول الى ماتجوّزه العربية وأما أمر النبى صلى الله عليه وسـلم عمر

الاعراب و القرا آت متضمنا لدقائق على البديع والاشارات حاليا باقاويل أهل السنة والجماعة خاليا

الشدائد (الرحمن) العاطف على البر والفاجر بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم

قوله فاحد وثلاثون فيه ان المعدود ثلاثون لاغير نعم سيذكر أن شورى نزلت بالمدينة على قول وعليه فهى احـد وثلاثون اهـ مصححه المصرى

المعتبرين * الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام * ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام

بارك الله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها مالا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق * قوله ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر منه قال العلماء سبب انزاله على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة أحرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال أبو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب تميمها ومعدها وهي أفصح لغات العرب وأعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت و نرتع ونلعب وباعد بين أسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا منها مالم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية أمثال بآية أحكام وقول من قال ان المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد أيضا وخطأ للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف * معنى الحديث لم أزل أطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما

عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل

(الرحيم) خاصة على المؤمنين بالمغفرة وادخالهم

حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته * والاتيان بما قصدته

فسقط فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقا وكانما أنظر الى الله عز وجل فرقا فقال لى يا أبى ارسل الى ان أقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هوّن على أمتى فرد الى الثانية أن اقرأه على حرفين فرددت اليه أن هوّن على أمتى فرد الى الثالثة ان اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى وأخرت الثالثة ليوم ترغب الى الناس كلهم حتى ابراهيم * قوله فسقط فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية معناه وسوس الى الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه فى الجاهلية لانه كان فى الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان فى قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لايؤاخذ بها * قوله ضرب فى صدرى ففضت عرقا * قال القاضى عياض ضربه صلى الله عليه وسلم فى صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم * قوله وكأنما أنظر الى الله تعالى فرقا * الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما أزال عنه ذلك الخاطر * قوله تعالى ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها * معناه مسئلة مجابة قطعا وأما باقى الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم * روى البغوى بسنده عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل فى معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل فى معناه الظهر ماحدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو فى الظاهر خبر وفى الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما انزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض * قوله ولكل حد مطلع معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر فى القرآن العزيز من التأويل والمعانى مالا يفتحه على غيره وفوق كل ذى علم عليم والله أعلم

وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى استقصارا لقوة البشر عن درك هذا

الجنة ومعناه الذى يستر عليهم الذنوب فى الدنيا

فصل فى معنى التفسير والتأويل

فاما التفسير فاصله فى اللغة من الفسر وهو كشف ماغطى وهو بيان المعانى المعقولة فكل مايعرف به الشئ ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذى ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها * وأما التأويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال أولته فآل أى صرفته فانصرف

(وهو)

ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بـ ﴿ انوار التنزيل واسرار التأويل ﴾

وهو رد الشئ الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعانى والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية * والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم

﴿ القول فى الاستعاذة ﴾

ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجئ اليه وأمتنع به مما أخشاه من عاذ يعوذ * والشيطان أصله من شطن أى تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية * الرجيم فعيل بمعنى فاعل أى يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أى مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الاعلى * وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة فى الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة ان يتعوذ أيضا * وحكى عن عطاء وجوبها سواء كانت فى الصلاة أو غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل فى عمره مرة واحدة كفى فى اسقاط الوجوب * دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبى صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا * ودليل الجمهور ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابى الاستعاذة فى جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز * وأجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا أردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة * وأجيب عن مواظبة النبى صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات فى الصلاة فكان التعوذ مثلها ﴿ المسئلة الثانية ﴾ وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان فى الصلاة أو خارجها وحكى عن النخعى انه بعد القراءة وهو قول داود وأحدى الروايتين عن ابن سيرين * حجة الجمهور ماروى عن أبى سعيد الخدرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث أشهر حديث فى الباب وقد تكلم فى بعض رجاله وقال أحمد لا يصح ولابى داود والنسائى عن أبى سعيد نحوه * وعن جبير بن مطعم انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمر ولا أدرى أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا

الوطر وأخذ السبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة وأتممته فى مدة يسيرة ﴿ وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ﴾ وهو الميسر لكل عسير وهو على مايشاء قدير وبالاجابة جدير

ويرجمهم فى الآخرة فيدخلهم الجنة

فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول * وهو الموفق لكل خير ومعطى كل مسئول

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه فكأنها اصله ومنشأه ولذلك تسمى اساسا ولانها

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه * قال نفخه الكبر * ونفثه الشعر * وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقدمات عقله وقيل همزه هو الذى يوسوسه فى الصلاة ونفخه هو الذى يلقيه من الشبه فى الصلاة ليقطع عليه صلاته * واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وأجيب عنه بما تقدم * وقال مالك لايتعوذ فى المكتوبة ويتعوذ فى قيام رمضان بعد القراءة لنا ماتقدم من الادلة ﴿المسئلة الثالثة﴾ المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم * وقال أحمد الاولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث أبى سعيد وقال الثورى والاوزاعى الاولى ان يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شئ يشغله عن الله تعالى * ومن لطائف الاستعاذة ان قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارئ عز وجل وانه هو الغنى القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد أيضا بان الشيطان عدو مبين ففى الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوى الفاجر وانه لايقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله تعالى أعلم

تفسير سورة الفاتحة

وهى سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفا * واختلف العلماء فى نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول أكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة أسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله * فاول ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة * الثانى سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله * الثالث أم القرآن وأم الكتاب سميت بذلك لانها أصل القرآن وأم كل شئ أصله وقيل هى امام لما يتلوها من السور * الرابع السبع المثانى سميت بذلك لانها تثنى فى الصلاة ويقرأ بها فى كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين * الخامس الوافية سميت بذلك لانها لاتقسم فى القراءة فى الصلاة كما يقسم غيرها من السور * السادس الكافية سميت بذلك لانها تكفى عن غيرها فى الصلاة ولا يكفى عنها غيرها

﴿فاتحة الكتاب﴾ مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى أم القرآن للحديث قال عليه السلام لاصلاة لمن لم يقرأ بام القرآن ولاشتمالها على المعانى التى فى القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله

﴿ومن سورة فاتحة الكتاب وهى مدنية ويقال مكية﴾

تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده اوعلى جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء * وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام هى شفاء من كل داء والسبع المثانى لانها سبع آيات بالاتفاق الاان منهم من عدالتسمية دون انعمت عليهم

عليه السلام حاكيا عن الله تعالى فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء الا السام وسورة المثانى لانها تثنى فى كل صلاة وسورة الصلاة لما يروى ولانها تكون واجبة أو فريضة وسورة الحمد والاساس فانها أساس القرآن قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالاساس وآيها سبع بالاتفاق

﴿ فصل فى ذكر فضلها ﴾

(خ) عن أبى سعيد بن المعلى قال كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيته فقلت يارسول الله انى كنت اصلى فقال ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لى لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدى فلما أراد أن يخرج قلت له يارسول الله ألم تقل لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته * ورواه مالك فى الموطأ عنه وقال فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم نادى أبى بن كعب وهو يصلى وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور مثلها * ورواه الترمذى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبى وهو يصلى وذكر نحو رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح * عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل أخرجه الترمذى والنسائى * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا أعطيته * قوله سمع نقيضا هو بالقاف والضاد المعجمة أى صوتا كصوت فتح الباب (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج هى خداج غير تمام قال فقلت يا أبا هريرة انا أحيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعى وقال اقرأ بها فى نفسك يافارسى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاه بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وربما قال فوّض الى عبدى

(بسم الله الرحمن الرحيم) قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لايجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها في الصلاة وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف مع الامر بتجريد القرآن عما ليس منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث أبي هريرة قال سمعت النبي عليه السلام يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة أي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي (وقيل)

ومنهم من عكس وتثنى في الصلاة اوالانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابوحنيفة رحمه الله تعالى فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى ولنا احاديث كثيرة منها ماروى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها أم بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين * والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما

واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ماسأل * قوله فهي خداج أي ناقصة * قوله فغمز ذراعي أي كبس ساعدي بيده * قوله قسمت الصلاة أراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من أركانها وجزء من أجزائها * قوله نصفين حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء ووقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل * قوله حمدني عبدي ومجدني أي أثنى علي لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم * قوله وربما قال فوض الي عبدي وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض أمره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وأنها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وستأتي هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبدأ باسم الله أو باسم الله أبدأ أو أقرأ وانما طولت الباء في بسم الله وأسقطت الالف طلبا للخفة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ولعبدي ماسأل فالابتداء بقوله الحمدلله دليل على {سورة الفاتحة} أن التسمية ليست من الفاتحة

يدل عليه اوابتدائى لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما فى قوله بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل فى التعظيم واوفق للوجود فان اسمه سبحانه وتعالى مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لايتم ولايعتدبه شرعا مالم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام كل امرذى بال لايبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر * وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا ومابعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها

وقيل لما أسقطوا الالف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الالف المحذوفة وأثبتت الالف فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى وقيل ان عمر بن عبدالعزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عزوجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيي ثم نادى الاسم فقال يايحيي وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك * وهذا القول ليس بقوى والصحيح المختار أن الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ماتعرف به ذات الشئ وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشئ المسمى به فثبت بهذا أن الاسم غير المسمى وأيضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وأيضا فقوله فادعوه بها أمر أن يدعى الله تعالى باسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به * وأجيب عن قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيي بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيي لانفس الاسم * وأجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضى اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشئ الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه أسمائه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا فى اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشئ ماعلاه حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة وهى العلامة فكأنه علامة لمسماه وحجة البصريين لوكان الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه أوسام واجمعوا على أن تصغيره سمى وجمعه أسماء وآسام ﴿الله﴾ هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولايشركه فيه أحد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعنى لايقال لغيره الله وقيل هو مشتق من أله يأله الاهة مثل عبدالرجل يعبد عبادة دليله ويذرك والاهتك أى

واذا لم تكن من الفاتحة لاتكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور فى صحاح المصابيح وما ذكروا لايضرنا لان التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الاسلام فى المبسوط وانما يرد علينا ان لو لم نجعلها آية من القرآن وتمام تقريره فى الكافى وتعلقت الباء بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ أو اتلو لان الذى يتلو التسمية مقروه كما ان المسافر اذا حل اوارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ فى فعله باسم الله كان مضمرا ماجعل التسمية مبدأله وانما قدر المحذوف متأخرا لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عزوجل بالابتداء وذا بتقديمه وتأخير الفعل وانما قدم الفعل فى اقرأ باسم ربك لانها أول سورة نزلت فى قول وكان الامر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوز أن يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم

بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر تفصلة بينهما وبين لام الابتداء * والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التى حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامى وسمى وسميت ومجئ سمى كهدى لغة فيه قال

والله اسماك سمى مباركا * آثرك الله به ايثاركا

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعارله * ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان

وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يولهون اليه أى يفزعون اليه فى حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم فى بلايا تنوبنى * فالفيتكم فيها كرائم محتد

وقيل أصله أله يقال ألهت الى فلان أى سكنت اليه فكأن الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره وقيل أصله ولاه فابدلت الواو همزة سمى بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتحير أو بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان من شئ الا يسبح بحمده * ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيأ بقى الباقى يدل عليه فان حذفت الالف بقى لله وان حذفت اللام وأثبت الالف بقى أله وان حذفتهما بقى له وان حذفت الالف واللامين معا بقى هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات و باقى الاسماء تدل على الصفات ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل ذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق فى الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور الكافى للمؤمنين فى الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هى ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثانى صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق

﴿ فصل فى حكم البسملة ﴾

وفيه مسئلتان ﴿ الاولى ﴾ فى كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف العلماء فى ذلك فذهب الشافعى و جماعة من العلماء الى أنه آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت فى أولها سوى سورة براءة وهو قول

اقرأ الذى بعده واسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات فى قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسر لانها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الاسماء التى بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة و غيرهما فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن تعذرا واذا وقعت فى الدرج لم يفتقر الى زيادة شئ ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمى وسميت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره وحذفت الالف فى الخط هنا وأثبتت فى قوله اقرأ باسم ربك لانه اجتمع فيها أى فى التسمية مع أنها تسقط فى اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عن حذفها وقال عمر بن عبد العزيز لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور

الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سم وسم قال

بسم الذى فى كل سورة سمه

والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لايكون كذلك وان اريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن

ابن عباس وابن عمر وأبى هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحد فى احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقى هذا القول عن على بن أبى طالب والزهرى والثورى ومحمد بن كعب * وذهب الاوزاعى ومالك وأبو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من الفاتحة زاد أبو داود ولا من غيرها من السور وانما هى بعض آية فى سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها فى الصلاة المفروضة وللشافعى قول انها ليست من أوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة * فأما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث أنس المشهور المخرج فى الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان أول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذى خلق ولم يذكر البسملة فى أولها فدل على انها ليست قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا * وأما حجة من ذهب الى اثباتها فى أوائل السور من جهة النقل فقد صح عن أم سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة فى أول الفاتحة فى الصلاة وعدها آية منها * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال هى فاتحة الكتاب قيل فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجهما ابن خزيمة وغيره * وروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفى رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبد الله فى مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطنى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدارقطنى فى رجال اسناده كلهم ثقات وروى موقوفا * وروى الدارقطنى عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم * وأخرج مسلم فى أفراده عن

الميم * والله أصله الاله ونظيره الناس اصله الاناس حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف والاله من أسماء الاجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لانك تصفه ولا تصف به لا تقول شئ الله كما لا تقول شئ رجل وتقول الله واحد صمد ولان صفاته تعالى لابد لها من موصوف تجرى فلو جعلتها كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها وذا لا يجوز ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد ابن الحسن والحسين بن الفضل وقيل معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحدا وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله اذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تحير فى معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم أله يأله الها اذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أى معبود كقوله هذا خلق الله أى مخلوقه وتفخم لامه اذا كان قبلها فتحة أو ضمة وترقق

النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب اوالاسم مقحم كما فى قول الشاعر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

وان اريد به الصفة كما هو رأى الشيخ ابى الحسن الاشعرى انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه اوللفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها * والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل ياالله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله

اذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الاول * والرحمن فعلان من رحم وهو الذى وسعت رحمته كل شئ كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض و فى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم لان فى الرحيم زيادة واحدة وفى الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء فى الدعاء يارحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لانه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وان كان أبلغ والقياس الترقى من الادنى الى الاعلى

أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ اغفا غفوة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقى أحسن ما احتج به أصحابنا فى ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ماروبناه فى جمع الصحابة كتاب الله عز وجل فى المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعى بسنده عن ابن عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التى بعدها زاد غيره عنه أنه كان يقول لما كتبت فى المصحف لم لم تقرأ * وروى الشافعى عن ابن عباس أنه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية فى القرآن * وفى افراد البخارى من حديث أنس أنه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وأيضا فاجمع الصحابة على اثباتها فى المصاحف وأنهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه مخافة من أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد أنه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن فى أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

المسألة الثانية فى حكم الجهر بالبسملة والاسرار

اذا ثبت بما تقدم من الادلة أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها فى الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة فى الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة فى الصلاة السرية وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير

(وأبو)

فى اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير فى معرفته اومن الهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته اومن اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة اوبزعمه اومن اله الفصيل اذا اولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه فى الشدائد اومن وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة فى وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب و ارتفع لانه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شئ ممالايليق به ويشهد له قول الشاعر

كحلفة من ابى رباح * يشهدها لاهه الكبار

وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لابدله من اسم تجرى عليه صفاته ولايصلح له ممايطلق عليه سواه ولانه لوكان وصفا لم يكن قول لااله الاالله توحيدا مثل لااله الاالرحمن فانه لايمنع الشركة والاظهر انه وصف فى اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لايستعمل فى غيره وصارله كالعلم مثل الثريا والصعق اجرى مجراه فى اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته

وأبو قلابة والزهرى وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلى بن الحسين وسالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظى وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد ابن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعى وهو أحد قولى ابن وهب صاحب مالك ويحكى أيضا عن ابن المبارك وأبى ثور * وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبى وابراهيم النخعى وقتادة والاعمش والثورى واليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم * أما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وأنس وعلى بن أبى طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد فى صريح الاسرار بها عن النبى صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهى رواية عبدالله بن مغفل والاخرى عن أنس وهى فى الصحيح وهى معللة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها * وروى نعيم بن عبدالله المجمر قال صليت وراء أبى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائى وابن خزيمة فى صحيحه وقال أما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم و روى الدارقطنى بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن

يقال فلان عالم ذوفنون نحرير لانه كالعلم لم يوصف به غير الله ورحمة الله انعامه على عباده وأصلها العطف وأما قول الشاعر فى مسيلمة * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا *

من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي اوغيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لودل على مجرد ذاته المخصوص لماافادظاهر قوله سبحانه وتعالى * وهوالله في السموات معنا صحيحا ولان معنى الاشتقاق هوكون احداللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذاانفتح ماقبله اوانضم سنة وقيل مطلقاوحذف الفه لحن تفسدبه الصلاة ولاينعقدبه صريح اليمين وقدجاء لضرورة الشعر

الالا بارك الله في سهيل * اذا ماالله بارك في الرجال

والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقةالقلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على مافيها واسماء الله تعالى انماتؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يارحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واماالنعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لايوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لايصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريدبه جزيل ثواب اوجميل ثناء اويزيح رقة الجنسية اوحب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتقام بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الا غير ذلك من

فباب من تعنتهم في كفرهم ورحمن غير منصرف عند من زعم ان الشرط انتفاء فعلانة اذ ليس له فعلانة ومن زعم ان الشرط وجود فعلى صرفه اذليس له فعلى والاول الوجه

الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده كلهم ثقات * وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال ليس في روايته مجروح و أخرجه الحاكم أبو عبد الله و قال اسناده صحيح وليس له علة * و في رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفتتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح وأخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذاك قال الشيخ أبو شامة أي لا يماثل اسناده مافي الصحيح ولكن اذا انضم الى ماتقدم من الادلة رجح على مافي الصحيح * وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدار قطني وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن أبي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان مالا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ماألوي أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك وقال أنس بن مالك ماألوي أن أقتدي بصلاة رسو الله صلى الله عليه

(وسلم)

(الحمد) الوصف بالجميل على جهة التفضيل وهو رفع بالابتداء واصله النصب وقد قرئ باضمار فعله على انه من المصادر المنصوبة بافعال مضمرة فى معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول عن النصب الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لله) واللام متعلق بمحذوف أى واجب أو ثابت وقيل الحمد والمدح

اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته و حسبه وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال * أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا * أى القلب والحمد باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب و مافى عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ماهو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا والشكر ثناء على ماهو منه من أوصاف الافضال والحمد يشملهما والالف و اللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة ولذا قرن باسم الله

خلقه لايقدر عليها احد غيره اولان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة و الرديف له او للمحافظة على رؤس الآى والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلى اوفعلانة الحاقا له بما هو الغالب فى بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور هو المعبود الحقيقى الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها و حقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره ﴿ الحمد لله ﴾ الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى من نعمة اوغيرها * والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال

افادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى و الضمير المحجبا

فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما فى آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر ماشكر الله من لم يحمده * والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر و رفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب و قد قرئ وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التى تنصب بافعال مضمرة لاتكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى مايعرفه كل احد ان الحمد ماهو اوللاستغراق اذالحمد فى الحقيقة كله لله اذما من خير الا وهو موليه بوسط اوبغير وسط كما قال ومابكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى قادر مريد عالم اذالحمد لايستحقه الا من كان هذا شأنه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان

وسلم أخرجه الدارقطنى وقال كلهم ثقات وأخرجه الحاكم أبوعبدالله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات قلت وفى الباب أحاديث وأدلة وايرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفى هذا القدر كفاية وبالله التوفيق * قوله عز وجل ﴿ الحمد لله ﴾ لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر أى قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه * والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون قبل الاحسان و بعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد

وباسناده عن ابن عباس (قا و حا ٤ ل) فى قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر لله وهو ان صنع الى خلقه فحمدوه ويقال الشكر لله بنعمه السوابغ على عباده الذين هداهم للايمان ويقال الشكر والوحدانية و الالهية لله الذى لا ولد له ولا شريك له ولا معين له ولا وزير له

معامنزلة كلمة واحدة ﴿ رب العالمين ﴾ الرب فى الاصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيأ فشيأ ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل و قيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمى به المالك لانه يحفظ مايملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الامقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به الصانع وهو كل ماسواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ماتحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر مافى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه فى العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح اوالنداء اوبالفعل الذى دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هى مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ كرره للتعليل على ماسنذكره

يكون منهيا عنه وأما الحمد فمأمور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لايكون الا على النعمة فالحمد أعم من الشكر اذلا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام فى لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعنى انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق ﴿ رب العالمين ﴾ الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشئ أى مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا أصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشئ مضافا * والعالمين جمع عالم لاواحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لاتعقل واختلف فى مبلغ عددهم فقيل لله ألف عالم ستمائة عالم فى البحر وأربعمائة فى البر وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا فى البر ومثلهم فى البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحراء * الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمى بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم * فان قلت قد سمى مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه

لانه اسم ذات فيستجمع فى مواضع (رب العالمين) الرب المالك ومنه قول صفوان لابى سفيان لان يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن تقول ربه يربه ربا فهو رب ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الافى الله وحده وهو فى العبيد مع التقييد انه ربى أحسن مثواى قال ارجع الى ربك وقال الواسطى هو الخالق ابتداء والمربى غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الاعظم والعالم كل ماعلم به الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض أو كل موجود سوى الله تعالى سمى به لانه علم على وجوده وانما جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات العقلاء أومافى حكمها من الاعلام لمافيه من معنى الوصفية وهى الدلالة على معنى العلم (الرحمن الرحيم) ذكرهما قدم وهو دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة

(رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض ومن أهل السماء ويقال سيد الجن والانس ويقال خالق الخلق ورازقهم ومحولهم من حال الى حال (الرحمن) الرقيق من الرقة وهى الرحمة (الرحيم) (وانت)

اذلوكانت منها لما أعادهما لخلو الاعادة عن الافادة

﴿مالك يوم الدين﴾ قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله * و قرأ الباقون ملك و هو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم * والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك * والملك هو المتصرف بالامر و النهي في المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح أو الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم ياسارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة اوله الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه اولتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه و اجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربالهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها و باطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد أحق به منه بل لايستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لايستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على مابعده فالوصف الاول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات اووجوب عليه قضية بسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لايقبل الشركة وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين

وأنت غيث الورى لازلت رحمانا

قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلايلتفت الى قولهم هذا * فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية * قلت ليعلم ان العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه ﴿ قوله تعالى ﴿مالك يوم الدين﴾ يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولايقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك أوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولايقال ملك هذه الاشياء ولانه لايكون ملكا لشيء الا وهو يملكه وقد يكون مالكا لشيء ولايملكه وقيل ملك أولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي

قاضي يوم الدين وهو يوم الحساب والقضاء فيه بين الخلائق أي يوم يدان الناس باعمالهم لاقاضي غيره

عاصم وعلى ملك غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الاضافة ولقوله لمن الملك اليوم ولان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولان أمر الملك ينفذ على المالك دون عكسه وقيل المالك أكثر ثوابا لانه أكثر حروفا وقرأ أبو حنيفة والحسن رضي الله عنهما ملك (يوم الدين) أي يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان اي كما تفعل تجازى وهذه اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع كقولهم * ياسارق الليلة أهل الدار * أي مالك الامر كله في يوم الدين والتخصيص بيوم الدين لان الامر فيه لله وحده وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن اضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية لانه أريد به الاستمرار فكانت الاضافة حقيقية فساغ أن يكون صفة للمعرفة وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا أي مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في

الرفيق (مالك يوم الدين)

قوله الحمدلله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه (اياك نعبد و اياك نستعين) ايا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر أضيف ايا اليه لانه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكمالها اسم و تقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة و هى أقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة و عدل عن الغيبة الى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس * تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد * وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد * وذلك من نبأ جاءنى * وخبرته عن أبى الاسود * فالتفت فى الابيات الثلاثة حيث لم يقل ليلى و بت و جاءك والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب ادخل فى القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه واملأ لاستلذاذ اصغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تضح الا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ماهم ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر (فان) الحقيق بالحمد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة

﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك اى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص وللترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ماهو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهوان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فتعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى و لم ترقد
وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد
وذلك من نبأ جاءنى * وخبرته عن ابى الاسود

يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان أى قهرته فذل * فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها * قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى فى دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة * قوله تعالى ﴿ اياك نعبد ﴾ رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من أول السورة الى هنا ثناء والثناء فى الغيبة أولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب فى الدعاء أولى وقيل فيه ضمير أى قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وسمى العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا أعبد أحدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم النعم وهى ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له ﴿ واياك نستعين ﴾ أى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا

﴿ اياك نعبد) لك نوحد ولك نطيع (واياك نستعين) بك نستعين على عبادتك ومنك نستوثق على طاعتك

وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء فى انت والكاف فى أرأيتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هى الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا فى الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهى اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة فى السفر للقادر على المشى أو يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة فى المهمات كلها او فى اداء العبادات والضمير المستكن فى الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة اوله و لسائر الموحدين ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم فى الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة سنية بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حيث قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معى ربى سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهى لغة بنى تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم

فى المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نعبد و نستعين لا غيرك وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب الى الاجابة أو لنظم الآى كما قدم الرحمن وان كان الابلغ لا يقدم وأطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادات ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف

فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم أخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه • قلت ذكروا فيه وجوها • أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير • الثانى ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا

مابعدها ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا وافراد لما هو المقصود الاعظم و الهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام اوالى فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر فى اجناس مترتبة الاول افادة القوى التى بها تمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حديث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى و الثالث الهداية بارسال الرسل و انزال الكتب و اياها عنى بقوله و جعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى أو الالهام و المنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء و الاولياء و اياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده و قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى اوالثبات عليه اوحصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف بالله الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشى ابداننا لنستضئ بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة * والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاى ليكون اقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل عنه ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت فى الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير والتأنيث * والمستقيم المستوى

---

* الثالث كأن العبد يقول شرعت فى العبادة فانا أستعين بك على اتمامها فلا يمنعنى من اتمامها مانع * الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر و ذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أى أرشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى أعود اليك ومعناه دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة * والصراط الطريق قال جرير

أمير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

أى على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا و قيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة

أعينكم فقالوا (اهدنا الصراط المستقيم) أى ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى أعود اليك أى اثبت على ما أنت عليه أو اهدنا فى الاستقبال كما هديتنا فى الحال وهدى يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاما تعديه الى مفعول آخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه الآية وقد جاء متعديا باللام و بالى كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله هدانى ربى الى صراط مستقيم والسراط الجادة من سرط الشئ اذا ابتلعه كانه يسرط السابلة اذا سلكوه والصراط من قلب السين صادا لتجانس الطاء فى الاطباق لان الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاء لان الزاء الى الطاء أقرب لانهما مجهورتان وهى قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير فى كل القرآن وهى الاصل فى الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهى لغة قريش وهى الثابتة فى المصحف الامامى ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو

(اهدنا الصراط المستقيم) أرشدنا للدين القائم الذى ترضاه وهو الاسلام ويقال ثبتنا عليه ويقال هو كتاب الله يقول اهدنا الى حلاله وحرامه وبيان ما فيه (صراط)

والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام ﴿صراط الذين انعمت عليهم﴾ بدل من الاول بدل الكل وهو فى حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذى لاخفاء فيه ان الطريق المستقيم مايكون طريق المؤمنين * وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهى اللين ونعم الله وان كانت لاتحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى و الاول قسمان موهبى وكسبى والموهبى قسمان روحانى كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل ومايتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيآت العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبى تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيآت المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثانى ان يغفر مافرط منه ويرضى عنه ويبوأه فى اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير ومايكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ماعدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال اوصفة له مبينة اومقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذلم يقصدبه معهود كالمحلى فى قوله

ولقد امر على اللئيم يسبنى

وقولهم انى لامر على الرجل مثلك فيكرمنى اوجعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ هذا بدل من الاول أى الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ﴿غير المغضوب عليهم﴾ يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم * والغضب فى الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لايلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين ﴿ولا الضالين﴾ أى وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم

العامل و فائدته التأكيد والاشعار بان الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده وهم المؤمنون والانبياء عليهم السلام أوقوم موسى قبل أن يغيروا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدل من الذين أنعمت عليهم يعنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أوصفة للذين يعنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال وانما ساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير لايتعرف بالاضافة لانه اذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالاضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم

(صراط الذين أنعمت عليهم) دين الذين مننت عليهم بالدين وهم أصحاب موسى من قبل ان تغير عليهم نعم الله بان ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فى التيه ويقال هم النبيون (غير المغضوب عليهم) غير دين اليهود الذين غضبت عليهم وخذلتهم ولم تحفظ قلوبهم حتى تهودوا (ولا الضالين) ولا دين النصارى الذين

كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت اوباضمار اعنى اوبالاستثناء ان فسر النعم بمايعم القبيلين * والغضب ثوران النفس لارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريدبه المنتهى والغاية على مامر * وعليهم فى محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد مافى غير من معنى النفى فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين و لذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لاضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين * والضلال العدول عن طريق السوى عمدا اوخطأ وله عرض عريض والتفاوت مابين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روى مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين ﴿ آمين ﴾ اسم للفعل الذى هو استجب وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بنى على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال

ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال * أمين فزاد الله مابيننا بعدا

وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمنى

النصارى * عن عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضال أخرجه الترمذى و ذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله أعلم

فصل فى آمين وحكم الفاتحة

وفيه مسئلتان ﴿ الاولى ﴾ السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال فى المد

ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال فى القصر * أمين فزاد الله مابيننا بعدا

و معنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآثام (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال اذا أمن الامام فأمنوا فان من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين * وفى رواية للبخارى ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له

(ماتقدم)

باعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له باضافته لكل واحد منهما فيه ابهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الاولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله ارادة الانتقام من المكذبين وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم مايفعله الملك اذا غضب على ماتحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هى بمعنى غير (آمين) صوت سمى به الفعل الذى هو استجب كما ان رويدا اسم لامهل وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وهو مبنى وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الاصل والمد باشباع الهمزة قال * يارب لا تسلبنى حبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله مابيننا بعدا * قال

ضلوا عن الاسلام (آمين) كذلك تكون أمته و يقال فليكن كذلك ويقال ربنا افعل بنا كما سألناك والله أعلم

جبرائيل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفى معناه قول على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به فى الجهرية لما روى عن وائل بن حجر انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابى حنيفة رضى الله عنه انه قال لايقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبدالله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة يقولون آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفرله ماتقدم من ذنبه * وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى ألا اخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يارسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته وعن ابن عباس قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته * وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقيضا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمع الله تعالى فيرفع عنهم ذلك العذاب اربعين سنة

ماتقدم من ذنبه * قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة معناه وافقهم فى وقت التأمين فأمن مع تأمينهم وقيل وافقهم فى الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا فى هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة * قوله غفرله ماتقدم من ذنبه يعنى تغفرله الذنوب الصغائر دون الكبائر * وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم

﴿المسئلة الثانية فى حكم الفاتحة﴾ اختلف العلماء فى وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك و الشافعى واحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة فانها متعينة فى الصلاة ولا تجزئ الابها * واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجاه فى الصحيحين * وبحديث أبى هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم فى فضل سورة الفاتحة * وذهب أبو حنيفة الى أن الفاتحة لاتتعين على المصلى بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ماتيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الاعرابى المسئ صلاته ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن أخرجاه فى الصحيحين * دليل الجمهور ماتقدم من الاحاديث * فان قيل المراد من الحديث لاصلاة كاملة * قلت هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح * وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادى لاصلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد أخرجه احمد وأبو داود * وأجيب

عليه السلام لقينى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت فى المصاحف والله تعالى اعلم بالصواب

(قوله وعن حذيفة الخ) قال الخطيب فى سراج المنير فى الاعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم ومارواه البيضاوى عن حذيفة بن اليمان الخ حديث موضوع مححه

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) ونظائرها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم فالقاف تدل على أول حروف قال والالف تدل على أوسط حروف قال واللام تدل على الحرف الاخير منه وكذلك ما أشبهها والدليل على انها أسماء ان كلا منها يدل على معنى فى نفسه و يتصرف فيها بالامالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهى معربة وانما سكنت سكون زيد وغيره من الاسماء حيث

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الم ﴾ وسائر الالفاظ التى تتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التى يتركب منها الكلام لدخولها فى حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو على وماروى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لااقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به

عن حديث الاعرابى بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة أو على مازاد على الفاتحة أوعلى العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

تفسير سورة البقرة

قال ابن عباس هى أول مانزل بالمدينة قيل سوى آية و هى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة فى حجة الوداع وهى مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف

فصل فى فضلها

(م) عن أبى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أوغيابتان أوكأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولاتستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغنى ان البطلة السحرة * قوله اقرؤا الزهراوين سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر * قوله كأنهما غمامتان أو غيابتان قال أهل اللغة الغمامة والغيابة كل شئ أظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما يأتى كغمامتين * قوله فرقان من طير صواف الفرقان الجماعة من الطير * والصواف جمع صافة وهى التى تصف أجنحتها عند الطيران * يحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة * والبطلة السحرة كما جاء فى الحديث مبينا يقال أبطل اذا جاء بالباطل وفى الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة و سورة آل عمران وكذا باقى السور وأنه لا كراهة فى ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة وكذا باقى السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ سنام و ان سنام القرآن سورة البقرة و فيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل ﴿ الم ﴾ قيل ان حروف الهجاء فى اوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر الله فى القرآن

﴿ ومن السورة التى تذكر فيها البقرة وهى كلها مدنية ويقال مكية أيضا آياتها مائتان وثمانون وكلامها ثلاث آلاف ومائة و حروفها خمس وعشرون الفا وخمسمائة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) و باسناده عن عبدالله بن المبارك قال حدثنا على بن اسحق السمرقندى عن محمد بن مروان عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى (الم) يقول الف الله لام جبريل ميم محمد ويقال الف آلاؤه لام لطفه ميم ملكه ويقال الف ابتداء اسمه الله لام ابتداء اسمه لطيف ميم ابتداء اسمه مجيد ويقال انا الله اعلم ويقال قسم اقسم به (فنحن)

غيرالمعنى الذى اصطلح عليه فان تخصيص الحرف به عرف متجدد بل المعنى اللغوى ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهى مركبة صدرت بها ليكون تأديتها بالمسمى اول مايقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهى مالم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذلم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التى يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول مايقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامى الذى لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقدراعى فى ذلك مايعجز عنه الاديب الاريب الفائق فى فنه وهو انه اورد فى هذه الفواتح اربعة عشر اسما هى نصف اسامى حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهى مايضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها «ستشحثك خصفه» نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها تجمعه «لن يقطع امر» ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى «اجدت طبقك» اربعة تجمعها «اقطك» ومن البواقى الرخوة عشرة تجمعها «خمس على نصره» ومن المطبقة التى هى الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف تضطرب عند خروجها وتجمعها «قدطبج» نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهى التى يتصعد الصوت بها فى الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقى المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهى احد عشر على ماذكره سيبويه واختاره ابن جنى وتجمعها «اجدطويت» منها الستة الشائعة المشهورة التى تجمعها «اهطمين» وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهى اللام فى الاصيلال والصاد والزاء فى صراط وزراط والفاء فى اجداف والعين فى أعن والثاء فى ثروغ الدلو والباء فى باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم فى مثله ولايدغم فى المتقارب وهى خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاء

فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن أوائل السور وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف

لايمسها اعراب لفقد مقتضيه وقيل مبنية لانها كالاصوات نحو غاق فى حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على أنها أسماء السور وقال ابن عباس رضى الله عنهما أقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضى الله عنه انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابه الذى لايعلم تأويله الا الله وماسميت معجمة الا لاعجامها وابهامها وقيل ورود هذه الاسماء على نمط التعديد كالايقاظ لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر فى ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ماينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام الا لانه ليس من كلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من الحلاقة بالقبول بمنزل وقيل وانما وردت السور مصدرة بذلك ليكون أول مايقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق باسامى الحروف فانه مختص بمن قرأ وخط وخالط أهل الكتاب وتعلم

منهم وكان مستبعدا من الامى المتكلم بها استبعاد الخط و التلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه عليه السلام لم يكن ممن اقتبس شيأ من أهله حكم الاقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن يضاهيهم فى شئ فى ان ذلك من الاحاطة بها حاصل له من جهة الوحى وشاهد لصحة نبوته واعلم ان المذكورة فى الفواتح نصف أسامى حروف المعجم وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء و الياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهى مشتملة على انصاف أجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف و الكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء و الصاد و الهاء و العين و السين و الحاء و الياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف

والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهى الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما فى الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التى لاتدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها و هى الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التى تعتمد عليها بذلق اللسان وهى ستة يجمعها «رب منفل» والحلقية التى هى الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع فى الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لاتتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التى تجمعها «اليوم تنساه» سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التى اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات فى ثلاث سور لانها توجد فى الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون فى الحرف بلا حذف كبل وفى الفعل بحذف كقل وفى الاسم بغير حذف كمن وبه كدم فى تسع سور لوقوعها كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففى الاسماء من واذ وذو وفى الافعال كقل وبع وخف وفى الحروف ان ومن ومذ على لغة من جربها وثلاث ثلاثيات لمجيئها فى الاقسام الثلاثة فى ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر و سفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها فى اول القرآن لهذه الفائدة مع مافيه من اعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هى اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلولم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لولم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجى مع العربى ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدى به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التى هى مستهلها على انها القابها اوغير ذلك والثانى باطل لانه اما ان يكون المراد ماوضعت له فى لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك اوغيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربى مبين فلا يحمل على ماليس فى لغتهم * لايقال لم لايجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب اواشارة الى كلمات

التهجى * وأورد على هذا القول بانه لايجوز أن يخاطب الله عباده بما لايعلمون * وأجيب عنه بانه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمى الجمار فانه مما لايعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها و قال آخرون من أهل العلم هى معرفة المعانى ثم اختلفوا فيها فقيل كل

هى منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر فى قوله

قلت لها قفى فقالت قاف

كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه * وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن * وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك فى سائر الفواتح * وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اى القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام اوالى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روى انه عليه الصلاة والسلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل فى دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندرى بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب يلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس اودالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى و مادة خطابه هذا * وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ماليس فى لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدى الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعى تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتأخر عن المسمى بالرتبة * لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف تلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضى ذلك ان لا يكون لها معنى فى حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة فى لغتهم * اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادى الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الاترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لاتفسير ولا تخصيص بهذه المعانى دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لادليل فيه لجواز انه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لادليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر و طائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور

حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

قلت لها قفى فقالت قاف * لاتحسبى أنا نسينا الايجاف

قولها قاف أى وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع فى السير قال

والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه الاجناس مكثورة بالمذكورة منها وقد علمت ان معظم الشئ ينزل منزلة كله فكأن الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التى منها تراكيب كلامهم اشارة الى ماس من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة على السور لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لاغير أوصل الى الغرض وكذا كل تكرير ورد فى القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر فى النفوس وتقريره ولم يجئ على وتيرة واحدة بل اختلفت أعداد حروفها مثل ص وق ون وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة واربعة وخمسة كعادة افتنانهم فى الكلام وكما ان أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف فسلك فى الفواتح هذا المسلك والم آية حيث وقعت وكذا المص آية والمر لم تعد آية وكذا الر لم تعد آية فى سورها الخمس وطسم آية فى سورتها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية فى سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية وص ون وق ثلاثها

والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل و اسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك فى الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ماهو مقصود بالعلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك أخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص وياحم عسق ولعله اراد يامنزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو اوسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغى ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله بعلمه وقد روى عن الخلفاء الاربعة وعن غيرهم من الصحابة مايقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لايفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى اوالقرآن اوالسور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء اوالخبر اوالنصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب اوغيره كاذكر اوالجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الافيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كانت فى حيز الرفع بالابتداء اوالخبر على مامر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا اومجرورا على اللغتين فى الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث

لم تعد آية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيأ منها آية وهذا علم توقيفى لامجال للقياس فيه كمعرفة السور ويوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى مابعده وذلك اذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات أوجعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله الم الله أى هذه ألم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هوالحى القيوم ولهذه الفواتح محل من الاعراب فيمن جعلها أسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام وهو الرفع على الابتداء أوالنصب أوالجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل فى مذهبه كمالا محل للجملة المبتدأ وللمفردات

ابن عباس الم أنا الله أعلم وقيل هى أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم ألا ترى أنك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن يتهيأ تأليفها جميعا وقيل أسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هى اقسام فقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مبانى كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هوالكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله و فى آية بعشر سور مثله فعجزوا عنه أنزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الامن هذه الاحرف وأنتم قادرون عليها فكنتم تحبون أن يأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لامن عند البشر وقيل انهم لما أعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى مايجىء به محمد فاذا أصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا أن لاسبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه * واعلم أن

المعدودة (ذلك الكتاب) أي ذلك الكتاب الذي وعد به على لسان موسى عليهما السلام أو ذلك اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه بالتذكير والتأنيث وان كان صفته فالاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة به الى الجنس الواقع صفة له تقول هذا ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كان ماعداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم يكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وجلة وذلك الكتاب جلة أخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل (لاريب) لاشك وهو مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى مالا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة أي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو مايقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وانما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لان المنفى كونه متعلقا للريب في مظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لاينبغي لمرتاب أن يقع فيه لان أحدا لايرتاب وانما لم يقل

لاتحتاج الى مابعدها وليس شئ منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لامجال للقياس فيه ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ذلك اشارة الى الم ان أول بالمؤلف من هذه الحرف اوفسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى اووصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بمايشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته اوخبره الذي هو هو اوالى الكتاب فيكون الكتاب صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ونحوه اوفى الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بنى للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة ﴿ لاريب فيه ﴾ معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لايرتاب العاقل بعد النظر

مجموع الاحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفا في تسع وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهي نصف حروف المعجم وسيأتي الكلام على باقيها في مواضعها ان شاء الله تعالى * قوله تعالى ﴿ ذلك الكتاب ﴾ اى هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه اضمار والمعنى ان هذا الكتاب ذلك الذي وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لايمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك به وقيل ان الله وعد بني اسرائيل ان ينزل عليهم كتابا ويرسل رسولا من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير أنزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب أي هذا ذلك الكتاب الذي وعدت به على لسان موسى ان أنزله على النبي الذي هو من ولد اسمعيل * والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من أسماء القرآن ﴿ لاريب فيه ﴾ أي لاشك فيه انه من عند الله وانه الحق

(ذلك الكتاب) اى هذا الكتاب الذي يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (لاريب فيه) لاشك فيه انه من عندي فان آمنتم به هديتكم وان لم تؤمنوا به عذبتكم ويقال ذلك الكتاب يعني اللوح المحفوظ ويقال ذلك الكتاب الذي وعدتك يوم الميثاق به ان أوحيه اليك ويقال ذلك الكتاب يعني التوراة والانجيل لاريبه فيه لاشك فيه ان فيهما صفة محمد ونعته

لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لان المراد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق لا باطل كما يزعم الكفار واو اولى الظرف لبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه ريب لا فيه كما قال في قوله تعالى لا فيها غول ففيه تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من أن ينوي خبرا والتقدير لا ريب فيه (فيه هدى) فيه باشباع كل هاء كناية مكي ووافقه حفص في فيه مهانا وهو الاصل كقولك مررت به ومن عنده وفي داره وكما لا يقال في داره ومن عنده وجب أن لا يقال فيه وقال سيبويه ما قاله مؤد الى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء اذ الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية والخفي قريب من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل كالبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى (للمتقين) والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم اولانه سماهم عند مشارفتهم لاكتساب لباس التقوى متقين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وقول ابن عباس رضي الله عنهما اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلا ومريضا ولم يقل هدى للضالين لانهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع ان فيه تصديرا للسورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى ففاؤها واو ولامها ياء واذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها في التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة وفي الشريعة من يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك ومحل هدى الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو النصب على

الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي * والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي بي الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه ﴿هدى للمتقين﴾ يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى اوفي ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى هدى للناس اولانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والدلائل والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا مالم تكن الصحة

والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه * فان قلت قد ارتاب فيه قوم فما معنى لا ريب فيه * قلت معناه انه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك ﴿هدى للمتقين﴾ الهداية عبارة عن الدلالة وقيل دلالة بلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل (من وقاه)

(هدى للمتقين) يعني القرآن بيان للمتقين الكفر والشرك والفواحش ويقال كرامة للمؤمنين ويقال رحمة للمتقين لامة محمد صلى الله عليه وسلم

الحال من الهاء فى فيه والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة أن يقال ان قوله ألم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولاريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جئ بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف و ذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها و هلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك قال حجة تتبختر اتضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لايحوم الشك حوله وحقا لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى المطلوب بألطف وجه وفى الثانية مافى التعريف من الفخامة وفى الثالثة مافى تقديم الريب على الظرف وفى الرابعة الحذف (قا و خا ٦ ل) ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد كأن نفسه هداية وايراده منكرا ففيه اشعار بانه هدى لايكتنه كنهه والايجاز فى ذكر المتقين كما مر

حاصلة وعلى هذا قوله تعالى و ننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح مافيه من المجمل والمتشابه فى كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه * والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب * الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل مايؤثم من فعل اوترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا * والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا على الاوجه الثلاثة * واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون ألم مبتدأ على انه اسم القرآن أو السورة أو مقدر بالمؤلف منها و ذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل أن الاخص لايحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل فى تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون ألم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا أو بدلا والكتاب صفته * ولاريب فى المشهورة مبنى لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفى قرآءة ابى الشعثاء مرفوع بلا التى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم فى قوله تعالى لافيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفى الريب به من بين سائر الكتب كما قصد به ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال أو الخبر محذوف كما فى لاضير ولذلك وقف على لاريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لاريب فيه فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه

من وقاه فاتقى * والتقوى جعل النفس فى وقاية مما يخاف وقيل التقوى فى عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين مايقصده * وفى الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقى يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقى هو من لايرى نفسه خيرا من أحد وقيل التقوى ترك ماحرم الله وأداءماافترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى أن لايراك مولاك حيث نهاك وقيل

(الذين) فى موضع رفع أو نصب على المدح أى هم الذين يؤمنون أو أعنى الذين يؤمنون أو هو مبتدأ وخبره اولئك على هدى أو جر على انه صفة للمتقين وهى صفة واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من الايمان الذى هو أساس الحسنات والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألا ترى ان النبى عليه الصلاة والسلام سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصر الكلام بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما فى ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين أو صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيآت (يؤمنون) يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم آمنه اى صدقه وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى اقر واعترف (بالغيب) بما غاب عنهم مما آتاهم به النبى عليه الصلاة والسلام من أمر البعث فى النشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشئ غيبا هذا ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب

الكتاب الكامل الذى يستأهل ان يسمى كتابا أوصفته وما بعده خبره والجملة خبر ألم أو يكون ألم خبر مبتدأ محذوف والاولى ان يقال انها أربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فألم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفى الريب عنه ولاريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقا لايحوم الشك حوله بأنه هدى للمتقين أو تستتبع كل واحدة منها ما تليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه أولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لايتشبث الريب بأطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لامحالة هدى للمتقين وفى كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفى الثانية فخامة التعريف وفى الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفى الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشأنه ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل اوموضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك

التقوى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه * وفى الحديث جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقى هو الذى يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله تعالى هدى للمتقين لكفاهم * فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون * قلت هو كقولك للعزيز الكريم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ أى يصدقون بالغيب * وأصل الايمان فى اللغة التصديق قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا أى بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لايزيد ولا ينقص لان التصديق لايتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه أخرى * والايمان فى لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل

(بالاركان)

(الذين يؤمنون بالغيب) بما غاب عنهم من الجنة والنار والصراط والميزان والبعث والحساب وغير ذلك ويقال الذين يؤمنون بالغيب بما أنزل من القرآن وبما لم ينزل ويقال الغيب هو الله

السيئات لاشتماله على ماهو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصى غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر و قوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام اومسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهار لفضلها على سائر مايدخل تحت اسم التقوى اوعلى انه مدح منصوب اومرفوع بتقدير اعنى اوهم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما * والايمان فى اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كأن المصدق أمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يجئ بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق بالشئ صار ذا أمن

بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهومذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم * وفائدة هذا الخلاف تظهر فى مسئلة وهى ان المصدق بقلبه اذالم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوذلك من أركان الدين هل يسمى مؤمنا أم لا فيه خلاف والمختار عند أهل السنة أنه لايسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان أوكال الايمان وأنكر أكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة و النقص كان ذلك شكا وكفرا و قال المحققون من متكلمى أهل السنة ان نفس التصديق لايزيد ولاينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا أمكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التى جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد و ينقص بكثرة النظر فى الادلة و البراهين و قلة امعان النظر فى ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين أقوى وأثبت من ايمان غيرهم لانهم لاتعتريهم شبهة فى ايمانهم ولاتزلزل وأما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذلايشك عاقل ان نفس تصديق أبى بكر رضى الله عنه لايساويه تصديق غيره من آحاد الامة وقيل انما سمى الاقرار والعمل ايمانا الوجه المناسبة لانه من شرائعه * والدليل على ان الاعمال من الايمان ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لااله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من ايمان أخرجاه فى الصحيحين * البضع بكسر الباء مابين الثلاثة الى العشرة * والشعبة القطعة من الشئ * واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه * والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحى ينزجر باستحيائه عن المعاصى فصار من الايمان وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمى المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام

و الايمان الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل فى الايمان

(قوله اومسوقة للمدح بما تضمنه) قال فى عناية القاضى اى المتقون وفى نسخة او مادحة بما تضمنه والمعنى واحد وهو معطوف على مقيدة اوموضحة (قوله كأن المصدق الخ) الاول بكسر الدال والثانى بفتحها
مصححه

ومنه ماآمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن فى يؤمنون بالغيب * واما فى الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فكافر ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والذى يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف الايمان الى القلب فقال اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح فى مواضع لاتحصى وقرنه بالمعاصى فقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع مافيه من قلة التغيير وانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة فى الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف فى ان مجرد التصديق القلبى هل هو كاف لانه المقصود ام لابد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق

هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مسلما فى الظاهر غير مصدق فى الباطن (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يارسول الله ماالايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يارسول الله ما الاسلام قال أن تعبد الله ولاتشرك به شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يارسول الله ماالاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يارسول الله متى الساعة قال ماالمسؤل عنها باعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من أشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من أشراطها واذا تطاول رعاء البهم فى البنيان فذاك من اشراطها وخمس لايعلمهن الاالله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام الى قوله عليم خبير قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم * وفى افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام * وبقى أشياء تتعلق بمعنى الحديث * فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا أى ظاهرا * وقوله ان تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء وقيل فى الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفى تقييده بالآخرة وجه آخر * وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث آخر قوله ماالاحسان هو هنا الاخلاص فى العمل وهو شرط فى صحة الايمان والاسلام لان من أتى بلفظ

(قوله وانه) وفى بعض النسخ فانه وفى بعضها لانه قال فى العناية على انه تعليل لما قبله مصححه

(الشهادة)

هو الثاني لان الله تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به للمتمكن منه * والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لادليل عليه وهو المعنى بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن اوعن المؤمن به لما روى ان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ﴿ ويقيمون الصلوة ﴾ اى يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها مأخوذ من قامت السوق اذا انفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال

اقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قميطا

فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب

الشهادة واتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل أراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك * وأشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبلها * قوله اذا ولدت الامة بها يعني سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها * ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء من البهم وهي الصغار من أولاد الضأن والمعنى أنه يبسط المال على أهل البادية وأشباههم حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس فذلك من أشراط الساعة والله أعلم * قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما أمرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن أحد قط أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لاريب فيه الى قوله واولئك هم المفلحون ﴿ ويقيمون الصلوة ﴾ اى يداومون عليها في مواقيتها بحدودها واتمام أركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل

(ويقيمون الصلوة) أي يؤدونها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها أو أريد باقامة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود اذا قومه والدوام عليها والمحافظة من قامت السوق اذا نفقت لانه اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذي تتوجه اليه الرغبات واذا اضيعت كانت كالشئ الكاسد الذي لا يرغب فيه والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين اى الاليتين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده وقيل للداعي مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد

(ويقيمون الصلوة) يتمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها

عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد اويؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت و الركوع و السجود والتسبيح و الاول اظهر لانه اشهر و الى الحقيقة اقرب و افيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لاالمصلون الذى هم عن صلاتهم ساهون و لذلك ذكر فى سياق المدح والمقيمون الصلاة وفى معرض الذم فويل للمصلين* والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من ذكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم و انما سمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل أصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجود واشتهار هذا اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاول لايقدح فى نقله عنه وانما سمى الداعى مصليا تشبيهاله فى تخشعه بالراكع والساجد ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ الرزق فى اللغة الحظ قال تعالى و تجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشئ بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الاترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لايوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض مارزقهم الله تعالى بقوله قل ارأيتم ماانزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم مالم يحرم واختصاص مارزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عمرو ابن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ماحرم الله عليك من رزقه مكان مااحل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغدى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها* وانفق الشئ وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل مافاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال فى سبيل الخير فرض كان او انفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه اوخصصه بها

فى فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالامر وأقام الامر اذا أتى به معطى حقوقه والمراد به الصلوات الخمس * والصلاة فى اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أى ادع لهم وأصله من صليت العود اذالينته فكان المصلى يلين ويخشع * وفى الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية ﴿ومما رزقناهم ﴾ أى أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب ﴿ ينفقون ﴾ أى يخرجون ويتصدقون فى طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق فى الجهاد اذا وجب عليه والانفاق فى المندوب

(ومما رزقناهم) أعطيناهم وماءعنى الذى (ينفقون) يتصدقون ادخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهى عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التى هى أختها أوهى وغيرها من النفقات فى سبل الخير لمجيئه مطلقا وأنفق الشئ وأنفده اخوان كنفق الشئ ونفذ وكل ماجاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على ان الاعمال ليست من الايمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الايمان والعطف

(ومما رزقناهم ينفقون) ومما أعطيناهم من الاموال يتصدقون ويقال يؤدون زكاة أموالهم وهو أبو بكر الصديق وأصحابه

(وهو)

يقتضى المغايرة (والذين يؤمنون) هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبدالله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا بكل وحى أنزل من عندالله وأيقنوا بالآخرة ايقانازال معه ماكانوا عليه من انه لايدخل الجنة الامن كان هودا اونصارى وان النار لن تمسهم الاأياما معدودات ثم ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا فى جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك أو المراد به وصف الاولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات فى قولك هو الشجاع والجواد وقوله * الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم * والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بما أنزل اليك) يعنى القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذى سبق انزاله وقت ايمانهم لان الايمان بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على مالم يوجد ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظرا لنزول جعل كأن كله قد نزل (وما أنزل من قبلك) يعنى سائر الكتب المنزلة على النبيين (وبالآخرة) وهى تأنيث الآخر الذى هو ضد الاول وهى صفة والموصوف محذوف وهو

لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعضية عليه للكف عن اسراف المنهى عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التى منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ان علما لايقال به ككنز لاينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ﴾ هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه واصحابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد بأولئك الذين آمنوا عن الشرك والانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما اوعلى المتقين وكأنه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون بأعيانهم ووسط العاطف كما وسط فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله يالهف زيابة للحارث * الصابح فالغانم فالآيب

على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لاطريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين اوطائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا اويحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به على الرسل فيلقنه والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على مالم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما أنزل من قبلك التوارة والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثانى تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش ﴿ وبالآخرة

وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها وأدخل من التى هى للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهى عنهما فى الانفاق ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ﴾ اى يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله ﴿ وبالآخرة ﴾ يعنى وبالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها

(والذين يؤمنون بما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر الانبياء من الكتب (وبالآخرة

الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهى من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففهابان حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (أولئك على هدى) الجملة فى محل الرفع

ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ويجوز أن يجرى الموصول الاول على المتقين وأن يرتفع الثانى على الابتداء وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لايؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء فى على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم جعل الغواية مركبا *وامتطى الجهل وغوى* واقتعد غارب الهوى* ومعنى الهدى (من ربهم) أى أوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لايبلغ كنهه كانه قيل على أى هدى ونحوه لقد وقعت على لحم اى على لحم عظيم (وأولئك هم المفلحون) اى الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا فالفلاح

هم يوقنون ﴾ اى يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لايدخلها الا من كان هودا اونصارى وان النار لن تمسهم الاياما معدودة واختلافهم فى نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا اوغيره وفى دوامه وانقطاعه وفى تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن عداهم من اهل الكتاب وبأن اعتقادهم فى امر الآخرة غير مطابق ولاصادر عن ايقان و اليقين اتقان العلم بنفى الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لايوصف به علم البارى تعالى ولا العلوم الضرورية * والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة وألقاء حركتها على اللام و قرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ماقبلها اجراء لها مجرى المضمومة فى وجوه ووقتت ونظيره

لحب المؤقدان الى مؤسى * وجعدة اذا اضاء هما الوقود

﴿ اولئك على هدى من ربهم ﴾ الجملة فى محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبرله وكأنه لماقيل هدى للمتقين قيل مابالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستئناف لامحل لها فكأنه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة اوجواب سائل قال مالمموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة اسم وحده لمافيه من بيان المقتضى وتلخيصه بان ترتب الحكم على الوصف ايذان بأنه الموجب له ومعنى الاستعلاء فى على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشئ وركبه وقد صرحوا به فى قولهم

امتطى الجهل وغوى * واقتعد غارب الهوى

وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل ونكر هدى للتعظيم فكأنه اريد به ضرب لايبلغ كنهه ولايقادر قدره ونظيره قول الهذلى

فلا وأبى الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم

وأكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون فى الراء بغنة وبغير غنة ﴿ واولئك هم المفلحون ﴾ كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات

بعدها ﴿ هم يوقنون ﴾ من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون و يعلمون انها كائنة ﴿ أولئك ﴾ اى الذين هذه صفتهم ﴿ على هدى من ربهم ﴾ اى على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ اى الناجون الفائزون نجوا

هم يوقنون) وبالبعث بعدالموت ونعيم الجنة هم يصدقون وهو عبدالله بن سلام واصحابه (أولئك) (من) اهل هذه الصفة (على هدى من ربهم) على كرامة ورحمة وبيان نزل من ربهم (وأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب ويقال أولئك الذين ادركوا ووجدوا ماطلبوا ونجوا من شر مامنه هربوا وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كانه الذى انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى وجاء بالعطف هنا بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه

يقتضى كل واحدة من الأثرتين وأن كلا منهما كاف فى تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فأن التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شئ واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلاتناسب العطف * وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه اومبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك * والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب ومايشاركه فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم * الناس الذين بلغك أنهم المفلحون فى الآخرة أو الاشارة الى مايعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم *(تنبيه)* تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل مالايناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء أثرهم وقد تشبث به الوعيدية فى خلود الفساق من اهل القبلة فى العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لاعدم الفلاح له رأسا ﴿ان الذين كفروا﴾ لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التى اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم بأضدادهم العتاة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى ولاتغنى عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى قوله سبحانه وتعالى ان الابرار

من النار وفازوا بالجنة * والمفلح الظافر بالمطلوب أى الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر

لوكان حى مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون فى النعيم المقيم والفلاح والظفر وادراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل

ان الحديد بالحديد يفلح

أى يقطع فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير فى الدنيا والآخرة * واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها فى المؤمنين وبآيتين أنزلهما فى الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها فى المنافقين * فأما التى فى الكفار فقوله تعالى ﴿ ان الذين كفروا ﴾ اى جحدوا وانكروا وأصل الكفر فى اللغة الستر والتغطية

بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للاولى فهى من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لاصفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل مالاينالها أحد على طرق شتى وهى ذكر اسم الاشارة وتكريره ففيه تنبيه على انهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحون ففيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون فى الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اى هو الذى أخبرت بتوبته

وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك فى طلب ماطلبوا وينشطك (قا و خا ٧ ل) لتقديم ماقدموا اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة لماقدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقربة اليه وبين ان الكتاب هدى لهم قفى على أثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى بقوله (ان الذين كفروا)

(ان الذين كفروا) وثبتوا على الكفر

لفي نعيم وأن الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فأن الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال * وأن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بأنه فرع في العمل دخيل فيه * وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف * واجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل قوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا أنا مكناله في الارض وقال موسى يافرعون أني رسول من رب العالمين * قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وأن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وأن عبدالله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود اوللجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما أسند اليه * والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور * وفي الشرع انكار ماعلم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فأن من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لايجترئ عليها ظاهرا لالانها كفر في انفسها * واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه * واجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه

ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته قال الشاعر

في ليلة كفر النجوم غمامها

أي سترها * والكفر على أربعة أضرب * كفر انكار وهو أن لايعرف الله أصلا ككفر فرعون وهو قوله ماعلمت لكم من اله غيري * وكفر جحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولايقر بلسانه ككفر ابليس * وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولايدين به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعر له

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أوحذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

* وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ولايعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر * وحاصله أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيأ مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اوأحد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود

الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب دال على الستر ولذا سمي الزراع كافرا وكذا الليل ولم يأت بالعاطف هنا كما في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان الجملة الاولى هنا مسوقة بيانا لذكر الكتاب لالاخبار عن المؤمنين وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه وان كان مبتدأ على تقدير فهو كالجاري عليه والمراد بالذين كفروا اناس بأعيانهم علم الله انهم لايؤمنون كابي جهل وأبي

لهب واضرابهما (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بهمزتين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء أي مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه أو يكون سواء خبرا مقدما وأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء أي سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان وانما جاز الاخبار عن الفعل مع انه خبر ابدا لانه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك اللهم اغفرلنا أيتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي (لايؤمنون) جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبر لان والجملة قبلها اعتراض أو خبر بعد خبر والحكمة في الانذار مع العلم بالاصرار اقامة الحجة وليكون الارسال عاما وليثاب الرسول (ختم الله على قلوبهم) قال الزجاج الختم

لايستلزم حدوث الكلام كما في العلم ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ خبر أن وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بأنه خبر أن ومابعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل أن الذين كفروا مستو عليهم أنذارك وعدمه أو بأنه خبر لمابعده بمعنى أنذارك وعدمه سيان عليهم والفعل أنما يمتنع الاخبار عنه اذا أريد به تمام ماوضع له أما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى وأذا قيل لهم آمنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدى خير من أن تراه وأنما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فأنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفرلنا أيتها العصابة والانذار التخويف أريد به التخويف من عذاب الله تعالى وأنما اقتصر عليه دون البشارة لانه أوقع في القلب وأشد تأثيرا في النفس من حيث أن دفع الضرر أهم من جذب النفع فأذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى *وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها ألفا وهو لحن لان المتحركة لاتقلب ولانه يؤدى الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها وألقاء حركتها على الساكن قبلها ﴿ لايؤمنون ﴾ جملة مفسرة لاجال ماقبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة أو بدل منه أو خبر أن والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف مالايطاق فأنه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لايؤمنون وأمرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بأنهم لايؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وأن جاز عقلا من حيث أن الاحكام لاتستدعى غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشئ أو عدمه لاينفي القدرة عليه كاخباره سبحانه وتعالى عما يفعله هو أو العبد بأختياره وفائدة الانذار بعد العلم بأنه لاينجع الزوام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون* وفي الآية اخبار بالغيب على ماهو به أن اريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من المعجزات ﴿ ختم الله على قلوبهم

﴿ سواء عليهم ﴾ اى متساو لديهم ﴿ أأنذرتهم ﴾ أي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ﴿ أم لم تنذرهم لايؤمنون ﴾ أي لايصدقون وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الازلى انهم لايؤمنون* ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾

(سواء عليهم) العظة (أأنذرتهم) خوفتهم بالقرآن (أم لم تنذر) لم تخوفهم (لايؤمنون) لايريدون ان يؤمنوا ويقال لايؤمنون في علم الله (ختم الله على قلوبهم) طبع الله

التغطية لان في الاستيثاق من الشيء يضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني ان الله طبع عليها فجعلها بحيث لايخرج منها مافيها من الكفر ولايدخلها ماليس فيها من الايمان وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلايؤمن مادامت تلك الظلمة في قلبه وعند المعتزلة اعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولايدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب فيقال بني الامير المدينة

لان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسئلة خلق الافعال (وعلى سمعهم) وحد السمع كما وحد البطن في قوله * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * لامن اللبس ولان السمع مصدر في أصله يقال سمعت الشيء سمعا وسماعا والمصدر لايجمع لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلايحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح الاصل وقيل المضاف محذوف أي وعلى مواضع سمعهم (الغطاء) وقرئ على اسماعهم (وعلى أبصارهم غشاوة) بالرفع خبر ومبتدأ والبصر نور العين وهو مايبصر به الرائي كما ان البصيرة نور القلب وهي مابه يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لمايشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة والاسماع داخلة في حكم الختم لافي حكم التغشية لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل وحده غشاوة باضمار جعل وتكرير الجار في قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين قال الشيخ الامام أبو منصور بن علي رحمه الله الكافر لمالم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لابد له من صانع جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على ان الاسماع عنده داخلة في حكم التغشية والآية حجة لنا على المعتزلة في الاصلح فانه أخبر انه ختم على قلوبهم ولاشك ان ترك الختم أصلح لهم

وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ تعليل للحكم السابق وبيان مايقتضيه * والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى أنه آخر فعل يفعل في احرازه * والغشاوة فعالة من غشاه أذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولاختم ولاتغشية على الحقيقة وأنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وأنهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيها الحق وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وابصارهم لاتجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق

أي طبع الله عليها فلاتعي خيرا ولاتفهمه * وأصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لايخرج منه ماحصل فيه ولايدخله ماخرج منه ومنه ختم الكتاب قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لماسبق في علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم ﴿ وعلى سمعهم ﴾ أي وختم على موضع سمعهم فلايسمعون الحق ولاينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه كانها مستوثق منها بالختم أيضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لايثنى ولايجمع ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ هذا ابتداء كلام * والغشاوة

على قلوبهم (وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) غطاء

كما تجتليها أعين المستبصرين فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المئوفة بها بأشياء ضرب حجاب بينها و بين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالاغفال فى قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء فى قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث أن الممكنات بأسرها مستندة الى الله سبحانه وتعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة عما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم * واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من من التأويل* الاول أن القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلق المجبول عليه. الثانى أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التى خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أوقلوب مقدرة ختم الله عليها ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته* الثالث ان ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان اوالكافر لكن لما كان صدوره عنه بأقداره سبحانه وتعالى أياه أسند اليه أسناد الفعل الى المسبب* الرابع أن أعراقهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فأنه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامى أمرهم فى الغى وتناهي أنهماكهم فى الضلال والبغى * الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله سبحانه وتعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الآية * السادس أن ذلك فى الآخرة وأنما أخبر عنه بالماضى لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما* السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله سبحانه وتعالى من طبع واضلال ونحوهما* وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله سبحانه وتعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع عن جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم فى الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للأمن من اللبس واعتبار الاصل فأنه مصدر فى اصله والمصادر لاتجمع أوعلى تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم *والابصار جمع بصر وهو ادارك العين وقديطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد

الغطاء ومنه غاشية السرج أى وجعل على أبصارهم غشاوة فلايرون الحق وهى

بهما فى الآية العضو لانه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ماهو محل العلم وقديطلق ويراد به العقل والمعرفة كما فى قوله سبحانه وتعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير * وغشاوة رفع بالابتداء عندسيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية * وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة أو على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة * وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ وعيد وبيان لما يستحقونه * والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشئ ونكل عنه اذا أمسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمى نقاخا وفراتا ثم اتسع فأطلق على كل ألم فادح وان لم يكن نكالا اى عقابا يراد به ردع الجانى عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذى هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض * والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما أن الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به أنه اذا قيس بسائر مايجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير فى الآية أن على أبصارهم نوع غشاء ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامى عن آيات الله سبحانه وتعالى ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لايعلم كنهه الا الله ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق بيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين هم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم أخبث

غطاء التعامى عن آيات الله ودلائل توحيده ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ يعنى فى الآخرة وقيل الاسر والقتل فى الدنيا والعـذاب الدائم فى العقبى وحقيقة العذاب هو كل مايؤلم الانسـان ويعييه ويشـق عليه وقيل هو الايجاع الشـديد وقيل هو مايمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير * قوله عزوجل ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله ﴾ نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول ومعتب بن قشـير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمـة الاسلام ليسلموا بها من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود * وصـفة المنافق أن يعترف بلسـانه بالايمان ويقربه وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسى على غيرها * والناس جمع انسان سمى به لانه عهد اليه فنسى قال الشاعر

وسميت انسانا لانك ناسى

وقيل سمى انسانا لانه يسـتأنس بمثله ﴿ وباليوم الآخر ﴾ أى وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمى بذلك لانه يأتى بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة المعدودة

عن الشئ اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان فى الجثة والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير ان على أبصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العـذاب لايعلم كنهه الا الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوبا وألسنة ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لانهم خلطوا بالكفر استهزاء وخـداعا ولذا نزل فيهم ان المنافقين

(ولهم عذاب عظيم) شديد فى الآخرة وهم اليهود كعب ابن الاشرف وحيي بن أخطب وجدى بن اخطب ويقال هم مشركوا أهل مكة عتبة وشيبة والوليد (ومن الناس من يقول آمنا بالله) فى السر وصدقنا بأيماننا بالله (وباليوم الآخر) وبالبعث بعد الموت الذى (وما)

في الدرك الاسفل من النار وقال مجاهد أربع آيات من اول السورة في نعت المؤمنين وآيتان في ذكر الكافرين وثلاث عشرة
آية في المنافقين نعى عليهم فيها نكرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم
صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة
وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا وحذفها كاللازم مع لام التعريف لايكاد يقال الا
ناس ويشهد لاصله انسان وأناسى وانس وسموا به لظهورهم وانهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول فانك تقول وزن قه افعل وليس معك الا العين وهو من أسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفة لها كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وانما خصوا الايمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لاحد له وهو الابد الدائم الذي لاينقطع وانما سمي بالآخر لتأخره عن الاوقات المنقضية أو الوقت المعهود من النشور الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانهم أوهموا في هذا المقال انهم أحاطوا بجانبي الايمان اوله وآخره وهذا لان حاصل المسائل الاعتقادية يرجع الى مسائل المبدأ وهي العلم
بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة وفي
تكرير الباء اشارة الى انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام وانما طابق قوله (وماهم بمؤمنين) وهو في
ذكر شأن الفاعل لا الفعل قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهو في ذكر شأن الفعل لا الفاعل لان المراد انكار ماادعوه ونفيه

الكفرة وأبغضهم الى الله سبحانه وتعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك
طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بأفعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم
وضرب لهم الامثال وانزل فيهم أن المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم
عن آخرها معطوفة على قصة المصرين * والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس
واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لايكاد
يجمع بينهما وقوله

ان المنايا يطلعـ * ـن على الاناس الآمنينا

شاذ وهو اسم جمع كرخال أذلم يثبت فعال في ابنية الجمع مأخوذ من أنس لانهم يستأنسون بأمثالهم
أو آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه
للجنس ومن موصوفة أذلا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون أو للعهد والمعهود هم
الذين كفروا ومن موصولة أريد بها ابن أبي وأصحابه ونظراؤه فأنهم من حيث أنهم
صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة
زادوها على الكفر لايأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات
تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية الكريمة تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان
بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بأنهم
احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بأنهم منافقون فيما يظنون انهم
مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله
وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لايدخلها
غيرهم وأن النار لن تمسهم الا أياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل
ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ماقالوه لو صدر عنهم لاعلى
وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على
المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام
*والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه
باللفظ وللرأي والمذهب مجازا* والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى مالا ينتهي
أو الى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة
﴿وماهم بمؤمنين﴾ انكار ماادعوه ونفي ماانتحلوا اثباته وكان أصله وما آمنوا ليطابق

وما بعده فلاحد له ولا آخر قال الله تعالى ردا على المنافقين ﴿وماهم بمؤمنين﴾

فيه جزاء الاعمال (وماهم بمؤمنين) في السر ولا مصدقين

على أبلغ وجه وآكده وهو اخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها فهو أبلغ من قولك ومايخرجون منها وأطلق الايمان فى الثانى بعد تقييده فى الاول لانه يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل أن يراد نفى أصل الايمان وفى ضمنه نفى المذكور أولا والآية تنفى قول الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان لاغير لانه نفى عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم وتؤيد قول أهل السنة انه اقرار اللسان وتصديق بالجنان دخلت الباء فى خبر ما مؤكدة للنفى لانه يستدل به السامع على الجحد اذا غفل عن اول الكلام ومن موحد اللفظ فلذا قيل يقول وجمع وماهم بمؤمنين نظرا الى معناه (يخادعون الله) أى رسول الله فحذف المضاف كقوله واسأل القرية كذا قاله أبو على رحمه الله وغيره أى يظهرون غيرما فى أنفسهم فالخداع اظهار غير ما فى النفس وقد رفع الله منزلة النبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقيل معناه يخادعون الله فى زعمهم لانهم يظنون ان الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون الله وهو بيان ليقول أو مستأنف كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما منفعتهم فى ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم فى ذلك متاركتهم عن المحاربة التى كانت مع من سواهم من الكفار واجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغير ذلك قال صاحب الوقوف الوقف لازم على بمؤمنين لانه لو وصل لصار التقدير وماهم بمؤمنين مخادعين فينتفى الوصف (وعاقبت) كقولك ماهو برجل كاذب والمراد نفى الايمان عنهم واثبات الخداع لهم ومن جعل يخادعون حالا من الضمير فى يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالا من الضمير فى بمؤمنين والعامل اسم الفاعل فيها والتقدير وماهم بمؤمنين فى حال خداعهم لا يقف والوجه الاول (والذين آمنوا) أى يخادعون رسول الله والمؤمنين باظهار الايمان واضمار الكفر

قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك أكد النفى بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان فى شئ ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه * والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى الثانى فلا ينهض حجة عليهم ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ الخداع ان توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه أو عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره وضب خادع وخدع اذا أوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين فى العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله سبحانه وتعالى ليس على ظاهره لانه لايخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله صلى الله عليه وسلم على حذف المضاف أو على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وأما أن صورة صنيعهم مع الله سبحانه وتعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم بأجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله

نفى عنهم الايمان بالكلية ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ﴾ أى يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر وأصله فى اللغة الاخفاء والمخادع يظهر ضدما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم أى يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف مايغيب عنهم من عذاب الآخرة * فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجئ فى الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة * قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل

فى ايمانهم (يخادعون الله) يخالفون الله ويكذبونه فى السر ويقال اجترؤا على الله حتى ظنوا انهم يخادعون الله (والذين آمنوا) أبابكر وسائر اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

(ومايخدعون الاأنفسهم) أى ومايعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الاأنفسهم لان ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب فى الآخرة يرجع اليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم ومايخادعون أبو عمرو ونافع ومكى للمطابقة وعذر الاولين ان خدع وخادع هنا بمعنى واحد والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لان النفس بهما وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لايعدوهم الى غيرهم (ومايشعرون) ان حاصل خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشئ علم حس من الشعار وهو ثوب يلى الجسد ومشاعر الانسان حواسه لانها آلات الشعور والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادى غفلتهم كالذى لاحس له (فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق لان الشك تردد بين الامرين والمنافق متردد فى الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ولان المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار

تعالى عليه وسلم والمؤمنين امر الله سبحانه وتعالى فى اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل أن يراد بيخادعون لانه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه الاأنه أخرج فى زنة فاعل للمقابلة فأن الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه أذا جاء بلامقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكأن غرضهم فى ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم مايطرق به من سواهم من الكفرة وأن يفعل بهم مايفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد ﴿ ومايخادعون ألاأنفسهم ﴾ قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو • والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم أو أنهم فى ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالامانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لايخفى عليه خافية • وقرأ الباقون ومايخدعون لان المخادعة لاتتصور ألابين اثنين • وقرئ ويخدّعون من خدّع ويخدّعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض • والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح أو متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسيه لانه ينبعث عنها أو يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه فالمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم ﴿ ومايشعرون ﴾ لايحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لايخفى ألا على مئوف الحواس • والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار ﴿ فى قلوبهم مرض

وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن أن يكون منه خداع • فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله • قلت أن الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشأنه وقيل أراد به المؤمنين وأذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك أنهم ظنوا أن النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم ولتجرى عليهم أحكام الاسلام فى الظاهر وهم على خلافه فى الباطن ﴿ ومايخادعون ألاأنفسهم ﴾ أى أن الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون فى الحقيقة ألاخادعين أنفسهم وقيل أن وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى • والنفس ذات الشئ وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن ﴿ ومايشعرون ﴾ أى لايعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ أى شك ونفاق • وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمى الشك فى الدين والنفاق

(قا و حا ٨ ل) المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد فى القلب

(ومايخدعون) يكذبون (الاأنفسهم ومايشعرون) ومايعلمون ان الله يطلع نبيه على سر قلوبهم (فى قلوبهم مرض)

(فزادهم الله مرضا) أي ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق في حالة البقاء بخلق امثاله كما عرف في زيادة الايمان (ولهم عذاب {الجزء الاول} أليم) فعيل بمعنى ﴿٥٨﴾ مفعل اى مؤلم (بما كانوا يكذبون) كوفي اى بكذبهم

فزادهم الله مرضا ﴾ المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحتملهما فأن قلوبهم كانت متألمة تحرقا على مافات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات أمر الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله سبحانه وتعالى غمهم بما زاد في أعلاء أمره وأشادة ذكره ونفوسهم كانت مئوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله سبحانه وتعالى في ذلك بالطبع أو بأزدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله سبحانه وتعالى من حيث أنه مسبب من فعله سبحانه وتعالى واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل أن يراد بالمرض ماتداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وأمداد الله عز وجل لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ اى مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله

تحية بينهم ضرب وجيع

على طريقة قولهم جد جده ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ قرأها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا، وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقلوبهم وأذا خلوا الى شياطينهم أو من كذب الذي هو للمبالغة أو للتكثير مثل بين الشئ وموتت البهائم أو من كذب الوحشي أذا جرى شوطا ووقف لينظر الى ماوراءه فأن المنافق متحير متردد ، والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ماهو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وماروى أن أبراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به ﴿ وأذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض ﴾ عطف على يكذبون أو يقول وماروى عن سلمان أن أهل هذه الآية

مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن ﴿ فزادهم الله مرضا ﴾ يعني أن الآيات كانت تنزل تترى أي آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ أي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر، وقرئ بالتخفيف اى بكذبهم اذقالوا آمنا وهم غير مؤمنين ﴿ وأذا قيل لهم ﴾ يعني المنافقين وقيل اليهود، والمعنى أذا قال لهم المؤمنون ﴿ لاتفسدوا في الارض ﴾ اى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله

في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر فما مع الفعل بمعنى المصدر والكذب الاخبار عن الشئ على خلاف ماهو به يكذبون غيرهم أى بتكذيبهم النبي عليه السلام فيما جاء به وقيل هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشئ وبين (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم (لاتفسدوا في الارض) لكان صحيحا والفساد خروج الشئ عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين في الارض

شك ونفاق وخلاف وظلمة (فزادهم الله مرضا) شكا ونفاقا وخلافا وظلمة (ولهم عذاب أليم) وجيع في الآخرة يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) في السر وهم المنافقون عبدالله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير (واذا قيل لهم) يعني اليهود (لاتفسدوا في الارض) بتعويق الناس عن دين محمد صلى الله عليه (عليه)

لم يأتوا بعد فلعله أراد به أن أهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بماقبلها بالضمير الذي فيها *والفساد خروج الشئ عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم فى الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بأفشاء الاسرار اليهم فأن ذلك يؤدى الى فساد مافى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين فأن الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله سبحانه وتعالى أوالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أوبعض المؤمنين ﴿ قالوا أنما نحن مصلحون ﴾ جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى أنه لايصح مخاطبتنا بذلك فأن شأننا ليس ألا الاصلاح وأن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان أنما تفيد قصر مادخله على مابعده مثل أنما زيد منطلق وأنما ينطلق زيد وأنما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله سبحانه وتعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴿ ألا أنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ﴾ رد لما ادعوه أبلغ رد الاستئناف به وتصديره بحرفى التأكيد ألا المنبهة على تحقيق مابعدها فأن همزة الاستفهام التى للانكار أذا دخلت على النفى أفادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك لاتكاد تقع الجملة بعدها الامصدرة بما يتلقى بها القسم وأختها أما التى هى من طلائع القسم وأن المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد مافى قولهم أنما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلايشعرون ﴿ وأذا قيل لهم آمنوا ﴾ من تمام النصح والارشاد فأن كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لاينبغى وهو المقصود بقوله لاتفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا ﴿ كما آمن الناس ﴾ فى حيز النصب على المصدر ومامصدرية أوكافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون بقضية العقل فأن اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بأنسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمى ونحوه وقد جمعهما الشاعر بقوله

عليه وسلم وبالقرآن ﴿ قالوا أنما نحن مصلحون ﴾ يعنى يقولونه كذبا ﴿ ألا ﴾ كلة تنبيه ينبه بها المخاطب ﴿ أنهم هم المفسدون ﴾ يعنى فى الارض بالكفر وهو أشد الفساد ﴿ ولكن لايشعرون ﴾ وذلك لانهم يظنون أن ماهم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لايشعرون ماأعد الله لهم من العذاب ﴿ وأذا قيل لهم ﴾ يعنى المنافقين وقيل اليهود ﴿ آمنوا كما آمن الناس ﴾ يعنى المهاجرين والانصار وقيل عبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمنى أهل الكتاب * والمعنى أخلصوا

انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالؤنهم على المسلمين بافشاء أسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدى الى هيج الفتن بينهم (قالوا انما نحن مصلحون) بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعنى ان صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد لان انما لقصر الحكم على شئ اولقصر الشئ على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد كاتب. وما كافة لانها تكفها عن العمل (ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون) أنهم مفسدون لحذف المفعول للعلم به ألا مركبة من همزة الاستفهام وحروف النفى لاعطاء معنى التنبيه على تحقق مابعدها والاستفهام اذا دخل على النفى أفاد تحققا كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولكونها فى هذا المنصب من التحقيق لاتقع الجملة بعدها الامصدرة بنحو مايتلقى به القسم وقدرد الله مادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما فى ألاوان من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لايشعرون (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس

وسلم (قالوا انما نحن مصلحون) لها بالطاعة (ألا انهم) بلى انهم (هم المفسدون) لها بالتعويق (ولكن لايشعرون) لايعلم سفلتهم ان رؤساءهم هم الذين يضلونهم (واذا قيل لهم) لليهود (آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (كما آمن الناس) عبدالله بن سلام

قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) نصحوهم من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره الى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوى الاحلام فكان من جوابهم ان سفهوهم لتمادى جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وانما صح اسناد قيل الى لاتفسدوا وآمنوا مع ان اسناد الفعل الى الفعل لايصح لانه اسناد الى لفظ الفعل والممتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكانه قيل واذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب وما فى كما كافة كما فى ربما أو مصدرية كما فى بما رحبت واللام فى الناس للعهد اى كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام واشياعه اى كما آمن {الجزء الاول} أصحابكم واخوانكم أو للجنس ﴿٦٠﴾ اى كما آمن الكاملون فى الانسانية

اذ الناس ناس والزمان زمان

أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأصحابه * والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم * واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس أو الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وأنما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم أو لتحقير شأنهم فأن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالى كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة عن آمن منهم أن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه * والسفه خفة وسخافة رأى يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله ﴿ألا أنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون﴾ رد ومبالغة فى تجهيلهم فأن الجاهل بجهله الجازم على خلاف ماهو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فأنه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وأنما فصلت الآية بلايعلمون والتى قبلها بلايشعرون لانه أكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على أمر الدين والتميز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر وأما النفاق ومافيه من الفتن والفساد فأنما يدرك بأدنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم ﴿وأذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ بيان لمعا ملتهم مع المؤمنين والكفار وماصدرت به

فى ايمانكم كما أخلص هؤلاء فى ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ أى الجهال * فأن قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء * قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لاعند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله ﴿ألا انهم هم السفهاء﴾ يعنى الجهال * وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء ﴿ولكن لايعلمون﴾ يعنى أنهم كذلك * قوله تعالى ﴿وأذا لقوا الذين آمنوا﴾ يعنى هؤلاء المنافقين أذا لقوا المهاجرين والانصار ﴿قالوا آمنا﴾ كأيمانكم

أو جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف فى كما فى موضع النصب لانه صفة مصدر محذوف اى ايمانا مثل ايمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام فى أنؤمن للانكار واللام فى السفهاء مشار بها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لانهم لجهلهم اعتقدوا ان ماهم فيه هو الحق وان ماعداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (ألا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون) أنهم هم السفهاء وانما ذكر هنا لايعلمون وفيما تقدم لايشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة أما الفساد فى الارض فأمر مبنى على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبران وهم فصل أو مبتدأ والسفهاء خبرهم والجملة خبران (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وقرأ أبو حنيفة (وأذا)

وأصحابه (قالوا أنؤمن) بمحمد عليه السلام والقرآن (كما آمن السفهاء) الجهال الخرقى (ألا انهم) بلى انهم (هم السفهاء) الجهال الخرقى (ولكن لايعلمون) ذلك (واذا لقوا) يعنى المنافقين (الذين آمنوا) يعنى أبا بكر وأصحابه (قالوا آمنا) فى السر

رحمه الله واذالاقوا يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبامنه الآية الاولى فى بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم (واذاخلوا الى شياطينهم) خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه وبالى أبلغ لان فيه دلالة الابتداء والانتهاء أى اذا خلوا من المؤمنين الى شياطينهم ويجوز أن يكون من ٦١ خلا بمعنى مضى ﴿ سورة البقرة ﴾ وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه ان نون الشياطين أصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه انها زائدة واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير أومن شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل (قالوا أنا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم فى خطابهم مع المؤمنين فى ادعاء حدوث الايمان منهم لا فى ادعاء انهم أوحديون فى الايمان اما لان أنفسهم لاتساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لوقالوه على لفظ التأكيد والمبالغة وكيف يطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار وأما خطابهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم رائجا عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد وقوله (أنما نحن مستهزؤن) تأكيد لقوله

القصة فساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير * روى أن ابن أبى وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد ابى بكر رضى الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بنى هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت * واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته اذا طرحته فأنك بطرحه جعلته بحيث يلقى ﴿ وأذا خلوا ألى شياطينهم ﴾ من خلوت بفلان واليه أذا انفردت معه أومن خلاك ذم أى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية أومن خلوت به أذا سخرت منه وعدى بألى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكفر أوكبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن أذا بعد فأنه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة على أنه من شاط أذا بطل ومن أسمائه الباطل ﴿ قالوا أنا معكم ﴾ أى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بأن لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولاتوقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ماقالوه مع الكفار ﴿ أنما نحن مستهزؤن ﴾ تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه

﴿ وأذا خلوا ﴾ اى رجعوا وقيل هو من الخلوة ﴿ الى ﴾ قيل بمعنى الباء اى ب ﴿ شياطينهم ﴾ وقيل بمعنى مع أى مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدنيه وأبو بردة فى بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن السواد بالشام ولايكون كاهن الاومعه شيطان تابع له وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين فى تمردهم ﴿ قالوا أنا معكم ﴾ أى على دينكم ﴿ أنما نحن مستهزؤن ﴾ أى بمحمد وأصحابه بما نظهر لهم

وصدقنا بايماننا كما آمنتم فى السر وصدقتم به (واذا خلوا) رجعوا (الى شياطينهم) كهنتهم ورؤسائهم وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف بالمدينة وأبو بردة الاسلمى فى بنى أسلم وابن السوداء بالشام وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى عامر (قالوا) لرؤسائهم (أنامعكم) على دينكم فى السر (انمانحن مستهزئون) بمحمد عليه السلام واصحابه

انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشئ المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشئ تأكيد لثباته أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم انا معكم ان كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان (الله يستهزئ بهم) اى يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لان الاستهزاء لايجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لانه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستئناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله تعالى هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما (انتهوا)

أو بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أو استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا أنا معكم أن صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فأجابوا بذلك * والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان أذا مات على مكانه وناقته تهزأ به أى تسرع وتخف ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة أما لمقابلة اللفظ باللفظ أو لكونه مماثلا له فى القدر أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون الله تقدس وتعالى كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزئ أما فى الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان وأما فى الآخرة فبأن يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فأذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وأنما أستؤنف به ولم يعطف ليدل على أن الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ألى أن يعارضوهم وأن استهزاءهم لا يؤبه به فى مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله تعالى لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بأن الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال تعالى أولا يرون انهم يفتنون

من الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم * قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبى لاصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد أبى بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى عليه وسلم ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فأن المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن أنى لا أقول هذا نفاقا والله أن ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فأثنوا عليه خيرا ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ اى يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه فى مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا

بلا اله الا الله (الله يستهزئ بهم) فى الآخرة يعنى يفتح لهم بابا الى الجنة ثم يغلق لهم دونهم فيستهزئ بهم

نحن مستهزؤن (ويمدهم) اى يمهلهم عن الزجاج (فى طغيانهم) فى غلوهم فى كفرهم (يعمهون)

فى كل عام مرة أو مرتين ﴿ويمدهم فى طغيانهم يعمهون﴾ من مد الجيش وأمده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لامن المد فى العمر فأنه يعدى باللام كأملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم *والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طريق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم زيغا وظلمة تتزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا أو مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا أسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم أن اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك أنه لما أسند المد الى الشياطين أطلق الغى وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى أو كأن أصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمدهم فى اعمارهم كى يتنبهوا أو يطيعوا فمازادوا الاطغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه أو التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم *والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العصيان والغلو فى الكفر وأصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم *والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمهاء لامنار بها قال

اعمى الهدى بالجاهلين العمه

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ اختاروها عليه واستبدلوها به وأصله بذل الثمن لتحصيل مايطلب من الاعيان فأن كان أحد العوضين ناضا تعين من حيث أنه لايطلب لعينه أن يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فأى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى أو من الاعيان ومنه

أخذت بالجمة رأسا أزعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيذرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره *والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ ترشيح للمجاز لما استعمل

انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار ﴿ويمدهم﴾ أى يتركهم ويمهلهم *والمد والامداد واحد واصله الزيادة وأكثر ما يأتى المد فى الشر والامداد فى الخير ﴿فى طغيانهم﴾ أى فى ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد ﴿يعمهون﴾ أى يترددون فى الضلالة متحيرين ﴿أولئك﴾ يعنى المنافقين ﴿الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أى استبدلوا الكفر بالايمان *وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر *فأن قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى *قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه فى أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ أى ماربحوا فى تجارتهم *والربح الفضل عن رأس

حال أى يتحيرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسئلة الاصلح (أولئك) مبتدأ خبره (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى استبدلوها به واختاروها عليه وانما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لانها فى قوم آمنوا ثم كفروا أو فى اليهود الذى كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا به أو جعلوا لتمكنهم منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمى ذلك شراء فصار دليلا لنا على أن من أخذ شيأ من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وان لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين (فما ربحت تجارتهم)

المؤمنون (ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) يتركهم فى الدنيا فى كفرهم وضلالتهم يعمهون يمضون عمهة

لا يبصرون (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اختاروا الكفر على الايمان وباعوا الهدى بالضلالة (فما ربحت تجارتهم)

الربح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح واسناد الربح الى التجارة من الاسناد المجازى ومعناه فما ربحوا فى تجارتهم اذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحا له كقوله * ولما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى * لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر (وما كانوا مهتدين) لطرق التجار كما يكون التجار المتصرفون العاملون بما يربح فيه ويخسر والمعنى ان مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وقيل الذين صفة أولئك وفما ربحت تجارتهم الى آخر الآية فى محل الرفع خبر أولئك (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان ولضرب الامثال فى ابراز خفيات المعانى ورفع الاستار عن الحقائق تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك فى الكتب السماوية ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل فى أصل كلامهم هو المثل

الاشتراء فى معاملتهم اتبعه بما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى

والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران ﴿وما كانوا مهتدين﴾ لطرق التجارة فأن المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للاصل ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا﴾ لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فأنه أوقع فى القلب وأقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولأمر ما أكثر الله فى كتبه الامثال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء * والمثل فى الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى * والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين كما فى قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا * ان جعل مرجع الضمير فى بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التى هى صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه أن لا يجمع كما لم يجمع أخواته ويستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذفت ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج الذى استوقد * والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار

المال وأضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون ﴿وما كانوا مهتدين﴾ أى مصيبين فى تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين فى ضلالتهم * قوله عز وجل ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا﴾ المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال فى كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة فى الكشف والبيان لانه

لم يربحوا فى تجارتهم بل خسروا (وما كانوا مهتدين) من الضلالة (مثلهم) مثل المنافقين مع محمد صلى الله عليه وسلم (كمثل الذى استوقد نارا) أوقد نارا فى ظلمة لكى يأمن بها على أهله وماله ونفسه

وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ووضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذي استوقد نارا على أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد أوقد ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف ﴿٦٥﴾ مضيء حار محرق واشتقاقها ﴿سورة البقرة﴾ من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما أضاءت ما حوله) الاضاءة فرط الانارة ومصداقه قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد أماكن وأشياء وجواب فلما (ذهب الله بنورهم) وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل اذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيأ ثابتا حوله وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به (قا وخا ٩ ل) والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان أبلغ من الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لان ذكر النور أبلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور عنهم رأسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم في ظلمات) والظلمة عرض

وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا ﴿فلما اضاءت ما حوله﴾ اى النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما حوله أشياء وأماكن أو الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ﴿ذهب الله بنورهم﴾ جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وأمن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله أو لان الاطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وأمسكه وما أخذه الله فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا ألا ترى كيف قرر ذلك وأكده بقوله ﴿وتركهم في ظلمات

يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه أن يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا لينتفع بها ﴿فلما أضاءت﴾ يعني النار ﴿ما حوله﴾ يعني حول المستوقد ﴿ذهب الله بنورهم﴾ فان قلت كيف وحد أولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد نارا ﴿وتركهم في ظلمات

فلما أضاءت ما حوله) استضاءت ورأى ما حوله وأمن بها على نفسه وأهله وماله طفئت ناره فكذلك المنافقون آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن فأمنوا به على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم من السبي والقتل فلما ماتوا (ذهب الله بنورهم) بمنفعة ايمانهم (وتركهم في ظلمات) في شدائد القبر

وهو قوله (لايبصرون) وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى أفعال القلوب ومنه وتركهم فى ظلمات أصله هم فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والمفعول الساقط من لايبصرون من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر المنوى كان الفعل غير متعداصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوقد لانهم غب الاضاءة وقعوا فى ظلمة وحيرة نعم المنافق خابط فى ظلمات الكفر أبدا ولكن المراد مااستضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه

لايبصرون ﴿ فذكر الظلمة التى هى عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لايتراءى فيها شبحان * وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات لايبصرون وقول الشاعر

فتركته جزر السباع ينشنه

*والظلمة مأخوذة من قولهم ماظلمك أن تفعل كذا أى مامنعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية و ظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أوظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدى أوظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة ومفعول لايبصرون من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فأنهم أضاعوا مانطقت به ألسنتهم من الحق بأستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أوارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له أحوال الارادة فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ماأشرق عليه من نور الارادة أومثل لايمانهم من حيث أنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين فى الغنائم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره بأهلاكهم

لايبصرون ﴿ قال ابن عباس نزلت فى المنافقين يقول مثلهم فى نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا فى ليلة مظلمة فى مفازة فاستدفأ ورأى ماحوله فاتقى ممايخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى فى ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين أظهروا كلمة الايمان فأمنوا بها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم فى الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم فى القبر أوعلى الصراط *فان قلت ماوجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة* قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور أبلغ الاشياء فى الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوكة فى الظلمة لايزداد ألاحيرة وكذلك الكفر لايزداد صاحبه فى الآخرة ألاحيرة وفى ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احداها ان المستضئ بالنار مستضئ بنور غيره فاذاذهب ذلك بقى هو فى ظلمته فكأنهم لما أقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج فى دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى

(لايبصرون) الرخاء بعد ذلك ويقال مثلهم أى مثل اليهود مع محمد صلى الله عليه وسلم كمثل رجل أقام علما فى هزيمة فاجتمع اليه منهزمون فقلبوا علمهم فذهبت منفعتهم وأمنهم به كذلك اليهود كانوا يستنصرون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قبل خروجه فلما خرج كفروا به فذهب الله بنورهم برغبة ايمانهم ومنفعة ايمانهم لانهم أرادوا أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام فلم يؤمنوا وتركهم فى ظلمات فى ضلالة اليهودية (فقال)

الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم الى ظلمة العقاب السرمدي وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم ﴿٦٧﴾ الذى باعوه بالنار المضيئة {سورة البقرة} ماحول المستوقد والضلالة التى

وافشاء حالهم باطفاء الله سبحانه وتعالى اياها واذهاب نورها ﴿صمّ بكم عمى﴾ لما سدّوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم و يتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله

صمّ اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وكقوله

أصمّ عن الشئ الذى لا أريده * وأسمع خلق الله حين أريد

واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة أذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير

لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

ومن ثمه ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائى

ويصعد حتى يظنّ الجهول * بأن له حاجة فى السماء

وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه فى حكم المنطوق به ونظيره

أسد علىّ وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر

هذا أذا جعلت الضمير للمنا فقين على أن الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وأن جعلته للمستوقدين فهى على حقيقتها والمعنى أنهم لما أوقدوا نارا ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة سمى به فقدان حاسة السمع لان سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وقد يقال لعدم البصيرة ﴿فهم لا يرجعون﴾ لا يعودون الى الهدى الذى باعوه وضيعوه أو عن الضلالة التى اشتروها أو فهم متحيرون لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على أن اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم

فقال ﴿صم﴾ أى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه ﴿بكم﴾ أى خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه ﴿عمى﴾ أى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو أعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء كلهم أذن

﴿فهم لا يرجعون﴾ أى عن ضلالتهم ونفاقهم * قوله تعالى

اشتروها باذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم (صم بكم عمى) أى هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا أن هذا فى الصفات وذلك فى الاسماء وما فى الآية تشبيه بليغ فى الاصح لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لو لا دلالة الحال أو فحوى الكلام (فهم لا يرجعون) لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتنوع الرجوع الى الشئ وعنه أو أراد انهم متحيرون بقوا خامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون

بـ لا يبصرون الهدى (صم) يتصامون (بكم) يتباكون (عمى) يتعامون (فهم لا يرجعون) عن كفرهم وضلالتهم

(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) ثنى الله سبحانه وتعالى فى شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والايضاح وشبه المنافق فى التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وهنا شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيي به حياة الارض بالمطر ومايتعلق به من شبه الكفار بالظلمات ومافيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ومايصيبهم من الافزاع والبلايا من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوى صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوى لدلالة يجعلون عليه والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها مالقوا فهذا تشبيه أشياء باشياء الا انه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح فى قوله ومايستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ وقول امرئ القيس

* كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى *

بل جاء به مطويا ذكره على سنن الاستعارة والصحيح ان التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شئ يقدر شبهه به بيانه ان العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيأ واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فالمراد تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ماسواها من الاوقار لايشعر من ذلك الا بما يمر به فيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء

﴿أو كصيب من السماء﴾ عطف على الذى استوقد أى كمثل ذوى صيب لقوله يجعلون أصابعهم فى آذانهم وأو فى الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع فيها فأطلقت للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فأنها تفيد التساوى فى حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله أو كصيب ومعناه أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وأنهما سواء فى صحة التشبيه بهما وأنت مخير فى التمثيل بهما أو بأيهما شئت * والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ

وأسحم دان صادق الرعد صيب

وفى الآية يحتملهما وتنكيره لانه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فأن كل أفق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال

ومن بعد أرض بيننا وسماء

أمد به مافى الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية ﴿فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ أن أريد بالصيب المطر

﴿أو كصيب﴾ أى كاصحاب صيب وهو المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب ﴿من السماء﴾ أى من السحاب لان كل ماعلاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لاينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من أبخرة الارض فابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من أبخرة الارض كما زعم الحكماء ﴿فيه﴾ أى الصيب ﴿ظلمات﴾ جمع ظلمة ﴿ورعد﴾ هو الصوت الذى يسمع من السحاب ﴿وبرق﴾ يعنى النار التى تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من

(نور)

(أو كصيب من السماء) وهذا مثل آخر يقول مثل المنافقين واليهود مع القرآن كصيب كمطر نزل من السماء ليلا على قوم فى مفازة (فيه) فى الليل (ظلمات ورعد وبرق) كذلك القرآن نزل من الله فيه ظلمات بيان الفتن ورعد زجر وتخويف وبرق بيان

فالمرادقلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهوتشبيه كيفية بكيفية فأما أن يراد تشبيه الافراد بالافراد غيرمنوط بعضها ببعض ومصيرة شيأ واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وماخبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والتمثيل الثانى أبلغ لانه أدل على فرط الحيرة وشدة الامر ولذا أخروهم يتدرجون فى مثل هذا من الاهون الى الاغلظ وعطف أحد التمثيلين على الآخر بأولانها فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك عند البعض ثم استعيرت لمجرد التساوى كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا وقوله تعالى ولاتطع منهم آثما أو كفورا أى الآثم والكفور سيان فى وجوب العصيان فكذا هنا معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين وان الكيفيتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذى يصوب أى ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا وتنكير صيب لانه نوع من المطر شديد هائل كمانكرت النار فى التمثيل الاول والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف والفائدة فى ذكر السماء والصيب لايكون الامن السماء انه جاء بالسماء معرفة فافاد أنه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى ان يكون من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق لان كل أفق من آفاقها سماء ففى التعريف مبالغة كما فى تنكير صيب وتركيبه وبنائه وفيه دليل على أن السحاب من السماء يتحدر ومنها يأخذ ماءه وقيل انه يأخذ من البحر ويرتفع ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لانه قد قوى لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش وسيبويه والرعد الصوت الذى يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه أو ملك يسوق السحاب والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا اذا لمع والضمير فى فيه يعود الى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات فان أريد به السحاب فظلماته اذا كان اسحم مطبقا ظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكانا للرعد والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان اريد به المطر لانهما ملتبسان به فى الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانهما مصدران فى الاصل يقال رعدت السماء رعدا و برقت برقا فروعى حكم الاصل بان ترك جمعهما ونكرت هذه الاشياء لان المراد انواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وان كان محذوفا كما فى قوله اوهم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على مايؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم فى آذانهم ثم قال فكيف حالهم

فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما فى أعلاه ومنحدره ملتبسين به وأن أريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف * والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور أن سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد* والبرق مايلمع من السحاب من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر فى الاصل ولذلك لم يجمعا ﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم ﴾ الضمير لاصحاب الصيب

نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهى البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه ﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم

وتبصرة ووعد (يجعلون أصابعهم فى آذانهم

(قوله وكلاهما مصدر) قال فى العناية فى الكشاف لماسأل لم لم يجمع الرعد والبرق كما جمعت الظلمات فالظاهر أن يكون على نمط واحد اويضا الجمع ابلغ فلم عدل عنه اجاب بأن فيه وجهين أحدهما ان يراد العينان والثانى ان يراد الحدثان اه بتصرف مصححه

مع مثل ذلك البرق فقال يكاد البرق يخطف أبصارهم و انما ذكر الاصابع ولم يذكر الأنامل ورؤس الأصبع هى التى تجعل فى الآذان اتساعا كقوله فاقطعوا أيديهما والمراد الى الرسغ ولان فى ذكر الاصابع من المبالغة ماليس فى ذكر الانامل وانما لم يذكر الاصبع الخاص الذى تسد به الاذن لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم فى آذانهم و الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت أجرامه وهى نار لطيفة حديدة لاتمر بشئ الاأتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فاحرقت نحو نصفها ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته فصعق أى مات أما بشدة الصوت أوبالاحراق (حذر الموت) مفعول له والموت فساد بنية الحيوان أو عرض لايصح معه احساس معاقب للحياة (والله محيط بالكافرين) يعنى أنهم لايفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لامحل لها (يكاد البرق يخطف أبصارهم) الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف

وهو وأن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان فى قوله

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر مايؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فأجيب بها وأنما أطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة ﴿من الصواعق﴾ متعلق بيجعلون أى من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصيفة رعد هائل معها نار لاتمر بشئ ألاأتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع أومشاهد ويقال صقعته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق أوشدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين فى التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهى فى الاصل اماصفة لقصفة الرعد أوللرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية أومصدر كالعافية والكاذبة ﴿حذر الموت﴾ نصب على العلة كقوله

وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأصفح عن شتم اللئيم تكرما

*والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة *ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة ﴿والله محيط بالكافرين﴾ لايفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط لايخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لامحل لها ﴿يكاد البرق يخطف ابصارهم﴾ استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق *وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد أما لفقد شرط أولعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهى خبر محض

من الصواعق ﴾ جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت كل من يسمعها أو يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء * عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لاتقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب ﴿ حذر الموت ﴾ اى مخافة الهلاك ﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ اى عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم ﴿ يكاد البرق ﴾ اى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل ﴿ يخطف أبصارهم ﴾

من الصواعق) من صوت الرعد (حذر الموت) مخافة البوائق والموت كذلك المنافقون واليهود كانوا يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق من بيان القرآن ووعده ووعيده حذر الموت مخافة ميل القلب اليه (والله محيط بالكافرين) والمنافقين أى عالم بهم وجامعهم فى النار (يكاد البرق) النار (يخطف أبصارهم) يذهب بابصار الكافرين كذلك البيان أراد أن يذهب بابصار (اى يختلسها)

نصب لانه خبر كاد (كلما أضـاء لهم) كل ظرف وما نكرة موصوفة معنـاها الوقت والعائد محذوف أي كل وقت أضاءلهم فيه والعامل فيه جوابها وهو (مشوافيه) أي في ضوئه وهواستئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين كشدته على أصحاب الصيب وماهم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين وأضاء متعد أي كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف أوغير متعد أي كلما لمع لهم مشوا في مطروح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو (واذا أظلم عليهم) أظلم غير متعد وذكر مع اضاء كلما ومع أظلم اذا لانهم حراص على وجود ماهمهم به معقود مع امكان المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف (قاموا) وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه

ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضـارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير أن لؤكد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما يحمل عليها بالحذف من خبرها المشاركتهما في اصل معنى المقاربة ❊ والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف بفتح الياء والخاء على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف ﴿كلما أضاءلهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا﴾ استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك ❊ واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى أخذوه أولازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك أظلم فأنه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول وقول أبي تمام

هما أظلما حالي ثمت اجليا ❊ ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب ❊

فأنه وأن كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وأنما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام أذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا

اى يختلسها والخطف استلاب الشئ بسرعة ﴿كلما﴾ اى متى ماجاء ﴿اضاءلهم﴾ يعني البرق ﴿مشوا فيه﴾ أي في اضاءته ونوره ﴿واذا اظلم عليهم قاموا﴾ أي وقفوا متحيرين وهذا مثل آخر ضربه الله تعـالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السارى لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم الى آذانهم من هو له وبرق من صفته ان يخطف ابصـارهم ويعميها من شـدته فهذا مثل ضربه الله تعـالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النـار والبرق ما فيه من الهدى والبيـان والوعد وذكر الجنـة فالكافرون والمنافقون يسـدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت ❊ وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسـلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون أصـابعهم في آذانهم يعني المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء وشـدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الاسـلام تزعجهم الى النظر لولا ماسبق لهم من الشقاوة كلما أضاءلهم يعني المنافقين واضاءته لهم هو تركهم

ضلالهم (كلما أضاء لهم) البرق (مشوافيه) في ضوء البرق (واذا أظلم عليهم قاموا) بقوا في الظلمة كذلك المنافقون لما آمنوا مشوا فيما بين المؤمنين لانهم تقبل

جد ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ أى لو شاء الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه فى شاء وأراد حتى لايكاد يذكر الا فى الشئ المستغرب كقوله

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته

ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثانى ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة و فائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام مايقتضيه والتنبيه على أن تأثير الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشيئته سبحانه وتعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته تعالى وقوله ﴿أن الله على كل شئ قدير﴾ كالتصريح به والتقرير له والشئ يختص بالموجود لانه فى الاصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول البارى سبحانه وتعالى كما قال تعالى قل اى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشئ أخرى أى مشئ وجوده و ماشاء الله وجوده فهو موجود فى الجملة و عليه قوله سبحانه وتعالى ان الله على كل شئ قدير الله خالق كل شئ فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشئ مايصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن أومايصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن فى الموضعين بدليل العقل * والقدرة هو التمكن من ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله سبحانه وتعالى عبارة عن نفى العجز عنه والقادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على مايشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارى سبحانه وتعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ماتقتضيه مشيئته وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وأن مقدور العبد مقدور الله سبحانه وتعالى لانه شئ وكل شئ مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو أن تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله سبحانه وتعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فأنه تشبيه حال اليهود فى جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة أو بحال من اخذته السماء

بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعنى على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام ثبتوا وقالوا أنا معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعنى اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ اى بصوت الرعد ﴿وابصارهم﴾ بوميض البرق وقيل لذهب باسماعهم وابصارهم الظاهرة كما ذهب اسماعهم وابصارهم الباطنة ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ أى هو الفاعل لما يشاء لامنازع له فيه

شاء محذوف لدلالة الجواب عليه أى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد لايكادون يبرزون المفعول الا فى الشئ المستغرب كنحو قوله * فلو شئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع * وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا ولو اراد الله أن يتخذ ولدا (ان الله على كل شئ قدير) أى ان الله قادر على كل شئ لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور

ايمانهم فلما ماتوا بقوا فى ظلمة القبر (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) بالرعد (وأبصارهم) بالبرق كذلك لو شاء الله لذهب بسمع المنافقين واليهود بزجر ما فى القرآن ووعيد مافيه وأبصارهم بالبيان (ان الله على كل شئ) من ذهاب السمع والبصر (قدير

(قوله بلا مثنوية) قال فى العناية المثنوية كالمعنوية بمعنى الاستثناء صرح به اهل اللغة ه مصححه

(قوله)

فقال (ياأيها الناس) قال علقمة مافى القرآن ياأيها الناس فهو خطاب لاهل مكة ومافيه ياأيها الذين آمنو فهو خطاب لاهل المدينة وهذا خطاب لمشركى مكة ويا حرف وضع لنداء البعيد وأى والهمزة للقريب ثم استعمل فى مناداة من غفل وسها وان قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد ونأى فاذا نودى به ﴿٧٣﴾ القريب المقاطن فذاك للتوكيد {سورة البقرة} المؤذن بان الخطاب الذى يتلوه معتنى به جدا وقول الداعى يارب وهو أقرب اليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة دعوته وأى وصلة الى نداء مافيه الالف واللام كما أن ذو والذى وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى مايزيل ابهامه فلابد أن يردفه اسم جنس أوما يجرى مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه يا أى والتابع له صفته نحو يازيد الظريف الا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أى من الاضافة وكثر النداء فى القرآن على هذه الطريقة لان مانادى الله به عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم أن (قاوخا ١٠ ل) يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الابلغ (اعبدوا ربكم) وحدوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن

فى ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو أن تأخذ اشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله سبحانه وتعالى ومايستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

بأن يشبه فى الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك بأضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب بأهلاكهم وأفشاء حالهم وأبقائهم فى الخسار الدائم والعذاب السرمدى بأطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى انفسهم بأصحاب الصيب وأيمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث أنه وأن كان نافعا فى نفسه لكنه لما وجد فى هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث أنه لايرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف أن تخطف أبصارهم فخطوا خطا يسيرة ثم اذا خفى وفتر لمعانه بقوا متقيدين لاحراك لهم * وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما أوتى الانسان من المعارف التى هى سبب الحياة الابدية بالصيب الذى به حياة الارض وما ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لاخلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لمايلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد يطمح اليه أبصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم فى الامر حين تعرض لهم شبهة أوتعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا أظلم عليهم ونبه بقوله سبحانه وتعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم على أنه سبحانه وتعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم أنهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فانه على مايشاء قدير ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم﴾

* قوله عز وجل ﴿ يا ايها الناس ﴾ قال ابن عباس ياأيها الناس خطاب لاهل مكة وياأيها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ماء ورد

ياأيها الناس) ياأهل مكة ويقال هم اليهود (اعبدوا ربكم) وحدوا

لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة *ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد أما لعظمته كقول الداعي يارب ويا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعوله وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل وأى جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فأن ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فأنهما كمثلين وأعطى حكم المنادى وأجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه أشعارا بأنه المقصود وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أى من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى له الله سبحانه وتعالى عباده من حيث انها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الابلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله سبحانه وتعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضي الله عنهم بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة ألا ما خصه الدليل وماروى عن علقمة والحسن أن كل شئ نزل فيه ياأيها الناس فمكي ويا أيها الذين آمنوا فمدني أن صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فأن المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقدمه من المعرفة والاقرار بالصانع تعالى فأن من لوازم وجوب الشئ وجوب مالايتم ألا به وكما أن الحدث لايمنع وجوب الصلاة فالكفر لايمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على أن الموجب للعبادة هى التربية ﴿الذى خلقكم﴾ صفة جرت على الرب للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح أن خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التى يسمونها أربابا* والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس ﴿والذين من قبلكم﴾ متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات أو الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والاض

في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى ﴿الذى خلقكم﴾ أى ابتدع خلقكم على غير مثال سبق ﴿والذين من قبلكم﴾ أى وخلق الذين من قبلكم

فهو توحيد (الذى خلقكم) صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الآلهة أربابا والخلق ايجاد المعدوم على تقدير واستواء وعند المعتزلة ايجاد الشئ على تقدير واستواء وهذا بناء على أن المعدوم شئ عندهم لأن الشئ ماصح أن يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود خلقكم بالادغام أبو عمرو (والذين من قبلكم) احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم أن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه

ربكم (الذى خلقكم) نسما من النطفة (والذين من قبلكم) وخلق الذين من

(قوله هزا للسامع) قال في الكفاية اصل معناه التحريك بحركات متوالية ثم كنى به عن ادخال المسرة كما في قول ابن الرومي* ذهب الذين يهزهم مداحهم* هز الكماة عوالى المران اه (قوله التربية) مصدر وفي نسخة الربوبية بضم الراء كالخصوصية وهى مصدر ايضا وفي نسخة الربية مصححة

ليقولن الله أو لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثانى بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير فى قوله

ياتيم تيم عدى لا أبا لكم

تيما الثانى بين اول وما أضيف اليه ﴿لعلكم تتقون﴾ حال من الضمير فى اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله سبحانه وتعالى نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله سبحانه وتعالى الى الله وأن العابد ينبغى أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال سبحانه وتعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه أو من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه التقوى لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق أى خلقكم لكى تتقوا كما قال سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق عليه بعبادته ثوابا فأنها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الاجرة قبل العمل ﴿الذى جعل لكم الارض فراشا﴾ صفة ثانية أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجئ على ثلاثة أوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله

وقد جعلت قلوص بنى سهيل * من الاكوار مرتعها قريب

وبمعنى أوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد أخرى ومعنى جعلها فراشا أن جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيئة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها ﴿والسماء بناء﴾ قبة مضروبة عليكم * والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد

﴿لعلكم﴾ لعل وعسى حرفا ترج وهما أى كل منهما من الله واجب ﴿تتقون﴾ أى لكى تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿الذى جعل لكم الارض فراشا﴾ أى خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها * والحزن ماغلظ من الارض ﴿والسماء بناء﴾ أى سقفا مرفوعا قيل اذا تأمل الانسان المتفكر فى العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيئة

ولا تعبدوا الاصنام (لعلكم تتقون) أى اعبدوا على رجاء أن تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل للترجى والاطماع ولكنه اطماع من كريم فيجرى مجرى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال سيبويه وقال قطرب هو بمعنى كى أى لكى تتقوا (الذى جعل لكم الارض) أى صير ومحل الذى نصب على المدح أو رفع باضمار هو (فراشا) بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان الارض مسطحة أو كرية اذ الافتراش ممكن على التقديرين (والسماء بناء) سقفا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمى به المبنى

قبلكم (لعلكم تتقون) لكى تتقوا السخطة والعذاب وتطيعوا الله (الذى جعل لكم الارض فراشا) بساطا ومناما (والسماء بناء) سقفا

(وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرج به) بالماء نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وايجاده ولكن جعل الماء سببا فى خروجها كماء الفحل فى خلق الولد

وهو قادر على انشاء الكل بلاسبب كما أنشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار ومن فى (من الثمرات) للتبعيض أو للبيان (رزقا) مفعول له أن كانت للتبعيض ومفعول به لاخرج أن كانت للبيان وأنما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وأن كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لان المراد جماعة الثمرة ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها فى الجمعية (لكم) صفة جارية على الرزق أن أريد به العين وأن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا أياكم (فلا تجعلوا لله أندادا) هو متعلق بالامر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل له ند ولا شريك ويجوز أن يكون الذى رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول الفاء لان الكلام يتضمن الجزاء أى الذى حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة

كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة* والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان أوقبة أوخباء ومنه بنى على أهله لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى أخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بأن أجرى عادته بأفاضات صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما أوأبدع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو سبحانه وتعالى قادر على أن يوجد الاشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى أنشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لأولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك فى ايجادها دفعة ومن الأولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب فأن ماعلاك سماء أوالفلك فأن المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على مادلت عليه الظواهر أومن اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من أعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله سبحانه وتعالى فأخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له أعنى ماء ورزقا كأنه قال وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذلم ينزل من السماء الماء كله ولاأخرج بالمطر كل الثمرات ولاجعل كل المرزوق ثمارا أوللتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك أنفقت من الدراهم ألفا وأنما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه أراد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك أدركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد أولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء أولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا أن أريد به المرزوق ومفعوله أن أريد به المصدر كأنه قال رزقا أياكم ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ متعلق باعبدوا على أنه نهى معطوف عليه أونفى منصوب بأضمار أن جواب له أوبلعل على أن نصب تجعلوا نصب فاطلع فى قوله سبحانه وتعالى لعلى أبلغ الاسباب اسباب السموات فأطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها فى أنها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لاتجعلوا له أندادا أوبالذى جعل لكم ان استأنفت به على انه نهى وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى ان من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام

لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة فى مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها ﴿وأنزل من السماء﴾ يعنى السحاب ﴿ماء﴾ يعنى المطر ﴿فأخرج به﴾ أى بذلك الماء ﴿من الثمرات﴾ يعنى من ألوان الثمرات وأصناف النبات ﴿رزقا لكم﴾ أى وعلفا لدوابكم ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ يعنى أمثالا

مرفوعا (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فأخرج به) فأنبت بالمطر (من الثمرات) من ألوان الثمرات (رزقا لكم) ﴿تعبدونهم﴾ طعاما لكم ولسائر الخلق (فلا تجعلوا لله أندادا) فلاتقولوا لله أعدالا واشكالا

الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوى ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه (وأنتم تعلمون) ﴿٧٧﴾ أنها لا تخلق شيأ ولا {سورة البقرة} ترزق والله الخالق الرازق أو

ينبغى أن لا يشرك به * والند المثل المناوى قال جرير

أتيما تجعلون الىّ ندا * وماتيم لذى حسب نديد

من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص للمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى للمماثل فى القدر وتسمية مايعبده المشركون من دون الله أندادا وما زعموا أنها تساويه فى ذاته وصفاته ولا أنها تخالفه فى أفعاله لانهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم مالم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل

أربا واحدا أم الف رب * أدين اذا تقسمت الامور

تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير

﴿ وأنتم تعلمون ﴾ حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح أى وحالكم أنكم من أهل العلم والنظر واصابة الرأى فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو منوى وهو أنها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله سبحانه وتعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فأن العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء فى التكليف * واعلم أن مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله سبحانه وتعالى والنهى عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه أنه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بأنها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه سبحانه وتعالى خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون اليه فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فأن الثمرة أعم من المطعوم والرزق أعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التى لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته سبحانه وتعالى رتب عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه وتعالى أراد من الآية الاخيرة مع مادل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما أفاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فأن لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا ﴿ وأن كنتم فى ريب

تعبدونهم كعبادته * والند المثل ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ يعنى أنكم بعقولكم تعلمون أن هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها أندادا لله وأنه واحد خالق لجميع الاشياء وأنه لا مثل له ولا ضد له * قوله تعالى ﴿ وان كنتم فى ريب ﴾ أى ان كنتم فى شك لان الله تعالى علم أنهم

مفعول تعلمون متروك أى وأنتم من أهل العلم وجعل الاصنام لله أندادا غاية الجهل والجملة حال من الضمير فى فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الاشراك لخلقهم أحياء قادرين وخلق الارض التى هى مثواهم ومستقرهم وخلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وماسواه عزوجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الثمار رزقا لبنى آدم فهذا كله دليل موصل الى التوحيد مبطل للاشراك لان شيأ من المخلوقات لا يقدر على ايجاد شئ منها ما عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر اعجاز القرآن فقال (وان كنتم فى ريب

وأشباهها (وأنتم تعلمون) أنى صانع هذه الاشياء ويقال وأنتم تعلمون فى كتابكم

أنه ليس له ولد ولا شبيه ولا ند (وأن كنتم فى ريب) فى شك

مما نزلنا) مانكرة موصوفة أو بمعنى الذى (على عبدنا) محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء والمملوك موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون أنزلنا لان المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك انهم كانوا يقولون لوكان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وعلى سنن مانرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود مايوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيأ وشيأ لايلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولايرمى الناثر بخطبه ضربة فلو أنزله الله لانزله جملة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على تدريج (فأتوا بسورة) أى فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت أصلا فاما ان تسمى بسور المدينة وهو حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أولانها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على مافيها وأماان تسمى بالسورة التى هى الرتبة لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهى أيضا فى نفسها مرتبة طوال وأوساط وقصار أولرفعة شأنها وجلالة محلها فى الدين وان كانت منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التى هى البقية من الشئ وأما الفائدة فى تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فهى كثيرة ولذا أنزل الله تعالى التوراة والانجيل والزبور وسائر ماأوحاه الى أنبيائه مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون فى كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور (ومنه) بالتراجم منها ان الجنس اذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بيانا واحدا ومن ان القارئ اذا ختم سورة أوبابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان أنشط له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لواستمر على الكتاب بطوله ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ماحفظه ويجل فى نفسه ومنه حديث أنس رضى الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا ومن ثمة كانت القراءة فى الصلاة

مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة ﴾ لماقرر وحدانيته سبحانه وتعالى وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ماهو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق وأفحام من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف مايتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله سبحانه وتعالى كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على مانرى عليه أهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة وألزاما للحجة وأضاف العبد الى نفسه تعالى تنويها بذكره وتنبيها على أنه مختص به منقاد لحكمه تعالى وقرئ عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته * والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات وهى أن جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على مافيها أو من السورة التى هى الرتبة قال

ولرهط حراب وقد سورة * فى المجد ليس غرابها بمطار

شاكون ﴿مما نزلنا على عبدنا﴾ أى محمد صلى الله عليه وسلم * لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وأنه الواحد الخالق وأنه لاضد له ولاند أتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومايدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وأنه من عند الله تعالى لامن عند نفسه كما تدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى ﴿ فأتوا ﴾ أمر تعجيز ﴿ بسورة ﴾ والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة

(مما نزلنا) بما نزلنا جبريل (على عبدنا) محمد أنه يختلقه من تلقاء نفسه (فأتوا بسورة

لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ أولها مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وأن جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية والقطعة من الشئ والحكمة فى تقطيع القرآن سورا أفراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم أنه قطع ميلا أوطوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد أنه أخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد ﴿من مثله﴾ صفة سورة أى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الاخفش أى بسورة مماثلة للقرآن العظيم فى البلاغة وحسن النظم أو لعبدنا ومن للابتداء أى بسورة كائنة ممن هو على حاله عليه الصلاة والسلام من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أو صلة فأتوا والضمير للعبد صلى الله عليه وسلم والرد الى المنزل أوجه لانه المطابق لقوله تعالى فأتو بسورة مثله ولسائر آيات التحدى ولان الكلام فيه لا فى المنزل عليه فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ فى التحدى من أن يقال لهم ليأت بنحو ما أتى به هذا آخر مثله ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله سبحانه وتعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم أمكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله تعالى ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾

ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن ﴿من مثله﴾ أى مثل القرآن وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم أى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى التحدى وأنما وقع الكلام فى المنزل ألا ترى أن المعنى وأن ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم بسورة مما عائله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وأن ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة يأتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة فى وصف القرآن والله أن له لحلاوة وأن عليه لطلاوة وأن أصله لمغدق وأن أعلاه لمثمر ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ أى استعينوا بآلهتكم التى تعبدونها من دون الله

بسورة تامة أفضل (من مثله) متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا {سورة البقرة} أى بسورة كائنة من مثله يعنى فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم أو لعبدنا أى فأتوا عن هو على حاله من كونه أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ورد الضمير الى المنزل أولى لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فأتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان الكلام معرد الضمير الى المنزل أحسن ترتيبا وذلك ان الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما عائله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولان هذا التفسير يلايم قوله (وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة (من دون الله) أى غير الله وهو متعلق بشهداءكم أى ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق أو من يشهد لكم بانه مثل

من مثله) فجيئوا بسورة من مثله سورة البقرة (وادعوا شهداءكم) واستعينوا بآلهتكم التى

عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكأنه قال تعالى فأن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما. ولن كلا فى نفى المستقبل غير أنه أبلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل فى أحدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى أصله لاأن وعند الفراء لافأبدلت ألفها نونا* والوقود بالفتح ماتوقد به النار وبالضم المصدر وقدجاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول

وقدت النار وقودا عاليا

والاسم بالضم ولعله مصدر سمى به كماقيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر أن المرادبه الاسم وأن أريد به المصدر فعلى حذف مضاف أى وقودها احتراق الناس *والحجارة وهى جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بهاالاصنام التى نحتوها وقرنوابها أنفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بهاواستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى أنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هومنشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه أوبنقيض ماكانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم وقيل الذهب والفضة التى كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وأبطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بمالايتقد به غيرها والكبريت تتقدبه كل نار وأن ضعفت فأن صح هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلعله عنى به أن الاحجاركلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد مانزل بمكة قوله سبحانه وتعالى فى سورة التحريم ناراوقودهاالناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فأنها يجب أن تكون قصة معلومة ﴿ أعدت للكافرين ﴾ هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف أوحال بأضمار قد من النار لاالضمير الذى فى وقودها وأن جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر * وفى الآيتين دليل على النبوة من وجوه * الاول مافيهما من التحدى والتحريض على الجد وبذل الوسع فى المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن العزيز ثم أنهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجؤا الى جلاء الوطن وبذل المهج * والثانى تضمنهما الاخبار عن الغيب على ماهو به فأنهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه أكثر من الذابين عنه فى كل عصر * الثالث أنه صلى الله عليه وسلم لوشك فى أمره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته * وقوله تعالى أعدت للكافرين دل على أن

فجعلها الله عذابهم فى نار جهنم ﴿ أعدت ﴾ أى هيئت ﴿ للكافرين ﴾ *قوله عز وجل

(وبشر)

أبلاغا فى ايلامهم (أعدت للكافرين) هيئت لهم وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافا لما يقوله جهم سنة الله فى كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا لاكتساب مايزلف وتثبيطا عن اقتراف مايتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم

(أعدت) خلقت وهيئت وأعتدت وقدرت (للكافرين) ثم ذكر كرامة المؤمنين

(قوله وقيل حجارة الكبريت) مرضه وأخره لضعفه عنده لانه تخصيص بغير دليل كما ستسمعه وتبع فيه الزمخشرى وقيل عليه أن القرينة العقلية قائمة عليه لانه لايتقد من الحجارة غيره مع أنه الثابت فى التفاسير المأثورة دون غيره فأنه أخرج مسندا فى السنن وصحح روايته عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم الطبرانى والحاكم والبيهقى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم ومثل هذا التفسير الوارد عن الصحابى فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم الرفع بأجماع المحدثين وقد رجحه كثير من المفسرين وعللوه بأنه أشد حرا وأكثر التهابا وأسرع ايقادا مع نتن ريحه وكثرة دخانه وكثافته وشدة التصاقه بالابدان فلتخصيصه وجه بل وجوه رواية ودراية اه عناية بعبارته مصححه

وتبشيرهم بقوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والمأمور بقوله وبشر الرسول عليه السلام أو كل أحد وهذا أحسن لانه يؤذن بأن الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف على فاتقوا كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى أسد بأحسانى اليهم أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثمه قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرونى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذى أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال أخبرنى مكان بشرنى عتقوا جميعا لانهم أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس والآية حجة على من جعل الاعمال أيمانا لانه عطف الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال أنكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال الصالحة بالايمان ولا نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل تثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله أن شاء غفر له وأن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة (أن لهم جنات) أى بأن لهم جنات وموضع أن وما عملت فيه النصب بشر عند سيبويه خلافا للخليل وهو كثير فى التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان

النار مخلوقة معدة الآن لهم ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ﴾ عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجى وتثبيطا عن اقتراف ما يردى لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطاب له ما يشاكله من أمر أو نهى فيعطف عليه أو على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدى ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعى أن يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وأنما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو عالم كل عصر أو كل أحد يقدر على البشارة بأن يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وأيذانا بأنهم أحقاء بأن يبشروا ويهنؤا بما أعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على أعدت فيكون استئنافا * والبشارة الخبر السار فأنه يظهر أثر السرور فى البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هى الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرنى بقدوم ولدى فهو

﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾ أى أخبر المؤمنين وهذا أمر للنبى صلى الله عليه وسلم * والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور فى بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ أو سر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب أليم ولكن هو فى السرور والخير أغلب ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أى الفعلات الصالحات وهى الطاعات * قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات أى أخلصوا الاعمال يعنى عن الرياء ﴿ أن لهم جنات ﴾ جمع جنة وهى البستان الذى فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل

فى الجنة فقال (وبشر الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ويقال الصالحات من الاعمال (أن لهم) بأن لهم (جنات) بساتين

حر فأخبروه فرادى عتق أولهم ولو قال من أخبرنى عتقوا جميعا وأما قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم فعلى التهكم أو على طريقة قوله

تحية بينهم ضرب وجيع

والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة التى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة

كيف الهجاء وماتنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتينى

وهى من الاعمال ماسوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة أو الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما أشعارا بأن السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فأن الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق أس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على أنها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل أن الشىء لا يعطف على نفسه ولا على ماهو داخل فيه * أن لهم منصوب بنزع الخافض وأفضاء الفعل اليه أو مجرور بأضماره مثل الله لافعلن * والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمى بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه يستر ماتحته سترة واحدة قال زهير

كأن عينى فى غربى مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحقا

أى نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر فى الدنيا ماأعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ماذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم أياها لاجل ماترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فأنه لا يكافىء النعم السابقة فضلا عن أن يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده تعالى ولا على الاطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله سبحانه وتعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لئن اشركت ليحبطن عملك وأشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغناء بها ﴿تجرى من تحتها الانهار﴾ أى من تحت أشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها * وعن مسروق أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى أو للعهد والمعهود هو الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية * والنهر بالفتح والسكون

والفردوس مافيه كرم ﴿تجرى من تحتها﴾ أى من تحت أشجارها ومساكنها ﴿الانهار﴾ أى تجرى المياه فى الانهار لان الانهار لا تجرى وقيل معناه تجرى بأمرهم

والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (تجرى من تحتها الانهار) الجملة فى موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى الاشجار النابتة على شواطىء الانهار الجارية وأنهار الجنة تجرى فى غير أخدود وأنزه البساتين ماكانت أشجارها مظلة والانهار فى خلالها مطردة والجرى الاطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة وأسناد الجرى الى الانهار مجازى وأعا عرف الانهار لانه يحتمل أن يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى

(تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر واللبن والعسل (وفى الحديث)

ولذا اقرن الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها (كلما رزقوا) صفة ثانية لجنات أوجملة مستأنفة لانه لما قيل
ان لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لاتشابه هذه الاجناس فقيل أن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها وأن تفاوتت الى غاية لايعلمها ألاالله (منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى) أى كلما رزقوا من الجنات أى من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قدابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره أن تقول رزقنى فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وأنما المراد نوع من أنواع الثمار (رزقنا) أى رزقناه فحذف العائد (من قبل) أى من قبل هذا فلما قطع عن الاضافة بنى والمعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله (وأتوا به متشابها) وهذا كقولك أبويوسف أبو

المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار أوالمجارى أنفسها وأسناد الجرى اليها مجاز كما فى قوله سبحانه وتعالى وأخرجت الارض أثقالها ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا ﴾ صفة ثانية لجنات أوخبرمبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه لما قيل أن لهم جنات وقع فى خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أوأجناس أخر فأزيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدئا من الجنات مبتدئا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدئا من الجنات وابتداءه منها بابتدائه من ثمرة فيها فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن فى الحال ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم كما فى قولك رأيت منك أسدا وهذا أشارة الى نوع مارزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لاينقطع فأنك لاتعنى به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وأن كانت الاشارة الى عينه والمعنى هذا مثل الذى رزقنا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه أول ماترى فأن الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزية وكنه النعمة فيه اذلوكان جنسا لم يعهد ظن أنه لايكون ألا كذلك أو فى الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكى عن الحسن رضى الله تعالى عنه أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف أوكما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال والذى نفس محمد بيده أن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فماهى واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول أظهر لمحافظته على عموم كلما فأنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه البليغ فى الصورة ﴿ وأتوا به متشابها ﴾ اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى مارزقوا فى الدارين فأنه مدلول

•وفى الحديث ان أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود أى فى غير شق والخد الشق ﴿ كلما رزقوا ﴾ أى أطعموا ﴿ منها ﴾ أى من الجنة ﴿ من ثمرة رزقا ﴾ أى طعاما ﴿ قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ﴾ أى فى الدنيا وقيل أن ثمار الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم فأذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الاولى ﴿ وأتوا به ﴾ أى بالرزق ﴿ متشابها ﴾ قال ابن عباس مختلفا فى الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا فى الجودة لارداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم (م) عن جابر

والماء (كلما رزقوا منها) كلما اطعموا فيها فى الجنة (من ثمرة) من ألوان الثمرات (رزقا) طعاما (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) أطعمنا من قبل هذا (وأتوا به) جيؤا به بالطعام (متشابها) فى اللون مختلفا فى الطعم

حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته والضمير فى به يرجع الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل أنطوى تحته ذكر مارزقوه فى الدارين وأنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا اخر لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود أميل واذا رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا شاهد ماسلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استجابه به أكثر واستغرابه أوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الامر وتمادى الحال فى ظهور المزية وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم فى كل أوان أو الى الرزق كما أن هذا أشارة اليه والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذى نفس محمد بيده أن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فماهى بواصلة الى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك وقوله وأتوا به متشابها جملة معترضة للتقرير كقولك فلان أحسن بفلان ونعم مافعل ورأى من الرأى كذا وكان صوابا ومنه وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (ولهم فيها أزواج) أزواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار (مطهرة) من مساوى الاخلاق لاطمحات ولامرحات أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة ومالايختص بهن من البول والغائط وسائر الاقذار والادناس ولم تجمع الصفة كالموصوف لانهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة أبلغ لانها تكون للتكثير وفيها أشعار بأن مطهرا طهرهن وماذلك الا الله (وهم)

عليه بقوله هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره قوله عزوجل ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أى بجنسى الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق * فأن قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى الجنة من أطعمة الدنيا ألا الاسماء * قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وأن للآية الكريمة محملا آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة فى مقابلة مارزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذى رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبيعة وسوء الخلق فأن التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال

وأذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت

فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة * ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بأن مطهرا طهرهن وليس

ابن عبدالله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولايبولون ولايتغوطون ولايتمخطون ولايبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك * وفى رواية ورشحهم المسك * قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أى يجرى على ألسنتهم كما يجرى النفس فلا يشغلهم عن شئ كما أن النفس لايشغل عن شئ * قوله طعامهم جشاء يعنى أن فضول طعامهم يخرج فى الجشاء وهو تنفس المعدة * والرشح العرق * وقوله تعالى ﴿ ولهم فيها ﴾ أى فى الجنات ﴿ أزواج ﴾ أى من الحور العين ﴿ مطهرة ﴾ يعنى من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار وقيل هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوى الاخلاق قيل فى الجنة جماع ماشئت ولاولد

(ولهم فيها) فى الجنة (أزواج) جوار (مطهرة) مهذبة من الحيض والادناس

عز وجل (وهم فيها خالدون) الخلد والخلود البقاء الدائم الذى لاينقطع وفيه بطلان قول الجهمية فأنهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لانه تعالى وصف بأنه الاول والآخر وتحقيق وصف الاولية بسبقه على الخلق أجمع فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات وذا أنما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ولانه تعالى باق وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال قلنا الاول فى حقه هو الذى لا ابتداء لوجوده والآخر هو الذى لا انتهاء له وفى حقنا الاول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفى النقيصة والزوال وذا فى تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه وأنى يقع التشابه فى البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا مايشبه هذا

هو الا الله عز وجل * والزوج يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف * فأن قيل فائدة المطعوم هو التغذى ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى عنها فى الجنة * قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها أنما تشارك نظائرها الدنيوية فى بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها فى تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع مايلزمها وتفيد عين فائدتها ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ دائمون والخلد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام أو لم يدم ولذلك قيل للاثافى والاحجار خوالد وللجزء الذى يبقى من الانسان على حاله مادام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد فى قوله تعالى خالدين فيها أبدا لغوا واستعماله حيث لادوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا أو مجازا والاصل ينفيهما بخلاف مالو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم للانسان مثل قوله تعالى وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد منه الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن * فأن قيل الابدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنان * قلت أنه سبحانه وتعالى يعيدها بحيث لايعتورها الاستحالة بأن يجعل أجزاءها مثلا متقاومة فى الكيفية متساوية فى القوة لايقوى شئ منها على أحالة الآخر متعانقة متلازمة لاينفك بعضها عن بعض كما يشاهد فى بعض المعادن هذا وأن قياس ذلك العالم وأحواله على مانجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة * واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن

﴿ وهم فيها خالدون ﴾ أى لايخرجون منها ولايموتون * والخلد البقاء الدائم الذى لا انقطاع له (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء أضاءة لايبصقون ولايتمخطون ولايتغوطون ولايبولون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء * وفى رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لااختلاف بينهم ولاتباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء * قلت الجنة مابناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولايبأس ويخلد ولايموت ولاتبلى ثيابهم ولايفنى شبابهم أخرجه الترمذى بزيادة وقال ليس أسناده بذلك القوى * عن عبادة بن الصامت

(وهم فيها) فى الجنة (خالدون) دائمون لايموتون ولا يخرجون * ثم ذكر انكار اليهود لامثال

كلام الله فنزل (أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة) أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها وأصل الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم ولا يجوز على القديم التغير وخوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وأطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدي بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة أبهمته أبهاما وزادته عموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قال لا يستحيي أن يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه

والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فأن كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية عن شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعدلهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ﴿ أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة ﴾ لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فأن التمثيل أنما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وأبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فأن المعنى الصرف أنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وأن كان الممثل أعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء بأثارة الزنابير وجاء في كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين وأصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها أقل من الذباب وأخس قدرا منه الله سبحانه وتعالى أعلى وأجل من أن يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وأيضا لما أرشدهم الى ما يدل على أن المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال تعالى أن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يمثل بها لحقارتها * والحياء انقباض النفس

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فأذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذي (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد أزدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد أزددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد أزددتم بعدنا حسنا وجمالا * عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * قوله تعالى ﴿ أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة

القرآن فقال (أن الله لا يستحيي) لا يترك وكيف يستحيي من ذكر شيء لو اجتمع الخلائق كلهم على تخليقه ما قدروا عليه ولا يمنعه الحياء (أن يضرب مثلا) أن يبين للخلق مثلا (ما بعوضة) في بعوضة

عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فأنه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارى سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث أن الله يستحيي من ذى الشيبة المسلم أن يعذبه أن الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما أن المراد من رحمته وغضبه أصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف أبلا

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت في أناء من الورد

وأنما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة أن يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم وأصله وقع شيء على آخر وأن بصلتها مخفوض المحل عند الخليل بأضمار من منصوب بأفضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما أبهامية تزيد النكرة أبهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك أعطنى كتابا ما أي أي كتاب كان أو مزيدة للتأكيد كالتي في قوله سبحانه وتعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فأن القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وأنما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه * وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب * ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة أو هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على أنه خبر مبتدأ وعلى هذا تحتمل ما وجوها أخر أن تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار ودينار ان * والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش ﴿ فما فوقها ﴾ عطف على بعوضة أو ما أن جعلت اسما ومعناه وما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فأنه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روى أن رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة

فما فوقها ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون أنا لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على أيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى أن الله لا يستحيي * الحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا أصله

أو انتصبا مفعولين على أن ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت (فما فوقها) فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة أو فما زاد عليها في الحجم كأنه أراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما أكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهو النهاية في الصغر لان جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فما فوقها) فكيف ما فوقها يعني الذباب والعنكبوت

مثلا للدنيا (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق) الضمير للمثل أولان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ أنكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب (من ربهم) في موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) ويوقف عليه اذ لو وصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وأما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فأذا قصدت توكيده وأنه لا محالة ذاهب قلت أما زيد فذاهب ولذا قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شئ فزيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا وأنه في معنى

رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فأنه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الألم كالخرور أو مازاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ أما حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب أي هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا أيلاءها حرف الشرط فأدخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به أحماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في أنه للمثل أو لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق أي محكم النسج ﴿ وأما الذين كفروا فيقولون ﴾ كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ يحتمل وجهين أن تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وأن تكون ما مع

في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فأذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق الانسان من خوف أن ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فأذا ورد وصف الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا أي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود * ما قيل ما صلة فيكون المعنى أن يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للابهام والنكرة * والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فأنه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى أن الجمل يموت من قرصه * فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو أعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لان الغرض بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشئ الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو أصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو أحقر من ذرة وأجمع من نملة وأطيش من ذبابة وألح من ذبابة ﴿ فأما الذين آمنوا ﴾ يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿ فيعلمون أنه ﴾ يعني ضرب المثل ﴿ الحق ﴾ يعني الصدق ﴿ من ربهم ﴾ الثابت الذي لا يجوز أنكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب ﴿ وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ أي بهذا المثل

ويقال ما دونها (فأما الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (فيعلمون أنه) يعني المثل (الحق) أي هو الحق (من ربهم وأما الذين كفروا) بمحمد والقرآن (فيقولون ماذا أردا الله بهذا مثلا) أي بهذا المثل قل يا محمد ان الله أراد بهذا المثل أنه

(يضل)

الشرط وفى ايراد الجملتين مصدرتين به وأن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون اجاد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق ونعى على الكافرين اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء وماذا فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى ومااستفهاما فيكون كلمتين وأن تكون ذا مركبة معما مجعولتين اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة فما على الاول رفع بالابتداء وخبره ذامع صلته أى أراد والعائد محذوف وعلى الثانى منصوب المحل بأراد والتقدير أى شئ أراد الله والارادة مصدر أردت الشئ اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهى عند المتكلمين معنى يقتضى تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة عند أهل السنة وقال معتزلة بغداد أنه تعالى لايوصف بالارادة على الحقيقة فاذا قيل أراد الله كذا فان كان فعله فمعناه أنه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه وأن كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة ﴿٩١﴾ وأهل الهدى كثير {سورة البقرة} فى أنفسهم وأنما يوصفون بالقلة بالقياس الى اهل الضلال ولان القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة وأن قلوا فى الصورة فأن الكرام كثير فى البلاد وأن قلوا كما غيرهم قل وان كثروا والاضلال خلق فعل الضلال فى العبد والهداية خلق فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند أهل السنة وسياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل أنما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى وأدناء المتوهم من المشاهد فأن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به كذلك وأن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ألا ترى ان الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل على قضية مضربه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والنظر فى الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه الحق وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وأن ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وخشاش الارض فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ

ذا اسما واحدا بمعنى أى شئ منصوب المحل على المفعولية مثل ما أراد الله والاحسن فى جوابه الرفع على الاول والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه وتقال للقوة التى هى مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى سبحانه وتعالى به ولذلك اختلف فى معنى أرادته سبحانه وتعالى فقيل أرادته لافعاله أنه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصى بأرادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فأنه يدعو القادر الى تحصيله والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح وهى أعم من الاختيار فأنه ميل مع تفضيل وفى هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز أو الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية ﴿ يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ﴾ جواب ماذا أى أضلال كثير وأهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقا هدى وبيان وأن الجهل بوجه أيراده

﴿ يضل به كثيرا ﴾ أى من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا ﴿ ويهدى به كثيرا ﴾ يعنى المؤمنين يصدقونه

(يضل به كثيرا) من اليهود عن الدين (ويهدى به كثيرا)

من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من فراشة وآكل من السوس وأضعف من البعوضة وأعز من مخ البعوض ولكن ديدن
المحجوج والمبهوت أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار اللائح (ومايضل به
ألا الفاسقين) هو مفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد وفي الشريعة الخروج عن الامر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك مايبطله أن شاء الله (الذين ينقضون عهد الله) النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا وعهد الله ماركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوا واتبعوه ولم يكتموا ذكره أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم الاية وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به (أي

والانكار لحسن مورده ضلال وفسق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى أنفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فأن المهديين قليلون بالاضافة الى أهل الضلال كما قال سبحانه وتعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل أن يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال

قليل أذا عدوا كثير أذا شدوا

وقال أن الكرام كثير في البلاد وأن * قلوا كما غيرهم قل وأن كثروا

﴿ ومايضل به ألا الفاسقين ﴾ أي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى أن المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها أذا خرجت وأصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة

فواسقا عن قصدها جوائرا

والفاسق في الشرع الخارج عن أمر الله سبحانه وتعالى بأرتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث * الاولى التغابي وهو أن يرتكبها أحيانا مستقبحا أياها * والثانية الانهماك وهو أن يعتاد أرتكابها غير مبال بها * والثالثة الجحود وهو أن يرتكبها مستصوبا أياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر ومادام هو في درجة التغابي أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان لقوله تعالى وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على أنه الذي أعدهم للاضلال وأدى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق وأصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وأزدادت ضلالتهم فأنكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع ﴿ الذين ينقضون عهد الله ﴾ صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب وأصله في طاقات الحبل واستعماله في أبطال العهد من حيث أن العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر فأن أطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وأن ذكر مع العهد كان رمزا الى ماهو من روادفه وهو أن العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس فأن فيه تنبيها على أنه أسد في شجاعته بحر بالنظر الى أفادته * والعهد الموثق ووضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث أنها تراعى بالرجوع

ويعلمون أنه حق ﴿ ومايضل به ألا الفاسقين ﴾ يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود * والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ الذين ينقضون ﴾ أي يخالفون ويتركون * وأصل النقض الفسخ وفك المركب ﴿ عهد الله ﴾

من المؤمنين (ومايضل به) بالمثل (ألا الفاسقين) اليهود (الذين ينقضون عهد الله) في هذا النبي صلى الله عليه

العلماء وهو قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (من بعد ميثاقه) أصله من الوثاقة وهى احكام الشئ والضمير للعهد وهو ماوثقوا به عهدالله من قبوله والزامه

اليها او التاريخ لانه يحفظ وهذا العهد أما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعليه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم أو المأخوذ بالرسل على الامم بأنهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه واليه أشار بقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة عهد أخذه على جميع ذرية آدم بأن يقروا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بأن يقيموا الدين ولايتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولايكتموه ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاحكام والمراد به ماوثق الله به عهده من الآيات والكتب أوما وثقوا به من الالتزام والقبول ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فأن ابتداء النقض بعد الميثاق ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ يحتمل كل قطيعة لايرضاها الله سبحانه وتعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم الصلاة السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر مافيه رفض خير أو تعاطى شر فأنه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمى الامر الذى هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فأنه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على أنه بدل من ما أو ضميره والثانى أحسن لفظا ومعنى ﴿ ويفسدون فى الارض ﴾ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ الذين خسروا بأهمال العقل عن النظر واقتناص مايفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الآيات بالايمان بها والنظر فى حقائقها والاقتباس من أنوارها واشتراء النقض بالوفاء

أى أمر الله وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ أى من بعد عقده وتوكيده * وفى معنى هذا العهد أقوال * أحدها أنه الذى أخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى * الثانى المراد به الذى أخذه على أحبار اليهود فى التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته * الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزل فى كتابه من الآيات الدالة على توحيده ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ يعنى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل أراد به قطع الارحام التى أمر الله بوصلها ﴿ ويفسدون فى الارض ﴾ يعنى بالمعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ أى المغبونون وأصل الخسار النقص * ثم قال تعالى لمشركى العرب

أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد بمعنى الوعد أو الله تعالى أى من بعد توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية (ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل هو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين أو قطعهم مابين الانبياء من الوصلة و الاجتماع على الحق فى أيمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى وأن يوصل فى موضع جر بدل من الهاء أى بوصله أو فى موضع رفع أى هو أن يوصل (ويفسدون فى الارض) بقطع السبيل والتعويق عن الايمان (أولئك) مبتدأ (هم) فصل والخبر (الخاسرون) أى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب

وسلم (من بعد ميثاقه) تغليظه وتشديده وتأكيده (ويقطعون ماأمر الله به) من الايمان والارحام (أن يوصل) بمحمد (ويفسدون فى الارض) بتعويق الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك هم الخاسرون) المغبونون بذهاب

والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب ﴿كيف تكفرون بالله﴾ استخبار فيه أنكار وتعجيب لكفرهم بأنكار الحال التى يقع عليها على الطريق البرهانى لان صدوره لاينفك عن حال وصفة فأذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك أنكار وجوده فهو أبلغ وأقوى فى أنكار الكفر من أتكفرون وأوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى أخبرونى على أى حال تكفرون ﴿وكنتم أمواتا﴾ أى أجساما لاحياة لها عناصر وأغذية وأخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة ﴿فأحياكم﴾ بخلق الارواح ونفخها فيكم وأنما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى ﴿ثم يميتكم﴾ عند تقضى آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ بالنشور يوم نفخ الصور أو للسؤال فى القبور ﴿ثم اليه ترجعون﴾ بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم أو تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالتكم هذه * فأن قيل أن علموا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم اليه يرجعون * قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على مايدل على صحتهما وهو أنه سبحانه وتعالى لما قدر على أحيائهم أولا قدر على ان يحييهم ثانيا فأن بدأ الخلق ليس بأهون عليه من أعادته أو الخطاب مع القبيلين فأن سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان وأوعدهم على الكفر أكد ذلك بأن عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فأن عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم * فأن قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر * قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال الله سبحانه وتعالى وأن الدار الآخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فأن بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لايصح أن يقع حالا أو مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم أمواتا أى جهالا فأحياكم بما أفادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة فى القوة الحساسة أو ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجازا

على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم ﴿كيف تكفرون بالله﴾ يعنى بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته * ثم ذكر الدلائل فقال تعالى ﴿وكنتم أمواتا﴾ يعنى نطفا فى أصلاب آبائكم ﴿فأحياكم﴾ يعنى فى الارحام والدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ أى عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ يعنى بعد الموت للبعث ﴿ثم اليه ترجعون﴾ أى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم * قوله عز وجل

(كيف تكفرون بالله) معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم مايصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو فى (وكنتم أمواتا) نطفا فى أصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قول ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضا كقوله تعالى بلدة ميتا (فأحياكم) فى الارحام (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم اليه ترجعون) تصيرون الى الجزاء أو ثم يحييكم فى قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور وأنما كان العطف الاول بالفاء والبواقى بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بلا تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت أن أريد النشور وأن أريد أحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء أيضا متراخ عن النشور وانما أنكر اجتماع الدنيا والآخرة (كيف تكفرون بالله) على وجه التعجيب (وكنتم أمواتا) نطفا فى أصلاب آبائكم (فأحياكم) فى أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقطاع آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم اليه ترجعون) فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم ثم (هو)

فى القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث أنها كمالها وغايتها والموت بأزائها يقال على مايقابلها فى كل مرتبة قال سبحانه وتعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها وقال أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس واذا وصف بها البارى تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن ﴿ هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ﴾ بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فأنها خلقهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى وهذه خلق مايتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح أبدانكم بوسط أو بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لمايلايمها من لذات الآخرة وآلامها لاعلى وجه الغرض فأن الفاعل لغرض مستكمل به بل على أنه كالغرض من حيث أنه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى أباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فأنه يدل على أن الكل للكل لاأن كل واحد لكل واحد وما يعم كل مافى الارض لاالارض ألا اذا أريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثانى ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ قصد اليها بأرادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ وأصل الاستواء طلب السواء وأطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولايمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

والاول أوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية أو جهات العلو * وثم لعله لتفاوت مابين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لاللتراخى فى الوقت فأنه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فأنه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق مافيها عن خلق السماء وتسويتها ألا أن تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم أشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر أمرها

﴿ هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ﴾ يعنى من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار * والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم مافى الارض جميعا لتنتفعوا به فى مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر فى عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ أى قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفى رواية عنه صعد قال الازهرى معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك أن الله

آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولانها تشتمل على نعم جسام حقها أن تشكر ولاتكفر (هو الذى خلق لكم مافى الارض) أى لاجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم أما الاول فظاهر وأما الثانى فالنظر فيه ومافيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم ومافيه من التذكير بالآخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها وقد استدل الكرخى وأبو بكر الرازى والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الاشياء التى يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة فى الاصل (جميعا) نصب على الحال من ما (ثم استوى الى السماء) الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود قام واعتدال ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل أى قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ ومنه قوله تعالى ثم استوى

ذكر منة عليهم فقال (هو الذى خلق لكم) سخر لكم (مافى الارض) من الدواب والنبات وغير ذلك (جميعا) منة منه (ثم استوى الى السماء) أى ثم عمد الى خلق

الى السماء أى أقبل وعمد الى خلق السموات بعدما خلق ما فى الارض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر والمراد بالسماء جهة العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير فى (فسواهن) مبهم يفسره (سبع سموات) كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء ولفظها

واحد ومعناها الجمع لانها فى معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاءه من العوج والفتور او أتمام خلقهن وثم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فتأخر وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منها السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله تعالى كانتا رتقا وهو الالتزاق (وهو بكل شئ عليم) فمن ثمه خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم وهو وأخواته مدنى غير ورش وأبو عمرو وعلى جعلوا الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون فى عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الارض أسكن فيها الجن وأسكن فى السماء الملائكة فأفسدت الجن فى الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال وأقاموا (كا)

بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر ﴿ فسواهن ﴾ عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء أن فسرت بالاجرام لانه جمع أو هو فى معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا ﴿ سبع سموات ﴾ بدل أو تفسير * فأن قيل أليس أن أصحاب الارصاد أثبتوا تسعة أفلاك * قلت فيما ذكره شكوك وأن صح فليس فى الآية نفى الزائد مع أنه أن ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف ﴿ وهو بكل شئ عليم ﴾ فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع * واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فأن اتقان الافعال وأحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور ألا من حكيم عليم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من أن الابدان بعد ما تبددت وتفتتت أجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شئ منها ولا ينضم اليها مالم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله سبحانه وتعالى وهو بكل خلق عليم * واعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها فى هاتين الآيتين * اما الاولى فهى أن مواد الابدان قابلة للجمع والحياة وأشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم فأن تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى أن يزول ويتغير * وأما الثانية والثالثة فأنه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها وأشار الى وجه اثباتهما بأنه سبحانه وتعالى قادر على أبدائهم وأبداهم وماهو أعظم خلقا وأعجب صنعا فكان أقدر على اعادتهم وأحيائهم وأنه تعالى خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهى علمه وكمال حكمته

تعالى خلق الارض أولا ثم عمد الى خلق السماء * فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها * قلت الدحو البسط فيحتمل أن الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك * فأن قلت هذا مشكل أيضا لان قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا يقتضى أن ذلك لا يكون ألا بعد الدحو * قلت يحتمل أنه ليس هنا ترتيب وأنما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه ألم أعطك ألم أرفع قدرك ألم أدفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم ﴿ فسواهن سبع سموات ﴾ خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتى ذكر خلق الارض عند قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين فى صورة حم السجدة أن شاء الله تعالى ﴿ وهو بكل شئ عليم ﴾ يعنى يعلم الجزئيات

السماء (فسواهن) فجعلهن (سبع سموات) مستويات على الارض (وهو بكل شئ) من خلق السموات والارض (عليم) ثم ذكر قصة الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم فقال

جلت قدرته ودقت حكمته وقدسكن نافع وأبو عمرو والكسائى الهاء من نحو فهو وهو تشبيهاله بعضد ﴿ وأذقال ربك للملائكة أنى جاعل فى الارض خليفة ﴾ تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فأن خلق آدم وأكرامه وتفضيله على ملائكته بأن أمرهم بالسجود أنعام يعم ذريته* واذظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرى ولذلك يجب أضافتهما الى الجمل كحيث فى المكان وبنيتا تشبيها لهما بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب أبدا بالظرفية فأنهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه وأما قوله تعالى واذكر أخاعاد اذ أنذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه وعامله فى الآية قالوا أو اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا فى القرآن كثيرا أو مضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذقال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة فى حكم الصلة وعن معمر أنه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهى الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله سبحانه وتعالى أوكالرسل اليهم واختلف الناس فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المسلمين الى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء أنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق سبحانه وتعالى والتنزه عن الاشتغال

كما يعلم الكليات*قوله تعالى ﴿ وأذ قال ربك ﴾ أى واذكر يا محمد أذقال ربك وكل ماورد فى القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول أوجه ﴿ للملائكة ﴾ جمع ملك وأصله مألك من المألكة والالوكة وهى لفظ البغوى وهى الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك أن الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم أبليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوهم الارض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله أبليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه ماأعطانى الله هذا الملك ألالانى أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده ﴿ أنى جاعل فى الارض خليفة ﴾ أى أنى خالق خليفة يعنى بدلا منكم ورافعكم الى فكرهوا ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح أنه أنما سمى خليفة لانه خليفة

والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع (أنى جاعل) أى مصير من جعل الذى له مفعولان وهما (فى الارض خليفة) وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف أوخلفاء لانه أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغنى بذكر أبى القبيلة فى قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أوخلفا يخلفكم فوحد لذلك أوخليفة منى لان آدم كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى قال الله تعالى ياداود أنا جعلناك خليفة فى الارض وأنما أخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم أوليعلم عباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها وأن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن

(وأذ قال) وقد قال (ربك للملائكة) الذين كانوا فى الارض (أنى جاعل) خالق أخلق (فى الارض)

بغيره كما وصفهم فى محكم تنزيله فقال سبحانه وتعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ماسبق به القضاء وجرى به القلم الالهى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون وهم المدبرات أمرا فمنهم سماوية ومنهم أرضية على تفصيل أثبته فى كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل أبليس ومن كان معه فى محاربة الجن فأنه تعالى أسكنهم فى الارض أولا فأفسدوا فيها فبعث عليهم أبليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم فى الجزائر والجبال* وجاعل من جعل الذى له مفعولان وهما فى الارض خليفة أعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز أن يكون بمعنى خالق* والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لانه كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى استخلفهم الله فى عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله سبحانه وتعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ألا ترى أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار أرسل اليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فى الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك فى الطبيعة أن العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك أو خليفة من سكن الارض قبله أوهو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضا وأفراد اللفظ أما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر أبى القبيلة فى قولهم مضر وهاشم أو على تأويل من يخلفكم أو خلقا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه وأظهار فضله الراجح على مافيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان أن الحكمة تقتضى أيجاد مايغلب خيره فأن ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ تعجب من أن يستخلف لعمارة الارض وأصلاحها من يفسد فيها أو يستخلف مكان أهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره وليس باعتراض على الله سبحانه وتعالى ولا طعن فى بنى آدم على وجه الغيبة فأنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله سبحانه وتعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وأنما عرفوا ذلك بأخبار من الله سبحانه وتعالى أو تلق

الله فى أرضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ أى بالمعاصى ﴿ ويسفك الدماء ﴾ أى بغير حق كما فعل الجن* فأن قلت من أين عرفوا ذلك

المشاورة (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذى لا يجهل وأنما عرفوا ذلك بأخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر (ويسفك الدماء) أى يصب والواو فى

من الارض (خليفة) بدلا منكم (قالوا أتجعل فيها) أتخلق فيها (من يفسد فيها) بالمعاصى (ويسفك الدماء)

(حتى)

من اللوح أو استنباط مما ركز فى عقولهم أن العصمة من خواصهم أو قياس لاحد الثقلين على الآخر * والسفك والسبك والسفح والشن أنواع من الصب فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصب من أعلى والشن فى الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا أو موصوفا محذوفا أى يسفك الدماء فيهم ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ حال مقررة لجهة الاشكال كقولك أتحسن الى أعدائك وأنا الصديق المحتاج القديم والمعنى أنستخلف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ماهو متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا أن المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تؤديه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة فى استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه وأما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا

حتى قالوا هذا القول * قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بأخبار الله أياهم أو قاسوا الشاهد على الغائب وقيل أنهم لما رأوا أن آدم خلق من أخلاط مركبة علموا أنه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصانى فلما قال أنى جاعل فى الارض خليفة قالوا هو ذلك * فأن قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض * قلت ذهب بعضهم الى أنهم غير معصومين واستدل على ذلك بوجوه منها قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال أنما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فأنهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى وأحاطة علمه بما خفى عليهم ولهذا أجابهم بقوله أنى أعلم ما لا تعلمون وقيل أن العبد المخلص فى حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة فى أعظام الله عز وجل ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ أى نقول سبحان الله وبحمده وهى صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما جاء فى القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلى لك وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فأنه لولا أنعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك ﴿ ونقدس لك ﴾ أصل التقديس التطهير أى نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو

(ونحن نسبح) للحال كما تقول أتحسن الى فلان وأنا أحق منه بالاحسان (بحمدك) فى موضع الحال أى نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى وقد دخلوا بالكفر أى دخلوا كافرين (ونقدس لك) ونطهر أنفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء من سبح فى الارض وقدس فيها اذا ذهب

بالظلم (ونحن نسبح بحمدك) نصلى لك بأمرك (ونقدس لك) ونذكرك بالطهارة

أن التركيب يفيد ماتقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف واليه أشار تعالى اجمالا بقوله ﴿قال أنى أعلم مالا تعلمون﴾ والتسبيح تبعيد الله سبحانه وتعالى عن السوء والنقصان وكذلك التقديس من سبح فى الارض والماء وقدس فى الارض اذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشئ مبعده عن الاقذار وبحمدك فى موضع الحال أى متلبسين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما أوهم أسناد التسبيح الى أنفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو أعظم الافعال الذمية بتطهير

والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك ﴿ قال أنى أعلم مالا تعلمون ﴾ قيل أنه جواب لقول الملائكة أتجعل فيها فقال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة مالا تعلمون وقيل أعلم أن فيهم من يعبدنى ويطيعنى وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصينى منكم وهو أبليس وقيل أعلم أنهم يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم

فصل فى ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه الصلاة والسلام

قيل أن الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تقدر أن تتشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات * عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أربع أصابع ألا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى بزيادة وقال حديث حسن غريب * وأما صفة خلق آدم عليه الصلاة والسلام فقال وهب بن منبه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى الى الارض أنى خالق منك خليفة منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار قالت الارض أتخلق منى خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلما أتاها ليقبض منها قالت أعوذ بعزة الله الذى أرسلك الى أن لا تأخذ منى شيأ فرجع جبريل الى مكانه وقال يارب استعاذت بك منى فكرهت أن أقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فأتنى بقبضة منها فلما أتاها ليقبض منها قالت له مثل ماقالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ماقالت له فقال لعزرائيل انطلق فأتنى بقبضة من الارض فلما أتاها قالت له الارض أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن لا تأخذ منى شيأ فقال وأنا أعوذ بعزته أن أعصى له أمرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الارض وبما ورد عليها فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لأخلقن مما جئت به خلقا ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها فى الجنة ونصفها فى النار ثم تركها ماشاء الله ثم أخرجها

فيها وأبعد (قال أنى أعلم مالا تعلمون) أى أعلم من الحكم فى ذلك ماهو خفى عليكم يعنى يكون فيهم الانبياء والاولياء والعلماء وما بمعنى الذى وهو مفعول أعلم والعائد محذوف أى مالا تعلمونه أنى

(قال أنى أعلم) مايكون من ذلك الخليفة (مالا تعلمون)

النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة ﴿ وعلم آدم الاسماء كلها ﴾ أما بخلق علم ضرورى بها فيه أو إلقاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل * والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم * وآدم اسم أعجمى كآزر وشالخ

فعجنها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا رأوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لأمر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو أجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة أن فضل هذا عليكم ماتصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس فى نفسه لئن فضل على لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل فى جسد آدم فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف أدخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها وستخرجين منه كرها فدخلت فى يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى أن وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهى أول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك يا أبا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا وأحشاء وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم وجعل فى جسده تسعة أبواب سبعة فى رأسه وهى الاذنان يسمع بهما و العينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويجد لذة المطعومات بها وبابين فى أسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله فى دماغه وفكره وصرامته فى قلبه وشرهه فى كليته وغضبه فى كبده ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه فى وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنه على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطوف به ينظر ماهو فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك * عن ابى موسى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه الترمذى وأبو داود ﴿ قوله عز وجل ﴿ وعلم آدم الاسماء كلها ﴾ سمى آدم لانه خلق من أديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وقيل أبو البشر * ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه أسماء الاشياء

حجازى وأبو عمرو (وعلم آدم) هو اسم أعجمى وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم آدم من أديم الارض أو من الادمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس (الاسماء كلها) أى أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء اذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الاسماء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لان التعليم تعلق بالاسماء لا بالمسميات لقوله تعالى أنبئونى بأسماء هؤلاء وأنبئهم بأسمائهم ولم يقل أنبئونى بهؤلاء وأنبئهم بهم ومعنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه الاجناس التى خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضى الله عنهما علمه اسم كل شئ حتى القصعة

وعلم آدم الاسماء كلها) أسماء الذرية ويقال أسماء الدواب وغير ذلك حتى القصعة والقصيعة

واشتقاقه من الادمة أو الادمة بالفتح بمعنى الاسوة أو من أديم الارض لماروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه سبحانه وتعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه أخيافا أو من الادم أو الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب من العقب وأبليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق مايكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أو مفردا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد الدال على معنى فى نفسه غير مقترن بأحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الآية أما الاول أو الثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعانى. والمعنى أنه سبحانه وتعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذالتقدير أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما أن أريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء أومدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب مااشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها ﴿ فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ﴾ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فأن التصرف والتدبير وأقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء أخبار فيه أعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ فى زعمكم أنكم أحقاء بالخلافه لعصمتكم أو أن خلقهم واستخلافهم

والمغرفة (ثم عرضهم على الملائكة) أى عرض المسميات وأنما ذكر لان فى المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت (فقال أنبؤنى) أخبرونى (بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين) فى زعمكم أنى استخلف فى الارض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى اصول الفوائد كلها مايستأهلون

كلها وذلك أن الملائكة قالوا ليخلق ربنا ماشاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وأن كان فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا مالم يره فأظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب أهل السنة أن الانبياء أفضل من الملائكة وأن كانوا رسلا قال ابن عباس رضى الله عنهما علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شئ من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم أسماءها كلها فقال ياآدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها وقيل علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها ﴿ ثم عرضهم ﴾ يعنى تلك الاشخاص وأنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لايعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور ﴿ على الملائكة فقال ﴾ يعنى تعجيزا لهم ﴿ أنبؤنى ﴾ أى أخبرونى ﴿ بأسماء هؤلاء ﴾ يعنى تلك الاشخاص ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ أى أنى لم أخلق خلقا ألا كنتم أفضل منه وأعلم

والسكرجة (ثم عرضهم) على مذهب الشخوص (على الملائكة) الذين أمروا بالسجود (فقال أنبئونى) أخبرونى (بأسماء هؤلاء) الخلق والذرية (أن كنتم صادقين) فى مقالتكم الاولى

وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم فتبينوا وهو وأن لم يصرح جوابه لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت ﴿ قالوا سبحانك لاعلم لنا ألا ما علمتنا ﴾ اعتراف بالعجز والقصور وأشعار بأن سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وأنه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الانسان والحكمة فى خلقه وأظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه سبحانه وتعالى * وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل ألا مضافا منصوبا بأضمار فعله كمعاذ الله وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ فى قوله

سبحان من علقمة الفاخر

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه الصلاة والسلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك أنى كنت من الظالمين ﴿ أنك أنت العليم ﴾ الذى لا يخفى عليه خافية ﴿ الحكيم ﴾ المحكم لمبدعاته الذى لا يفعل ألا ما فيه حكمة بالغة * وأنت فصل وقيل تأكيد للكاف كما فى قولك مررت بك أنت وأن لم يجز مررت بأنت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ فى المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر أن ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ أى أعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما ﴿ فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ استحضار لقوله أعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فأنه تعالى لما علم ما خفى عليهم من أمور السموات والارض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون * وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو أن يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه سبحانه وتعالى لا يخلق خلقا أفضل منهم وقيل ما أظهروا من الطاعة وأسر أبليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فأفادت الاثبات والتقرير * واعلم أن هذه

﴿ قالوا ﴾ يعنى الملائكة ﴿ سبحانك ﴾ تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم ﴿ لا علم لنا ألا ما علمتنا ﴾ أى أنك أجل من أن نحيط بشئ من علمك ألا ما علمتنا ﴿ أنك أنت العليم ﴾ أى بخلقك وهو من بأسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات ﴿ الحكيم ﴾ أى فى أمرك وله معنيان أحدهما أنه القاضى العدل والثانى المحكم للامر كيلا يتطرق اليه الفساد ﴿ قال ﴾ يعنى الله تعالى ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شى باسمه وذكر وجه الحكمة التى خلق لها ﴿ فلما أنبأهم بأسمائهم قال ﴾ يعنى الله تعالى ﴿ ألم أقل لكم ﴾ يعنى يا ملائكتى ﴿ أنى أعلم غيب السموات والارض ﴾ يعنى ما كان وما سيكون وذلك أنه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقه فلهذا قال لهم أعلم ما لا تعلمون ﴿ وأعلم ما تبدون ﴾ يعنى قول الملائكة أتجعل فيها ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ يعنى قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه منا وقال ابن عباس رضى الله عنهما أعلم ما تبدون من الطاعة

أوعن الاعتراض عليك فى تدبيرك وأفادتنا الآية أن علم الاسماء فوق التخلى للعبادة فكيف بعلم الشريعة وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحا (لا علم لنا ألا ما علمتنا) وليس فيه علم الاسماء وما بمعنى الذى والعلم بمعنى المعلوم أى لا معلوم لنا ألا الذى علمتنا (أنك أنت العليم) غير المعلم (الحكيم) فيما قضيت وقدرت والكاف اسم أن وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر أن أو أنت فصل والخبر العليم والحكيم خبر ثان (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم) سمى كل شئ باسمه (قال ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والارض) أى أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون (وأعلم ما تبدون) تظهرون (وما كنتم تكتمون)

(قالوا سبحانك) تبنا اليك من ذلك (لا علم لنا ألا ما علمتنا) الهمتنا (أنك أنت العليم) بناو بهم (الحكيم) بأمرنا وبأمرهم (قال يا آدم أنبئهم) أخبرهم (بأسمائهم فلما أنبأهم) أخبرهم (بأسمائهم قال ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والارض) غيب ما يكون فى السموات والارض (وأعلم ما تبدون) ما تظهرون لربكم من الطاعة لآدم (وما كنتم تكتمون) منه ويقال ما أبدى لهم أبليس وما كتم منهم

الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأنه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وأن التعليم يصح أسناده الى الله تعالى وأن لم يصح أطلاق المعلم عليه لاختصاصه عن يحترف به وأن اللغات توقيفية فأن الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص أوعموم وتعليمها ظاهر فى ألقائها على المتعلم مبيناله معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع والاصل ينفى أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله سبحانه وتعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والالتكرر قوله أنك أنت العليم الحكيم وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك فى الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله سبحانه وتعالى وما منا الاله مقام معلوم وأن آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه أعلم منهم والاعلم أفضل لقوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون وأنه سبحانه وتعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها ﴿ وأذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ لما أنبأهم بالاسماء وعلمهم مالم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافا بفضله وأداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل أمرهم به قبل أن يسوى خلقه لقوله سبحانه وتعالى فأذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين امتحانا لهم وأظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق أن نصبته بمضمر وألا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بأسرها على القصة الاخرى وهى نعمة رابعة عدها عليهم * والسجود فى الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر

ترى الاكم فيها سجدا للحوافر

وقال

وقلن له اسجد لليلى فأسجدا

يعنى البعير اذا طأطأ رأسه * وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأموربه أما المعنى الشرعى فالمسجود له بالحقيقة هو الله سبحانه وتعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه أوسببا لوجوبه فكأنه سبحانه وتعالى لما خلقه بحيث يكون أنموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ونسخة لما فى العالم الروحانى والجسمانى وذريعة للملائكة الى استيفاء ماقدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ماتباينوا فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما أنعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام فى قول حسان رضى الله تعالى عنه

أليس أول من صلى لقبلتكم * وأعرف الناس بالقرآن والسنن

أوفى قوله تعالى أقم الصلوة لدلوك الشمس وأما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود أخوة يوسف له أوالتذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ماينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام فى أن المأمورين بالسجود الملائكة كلهم أوطائفة منهم

تسرون (وأذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أى اخضعواله وأقروا بالفضل له عن أبى بن كعب وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا على الذقن والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الارض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام فى الصحيح اذلوكان لله تعالى لماامتنع عنه أبليس وكان سجود التحية جائزا فيمامضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجدله لاينبغى لمخلوق أن يسجد لاحد الالله تعالى

(وأذقلنا) وقد قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم) سجدة التحية

وماكنتم تكتمون يعنى أبليس من المعصية * قوله عزوجل ﴿ وأذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا سكان الارض والاصح أنه

ماسبق ﴿ فسجدوا ألا أبليس أبى واستكبر ﴾ امتنع عما أمر به إستكبارا من أن يتخذه وصلة فى عبادة ربه أويعظمه ويتلقاه بالتحية أو يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه *والاباء امتناع باختيار والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع ﴿وكان من الكافرين﴾ أى فى علم الله تعالى أو صار منهم باستقباحه أمر الله تعالى أياه بالسجود لآدم واعتقادا بأنه أفضل منه والافضل لايحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما أشعر به قوله أنا خير منه جوابا لقوله مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين لابترك الواجب وحده *والآية تدل على أن آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وأن أبليس كان من الملائكة وألا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى ألا أبليس كان من الجن لجواز أن يقال أنه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما روى أن من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم أبليس ولمن زعم أنه لم يكن من الملائكة أن يقول أنه كان جنيا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه أو الجن أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فأنه اذا علم أن الاكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به علم أن الاصاغر أيضا مأمورون به *والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود ألا أبليس وأن من الملائكة من ليس بمعصوم وأن كان الغالب فيهم العصمة كما أن من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لايخالف الشياطين بالذات وأنما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن

خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون ألا أبليس ﴿فسجدوا﴾ يعنى الملائكة *وفى هذا السجود قولان أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وأنما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لاسجود عبادة كسجود أخوة يوسف له فى قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وفى سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لامره* والقول الثانى أن آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى وفى هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة فى تفضيل الانبياء على الملائكة ﴿ألا أبليس﴾ سمى به لانه أبلس من رحمة الله أى يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمى أبليس وغيرت صورته قال ابن عباس رضى الله عنهما كان أبليس من الملائكة بدليل أنه استثناه منهم وقيل أنه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما أن آدم أصل الانس والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم ﴿أبى﴾ أى امتنع من السجود فلم يسجد ﴿واستكبر﴾ أى تكبر وتعظم عن السجود لآدم ﴿وكان من الكافرين﴾ أى فى علم الله تعالى فأنه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال

رضى الله عنهم ولان الاصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه ولهذا قال مامنعك ألا تسجد اذ أمرتك وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ولانه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ولانه أبى وعصى واستكبر والملائكة لايعصون الله ما أمرهم ولايستكبرون عن عبادته ولانه قال أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ أن الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) تكبر عنه (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين بأبائه واستكباره ورده الامر

(فسجدوا ألا ابليس أبى) عن أمر الله (واستكبر) تعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) بعدو صار من الكافرين بأبائه عن أمر الله ويقال وكان

يشملهما وكان أبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما أشار اليه بقوله عز وعلا ألا أبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه * لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضى الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال خلقت الملائكة من النور وخلقت الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فأن المراد بالنور الجوهر المضئ والنار كذلك غير أن ضوأها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فأذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله سبحانه وتعالى * ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وأنه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الأئتمار لامره وترك الخوض فى سره وأن الامر للوجوب وأن الذى علم الله من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وأن كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا أبى الحسن الاشعرى رحمه الله تعالى ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ السكنى من السكون لانها استقرار ولبث * وأنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه وأنما لم يخاطبهما أولا تنبيها على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له * والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم أنها لم تخلق بعد قال أنه بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى أرض الهند كما فى قوله تعالى

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله وفى رواية ياويلتاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار * قوله عز وجل ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ أى اتخذها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل أسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض * ولما أسكن الله آدم فى الجنة بقى وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألما ما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لانها خلقت من حى فلما استيقظ آدم من نومه ورآها جالسة كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولما ذا خلقت قالت لتسكن الى وأسكن اليك واختلفوا فى الجنة التى أمر آدم بسكناها فقيل أنها جنة كانت فى الارض بدليل أنه لو كانت الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لما أخرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بأن المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح أنها الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفى عرفهم التى

لا بترك العمل بالامر لان ترك السجود لا يخرج من الايمان ولا يكون كفرا عند أهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج أو كان من الكافرين فى علم الله أى وكان فى علم الله أنه يكفر بعد أيمانه لأنه كان كافرا أبدا فى علم الله وهى مسئلة الموافاة (وقلنا يا آدم اسكن) أمر من سكن الدار يسكنها سكنى اذا أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا (أنت) تأكيد للمستكن فى اسكن ليصح عطف (وزوجك) عليه (الجنة) هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين للنقل المشهور وللام التعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا أنما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل النبى عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها وأهل الجنة يكلفون المعرفة

فى علم الله أنه يصير من الكافرين ويقال كان من أول الكافرين ثم ذكر قصة آدم وحواء فقال (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أدخل

والتوحيد (وكلامنها) من ثمارها فحذف مضاف (رغدا) وصف للمصدر أى أكلا رغدا واسعا (حيث شئتما) شئتما وبابه بغير همز أبو عمرو وحيث للمكان المبهم أى أىّ مكان من الجنـة شئتما (ولاتقربا هذه الشجرة) أى الحنطة ولذا قيل كيف لايعصى الانسان وقوته من شجرة العصيان أو الكرمة لانها أصل كل فتنة أو التينة (فتكونا) جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهى (من الظالمين) أى من الذين ظلموا أنفسـهم أو من الضارين أنفسهم (فأزلهما الشيطان عنها) أى عن الشجرة أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها أو فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما فأزالهما حمزة وزلة آدم بالخطأ فى التأويل أما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم أو بحمـل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والاول الوجـه وهذا

اهبطوا مصرا ﴾ وكلا منها رغدا ﴾ واسعا رافها صفة مصدر محذوف ﴿ حيث شئتما ﴾ أى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما أزاحة للعلة والعذر فى التنـاول من الشجرة المنهى عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر ﴿ ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيهـا على أن القرب من الشىٔ يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشىٔ يعمى ويصم فينبغى أن لايحوما حول ماحرم الله عليهما مخافة أن يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى أو بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فأن الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهى أو الجواب له * والشجرة هى الحنطة أو الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث والاولى أن لاتعين من غير قاطع كما لم تعين فى الآية لعدم توقف ماهو المقصود عليه وقرىٔ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء ﴿ فأزلهما الشيطان عنهـا ﴾ أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيرة عن هذه فى قوله تعـالى ومافعلته عن أمرى أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزالهما وهما متقاربان فى المعنى غير أن زل يقتضى عثرة مع الزوال وأزلاله قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى وقوله مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة ألا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومقاسمته أياهما بقوله أنى لكما لمن النـاصحين * واختلف فى أنه تمثل لهما فقاولهما بذلك أو ألقـاه

هى دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع ﴿ وكلا منها رغدا ﴾ أى واسعا كثيرا ﴿ حيث شئتما ﴾ أى كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق فى الاكل من الجنة بلا منع ألا مانهى عنه وهو قوله تعالى ﴿ ولاتقربا هذه الشجرة ﴾ يعنى للاكل قيل أنما وقع هذا النهى عن جنس الشجرة وقيل عن شجرة مخصوصة قال ابن عباس رضى الله عنهما هى السنبلة وقيل الكرمة وقيل هى شجرة التين وقيل هى شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس فى ظاهر الكلام مايدل على التبيين اذ لاحاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة ومالايكون مقصودا لايجب بيانه ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ يعنى أن أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية وأصل الظلم وضع الشىٔ فى غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبياء حمل الظلم على أنه فعل ما كان الاولى أن لايفعله وقيل يحمل على أنه فعل هذا قبل النبوة * فأن قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم * قلت لايجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم * قوله عزوجل ﴿ فأزلهما الشيطان ﴾ أى استزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة وهى الخطيئة وسيأتى الكلام أن شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عزوجل وعصى آدم ربه فغوى فى سورة طه ﴿ عنها ﴾ أى الجنة

أنت وحواء الجنة (وكلا منها رغدا) موسعا عليكما (حيث شئتـما) ومتى شئتما (ولاتقربا هذه الشجرة) لاتأكلا من هذه الشجرة شجرة العلم عليها من كل اون وفن (فتكونا من الظـالمين) فتصـيرا من الضارين لانفسكما (فأزلهما) فاستزلهما (الشيطان عنها)

(قوله والشجرة هى الحنطة) رأيت فى بعض التفاسير أنه شجرة العلم فكنت فى التأمل فى تحقيقه برهة من الزمان حتى رأيت ليلة أنى ذهب بى الى السماء ثم ذهب بى الى سماء سماء الا فيه نبيا نبيا حتى انتهيت فى سماء أن هنالك ادم عليه الصلاة والسلام فلاقيته وسألته عن شجرة العلم الذى نهى عن أن تقرب منه قال كان شأنى فى معرفته تعالى مشاهدته ومنعت عن التوجه اليه بدون المشاهدة مكتفيا بالعلم فرقا كتفيت بالعلم فعوتبت واخرجت عن الجنة اهـ عصام بعبارته مصححه

دليل على أنه يجوز اطلاق اسم الزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال مشايخ بخارى فأنه اسم لفعل
يقع على خلاف الامر من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشى فى الطين وقال مشايخ سمرقند لا يطلق اسم الزلة على أفعالهم كما لا تطلق المعصية وانما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الافضل فعوتبوا عليه (فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة أو من الجنة أن كان الضمير للشجرة فى عنها وقد توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له أخرج منها فأنك رجيم لانه منع عن دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وروى انه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى دخلت به وقيل قام عند الباب فنادى (وقلنا اهبطوا) الهبوط النزول الى الارض والخطاب لآدم وحواء وأبليس وقيل والحية والصحيح لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا أصل الانس ومتشعبهم جعلا كأنهما الانس كلهم ويدل عليه قوله تعالى قال أهبطا منها جميعا (بعضكم لبعض عدو) المراد به
عن الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) من الرغد (وقلنا) لآدم وحواء وطاوس وحية وأبليس (اهبطوا) انزلوا الى الارض (بعضكم لبعض عدو (من)

اليها على طريق الوسوسة وأنه كيف توصل الى أزلالهما بعد ما قيل له أخرج منها فأنك رجيم فقيل أنه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية حتى دخلت به وقيل أرسل بعض اتباعه فأزلهما والعلم عند الله سبحانه وتعالى ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ أى من الكرامة والنعيم ﴿وقلنا اهبطوا﴾ خطاب لآدم عليه الصلاة السلام وحواء لقوله سبحانه وتعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما أصلا الانس فكأنهما الانس كلهم أو لهما وأبليس أخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة أو دخلها مسارقة أو من السماء ﴿بعضكم لبعض عدو﴾

﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ يعنى من النعيم وذلك أن أبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة فى فيها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل أنما أتاهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان أبليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك أن آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو أن خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه أبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا ما يبكيك قال أبكى عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك فى أنفسهما واغتما ومضى أبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله أنى لكما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها قال أبراهيم ابن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس رضى الله عنهما قال الله تعالى يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا نكدا فأهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم زراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد• وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن آدم لما أكل من الشجرة التى نهى عنها قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يارب زينته لى حواء قال فأنى أعقبتها أن لا تحمل ألا كرها ولا تضع ألا كرها ودميتها فى الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك• والرنة الصوت فلما أكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل ﴿وقلنا اهبطوا﴾ أى انزلوا الى الارض يعنى آدم وحواء وأبليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حواء بجدة وأبليس بالابلة من أعمال البصرة والحية بأصبهان ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ يعنى العداوة التى بين المؤمنين

ماعليه الناس من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض والجملة في موضع الحال من الواو في أهبطوا أي أهبطوا متعادين (ولكم في الارض مستقر) موضع استقرار أو استقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش (الى حين) الى يوم القيامة أو الى الموت قال أبراهيم بن أدهم أورثنا تلك الاكلة حزنا طويلا (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها وبنصب آدم ورفع كلمات مكي على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به وهن قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل الى التنصل من الذنوب وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن أحب الكلام الى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا أله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي أنه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في من روحك ألم تسبق رحمتك غضبك ألم تسكني جنتك وهو تعالى يقول بلى بلى قال فلم أخرجتني من الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت أراجعي أنت

حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ﴿ ولكم في الارض مستقر ﴾ موضع استقرار أو استقرار ﴿ ومتاع ﴾ أي تمتع ﴿ الى حين ﴾ يريد به وقت الموت أو القيامة ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي أنه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب أن تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك

من ذرية آدم وبين أبليس واليه الاشارة بقوله عز وجل أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذي كأنه قضيب فضة (م) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيأ فآذنوه ثلاثة أيام فأن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فأنما هو شيطان وفي رواية أن بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيأ فحرجوا عليه ثلاثا فأن ذهب والا فاقتلوه فأنه كافر ﴿ ولكم في الارض مستقر ﴾ أي موضع قرار ﴿ ومتاع ﴾ أي بلغة ومستمتع ﴿ الى حين ﴾ أي الى وقت انقضاء آجالكم * قوله عز وجل ﴿ فتلقى آدم ﴾ أي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم ﴿ من ربه كلمات ﴾ أي كانت سبب توبته وقيل أن تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هي لا أله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي أنك أنت التواب الرحيم لا أله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي أنك أنت الغفور الرحيم لا أله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني أنك أنت أرحم الراحمين وقيل قال آدم يارب أرأيت ما أتيت أشئ ابتدعته من تلقاء نفسي أم شئ قدرته علي قبل أن تخلقني قال بل شئ قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل أن الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم أنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل أن آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه

ولكم في الارض مستقر) منزل (ومتاع) منفعة ومعاش (الى حين) الى حين الموت (فتلقى آدم من ربه) حفظ آدم من ربه ويقال لقن فتلقن وألهم فتلهم (كلمات) لكي تكون سببا له ولاولاده الى التوبة

بأحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة والحركة ﴿فتاب عليه﴾ رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وأنما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لايعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعاله فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنن ﴿أنه هو التواب﴾ الرجاع على عباده بالمغفرة أوالذى يكثر اعانتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فأذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى أريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة ﴿الرحيم﴾ المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا﴾ كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود فأن الاول دل على أن هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولايخلدون والثانى أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على أن مخافة الاهباط المقترن بأحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم أن تعوقه عن مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسى ولم نجد له عزما وأن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى * وجميعا حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كأنه قيل أهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لايستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاؤا جميعا ﴿فأما يأتينكم منى هدى

الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس رضى الله عنهما بكى آدم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما وقيل لوأن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة ﴿فتاب عليه﴾ أى فتجاوز عنه وغفرله وأصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكأن التائب رجع عن ذلك الذنب الذى كان عليه ولاتتحقق التوبة منه ألابثلاثة أمور علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وأنه حجاب عن الله تعالى فأذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم فى المستقبل أن لايعود اليه وهو العمل فأذا تحققت هذه الثلاثة الامور حصلت التوبة وسيأتى بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا فى سورة التحريم أن شاء الله تعالى ﴿أنه هو التواب﴾ أى الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب فى وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ فى قبول توبة عباده ﴿الرحيم﴾ أى بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بأنه رحيم ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا﴾ يعنى هؤلاء الاربعة وقيل أن الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال فى الهبوط الاول ولكم فى الارض مستقر فدل على أنه كان من الجنة الى الارض والاصح أنه للتأكيد ﴿فأما يأتينكم منى هدى﴾ فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كأنه قال وأن أهبطتكم من الجنة

اليها قال نعم (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لان حواء كانت تبعا له وقد طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنة لذلك (أنه هو التواب) الكثير القبول للتوبة (الرحيم) على عباده (قلنا اهبطوا منها جميعا) حال أى مجتمعين وكرر الامر بالهبوط للتأكيد أولان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثانى من السماء الى الارض أولما نيط به من زيادة قوله (فأما يأتينكم منى هدى) أى رسول أبعثه اليكم أوكتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا

(فتاب عليه) فتجاوز عنه (أنه هو التواب) المتجاوز (الرحيم) لمن مات على التوبة (قلنا) لآدم وحواء وحية وطاوس وأبليس (أهبطوا منها) من السماء (جميعا) ثم ذكر ذرية آدم فقال (فأما يأتينكم) فلما يأتينكم وحين يأتينكم وكلما يأتينكم (منى هدى) كتاب ورسول

فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ الشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول ومامزيدة أكدت به أن ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وأن لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى أن يأتينكم منى هدى بأنزال أو أرسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وأنما جئ بحرف الشك واتيان الهدى كائن لامحالة لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه أراد بالثانى أعم من الاول وهو ماأتى به الرسل واقتضاه العقل أى فمن تبع ماأتاه مراعيا فيه مايشهد به العقل فلاخوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه ولاهم ممن يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرئ هدىّ على لغة هذيل ولاخوف بالفتح ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته أو كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور * والآية فى الاصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث أنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أى لانها تبين أيا من أى أو من أوى اليه وأصلها أية أو أوية كتمرة فأبدلت عينها ألفا على غير قياس أو أيية أو أووية كرمكة فأعلت أو آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة أو مايعمها والمعقولة * ﴿تنبيه﴾ * وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه * الاول أن آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص * والثانى أنه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين * والثالث أنه تعالى أسند اليه العصيان والغى فقال وعصى آدم ربه فغوى * والرابع أنه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه * والخامس اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله تعالى أياه بقوله وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة * والسادس أنه لولم يذنب لم يجر عليه ماجرى * والجواب من وجوه * الاول أنه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالبيان * والثانى أن النهى للتنزيه وأنما سمى ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له وأما أسناد الغى والعصيان اليه فسيأتى الجواب عنه فى موضعه أن شاء الله تعالى وأنما أمر بالتوبة تلافيا لمافات عنه وجرى عليه ماجرى معاتبة له على ترك

الى الارض فقد أنعمت عليكم بهدايتى التى تؤديكم الى الجنة مرة أخرى على الدوام الذى لاينقطع وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعنى ياذرية آدم أمايأتينكم منى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول ﴿ فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ﴾ يعنى فيمايستقبلهم ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ أى على ماخلفوا وقيل لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فى الآخرة ﴿ والذين كفروا ﴾ أى جحدوا ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ أى بالقرآن ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ أى يوم القيامة ﴿ هم فيها خالدون ﴾ أى لايخرجون منها ولايموتون فيها

بآياتنا فى مقابلة قوله (فمن تبع هداى) أى بالقبول والايمان به (فلا خوف عليهم) فى المستقبل (ولاهم يحزنون) على ماخلفوا والشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك أن جئتنى فأن قدرت أحسنت اليك فلاخوف بالفتح فى كل القرآن يعقوب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب النار) أى أهلها ومستحقوها والجملة فى موضع الرفع خبر المبتدأ أعنى والذين (هم فيها خالدون

(فمن تبع هداى) الكتاب والرسول (فلاخوف عليهم) فيما يستقبلهم من العذاب (ولاهم يحزنون) على ماخلفوا من خلفهم ويقال فلاخوف عليهم بالدوام ولاهم يحزنون بالدوام ويقال فلاخوف عليهم اذا ذبح الموت ولاهم يحزنون اذا اطبقت النار (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) بالكتاب والرسول (أولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) فى النار دائمون لايموتون ولا يخرجون ثم ذكر منته على

الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه * والثالث أنه فعله ناسيا لقوله سبحانه وتعالى فنسى ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ولعله وأن حط عن الامة لم يحط عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لعظم قدرهم كما قال عليه افضل الصلاة والسلام أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل أو أدى فعله الى ماجرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجهل بشأنه * لا يقال أنه باطل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتين لانه ليس فيهما مايدل على أن تناوله حين ماقاله أبليس فلعل مقاله أورث فيه ميلا طبيعيا ثم أنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى أن نسى ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه * والرابع أنه عليه الصلاة والسلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فأنه ظن أن النهى للتنزيه أو الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور أمتى حل لاناثها وأنما جرى عليه ماجرى تفظيعا لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده * وفيها دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها فى جهة عالية وأن التوبة مقبولة وأن متبع الهدى مأمون العاقبة وأن عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون * واعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فأنها من حيث أنها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث أن الاخبار بها على ماهو مثبت فى الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيأ منها أخبار بالغيب معجز تدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان وأصوله وماهو أعظم من ذلك تدل على أنه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب أهل العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهوده فى اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه فقال ﴿ يابنى أسرائيل ﴾ أى أولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت الفكر * واسرائيل لقب يعقوب عليه الصلاة والسلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء ﴿ اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ أى بالتفكر فيها والقيام بشكرها والتقييد بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فأذا نظر الى ما أنعم الله سبحانه وتعالى على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وأن نظر الى ما أنعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر

---

* قوله عز وجل ﴿ يابنى أسرائيل ﴾ اتفق المفسرون على أن أسرائيل هو يعقوب بن أسحق بن أبراهيم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى أسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا أولاد يعقوب ﴿ اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ أى اشكروا نعمتى وأنما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ووحد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير

يا بنى اسرائيل) هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله أو عبد الله فأسرا هو العبد أو الصفوة وأيل هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) ذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وما أنعم به عليهم من أدراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به

بنى اسرائيل فقال (يابنى أسرائيل) يا أولاد يعقوب (اذكروا نعمتى) اشكروا واحفظوا منتى (التى أنعمت عليكم) مننت عليكم بالكتاب والرسول والنجاة من فرعون والغرق والمن والسلوى وغير ذلك

وقيل اراد بها ما أنعم الله به على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من أدراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم * وقرئ ادكروا والاصل افتعلوا ونعمتى باسكان الياء وقفا واسقاطها درجا وهو مذهب من لايحرك الياء المكسور ماقبلها ﴿وأوفوا بعهدى﴾ بالايمان والطاعة ﴿أوف بعهدكم﴾ بحسن الاثابة * والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فأنه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فأول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله سبحانه وتعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله سبحانه وتعالى الفوز باللقاء الدائم وماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أوفوا بعهدى فى أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أوف بعهدكم فى رفع الآصار والاغلال وعن غيره أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب أو أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى أوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة أوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين فى سورة المائدة قوله سبحانه وتعالى ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولأدخلنكم

فى التوراة والانجيل (وأوفوا) أدوا وافيا تاما يقال وفيت له بالعهد فأنا واف به وأوفيت له بالعهد فأنا موف به والاختيار أوفيت وعليه نزل التنزيل (بعهدى) بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى والطاعة لى أو من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا وعن قتادة هما لئن أقمتم ولأكفرن وقال أهل الاشارة أوفوا فى دار محنتى على بساط خدمتى بحفظ حرمتى أوف فى دار نعمتى على بساط كرامتى بسرور

ومعناه ان المضرة المحضة لاتكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لاتسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير * ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهى ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها فى الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهى أيضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق فى الحقيقة لان أصول النعم كلها منه * وأما النعم المختصة ببنى اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتى لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم أن الله تعالى أنقذهم من فرعون وفلق البحر لهم وأغرق فرعون وتظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى فى التيه عليهم وانزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة * فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها * قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا أن الله قد أنعم على آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل أن هذه النعمة هى ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به ﴿وأوفوا بعهدى﴾ أى امتثلوا أمرى ﴿أوف بعهدكم﴾ أى بالقبول والثواب * وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمى الموثق الذى تلزم مراعاته عهدا. وقيل أراد بالعهد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض وقيل أراد به ماذكر فى سورة المائدة وهو قوله ولقد أخذ الله ميثاق بنى أسرائيل وبعثنا منهم أثنى عشر نقيبا الى قوله لأكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله أوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة يعنى شريعة التوراة وقيل هو قوله واذ أخذنا

(وأوفوا بعهدى) اتموا عهدى فى هذا النبى صلى الله عليه وسلم (أوف بعهدكم)

رؤيتى (وأياى فارهبون) فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد فى افادة الاختصاص من أياك نعبد وأياى منصوب بفعل مضمر دل عليه مابعده وتقديره فارهبوا أياى فارهبون وحذف الاول لان الثانى يدل عليه وانما لم ينتصب بقوله فارهبون لانه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لايجوز نصب زيد فى زيدا فاضربه باضرب الذى هو ظاهر (وآمنوا بما أنزلت) يعنى القرآن (مصدقا) حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل انزلته مصدقا (لما معكم) من التوراة يعنى فى العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه السلام (ولاتكونوا أول كافر به) أى أول من كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به أو ولايكن كل واحد منكم أول كافر به وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته والضمير فى به

جنات تجرى من تحتها الانهار * وقرئ أوف بالتشديد للمبالغة ﴿ وأياي فارهبون ﴾ فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد وهو آكد فى افادة التخصيص من أياك نعبد لمافيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل أن كنتم راهبين شيأ فارهبون * والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغى أن لايخاف أحدا ألا الله سبحانه وتعالى ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ﴾ أفراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بأنه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث أنه نازل حسبما نعتت فيها أو مطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث أن كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى أيام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه ألا اتباعى تنبيه على أن اتباعها لاينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ﴿ ولاتكونوا أول كافر به ﴾ بأن الواجب أن يكونوا أول من آمن به ولانهم كانوا أهل النظر فى معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه * وأول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير أول فريق أو فوج أو بتأويل

ميثاق بنى أسرائيل لاتعبدون ألا الله وقيل أراد بهذا العهد ما أثبته فى كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مبعوث فى آخر الزمان وذلك أن الله عهد الى بنى أسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام أنى باعث من بنى أسماعيل نبيا أميا فمن تبعه وصدق النور الذى يأتى به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعنى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ﴿ وأياى فارهبون ﴾ أى فخافون فى نقضكم العهد ﴿ وآمنوا بما أنزلت ﴾ يعنى بالقرآن ﴿ مصدقا لما معكم ﴾ يعنى أن القرآن موافق لما فى التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبى صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبى صلى الله عليه وسلم وأنه نبى مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما فى التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها ﴿ ولاتكونوا أول كافر به ﴾ الخطاب لليهود نزلت فى كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولاتكونوا يامعشر اليهود أول من كفر به * فان قلت كيف جعلوا أول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من أهل مكة وغيرهم * قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب أن تكوا اول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان أمر اليهود بالعكس وقيل معناه ولاتكوا أول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك

أدخلكم الجنة (وأياى فارهبون) تخافونى فى نقض العهد ولاتخافوا غيرى (وآمنوا بما انزلت) جبريل به (مصدقا) موافقا بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وبعض الشرائع (لما معكم) من الكتاب (ولاتكونوا أول كافر به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (فتبوؤا)

لايكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك، كسانا حلة* فأن قيل كيف نهوا عن التقدم فى الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب* قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك أما أنا فلست بجاهل أو ولاتكونوا أول كافر من أهل الكتاب أو ممن كفر بما معه فأن من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل من كفر من مشركى مكة *وأول أفعل لافعل له وقيل أصله أو أل من وأل فأبدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسى أو أأول من آل فقلبت همزته واوا وأدغمت ﴿ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا﴾ ولاتستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فأنها وأن جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى مايفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشا فيحرفون الحق ويكتمونه ﴿ وأياى فاتقون ﴾ بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ماهو كالمبادى لمافى الآية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى التى هى منتهاه ﴿ ولاتلبسوا الحق بالباطل ﴾ عطف على ماقبله * واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لاتخلطوا الحق المنزل

فتبوؤا بأثمكم وأثم غيركم ممن تبعكم على ذلك ﴿ولاتشتروا﴾ أى ولاتستبدلوا ﴿بآياتى﴾ أى ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة ﴿ثمنا قليلا﴾ أى عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشئ اليسير الحقير الذى لاقيمة له والذى كانوا يأخذونه من الدنيا كالشئ اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا وذلك أن كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم فى كل سنة شيأ معلوما من زرعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا أن بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة وأصروا على الكفر ﴿ وأياى فاتقون ﴾ أى فخافون فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم* والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس فى وقاية مما تخاف* قوله عز وجل ﴿ ولاتلبسوا الحق بالباطل ﴾ أى ولاتكتبوا فى التوراة ماليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذى انزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة بالباطل الذى تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لاتخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى الحق بالباطل أى بصفة الدجال وذلك أنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذى ننتظره وأنما هو المسيح بن داود يعنى الدجال وكذبوا فيما قالوا

يعود الى القرآن (ولا تشتروا) ولاتستبدلوا (بآياتى) بتغييرها وتحريفها (ثمنا قليلا) قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها وقيل هو الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله (وأياى فاتقون) فخافونى فارهبونى فاتقونى بالياء فى الحالين وكذلك كل ياء محذوفة فى الخط يعقوب (ولاتلبسوا الحق بالباطل) لبس الحق بالباطل خلطه والباء ان كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به كان المعنى ولاتكتبوا فى التوراة ماليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لايميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه

والقرآن (ولا تشتروا بآياتى) بكتمان صفة محمد ونعته (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا من المآكلة (وأياى فاتقون) فخافونى فى هذا النبى صلى الله عليه وسلم (ولاتلبسوا الحق بالباطل) لاتخلطوا الباطل بالحق صفة الدجال بصفة محمد

(وتكتموا الحق) هو مجزوم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا أو منصوب بأضمار أن والواو بمعنى الجمع أى ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وهما أمران متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم فى التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لانجد فى التوراة صفة محمد أو حكم كذا (وأنتم تعلمون) فى حال علمكم انكم لابسون وكاتمون وهو

أقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه (واقيموا الصلوة وآتوا الزكاة) أى صلاة المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لان اليهود لاركوع فى صلاتهم أى أسلموا واعملوا عمل أهل الاسلام وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون أمرا بالصلاة مع المصلين يعنى فى الجماعة أى صلوها مع المصلين لا منفردين والهمزة فى (أتأمرون الناس) للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم (بالبر) أى سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه فى السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه الصلاة والسلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها

بالباطل الذى تخترعونه وتكتمونه حتى لا يميز بينهما أو ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتمونه فى خلاله أو تذكرونه فى تأويله ﴿وتكتموا الحق﴾ جزم داخل تحت حكم النهى كأنهم أمروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه أو نصب بأضمار أن على أن الواو للجمع أى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده أنه فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه وتكتمون أى وأنتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه أشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق ﴿وأنتم تعلمون﴾ عالمين بأنكم لابسون كاتمون فأنه أقبح اذ الجاهل قد يعذر ﴿واقيموا الصلوة وآتوا الزكاة﴾ يعنى صلاة المسلمين وزكاتهم فأن غيرهما كلا صلاة ولا زكاة أمرهم نفروع الاسلام بعد ما أمرهم بأصوله * وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بها * والزكاة من زكا الزرع اذا نما فأن أخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم أو من الزكاء بمعنى الطهارة فأنها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أى فى جماعتهم فأن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى

لا تذل الضعيف علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ تقرير مع توبيخ وتعجيب * والبر التوسع فى الخير من البر

﴿وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبى مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا فى الصورة لكنه عام فى المعنى فعلى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ﴿وأقيموا الصلوة﴾ يعنى الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع أركانها ﴿وآتوا الزكاة﴾ أى أدوا الزكاة المفروضة عليكم فى أموالكم ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أى صلوا مع المصلين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى أعاده بعد قوله وأقيموا الصلوة لان الاول خطاب الكافة والثانى خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على اقامة الصلاة فى الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين فى الجماعة * قوله عز وجل ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع

صلى الله عليه وسلم (وتكتموا الحق) ولا تكتموا الحق (وأنتم تعلمون) بكتمانه ثم ذكر لزوم الشرائع عليهم بعد الايمان فقال (وأقيموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) أعطوا زكاة أموالكم (واركعوا مع الراكعين) صلوا الصلوات الخمس مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الجماعة ثم ذكر قصة رؤساء اليهود فقال (أتأمرون الناس) سفلة الناس (بالبر) بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه (والتعجب)

وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله سبحانه وتعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب ﴿وتنسون أنفسكم﴾ وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى أحبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ تبكيت كقوله وأنتم تعلمون أى تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل ﴿أفلا تعقلون﴾ قبح صنيعكم فيصدكم عنه أو أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته * والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الاحمق الخالى عن العقل فأن الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فأن الاخلال بأحد الامرين

والتعجب من حالهم * والبر اسم جامع لجميع أعمال الخير والطاعات نزلت هذه الآية فى علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فأن أمره حق وقوله صدق وقيل أن جماعة من اليهود قالوا لمشركى العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم فى اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك ﴿وتنسون أنفسكم﴾ أى وتعدلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى أتتركون أنفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ يعنى تقرؤن التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم ﴿أفلا تعقلون﴾ يعنى أنه حق فتتبعونه * والعقل قوة تهيء قبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول على بن أبى طالب رضى الله عنه

وان العقل عقلان * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع
اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

وأصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة * ومعنى الآية أن المقصود من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه فى المفسدة والاحسان الى النفس أولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون

(وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت أى تتلون التوارة وفيها نعت محمد عليه السلام أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ

وسلم (وتنسون أنفسكم) تتركون أنفسكم فلا تتبعونه (وأنتم تتلون) تقرؤن (الكتاب) عليهم (أفلا تعقلون) فليس لكم ذهن

المأمور بهما لايوجب الاخلال بالآخر ﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة ﴾ متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله سبحانه وتعالى أو بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فأنها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح وأخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب * روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ويجوز

وقيل أن من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن اسامة بن زيد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يافلان مالك ألم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه * قوله فتندلق أى تخرج أقتاب بطنه أى أمعاء بطنه واحدها قتب * وروى البغوى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضئ للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع ماتقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

* قوله عز وجل ﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة ﴾ قيل أن المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لايقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبنى أسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين فعلى هذا القول أن الله تعالى لما أمرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أى بحبس النفس عن اللذات وأن ضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على مايشغلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات

(وترك)

عظيم (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلوة) أى بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها ومايجب فيها من اخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدى جبار السموات والارض أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نعى اليه أخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلاة الدعاء أى استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله فى دفعه

الانسانية (واستعينوا بالصبر) على أداء فرائض الله وترك المعاصى (والصلوة) وبكثرة الصلاة على تمحيص

(وأنها) الضمير للصلاة أو للاستعانة (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر (الا على الخاشعين) لانهم يتوقعون ماادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ﴿١١٩﴾ ألاترى الى قوله {سورة البقرة} (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ماعنده ويطمعون فيه وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبدالله يعلمون أي يعلمون انه لابد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة والخشوع الاخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بعاينوه بلا كيف (وأنهم اليه راجعون) لا يملك أمرهم في الآخرة أحد سواه (يابني أسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) التكرير للتأكيد (وأني فضلتكم) نصب عطف على نعمتي أي

أن يراد بها الدعاء ﴿ وأنها ﴾ أي الاستعانة بهما أو الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر أو جملة ما أمروا بها ونهوا عنها ﴿ لكبيرة ﴾ لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ﴿ ألا على الخاشعين ﴾ أي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطأمنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون ﴾ أي يتوقعون لقاء الله سبحانه وتعالى ونيل ماعنده أو يتيقنون أنهم يحشرون الى الله سبحانه وتعالى فيجازيهم ويؤيده أن في مصحف ابن مسعود يعلمون وكأن الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه بضمين معنى التوقع قال أوس بن حجر

فأرسلته مستيقن الظن أنه * مخالط مابين الشر أسيف جائف

وأنما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فأن نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقعة في مقابلتها مايستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمه قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة ﴿ يابني أسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذي هو أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها وأخل بحقوقها ﴿ وأني فضلتكم ﴾ عطف على نعمتي

وترك المعاصي وقيل بالصبر على أداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة أي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى مايجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فأن من اشتغل بالصلاة ترك ماسواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أي اذا أهمه أمر لجأ الى الصلاة*وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه نعي له أخوه قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة ﴿ وأنها ﴾ يعني الصلاة وقيل الاستعانة ﴿ لكبيرة ﴾ أي ثقيلة ﴿ ألا على الخاشعين ﴾ يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله*وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ماتستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه وأما الخاشع الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهي سهلة عليه ﴿ الذين يظنون ﴾ أي يستيقنون وقيل يعلمون ﴿ أنهم ملاقو ربهم ﴾ يعني في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة ﴿ وأنهم اليه راجعون ﴾ يعني بعد الموت فيجزيهم بأعمالهم*قوله عز وجل ﴿ يابني أسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ أنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وأني فضلتكم

الذنوب (وأنها) يعني الصلاة (لكبيرة) لثقيلة (ألا على الخاشعين) المتواضعين (الذين يظنون) يعلمون ويستيقنون (أنهم ملاقو ربهم) معاينو ربهم (وأنهم اليه راجعون) بعد الموت ثم ذكر أيضا منته على بني اسرائيل فقال (يابني أسرائيل) يا أولاد يعقوب (اذكروا نعمتي) احفظوا منتي (التي أنعمت عليكم) مننت عليكم (وأني فضلتكم) بالكتاب والرسول

اذ كروا نعمتى وتفضيلى (على العالمين) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة (واتقوا يوما) أى يوم القيامة وهو مفعول به لاظرف (لاتجزى نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيأ) أى لاتقضى عنها شيأ من الحقوق التى لزمتها وشيأ مفعول به أومصدر أى قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة يوما والعائد منها الى الموصوف محذوف تقديره لاتجزى فيه (ولا يقبل منها شفاعة) ولاتقبل بالتاء مكى وبصرى والضمير فى منها يرجع الى النفس المؤمنة أى لاتقبل منها شفاعة للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا فهو كقوله فماتنفعهم شفاعة الشافعين وتشبث المعتزلة بالآية فى نفى الشفاعة للعصاة مردود لان المنفى شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى من كذب بها لم ينلها (ولا يؤخذ منها عدل) أى فدية لانها معادلة للمفدى (ولا هم ينصرون) يعانون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر لمعنى العباد أو الاناسى (وأذ نجينا كم

﴿على العالمين﴾ أى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه الصلاة والسلام وبعده قبل أن يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين* واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف ﴿واتقوا يوما﴾ أى مافيه من الحساب والعذاب ﴿لاتجزى نفس عن نفس شيأ﴾ لاتقضى عنها شيأ من الحقوق أو شيأ من الجزاء فيكون نصبه على المصدر* وقرئ لاتجزئ من أجزأ عنه اذا أغنى وعلى هذا تعين أن يكون مصدرا وأيراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لاتجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال أتسع فيه فحذف عنه الجار وأجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله أم مال أصابوا ﴿ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل﴾ أى من النفس الثانية العاصية أو من الاولى وكأنه أريد بالآية نفى أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل فأنه أما أن يكون قهرا أو غيره والاول النصرة والثانى أما أن يكون مجانا أو غيره والاول أن يشفع له والثانى أما بأداء ما كان عليه وهو أن يجزى عنه أو بغيره وهو أن يعطى عنه عدلا* والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه *والعدل الفدية وقيل البدل وأصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى* وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ولاتقبل بالتاء ﴿ولاهم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسى والنصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم أن آبائهم تشفع لهم ﴿وأذ نجينا كم

على العالمين﴾ يعنى على عالمى زمانكم وهذا التفضيل وان كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء ﴿واتقوا يوما﴾ أى واخشوا عذاب يوم ﴿لاتجزى﴾ أى لاتقضى ﴿نفس عن نفس شيأ﴾ يعنى حقا لزمها وقيل معناه لاتنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولاترد عنها شيأ مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴿ولاتقبل منها شفاعة﴾ أى فى ذلك اليوم والمعنى لاتقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك أن اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولاتقبل منها شفاعة وقيل أن طاعة المطيع لا تقضى عن العاصى ما كان واجبا عليه وقيل معناه أن النفس الكافرة لوجاءت بشفيع لايقبل منها ﴿ولايؤخذ منها عدل﴾ أى فدية وهو مماثلة الشئ بالشئ ﴿ولاهم ينصرون﴾ أى لايمنعون من العذاب * قوله عز وجل ﴿وأذ نجينا كم﴾ أى واذكروا اذ خلصنا أسلافكم وأجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة أسلافهم

والاسلام (على العالمين) على عالمى زمانكم (واتقوا يوما) واخشوا عذاب يوم ان لم تؤمنوا وتتوبوا من اليهودية (لا تجزى نفس عن نفس شيأ) لاتغنى نفس كافرة عن نفس كافرة من عذاب الله شيأ (ولايقبل (منها شفاعة) لايشفع لها شافع (ولايؤخذ) لايقبل (منها عدل) فداء (ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (واذ نجينا كم

من آل فرعون ﴾ تفصيل لما أجمله في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة * وقرئ أنجيتكم ونجيتكم وأصل آل أهل لان تصغيره أهيل وخص بالاضافة الى أولى الخطر كالانبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر * وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل أبنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه الصلاة والسلام ريان وكان بينهما أكثر من أربعمائة سنة ﴿ يسومونكم ﴾ يبغونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما * وأصل السوم الذهاب في طلب الشئ ﴿ سوء العذاب ﴾ أفظعه فأنه قبيح بالاضافة الى سائره * والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم أو من آل فرعون أو منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف * وقرئ يذبحون بالتخفيف وأنما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام أو قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيأ ﴿ وفي ذلكم بلاء ﴾ محنة أن أشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة أن أشير به الى الانجاء

﴿ من آل فرعون ﴾ أي من اتباعه وأهل دينه * وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق و فرعون هذا كان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربعمائة سنة ﴿ يسومونكم ﴾ أي يكلفونكم ويذيقونكم ﴿ سوء العذاب ﴾ أي أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك أن فرعون جعل بني أسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال أصنافا صنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا أصنافا في أعمال فرعون فذووا القوة يسلخون السواري من الجبال حتى تقرحت أيديهم وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبته غلت يداه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ أي يتركونهن أحياء وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني أسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني أسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وأسرع الموت في مشيخة بني أسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا أن الموت قد وقع ببني أسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في سنة التي يذبح فيها ﴿ وفي ذلكم بلاء

من آل فرعون) أصل آل أهل ولذلك يصغر بأهيل فابدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولى الخطر كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس (يسومونكم) حال من آل فرعون أي يولونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما وأصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويزيدونكم عليه ومساومة البيع مزايدة أو مطالبة وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر سيئ يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ أشده وأفظعه (يذبحون أبناءكم) بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف (ويستحيون نساءكم) يتركون بناتكم احياء للخدمة وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما أنذروا نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ماشاء الله (وفي ذلكم بلاء)

من آل فرعون) من فرعون وقومه (يسومونكم سوء العذاب) يعذبونكم بأشد العذاب ثم ذكر عذابه عليهم فقال (يذبحون أبناءكم) (قا وخا ١٦ ل)صغارا (ويستحيون)يستخدمون(نساءكم) كبارا (وفي ذلكم بلاء)

وأصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة أطلق عليهما ويجوز أن يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما ﴿من ربكم﴾ بتسليطهم عليكم أو ببعث موسى عليه الصلاة والسلام وتوفيقه لتخليصكم أو بهما ﴿عظيم﴾ صفة بلاء ※ وفى الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله سبحانه وتعالى فعليه أن يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه أو بسبب انجائكم أو ملتبسا بكم كقوله

تدوس بنا الجماجم والتريبا

من ربكم عظيم ﴾ أى اختبار وامتحان ※ والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فأن حمل قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وأن حمل على الانجاء كان من النعمة ※ قوله عز وجل ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر ﴾ أى فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمى بحرا لاتساعه

ذكر سياق القصة

وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسرى ببنى أسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه أن يسرجوا فى بيوتهم السرج الى الصبح وأن يستعيروا حلى القبط لتبقى لهم أو ليتبعوهم لاجل المال وأخرج الله كل ولد زنا كان فى القبط من بنى أسرائيل الى بنى أسرائيل وكل ولد زنا كان فى بنى أسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكرى لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا أخرج فى طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى فى بنى أسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين أنسانا مابين رجل وامرأة فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى أسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا أن يوسف لما حضره الموت أخذ على أخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك أنسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف ألا أخبرنى به ومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولى فكان يمر بالرجل وهو ينادى فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك أن دللتك على قبره أتعطينى كل ما أسألك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربى فأمره أن يعطيها سؤلها فقالت أنى عجوز لا استطيع المشى فاحملنى معك واخرجنى من مصر هذا فى الدنيا وأما فى الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من غرف الجنة ألا نزلتها معك قال نعم قالت أنه فى النيل فى جوف الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله أن يؤخر عنه طلوع

محنة ان أشير بذلكم الى صنع فرعون ونعمة أن أشير به الى الانجاء (من ربكم) صفة لبلاء (عظيم) صفة ثانية (وإذ فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا أى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط (بكم البحر) كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم أو فرقناه بسببكم أو فرقناه ملتبسا بكم فيكون فى موضع الحال روى أن بنى أسرائيل قالوا لموسى عليه السلام أين أصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم فأوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراؤا وتسامعوا

بلية (من ربكم عظيم) عظيمة ويقال نعمة من ربكم عظيمة ثم ذكر منة النجاة من الغرق وغرق فرعون وقومه فقال (وإذ فرقنا) فلقنا (بكم البحر

(الفجر)

*وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعددالاسباط ﴿ فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون ﴾ أراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بأنه كان أولى به وقيل شخصه كاروى أن الحسن رضي الله تعالى عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد أى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ ذلك أوغرقهم

الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو فى صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى عليه الصلاة والسلام ببنى أسرائيل هو فى ساقتهم وهارون فى مقدمتهم ثم خرج فرعون فى طلبهم فى ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون فى الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون فى سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ألف ناشب ومائة ألف ألف حراب ومائة ألف ألف معهم الاعمدة وسار بنوا أسرائيل حتى وصلوا البحر والماء فى غاية الزيادة ونظروا حين أشرقت الشمس فاذاهم بفرعون فى جنوده فبقوا متحيرين وقالوا ياموسى أين ماوعدتنابه فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا أن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله اليه أن كنه فضربه وقال انفلق يا أباخالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه أثناعشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا وخاضت بنوا أسرائيل البحر كل سبط فى طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لايرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قدهلك أخواننا فأوحى الله الى جبال الماء أن تشبكى فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى وأذ فرقنا بكم البحر ﴿ فأنجيناكم ﴾ يعنى من فرعون ﴿ وأغرقنا آل فرعون ﴾ وذلك أن فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتى حتى أدرك عبيدى الذين أبقوا منى ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له أن كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن فى خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس أنثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر فى أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيأ واقتحمت الخيول خلفه فى البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم فى البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج فامر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفى البحر أربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمرأى من بنى أسرائيل فذلك قوله ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ يعنى الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل أن البحر قذفهم حتى

كلامهم (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه وانما قال

فأنجيناكم) من الغرق (وأغرقنا آل فرعون) وقومه (وأنتم تنظرون) اليهم بعدثلاثة

وأطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة أو جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل أو ينظر بعضكم بعضا * روى أنه تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يسرى ببنى أسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فأوحى الله تعالى اليه أن أضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا ياموسى نخاف أن يغرق بعضنا فلا نعلم ففتح الله سبحانه وتعالى فيها كوى فتراؤا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين * واعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله سبحانه وتعالى به على بنى أسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلاة والسلام ثم أنهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع أن ما تواتر من معجزاته أمور نظرية دقيقة مثل القرآن والتحدى به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تدركها الاذكياء وأخباره عليه الصلاة والسلام عنها من جملة معجزاته على مامر تقريره ﴿وأذ وعدنا موسى أربعين ليلة﴾ لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعدالله موسى أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور * وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى واعدنا لانه سبحانه وتعالى

نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه الصلاة والسلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى * قوله عز وجل ﴿وأذ واعدنا﴾ من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك أن الله وعده مجئ الميقات ﴿موسى﴾ اسم عبرى معرب فوسى بالعبرية الماء والشجر سمى موشى لانه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمى موسى ﴿أربعين ليلة﴾ أى انقضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة أقدم من الضوء

ذكر القصة فى ذلك

قال العلماء لما أنجى الله بنى أسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما وعدالله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه أنى ذاهب الى ميقات ربى لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامرى وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس رضى الله عنهما اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل باجرا وقيل كرمان وقيل من بنى أسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر فى الحال فقال فى نفسه أن لهذا لشأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة

(وأذ واعد ناموسى) لان الله تعالى وعده الوحى ووعده هو المجئ للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بصرى لما دخل بنوا أسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعدالله تعالى موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وقال (أربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالى وأربعين مفعول ثان لواعدنا لاظرف لانه ليس معناه واعدناه فى أربعين ليلة

أيام (وأذ واعدنا) وقد واعدنا (موسى أربعين ليلة) بأعطاء الكتاب

وعده الوحى ووعده موسى عليه الصلاة والسلام المجئ للميقات الى الطور ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ الها ومعبودا ﴿من بعده﴾ من بعد موسى عليه الصلاة والسلام أو مضيه ﴿وأنتم ظالمون﴾ بأشراككم ﴿ثم عفونا عنكم﴾ حين تبتم * والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس ﴿من بعد ذلك﴾ أى الاتخاذ ﴿لعلكم تشكرون﴾ أى لكى تشكروا عفوه

من تراب فرسه وألقى فى روعه أنه اذا ألقى فى شئ حيي فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور أربعين ليلة وأنزل الله عليه التوراة فى الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا وأسمعه صرير الاقلام وقيل أنه بقى أربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكان بنوا أسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقى ذلك الحلى فى أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامرى أن الحلى الذى استعرتموه من القبط غنيمة لاتحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل ان هارون أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحلى أخذها السامرى وصاغها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التى أخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشى فقال لهم السامرى هذا الهكم واله موسى فنسى أى فتركه ههنا وخرج يطلبه وكان بنوا أسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا فى الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم فى تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هارون مع اثنى عشر ألف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ يعنى الها ﴿من بعده﴾ أى من بعد موسى ﴿وأنتم ظالمون﴾ أى وأنتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة فى غير موضعها ﴿ثم عفونا عنكم﴾ أى محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم ﴿من بعد ذلك﴾ أى من بعد عبادتكم العجل ﴿لعلكم تشكرون﴾ أى لكى تشكروا عفوى عنكم وحسن صنيعى اليكم * وأصل الشكر هو تصور النعمة وأظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة أضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح فى السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكى أن موسى عليه الصلاه والسلام قال الهى أنعمت علىّ النعم السوابغ وأمرتنى بالشكر وانما شكرى أياك نعمة منك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى تعلمت العلم الذى لافوقه علم حسبى من عبدى أن يعلم أن مابه من نعمة فهى منى وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لايعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل

(ثم اتخذتم العجل) أى الها فحذف المفعول الثانى لاتخذتم وبابه بالاظهار مكى وحفص (من بعده) من بعد ذهابه الى الطور (وأنتم ظالمون) أى بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أى عبدتموه ظالمين (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم عنكم (من بعد ذلك) من بعد اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا النعمة فى العفو

(ثم اتخذتم العجل) عبدتم العجل (من بعده) من بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) ضارون (ثم عفونا عنكم) تركناكم ولم نستأصلكم (من بعد ذلك) من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) لكى

عنكم (وأذا آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا (وأذ قال موسى لقومه ياقوم أنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) معبودا (فتوبوا الى بارئكم) هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم ابراء من التفاوت الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة والبلادة (فاقتلوا أنفسكم) قيل هو على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا (ذلكم) التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) من الاصرار

﴿ وأذ آتينا موسى الكتاب والفرقان ﴾ يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا منزلا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل أراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى أو بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات ﴿ وأذ قال موسى لقومه ياقوم أنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم ﴾ فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره أما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه أو الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين أو فتوبوا ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ تماما لتوبتكم بالبخع أو قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة * روي أن الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله سبحانه وتعالى فيه فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فأخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشف السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين ألفا * والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾ من حيث أنه طهرة من الشرك ووصلة الى

شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال * قوله عز وجل ﴿ وأذ آتينا موسى الكتاب ﴾ يعني التوراة ﴿ والفرقان ﴾ قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو أصلية ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ يعني بالتوراة ﴿ وأذ قال موسى لقومه ﴾ يعني الذين عبدوا العجل ﴿ ياقوم أنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ يعني ألها تعبدونه فكأنهم قالوا ما نصنع قال ﴿ فتوبوا الى بارئكم ﴾ أي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ يعني ليقتل البريء منكم المجرم * فأن قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على أن لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل * قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان أن توبتهم لا تتم الا بالقتل وأنما كان كذلك لان الله أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل * فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة * قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضي أن يقتل التائب من الردة اما عاما في حق الكل أو خاصا في حق الذين عبدوا العجل ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾

تشكروا عفوي (وأذ آتينا موسى الكتاب) أعطينا موسى التوراة (والفرقان) يعني بينا فيها الحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك ويقال النصرة والدولة على فرعون (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا من الضلالة ثم ذكر قصة موسى مع قومه فقال (وأذ قال موسى لقومه ياقوم أنكم ظلمتم أنفسكم) ضررتم أنفسكم (باتخاذكم العجل) بعبادتكم (يعني) العجل فقالوا لموسى فماذا تأمرنا فقال لهم (فتوبوا الى بارئكم) الى خالقكم قالوا كيف نتوب فقال لهم (فاقتلوا أنفسكم) فليقتل الذي لم يعبد العجل الذي عبده (ذلكم) التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) خالقكم

الحياة الابدية والبهجة السرمدية ﴿ فتاب عليكم ﴾ متعلق بمحذوف أن جعلته من كلام موسى عليه الصلاة والسلام لهم تقديره أن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف أن جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريق الالتفات كأنه قال ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه أشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التى هى مثل فى الغباوة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب ﴿ أنه هو التواب الرحيم ﴾ الذى يكثر توفيق التوبة أو قبولها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم ﴿ واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك ﴾ لاجل قولك أو لن نقر لك ﴿ حتى نرى الله جهرة ﴾ عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية أو الحال من الفاعل أو المفعول * وقرئ جهرة بالفتح على أنها مصدر كالغلبة أو جمع جاهر كالكتبة فتكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه الصلاة والسلام للميقات وقيل عشرة

يعنى القتل وتحمل هذه الشدة لأن الموت لابد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت القوم الخناجر والسيوف وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فما يمكنهم المضى لامر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نفعل فارسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لايبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يارب هلكت بنوا أسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله عزوجل ﴿ فتاب عليكم ﴾ أى فعلتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم ﴿ أنه هو التواب ﴾ أى الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة ﴿ الرحيم ﴾ بخلقه * قوله عزوجل ﴿ واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك ﴾ أى لن نصدقك ﴿ حتى نرى الله جهرة ﴾ أى عيانا وذلك أن الله عزوجل أمر موسى أن يأتيه فى ناس من بنى أسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى فى الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلو تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى أنى أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى

على المعصية (فتاب عليكم أنه هو التواب) المفضال بقبول التوبة وان كثرت (الرحيم) بعفو الحوبة وان كبرت والفاء الاولى للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فأن فعلتم فقد تاب عليكم (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) عيانا وانتصابها على المصدر كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال من نرى أى ذوى

(فتاب عليكم) فتجاوز عنكم (أنه هو التواب) المتجاوز لمن تاب (الرحيم) على من مات على التوبة (واذ قلتم) وقد قلتم (ياموسى لن نؤمن لك) لن نصدقك فيما تقول (حتى نرى الله جهرة) معاينة كما رأيت

جهرة (فأخذتكم الصاعقة) أي الموت قيل هي نار جاءت من السماء فأحرقتهم روى أن السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة فقال موسى سألته ذلك فأباه علي فقالوا انك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم صاعقة فاحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية لانه لوكان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ماهو جائز الثبوت قلنا انما عوقبوا بكفرهم لان قولهم أنك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولانهم امتنعوا عن الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم ولانهم لم يسألوا سئوال استرشاد بل سئوال تعنت وعناد (وأنتم تنظرون) اليها حين نزلت (ثم بعثناكم) أحييناكم وأصله الاثارة (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت (وظللنا عليكم الغمام) جعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وأنزلنا عليكم المن) الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلوى) كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها مايكفيه وقلنا لهم (الترنجبين)

آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذي أعطاك التوارة وكلمك أو أنك نبي ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فأنهم ظنوا أنه سبحانه وتعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ ما أصابكم بنفسه أو بأثره ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴾ بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة ﴿ وظللنا عليكم الغمامه ﴾ سخر الله سبحانه وتعالى لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه ﴿ وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني

فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم أن المراد بالرؤية العلم ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ قيل هي الموت وفيه ضعف لان قوله وأنتم تنظرون يرده اذ لوكان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل أن الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل أن نارا نزلت من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل أرسل جوعا من الملائكة فسمعوا بحسهم فخروا صعقين ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ أي ينظر بعضكم الى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول الهي ماذا أقول لبني أسرائيل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم لوشئت أهلكتهم من قبل وأياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ﴿ ثم بعثناكم ﴾ أي أحييناكم ﴿ من بعد موتكم ﴾ أي لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ ﴿ قوله عز وجل ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك أنه لم يكن لهم في التيه شئ يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما أبيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضئ لهم بالليل اذا لم يكن قمر ﴿ وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ أي في التيه والاكثرون على أن المن هو

(فأخذتكم الصاعقة) فاحرقتكم النار (وأنتم تنظرون) اليها (ثم بعثناكم) أحييناكم (من بعد موتكم) حرقكم (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا احيائي (وظللنا عليكم الغمام) في التيه (وانزلنا عليكم المن والسلوى) في التيه

وينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لاتتسخ ولاتبلى ﴿ كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ على ارادة القول ﴿ وماظلمونا ﴾ فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم وماظلمونا ﴿ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ بالكفران لانه لايتخطاهم ضرره ﴿ وأذ قلنا ادخلوا هذه القرية ﴾ يعنى بيت المقدس وقيل أريحاء أمروابه بعد التيه ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ واسعا ونصبه على المصدر أو الحال من الواو ﴿وادخلوا الباب﴾ أى باب القرية أو القبة التى كانوا يصلون اليها فأنهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿سجدا﴾ متطامنين مخبتين أو ساجدين

الترنجبين وقيل هو الشئ كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق وأصل المن هو ما من الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماؤها شفاء للعين * ومعنى الحديث ان الكماة شئ أنبته الله من غير سعى أحد ولامؤنة وهو بمنزلة المن الذى كان ينزل على بنى أسرائيل * وقوله وماؤها شفاء للعين معناه أن يخلط مع الادوية فينتفع به لاأنه يقطر ماؤها بحتا فى العين وقيل أن تقطيره فى العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع فى العين وكان هذا المن ينزل على أشجارهم فى كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل أنسان صاع فقالوا ياموسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه فكان الرجل يأخذ مايكفيه يوما وليلة فأذا كان يوم الجمعة يأخذ مايكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شئ ﴿كلوا ﴾ أى وقلنا لهم كلوا ﴿من طيبات﴾ أى حلالات ﴿مارزقناكم﴾ أى ولاتدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنوا أسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر * قوله لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير ﴿وماظلمونا ﴾ أى وما بخسوا حقنا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يعنى بأخذهم أكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب فى الدنيا ولا حساب فى العقبى * قوله عز وجله ﴿وأذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس رضى الله عنهما هى أريحاء قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لانه هو الذى فتح أريحاء بعد موت موسى لان موسى مات فى التيه وقيل هى بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضى الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ أى موسعا عليكم ﴿وادخلوا الباب﴾ فمن قال أن القرية أريحاء قال ادخلوا من أى باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال أن القرية هى بيت المقدس قال هو باب حطة ﴿سجدا﴾ منحنين خضعا متواضعين كالراكع

يعنى فظلموا بأن كفروا هذه النعم وماظلمونا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أنفسهم مفعول يظلمون وهو خبر كان (وأذ قلنا) لهم بعد ماخرجوا من التيه (ادخلوا هذه القرية) أى بيت المقدس أو أريحاء والقرية المجتمع من قريت لانها تجمع الخلق أمروا بدخولها بعد التيه (فكلوا منها) من طعام القرية وثمارها (حيث شئتم رغدا) واسعا (وادخلوا الباب) باب القرية أو باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام وانما دخلوا الباب فى حياته ودخلوا بيت المقدس بعده (سجدا) حال وهو جمع ساجد أمروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى

(كلوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم) أعطيناكم ولا ترفعوا لغد فرفعوا (وما ظلمونا) وما نقصونا بما رفعوا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يضرون (وأذ قلنا ادخلوا هذه القرية) قرية أريحاء (فكلوا منها حيث شئتم) ومتى ماشئتم (رغدا) موسعا عليكم (وادخلوا الباب سجدا) ركعا

وتواضعاله (وقولواحطة) فعلة من الحط كالجلسة وهى خبرمبتدأ محذوف أى مسئلتناحطة أوأمرك حطة والاصل النصب وقدقرئ به بمعنى حط عناذنوبناحطة وانمارفعت لتعطى معنى الثبات وقيل أمرنا حطة اى أن نحط فى هذه القرية ونستقر فيهاوعن على رضى الله عنه هوبسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة هولااله الاالله (نغفرلكم خطاياكم) جمع خطيئة وهى الذنب يغفرمدنى تغفر شامى (وسنزيدالمحسنين) أى من كان محسنامنكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا

قولا غيرالذى قيل لهم) فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولاغيرالذى قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعول واحد بنفسه والى آخر بالباء فالذى مع الباء متروك والذى بغيرباء موجود يعنى وضعوا مكان حطة قولاغيرهاأى أمروابقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وقيل قالوامكان حطة حنطة وقيل قالوابالنبطية حطا سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم بماقيل لهم وعدولاعن طلب ماعند الله الى طلب مايشتهون من اعراض الدنيا (فانزلنا على الذين ظلموا رجزا) عذابا وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح أمرهم وايذان بانزال الرجزعليهم لظلمهم (من السماء) صفة لرجز (بما كانوايفسقون) بسبب فسقهم روى أنه مات منهم فى ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل

لله سبحانه وتعالى شكرا على أخراجكم من التيه ﴿وقولوا حطة﴾ أى مسألتناحطة أوأمرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عناذنوبنا حطة أو على أنه مفعول قولوا أى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أى أن نحط فى هذه القرية ونقيم بها ﴿نغفرلكم خطاياكم﴾ بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا أصله خطايئ كخضائع فعندسيبويه أنه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعدالالف واجتمعت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت الهمزة بين ألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهماما ذكر ﴿وسنزيدالمحسنين﴾ ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه عن صورة الجواب الى الوعد أيهاما بأن المحسن بصدد ذلك وأن لم يفعله فكيف اذا فعله وأنه يفعله لامحالة ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غيرالذى قيل لهم﴾ بدلوا بما أمروا به من التوبة والاستغفار طلب مايشتهون من اعراض الدنيا ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ كرره مبالغة فى تقبيح أمرهم وأشعارا بأن الانزال عليهم لظلمهم بوضع غيرالمأموربه موضعه أو على أنفسهم بأن تركوا مايوجب نجاتها الى مايوجب هلاكها ﴿رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ عذابا مقدرا من السماء بسبب

ولم يردبه نفس السجود ﴿وقولواحطة﴾ أى حط عناخطايانا أمروا بالاستغفار وقال ابن عباس رضى الله عنهما قولوا لااله الاالله لانهاتحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتناحطة ﴿نغفرلكم خطاياكم﴾ أى نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تسترالذنوب ﴿وسنزيد المحسنين﴾ يعنى ثوابا ﴿فبدل﴾ أى فغير ﴿الذين ظلموا قولاغيرالذى قيل لهم﴾ أى قالوا قولا غيرماقيل لهم وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطا سمقاثا أى حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا فى الفعل كما خالفوا فى القول وبدلوه (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى أسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعرة ﴿فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء﴾ يعنى عذابا من السماء قيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون ألفا ﴿بما كانوا يفسقون﴾

(اى)

(وقولواحطة) ان تحط عنا خطايانا ويقال لااله الاالله (نغفرلكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) فى حسناتهم (فبدل الذين ظلموا) أنفسهم وهم أصحاب الحطة (قولا غير الذى قيل لهم) أمر لهم فقالوا حنطة سمقاثا يعنى الحنطة الحمراء (فانزلنا على الذين ظلموا) غيروا القول وهم أصحاب الحطة (رجزا) طاعونا (من السماء بما كانوا يفسقون)

سبعون ألفا (وأذ استسقى موسى لقومه) موضع اذنصب كأنه قيل واذكروا اذاستسقى أى استدعى أن يسقى قومه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) عطشوا فى التيه فدعاله موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقدروى أنه حجر طورى حمله معه وكان مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا أو للجنس أى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وهذا أظهر فى الحجة وأبين فى القدرة (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف أى فضرب فانفجرت أى سالت بكثرة أو فأن ضربت فقد انفجرت وهى على هذا فاء فصيحة لاتقع ألا فى كلام بليغ (منه اثنتا عشرة عينا) على عدد الاسباط وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما

فسقهم * والرجز فى الاصل مايعاف عنه وكذلك الرجس * وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى أنه مات به فى ساعة أربعة وعشرون ألفا ﴿ وأذاستسقى موسى لقومه ﴾ لما عطشوا فى التيه ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر ﴾ اللام فيه للعهد على ماروى أنه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث أعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر أثنا عشر ميلا أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه الصلاة والسلام فأعطاه أياه مع العصا أو الحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به مما رموه به من الادرة فأشار اليه جبريل عليه الصلاة والسلام بحمله أو للجنس وهذا أظهر فى الحجة قيل لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا الى الارض لاحجارة بها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا أن فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه لاتقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا فى ذراع والعصا عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة ﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ﴾ متعلق بمحذوف تقديره فأن ضربت فقد انفجرت أو فضرب فانفجرت كما مر فى قوله سبحانه وتعالى فتاب عليكم * وقرئ عشرة بكسر الشين

أى يعصون ويخرجون عن أمر الله تعالى * قوله عز وجل ﴿ وأذ استسقى موسى لقومه ﴾ أى طلب السقيا لقومه وذلك أنهم عطشوا فى التيه فسألوا موسى أن يستسقى لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال مبينا ﴿ فقلنا اضرب بعصاك ﴾ وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ﴿ الحجر ﴾ قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أى حجر كان فيتفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل أنه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس رضى الله عنهما كان حجرا خفيفا مربعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه فى مخلاة فأذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر أربعة وجوه فى كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهى الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذى وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففربه فأتاه جبريل وقال أن الله يأمرك أن ترفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه فى مخلاة فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتتفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم فى جدول وكان اذا أراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله تعالى ﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ﴾ يعنى على عدد أسباط بنى أسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست

يغيرون ما أمروا به (وأذ استسقى موسى لقومه) فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر)الذى معك وكان حجرا أعطاه الله عليه اثناعشر ثديا كثدى المرأة يخرج من كل ثدى نهر اذا ضرب عصاه عليه (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) نهرا

لغتان وعينا تميز (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التى يشربون منها وقلنالهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من ماء العيون (من رزق الله) أى الكل مما رزقكم الله (ولاتعثوا فى الارض) لاتفسدوا فيها والعيث أشد الفساد (مفسدين) حال مؤكدة أى لاتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه

وفتحها وهما لغتان فيه ﴿ قد علم كل أناس ﴾ كل سبط ﴿ مشربهم ﴾ عينهم التى يشربون منها ﴿ كلوا واشربوا ﴾ على تقدير القول ﴿ من رزق الله ﴾ يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به ﴿ ولا تعثوا فى الارض مفسدين ﴾ لاتعتدوا حال أفسادكم وأنما قيده لانه وأن غلب فى الفساد قد يكون منه ماليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر عليه الصلاة والسلام الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير أنه يغلب فيما يدرك حسا ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله سبحانه وتعالى وقلة تدبره فى عجائب صنعه فأنه لما أمكن أن يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر من الخل ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك ﴿ وأذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ﴾ يريد به ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى وبوحدته أنه لايختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون أنه لاتتغير ألوانه ولذلك أجوا أو ضرب واحد لانهما معا طعام أهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما ألفوه ﴿ فادع لنا ربك ﴾ سله لنا بدعائك أياه ﴿ يخرج لنا ﴾ يظهر لنا ويوجد وجزمه بأنه جواب فادع فأن دعوته سبب الاجابة ﴿ مما تنبت الارض ﴾ من الاسناد المجازى وأقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض

بمعنى واحد وقيل انبجست أى عرقت وانفجرت أى سالت ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ أى موضع شربهم لايدخل سبط على غيره ﴿ كلوا واشربوا ﴾ أى وقلنا لهم كلوا واشربوا ﴿ من رزق الله ﴾ يعنى المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة ﴿ ولاتعثوا فى الارض مفسدين ﴾ العيث أشد الفساد * فى هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ماروى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم لانه انفجر الماء من بين أصبعيه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من الدم واللحم أعظم من انفجاره من الحجر * قوله عزوجل ﴿ وأذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ﴾ وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة * فأن قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد * قلت أرادوا بالواحد مالايختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة ألوان يداوم عليها فى كل يوم لايبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد ﴿ فادع لنا ربك ﴾ أى فاسأل لنا ربك ﴿ يخرج لنا مما تنبت الارض

(وأذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) هو ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى وانما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لان هم ارادوا بالواحد مالا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لايبدلها يقال لايأكل فلان الاطعاما واحدا ويراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف أو أرادوا أنهما ضرب واحد لانهما معا من طعام أهل التلذذ والترف وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك (فادع لنا ربك) سله وقل له أخرج لنا (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد (مما تنبت الارض

(قد علم كل أناس) سبط (مشربهم) من نهرهم قال الله لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من الانهار كلها (من رزق الله) لكم (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) ولا تمشوا فى الارض بالفساد وخلاف أمر موسى (وأذ قلتم) وقد قلتم (ياموسى لن نصبر على طعام واحد) على أكل طعام واحد المن والسلوى (فادع) أى اسأل (لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض) مما تخرج الارض (من)

من بقلها) هو ما أنبتته الارض من الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوها مما يأكل الناس (وقثائها) يعني الخيار (وفومها) هو الحنطة أو الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها (وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى) أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار (بالذي هو خير) أرفع وأجل (اهبطوا مصرا) من الامصار أي انحدروا اليه من التيه وبلاد ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ أو مصر فرعون وانما صرفه مع وجود السببين وهما التأنيث والتعريف لارادة البلد أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف (فإن لكم) فيها (ما سألتم) أي فان الذي سألتم يكون في الامصار لا في التيه (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي الهوان والفقر يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة وفقر اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية عليهم الذلة حمزة وعلي وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم أبو عمرو وبكسر الهاء

﴿ من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾ تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل بإعادة الجار والبقل ما أنبتته الارض من الخضر والمراد به أطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ وقثائها بالضم وهو لغة فيه ﴿قال﴾ أي الله أو موسى عليه الصلاة والسلام ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ أقرب منزلة وأدون قدرا وأصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ أدنأ من الدناءة ﴿ بالذي هو خير ﴾ يريد به المن والسلوى فإنه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي ﴿ اهبطوا مصرا ﴾ انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين وقيل أراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل البلد ويؤيده أنه غير منون في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وقيل أصله مصرائيم فعرب ﴿ فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴾ أحيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر أذلاء مساكين اما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف

﴿من بقلها وقثائها وفومها﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم ﴿وعدسها وبصلها﴾ انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة أو لانهم ملوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى ﴾ أي الذي هو أخس وأردأ وهو الذي طلبوه ﴿بالذي هو خير﴾ يعني بالذي هو أشرف وأفضل وهو ما هم فيه ﴿اهبطوا مصرا﴾ يعني ان أبيتم الا ذلك فأتوا مصرا من الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول ﴿فإن لكم ما سألتم﴾ يعني من نبات الارض ﴿وضربت عليهم الذلة﴾ أي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد ﴿والمسكنة﴾ أي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا أغنياء مياسير كأنهم فقراء فلا ترى أحدا من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود

(من بقلها وقثائها وفومها) أي ثومها (وعدسها وبصلها قال) لهم موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى) أردأ الثوم والبصل (بالذي هو خير) أفضل وأشرف المن والسلوى أي تسألون الذي هو الردئ وتتركون الذي هو الشريف (اهبطوا مصرا) الذي خرجتم منه ويقال مصرا من الامصار (فأن لكم ما سألتم) فان ما سألتم لكم ثمة (وضربت عليهم الذلة) جعلت عليهم المذلة بالجزية (والمسكنة)

وضم الميم غيرهم (وباؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له أى صاروا أحقاء بغضبه
وعن الكسائى حفوا (ذلك) اشارة الى ماتقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين) بالهمزة نافع وكذا بابه أى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعياء وزكريا ويحيى
صلوات الله عليهم والنبى من النبأ لانه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل أو بمعنى
مفعل أو من نبا أى ارتفع
والنبوة المكان المرتفع
(بغير الحق) عندهم أيضا
فأنهم لو أنصفوا لم يذكروا
شيأ يستحقون به القتل
عندهم فى التوراة وهو فى
محل النصب على الحال من
الضمير فى يقتلون أى
يقتلونهم مبطلين (ذلك)
تكرار للاشارة (بما عصوا
وكانوا يعتدون) بسبب
ارتكابهم أنواع المعاصى
واعتدائهم حدود الله فى
كل شئ مع كفرهم بآيات الله
وقتلهم الانبياء وقيل
هو اعتداؤهم فى السبت
ويجوز أن يشار بذلك الى
الكفر وقتل الانبياء على
أن ذلك بسبب عصيانهم
واعتدائهم لانهم انهمكوا
فيهما وغلوا حين قست قلوبهم
فجسروا على جحود الآيات
وقتلهم الانبياء أو ذلك
الكفر والقتل مع ماعصوا

جزيتهم ﴿ وباؤا بغضب من الله ﴾ رجعوا به أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به وأصل البواء المساواة ﴿ ذلك ﴾ أشارة الى ماسبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ماعد عليهم من فلق البحر وأظلال الغمام وأنزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر أو بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتى فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأنهم قتلوا اشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذلم يروا منهم مايعتقدون به جواز قتلهم وأنما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشار اليه بقوله ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ أى جرهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فأن صغار الذنوب سبب يؤدى الى ارتكاب كبارها كما أن صغار الطاعات أسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على أن مالحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب أرتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله سبحانه وتعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وأنما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ماذكر أو تقدم للاختصار ونظيره فى الضمير قول رؤبة يصف بقرة

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

والذى حسن ذلك أن تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة

﴿ وباؤا ﴾ أى رجعوا ولا يقال باء الا بشر ﴿ بغضب من الله ﴾ وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه ﴿ ذلك ﴾ أى الغضب ﴿ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ أى بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التى فى التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن ﴿ ويقتلون النبيين ﴾ النبى معناه المخبر من أنبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع ﴿ بغير الحق ﴾ أى بغير جرم * فأن قلت قتل الانبياء لايكون الا بغير حق فما فائدة ذكره * قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ماأمر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لأن حكمه ينقسم الى حق وجور يروى أن اليهود قتلت سبعين نبيا فى أول النهار وقامت الى سوق بقلها فى آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعياء وغيرهم من الانبياء ﴿ ذلك بما عصوا ﴾ أى ذلك القتل والكفر بما عصوا أمرى ﴿ وكانوا يعتدون ﴾

زى الفقر (وباؤا بغضب
من الله ذلك) اللعنة والذلة والمسكنة (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله) (أى) يجحدون
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ويقتلون النبيين بغير الحق) بغير حق ولا جرم (ذلك) الغضب (بما
عصوا) الله فى السبت (وكانوا يعتدون) بقتل الانبياء واستحلال المعاصى ثم ذكر الذين آمنوا منهم

(قوله وانما جوزت الاشارة الخ) الاصل فى اسم الاشارة والضمير اذا كانا مفردين ان يرجعا لما هو مطابق لهما لكنهما قد يعبر بهما عن متعدد بتأويل المذكور ونحوه مما هو مفرد لفظا مجموع معنا وهو فى اسم الاشارة كثير وقد يجرى ذلك فى الضمير حملا عليه ولذا قال ونظيره واسم الاشارة هنا لمتعدد فى سائر الوجوه فهذا توجيه لها كلها لا للاخير فقط اه كفاية مصححه

(أن الذين آمنوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا نصارى لانهم نصروا المسيح (والصابئين) الخارجين من دين مشهور الى غيره من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤن الزبور (من آمن بالله واليوم الآخر) من هؤلاء الكفرة

ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ﴿ أن الذين آمنوا ﴾ بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة ﴿ والذين هادوا ﴾ تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود أما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل وأما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿ والنصارى ﴾ جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه الصلاة والسلام أو لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها أو من اسمها ﴿ والصابئين ﴾ قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو أن كان عربيا فمن صبأ اذا خرج * وقرأ نافع وحده بالياء أما لانه خفف الهمزة وأبدلها ياء أو لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم أو من الحق الى الباطل ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر

أي يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي * قوله عز وجل ﴿ أن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ يعني اليهود سموا بذلك لقولهم أنا هدنا اليك أي ملنا اليك وقيل هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل أنهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ والنصارى ﴾ سموا بذلك لقول الحواريين نحن أنصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها ﴿ والصابئين) أصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس رضي الله عنهم هم قوم من أهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب وقال ابن عباس لاتحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لاتحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة أخذوا من كل دين شيأ والاقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب وذلك أنهم يعتقدون أن الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وأنها هي التي تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الوظائف قال ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ * فأن قلت كيف قال في أول الآية أن الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم أولا ثم التخصيص آخرا * قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان * أحدهما أنه أراد أن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي رضي الله عنهم فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال أن الذين آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم

فقال (أن الذين آمنوا) بموسى وسائر الانبياء فلهم أجرهم ثوابهم عند ربهم في الجنة ولاخوف عليهم بالدوام ولاهم يحزنون بالدوام ويقال ولاخوف عليهم فيما يستقبلهم من العذاب ولاهم يحزنون على ماخلفوا من خلفهم ويقال ولاخوف عليهم اذا ذبح الموت ولاهم يحزنون اذا أطبقت النار ثم ذكر الذين لم يؤمنوا بموسى وسائر الانبياء فقال (والذين هادوا) مالوا عن دين موسى وهم اليهود الذين تهودوا (والنصارى) الذين تنصروا (والصابئين) قوم من النصارى يحلقون وسط رؤسهم ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة يقولون صبأت قلوبنا أي رجعت قلوبنا الى الله (من آمن) منهم (بالله واليوم الآخر

ايمانا خالصا (وعمل صالحا)فلهم أجرهم) ثوابهم (عندربهم) فى الآخرة (ولاخوف

عليهم ولاهم يحزنون) ومحل
من آمن الرفع ان جعلته
مبتدأ خبره فلهم أجرهم
والنصب ان جعلته بدلا
من اسم أن والمعطوف عليه
فخبران فى الوجه الاول
الجملة كما هى وفى الثانى فلهم
والفاء لتضمن من معنى الشرط
(وإذ أخذنا ميثاقكم) بقبول
مافى التوراة (ورفعنا فوقكم
الطور) أى الجبل حتى
قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك
أن موسى عليه السلام جاءهم
بالالواح فرأوا ما فيها من
الآصار والتكاليف الشاقة
فكبرت عليهم وأبوا قبولها
فأمر الله تعالى جبريل
عليه السلام فقلع الطور من
أصله ورفعه فظله فوقهم
وقال لهم موسى ان قبلتم
والا ألقى عليكم حتى قبلوا
وقلنا لكم (خذوا ما آتيناكم)
من الكتاب أى التوراة
(بقوة) بجد وعزيمة
(واذكروا ما فيه) واحفظوا
ما فى الكتاب وادرسوه
ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه

وعمل صالحا) فيما بينهم وبين
ربهم (فلهم أجرهم)
ثوابهم أيضا (عند ربهم
ولاخوف عليهم ولاهم
يحزنون) ثم ذكر أخذ
الميثاق عليهم فقال (وإذ
أخذنا ميثاقكم) وقد
أخذنا اقراركم (ورفعنا) قلعنا وحبسنا (فوقكم) فوق رؤسكم (الطور) الجبل بأخذ الميثاق (خذوا ما آتيناكم) اعملوا بما { لعلكم }
أعطيناكم من الكتاب (بقوة) بجد ومواظبة النفس (واذكروا مافيه) من الثواب والعقاب واحفظوا مافيه من الحلال والحرام

وعمل صالحا ﴾ من كان منهم فى دينه قبل أن ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة أيمانا خالصا ودخل فى الاسلام دخولا صادقا ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ الذى وعدلهم على أيمانهم وعملهم ﴿ ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر أن أو بدل من اسم أن وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها فى خبر أن من حيث أنها لاتدخل الشرطية ورد بقوله تعالى أن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ﴾ باتباع موسى عليه الصلاة والسلام والعمل بالتوراة ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ حتى أعطيتم الميثاق روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا ﴿ خذوا ﴾ على ارادة القول ﴿ ما آتيناكم ﴾ من الكتاب ﴿ بقوة ﴾ بجد وعزيمة ﴿ واذكروا ما فيه ﴾

بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم أجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعنى الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعنى فى زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة * وأما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان فى أول الآية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال هؤلاء المطلوبون كل من آمن منهم الايمان الحقيقى صار مؤمنا عند الله وقيل أن المراد من قوله ان الذين آمنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حين الماضى وثبتوا على ذلك فى المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ وعمل صالحا ﴾ أى فى أيمانه ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ أى جزاء أعمالهم ﴿ ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ أى فى الآخرة * قوله عز وجل ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ﴾ أى عهدكم يا معشر اليهود ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ يعنى الجبل العظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما أمر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما أنزل التوراة على موسى وأمرهم أن يعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها لما فيها من الآصار يعنى الأثقال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام أن يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما فى التوراة والا أرسلت هذا الجبل عليكم ﴿ خذوا ﴾ أى قلنا لهم خذوا ﴿ ما آتيناكم ﴾ أى ما أعطيناكم ﴿ بقوة ﴾ أى بجد واجتهاد ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ أى ادرسوا ما فيه

(لعلكم تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين (ثم توليتم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (من بعد ذلك) من بعد القبول (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتأخير العذاب عنكم

أو بتوفيقكم للتوبة (لكنتم من الخاسرين)

ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فأنه ذكر بالقلب أو اعملوا به ﴿ لعلكم تتقون ﴾ لكى تتقوا المعاصى أو رجاء منكم أن تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف أى قلنا خذوا واذكروا أرادة أن تتقوا ﴿ ثم توليتم من بعد ذلك ﴾ أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه ﴿ لكنتم من الخاسرين ﴾ المغبونين بالانهماك فى المعاصى أو بالخبط والضلال فى فترة من الرسل * ولو فى الاصل لامتناع الشئ لامتناع غيره فأذا دخل على لا افاد أثباتا وهو امتناع الشئ لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت ﴾ اللام موطئة للقسم * والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم

﴿ لعلكم تتقون ﴾ أى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى وألا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود اليهود لا يسجدون ألا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب ﴿ ثم توليتم ﴾ أى أعرضتم ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى من بعد ما قبلتم التوراة ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ أى بالامهال ﴿ لكنتم من الخاسرين ﴾ أى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب فى العقبى ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم ﴾ أى جاوزوا الحد ﴿ فى السبت ﴾ يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم وأصل السبت القطع

ذكر الاشارة الى القصة

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا فى زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض أيلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر ألا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فأذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت ولم تنهوا عن أخذها فى غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها أنهارا فأذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فأذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت ألا قد حل لنا فأخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية

الهالكين فى العذاب (ولقد علمتم) عرفتم فيتعدى الى مفعول واحد (الذين اعتدوا منكم فى السبت) هو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه أى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا فى السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر الا أخرج خرطومه يوم السبت فأذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم

(لعلكم تتقون) لكى تتقوا من السخط والعذاب وتطيعوا الله (ثم توليتم) أعرضتم عن الميثاق (من بعد ذلك فلولا فضل الله) من الله (عليكم) بتأخير العذاب (ورحمته)

بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليكم (لكنتم من الخاسرين) لصرتم من المغبونين بالعقوبة (ولقد علمتم) عرفتم وسمعتم عقوبة (الذين اعتدوا منكم) بأخذ الميثاق (فى السبت) يوم السبت فى زمن داود

(فقلنالهم كونوا) بتكويننا اياكم (قردة خاسئين) خبر كان أى كونوا جامعين بين القردية و الخسوء وهو الصغار و الطرد (فجعلناها) يعنى المسخة (نكالا) عبرة تنكل من اعتبر بها اى تمنعه (لما بين يديها) لما قبلها (وماخلفها) ومابعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين (وموعظة للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها (وأذ قال موسى لقومه) أى واذكروا أذ قال موسى وهو معطوف على نعمتى فى قوله اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم كانه قال اذكروا ذاك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذا فى الظروف التى مضت أى اذكروا نعمتى واذكروا وقت انجائنا اياكم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتى واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه والظروف التى تأتى الى قوله واذ

السبت وأصله القطع أمروا بأن يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود عليه الصلاة والسلام واشتغلوا بالصيد وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها أيلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت فى البحر ألا احضر هناك وأخرج خرطومه فأذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا فيها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد قال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله كونوا ليس بأمر اذ لا قدرة لهم عليه وأنما المراد به سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم * وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز ﴿ فجعلناها ﴾ أى المسخة أو العقوبة ﴿ نكالا ﴾ عبرة تنكل المعتبر بها أى تمنعه ومنه النكل للقيد ﴿ لما بين يديها وماخلفها ﴾ لما قبلها وبعدها من الامم اذ ذكرت حالهم فى زبر الاولين واشتهرت قصتهم فى الآخرين أو لمعاصريهم ومن بعدهم أو لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لاهل تلك القرية وماحواليها أو لاجل ماتقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ من قومهم أو لكل متق سمعها ﴿ وأذ قال موسى لقومه

ثلاثة أصناف وكانوا نحو سبعين ألفا * صنف أمسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد * وصنف أمسك ولم ينه * وصنف انهمكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا والله لانساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا الباب فلما أبطؤا تسوروا عليهم الجدار فأذاهم جميع قردة لهم أذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ أمر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات ﴿ فجعلناها ﴾ يعنى عقوبتهم بالمسخ ﴿ نكالا ﴾ أى عقوبة وعبرة ﴿ لمابين يديها وماخلفها ﴾ قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التى كانت عامرة فى الحال وماخلفها أى مايحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ أى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم * قوله عز وجل ﴿ وأذ قال موسى لقومه

(فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صيروا قردة ذليلين صاغرين (فجعلناها) قردة (نكالا) عقوبة (لمابين يديها) لما قبلها من الذنوب (وما خلفها) ولكى يكونوا عبرة لمن خلفهم لكى لايقتدوا بهم (وموعظة للمتقين) عظة ونهيا للمتقين لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه * ثم ذكر قصة البقرة فقال (وأذ قال) وقد قال (موسى لقومه (ان الله)

أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ أول هذه القصة قوله سبحانه وتعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة الى الامتثال ❁ وقصته أنه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنوا أخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيي فيخبر بقاتله ﴿قالوا أتتخذنا هزؤا﴾ أى مكان هزؤ أوأهله أومهزوأ بنا أوالهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به * وقرأ حمزة وأسماعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا ﴿قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ لان الهزؤ فى مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه مارمى به على طريقة البرهان وأخرج ذلك

أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ البقرة واحدة البقر وهى الانثى وأصلها البقر وهوا لشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة

ذكر الاشارة الى القصة فى ذلك

قال علماء السير والاخبار انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لاوارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى وألقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعى عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه أمر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ماأشكل عليهم فسأل موسى ربه فى ذلك فأمره بذبح بقرة وأمره ان يضربه ببعضها فقال لهم أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿قالوا أتتخذنا هزوا﴾ أى نحن نسألك أمر القتيل وأنت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعدما بين الامرين فى الظاهر ولم يعلموا ماوجه الحكمة فيه ﴿قال﴾ يعنى موسى ﴿أعوذ بالله﴾ أى امتنع بالله ﴿أن أكون من الجاهلين﴾ أى المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لاعلى وفق السؤال فلما علموا أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه أياها ولو أنهم عمدوا الى أى بقرة كانت فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان فى ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح فى بنى أسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال اللهم أنى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بأمه وكان يقسم ليله ثلاثة أجزاء يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتى به السوق فيبيعه بماشاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى أمه ثلثه فقالت له أمه يوما يابنى ان أباك ورثك عجلة أستودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع أله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها أنك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بأله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت

ابتلى ابراهيم ربه (أن الله يأمركم أن) أى بأن (تذبحوا بقرة) قال المفسرون أول القصة مؤخر فى التلاوة وهو قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك ان رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فأمرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيي فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزؤا) أتجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء هزأ بسكون الزاى والهمزة حمزة وبضمتين والواو حفص غيرهما بالتثقيل والهمزة (قال أعوذ بالله) العياذ واللياذ من واد واحد (أن أكون من الجاهلين) لان الهزء فى مثل هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض بهم أى أنتم جاهلون حيث نسبتمونى الى

أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) من البقور (قالوا أتتخذنا هزوا) أتستهزئ بنا ياموسى (قال) موسى (أعوذ بالله) امتنع بالله (ان أكون من الجاهلين) من المستهزئين بالمؤمنين فلما علموا انه

الاستهزاء (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) سؤال عن حالها وصفتها لأنهم كانوا عالمين بماهيتها لان ما وان كانت سؤالا عن الجنس وكيف عن الوصف ولكن قد تقع ما موقع كيف وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيي فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن وماهى خبر ومبتدأ (قال أنه يقول أنها بقرة لافارض) مسنة وسميت فارضا لانها فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها وارتفع فارض لانه صفة لبقرة وقوله (ولا بكر) فتية عطف عليه (عوان) نصف (بين ذلك) بين الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضى شيئين فصاعدا لانه أراد بين هذا المذكور وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة فى هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله * فيها خطوط من سواد و بلق * كأنه فى الجلد توليع البهق * ان أردت الخطوط فقل كأنها وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال

صادق (قالوا ادع لنا ربك) سل لنا ربك (يبين لنا ماهى) صغيرة أو كبيرة هى (قال) موسى (أنه يقول) أى يقول الله (أنها بقرة لافارض) لا كبيرة (ولابكر) ولا صغيرة (عوان بين ذلك) نصف أى وسط بين الصغير (أى)

فى صورة الاستعاذة استفظاعاله ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى ﴾ أى ما حالها وصفتها وكان حقه أن يقولوا أى بقرة هى أو كيف هى لان مايسئل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ماأمروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه أجروه مجرى مالم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله ﴿ قال أنه يقول أنها بقرة لافارض ولا بكر ﴾ لامسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة ﴿ عوان ﴾ نصف قال

طوال مثل أعناق الهوادى * نواعم بين أبكار وعون

﴿ بين ذلك ﴾ أى بين ماذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف اليه بين فأنه لايضاف ألا الى متعدد وعود هذه الكنايات وأجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن أنكر ذلك زعم أن المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فأن التخصيص أبطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأى الثانى

البقرة بأذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بأمه اركبنى فأنه أهون عليك فقال الفتى ان أمى لم تأمرنى بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا فأنطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع لبرك بأمك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له أمه أنك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولاتبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بأمه وهو أعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا أمى فقال له الملك لك ستة دنانير ولاتستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى ورجع الفتى الى أمه فأخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولاتبعها ألا برضاى فرجع بها الى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت أمك فقال الفتى نعم أنها أمرتنى ان لاأنقصها عن ستة على رضاها فقال الملك أنى أعطيتك اثنى عشر دينارا ولا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت له أمه ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليجربك فأذا أتاك فقل له أتأمرنا ان نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب الى أمك فقل لها امسكى هذه البقرة فأن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى أسرائيل فلاتبعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله على بنى أسرائيل ذبح البقرة بعينها فمازالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بأمه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى ﴾ أى ماسنها ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ أنه يقول ﴾ يعنى الله عزوجل ﴿ أنها بقرة لافارض ولابكر ﴾ أى لاكبيرة ولا صغيرة * والفارض المسنة التى لم تلد * والبكر الفتية التى لم تلد ﴿ عوان ﴾ أى نصف ﴿ بين ذلك ﴾

أردت كأن ذاك (فافعلوا ماتؤمرون) أى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير (قالوا ادع لناربك يبين لنا مالونها) موضع مارفع لان معناه الاستفهام تقديره ادع لناربك يبين لنا أى شئ لونها (قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها) الفقوع أشدما يكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع وهو توكيد لصفراء وليس خبرا عن اللون الاانه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولافرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفى ذكر اللون فائدة التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جدجده (تسر الناظرين) لحسنها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أوتوقعه عن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبى عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم (أن البقر تشابه علينا) ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا (وأنا أن شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها أوالى ماخفى علينا من أمر القاتل وان شاءالله اعتراض بين اسم ان وخبرها

ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه الصلاة والسلام لو ذبحوا أى بقرة أرادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله ﴿فافعلوا ماتؤمرون﴾ أى ماتؤمرونه بمعنى ماتؤمرون به من قولهم

أمرتك الخير فافعل ماأمرت به * فقد تركتك ذامال وذانشب

أو أمركم بمعنى مأموركم ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال أصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى أسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله سبحانه وتعالى جمالات صفر قال الاعشى

تلك خيلى منه وتلك ركابى * هن صفر أولادها كالزبيب

ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته أولان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لاتؤكد بالفقوع ﴿تسر الناظرين﴾ أى تعجبهم. والسرور أصله لذة فى القلب عند حصول نفع أوتوقعه من السر ﴿قالوا ادع لناربك يبين لناماهى﴾ تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ﴿أن البقر تشابه علينا﴾ اعتذار عنه أى أن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا. وقرئ أن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة ﴿وأنا أن شاء الله لمهتدون﴾ الى المراد ذبحها أو الى القاتل وفى الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد. واحتج به أصحابنا على أن الحوادث بأرادة الله سبحانه وتعالى وأن الامر قد ينفك عن الارادة وألا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة * وأجيب بأن التعليق

أى بين السنين ﴿فافعلوا ماتؤمرون﴾ أى من ذبح البقرة ولاتكثروا السؤال ﴿قالوا ادع لناربك يبين لنا مالونها قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول أصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك ﴿تسر الناظرين﴾ أى يعجبهم حسنها وصفاء لونها ﴿قالوا ادع لناربك يبين لنا ماهى﴾ أى سائمة أوعاملة ﴿أن البقر تشابه علينا﴾ أى ألتبس واشتبه أمرها علينا ﴿وأنا أن شاء الله لمهتدون﴾ أى الى وصفها قال رسول الله

والكبير (فافعلوا ماتؤمرون) ولاتسألوا (قالوا ادع لناربك) سل لنا ربك (يبين لنا مالونها) مالون البقرة (قال انه يقول انها بقرة صفراء) الظلف والقرن سوداء البدن (فاقع لونها) صاف لونها (تسر الناظرين) تعجب الناظرين اليها (قالوا ادع لناربك) سل لنا ربك (يبين لناماهى) عاملة هى أم لا (ان البقر تشابه علينا) تشاكل علينا (وأنا أن شاء الله لمهتدون) الى وصفها ويقال الى قاتل

وفي الحديث لولم يستثنوا لمابينت لهم آخر الابد أي لولم يقولوا ان شاء الله (قال أنه يقول أنها بقرة لاذلول تثير الارض) لاذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض (ولاتسقي الحرث) ولاهي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لاذلول تثير الارض أي تقلبها للزراعة وتسقي الحرث على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لاذلول مثيرة وساقية (مسلمة) عن العيوب وآثار العمل (لاشية فيها) لالمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل

مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر (قالوا الآن جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة ومابقي اشكال في أمرها جئت وبابه بغير همز أبوعمرو (فذبحوها) فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها (وماكادوا يفعلون) لغلاء ثمنها أوخوف الفضيحة في ظهور القاتل روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت البقرة وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافا (وقيل)

باعتبار التعلق ﴿ قال أنه يقول أنها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ﴾ أي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية * وقرئ لاذلول بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لابخيل ولاجبان أي حيث هو وتسقي من أسقى ﴿ مسلمة ﴾ سلمها الله سبحانه وتعالى من العيوب أوأهلها من العمل أوأخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له ﴿ لاشية فيها ﴾ لالون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخره ﴿ قالوا الآن جئت بالحق ﴾ أي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا * وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة وألقاء حركتها على اللام ﴿ فذبحوها ﴾ فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها ﴿ وماكادوا يفعلون ﴾ لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم أولخوف الفضيحة في ظهور القاتل أولغلاء ثمنها أذروى أن شيخا صالحا منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذذاك بثلاثة دنانير * وكاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فأذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح أنه كسائر الافعال ولاينافي قوله وماكادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى أنهم ماقاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل

صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لمابينت لهم آخر الدهر ﴿ قال أنه يقول أنها بقره لاذلول ﴾ أي ليست مذللة بالعمل ﴿ تثير الارض ﴾ أي تقلبها للزراعة ﴿ ولا تسقي الحرث ﴾ أي ليست بسانية * والسانية هي التي تستسقي الماء من البئر لسقي الارض ﴿ مسلمة ﴾ أي بريئة من العيوب ﴿ لاشية فيها ﴾ أي لالون فيها غير لونها ﴿ قالوا الآن جئت بالحق ﴾ أي بالبيان التام الذي لااشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها ألابقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا ﴿ فذبحوها وماكادوا يفعلون ﴾ أي وماقاربوا أن يفعلوا ماأمروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة

عامل (قال أنه يقول أنها بقرة لاذلول) لامذللة (تثير الارض) تحرث الارض (ولا تسقي الحرث) لايستسقى عليها بالسواقي الحرث (مسلمة) من كل عيب (لاشية فيها) لاوضح فيها ولا بياض (قالوا الآن جئت بالحق) ألآن تبين لنا الصفة فطلبوها واشتروها بملء مسكها ذهبا (فذبحوها وماكادوا يفعلون) في بدء الامر ويقال من غلاء ثمنها ثم ذكر المقتول فقال

للمعتزلة (واذقتلتم نفسا) بتقدير واذكروا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أى يدفع أوتدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح أولان الطرح فى نفسه دفع وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التى هى فاء الكلمة ليمكن الادغام ثم سكنوا الدال اذشرط الادغام أن يكون الاول ساكنا وزيدت همزة الوصل لانه لايمكن الابتداء بالساكن فادارا تم بغيرهمز أبوعمرو (والله مخرج ماكنتم تكتمون) مظهر لامحالة ما كتمتم من أمر القتل لايتركه مكتوما وأعمل مخرج على حكاية ماكان مستقبلا فى وقت التدارئ وهذه الجملة

﴿ ١٤٣ ﴾ { سورة البقرة }

﴿وأذ قتلتم نفسا﴾ خطاب الجمع لوجود القتل فيهم ﴿فأدارأتم فيها﴾ اختصمتم فى شأنها اذالمتخاصمان يدفع بعضهم بعضا أوتدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه وأصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل ﴿والله مخرج ماكنتم تكتمون﴾ مظهره لامحالة وأعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما أعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية ﴿فقلنا اضربوه﴾ عطف على أدارأتم ومابينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص أو القتيل ﴿ ببعضها ﴾ أى بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب ﴿ كذلك يحيي الله الموتى ﴾ يدل على ماحذف وهو فضربوه فحي والخطاب مع من حضر حياة القتيل أونزول الآية ﴿ويريكم آياته﴾ دلائله على كمال قدرته ﴿ لعلكم تعقلون﴾ لكى يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على احياء نفس

وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا ❊قوله عزوجل ﴿وأذقتلتم نفسا﴾ خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم ﴿فادارأتم فيها﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما أى اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا ﴿والله مخرج ماكنتم تكتمون ﴾ أى مظهر ماكتمتم من أمر القتيل لامحالة ولايتركه مكتوما ﴿ فقلنا اضربوه﴾ يعنى القتيل ﴿ببعضها﴾ أى ببعض البقرة قال ابن عباس رضى الله عنهما ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو أصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمين والاقرب أنهم كانوا مخيرين فى ذلك البعض وأنهم اذا ضربوه بأى جزء منها أجزأ وحصل المقصود وانه ليس فى القرآن مايدل على ذلك البعض ماهو وذلك يقتضى التخيير وفى الآية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام بأذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان يعنى ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفى الخبر ماورث قاتل بعد صاحب البقرة ﴿ كذلك ﴾ أى كما أحيا الله عاميل صاحب البقرة ﴿ يحيي الله موتى ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ أى تمنعون أنفسكم عن المعاصى ❊ فأن قلت كان حق هذه القصة أن يقدم ذكر القتيل

اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما اذارأتم و(فقلنا) والضمير فى (اضربوه) يرجع الى النفس والتذكير بتأويل الشخص والانسان أوالى القتيل لمادل عليه ماكنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة وهو لسانها أوفخذها اليمنى أوعجبها والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة (كذلك يحيي الله الموتى) عليه روى انهم لما ضربوه قام بأذن الله تعالى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحيي الله الموتى اما أن يكون خطابا للمنكرين فى زمن النبي عليه السلام واما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) دلائله على انه قادر على كل شئ (لعلكم تعقلون) فتعملون على قضية عقولكم وهى أن

(وأذقتلتم نفسا) عاميل (فادارأتم فيها) فاختلفتم فى قتلها (والله مخرج) مظهر (ماكنتم تكتمون) من قتلها (فقلنا اضربوه) عنى المقتول (ببعضها) بعضو من اعضائها ويقال بذنبها ويقال بلسانها (كذلك) كما أحيي الله عاميل (يحيي الله الموتى) للبعث (ويريكم آياته) احياءه (لعلكم تعقلون) لكى تصدقوا بالبعث بعد الموت

من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء جيعها لعدم الاختصاص والحكمة فى ذبح البقرة وضربه ببعضها وان قدر على احيائه بلا واسطة التقرب به و الاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد فى الامور والمسارعة الى امتثال أوامر الله وتكثير سؤال وغير ذلك وقيل

قدر على أحياء الانفس كلها أو تعملون على قضيته ولعله سبحانه وتعالى أعالم بحيه ابتداء وشرط فيه ماشرط لمافيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وأن من حق الطالب أن يقدم قربة والمتقرب أن يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كاروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وأن المؤثر فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى والاسباب أمارات لاأثر لها ومن أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعى فى أماتته الموت الحقيقى فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لاسمة بها من مقابحها بحيث يصل أثره الى نفسه فتحيي حياة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال

أولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فا وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب * قلت وجهه أن الله لما ذكر من قصص بنى أسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فى نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح أولا ثم عقبه بذكر القتل * فأن قلت مافائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على أن يحييه ابتداء من غير ضرب بشئ * قلت الفائدة فيه أن تكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد لاحتمال أن يتوهم متوهم أن موسى عليه الصلاة والسلام انما أحياه بضرب من السحر والحيلة فأذا أحيي القتيل عندما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم أن ذلك من عند الله تعالى وبأمره كان ذلك * فأن قلت هلا أمروا بذبح غير البقرة * قلت الكلام فى غير البقرة لو أمروا به كالكلام فى البقرة ثم فى ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها أن هذا القربان كان عندهم من أعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة فى تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذى أخذه صاحبها من ثمنها

﴿ فصل فى حكم هذه المسئلة فى شريعة الاسلام اذا وقعت ﴾

وذلك أنه اذا وجد قتيل فى موضع ولا يعرف قاتله فأن كان ثمة لوث على أنسان ادعى به واللوث أن يغلب على الظن صدق المدعى بأن اجتمع جماعة فى بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن أن القاتل فيهم أو وجد قتيل فى محلة أو قرية وكلهم أعداء القتيل

انما أمروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم لانها أفضل قرابينهم ولعبادتهم العجل فأراد الله تعالى أن يهون معبودهم عندهم وكان ينبغى أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وأن يقال واذقتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ولكنه تعالى انما قص قصص بنى اسرائيل تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها وهاتان القصتان وان كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال ومايتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد فى تثنية التقريع ولقد روعيت نكتته بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى بضمير البقرة لاباسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها ليعلم انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وقيل هذه القصة تشير الى أن من أراد احياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بانواع المجاهدات ومعنى

ويرتفع مابين العقل والوهم من التدارئ والنزاع ﴿ ثم قست قلوبكم ﴾ القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر وقساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة ﴿ من بعد ذلك ﴾ يعنى أحياء القتيل أو جميع ماعدد من الآيات فأنها مما يوجب لين القلب ﴿ فهى كالحجارة ﴾ فى قسوتها ﴿ أو أشد قسوة ﴾ منها والمعنى أنها فى القساوة مثل الحجارة أو أزيد عليها أو أنها مثلها أو مثل ماهو أشد

لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن أنهم قتلوه فأن ادعى الولى على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعى عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فأذا حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه فى قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى وجوب القود وبه قال مالك وأحمد رحمهما الله فان لم يكن ثمة لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان أحدهما أنه يحلف يمينا واحدة كما فى سائر الدعاوى والثانى أنه يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لاحكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعى بل اذا وجد قتيل فى محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ماقتلوه ولا يعرفون له قاتلا فأن حلفوا والا أخذ الدية من سكانها والدليل على أن البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ماروى عن سهل بن أبى خيثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة ابن مسعود الى خيبر وهى يومئذ صلح فتفرقا فأتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط فى دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر هو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال أتحلفون وتستحقون قاتلكم أو قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف نأخذ بايمان قوم كفار فعقله النبى صلى الله عليه وسلم من عنده وفى رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه * وزاد فى رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة أخرجاه فى الصحيحين * ووجه الدليل من هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم بدأ بايمان المدعين ليقوى جانبهم باللوث لان اليمين أبدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم

* قوله عز وجل ﴿ ثم قست قلوبكم ﴾ أى يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى من بعد ظهور الدلالات التى جاءبها موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هى اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة ﴿ فهى ﴾ يعنى القلوب فى الغلظ والشدة ﴿ كالحجارة ﴾ أى كالشئ الصلب الذى لا تخلخل فيه ﴿ أو ﴾ قيل أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو أى و ﴿ أشد قسوة ﴾

(ثم قست قلوبكم) استبعاد القسوة (من بعد ماذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها وصفة القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ من بعد (ذلك) اشارة الى احياء القتيل أو الى جميع ماتقدم من الآيات المعدودة (فهى كالحجارة) فهى فى قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها وأشد معطوف على الكاف تقديره أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو هى فى أنفسها أشد قسوة يعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هى أقسى من الحجارة وانما لم يقل أقسى لكونه أبين وأدل على فرط القسوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد

(ثم قست) جفت ويبست (قلوبكم من بعد ذلك) من بعد احياء عاميل واعلامكم قاتله (فهى كالحجارة) فى الشدة (أو أشد قسوة) بل أشد قسوة ثم عذر الحجارة وذكر منفعتها وعاب على القلوب

كريم وعمرو أكرم (وأن من الحجارة) بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة (لما يتفجر منه الانهار) ما بمعنى الذى فى موضع النصب وهو اسم ان واللام للتوكيد والتفجر التفتح بالسعة و الكثرة (وأن منها لما يشقق) أصله يتشقق وبه قرأ الاعمش فقلبت التاء شينا وأدغمت (فيخرج منه الماء) يعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا وقلوبهم لا تندى (وأن منها لما يهبط) يتردى من أعلى الجبل (من خشية الله) قيل هو مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى انه يخلق فيها الحياة والتمييز وليس شرط خلق الحياة والتمييز فى الجسم ان يكون على بنية مخصوصة عند أهل السنة وعلى هذا قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية يعنى وقلوبهم

منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بالفتح عطفا على الحجارة وأنما لم يقل أقسى لما فى أشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير أو للترديد بمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها ﴿ وأن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وأن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ تعليل للتفضيل والمعنى أن الحجارة تتأثر وتنفعل فأن منها ما يتشقق فينبع منه الماء ويتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من أعلى الجبل انقيادا لما أراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن أمره تعالى * والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد * وقرئ أن على أنها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين

---

*فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو أشد من الحجارة وأصلب *قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال ﴿ وأن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ﴾ قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذى كان يضرب عليه موسى ليسقى الاسباط *والتفجير التفتح بالسعة والكثرة ﴿ وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ﴾ يعنى العيون الصغار التى هى دون الانهار ﴿ وأن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ أى ينزل من أعلى الجبل الى أسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع *فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى *قلت أن الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب أهل السنة ان الله تعالى أودع فى الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليهما غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وأن من شئ ألا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث وأنى لأعرفه الآن *عن على رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل ألا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع فى قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع حنينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه *وفى رواية صاحت النخلة صياح الصبى فنزل صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى لا يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى الى أسفل ألا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا

فقال (وأن من الحجارة) حجارة (لما يتفجر) يخرج (منه الانهار وأن منها لما يشقق) يقول يتصدع (فيخرج منه الماء وأن منها لما يهبط) يقول يتدحرج من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله وقلوبكم لا تتحرك من خوف الله

﴿وما﴾

أن النافية ويهبط بالضم ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وعيد على ذلك * وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وأبو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء ﴿أفتطمعون﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أن يصدقوكم أو يؤمنوا لاجل دعوتكم يعنى اليهود ﴿وقد كان فريق منهم﴾ طائفة من أسلافهم ﴿يسمعون كلام الله﴾ يعنى التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول فى آخره أن استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وأن شئتم فلا تفعلوا ﴿من بعد ما عقلوه﴾ أى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم مفترون مبطلون ومعنى الآية أن احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وأنهم أن كفروا وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك ﴿وأذا لقوا الذين آمنوا﴾ يعنى منافقيهم ﴿قالوا آمنا﴾

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها فى الآخرة * قوله عز وجل ﴿أفتطمعون﴾ خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعى الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان أيضا ومعنى أفتطمعون أفترجون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أى يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه أفتطمعون أن يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب فى خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله﴾ قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم فى أفتطمعون أن يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعنى التوراة لانه يصح أن يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله ﴿ثم يحرفونه﴾ أى يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه الصلاة والسلام استدل بقول ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعدما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فأنهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول فى آخر كلامه ان استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبى صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة ﴿من بعد ما عقلوه﴾ أى علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه ﴿وهم يعلمون﴾ أى فساد مخالفته ويعلمون أيضا أنهم كاذبون * قوله عز وجل ﴿وأذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾

لاتخشى (وما الله بغافل عما تعملون) وبالياء مكي وهو وعيد (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يؤمنوا لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى فآمن له لوط يعنى اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) أى التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم (من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (واذا لقوا) أى المنافقون أو اليهود (الذين آمنوا) أى المخلصين من أصحاب محمد عليه السلام (قالوا) أى المنافقون (آمنا) بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول

(وما الله بغافل) بتارك عقوبة (عما تعملون) من المعاصى ويقال ما تكتمون من المعاصى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) أفترجو يا محمد أن تؤمن بك اليهود (وقد كان فريق منهم) وهم السبعون الذين كانوا مع موسى (يسمعون كلام الله) قراءة موسى لكلام الله (ثم يحرفونه) يغيرونه (من بعد ما عقلوه) علموه وفهموه (وهم يعلمون) أنهم يغيرونه ثم ذكر منافقى أهل الكتاب ويقال سفلة أهل الكتاب فقال (واذا لقوا الذين آمنوا) يعنى أبا بكر وأصحابه (قالوا آمنا) بنبيكم وصفته ونعته

المبشر به (واذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (الى بعض) الى الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم) أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام (بما فتح الله

عليكم) بما بين الله لكم فى التوراة من صفة محمد عليه السلام

بأنكم على الحق وأن رسولكم هو المبشر به فى التوراة ﴿ وأذا خلا بعضهم الى بعض قالوا ﴾ أى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق ﴿ اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴾ بما بين لكم فى التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم أوالذين نافقوا لاعقابهم أظهارا للتصلب فى اليهودية ومنعالهم عن أبداء ماوجدوا فى كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثانى أنكار ونهى ﴿ ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به أنه فى كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم أو بما عند ربكم أو بين يدى رسول ربكم وقيل عند ربكم يوم القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لايدفعها ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أما من تمام كلام اللائمين وتقديره أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحجونكم أو خطاب من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين متصل بقوله أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لامطمع لكم فى ايمانهم ﴿ أو لايعلمون ﴾ يعنى هؤلاء المنافقين أو اللائمين أو كليهما أو أياهم والمحرفين ﴿ أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون ﴾ ومن جملتها أسرارهم الكفر وأعلانهم الايمان واخفاء مافتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف

نزلت هذه الآية فى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقى اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته فى كتابنا ﴿ واذا خلا بعضهم الى بعض ﴾ يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب ابن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافقى اليهود على ذلك و ﴿ قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴾ يعنى قص الله عليكم فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق ﴿ ليحاجوكم به ﴾ أى ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم انه نبى حق فى كتابكم لم لاتتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فأنه نبى حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم ﴿ عند ربكم ﴾ أى فى الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بنى قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ياأخوان القردة والخنازير قالوا من أخبر محمدا بهذا هذا ماخرج ألامنكم وقيل ان اليهود أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أى ان ذلك لايليق بما أنتم عليه ﴿ أولا يعلمون ﴾ يعنى اليهود ﴿ أن الله يعلم مايسرون ﴾ أى مايخفون ﴿ ومايعلنون ﴾ أى مايبدون ومايظهرون * قوله عز وجل

(ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو فى كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد وقيل هذا على اضمار المضاف أى عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم فى الآخرة يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه (أفلا تعقلون) ان هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لاتتابعونه (أولايعلمون ان الله يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان

فى كتابنا (وأذا خلا بعضهم الى بعض) اذا رجع السفلة الى رؤسائهم (قالوا) قال الرؤساء للسفلة (أتحدثونهم) أتخبرون محمدا وأصحابه (بما فتح الله عليكم) بما بين الله لكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى كتابكم (ليحاجوكم) حتى يخاصموكم (به عند ربكم) من عند ربكم مقدم ومؤخر (أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية قال الله تعالى (أولايعلمون) (ومنهم) يعنى الرؤساء (أن الله يعلم مايسرون) فيما بينهم (وما يعلنون)

الكلم عن مواضعه ومعانيه ﴿ومنهم أميون لايعلمون الكتاب﴾ جهلة لايعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا مافيها أو التوراة ﴿ألا أمانى﴾ استثناء منقطع * والامانى جمع أمنية وهى فى الاصل مايقدره الانسان فى نفسه من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ماتمنى ومايقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليدا من المحرفين أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أن الجنة لايدخلها الا من كان هودا وأن النار لن تمسهم ألا أياما معدودة وقيل ألا مايقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله

تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

وهو لايناسب وصفهم بأنهم أميون ﴿وأن هم ألا يظنون﴾ ماهم ألا قوم يظنون لاعلم لهم وقد يطلق الظن بأزاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وأن جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة ﴿فويل﴾ أى تحسر وهلك ومن قال أنه واد أو جبل فى جهنم فمعناه أن فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو فى الاصل مصدر لافعل له وأنما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء ﴿للذين يكتبون الكتاب﴾ يعنى المحرف ولعله أراد به ماكتبوه من التأويلات الزائغة ﴿بأيديهم﴾ تأكيد كقولك كتبته بيمينى

﴿ومنهم﴾ أى من اليهود ﴿أميون﴾ أى لايحسنون الكتابة ولا القراءة جمع أمى وهو المنسوب الى أمه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة ﴿لايعلمون الكتاب ألا أمانى﴾ جمع أمنية وهى التلاوة ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

أى تلا كتاب الله وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه غير عارفين بمعانى كتاب الله تعالى وقيل الامانى الاحاديث الكاذبة المختلقة وهى الاشياء التى كتبها علماؤهم من عند أنفسهم وأضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمنى وهو قولهم لن تمسنا النار ألا أياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لايعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لاتحصل لهم ﴿وأن هم ألا يظنون﴾ أى ليسوا على يقين ﴿فويل﴾ الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة وأصلها فى اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس رضى الله عنهما الويل شدة العذاب وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * الخريف سنة ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ تأكيد للكتابة لانه يحتمل أن يأمر غيره بأن يكتب فقال بأيديهم لنفى هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته فى التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل

الكتاب) التوراة (ألا أمانى) ألا ماهم عليه من أمانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار ألا أياما معدودة أو ألا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضى الله عنه ماتمنيت منذ أسلمت أو ألا مايقرؤن من قوله * تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر * أى لايعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وانما يقرؤن أشياء أخذوها من احبارهم والاستثناء منقطع (وأن هم) وماهم (ألا يظنون) لايدرون مافيه فيجحدون نبوتك بالظن ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم (فويل) فى الحديث ويل واد فى جهنم (للذين يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) من تلقاء أنفسهم من غير

محمد وأصحابه (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب) لايحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته (ألا أمانى) أحاديث بلا أصل (وأن هم ألا يظنون) ومايتكلمون ألا بالظن بتلقين رؤسائهم (فويل) فشدة العذاب ويقال واد فى جهنم (للذين يكتبون الكتاب) يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى الكتاب (بأيديهم

أن يكون منزلا وذكر الايدى للتأكيد وهو من مجاز التأكيد (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) عوضا يسيرا (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) من الرشا (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد رضى الله تعالى عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (قل أتخذتم عند الله عهدا) أي عهدا اليكم أنه لا يعذبكم الا هذا المقدار (فلن يخلف الله عهده) متعلق بمحذوف تقديره ان أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده (أم تقولون على الله مالا تعلمون) أم اما ان تكون معادلة أي أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه مالا تعلمون أو منقطعة أي بل أتقولون على الله مالا تعلمون (بلى) اثبات لما بعد النفى وهو لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) شركا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضى الله

﴿ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾ كى يحصلوا به عرضا من أعراض الدنيا فانه وأن جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾ يعنى المحرف ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ يريد الرشا ﴿وقالوا لن تمسنا النار﴾ المس اتصال الشئ بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال ألمسه فلا أجده ﴿الا أياما معدودة﴾ محصورة قليلة *روى أن بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأنما نعذب مكان كل الف سنة يوما ﴿قل أتخذتم عند الله عهدا﴾ خبرا ووعدا بما تزعمون *وقرأ ابن كثير وحفص بأظهار الذال والباقون بأدغامه ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ جواب شرط مقدر أى أن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على أن الخلف فى خبره محال ﴿أم تقولون على الله مالا تعلمون﴾ أم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أو منقطعة بمعنى بل أتقولون على التقرير والتقريع ﴿بلى﴾ أثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفى ﴿من كسب سيئة﴾ قبيحة *والفرق بينها وبين الخطيئة أنها قد تقال فيما يقصد بالذات

العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبط الشعر فكانوا اذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا ﴿ثم يقولون هذا من عند الله﴾ يعنى هذه الصفة التى كتبوها فأذا نظروا الى النبى صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به ﴿ليشتروا به﴾ أى بما كتبوا ﴿ثمنا قليلا﴾ أى المآكل والرشا التى كانوا يأخذونها من سفلتهم قال الله تعالى ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ *قوله عز وجل ﴿وقالوا﴾ أى اليهود ﴿ان تمسنا﴾ أى لن تصيبنا ﴿النار الا أياما معدودة﴾ أى قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانا نعذب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل أنهم عنوا بالايام الاربعين يوما التى عبدوا فيها العجل وقيل أن اليهود زعموا أن الله تعالى عتب عليهم فى أمر فاقسم ليعذبنهم أربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم ﴿قل﴾ أى يا محمد لليهود ﴿أتخذتم عند الله عهدا﴾ أى موثقا أن لا يعذبكم الا هذه المدة ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ أى وعده ﴿أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى﴾ اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار أبدا ﴿من كسب سيئة﴾ السيئة اسم يتناول جميع المعاصى كبيرة كانت أو صغيرة والسيئة هنا الشرك فى قول

ثم يقولون هذا) فى الكتاب الذى جاء (من عند الله ليشتروا به) بتغييره وكتابته (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من المأكلة والفضول (فويل لهم) فشدة العذاب لهم (مما كتبت أيديهم) مما غيرت أيديهم (وويل لهم) شدة العذاب لهم (مما يكسبون) يصيبون من الحرام او الرشوة (وقالوا) يعنى اليهود (لن تمسنا النار) لن تصيبنا النار (الا أياما معدودة) قدر أربعين يوما التى عبد فيها آباؤنا العجل (قل) يا محمد (أتخذتم عند الله عهدا) على ما تقولون (فلن يخلف الله عهده) ان (ابن)
كان لكم عند الله عهد (أم تقولون) بل أتقولون (على الله مالا تعلمون) فى كتابكم (بلى) رد عليهم (من كسب سيئة) أى أشرك

عنهم (وأحاطت به خطيئته) وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه فأما اذا مات مؤمنا فأعظم الطاعات وهو الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة خطياته (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ أخذنا ميثاق بني أسرائيل) الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد (لا تعبدون ألا الله) اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه وتنصره قراءة أبي لا تعبدوا وقوله وقولوا والقول مضمر لا يعبدون مكي وحمزة وعلى لان بني أسرائيل اسم ظاهر والاسماء الظاهرة كلها غيب ومعناه ان لا يعبدوا فلما حذفت ان رفع

والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب أليم ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا أنما يصح في شأن الكافر لان غيره أن لم يكن له سوى تصديق قلبه وأقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ماهو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا أياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله سبحانه وتعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله * وقرأ نافع خطياته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما ﴿ فأولئك اصحاب النار ﴾ ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا ﴿ هم فيها خالدون ﴾ دائمون أولابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعيده بوعده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه ﴿ واذ أخذنا ميثاق بني أسرائيل لا تعبدون ألا الله ﴾ أخبار في معنى النهي كقوله سبحانه وتعالى ولا يضار كاتب

ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ أي أحدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل أحاطت به أي أهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ فان الخلود في النار هو للكفار والمشركين ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ * فأن قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا * قلت أجاب بعضهم بأن الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله آمن لا يفيد ألا انه فعل فعلا واحدا من أفعال الايمان ولهذا حسن أن يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا أولا ثم داوموا عليه آخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحات ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ * قوله عز وجل ﴿ واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل ﴾ يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد ﴿ لا تعبدون ألا الله ﴾

بالله (وأحاطت به خطيئته) أوبقه شركه أي مات عليه (فأولئك) أهل هذه الصفة (أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ثم ذكر الذين آمنوا فقال (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها ثم ذكر أيضا ميثاقه على بني اسرائيل فقال (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) لا توحدون الا الله ولا تشركون به شيأ

ولا شهيد وهو أبلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لاتعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على أرادة القول وقيل تقديره أن لاتعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله

ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

ويدل عليه قراءة أن لاتعبدوا فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل أنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال حلفناهم لاتعبدون * وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب ﴿ وبالوالدين أحسانا ﴾ متعلق بمضمر تقديره وتحسنون أو وأحسنوا ﴿ وذى القربى واليتامى والمساكين ﴾ عطف على الوالدين * واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ أى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة * وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة أهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وأرشاد

أى أمر الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهى عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لاغيره ﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ أى برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند أمرهما فيما لايخالف أمر الله تعالى ويوصل اليهما مايحتاجان اليه ولا يؤذيهما ألبتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان أن يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده أعظم النعم لانه هو الذى خلقه وأوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب فى كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية أيضا فيجب شكرهما ثانيا ﴿ وذى القربى ﴾ أى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين ﴿ واليتامى ﴾ جمع يتيم وهو الذى مات أبوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة أمور لصغره ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لايقدر هو أن ينتفع بنفسه ولايقوم بحوائجه ﴿ والمساكين ﴾ جمع مسكين وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن أن ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ فيه وجهان أحدهما أنه خطاب للحاضرين من اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولاتكتموا هما قاله ابن عباس رضى الله عنهما والوجه الثانى ان المخاطبين به هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه الصلاة السلام وأخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم فى الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وأنهوهم

(وبالوالدين احسانا) أى وأحسنوا اليلتئم عطف الامر وهو قوله وقولوا عليه (وذى القربى) القرابة (واليتامى) جمع يتيم وهو الذى فقد أباه قبل الحلم الى الحلم لقوله عليه السلام لايتم بعد البلوغ (والمساكين) جمع مسكين وهو الذى أسكنته الحاجة (وقولوا للناس حسنا) قولا هو حسن فى نفسه لافراط حسنه حسنا حمزة وعلى

(وبالوالدين احسانا) برابهما (وذى القربى) وصلة الرحم للقرابة (واليتامى) والاحسان الى اليتامى (والمساكين) والاحسان الى المساكين (وقولوا للناس حسنا) فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم حقا ويقال حسنا

(وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم) عن الميثاق ورفضتموه (ألا قليلا منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الاعراض والتولية عن المواثيق (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا أودينا وقيل اذا قتل

غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها أو وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعاد لما أسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تقتلون أنفسكم) صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته خبر أنتم (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم)

﴿ واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ يريد بهما مافرض عليهم فى ملتهم ﴿ ثم توليتم ﴾ على طريقة الالتفات أولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أى أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه ﴿ ألا قليلا منكم ﴾ يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم ﴿ وأنتم معرضون ﴾ قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ على نحو ماسبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أودينا أولانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا مايبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم أولا تفعلوا مايرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فأنه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ماتمنعون به عن الجنة التى هى داركم فأنه الجلاء الحقيقى ﴿ ثم أقررتم ﴾ بالميثاق واعترفتم بلزومه ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون أسناد الاقرار اليهم مجازا ﴿ ثم أنتم هؤلاء ﴾ أستبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه *وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذلك الرجل الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ماأسند اليهم حضورا وباعتبار ماسيحكى عنهم غيبا وقوله تعالى ﴿ تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ﴾

عن المنكر وقيل هو اللين فى القول والعشرة وحسن الخلق ﴿ وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم أنهم ماوفوا بذلك بقوله تعالى ﴿ ثم توليتم ﴾ أى أعرضتم عن العهد ﴿ ألا قليلا منكم ﴾ يعنى من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فأنهم وفوا بالعهد ﴿ وأنتم معرضون ﴾ أى كاعراض آبائكم *قوله عز وجل ﴿ واذ أخذنا ميثاقكم ﴾ قيل هو خطاب لمن كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم ﴿ لا تسفكون ﴾ أى لا تريقون ﴿ دماءكم ﴾ أى لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم ﴿ ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ أى لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيأ فتخرجوا بسببه من دياركم ﴿ ثم أقررتم ﴾ أى بهذا العهد أنه حق ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ يعنى أنتم يامعشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك ﴿ ثم أنتم هؤلاء ﴾ يعنى ياهؤلاء اليهود ﴿ تقتلون أنفسكم ﴾ أى يقتل بعضكم بعضا ﴿ وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ﴾

صدقا (وأقيموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) واعطوا زكاة أموالكم (ثم توليتم) أعرضتم عن الميثاق (ألا قليلا منكم) من آبائكم ويقال ألا قليلا منكم عبد الله بن سلام وأصحابه (وأنتم معرضون) مكذبون تاركون له (واذ أخذنا ميثاقكم) فى الكتاب (لا تسفكون دماءكم) لا تقتلون بعضكم بعضا (ولا تخرجون أنفسكم) أى بعضكم بعضا (من دياركم) من (قا وخا ٢٠ ل) منازلكم يعنى بنى قريظة والنضير (ثم أقررتم) قبلتم (وأنتم تشهدون) تعلمون ذلك (ثم أنتم هؤلاء) ياهؤلاء (تقتلون أنفسكم) بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم)

غيرمراقبين ميثاق الله (تظاهرون عليهم) بالتخفيف كوفى أى تتعاونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف احدى التاءين ثم قيل هى الثانية لان الثقل بها وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم (بالاثم

والعدوان) بالمعصية والظلم (وأن يأتوكم أسارى تفادوهم) تفدوهم أبو عمرو وأسرى تفدوهم مكى وشامى أسرى تفدوهم حمزة أسارى تفادوهم على فدى وفادى بمعنى وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى والضمير فى (وهو محرم عليكم) للشان أو هو ضمير مبهم تفسيره (اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب) بفداء الاسرى (وتكفرون ببعض) بالقتال والاجلاء قال السدى أخذ الله عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء الاسير فاعرضوا عن كل ما أمروا به

أما حال والعامل فيها معنى الاشارة أو بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذى والجملة صلته والمجموع هو الخبر * وقرئ تقتلون على التكثير ﴿ تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ﴾ حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون من الظهر * وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بحذف أحدى التاءين وقرئ بأظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون ﴿ وأن يأتوكم أسارى تفادوهم ﴾ روى أن قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فأذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار وأجلاء أهلها واذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم أسارى فى أيدى الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم * وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا جمع أسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه * وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم ﴿ وهو محرم عليكم أخراجهم ﴾ متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن أو مبهم ويفسره أخراجهم أو راجع الى مادل عليه وتخرجون من المصدر وأخراجهم بدل أو بيان ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب ﴾ يعنى الفداء ﴿ وتكفرون ببعض ﴾ يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء

أى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم ﴿ تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ﴾ أى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم ﴿ وان يأتوكم أسارى ﴾ جمع أسير ﴿ تفدوهم ﴾ أى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء * وقرئ تفادوهم أى تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآية أن الله تعالى أخذ على بنى أسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيما عبد أو أمة من بنى أسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم وأذا غلب أحد الفريقين أخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا أنا أمرنا أن نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا أنا نستحى أن تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ﴿ وهو محرم عليكم اخراجهم ﴾ وان يأتوكم أسارى تفدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع أعدائهم وفك أسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله عز وجل ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ معناه أن وجدتموهم فى يد غيركم فديتموهم وأنتم تقتلونهم بأيديكم فكان أيمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة أفعالهم لا على

من منازلهم (تظاهرون عليهم) تعاونون بعضكم بعضا (بالاثم) بالظلم (والعدوان) الاعتداء (وأن يأتوكم أسارى) يعنى أسارى أهل دينكم (تفادوهم) من العدو مقدم ومؤخر (وهو محرم عليكم اخراجهم) أى اخراجهم وقتلهم محرم عليكم (أفتؤمنون ببعض الكتاب) ببعض ما فى الكتاب تفادون أسراءكم من عدوكم (وتكفرون ببعض) وتتركون أسراء أصحابكم ولا تفادونهم ويقال أفتؤمنون ببعض الكتاب بما تهوى أنفسكم وتكفرون ببعض بما لا تهوى أنفسكم (الفداء)

ألاالفداء (فماجزاء من يفعل ذلك) هواشارة الى الايمان ببعض والكفر ببعض (منكم ألاخزى) فضيحة وهوان (فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) وهوالذى لاروح فيه ولافرح أوالى أشد من عذاب الدنيا (وماالله بغافل عماتعملون) بالياء مكى ونافع وأبوبكر (أولئك ﴿١٥٥﴾ الذين اشتروا الحيوة الدنيا {سورة البقرة} بالآخرة) اختاروها على الآخرة اختيار المشترى (فلايخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) ولاينصرهم أحد بالدفع عنهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة آتاه جملة (وقفينا من بعده بالرسل) يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا أتبعه أياه يعنى وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل وألياس واليسع ويونس وزكريا ويحيي وغيرهم (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) هى بمعنى الخادم ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا لم يثبت فى الابنية البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص

﴿فماجزاء من يفعل ذلك منكم ألاخزى فى الحيوة الدنيا﴾ كقتل بنى قريظة وسبيهم وأجلاء بنى النضير وضرب الجزية على غيرهم وأصل الخزى ذل يستحي منه ولذلك يستعمل فى كل منهما ﴿ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب﴾ لان عصيانهم أشد ﴿وماالله بغافل عماتعملون﴾ تأكيد للوعيد أى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لايغفل عن افعالهم * وقرأ عاصم فى رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم ٠ وابن كثير ونافع وشعبة عن عاصم ويعقوب يعملون على أن الضمير لمن ﴿أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة﴾ آثروا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿فلايخفف عنهم العذاب﴾ بنقض الجزية فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة ﴿ولاهم ينصرون﴾ بدفعهما عنهم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ اى التورية ﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾ أى أرسلنا على أثره الرسل كقوله سبحانه وتعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا أتبعه به من القفاه نحو ذنبه من الذنب ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ المعجزات الواضحات كأحياء الموتى وأبراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات أوالانجيل وعيسى بالعبرية أيشوع ومريم بمعنى

الفداء لانهم أتوا ببعض ماوجب عليهم وتركوا البعض ﴿فماجزاء من يفعل ذلك منكم﴾ يعنى يامعشر اليهود ﴿ألاخزى فى الحيوة الدنيا﴾ أى عذاب وهوان فكان خزى بنى قريظة القتل والسبى وخزى بنى النضير الاجلاء والنفى من منازلهم الى أريحاء وأذرعات من أرض الشام ﴿ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب﴾ يعنى عذاب النار ﴿وماالله بغافل عماتعملون﴾ فيه وعيد وتهديد عظيم ﴿أولئك الذين اشتروا﴾ أى استبدلوا ﴿الحيوة الدنيا بالآخرة﴾ لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة ﴿فلايخفف عنهم العذاب﴾ أى فلا يهون عليهم ﴿ولاهم ينصرون﴾ أى ولايمنعون من عذاب الله تعالى * قوله عزوجل ﴿ولقد آتينا﴾ أى أعطينا ﴿موسى الكتاب﴾ يعنى التوراة جملة واحدة ﴿وقفينا﴾ أى واتبعنا من التقفية وهوأن يقفو أثر الآخر ﴿من بعده بالرسل﴾ يعنى رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام متواترة يظهر بعضهم فى أثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وأرمياء وحزقيل وألياس ويونس وزكرياء ويحيي وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى أن بعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله تعالى ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ أى الدلالات الواضحات وهى المعجزات من احياء الموتى

(فما جزاء من يفعل ذلك منكم ألاخزى فى الحيوة الدنيا) الاعذاب فى الدنيا بالقتل والسبي (ويوم القيامة يردون) يرجعون (الى أشد العذاب) أسفل العذاب (وماالله بغافل) بتارك عقوبة (عماتعملون) من المعاصى ويقال ماتكتمون (أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة) اختاروا الدنيا على الآخرة والكفر على الايمان (فلايخفف) لايهون ويقال لايرفع (عنهم العذاب ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (ولقد آتينا) أعطينا (موسى الكتاب) التوراة (وقفينا) أتبعنا وأردفنا (من بعده بالرسل وآتينا) أعطينا (عيسى ابن مريم البينات) الامر والنهى والعجائب والعلامات

والاخبار بالمغيبات (وأيدناه بروح القدس) أى الطاهرة وبالسكون حيث كان مكى

الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة

قلت لزير لم تصله مريمه

ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل ﴿وأيدناه﴾ وقويناه * وقرئ آيدناه بالمد ﴿بروح القدس﴾ بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق وأراد به جبريل وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان أو لكرامته على الله سبحانه وتعالى ولذلك أضافها الى نفسه تعالى أو لانه لم تضمه الاصلاب ولا أرحام الطوامث أو الانجيل أو اسم الله الاعظم الذى كان يحيي به الموتى * وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم﴾ بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا أحب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر ﴿استكبرتم﴾ عن الايمان واتباع الرسل ﴿ففريقا كذبتم﴾ كموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام والفاء للسببية أو للتفصيل ﴿وفريقا تقتلون﴾ كزكريا ويحيي وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه

وابراء الاكمه والابرص وقيل هى الانجيل واسم عيسى بالسريانية أيشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال ﴿وأيدناه﴾ أى وقويناه ﴿بروح القدس﴾ قيل اراد بالروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وأمة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم الله الاعظم الذى كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمى جبريل روحا للطافته لانه روحانى خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل أولى لانه تعالى قال وأيدناه أى قويناه بجبريل وذلك أنه أمر أن يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يامحمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من أخبار الانبياء فعلت فائتنا بما أتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى ﴿أفكلما جاءكم﴾ يعنى يامعشر اليهود ﴿رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾ أى تعظمتم عن الايمان به ﴿ففريقا كذبتم﴾ يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ﴿وفريقا تقتلون﴾ يعنى مثل زكريا ويحيي وسائر من قتلوه وذلك أن اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيأ لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة

أى بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب أو بجبريل عليه السلام لانه يأتى بما فيه حياة القلوب وذلك لانه رفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله أو بالانجيل كما قال فى القرآن روحا من أمرنا أو باسم الله الاعظم الذى كان يحيي الموتى بذكره (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى) تحب (أنفسكم استكبرتم) تعظمتم عن قبوله (ففريقا كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيي عليهما السلام ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل ولان المراد وفريقا تقتلونه بعد لانكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى ولقد آتينا يابنى اسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما

(وأيدناه) قويناه وأعناه (بروح القدس) بجبرائيل المطهر (أفكلما جاءكم) يامعشر اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم) بما لا يوافق قلوبكم ودينكم (استكبرتم) تعظمتم عن الايمان به (ففريقا كذبتم) يقول كذبتم فريقا محمدا صلى الله عليه وسلم وعيسى (وفريقا تقتلون) وفريقا (وقالوا)

تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم (وقالوا قلوبنا غلف) جمع أغلف اى هى خلقة مغشاة بأغطية لا تتوصل اليها ماجاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن (بل لعنهم الله بكفرهم) فرد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق وانما طردهم بكفرهم وزيغهم (فقليلا ما يؤمنون) فقليلا صفة مصدر محذوف أى فأيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف أى قلوبنا أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره أو أوعية للعلوم فلو كان ماجئت به حقا لقبلنا (ولما جاءهم) أى اليهود (كتاب من عند الله) أى القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه (وكانوا من قبل) يعنى القرآن (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لاعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ماقلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (فلما جاءهم ما عرفوا)

وسميتم له الشاة ﴿ وقالوا قلوبنا غلف ﴾ مغشاة بأغطية خلقية لا يصل اليها ماجئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل أصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى أنها أوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعى ماتقول أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره ﴿ بل لعنهم الله بكفرهم ﴾ رد لما قالوه والمعنى أنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم أو أنها لم تأب قبول ماتقوله لخلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك ﴿ فقليلا ما يؤمنون ﴾ فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله ﴾ يعنى القرآن ﴿ مصدق لما معهم ﴾ من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ أى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التوراة أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث فيهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بأن الفاعل يسئل ذلك عن نفسه ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا ﴾

﴿ وقالوا ﴾ يعنى اليهود ﴿ قلوبنا غلف ﴾ جمع أغلف وهو الذى عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه قال ابن عباس رضى الله عنهما غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا أوعية للعلم فلا نحتاج الى علمك وقيل أوعية من الوعى لا تسمع حديثا الا وعته ألا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى ﴿ بل لعنهم الله بكفرهم ﴾ أى طردهم وأبعدهم من كل خير وسبب كفرهم أنهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أنهم أنكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى ﴿ فقليلا ما يؤمنون ﴾ أى لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان أكثر منهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولما جاءهم كتاب من عند الله ﴾ يعنى القرآن ﴿ مصدق لما معهم ﴾ يعنى التوراة وهذا التصديق فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة ﴿ وكانوا ﴾ يعنى اليهود ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ يستفتحون ﴾ أى يستنصرون به ﴿ على الذين كفروا ﴾ يعنى مشركى العرب وذلك أنهم كانوا اذا أحزنهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ماقلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا ﴾ أى الذى عرفوه

قتلتم يحيى وزكريا (وقالوا) يعنى اليهود (قلوبنا غلف) من قولك يا محمد أى قلوبنا أوعية لكل علم وهى لا تعى علمك وكلامك (بل) رد عليهم (لعنهم الله) طبع الله على قلوبهم (بكفرهم) عقوبة لكفرهم (فقليلا ما يؤمنون) ما يؤمنون قليلا ولا كثيرا ويقال مايؤمنون بقليل ولا بكثير (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق) موافق (لما معهم) من الكتاب بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وبعض الشرائع كفروا به (وكانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (يستفتحون) يستنصرون بمحمد والقرآن (على الذين كفروا) من عدوهم أسد وغطفان ومزينة وجهينة (فلما جاءهم ما عرفوا) صفته ونعته

ماموصولة أي ماعرفوه وهوفاعل جاء (كفروا به) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) أي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولا أوليا وجواب لما الاولى مضمر وهونحو كذبوا به أوأنكروه أوكفروا جواب الاولى والثانية لان مقتضاهما واحد ومافي (بئس ما) نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس أي بئس شيأ (اشتروا به أنفسهم) أي باعوه والمخصوص بالذم (أن يكفروا بما أنزل الله) يعني القرآن (بغيا) مفعول له أي حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا (أن ينزل الله) لان ينزل أو على أن ينزل أي حسدوه على ان ينزل الله (من فضله) الذي هو الوحي (على من يشاء من عباده) وهو محمد عليه السلام (فباؤا بغضب على غضب) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام أو بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك (وللكافرين عذاب مهين) مذل بئس ما وبابه غير مهموز أبو عمرو وينزل بالتخفيف مكي و بصري (وإذا قيل لهم) لهؤلاء اليهود (آمنوا بما أنزل الله) يعني القرآن أوهومطلق يتناول كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) أي

من الحق ﴿ كفروا به ﴾ حسدا وخوفا على الرياسة ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾ أي عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا لان الكلام فيهم ﴿ بئس ما اشتروا به أنفسهم ﴾ ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا أو اشتروا بحسب ظنهم فأنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا ﴿ أن يكفروا بما أنزل الله ﴾ هو المخصوص بالذم ﴿ بغيا ﴾ طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة أن يكفروا دون اشتروا للفصل ﴿ أن ينزل الله ﴾ لان ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتخفيف ﴿ من فضله ﴾ يعني الوحي ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ على من اختاره للرسالة ﴿ فباؤا بغضب على غضب ﴾ للكفر والحسد على من هو أفضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه الصلاة والسلام أو بعد قولهم عزير ابن الله ﴿ وللكافرين عذاب مهين ﴾ يراد به أذلالهم بخلاف عذاب العاصي فأنه طهرة لذنوبه ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ﴾ يعم الكتب المنزلة بأسرها ﴿ قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾ أي بالتوراة

يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وأنه من غير بني أسرائيل ﴿ كفروا به ﴾ أي جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا ﴿ فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به أنفسهم ﴾ أي بئس شيء اشتروا به أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم ﴿ ان يكفروا بما أنزل الله ﴾ يعني القرآن ﴿ بغيا ﴾ أي حسدا ﴿ أن ينزل الله من فضله ﴾ يعني الكتاب والنبوة ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ فباؤا ﴾ أي فرجعوا ﴿ بغضب على غضب ﴾ أي مع غضب قال ابن عباس رضي الله عنهما الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل الاول بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وللكافرين ﴾ يعني الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم ﴿ عذاب مهين ﴾ أي يهانون فيه ﴿ واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ﴾ يعني بالقرآن وقيل بكل ما أنزل الله ﴿ قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾ يعني التوراة

في كتابهم (كفروا به) جحدوا به (فلعنة الله) سخطة الله وعذابه (على الكافرين) على اليهود (بئس ما اشتروا به أنفسهم) باعوا به أنفسهم (أن يكفروا) بأن (وما)
كفروا (بما أنزل الله) من الكتاب والرسول (بغيا) حسدا (أن ينزل الله من فضله) بأن نزل الله جبريل بفضله الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعني محمدا (فباؤا بغضب على غضب) فاستوجبوا لعنة على أثر لعنة (وللكافرين عذاب مهين) يهانون به ويقال شديد (وإذا قيل لهم) يعني اليهود (آمنوا بما أنزل الله) يعني القرآن (قالوا نؤمن بما أنزل علينا)

التوراة (ويكفرون بما وراءه) أى قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ومصدقا حال مؤكدة (قل فلم تقتلون أنبياء الله) أى فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضى ويدل عليه قوله (من قبل أن كنتم مؤمنين) أى من قبل محمد عليه الصلاة والسلام اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا فى يوم واحد ثلاثمائة نبى فى بيت المقدس (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالآيات التسع وأدغم الدال فى الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلى (ثم اتخذتم العجل) ألها (من بعده) من بعد خروج موسى عليه السلام الى الطور (وأنتم ظالمون) هو حال أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها أو اعتراض أى وأنتم قوم عادتكم الظلم (وأذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة) كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى (واسمعوا)

﴿ ويكفرون بما وراءه ﴾ حال من الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به مايتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به مايواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد ﴿ وهو الحق ﴾ الضمير لما وراءه والمراد به القرآن ﴿ مصدقا لما معهم ﴾ حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فأنهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ﴿ قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين ﴾ اعتراض عليهم بقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع أدعاء الايمان بالتوراة والتوراة لاتسوغه وأنما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وأنهم راضون به عازمون عليه * وقرأ نافع وحده أنبئاء الله مهموزا فى جميع القرآن ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴾ يعنى الآيات التسع المذكورة فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴿ ثم اتخذتم العجل ﴾ أى الها ﴿ من بعده ﴾ بعد مجئ موسى أو ذهابه الى الطور ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أو بالاخلال بآيات الله تعالى أو اعتراض بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية أيضا لابطال قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى عليهما الصلاة والسلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها ﴿ وأذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ أى قلنا لهم خذوا ما أمرتم به فى التوراة

وما أنزل على أنبيائهم ﴿ ويكفرون بما وراءه ﴾ أى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعنى الانجيل والقرآن ﴿ وهو الحق ﴾ يعنى القرآن ﴿ مصدقا لما معهم ﴾ يعنى التوراة ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ﴾ انما أضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن كرهها وأنكرها برئ منها ومن رضيها كان من أهلها ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ أى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء * قوله عز وجل ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴾ أى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ أى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ انما كرره تبكيتا لهم وتأكيدا للحجة عليهم ﴿ وأذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ أى استجيبوا وأطيعوا

يعنى التوراة (ويكفرون بما وراءه) يعنى سوى التوراة (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا) موافقا بالتوحيد (لما معهم) من الكتاب قالوا يا محمد آباؤنا كانوا مؤمنين قال الله (قل) يا محمد (فلم تقتلون) قتلتم (أنبياء الله من قبل) من قبل هذا (أن كنتم مؤمنين) أن كنتم مصدقين فى مقالتكم (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (ثم اتخذتم العجل) عبدتم العجل (من بعده) من بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) كافرون (وأذ أخذنا ميثاقكم) اقراركم (ورفعنا) قلعنا ورفعنا وحبسنا (فوقكم) فوق رؤسكم (الطور) الجبل (خذوا ما آتيناكم) اعملوا بما أعطيناكم من الكتاب (بقوة) بجد النفس (واسمعوا) أطيعوا ما تؤمرون

ماأمرتم به فى التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث أنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لاسماع طاعة (وأشربوا فى قلوبهم العجل) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف وهو الحب محذوف (بكفرهم) بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه (قل بئس ما يأمركم به أيمانكم) بالتوراة لانه ليس فى التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى أيمانهم تهكم وكذا اضافة الايمان اليهم (أن كنتم مؤمنين) تشكيك فى أيمانهم وقدح فى صحة دعواهم له (قل أن كانت لكم الدار الآخرة) أى الجنة (عندالله) ظرف ولكم خبر كان (خالصة) حال من الدار الآخرة أى سالمة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الامن كان هودا (من دون الناس) هو للجنس (فتمنوا الموت أن كنتم صادقين) فيما تقولون لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة ان كل واحد منهم يحب الموت ويحن اليه

بجد وعزيمة واسمعوا سماع طاعة ﴿ قالوا سمعنا ﴾ قولك ﴿ وعصينا ﴾ أمرك ﴿ واشربوا فى قلوبهم العجل ﴾ تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى أنما يأكلون فى بطونهم نارا ﴿ بكفرهم ﴾ بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة وحلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن فى قلوبهم ماسول لهم السامرى ﴿ قل بئس مايأمركم به ايمانكم ﴾ أى بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر أو مايعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الآيات الثلاث الزاما عليهم ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره أن كنتم مؤمنين بها ماأمركم بهذه القبائح ورخص لكم فيها ايمانكم بها أو أن كنتم مؤمنين بها فبئس ما يأمركم به أيمانكم بها لان المؤمن ينبغى أن لايتعاطى الامايقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لايأمر به فأذا لستم بمؤمنين ﴿ قل أن كانت لكم الدار الآخرة عندالله خالصة ﴾ خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الامن كان هودا ونصبها على الحال من الدار ﴿ من دون الناس ﴾ سائرهم أو المسلمين واللام للعهد ﴿ فتمنوا الموت أن كنتم صادقين ﴾

أى فيما أمرتم به ﴿ قالوا سمعنا ﴾ يعنى قولك ﴿ وعصينا ﴾ يعنى أمرك وقيل انهم لم يقولوا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم ﴿ وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ أى تداخل حبه فى قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ فى الثوب وقيل ان موسى أمر أن يبرد العجل ويذرى فى النهر وأمرهم أن يشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه ﴿ قل بئس مايأمركم به أيمانكم ﴾ أى بأن تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ أى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما أنزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك فى قوله تعالى ﴿ قل ان كانت لكم الدار الآخرة عندالله خالصة من دون الناس ﴾ وذلك أن اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة ألا من كان هودا وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال قل يامحمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعنى الجنة خالصة لكم دون الناس ﴿ فتمنوا الموت ﴾ أى فاطلبوه واسألوه لان من علم أن الجنة مأواه وأنها له حن اليها ولاسبيل الى دخولها ألا بعد الموت فاستعجلوا بالتمنى ﴿ أن كنتم صادقين ﴾

(قالوا سمعنا وعصينا) كأنهم يقولون اولا الجبل لسمعنا قولك وعصينا أمرك (واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) أدخل فى قلوبهم حب عبادة العجل بكفرهم عقوبة لكفرهم (أى) (قل) يا محمد ان كان حب عبادة العجل يعدل حب خالقكم (بئسما يأمركم به أيمانكم) يعنى عبادة العجل (أن كنتم مؤمنين) مصدقين فى مقالتكم بأن آباءنا كانوا مؤمنين (قل أن كانت لكم الدار الآخرة) الجنة (عندالله خالصة) خاصة (من دون الناس) من دون المؤمنين بمحمد وأصحابه (فتمنوا الموت) فاسألوا الموت (ان كنتم صادقين) فى مقالتكم

(ولن يتمنوه أبدا) هو نصب على الظرف أى لن يتمنوه ماعاشوا (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث (والله عليم ﴿١٦١﴾ بالظالمين) تهديد لهم {سورة البقرة} (ولتجدنهم أحرص الناس)

لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على رضى الله تعالى عنه لا أبالى سطقت على الموت أو سقط الموت على وقال عمار رضى الله عنه بصفين

ألآن ألاقى الاحبة * محمدا وحزبه

وقال حذيفة رضى الله عنه حين احتضر

جاء حبيب على فاقة * لا أفلح من قد ندم

أى على التمنى سيما اذا علم أنها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ﴿ ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ﴾ من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما أخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فأن التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت لى كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل أنسان بريقه فمات مكانه ومابقى على وجه الارض يهودى ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون فى دعوى ماليس لهم ونفيه عمن هو لهم ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ﴾ من وجد بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه هم وأحرص الناس وتنكير حياة لانه أريد بها فرد من افرادها وهى الحياة المتطاولة * وقرئ باللام ﴿ ومن الذين اشركوا ﴾ محمول على المعنى فكأنه قال أحرص من الناس على الحياة ومن الذين اشركوا وأفرادهم

أى فى قولكم ودعواكم * روى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لو تمنوا الموت لغص كل أنسان بريقه وما بقى على وجه الارض يهود ألا مات قال الله تعالى ﴿ ولن يتمنوه أبدا ﴾ أى لعلمهم أنهم فى دعواهم كاذبون ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ يعنى من الاعمال السيئة وانما أضاف العمل الى اليد لان أكثر جنايات الانسان تكون من يده ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه أعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان أعم وكانوا أولى به ﴿ ولتجدنهم ﴾ اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعنى اليهود ﴿ أحرص الناس على حيوة ﴾ أى حياة متطاولة والحرص أشد الطلب ﴿ ومن الذين أشركوا ﴾ قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى وأحرص من الذين أشركوا * فأن قلت الذين أشركوا قد دخلوا تحت الناس فى قوله أحرص الناس فلم أفردهم بالذكر * قلت أفردهم

مفعولا وجد هم وأحرص (على حيوة) التنكير يدل على ان المراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبى على الحيوة (ومن الذين أشركوا) هو محمول على المعنى لان معنى أحرص الناس أحرص من الناس نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لان حرصهم شديد كما ان جبريل وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة وأريد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فأذا زاد فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم على الذين أشركوا لانهم علموا أنهم صائرون الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون

(ولن يتمنوه) لن يسألوا الموت (أبدا بما قدمت أيديهم) (قا وخا ٢١ ل) بما عملت أيديهم فى اليهودية (والله عليم بالظالمين) باليهود (ولتجدنهم) يا محمد يعنى اليهود (أحرص الناس على حيوة) على بقاء فى الدنيا (ومن الذين أشركوا) وأحرص من الذين أشركوا

لايعلمون ذلك وقوله (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم ذه هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود أحدهم على حذف الموصوف والذين أشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزيز ابن الله والضمير في (وماهو بمزحزحه من العذاب) لاحدهم وقوله (أن يعمر) فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء قال في جامع العلوم وغيره لو يعمر بمعنى أن يعمر فلو هنا نائبة عن ان وان مع الفعل في تأويل المصدر وهو مفعول يود أي يود أحدهم تعمير ألف سنة (والله بصير بما يعملون) أي بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه وبالتاء يعقوب (قل من كان عدوا لجبريل) بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز مكي وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعا كوفي غير حفص وبكسر الراء والجيم بلا همز غيرهم ومنع الصرف للتعريف والعجمة ومعناه عبدالله لان جبر هو العبد بالسريانية

مشركي العرب (يود أحدهم) يتمنى أحدهم (لو يعمر ألف سنة) أن يعيش ألف نيروز ومهرجان (وماهو بمزحزحه) (بد) يباعده (من العذاب أن يعمر) أن عاش ألف سنة (والله بصير بما يعملون) من المعاصي والاعتداء ومايكتمون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته * ثم نزل في قولهم وهو قول عبد الله بن صوريا أن جبريل عدونا (قل) يا محمد (من كان عدوا لجبريل

بالذكر للمبالغة فأن حرصهم شديد اذ لم يعرفوا ألا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فأنه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون الى النار ويجوز أن يراد وأحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته ﴿ يود أحدهم ﴾ على أنه أريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزيز ابن الله أي ومنهم ناس يود أحدهم وهو على الاول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف ﴿ لو يعمر ألف سنة ﴾ حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان أصله لو أعمر فأجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن ﴿ وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ﴾ الضمير لاحدهم وأن يعمر فاعل مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره أو لما دل عليه يعمر وأن يعمر بدل منه أو مبهم وأن يعمر موضحه * وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا أتت عليها السنون والزحزحة التبعيد ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ فيجازيهم ﴿ قل من كان عدوا لجبريل ﴾ نزل في عبدالله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر

بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لايؤمنون بالمعاد ولايعرفون ألا الحياة الدنيا لايستبعد حرصهم عليها فأذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين أشركوا أناس ﴿ يود أحدهم ﴾ وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود أي يتمنى أحدهم ﴿ لو يعمر ألف سنة ﴾ أي تعمير ألف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون « زه هزار سال» أي عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى أن اليهود أحرص من المجوس الذين يقولون ذلك ﴿ وما هو بمزحزحه ﴾ أي بمباعده ﴿ من العذاب ﴾ أي النار ﴿ أن يعمر ﴾ أي لو عمر طول عمره لاينقذه من العذاب ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ أي لايخفى عليه خافية من أحوالهم * قوله عز وجل ﴿ قل من كان عدوا لجبريل ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما سبب نزول هذه الآية ان عبدالله بن صوريا حبر من أحبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم أي ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لآمنا بك أن جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا وأشد ذلك علينا ان الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على

وايل اسم الله روى ان ابن صوريا من احبار اليهود حاج النبي صلى الله عليه

فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال أن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وألا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى الله تعالى عنه مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وأنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم أكفر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قدسبقه بالوحى فقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر * وفى جبريل ثمانى لغات قرئ بهن أربع فى المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائى وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية أبى بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين وأربع فى الشواذ جبرئل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله ﴿ فأنه نزله ﴾ البارز الاول لجبريل والثانى للقرآن وأضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره ﴿ على قلبك ﴾ فأنه القابل

يد رجل يقال له بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله أمره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى أى حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فأنزل الله هذه الآية وقيل قالوا أن الله أمره أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا فأتخذناه عدوا وقيل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان له أرض بأعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما فى أصحاب محمد أحب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لانى شاك فى دينى وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره فى كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذى يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وأن ميكائيل يجئ بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فأخبرونى عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد أن من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قدسبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رأيتنى بعد ذلك فى دينى أصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى لان قوله فأنه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله ﴿ فأنه نزله ﴾ يعنى جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور ﴿ على قلبك ﴾ يا محمد وانما خص القلب بالذكر

وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحى فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم لايسلطكم عليه وان لم يكن أياه فعلى أى ذنب تقتلونه (فأنه نزله) فان جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار أعنى اضمار مالم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شئ من صفاته (على قلبك) أى حفظه أياك وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على قلبك وكان حق الكلام أن يقال على قلبى ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به وانما استقام أن يقع فأنه نزله جزاء للشرط لان تقديره ان عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه فى انزاله

فأنه) عدو الله (نزله على قلبك) نزل الله جبريل عليك بالقرآن

الاول للوحى ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كأنه قال قل ماتكلمت به ﴿ بأذن الله ﴾ أى بأمره وتيسيره حال من فاعل نزله ﴿ مصدقا لمابين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾ أحوال من مفعوله والظاهر أن جواب الشرط فأنه نزله والمعنى أن من عادى منهم جبريل فقدخلع ربقة الانصاف أوكفر بمامعه من الكتاب بمعاداته أياه لنزوله عليك بالوحى لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه أو من عاداه فالسبب فى عداوته أنه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا أوفهو عدولى أوأنا عدوه كما قال ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فأن الله عدو للكافرين ﴾ أراد بعداوة الله مخالفته عنادا أومعاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحدوالكل سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة والرسل كفر ❊ وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وأبو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد والباقون ميكائيل بالهمزة والياء بعدها وقرئ ميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل وميكائل ﴿ ولقد أنزلنا اليك آيات بينات

لانه محل الحفظ ﴿ بأذن الله ﴾ أى بأمره ﴿ مصدقا ﴾ أى موافقا ﴿ لمابين يديه ﴾ أى لما قبله من الكتب ﴿ وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾ أى فى القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التى يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا أتوابها ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴾ لمابين فى الآية الاولى ان من كان عدوالجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون عدوالله لان الله تعالى هوالذى نزله على محمد بين فى هذه الآية ان كل من كان عدوا لاحدهؤلاء فأنه عدولجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله ﴿ فأن الله عدو للكافرين ﴾ فأما عداوتهم لله فأنها لاتضره ولاتؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذى لاضرر أعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه وأهل طاعته فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أى يحاربون أولياء الله وأهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعنى ان من عادى واحدامنهم فقط عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين فى جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحى الذى هوغذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذى هوسبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان أعجميان ومعناهما عبدالله وعبدالله لان جبر وميك بالسريانية هوالعبد وأيل هوالله ﴿ ولقد أنزلنا اليك آيات بينات ﴾ قال ابن

مانفعهم ويصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فانه نزل الوحى على قلبك (بأذن الله) بأمره (مصدقا) لمابين يديه (وهدى وبشرى للمؤمنين) رد على اليهود حين قالوا أن جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل فأنه ينزل بالهدى والبشرى أيضا (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) بصرى وحفص وميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدنى وميكائيل بالمد وكسر الهمزة مشبعة غيرهم وخص الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر أذ التغاير فى الوصف ينزل منزلة التغاير فى الذات (فأن الله عدو للكافرين) أى لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر كعداوة الانبياء ومن عاداهم عاداه الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات

(بأذن الله) بأمر الله (مصدقا) موافقا بالتوحيد (لمابين يديه) من الكتاب (وهدى) من الضلالة (وبشرى) بشارة للمؤمنين بالجنة (من كان عدوالله وللائكته (ورسله) ولرسله (وجبريل) ولجبريل (وميكال) ولميكال (فأن الله عدو للكافرين) لليهود وأيضا رسله وجبريل وميكائيل وسائر المومنين أعداءلهم (ولقد أنزلنا اليك آيات) جبريل بآيات (بينات)مبينات واضحات بالامر ﴿عباس﴾

ومايكفربها ألاالفاسقون) المتمردون من الكفرة واللام للجنس والاحسن أن تكون اشارة الى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماجئتنا بشئ نعرفه وماأنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواوفى (أوكلما) للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما (عاهدوا عهدا نبذه) نقضه ورفضه وقال (فريق منهم) لان منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لايؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين فى شئ فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولايبالون به (ولما جاءهم رسول من عندالله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لمامعهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أى التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود (كتاب الله) يعنى التوراة لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لمامعهم كافرون بها نابذون لها او كتاب الله القرآن نبذوه بعدمالزمهم تلقيه بالقبول (وراء ظهورهم) مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهور أستغناء عنه وقلة التفات

وما يكفربها ألا الفاسقون ﴾ أى المتمردون من الكفرة * والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دل على عظمه كأنه متجاوز عن حده نزل فى ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماجئتنا بشئ نعرفه وماأنزل عليك من آية فنتبعك ﴿ أوكلما عاهدوا عهدا ﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا * وقرئ بسكون الواو على أن التقدير ألا الذين فسقوا أو كلما عاهدوا * وقرئ عوهدوا وعهدوا ﴿ نبذه فريق منهم ﴾ نقضه وأصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وأنما قال فريق لان بعضهم لم ينقض ﴿ بل أكثرهم لايؤمنون ﴾ رد لما يتوهم من أن الفريق هم الاقلون أو أن من لم ينبذ جهارا فهم مؤمنون به خفاء ﴿ ولما جاءهم رسول من عندالله مصدق لمامعهم ﴾ كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله ﴾ يعنى التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل مامع الرسول صلى الله عليه وسلم كالقرآن ﴿ وراء ظهورهم ﴾ مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر

عباس رضى الله عنهما هذا جواب ابن صوريا حيث قال لرسوالله صلى الله عليه وسلم يا محمد ماجئتنا بشئ نعرفه وماأنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فأنزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ ومايكفر بها ﴾ أى ومايجحد بهذه الآيات ﴿ ألا الفاسقون ﴾ أى الخارجون عن طاعتنا وماأمروا به ﴿ أوكلما عاهدوا عهدا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لماذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأخذ عليهم من العهود فى محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ماعهد الينا فى محمد عهد فأنزل الله هذه الآية أوكلما استفهام انكار عاهدوا عهدا هو قولهم أنه قد أظل زمان نبى مبعوث وأنه فى كتابنا وقيل أنهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها ﴿ نبذه ﴾ أى طرح العهد ونقضه ﴿ فريق منهم ﴾ يعنى اليهود ﴿ بل أكثرهم لايؤمنون ﴾ يعنى كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق ﴿ ولما جاءهم رسول من عندالله ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ مصدق لما معهم ﴾ يعنى مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل أن التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ﴾ قيل أراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لايكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن أما نبذهم التوراة فأنهم كانوا يقرؤنها ولايعملون بها وقيل أنهم

والنهى (ومايكفر بها) يجحد بالآيات (ألا الفاسقون) الكافرون اليهود (أوكلما عاهدوا عهدا) يعنى الرؤساء من اليهود مع محمد (نبذه) طرحه ونقضه (فريق منهم بل أكثرهم) كلهم (لايؤمنون ولما جاءهم رسول من عندالله مصدق) موافق بالصفة والنعت (لمامعهم) من الكتاب (نبذ) طرح (فريق من الذين أوتوا الكتاب) أعطوا الكتاب (كتاب الله) يعنى التوراة (وراء ظهورهم) خلف ظهورهم لم يؤمنوا بما فيه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ولم يبينوا

لعدم الالتفات اليه ﴿ كأنهم لايعلمون ﴾ أنه كتاب الله يعنى أن علمهم به رصين ويقين لكن يتجاهلون عنادا* واعلم أنه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود أربع فرق* فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمنى أهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل أكثرهم لايؤمنون* وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم* وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون ﴿ واتبعوا ماتتلوا الشياطين ﴾ عطف على نبذ أى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الانس أو منهما ﴿ على ملك سليمان ﴾ أى عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ماسمعوا أكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك فى عهد سليمان عليه الصلاة والسلام حتى قيل أن الجن يعلمون الغيب وأن ملك سليمان تم بهذا العلم وأنه تسخر به الجن والانس والريح له ﴿ وما كفر سليمان ﴾ تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وأن من كان نبيا

أدرجوها فى الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها ﴿ كأنهم لايعلمون ﴾ يعنى أنهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكتموا أمره وكان أولئك النفر قليلا* قوله عزوجل ﴿ واتبعوا ماتتلو الشياطين ﴾ يعنى اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ماتتلو الشياطين ومعنى تتلو تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفترى وتكذب ﴿ على ملك سليمان ﴾ وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اى على عهده وزمانه * وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف هذا ماعلم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بنى أسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر فى زمانه فنعهم سليمان من ذلك وأخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فأما صلحاء بنى أسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله أن يكون هذا العلم من علم سليمان وأما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان وأقبلوا على تعليمه وتركوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تعالى واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان ﴿ وما كفر سليمان ﴾ يعنى بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود أنكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا أنهم أخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك وقيل ان بعض أحبار اليهود قال ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فأنزل الله تعالى وما كفر سليمان يعنى ان سليمان كونه نبيا ينافى كونه ساحرا كافرا ثم بين

اليه (كأنهم لايعلمون) انه كتاب الله (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) أى نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التى كانت تقرؤها (على ملك سليمان) أى على عهد ملكه وفى زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ماسمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها فى كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وماتم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الجن والانس والريح (وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر

(كانهم) جهلاء (لايعلمون) تركت اليهود كتب الانبياء كلها (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) عملوا بما كتبت الشياطين (على ملك سليمان) فى ذهاب ملك سليمان أربعين يوما من السحر والنيرنجات (وما كفر سليمان) ماكتب سليمان

كان معصوما منه ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ باستعماله * وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ أغواء وأضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر مايستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشيطان عما لايستقل به الانسان وذلك لايستتب ألالمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فأن التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبى والولى وأما مايتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية أويريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز أو لما فيه من الدقة لانه فى الاصل

الله تعالى ان الذى برأه منه لاحق بغيره فقال ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ يعنى ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ يعنى ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل أن يكون يعلمون يعنى اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمى السحر سحرا لخفاء سببه فلا يفعل ألا فى خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشئ عن وجهه تقول العرب ماسحرك عن كذا أى ماصرفك عنه فكان الساحر لما رأى الباطل فى صورة الحق فقد سحر الشئ عن وجهه أى صرفه هذا أصله من حيث اللغة * وأما حقيقته فقد قيل أنه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب أهل السنة أن له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هى المؤثرة فى قلب الاعيان وروى عن الشافعى أنه قال السحر يخبل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر فى قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر فى الهواء وهذا القول ضعيف عند أهل السنة لانهم قالوا أن الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لاأن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخبل ويؤثر فى الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام تأثيرا فى الطباع فقد يسمع الانسان مايكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل فى الابدان * وأما حكمه فأنه من الكبائر التى نهى عنها ويحرم تعلمه لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله ألا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات أخرجاه فى الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناه بالشرك وأمرنا باجتنابه * وقوله الموبقات يعنى المهلكات * والسحر على قسمين أحدهما يكفر به صاحبه وهو أن يعتقد أن القدرة لنفسه فى ذلك وهو المؤثر أويعتقد ان الكواكب هى المؤثرة الفعالة فأذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف أخرجه الترمذى * والقسم الثانى من السحر وهو التخييل الذى يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولايعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا أن الكواكب هى المؤثرة ويعتقد

والعمل به (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامى وحمزة وعلى (يعلمون الناس السحر) فى موضع الحال أى كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به

السحر والنيرنجات (ولكن الشياطين كفروا) كتبوا (يعلمون الناس) يعنى الشياطين ويقال اليهود (السحر

اغواءهم واضلالهم (وماأنزل على الملكين) الجمهور على ان مابمعنى الذى وهو

لماخفى سببه ﴿ وماأنزل على الملكين ﴾ عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو به نوع اقوى منه أو على ماتتلو وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة * وماروى أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لايخفى على ذوى البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ماأنزل نفى معطوف على ما كفر سليمان تكذيب لليهود فى هذه القصة ﴿ ببابل ﴾ ظرف أوحال من الملكين أو الضمير فى أنزل والمشهور أنه بلد من سواد الكوفة ﴿ هاروت ماروت ﴾ عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية

أن القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لايكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فأن قتل بسحره قتل قصاصا لماروى عن مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت أخرجه فى الموطأ * قوله عزوجل ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ أى ويعلمون الذى أنزل على الملكين * والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم أى ماألهما وعلما * وقرئ فى الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه أن الملائكة لايعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام * فأن قلت كيف يجوز أن يضاف الى الله تعالى أنزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر * قلت قال ابن جرير الطبرى ان الله تعالى عرف عباده جميع ماأمرهم به وجميع مانهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهى معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بنى آدم عنه فغير منكر أن يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما فى تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بنى آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلاتكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتمحض المؤمن بتركه التعليم منهما ويجرى للكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما ويكون الملكان فى تعليمهما ماعلما من ذلك مطيعين لله تعالى أذ كان عن أذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما أياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلاتكفر اذ كانا قد أديا ماأمرا به وقال غيره انهما لايتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه فالشقى من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما فى ذلك الزمان فالشقى من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى أن يمتحن عباده بماشاء كما امتحن بنى أسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فأنه منى ﴿ ببابل ﴾ قيل هى بابل العراق بأرض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل نهاوند والاول أصح وأشهر ﴿ هاروت وماروت ﴾ اسمان سريانيان

نصب عطف على السحر أى ويعلمونهم ماأنزل على الملكين أو على ماتتلو أى واتبعوا ماأنزل على الملكين (ببابل هاروت وماروت) علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذى أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا أن كان فيه رد مالزم فى شرط الايمان ومن تجنبه أو تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتربه كان مؤمنا قال الشيخ أبو منصور الماتريدى رحمه الله القول بأن السحر على الاطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فأن كان فى ذلك رد مالزم فى شرط الايمان فهو كفر والافلا ثم السحر الذى هو كفر يقتل عليه الذكور لاالاناث وما ليس بكفر وفيه اهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوى فيه المذكر والمؤنث وتقبل توبته اذا تاب ومن قال لاتقبل فقد غلط فأن سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل أنزل أى قذف فى قلوبهما مع النهى عن العمل قيل انهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة

وماأنزل على الملكين) ولم ينزل على الملكين السحر والنيرنجات ويقال يعلمون ماالهم الملكان أيضا (ببابل هاروت وماروت) (وقصة)

ولوكانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض ومابينهما اعتراض* وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت

وقصة الآية على ماذكره ابن عباس رضى الله عنهما وغيره قالوا أن الملائكة لما رأوا مايصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة فى زمن أدريس عليه الصلاة والسلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم فى الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لوأنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ماركبت فيهم لركبتم مثل ماركبوا قالوا سبحانك ماكان ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فأذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فامر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا فى أول يوم وذلك أنه اختصم اليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من أجمل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لا الا أن تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لاسبيل الى هذه الاشياء فأن الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفى أنفسهما من الميل اليها مافيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ماقالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما أنسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل أنهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم قال هل لك أن تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ماعند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ماعند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لا الا أن تقضيا لى على زوجى فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لا الا أن تقتلاه فقال أحدهما لصاحبه أما تعلم ماعند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ماعند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا أن لى صنما أعبده أن أنتما صليتما معى عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه قالت لهما لن تدركانى حتى تخبرانى بالذى تصعدان به الى السماء فقالا اسم الله الاكبر قالت فما أنتما بمدركى حتى تعلمانى أياه فقال أحدهما للآخر علمها فقال انى أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى أنها هى الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا أن الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التى أقسم=

حين عيرت بنى آدم فكانا يحكمان فى الارض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما أنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين فى جب ببابل وسميت ببابل لتبلبل الالسن بها

= الله بها فقال فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس والتى فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا أدريس النبى عليه الصلاة والسلام وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رأينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك أدريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما أنه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل أنهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل أنهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل أن رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء ألا قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا أله ألا الله فلما سمعا كلامه قالا لا أله ألا الله من أنت قال رجل من الناس فقالا من أى أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا أنه نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

فصل فى القول بعصمة الملائكة

أجمع المسلمون على أن الملائكة معصومون فضلاء وا تفق أئمة المسلمين على أن حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء فى العصمة فى باب البلاغ عن الله عز وجل وفى كل شئ ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وأنهم مع الانبياء فى التبليغ اليهم كالانبياء مع أممهم ثم اختلفوا فى غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصى واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى أن غير المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن على رضى الله عنه وما نقله أهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن على بن أبى طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدى والربيع ومجاهد رضوان الله تعالى عليهم أجمعين * وأجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بأن ما نقله المفسرون وأهل الاخبار فى ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ وهذه الاخبار انما أخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الملائكة والانبياء وقد ذكر الله عز وجل فى هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعنى بالسحر الذى افتعله عليه الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم وذكروا أيضا فى الجواب عن هذه القصة وأنها باطلة وجوها الاول أن فى القصة أن الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتمونى قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا

(أن)

(وما يعلمان من أحد) وما يعلم الملكان أحدا (حتى يقولا) حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (أنما نحن فتنة) ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرا (فيتعلمون منهما) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أى يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا و يعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه من أحد أى فيتعلم اناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه وللسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله وعند المعتزلة قمعهم الله هو تخييل وتمويه (وماهم بضارين به) بالسحر (من أحد ألا بأذن الله) بعلمه ومشيئته (ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم) فى الآخرة وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة

﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا أنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ فمعناه على الاول وما يعلمان أحدا حتى ينصحاه ويقولا له أنما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به * وفيه دليل على أن تعلم السحر ومالا يجوز اتباعه غير محظور وأنما المنع من اتباعه والعمل به * وعلى الثانى مايعلمانه حتى يقولا أنا مفتونان فلا تكن مثلنا ﴿ فيتعلمون منهما ﴾ الضمير لما دل عليه من أحد ﴿ مايفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ أى من السحر مايكون سبب تفريقهما ﴿ وماهم بضارين به من احد ألا بأذن الله ﴾ لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بأمره تعالى وجعله * وقرئ بضارى على الاضافة الى أحد وجعل الجار جزأ منه والفصل بالظرف ﴿ ويتعلمون مايضرهم ﴾ لانهم يقصدون به العمل أو لان العلم يجر الى العمل غالبا ﴿ ولا ينفعهم ﴾ اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه أن التحرز عنه

أن نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر و قد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم * الوجه الثانى أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لا يخير من أشرك وأن كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما * الوجه الثالث أن المرأة لما فجرت فكيف يعقل أنها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث أقسم بها فى قوله فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله أعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تنزية الملائكة عن كل مالا يليق بمنصبهم * وقوله عز وجل ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا ﴾ يعنى وما يعلمان أحدا حتى ينصحاه أولا ويقولا ﴿ أنما نحن فتنة ﴾ أى ابتلاء ومحنة ﴿ فلا تكفر ﴾ أى لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فأن أبى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له أئت هذا الرماد فبل عليه فأذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع فى السماء فذلك الايمان والمعرفة وينزل شئ أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى ﴿ فيتعلمون منهما ﴾ يعنى من الملكين ﴿ مايفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لأن السحر له تأثير فى نفسه بدليل قوله ﴿ وماهم ﴾ يعنى السحرة ﴿ بضارين به ﴾ أى بالسحر ﴿ من أحد ﴾ أى أحدا ﴿ ألا بأذن الله ﴾ أى بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته ﴿ ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ﴾ يعنى السحر لانهم يقصدون به

وما يعلمان من أحد) مايصفان يعنى الملكين لاحد (حتى يقولا) اولا (أنما نحن فتنة) ابتلينا بهذه الدعوة ندعو بها لكن لانشد العذاب على أنفسنا (فلا تكفر) فلا تتعلم ولا تعمل به (فيتعلمون منهما) بغير تعليمهما (مايفرقون بين المرء وزوجه) ما يأخذ به الرجل على المرأة (وماهم بضارين به) بالسحر والفرقة (من أحد) لاحد (ألا بأذن الله) ألا بأرادة الله وعلمه (ويتعلمون) يعنى الشياطين واليهود والسحرة بعضهم من بعض (مايضرهم) فى الآخرة (ولا ينفعهم) فى الدنيا

التي تجر الى الغواية (ولقد علموا) أي اليهود (لمن اشتراه) أي استبدل ماتتلو الشياطين على كتاب الله (ماله في الآخرة من خلاق) من نصيب (ولبئس ماشروا به أنفسهم) باعوها وانما نفي العلم عنهم بقوله (لوكانوا يعلمون) مع اثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي لان معناه لوكانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لايعلمون (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله فتركوا ماهم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عندالله خير لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لأثيبوا من عند الله ما هو خير وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمني كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عندالله خير (ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا

أولى ﴿ولقد علموا﴾ أي اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ أي استبدل ماتتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر أن اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ﴿ماله في الآخرة من خلاق﴾ نصيب ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ يحتمل المعنيين على مامر ﴿لوكانوا يعلمون﴾ يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على التعيين أو حقية ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم أولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي أو العلم الاجمالي بقبح الفعل أو ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لوكانوا يعملون بعلمهم فأن من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ بالرسول والكتاب ﴿وأتقوا﴾ بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر ﴿لمثوبة من عندالله خير﴾ جواب لو وأصله لأثيبوا مثوبة من عندالله خيرا مما شروا به أنفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من أن ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ * وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر أو العمل بالعلم ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا

الشر ﴿ولقد علموا﴾ يعني اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ أي اختار السحر ﴿ماله في الآخرة من خلاق﴾ يعني ماله نصيب في الجنة ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ أي باعوا حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق ﴿لوكانوا يعلمون﴾ * فأن قلت كيف أثبت الله لهم العلم أولا في قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم آخرا في قوله لوكانوا يعلمون * قلت قد علموا أن من اشترى السحر ماله في الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وماجاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكأنهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه ﴿ولو أنهم﴾ يعني اليهود ﴿آمنوا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿واتقوا﴾ يعني اليهودية والسحر وما يؤثمهم ﴿لمثوبة من عندالله﴾ أي لكان ثواب الله أياهم ﴿خير﴾ لهم يعني هذا الثواب ﴿لوكانوا يعلمون﴾ يعني ذلك * قوله عز وجل ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا﴾ سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يارسول الله من المراعاة

﴿أي﴾

ولا في الآخرة (ولقد علموا) يعني الملكين ويقال اليهود في كتابهم ويقال الشياطين (لمن اشتراه) لمن اختار السحر والنيرنجات (ماله في الآخرة) في الجنة (من خلاق) نصيب (ولبئس ماشروا به أنفسهم) مااختاروا به السحر أنفسهم يعني اليهود (لو كانوا يعلمون) ولكن لايعلمون ويقال وقد كانوا يعلمون في كتابهم (ولو أنهم) يعني اليهود (آمنوا) بمحمد والقرآن (واتقوا) تابوا من اليهودية والسحر (لمثوبة من عندالله) لكان ثوابهم عندالله (خير) من السحر واليهودية (لوكانوا يعلمون) يصدقون بثواب الله ولكن لايعلمون ولايصدقون ويقال قدكانوا يعلمون في كتابهم * ثم ذكر نهيه للمؤمنين عن لغة اليهود فقال (ياأيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (لاتقولوا) لمحمد (راعنا)

وقولوا انظرنا) كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ من العلم راعنا يارسول الله أى راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهى راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو فى معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره (واسمعوا) وأحسنوا سماع مايكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لاتحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولايكون سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وللكافرين) ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) مؤلم (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (من خير من ربكم) من الاولى للبيان

وقولوا انظرنا﴾ الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول عليه الصلاة والسلام راعنا أى راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمعه اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن أوسبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما يفيد تلك الفائدة ولايقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا أو انتظرنا من نظره اذا انتظره* وقرئ انظرنا من الانظار أى أمهلنا لنحفظ *وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين أى قولا ذارعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لماشابه قولهم راعينا وتسبب للسبب ﴿واسمعوا﴾ وأحسنوا الاستماع حتى لاتفتقروا الى طلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود أو واسمعوا ماأمرتم به بجد حتى لاتعودوا الى مانهيتم عنه ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ يعنى الذين تهاونوا بالرسول عليه الصلاة والسلام وسبوه ﴿مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون أنهم يودون لهم الخير*والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ومن للتبيين كما فى قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر

أى ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سباقبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لاسمعت وقيل من الرعونة اذا أرادوا أن يحمقوا أنسانا قالوا راعنا يعنى أحمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنانسب محمدا سرا فاعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يامحمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فانزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا أى لكى لايجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وقولوا انظرنا﴾ أى انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتأن بنا وفهمنا ﴿واسمعوا﴾ أى ماتؤمرون به وأطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق أحد الى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ أحسنها ومن المعانى أدقها وأن سألوه يسألوه بتبجيل وتعظيم ولين ولايخاطبوه بما يسر اليهود ﴿وللكافرين﴾ يعنى اليهود ﴿عذاب أليم﴾ اى مؤلم ﴿مايود﴾ أى مايحب ﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعنى اليهود ﴿ولا المشركين﴾ يعنى عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان أهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدوا غيرالله ﴿ان ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ يعنى ما أنزل الله عزوجل على نبيه صلى الله

سمعك يانبى الله (وقولوا انظرنا) أى انظر الينا واسمع منا يانبى الله وكان بلغتهم راعنا اسمع لاسمعت فمن ذلك نهى الله المؤمنين عن لغة اليهود (واسمعوا) ماتؤمرون به وأطيعوا (وللكافرين) لليهود (عذاب أليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم (مايود) ماتمنى (الذين كفروا من أهل الكتاب) كعب بن الاشرف وأصحابه (ولا المشركين) مشركى العرب أبو جهل وأصحابه (أن ينزل عليكم) أن ينزل الله جبريل على نبيكم (من خير) بخير بالنبوة والاسلام والكتاب (من ربكم

لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة (والله يختص برحمته من يشاء) يعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم ومايحبون أن ينزل عليكم شئ من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء (والله ذو الفضل العظيم) فيه اشعار بأن ايتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا فى النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى أوهامنا استمراره بطريق التراخى فكان تبديلا فى حقنا بيانا محضا فى حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذى يدعيه منكروه أعنى اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق به ماينافى النسخ من توقيت أو تأبيد ثبت نصا أو دلالة وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة وانما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فأنه نسخ عندنا خلافا للشافعى رحمه الله والانساء أن يذهب بحفظها عن القلوب أو ننسأها مكى وأبو عمرو أى نؤخرها من نسأت أى أخرت

الخير بالوحي والمعنى أنهم يحسدونكم به ومايحبون أن ينزل عليكم شئ منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به مايعم ذلك ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لايجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ اشعار بأن النبوة من الفضل وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وماعرف فيه من حكمته ﴿ ماننسخ من آية أوننسها ﴾ نزلت لما قال المشركون أو اليهود ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه * والنسخ فى اللغة أزالة الصورة عن الشئ وأثباتها فى غيره كنسخ الظل الشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعا وأنساؤها أذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية * وقرأ ابن عامر ماننسخ من أنسخ أى نأمرك أو جبريل بنسخها أو نجدها منسوخة * وابن كثير وأبو عمرو ننسأها أى نؤخرها من النسأ * وقرئ ننسها أى ننس أحدا أياها وتنسها أى أنت وتنسها على البناء للمفعول ٢

عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك أن المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ماهذا الذى تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ يعنى أنه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ يعنى أن كل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فأنه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه * قوله عز وجل ﴿ ماننسخ من آية أو ننسأها ﴾ الآية * وسبب نزولها أن المشركين قالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا مايقول ألا من تلقاء نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر فانزل ماننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة فى النسخ وأنه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم * وأصل النسخ فى اللغة يكون بمعنى النقل =

والله يختص برحمته) يختار لدينه والنبوة والاسلام والكتاب (من يشاء) من كان أهلا لذلك يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (والله ذو الفضل العظيم) ذو المن الكبير بالنبوة والاسلام على محمد * ثم ذكر ما نسخ من القرآن ومالم ينسخ بمقالة قريش تأمرنا يامحمد بأمر ثم تنهانا عنه فقال (ماننسخ من آية) مانمح من آية قد عمل بها فلا تعمل بها (أو ننسها) نتركها غير منسوخة للعمل بها {والتحويل}

---

٢ وفى النسخ المطبوعة وقرأ عبد الله ماننسك من آية أو ننسخها وقرأ حذيفة ماننسخ من آية لم نجد بالنسخ الصحيحة التى بأيدينا ولذلك كتبنا القلم مصححه

= والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو أن ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لا يقتضى ازالة الصورة الاولى بل يقتضى اثبات مثله فى كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك أنه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شئ بشئ يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

فصل فى حكم النسخ

هو فى اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فأن منهم من لا ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ * احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بأن الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ * ولنا على اليهود الزامات * منها أن الله تعالى حرم عليهم العمل فى يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم * ومنها أنه قد جاء فى التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك أنى جعلت كل دابة مأكولا لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم ثم أنه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بنى أسرائيل كثيرا من الحيوانات * ومنها أن آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه * أحدها أن القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما * الوجه الثانى المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا * الوجه الثالث وهو الصحيح الذى عليه جمهور العلماء أن المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتى بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها لان الآية اذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا ﴿مسئلة﴾ قال الشافعى رضى الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو أنه تعالى قال ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها وذلك يفيد أنه تعالى هو الآتى والمأتى به هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد أنه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذى هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بأن آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث أجاب الشافعى رضى الله تعالى عنه بأن هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت أن آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف فى أصول الفقه * ثم النسخ فى القرآن على وجوه * أحدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روى عن أبى أمامة بن سهل رضى الله عنه أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة

وننسكها بأظهار المفعولين ﴿ نأت بخير منها أو مثلها ﴾ أى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب أو مثلها فى الثواب *وقرأ أبو عمرو بقلب الهمزة ألفا ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ أو بما

فلم يذكروا منها ألا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها أخرجه البغوى بغير سند وقيل أن سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما *الوجه الثانى ما رفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم * روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف أخرجه مسلم وللبخارى نحوه *الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل آية الوصية للاقربين ونسخت بآية الميراث عند الشافعى وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية أربعة أشهر وعشرا وآية القتال وهى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير فى القرآن *وأما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية أى نرفعها أو نرفع حكمها أو ننسها* قرئ بضم النون وكسر السين ومعناها نثبتها على قلبك وقال ابن عباس رضى الله عنهما نتركها لا ننسخها وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه *وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلا ننزلها أو نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء رضى الله عنهما ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر وننسأها أى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ فلا ننزلها ﴿ نأت بخير منها ﴾ أى بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجوركم وليس معناه أن آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد ﴿ أو مثلها ﴾ أى فى المنفعة والثواب *فانسخ الى الايسر كان أسهل فى العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم *وما نسخ الى الاشق كان أكمل فى الثواب كالذى كان عليهم من صيام أيام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل فى كل سنة أثقل على الابدان وأشق من صيام أيام معدودات فكان ثوابه أكمل وأكثر* أما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى التوجه الى حيث أمره الله تعالى ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير ﴾ أى على النسخ والتبديل والمعنى ألم تعلم

(يا محمد)

(نأت بخير منها) أى نأت بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها أكثر للثواب (أومثلها) فى ذلك اذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) أى قادر فهو يقدر على

(نأت بخير منها) أى نرسل جبريل بانفع من المنسوخ وأهون فى العمل بها (أومثلها) فى الثواب والنفع والعمل (ألم تعلم) يا محمد (أن الله على كل شئ) من الناسخ والمنسوخ (قدير

هو خير منه* والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال إذ الاصل اختصاص أن ومايتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كأسباب المعاش فأن النافع فى عصر قديضر فى عصر غيره واحتج به من منع النسخ بلابدل أوببدل أثقل ونسخ الكتاب بالسنة فأن الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذقد يكون عدم الحكم أوالاثقل أصلح والنسخ قديعرف بغيره والسنة مما أتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل مايكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فأن التغير والتفاوت من لوازمه*وأجيب بأنهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم ﴿ ألم تعلم ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته لقوله ومالكم وأنما أفرده لانه أعلمهم ومبدأ علمهم ﴿ أن الله له ملك السموات والارض ﴾ يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو كالدليل على قوله أن الله على كل شئ قدير أوعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف ﴿ ومالكم من دون الله من ولى ولانصير ﴾ وأنما هو الذى يملك أموركم ويجريها على مايصلحكم* والفرق بين الولى والنصير أن الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ﴾ أم معادلة للهمزة فى ألم تعلم أى ألم تعلموا أنه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما أراد أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه الصلاة والسلام

يامحمد أنى قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامى وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك ماأشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وأنفع لك ولهم عاجلا وآجلا ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض ﴾ يعنى أنه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما شاء من أمر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخبر وأن كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذى أنكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فأخبرهم الله أن له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيها بما يشاء وعليهم السمع والطاعة ﴿ ومالكم ﴾ يعنى يامعشر الكفار عند نزول العذاب ﴿ من دون الله ﴾ أى مما سوى الله ﴿ من ولى ﴾ أى قريب وصديق وقيل من وال وهو المقيم بالامور ﴿ ولانصير ﴾ أى ناصر يمنعكم من العذاب وقيل فى معنى الآية وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم يأمركم ولانصير يؤيدكم ويقويكم على أعدائكم* قوله عز وجل ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم ﴾ نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا يامحمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة وقيل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا أرنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أتريدون وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ كما سئل موسى من قبل ﴾

على الخير وعلى مثله (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ (ومالكم من دون الله من ولى) يلى أمركم (ولانصير) ناصر يمنعكم من العذاب (أم تريدون) أم منقطعة وتقديره بل أتريدون (أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) روى أن قريشا قالوا يامحمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا أرض مكة فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين

ألم تعلم) يامحمد (أن الله له ملك السموات والارض) يعنى خزائن السموات والارض يأمر عباده مايشاء لانه عليم بصلاحهم (ومالكم) يامعشر اليهود (من دون الله) من عذاب الله (من ولى) من قريب ينفعكم ولا حافظ يحفظكم (ولا نصير) مانع يمنعكم (أم تريدون) أتريدون (أن تسألوا رسولكم) رؤية الرب وكلامه وغير ذلك (كما سئل موسى) كما سأل من موسى بنو أسرائيل (من قبل) من قبل محمد

أومنقطعة والمراد أن يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴿ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل﴾ ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لاتقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان *وقرئ يبدل من أبدل ﴿ ود كثير من أهل الكتاب ﴾ يعنى أحبارهم ﴿ لو يردونكم ﴾ أن يردوكم فأن لو تنوب عن أن فى المعنى دون اللفظ ﴿ من بعد أيمانكم كفارا ﴾ مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين ﴿ حسدا ﴾ علة ود ﴿ من عند أنفسهم ﴾ يجوز أن يتعلق بود أى تمنوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق أو بحسدا أى حسدا بالغا منبعثا من أصل نفوسهم ﴿ من بعد ماتبين لهم الحق ﴾ بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التوراة

وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة ففى الآية منعهم ونهيهم عن السؤلات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ومن يتبدل ﴾ أى يستبدل ﴿ الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ أى أخطأ قصد الطريق وقيل أن قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين أعلمهم أن اليهود أهل غش وحسد وأنهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى أن يقبلوا من اليهود شيأ ينصحونهم به فى الظاهر وأخبرهم أن من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل * قوله عز وجل ﴿ ود كثير من أهل الكتاب ﴾ نزلت هذه الآية فى نفر من اليهود وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضى الله عنهما بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ماهربتم فارجعا الى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال أنى عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ماعشت قالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن أماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين أخوانا ثم أنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود أى تمنى كثير من أهل الكتاب يعنى اليهود ﴿ لو يردونكم ﴾ أى يامعشر المؤمنين ﴿ من بعد أيمانكم كفارا ﴾ أى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر ﴿ حسدا ﴾ أى يحسدونكم حسدا * وأصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعى فى ازالتها والحسد مذموم لماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أياكم والحسد فأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب أخرجه أبو داود فأذا أنعم الله على عبده نعمة فتمنى آخر زوالها عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فأن استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث أنها نعمة بل من حيث أنه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد * وقوله عز وجل ﴿ من عند أنفسهم ﴾ أى من تلقاء أنفسهم لم يأمرهم الله بذلك ﴿ من بعد ماتبين لهم الحق ﴾ يعنى فى التوراة أن قول محمد صلى الله عليه

قالوا اجعل لنا ألها (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) قصده ووسطه (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) أن يردوكم (من بعد أيمانكم كفارا) حال من كم أى يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا الى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لماهزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم (حسدا) مفعول له أى لاجل الحسد وهو الاسف على الخير عند الغير (من عند أنفسهم) يتعلق بود أى ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك (من بعد ماتبين لهم الحق) أى من

صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل الكفر بالايمان) اختار الكفر على الايمان (فقد ضل سواء السبيل) ترك قصد طريق الهدى (ود) تمنى (كثير من أهل الكتاب) كعب بن الاشرف وأصحابه وفنحاص ابن عادوزاء وأصحابه (لو يردونكم) ان يردوكم ياعمار وياحذيفة ويامعاذ بن جبل (من بعد أيمانكم) بمحمد والقرآن (كفارا) حتى ترجعوا كفارا الى دينهم (حسدا من عند أنفسهم) حسدا منهم (من بعد ماتبين لهم الحق)

بعد علمهم بأنكم على الحق أو بحسدا أى حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتى الله بأمره) بالقتال (أن الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وماتقدموا لانفسكم من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عنده (أن الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل عامل والضمير فى (وقالوا لن يدخل الجنة ألا من كان هودا أو نصارى) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة ألا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة ألا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه ألا ترى الى قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهود جمع هائد كعائد وعوذ ووحد اسم كان للفظ من وجمع الخبر لمعناه (تلك أمانيهم)

﴿ فاعفوا واصفحوا ﴾ العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه ﴿ حتى يأتى الله بأمره ﴾ الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل قريظة وأجلاء بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ﴿ أن الله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على الانتقام منهم ﴿ وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة واللجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر ﴿ وماتقدموا لانفسكم من خير ﴾ كصلاة وصدقة * وقرئ تقدموا من أقدم ﴿ تجدوه عند الله ﴾ أى ثوابه ﴿ أن الله بما تعملون بصير ﴾ لا يضيع عنده عمل * وقرئ بالياء فيكون وعيدا ﴿ وقالوا ﴾ عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿ لن يدخل الجنة ألا من كان هودا أو نصارى ﴾ لف بين قولى الفريقين كما فى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا أو نصارى ثقة بفهم السامع * وهود جمع هائد كعوذ وعائذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى ﴿ تلك أمانيهم ﴾

وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا ﴿ فاعفوا واصفحوا ﴾ أى فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل أن يؤمر بالقتال ﴿ حتى يأتى الله بأمره ﴾ أى بعذابه وهو القتل والسبى لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس رضى الله عنهما هو أمر الله له بقتالهم فى قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية ﴿ أن الله على كل شئ قدير ﴾ فيه وعيد وتهديد لهم ﴿ وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى ﴿ وماتقدموا لانفسكم من خير ﴾ أى من طاعة وعمل صالح وقيل أراد بالخير المال يعنى صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها ﴿ تجدوه عند الله ﴾ يعنى ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل أحد ﴿ ان الله بما تعملون بصير ﴾ أى لا يخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب فى الطاعات وأعمال البر وزجر عن المعاصى * قوله عز وجل ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة ألا من كان هودا ﴾ يعنى يهوديا وقيل هو جمع هائد ﴿ أو نصارى ﴾ وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة ألا من كان يهوديا ولا دين ألا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة ألا من كان نصرانيا ولا دين ألا دين النصرانية قيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا فى دعواه قال الله ﴿ تلك أمانيهم ﴾

فى كتابهم أن محمدا ودينه ونعته وصفته هو الحق (فاعفوا) فاتركوا (واصفحوا) أعرضوا (حتى يأتى الله بأمره) بعذابه على بنى قريظة والنضير من القتل والسبى والاجلاء (أن الله على كل شئ) من القتل والاجلاء (قدير واقيموا الصلوة) اتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) أعطوا زكاة أموالكم (وماتقدموا لانفسكم) تسلفوا لانفسكم (من خير) من عمل صالح وزكاة وصدقة (تجدوه) تجدوا ثوابه (عند الله) من عند الله (أن الله بما تعملون) تنفقون من الصدقة والزكاة (بصير) بنياتكم (وقالوا) يعنى اليهود (لن يدخل الجنة ألا من كان هودا) ألا من مات على اليهودية بزعمهم (أو نصارى) وكذلك قالت النصارى (تلك أمانيهم) تمنيهم أى تمنوا على الله ماليس فى

أشير بها الى الامانى المذكورة وهى أمنيتهم ان لاينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم ان لايدخل الجنة غيرهم أى تلك الامانى الباطلة أمانيهم والامنية أفعولة من التمنى مثل الاضحوكة (قل هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء فى معنى احضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة ألا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض (أن كنتم صادقين) فى دعواكم (بلى) اثبات لمانفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لايشرك به غيره (وهو محسن) مصدق بالقرآن (فله أجره) جواب من أسلم وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم (عندربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) أى على شئ يصح ويعتدبه

اشارة الى الامانى المذكورة وهى أن لاينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارا وأن لايدخل الجنة غيرهم أو الى مافى الآية على حذف المضاف أى أمثال تلك الامنية أمانيهم والجملة اعتراض والامنية أفعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على اختصاصكم بدخول الجنة ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ فى دعواكم فأن كل قول لادليل عليه غير ثابت ﴿ بلى ﴾ أثبات لمانفوه من دخول غيرهم الجنة ﴿ من أسلم وجهه لله ﴾ أخلص له نفسه أو قصده وأصله العضو ﴿ وهو محسن ﴾ فى عمله ﴿ فله أجره ﴾ الذى وعدله على عمله ﴿ عند ربه ﴾ ثابتا عنده لايضيع ولاينقص والجملة جواب من أن كانت شرطية وخبرها أن كانت موصولة والفاء فيها حينئذ لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز أن يكون من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من أسلم ﴿ ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ فى الآخرة ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ﴾ أى على أمر يصح ويعتدبه نزلت لما قدم وفدنجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك

أى شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق ﴿ قل ﴾ يعنى يامحمد ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ أى حجتكم على دعواكم أن الجنة لايدخلها ألا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ يعنى فيما تدعون * ثم قال تعالى ردا عليهم ﴿ بلى ﴾ أى ليس الامر كما تزعمون ولكن ﴿ من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ فأنه الذى يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص فى دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان أصل الأسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد بجميع أعضائه قال عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعنى بذلك استسلمت لطاعته الارض والمزن وهو محسن أى فى عمله لله ﴿ فله أجره عند ربه ﴾ أى ثواب عمله ﴿ ولاخوف عليهم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ أى على مافاتهم من الدنيا * قوله عز وجل ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ﴾ نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت (أصواتهم)

كتابهم (قل) يامحمد لكلا الفريقين (هاتوا برهانكم) يعنى حجتكم من كتابكم (أن كنتم صادقين) فى مقالتكم (بلى) ليس كما قلتم ولكن (من أسلم وجهه لله) من أخلص دينه وعمله لله (وهو محسن) فى القول والفعل (فله أجره) ثوابه (عند ربه) فى الجنة (ولاخوف عليهم) بخلود النار (ولاهم يحزنون) بذهاب الجنة * ثم ذكر مقالة اليهود والنصارى فى خصومتهم فى الدين فقال (وقالت اليهود) يهود أهل المدينة (ليست النصارى على شئ) من دين الله ولادين ألا اليهودية (وقالت النصارى) نصارى أهل نجران (ليست اليهود على شئ) من دين الله ولادين

والواو فى (وهم يتلون الكتاب) للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل وآمن به أن لايكفر بالباقى لان كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كذلك) مثل ذلك القول الذى سمعت به (قال الذين لايعلمون مثل قولهم) أى الجهلة الذين لاعلم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لايعلم

﴿وهم يتلون الكتاب﴾ الواو للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب ﴿كذلك﴾ ذلك مثل ﴿قال الذين لايعلمون مثل قولهم﴾ كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال * فأن قيل لم وبخهم وقد صدقوا فأن كلا الدينين بعد النسخ ليس بشئ * قلت لم يقصدوا ذلك وأنما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن مالم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به ﴿فالله يحكم﴾ يفصل ﴿بينهم﴾ بين الفريقين ﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ بما يقسم لكل فريق مايليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾ عام لكل من خرب مسجدا أوسعى فى تعطيل مكان مرشح للصلاة وأن نزل فى الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا أهله أوفى المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ﴿أن يذكر فيها اسمه﴾ ثانى مفعولى منع

أصواتهم فقالت اليهود للنصارى ماأنتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ماأنتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ يعنى وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس فى كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لمافيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل أن الانجيل الذى تدين بصحته النصارى يحقق مافى التوراة من نبوة موسى ومافرض الله فيها على بنى أسرائيل من الفرائض وان التوراة التى تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وماجاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ماأخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله ﴿كذلك قال الذين لايعلمون﴾ يعنى مشركى العرب قالوا فى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم ليسوا على شئ ﴿مثل قولهم﴾ يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا فى انبيائهم ليسوا على شئ ﴿فالله يحكم﴾ أى يقضى ﴿بينهم يوم القيامة﴾ يعنى بين المحق والمبطل ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يعنى من أمر الدين * قوله عزوجل ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ نزلت

(فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام وأظلم خبره والمعنى أى أحد أظلم وان يذكر ثانى مفعولى منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل بالآيات وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع ان أى من أن يذكر وان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم والسبب فيه طرح النصارى فى بيت المقدس الاذى ومنعهم الناس أن يصلوا فيه أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وانما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد

الاالنصرانية (وهم يتلون الكتاب) وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب ولايؤمنون ويقولون ماليس فيه (كذلك) هكذا (قال الذين لايعلمون) توحيد الله من آبائهم ويقال كتاب الله من غيرهم (مثل قولهم) شبه قولهم (فالله يحكم) يقضى (بينهم) بين اليهود والنصارى (يوم القيامة فيما كانوا فيه) من الدين (يختلفون) يخالفون * ثم ذكر طوطوس بن اسبيانوس الرومى ملك النصارى الذى خرب بيت المقدس فقال (ومن أظلم) فى كفره (ممن منع مساجد الله) خرب بيت المقدس (أن يذكر فيها اسمه) لكيلا يذكر فيها اسمه بالتوحيد

واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لان الحكم ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق (وسعى في خرابها) بانقطاع الذكر والمراد بمن العموم كما أريد

﴿ وسعى فى خرابها ﴾ بالهدم أو التعطيل ﴿ أولئك ﴾ أى المانعون ﴿ ما كان لهم أن يدخلوها ألا خائفين ﴾ ماكان ينبغى لهم أن يدخلوها ألا بخشية وخشوع فضلا عن أن يجترؤا على تخريبها أو ما كان الحق أن يدخلوها ألا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا عن أن يمنعوهم منها أو ما كان لهم فى حكم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمة فيه فجوز أبو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره رحمهم الله تعالى ﴿ لهم فى الدنيا خزى ﴾ قتل وسبى أو ذلة بضرب الجزية ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ بكفرهم وظلمهم

فى خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومى غزا بنى أسرائيل فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانزل الله تعالى ومن أظلم أى ومن أكفر و أبغى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاريبه أن يذكر فيها اسمه أى يعبد ويصلى له فيها ﴿ وسعى فى خرابها ﴾ وقيل أن بختنصر المجوسى من أهل بابل هو الذى غزا بنى أسرائيل وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى من أجل أن اليهود قتلوا يحيى بن زكريا ﴿ اولئك ما كان لهم أن يدخلوها ألا خائفين ﴾ وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يدخلها بعد عمارتها رومى أو نصرانى ألا خائفا أن علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمى والقتل على الحربى وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية ﴿ لهم فى الدنيا خزى ﴾ يعنى الصغار والذل والقتل والسبى ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ يعنى النار وقيل أن الآية نزلت فى مشركى مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك أنهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا فى خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها ألا خائفين يعنى مشركى مكة يقول الله تعالى أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالموسم لما نزلت سورة براءة ألا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت فى الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم * فأن قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو أما بيت المقدس أو المسجد الحرام * قلت يجوز أن يجىء الحكم عاما وأن كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين * فأن قلت أى القولين أرجح * قلت رجح الطبرى القول الاول

العموم بمساجد الله (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله (ألا خائفين) حال من الضمير فى يدخلوها أى على حال التهيب وارتعاد الفرائض من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق ألا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الا متنكرا خيفة ان يقتل وقال قتادة لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس ألا بولغ ضربا ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (لهم فى الدنيا خزى) قتل وسبى للحربى وذلة بضرب الجزية للذمى (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) أى النار

والاذان (وسعى) عمل (فى خرابها) فى خراب بيت المقدس من ألقاء الجيف فيها فكان خرابا الى زمان عمر (أولئك) أهل الروم (ما كان لهم) أمن (ان يدخلوها) يعنى بيت المقدس (الا خائفين) مستخفين من المؤمنين مخافة القتل لو علم به لقتل (لهم فى الدنيا خزى) عذاب خراب مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) شديد أشد مما لهم فى الدنيا ثم ذكر ﴿ وقال ﴾

﴿ولله المشرق والمغرب﴾ يريد بهما ناحيتى الارض أى له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فأن منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا ﴿فأينما تولوا﴾ ففى أى مكان فعلتم التولية شطر القبلة ﴿فثم وجه الله﴾ أى جهته التى أمر بها فأن أمكان التولية لا يختص بمسجد أو مكان أو فثم ذاته أى هو عالم مطلع بما يفعل فيه ﴿أن الله واسع﴾ بأحاطته بالاشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده

وقال أن النصارى هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس بدليل أن مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات من الصلاة فيه وأيضا فأن الآية التى قبل هذه والتى بعدها فى ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركى مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثانى بدليل أن النصارى يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون فى خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربى فى أحكام القرآن قولا ثالثا وهو أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الازمنة محال * قوله عز وجل ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابن عمر رضى الله عنه نزلت فى المسافر يصلى التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر رضى الله عنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله * وفى رواية لمسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت فى تحويل القبلة الى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية وقيل أنها نزلت فى تخيير النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحى ثم أنها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام و معنى الاية أن لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وأن على جميعهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فما أمرهم باستقباله فهو القبلة فأن القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وأمر بالتوجه اليها فأينما تولوا فثم وجه الله أى فهنالك قبلة الله التى وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضاء الله أى يريدون بالتوجه اليه رضاه ﴿أن الله واسع﴾ من السعة وهو الغنى

(ولله المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها (فأينما) شرط (تولوا) مجزوم به أى ففى أى مكان فعلتم التولية يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجواب (فثم وجه الله) أى جهته التى أمر بها ورضيها والمعنى أنكم اذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو فى بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فأن التولية ممكنة فى كل مكان (أن الله واسع

قبلته فقال (ولله المشرق والمغرب) قبلة لمن لا يعلم القبلة (فأينما تولوا) تحولوا وجوهكم فى الصلاة بالتحرى (فثم وجه الله) فتلك الصلاة برضاء الله نزلت فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا فى سفر الى غير القبلة بالتحرى ويقال ولله المشرق والمغرب يقول الله لاهل المشرق والمغرب قبلة وهو الحرم فأينما تولوا وجوهكم فى الصلاة الى الحرم فثم وجه الله قبلة الله (أن الله واسع) بالقبلة

عليم) أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وقيل عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وهو حجة على الشافعى رحمه الله فيما اذا استدبر وقيل فأينما تولوا للدعاء والذكر (وقالوا اتخذ الله ولدا) يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قالوا شامى فاثبات الواو باعتبار انه قصة معطوفة على ماقبلها وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة أخرى (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما فى السموات والارض) أى هو خالقه ومالكه ومن جملته المسيح وعزير والولادة تنافى الملك (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شئ منهم على تكوينه وتقديره والتنوين فى كل عوض عن المضاف اليه أى كل ما فى السموات والارض أو كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا اليهم وجاء بما الذى لغير

(عليم) بنياتهم * ثم ذكر مقالة اليهود والنصارى عزير ابن الله والمسيح ابن الله فقال (وقالوا) يعنى اليهود والنصارى (اتخذ الله ولدا) عزيرا ومسيحا (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (بل) ليس كما قلتم ولكن (له) عبيدا (ما فى السموات والارض) من الخلق (كل له قانتون) مقرون له بالعبودية والتوحيد (أفضل)

﴿ عليم ﴾ بمصالحهم وأعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنها نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون فى حيز وجهة ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا ﴾ نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود أو منع أو مفهوم قوله تعالى ومن أظلم * وقرأ ابن عامر بغير واو ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه له عن ذلك فأنه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء ألا ترى أن الاجرام الفلكية مع أمكانها وفنائها لما كانت باقية مادام العالم لم تتخذ مايكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا أو طبعا ﴿ بل له ما فى السموات والارض ﴾ رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى أنه تعالى خالق ما فى السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح ﴿ كل له قانتون ﴾ منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه

أى يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة ﴿ عليم ﴾ أى بأعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شئ

مسئلة تتعلق بحكم الآية

وهى أن المسافر اذا كان فى مفازة أو بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فأنه يجتهد فى طلبها بنوع من الدلائل ويصلى الى الجهة التى أدى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وأن لم يصادف القبلة فأن جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق فى البحر اذا بقى على اللوح فأنه يصلى على حسب حاله وتصح صلاته وكذلك المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال * قوله عز وجل ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا ﴾ نزلت فى يهود المدينة حيث قالوا عزيز ابن الله وفى نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفى مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ أى تنزيها لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه أياى فزعم أنى لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه أياى فقوله لى ولد فسبحانى أن أتخذ صاحبة أو ولدا ﴿ بل له ما فى السموات والارض ﴾ يعنى عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما وقيل أن الولد لابد وأن يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير وقيل أن الولد أنما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال ﴿ كل له قانتون ﴾ يعنى أن أهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية وأصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

أولى العلم مع قوله قانتون كقوله سبحانه ماسخر كن لنا (بديع السموات والارض) أى مخترعهما ومبدعهما لاعلى مثال سبق وكل من فعل مالم يسبق اليه يقال له أبدعت

ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لانه يأتى فى دين الاسلام مالم يسبقه اليه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم (وأذا قضى أمرا) أى حكم أو قدر (فأنما يقول له كن فيكون) هو من كان التامة أى احدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثمه وانما المعنى ان ماقضاه من الامور وأراد كونه فأنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذى يؤمر فيمتثل ولا يكون منه اباء وأكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الاجسام فأنى يتصور التوالد ثمه والوجه الرفع فى فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف أى فهو يكون أو على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لانه أمر وجواب الامر بالفاء نصب وقلنا أن كن ليس بأمر حقيقة اذ لا فرق بين أن يقال واذا قضى أمرا فأنما يكونه فيكون وبين أن يقال فأنما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك فلا معنى للنصب

الواجب لذاته فلايكون له ولدا لان من حق الولد أن يجانس والده وأنما جاء بما الذى لغير أولى العلم وقال قانتون على تغليب أولى العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه أى كل مافيهما ويجوز أن يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون أنزاما بعد أقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ماقالوه من ثلاثة أوجه واحتج بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد بأثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما ﴿ بديع السموات والارض ﴾ مبدعهما ونظيره السميع فى قوله

أمن ريحانة الداعى السميع • يؤرقنى وأصحابى هجوع

أو بديع سمواته وأرضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلايكون والدا * والابداع اختراع الشئ لاعن شئ دفعة وهو أليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى يكون بتغيير وفى زمان غالبا * وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير فى له ومنصوبا على المدح ﴿ وأذا قضى أمرا ﴾ أى أراد اشيأ وأصل القضاء اتمام الشئ قولا كقوله تعالى وقضى ربك أوفعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات وأطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث أنه يوجبه ﴿ فأنما يقول له كن فيكون ﴾

أفضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون أى مذللون مسخرون لما خلقوا له * واختلف العلماء فى حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا فى تخصيصه طريقين أحدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما هو راجع الى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى أن حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضى الشمول والاحاطة ثم سلكوا فى الكفار طريقين أحدهما أن ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثانى أن هذه الطاعة تكون فى يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية أجاب عن لفظة كل بأنها لاتقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شئ ولم تؤت ملك سليمان فدل على أن لفظة كل لا تقتضى ذلك * قوله عز وجل ﴿ بديع السموات والارض ﴾ أى خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذى يبدع الاشياء أى يحدثها ممالم يكن ﴿ وأذا قضى أمرا ﴾ أى قدره وأراد خلقه وقيل اذا أحكم أمرا وحتمه وأتقنه وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء فى اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشئ وتمامه والفراغ منه ﴿ فأنما يقول له كن فيكون ﴾ أى اذا أحكم أمرا وحتمه فأنما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما أراد الله تعالى وجوده * فأن قلت

(بديع السموات والارض) ابتدعهما ولم يكونا (قا وخا ٢٤ ل) شيأ (وأذا قضى أمرا) اذا أراد أن يخلق ولدا بلا أب مثل المسيح (فأنما يقول له كن فيكون) ولدا بلا أب كآدم كان بلا أب وأم

وهذا لانه لوكان أمرا فأما أن يخاطب به الموجود والموجود لايخاطب بكن

من كان التامة أى أحدث فيحدث وليس المراد به حقيقة أمر وامتثال بل تمثيل حصول ماتعلقت به أرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلاتوقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وأيماء الى حجة خامسة وهو أن اتخاذ الولد مما يكون بأطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك*وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون * واعلم أن السبب فى هذه الضلالة أن أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار أنه السبب الاول حتى قالوا أن الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هوالاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد ﴿ وقال الذين لايعلمون ﴾ أى جهلة المشركين أوالمتجاهلون من أهل الكتاب ﴿ لولايكلمنا الله ﴾ هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة أو يوحى الينا بأنك رسوله ﴿ أوتأتينا آية ﴾ حجة على صدقك والاول استكبار والثانى جحود بأن ماأتاهم آيات الله استهانة به وعنادا ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم ﴾ من الامم الماضية ﴿ مثل قولهم ﴾ فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد *وقرئ بتشديد الشين ﴿ قدبينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ أى يطلبون اليقين أويوقنون الحقائق لايعتريهم شبهة ولاعناد وفيه أشارة الى أنهم ماقالوا ذلك لخفاء فى الآيات أولطلب مزيداليقين وأنما قالوه عتوا وعنادا ﴿ أنا أرسلناك بالحق ﴾ ملتبسا مؤيدا به

المعدوم لايخاطب فكيف قال فأنما يقول له كن فيكون *قلت أن الله تعالى عالم بكل ماهو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التى لم تكن كأنها كائنة لعلمه بها فجاز أن يقول لها كونى ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام فى قوله له لام أجل فيكون المعنى اذاقضى أمرا فأنما يقول لأجل تكوينه وارادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب *قوله عزوجل ﴿ وقال الذين لايعلمون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركوا العرب ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ يكلمنا الله ﴾ أى عيانا بأنك رسوله ﴿ أوتأتينا آية ﴾ أى دلالة وعلامة على صدقك ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم ﴾ أى كفار الامم الخالية ﴿ مثل قولهم ﴾ وذلك أن اليهود سألوا موسى أن يريهم الله جهرة وأن يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ماليس لهم مسئلته فأخبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا مثل ماقال من كان قبلهم ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ يعنى أن المكذبين للرسل تشابهت أقوالهم وأفعالهم وقيل تشابهت فى الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال ﴿ قدبينا الآيات ﴾ أى الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ لقوم يوقنون ﴾ يعنى أن آيات القرآن وماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وأنما خص أهل الايقان بالذكر لانهم هم أهل التثبت فى الامور ومعرفة الاشياء على يقين * قوله عز وجل ﴿ أنا أرسلناك بالحق ﴾ أى بالصدق وقال ابن عباس رضى الله عنهما بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل

أو المعدوم والمعدوم لايخاطب (وقال الذين لايعلمون) من المشركين أو من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لان يكون ماآتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى (قدبينا الآيات لقوم يوقنون) أى لقوم ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (أنا أرسلناك بالحق

(وقال الذين لايعلمون) توحيد الله يعنى اليهود (لولايكلمنا الله) معاينة (أو تأتينا آية) علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لآمنا به (كذلك) هكذا (قال الذين من قبلهم) من آبائهم (مثل قولهم) شبه قولهم (تشابهت قلوبهم) استوت كلمتهم وتوافقت قلوبهم مع آبائهم (قدبينا الآيات) العلامات الامر والنهى وصفاتك فى التوراة (لقوم يوقنون) يصدقون (أنا أرسلناك) يامحمد (بالحق)

(معناه)

بشيرا) للمؤمنين بالثواب (ونذيرا) للكافرين بالعقاب (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) ولا نسألك عنهم مالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك فى دعوتهم وهو حال كنذيرا وبشيرا وبالحق أى وغير مسئول أو مستأنف قراءة نافع ولا تسأل على النهى ومعناه تعظيم ماوقع فيه الكفار من العذاب

كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك

﴿بشيرا ونذيرا﴾ فلا عليك أن أصروا أو كابروا ﴿ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾ مالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت * وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على أنه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه أو تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر أن يخبر عنها أو السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ مبالغة فى اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من أسلامهم فأنهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال ﴿قل﴾ تعليما للجواب ﴿أن هدى الله هو الهدى﴾ أى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ماتدعون اليه ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ آراءهم الزائغة والملة ماشرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه من أمللت الكتاب اذا أمليته والهوى رأى يتبع الشهوة

معناه أنا لم نرسلك عبثا بل أرسلناك بالحق ﴿بشيرا﴾ أى مبشرا لاوليائى وأهل طاعتى بالثواب العظيم ﴿ونذيرا﴾ أى منذرا ومخوفا لاعدائى وأهل معصيتى بالعذاب الأليم ﴿ولا تسأل﴾ قرئ بفتح التاء على النهى قال ابن عباس رضى الله عنهما وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى مافعل أبواى فنزلت هذه الآية والمعنى أنا أرسلناك لتبليغ ماأرسلت به ولا تسأل عن أصحاب الجحيم * وقرئ ولا تسئل بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النفى والمعنى أنا أرسلناك بالحق لتبليغ ماأرسلت به فأنما عليك البلاغ ولست مسئولا عمن كفر ﴿عن أصحاب الجحيم﴾ أى عن أهل النار سميت النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار * قوله عز وجل ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه أنه أن أمهلهم تبعوه فانزل الله هذه الآية والمعنى أنك وأن هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك ألا باتباع ملتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما هذا فى أمر القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعنى ألا باليهودية ولا النصارى يعنى ألا بالنصرانية وهذا شئ لا يتصور اذ لا يجتمع فى رجل واحد شيآن فى وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وطريقتهم ﴿قل﴾ أى يا محمد ﴿أن هدى الله﴾ يعنى دين الله الذى هو الاسلام ﴿هو الهدى﴾ أى يصح أن يسمى هدى ﴿ولئن اتبعت﴾ يا محمد ﴿أهواءهم﴾ يعنى أهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل أهواءهم أقوالهم التى هى أهواء وبدع

لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعرى مافعل أبواى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) كأنهم قالوا لن ترضى عنك وأن أبلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم فى الاسلام فذكر الله عز وجل كلامهم (قل أن هدى الله) الذى رضى لعباده (هو الهدى) أى الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون الى اتباعه ماهو هدى انما هو هوى ألا ترى الى قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) أى أقوالهم التى هى أهواء وبدع

بالقرآن والتوحيد (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر بالله (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) لا ينبغى أن تسئل عن أصحاب الجحيم ويقال لا تسئل عن أصحاب الجحيم عن غفران أصحاب الجحيم (ولن ترضى عنك اليهود) يهود أهل المدينة (ولا النصارى) نصارى أهل نجران (حتى تتبع ملتهم) دينهم وقبلتهم (قل) يا محمد (أن هدى الله هو الهدى) دين الله هو الاسلام وقبلة الله هى الكعبة (ولئن اتبعت أهواءهم)

(بعد الذى جاءك من العلم) أى من العلم بأن دين الله هو الاسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة (مالك من الله) من عذاب الله (من ولى ولا نصير) ناصر (الذين) مبتدأ (آتيناهم الكتاب) صلته وهم مؤمنوا أهل الكتاب وهو التوراة والانجيل أو أصحاب النبى عليه السلام والكتاب القرآن (يتلونه) حال مقدرة منهم لانهم لم يكونوا تالين له وقت ايتائه ونصب على المصدر (حق تلاوته) أى يقرؤنه حق قراءته فى الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكر أو يعملون به ويؤمنون بما فى مضمونه ولا يغيرون مافيه من نعت النبى صلى الله عليه وسلم (أولئك) مبتدأ خبره (يؤمنون به) والجملة خبر الذين ويجوز أن يكون يتلونه خبرا والجملة خبر آخر (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يابنى أسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى أنعمتها عليكم

﴿ بعد الذى جاءك من العلم ﴾ أى الوحى أو الدين المعلوم صحته ﴿ مالك من الله من ولى ولا نصير ﴾ يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ يريد به مؤمنى أهل الكتاب ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر مابعده أو خبر على أن المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب ﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ بكتابهم دون المحرفين ﴿ ومن يكفر به ﴾ بالتحريف والكفر بمايصدقه ﴿ فأولئك هم الخاسرون ﴾ حيث اشتروا الكفر بالايمان ﴿ يابنى أسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم

﴿ بعد الذى جاءك من العلم ﴾ أى البيان بأن دين الله هو الاسلام وأن القبلة هى قبلة أبراهيم عليه الصلاة والسلام وهى الكعبة ﴿ مالك من الله من ولى ﴾ يعنى يلى أمرك ويقوم بك ﴿ ولا نصير ﴾ أى ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل فى قوله ولئن اتبعت أهواءهم أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى أياكم أخاطب ولكم أؤدب وأنهى فقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا أنتم أهواء الكافرين ولئن اتبعتم أهواءهم بعد الذى جاءكم من العلم والبينات مالكم من الله من ولى ولا نصير * قوله عز وجل ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ أى يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون مافيه من نعت رسول الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا فى معانيه وحقائقه وأسراره ﴿ أولئك ﴾ يعنى الذين يتلونه حق تلاوته ﴿ يؤمنون به ﴾ أى يصدقون به فأن قلنا أن الآية فى أهل الكتاب فيكون المعنى أن المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان فى التوراة نعته وصفته وأن قلنا أنها نزلت فى المؤمنين عامة فظاهر ﴿ ومن يكفر به ﴾ أى يجحد مافيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فألئك هم الخاسرون ﴾ أى خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان * قوله عز وجل ﴿ يابنى أسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾

دينهم وقبلتهم (بعد الذى جاءك من العلم) من البيان أن دين الله هو الاسلام وقبلة الله هى الكعبة (مالك من الله) من عذاب الله (من ولى) قريب ينفعك (ولا نصير) مانع يمنعك * ثم ذكر مؤمنى أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه وبحيرا الراهب وأصحابه والنجاشى وأصحابه فقال (الذين آتيناهم الكتاب) أعطيناهم علم الكتاب يعنى التوراة (يتلونه حق تلاوته) يصفونه حق صفته ولا يحرفونه (أى) اى يبينون حلاله وحرامه وأمره ونهيه لمن سألهم ويعلمون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه (أولئك يؤمنون به) بمحمد والقرآن (ومن يكفر به) بمحمد والقرآن (فأولئك هم الخاسرون) المغبونون بذهاب الدنيا والآخرة * ثم ذكر منته على بنى أسرائيل فقال (يابنى أسرائيل) ياأولاد يعقوب (اذكروا نعمتى) احفظوا منتى (التى انعمت عليكم)

(وأنى فضلتكم على العالمين) وتفضيلى أياكم على عالمى زمانكم (واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجمل الاربع وصف ليوما أى واتقوا يوما لاتجزى فيه ولا يقبل فيه ولاتنفعها فيه ولاهم ينصرون فيه وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصى منهم وختم قصة بنى أسرائيل بما بدأ به (واذ) أى ﴿١٨٩﴾ واذكر اذ (ابتلى أبراهيم ربه ﴿سورة البقرة﴾ بكلمات) اختبره بأوامر ونواه

وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون ﴾ لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من أضاعتها والخوف من الساعة وأهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وأيذانا بأنه فذلكة القصة والمقصود من القصة ﴿ وأذ ابتلى أبراهيم ربه بكلمات ﴾ كلفه بأوامر ٤ ونواه * والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وأن تأخر رتبة لان الشرط أحد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقوله تعالى أن المسلمين والمسلمات الى آخر الآية وقوله قد أفلح المؤمنون الى قوله أولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سنته وبمناسك الحج وبالكوب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على أنه تعالى عامله بها معاملة المختبرين وبما تضمنته الآيات التى بعدها * وقرئ أبراهيم ربه على أنه دعا ربه بكلمات مثل أرنى كيف تحي الموتى واجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه * وقرأ ابن عامر أبراهام بالالف فى جميع

والاختبار منا لظهور مالم نعلم ومن الله لاظهار ماقد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفى فى الشاهد والغائب جميعا فلذا تجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختبار أحد الامرين مايريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه مايكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه أبراهيم ربه برفع ابراهيم وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما أى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن أم لا

أى أيادى لديكم وصنعى بكم واستنقاذى أياكم من أيدى عدوكم فى نعم كثيرة أنعمت بها عليكم ﴿ وأنى فضلتكم على العالمين ﴾ أى واذكروا تفضيلى أياكم على عالمى زمانكم وفى هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها فى أول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم ﴿ واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ ﴾ وفى هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يامعشر بنى أسرائيل المبدلين كتابى المحرفين له خافوا عذاب يوم لاتجزى فيه نفس عن نفس شيأ ﴿ ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ﴾ أى لايقبل منها فدية ولايشفع لها شافع وهذا من العام الذى يراد به الخاص كقوله تعالى ولاتنفع الشفاعة عنده الالمن أذن له ومعنى الآية ولاتنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل أنه رد على اليهود فى قولهم أن آباءنا يشفعون لنا ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ أى ولاناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم * قوله عز وجل ﴿ وأذا بتلى أبراهيم ربه بكلمات

منت على آبائكم بالنجاة من فرعون وقومه وغير ذلك (وأنى فضلتكم) بالاسلام (على العالمين) عالمى زمانكم (واتقوا يوما) واخشوا عذاب يوم وهو يوم القيامة (لاتجزى نفس عن نفس شيأ) لاتنفع نفس كافرة عن نفس كافرة شيأ ويقال نفس صالحة عن نفس صالحة شيأ ويقال والد عن ولده ولامولود عن والده شيأ من عذاب الله (ولايقبل منها عدل) فداء (ولاتنفعها شفاعة) ولايشفع لها شافع ملك مقرب ولا نبى مرسل ولاعبد صالح (ولاهم ينصرون) يمنعون مما يرادبهم * ثم ذكر منته على أبراهيم خليله فقال (واذ ابتلى أبراهيم ربه بكلماب) أى أمره بعشر خصال خمس فى الرأس وخمس فى الجسد

٤ قال الشهاب قول الزمخشرى ومايشتهيه العبد اعتزال خفى ولذا تركه المصنف رحمه الله مصححه

مافى هذه السورة ﴿ فأتمهن ﴾ فأداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وأبراهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة الضمير لرب أى أعطاه جميع ماادعاه

فأتمهن ﴾ أبراهيم اسم أعجمى ومعناه أب رحيم وهو أبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان مولد أبراهيم بالسوس من أرض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله الى أرض بابل وهى أرض نمروذ الجبار وأبراهيم عليه الصلاة والسلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فأما اليهود والنصارى فأنهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وأنهم من أولاده وأما العرب فى الجاهلية فأنهم أيضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من أولاده ومن ساكنى حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن أبراهيم أمورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما أوجبه الله على أبراهيم عليه الصلاة والسلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفى ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركى العرب فى وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمى التكليف بلاء لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فأذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على مايجهل من أمره والثانى ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على مايجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذ ابتلى أبراهيم ربه بكلمات * واختلفوا فى تلك الكلمات التى ابتلى الله بها أبراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما هى ثلاثون سهما هن شرائع الاسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها ألا أبراهيم فكتب الله له البراءة فقال وأبراهيم الذى وفى ومعنى هذا الكلام أنه لم يبتل أحد قبل أبراهيم * فأما بعده فقد أتى الانبياء بجميع ماأمروا به من الدين خصوصا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أتى بجميع ماأمر به وهى عشرة مذكورة فى سورة براءة فى قوله التائبون العابدون الآية وعشرة فى سورة الاحزاب فى قوله أن المسلمين والمسلمات الآية وعشرة فى سورة المؤمنين فى قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الآيات وهى مذكورة أيضا فى سورة سأل سائل * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال ابتلاه الله بعشرة أشياء هن الفطرة خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس فى الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفى رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب

(وتقليم)

(فأتمهن) أى قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وأبراهيم الذى وفى ومعناه فى قراءة أبى حنيفة رحمه الله فأعطاه ماطلبه لم ينقص منه شيأ والكلمات على هذا ماسأل أبراهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس فى الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى الجسد الختان وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى ثلاثون سهما من الشرائع عشر فى براءة التائبون الآية وعشر فى الاحزاب أن المسلمين والمسلمات الآية وعشر فى المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل

(فأتمهن) فعمل بهن ويقال واذ ابتلى أبراهيم ربه بكلمات بكل كلمة دعا ربه بها فى القرآن فأتمهن فوفى بهن ويقال فدعا بهن

﴿قال أنى جاعلك للناس أماما﴾ استئناف أن أضمرت ناصب اذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتمهن فأجيب بذلك أو بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ماذكره من الامامة وتطهير البيت

وتقليم الاظافر ونتف الابط (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة ألا أن تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشياء المذكورة فى الحديث وأنها من الفطرة قيل كانت على أبراهيم عليه الصلاة والسلام فرضا وهى لنا سنة واتفقت العلماء على أنها من الملة وأما معانيها فقد قيل أما قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة للاعاجم فأنهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ وأما قص الاظفار فللجمال والزينة فأنها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهى العقد التى فى ظهور الاصابع فأنه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة ونتف الابط فللتنظف عما يجمع من الوسخ فى الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلماء فى وجوبه فذهب الشافعى الى أن الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا فى الواجب وذهب غيره الى أنه سنة وأول من ختن أبراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يختتن أحد قبله (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن أبراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى أنه اسم للآلة التى يقطع بها ومن شدد قال أنه اسم موضع عن يحيى ابن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول كان أبراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب قال رب ماهذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا أبراهيم قال يارب زدنى وقارا أخرجه مالك فى الموطأ وقيل فى الكلمات أنها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل أن الله اختبر أبراهيم بكلمات أوحاها اليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن أى أداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيأ واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله فى سياق الآية أنى جاعلك للناس أماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم ألا من جهة الوحى الالهى وذلك بعد النبوة والصواب أنه أن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وأن فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة * وقوله تعالى ﴿قال أنى جاعلك للناس أماما﴾

هى مناسك الحج (قال أنى جاعلك للناس أماما) هو اسم من يؤتم به أى يأتمون بك فى دينهم

ثم (قال) له (أنى جاعلك للناس أماما) خليفة

(قال ومن ذريتي) أي وأجعل من ذريتي أماما يقتدى به ذرية الرجل أولاده ذكورهم وأناثهم فيه سواء فعيلة من الذرء أي الخلق فأبدلت الهمزة ياء (قال لاينال عهدي الظالمين) بسكون الياء حمزة وحفص أي لاتصيب الامامة أهل الظلم من ولدك أي أهل الكفر أخبر أن أمامة المسلمين لاتثبت لاهل الكفر وأن من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى أسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر قالت معتزلة هذا دليل على أن الفاسق ليس بأهل للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فأذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا اذهو الظالم المطلق وقيل أنه سأل أن يكون ولده نبيا كما كان هو فأخبر أن الظالم لايكون نبيا (وأذ جعلنا البيت) أي الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه (وأمنا) وموضع أمن فأن الجاني يأوي اليه فلايتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجئ الى الحرم

ورفع قواعده والاسلام وأن نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ماقبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان * والامام اسم لمن يؤتم به وأمامته عامة مؤبدة اذلم يبعث بعده نبي ألا كان من ذريته مأمورا باتباعه ﴿قال ومن ذريتي﴾ عطف على الكاف أي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك *والذرية نسل الرجل فعلية أوفعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق أوفعولة أوفعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق *وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة ﴿قال لاينال عهدي الظالمين﴾ أجابة الى ملتمسه وتنبيه على أنه قد يكون من ذريته ظلمة وأنهم لاينالون الامامة لانها أمانة من الله تعالى وعهد والظالم لايصلح لها وأنما ينالها البررة الاتقياء منهم * وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وأن الفاسق لايصلح للامامة *وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل مانالك فقد نلته ﴿وأذجعلنا البيت﴾ أي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا ﴿مثابة للناس﴾ مرجعا يثوب اليه أعيان الزوار أوأمثالهم أوموضع ثواب يثابون بحجه واعتماره *وقرئ مثابات أي لانه مثابة كل أحد ﴿وأمنا﴾ وموضع أمن لايتعرض لاهله كقوله تعالى حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أويأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث أن الحج يجب ماقبله أولايؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه

أي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذي يؤتم به ﴿قال ومن ذريتي﴾ أي قال أبراهيم واجعل من ذريتي وأولادي أئمة يقتدى بهم ﴿قال﴾ الله ﴿لاينال﴾ أي لايصيب ﴿عهدي﴾ أي نبوتي وقيل الامامة ﴿الظالمين﴾ يعني من ذريتك والمعنى لاينال ماعاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك * قوله عز وجل ﴿وأذجعلنا البيت﴾ يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فأن الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم ﴿مثابة للناس﴾ أي مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه ﴿وأمنا﴾ أي موضعا ذا أمن يأمنون فيه من أذى المشركين فأنهم كانوا لايتعرضون لأهل مكه ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما معاذا وملجأ (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة

يقتدي بك (قال) أبراهيم (ومن ذريتي) واجعل من ذريتي أيضا أماما يقتدى به (قال) الله (لاينال عهدي) لاينال عهدي اليك ووعدي اليك وكرامتي اليك ورحمتي (الظالمين) من ذريتك ويقال لاأجعل أماما ظالما (من) من ذريتك ويقال لاينال عهدي الظالمين في الآخرة وأما في الدنيا فينا لهم * ثم أمر الخلق أن يقتدوا به فقال (وأذجعلنا البيت مثابة) مرجعا (للناس) يثوبون اليه ويشتاقون اليه (وأمنا) لمن دخل فيه

﴿ واتخذوا من مقام أبراهيم مصلى ﴾ على أرادة القول أو عطف على المقدر عاملا لاذ أواعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على أن الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أمر استحباب ومقام أبراهيم هو الحجر الذى فيه أثر قدميه والموضع الذى كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج أورفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ بيد عمر رضى الله تعالى عنه وقال هذا مقام أبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لماروى جابر رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام لمافرغ من طوافه عمد الى مقام أبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام أبراهيم مصلى وللشافعى رحمه الله تعالى فى وجوبهما قولان وقيل مقام أبراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى * وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا أى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها

من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لايعضد شوكه ولاينفر صيده ولايلتقط لقطته ألا من عرفها ولايختلى خلاه فقال العباس رضى الله عنه يارسول الله ألا الاذخر فأنه لقينهم وبيوتهم فقال ألا الاذخر معنى الحديث أنه لايحل لاحد أن ينصب القتال والحرب فى الحرم وانما أحل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولايحل لاحد بعده * قوله لايعضد شوكه أى لايقطع شوك الحرم وأراد به مالايؤذى منه أما مايؤذى منه كالعوسج فلا بأس بقطعه * قوله ولاينفر صيده أى لايتعرض له بالاصطياد ولايهاج * قوله ولا يلتقط لقطته ألا من عرفها أى ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف واللقطة فى جميع الارض لاتحل ألا لمن يعرفها حولا فأن جاء صاحبها أخذها وألا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة فى اللقطة أن يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فأنه محدود بسنة * قوله ولايختلى خلاه الخلى مقصور الرطب من النبات الذى يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه * وقوله لقينهم القين الحداد ❁ وقوله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام أبراهيم مصلى ﴾ قيل الحرم كله مقام أبراهيم وقيل أراد بمقام أبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمى وسائر المشاهد والصحيح أن مقام أبراهيم هو الحجر الذى يصلى عنده الائمة وذلك الحجر هو الذى قام أبراهيم عليه الصلاة والسلام عليه عند بناء البيت وقيل كان أثر أصابع رجلى أبراهيم عليه الصلاة والسلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدى وقيل انما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال عمر رضى الله عنه وافقت ربى فى ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام أبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام أبراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على مارواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم أسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها =

(واتخذوا من مقام أبراهيم مصلى) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وعنه عليه السلام أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام أبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل مصلى مدعى ومقام أبراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه وقيل الحرم كله مقام أبراهيم واتخذوا شامى ونافع بلفظ الماضى عطفا على جعلنا أى واتخذ الناس من مكان أبراهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها

(واتخذوا) ياأمة محمد (من مقام أبراهيم مصلى) قبلة

= أبراهيم وبأبنها أسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى أبراهيم منطلقا فتبعته أم أسمعيل فقالت يا أبراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق أبراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال رب أنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم أسمعيل ترضع أسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت يا من قد أسمعت أن كان عندك غواث فأذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم أسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فأن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا أن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فأذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم أسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم أسمعيل وهى تحب الانس فأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم أسمعيل فجاء أبراهيم بعد ما تزوج أسمعيل يطالع تركته فلم يجد أسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا وفى رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء أسمعيل كأنه آنس شيأ فقال هل جاءكم من أحد قالت =

= نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة فقال هل أوصاك بشيء قالت نعم أمرني ان أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك ألحقي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم أبراهيم ماشاء الله أن يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال وماطعامكم قالت اللحم قال وما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لايخلو عليهما أحد بغير مكة ألا لم يوافقاه وفي رواية فجاء فقال أين اسمعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد فقالت امرأته ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وماطعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة أبراهيم قال فأذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء أسمعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك وأسمعيل يبري نبلاله تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا أسمعيل أن الله أمرني بأمر قال فاسمع ماأمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فأن الله أمرني أن أبني بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ماحولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل أسمعيل يأتي بالحجارة وأبراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء أبراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام أبراهيم عليه وهو يبني وأسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم وقيل أن امرأة اسمعيل قالت لابراهيم انزل أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقي أثر قدميه عليه

*عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاء مابين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفا

❊واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام أبراهيم مصلى قبلة أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا أطلق لايعقل منه ألا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه

﴿ وعهدنا الى أبراهيم وأسمعيل ﴾ أمرناهما ﴿ أن طهرا بيتى ﴾ بأن طهرا بيتى ويجوز أن تكون أن مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس ومالايليق به أو أخلصاه ﴿ للطائفين ﴾ حوله ﴿ والعاكفين ﴾ المقيمين عنده أو المعتكفين فيه ﴿ والركع السجود ﴾ أى المصلين جمع راكع وساجد ﴿ وأذقال أبراهيم رب اجعل هذا ﴾ يريد البلد أو المكان ﴿ بلدا آمنا ﴾

﴿وعهدنا الى أبراهيم وأسمعيل﴾ أى أمرناهما وألزمناهما وأوجبنا عليهما قيل أنما سمى أسمعيل لان أبراهيم كان يدعوا الله أن يرزقه ولدا ويقول فى دعائه اسمع ياأيل وأيل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به ﴿ أن طهرا بيتى ﴾ يعنى الكعبة أضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا أى ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور ﴿ للطائفين ﴾ يعنى الدائرين حوله ﴿ والعاكفين ﴾ يعنى المقيمين به والمجاورين له ﴿ والركع السجود ﴾ جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين يعنى الغرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعنى أهل مكة المقيمين بها قيل أن الطواف للغرباء أفضل والصلاة لاهل مكة بمكة أفضل ﴿قوله عزوجل ﴿ وأذقال أبراهيم رب اجعل هذا ﴾ اشارة الى مكة وقيل الى الحرم ﴿ بلدا آمنا ﴾ أى ذا أمن يأمن فيه أهله وأنما دعا أبراهيم له بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فأذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شئ من النواحى فيتعذر المقام به فأجاب الله تعالى دعاء أبراهيم وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار ألا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة * فأن قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة * قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا أخراب الكعبة وأنما كان قصده خلع ابن الزبير رضى الله عنهما من الخلافة ولم يتمكن من ذلك ألا بذلك فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها وأحسن الى أهلها * واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة أبراهيم عليه الصلاة والسلام أو حرمت بدعوته على قولين * أحدهما أنها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول أبراهيم عليه الصلاة والسلام أنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضى أن مكة كانت محرمة قبل دعوة أبراهيم * القول الثانى أنها أنما حرمت بدعوة أبراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم أن أبراهيم حرم مكة وأنى حرمت المدينة وهذا يقتضى أن مكة كانت قبل دعوة أبراهيم حلالا كغيرها من البلاد وأنما حرمت بدعوة أبراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله وأنما كان تعالى يمنعها ممن أرادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوّأها الله تعالى أبراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل أبراهيم ربه

(وعهدنا الى أبراهيم وأسمعيل) أمرناهم (أن طهرا بيتى) بفتح الياء مدنى وحفص أى بأن طهرا أو أى طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والخبائث والانجاس كلها (للطائفين) للدائرين حوله (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده أى أقاموا لايبرحون أو المعتكفين وقيل للطائفين للنزاع اليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة (والركع السجود) والمصلين جمعا راكع وساجد (وأذ قال أبراهيم رب اجعل هذا) أى اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كعيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم فهذا مفعول أول وبلدا مفعول

(وعهدنا الى أبراهيم) أمرنا أبراهيم (وأسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين) من الاصنام (والعاكفين) المقيمين (والركع السجود) لاهل الصلوات الخمس من جملة البلدان (وأذقال أبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا)

ذا أمن كقوله في عيشة راضية أو آمنا اهله كقولك ليل نائم ﴿ وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ أبدل من آمن من أهله بدل البعض للتخصيص ﴿ قال ومن كفر ﴾ عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس أبراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الامامة فنبه سبحانه وتعالى على أن الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين أو مبتدأ متضمن معنى الشرط ﴿ فأمتعه قليلا ﴾ خبره والكفر وأن لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بأن يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ﴿ ثم اضطره الى عذاب النار ﴾ أي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر أو الظرف * وقرئ بلفظ الامر فيهما على أنه من دعاء أبراهيم وفي قال ضميره * وقرأ ابن عامر فأمتعه من أمتع * وقرئ فنمتعه ثم نضطره وإضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأطره بأدغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس ﴿ وبئس المصير ﴾ المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب ﴿ وأذ يرفع أبراهيم القواعد من البيت ﴾ حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فأنه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل أن يراد بها سافات البناء فأن كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته وأظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي أبهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها ﴿ وأسماعيل ﴾ كان يناوله الحجارة ولكنه

عز وجل أن يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فأجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة أبراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله أعلم ﴿ وارزق أهله من الثمرات ﴾ أنما سأل أبراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ ﴿ من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ يعني ارزق المؤمنين من أهله خاصة وسبب هذا التخصيص أن أبراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأل ربه عز وجل أن يجعل النبوة والامامة في ذريته فأجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين صار ذلك تأديبا له في المسئلة فلاجرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله ﴿ قال ومن كفر فأمتعه ﴾ أي سأرزق الكافر أيضا ﴿ قليلا ﴾ أي في الدنيا الى منتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع ﴿ ثم أضطره الى عذاب النار ﴾ أي ألجئه وأكرهه وأدفعه الى عذاب النار * والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه ﴿ وبئس المصير ﴾ أي وبئس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب * قوله تعالى ﴿ وأذ يرفع أبراهيم القواعد من البيت وأسمعيل ﴾ وكانت قصة بناء البيت على ما ذكر العلماء

ثان وآمنا صفة له (وارزق أهله من الثمرات) لانه لم يكن لهم ثمرة ثم أبدل (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) من أهله بدل البعض من الكل أي وارزق المؤمنين من أهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص المؤمنين به قال الله تعالى جوابا له (قال ومن كفر) أي وأرزق من كفر (فأمتعه قليلا) تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا الى حين أجله فأمتعه شامي (ثم أضطره) ألجئه (الى عذاب النار وبئس المصير) المرجع الذي يصير اليه النار فالمخصوص بالذم محذوف (وأذ يرفع) حكاية حال ماضية (أبراهيم القواعد) هي جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر (من البيت) بيت الله وهو الكعبة (وأسمعيل)

من أن يهاج فيه (وارزق أهله من الثمرات) من ألوان الثمرات (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت (قال) الله (ومن كفر) أيضا (فأمتعه قليلا) فسأرزقه قليلا في الدنيا (ثم اضطره) ألجؤه (الى عذاب النار وبئس المصير) صار اليه (وأذ يرفع أبراهيم القواعد من البيت) بنى أبراهيم أساس البيت (وأسمعيل)

لما كان له مدخل فى البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان فى طرفين أو على التناوب ﴿ ربنا تقبل منا ﴾ أى يقولان ربنا تقبل منا * وقد قرئ به والجملة حال منهما

وأصحاب السير أن الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق الارض بألفى عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقى و باب غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم أنى أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى وأنزل الله عليه الحجر الاسود وكان أبيض فأسود من مس الحيض فى الجاهلية فتوجه آدم عليه الصلاة والسلام من الهند ماشيا الى مكة وأرسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام قال ابن عباس رضى الله عنهما حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن أبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم أن الله تعالى أمر أبراهيم بعدما ولد له أسمعيل وأسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هى الشديدة السريعة الهبوب وقيل هى المتلوية فى هبوبها وأمر أبراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها أبراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق الحجفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وأبراهيم يمشى فى ظلها الى أن وقفت على موضع البيت ونودى منها يا أبراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل أن الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى أبراهيم وأسمعيل البيت فكان أبراهيم يبنيه وأسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع أبراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهى أس البيت وقيل جدرة من البيت قال ابن عباس رضى الله عنهما بنى أبراهيم البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتاء ولبنان جبل بالشام والجودى جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى أبراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتنى بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتنى بأحسن منه فمضى أسمعيل ليطلب حجرا أحسن منه فصاح أبو قبيس يا أبراهيم أن لك عندى وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فأخذه أبراهيم فوضعه مكانه وقيل أن الله تعالى أمد أبراهيم وأسمعيل بسبعة أملاك يعينونهما فى بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا ﴿ ربنا تقبل منا ﴾

هو عطف على أبراهيم وكان أبراهيم يبنى وأسمعيل يناوله الحجارة (ربنا) أى يقولان ربنا وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد اظهره عبدالله فى قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (تقبل منا) تقربنا اليك

يعينه فلما فرغا قالا (ربنا) يا ربنا (تقبل منا) بناءنا

﴿أنك أنت السميع﴾ لدعائنا ﴿العليم﴾ بنياتنا ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ مخلصين لك من أسلم وجهه أو مستسلمين من أسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان أو الثبات عليه. وقرئ مسلمين على أن المراد أنفسهما وهاجر أو أن التثنية من مراتب الجمع ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ أى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم أحق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما أعلما أن فى ذريتهما ظلمة وعلما أن الحكمة الالهية لاتقتضى الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى فأنه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن تكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما فى قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ﴿وأرنا﴾ من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين ﴿مناسكنا﴾ متعبداتنا فى الحج أو مذابحنا والنسك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة * وقرأ ابن كثير والسوسى عن أبى عمرو ويعقوب أرنا قياسا على فخذ فى فخذ وفيه أجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها. وقرأ الدورى عن

وفى الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا أى ماعملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك ﴿أنك أنت السميع﴾ أى لدعائنا ﴿العليم﴾ يعنى بنياتنا * قوله عز وجل ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ يعنى موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك. فأن قلت الاسلام أما أن يكون المراد منه الدين والاعتقاد أو الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب. قلت فيه وجهان أحدهما أن الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لايبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعنى فى المستقبل وذلك لاينافى حصوله فى الحال الوجه الثانى يحتمل أن يكون المراد منه طلب الزيادة فى الايمان فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لاينافى حصوله فى الحال ﴿ومن ذريتنا﴾ أى من أولادنا ﴿أمة﴾ أى جماعة ﴿مسلمة﴾ أى خاضعة منقادة ﴿لك﴾ وأنما أدخل من التى هى للتبعيض لان الله تعالى أعلمهما بقوله لاينال عهدى الظالمين أن فى ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعاء. فأن قلت لم خص ذريتهما بالدعاء * قلت لانهم أحق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا أولان أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم ألاترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم ﴿وأرنا﴾ أى علمنا وبصرنا ﴿مناسكنا﴾ أى شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا يعنى مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فأراهما المناسك فى يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمى ذلك

القواعد وتبيينها بعد الابهام تفخيم لشأن المبين (ربنا واجعلنا مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له واستسلم اذا خضع وأذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) ومن للتبعيض أو للتبيين وقيل أراد بالامة أمة محمد عليه السلام وانما خصا بالدعاء ذريتهما لانهم أولى بالشفقة كقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وأرنا مناسكنا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين أى وبصرنا متعبداتنا فى الحج أو عرفناها وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك وأرنا مكى قاسه على فخذ فى فخذ وأبو عمرو يشم

بيتك (أنك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بالاجابة ويقال العليم بنياتنا لبنائنا بيتك (ربنا) يا ربنا (واجعلنا مسلمين) مطيعين مخلصين (لك) بالتوحيد والعبادة (ومن ذريتنا أمة مسلمة) مطيعة مخلصة (لك) بالتوحيد والعبادة (وأرنا مناسكنا)

(قوله وفيه اجحاف) بتقديم الجيم أى زيادة تغيير وتبع فيه الزمخشرى قال فى العناية وليس كما ينبغى لانها من القراآت المتواترة مصححه

أبي عمرو بالاختلاس ﴿ وتب علينا ﴾ استتابة لذريتهما أو عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وأرشادا لذريتهما ﴿ أنك أنت التواب الرحيم ﴾ لمن تاب ﴿ ربنا وابعث فيهم ﴾ في الامة المسلمة ﴿ رسولا منهم ﴾ ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال أنا دعوة أبي أبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي ﴿ يتلو عليهم آياتك ﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم مايوحى اليه من دلائل

الوقت عرفة والموضع عرفات ﴿ وتب علينا ﴾ أي تجاوزعنا ﴿ أنك أنت التواب ﴾ أي المتجاوزعن عباده ﴿ الرحيم ﴾ بهم* واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء ووجهه أن التوبة لاتطلب من الله ألابعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه* وأجيب عنه بأن العبد وأن اجتهد في طاعة ربه عزوجل فأنه لاينفك عن تقصير في بعض الاوقات أما على سبيل السهو أوترك الاولى والافضل وكان هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل أن الله تعالى لما أعلم أبراهيم أن في ذريته من هوظالم فلاجرم سأل ربه التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل أنهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان أحرى الاماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما بهما في ذلك الدعاء لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى*قوله عزوجل ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ يعني وابعث في الامة المسلمة أوالذرية وهم العرب من ولد أسمعيل بن أبراهيم عليهما الصلاة والسلام وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون هو أشفق عليهم من غيره وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لان أبراهيم عليه الصلاة والسلام أنما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم* وروى البغوي بأسناد عن العرباض ابن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أني عند الله مكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري أنا دعوة أبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشأم * وقوله لمنجدل في طينته معناه أنه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح وأراد بدعوة أبراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء أبراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه الصلاة والسلام قوله في سورة الصف ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴿ يتلو عليهم ﴾ أي يقرأ عليهم ﴿ آياتك ﴾ يعني ماتوحيه اليه وهوالقرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذي كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب

أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم) في الامة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال عليه السلام أنا دعوة أبي أبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم و يبلغهم ماتوحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك

علمنا سنن حجنا (وتب علينا) تجاوزعنا تقصيرنا (أنك أنت التواب) المتجاوز (الرحيم) بالمؤمنين (ربنا) يا ربنا (وأبعث فيهم) في ذرية أسمعيل (رسولا منهم) من نسبهم (يتلو عليهم آياتك)

(قوله استتابة لذريتهما) لما كانت التوبة تقتضي الذنب وهم معصومون على الاصح قبلها وبعدها أوله بما ذكر فهو بتقدير مضاف أومن اطلاق اسم الاب على الذرية كما يقال تميم للقبيلة وبقية الوجوه ظاهرة وقوله لمن تاب متعلق بالرحيم ولو قال فترحم من تاب كان أولى (قوله ولم يبعث من ذريتهما) أي من ذريتهما معا بأن يكون ابن أسمعيل بن أبراهيم عليهما الصلاة والسلام لا من ذرية كل منهما فأن في أولاد اسحق أنبياء ورسلا وقال دعوة أبي أبراهيم في الحديث اقتصار على الاعظم والا فهو دعوة أسمعيل عليهما الصلاة والسلام ايضا وأن اردت التفصيل فارجع الى العناية مصححه

(ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة وفهم القرآن (ويزكيهم) ويطهرهم

من الشرك وسائر الارجاس (أنك أنت العزيز) الغالب الذى لايغلب (الحكيم) فيما اوليت (ومن يرغب عن ملة أبراهيم) استفهام بمعنى الجحد وانكار أن يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة أبراهيم والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج (ألامن) فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد ألازيد والمعنى ومايرغب عن ملة أبراهيم ألا من (سفه نفسه) أى جهل نفسه أى لم يفكر فى نفسه فوضع سفه موضع جهل

التوحيد والنبوة ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ﴿ ويزكيهم ﴾ عن الشرك والمعاصى ﴿ أنك أنت العزيز ﴾ الذى لايقهر ولايغلب على مايريد ﴿ الحكيم ﴾ المحكم له ﴿ ومن يرغب عن ملة أبراهيم ﴾ استبعاد وانكار لان يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء أى لايرغب أحد عن ملته ﴿ ألامن سفه نفسه ﴾ ألامن استمهنها وأذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهدله ماجاء فى الحديث الكبر

جله عليه ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ يعنى معانى الكتاب وحقائقه لان المقصود الاعظم تعليم مافى القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى أولا أمر التلاوة وهى حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره ﴿ والحكمة ﴾ أى ويعلمهم الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل ولايسمى الرجل حكيما ألااذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هى التى ترد عن الجهل والخطأ وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة فى القول والعمل ووضع كل شئ موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلف المفسرون فى المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هى السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد بها شيأ آخر وليس ذلك ألاالسنة وقيل الحكمة هى العلم بأحكام الله تعالى التى لايدرك علمها ألا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هى الفصل بين الحق والباطل وقيل هى معرفة الاحكام والقضاء وقيل هى فهم القرآن والمعنى ويعلمهم مافى القرآن من الاحكام والحكمة وهى مافيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك أودعتك الى مكرمة أونهتك عن قبيح فهى حكمة ﴿ ويزكيهم ﴾ أى ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية أى يشهدلهم يوم القيامة بالعدالة اذاشهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم أبراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال ﴿ أنك أنت العزيز ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما العزيز الذى لايوجد مثله وقيل هو الذى يقهر ولايقهر وقيل هو المنيع الذى لاتناله الايدى وقيل العزيز القوى والعزة القوة من قولهم أرض عزاز أى صلبة قوية ﴿ الحكيم ﴾ أى العالم الذى لاتخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء وايجادها على غاية الاحكام * قوله عز وجل ﴿ ومن يرغب عن ملة أبراهيم ألامن سفه نفسه ﴾ سبب نزول هذه الآية أن عبدالله بن سلام رضى الله عنه دعا ابنى أخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال فى التوراة أنى باعث من ولد أسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة أبراهيم أى يترك دينه

القرآن (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الحلال والحرام (ويزكيهم) يطهرهم بالتوحيد والزكاة من الذنوب (أنك أنت العزيز) بالنقمة لمن لايجيب رسولك الذى ترسله اليهم (الحكيم) فى ارسال الرسول فاستجاب الله دعاءه وبعث فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهن تلك الكلمات التى ابتلاه الله بها فأتمهن فدعا بهن (ومن يرغب عن ملة أبراهيم) من يزهد فى دين أبراهيم (قا و خا ٢٦ ل)وسنته(ألامن سفه نفسه) ألامن خسر نفسه وذهب عقله

وعدى كما عدى أو معناه سفه فى نفسه فحذف فى كما حذف من فى قوله واختار موسى قومه أى من قومه وعلى فى قوله ولاتعزموا عقدة النكاح

والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التميز وهو ضعيف لكونه معرفة (ولقد اصطفيناه فى الدنيا وأنه فى الآخرة لمن الصالحين) بيان خطأ رأى من يرغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة فى طريقته منه (أذ قال) ظرف لاصطفيناه وانتصب بأضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذى لايرغب عن ملة مثله (له ربه أسلم) اذعن أو اطع أو أخلص دينك لله (قال أسلمت لرب العالمين) أى

أن تسفه الحق وتغمص الناس وقيل أصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التميز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير

ونأخذ بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام

أو سفه فى نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى فى محل الرفع على المختار بدلا من الضمير فى يرغب لانه فى معنى النفى ﴿ ولقد اصطفيناه فى الدنيا وأنه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾ حجة وبيان لذلك فأن من كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لايرغب عنه ألا سفيه أو متسفه أذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر ﴿ أذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ ظرف لاصطفيناه وتعليل له أو منصوب بأضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى

وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركى العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى أبراهيم والوصلة اليه لانهم من بنى أسرائيل وهو يعقوب بن أسحق بن أبراهيم عليهما الصلاة والسلام والعرب يفتخرون به لانهم من ولد أسمعيل بن أبراهيم عليهم الصلاة والسلام واذا كان كذلك كان أبراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول فى آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة أبراهيم فقد رغب عن ملة أبراهيم ومعنى يرغب عن ملة أبراهيم أى يترك دينه وشريعته يقال رغب فى الشئ اذا أراده ورغب عنه اذا تركه ألا من سفه نفسه قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر نفسه وقيل أهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأى فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بأن الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه أن يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا أن الله تعالى أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام اعرف نفسك واعرفنى قال يارب وكيف أعرف نفسى وكيف أعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء ﴿ ولقد اصطفيناه ﴾ أى اخترناه ﴿ فى الدنيا وأنه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾ يعنى الفائزين وقيل مع الانبياء فى الجنة ﴿ أذ قال له ربه أسلم ﴾ أى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشؤا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه أسلم ﴿ قال أسلمت لرب العالمين ﴾ أى قال أبراهيم خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى أسلم أخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وأن أبراهيم كان مؤمنا

وسفه رأيه (ولقد اصطفيناه) اخترناه يعنى أبراهيم (فى الدنيا) بالخلة ويقال اخترناه فى الدنيا بالنبوة والاسلام والذرية الطيبة (وأنه فى الآخرة لمن الصالحين) مع آبائه المرسلين فى الجنة (أذ قال له ربه) حين خرج من السرب (أسلم) فرّد فى مقالتك وقل لا أله ألا الله (قال أسلمت لرب العالمين) فرّدت فى مقالتى لله رب العالمين ويقال قال له ربه حين دعا قومه الى التوحيد أسلم أخلص دينك وعملك لله قال أسلمت أخلصت دينى وعملى لله رب العالمين ويقال قال له ربه حين ألقى فى النار أسلم نفسك الى قال أسلمت نفسى لله رب

(بقلبه)

الصالح المستحق للامامة والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان وأخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام * روى أنها نزلت لما دعا عبدالله بن سلام رضى الله عنه ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فأسلم سلمة وأبى مهاجر ﴿ووصى بها أبراهيم بنيه﴾ التوصية هى التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كأن الموصى يصل فعله بفعل الوصى والضمير فى بها للملة أو لقوله أسلمت على تأويل الكلمة أو الجملة * وقرأ نافع وابن عامر وأوصى والاول أبلغ ﴿ويعقوب﴾ عطف على أبراهيم أى وصى هو أيضا بها بنيه * وقرئ بالنصب على أنه ممن وصاه أبراهيم ﴿يا بنى﴾ على أضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره

رجلان من ضبة أخبرانا * أنا رأينا رجلا عريانا

بالكسر وبنو أبراهيم كانوا أربعة أسماعيل وأسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويشنوخون وزبولون وزوابى ونفتونى وكودا وأوشير وبنيامين ويوسف ﴿أن الله اصطفى لكم الدين﴾ دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله ﴿فلا تموتن ألا وأنتم مسلمون﴾ ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهى

بقلبه عارفا بالله فأمره الله أن يعمل بجوارحه وقيل معناه أسلم نفسك الى الله تعالى وفوض أمرك اليه قال أسلمت أى فوضت أمرى لرب العالمين قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى فى النار * قوله عزوجل ﴿ووصى بها أبراهيم بنيه﴾ يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا أله ألا الله وقيل هى الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية أولاد أسمعيل وأمه هاجر القبطية وأسحق وأمه سارة ومدين ومدان ويقنان وزمران وشيق وشوخ وأمهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها أبراهيم حين وفاة سارة * فأن قلت لم قال وصى بها أبراهيم بنيه ولم يقل أمرهم * قلت لان لفظ الوصية أوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفى ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده أشد وأعظم وكانوا هم الى قبول وصيته أقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه أكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا أئمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم ﴿ويعقوب﴾ أى ووصى يعقوب بمثل ما وصى به أبراهيم وسمى يعقوب لانه هو والعيص كانا توأمين فى بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة فى الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذا بعقبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثناعشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفتالى وجاد وآشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال ﴿يا بنى أن الله اصطفى لكم الدين﴾ أى اختار لكم دين الاسلام ﴿فلا تموتن ألا وأنتم مسلمون﴾ أى مؤمنون مخلصون فالمعنى

وأوصى مدنى وشامى (بها) بالملة أو بالكلمة وهى أسلمت لرب العالمين (أبراهيم بنيه ويعقوب) هو معطوف على أبراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا (يا بنى) على أضمار القول (أن الله اصطفى لكم الدين) أى أعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به (فلا تموتن ألا وأنتم مسلمون) فلا يكن موتكم ألا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل ألا وأنت خاشع فلا نهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى صلاته

العالمين (ووصى بها أبراهيم) بلا أله ألا الله (بنيه) عند الموت (ويعقوب) ابناءه أيضا قال (يا بنى أن الله اصطفى لكم الدين) اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن ألا وأنتم مسلمون) فاثبتوا على الاسلام حتى تموتوا مسلمين مخلصين له بالتوحيد والعبادة ثم ذكر خصومة اليهود بدين

(قوله فى صحيفة ٢٠٢ وقول جرير) كذا بالنسخ وهو سهو فأن الشعر للنابغة الذبيانى بالاتفاق وكذا رأيناه فى ديوانه وهو فى مدح النعمان بن المنذر اه كفايه مصححه

(أم كنتم شهداء أذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت أى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ماشهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى أو متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون مامات نبى ألا على اليهودية كأنه قيل أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (أذ قال) بدل من اذ الاولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لحضر (لبنيه ماتعبدون) ما استفهام فى محل النصب بتعبدون أى أى شئ تعبدون وماعام فى كل شئ أوهو سؤال عن صفة المعبود كما تقول مازيد تريد أفقيه أم طبيب (من بعدى) من بعد موتى (قالوا نعبد ألهك وأله آبائك) اعيد ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار (أبراهيم وأسمعيل وأسحق) عطف بيان لآبائك وجعل أسمعيل من جلة آبائه وهو عمه لان العم أب قال عليه السلام فى العباس

عن أن يكونوا على خلاف تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لاتصل ألا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على الاسلام موت لاخير فيه وأن من حقه أن لايحل بهم ونظيره فى الامر مت وأنت شهيد وروى أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ﴿ أم كنتم شهداء أذ حضر يعقوب الموت ﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى ماكنتم حاضرين أذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ماقال فلم تدعون اليهودية عليه أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ماشهدتم ذلك وأنما علمتموه بالوحى * وقرئ حضر بالكسر ﴿ أذ قال لبنيه ﴾ بدل من اذ حضر ﴿ ماتعبدون من بعدى ﴾ أى شئ تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما ومايسأل به عن كل شئ مالم يعرف فأذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وأن سئل عن وصفه قيل مازيد أفقيه أم طبيب ﴿ قالوا نعبد ألهك وأله آبائك أبراهيم وأسمعيل وأسحق ﴾ المتفق على وجوده تعالى وألوهيته ووجوب عبادته وعد أسماعيل من آبائه تغليبا للاب والجد أو لانه كالاب لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه كما قال عليه الصلاة والسلام

دوموا على أسلامكم حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون لانه لايعلم فى أى وقت يأتى الموت على الانسان وقيل فى معنى وأنتم مسلمون أى محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ماروى عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لايموتن أحدكم ألا وهو يحسن الظن بربه أخرجاه فى الصحيحين * قوله عز وجل ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ماكنتم حاضرين ﴿ أذ حضر يعقوب الموت ﴾ أى حين احتضر وقرب من الموت * نزلت فى اليهود وذلك لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى أم كنتم يامعشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت أى أنكم لم تحضروا ذلك فلاتدعوا على أنبيائى ورسلى الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فأنى مابعثت خليلى أبراهيم وولده وأولادهم ألا بدين الاسلام وبذلك وصوا أولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ماقال يعقوب لبنيه فقال تعالى ﴿ أذ قال ﴾ يعنى يعقوب ﴿ لبنيه ﴾ يعنى لاولاده الاثنى عشر ﴿ ماتعبدون ﴾ أى أى شئ تعبدون ﴿ من بعدى ﴾ قيل أن الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظرنى حتى أسأل ولدى وأوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلى ماتعبدون من بعدى ﴿ قالوا نعبد ألهك وأله آبائك أبراهيم وأسمعيل وأسحق ﴾ انما قدم أسمعيل لانه كان أكبر من أسحق وأدخله فى جلة

أبراهيم فقال (أم كنتم شهداء) أكنتم يامعشر اليهود حضراء (أذ حضر يعقوب الموت) بماذا أوصى بنيه باليهودية أو الاسلام (أذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى) من بعد موتى (قالوا نعبد ألهك) الذى تعبده (وأله آبائك أبراهيم وأسمعيل وأسحق ألها (الآباء)

هذا بقية آبائي (ألهاواحدا) بدل من أله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو نصب على الاختصاص أي نريد بأله آبائك ألها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية مؤكدة (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التي هي أبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون (أمة قدخلت) مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أي أن أحدا لاينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لاينفعهم ألاما اكتسبوا فكذلك أنتم لاينفعكم ألا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم (ولاتسئلون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيآتهم (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم (تهتدوا) لانه جواب الامر (قل بل ملة أبراهيم) بل نتبع ابراهيم (حنيفا) حال من المضاف اليه نحو رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق

في العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي * وقرئ أبيك على أنه جمع بالواو والنون كما قال

ولما تبين أصواتنا * بكين وفديننا بالأبينا

أو مفرد وأبراهيم وحده عطف بيان ﴿ألهاواحدا﴾ بدل من أله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد أو نصب على الاختصاص ﴿ونحن له مسلمون﴾ حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما ويحتمل أن يكون اعتراضا ﴿تلك أمة قدخلت﴾ يعني أبراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تأمها ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ لكل أجير عمله والمعنى أن انتسابكم اليهم لايوجب انتفاعكم بأعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام لايأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ﴿ولاتسئلون عما كانوا يعملون﴾ أي لاتؤاخذون بسيئآتهم كما لاتثابون بحسناتهم ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى﴾ الضمير الغائب لأهل الكتاب وأو للتنويع والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى ﴿تهتدوا﴾ جواب الامر ﴿قل بل ملة أبراهيم﴾

الآباء وأن كان عمالهم لان العرب تسمي العم أباوالخالة أما قال رسول الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقال في عمه العباس ردوا على أبي ﴿ألهاواحدا ونحن له مسلمون﴾ أي مخلصون العبودية ﴿تلك﴾ أشارة الى الامة المذكورة يعني أبراهيم وأسمعيل وأسحق ويعقوب وولدهم ﴿أمة قدخلت﴾ أي مضت لسبيلها والمعنى يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر أبراهيم وأسمعيل وأسحق والمسلمين من أولادهم ولاتقولوا عليهم ماليس فيهم ﴿لها ما كسبت﴾ يعني من العمل ﴿ولكم﴾ يعني يامعشر اليهود والنصارى ﴿ما كسبتم﴾ أي من العمل ﴿ولاتسئلون عما كانوا يعملون﴾ يعني كل فريق يسئل عن عمله لاعن عمل غيره * قوله عزوجل ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك أنهم خاصموا المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم أنه أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين ألا ذلك فانزل الله عزوجل ﴿قل﴾ يعني يامحمد ﴿بل ملة أبراهيم﴾

واحدا) أي نعبد ألها واحدا (ونحن له مسلمون) مقرون لله بالعبادة والتوحيد (تلك أمة) جماعة (قدخلت) قدمضت (لهاما كسبت) من الخير (ولكم ما كسبتم) من الخير (ولاتسئلون) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) ويقولون * ثم ذكر خصومة اليهود والنصارى مع المؤمنين فقال (وقالوا) يعني اليهود للمؤمنين (كونوا هودا) تهتدوا من الضلالة (أو نصارى) مقدم ومؤخر وقالت النصارى كذلك (تهتدوا قل) يامحمد ليس كما قلتم (بل ملة أبراهيم حنيفا) مسلما ولكن اتبعوا دين أبراهيم حنيفا مسلما مخلصا تهتدوا

(وما كان من المشركين)تعريض بأهـل الكتاب وغيرهم لان كلامنهم يدعى اتباع ملة أبراهيم وهوعلى الشرك (قولوا)
هذا خطاب للمؤمنين أوللكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق والافأنتم على الباطل (آمنا
بالله وما أنزل الينا)أى القرآن (وما أنزل الى أبراهيم وأسمعيل وأسحق ويعقوب والاسباط)السبط الحافدوكان الحسن والحسين رضى الله عنهما سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر ويعـدى أنزل بألى وعلى فلذا ورد هنـا بألى وفى آل عمران بعلى (وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم

أى بل نكون ملة أبراهيم أى أهـل ملته أوبل نتبـع ملة أبراهيم * وقرئ بالرفع أى ملته ملتنا أو عكسـه أونحن ملته بمعنى نحن أهـل ملته ﴿ حنيفا ﴾ مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف أو المضاف اليه كقوله ونزعنا مافى صدورهم من غل أخوانا ﴿ وما كان من المشركين ﴾ تعريض بأهـل الكتاب وغيرهم فأنهم يدعون اتبـاعه وهم مشركون ﴿ قولوا آمنـا بالله ﴾ الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى فأن آمنوا بمثل ماآمنتم به ﴿ وما أنزل الينـا ﴾ القرآن قدم ذكره لانه أول بالاضـافة الينا أوسبب للايمان بغيره ﴿ وما أنزل الى أبراهيم وأسمعيل وأسحق ويعقوب والاسباط ﴾ الصحف وهى وأن نزلت الى أبراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها فهى أيضا منزلة اليهم كما أن القرآن منزل الينا * والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب أو أبناءه وذراريهم فأنهم حفـدة أبراهيم وأسحق ﴿ وما أوتى موسى وعيسى ﴾ التوراة والانجيـل أفردهما بحكم أبلغ لان أمرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لماسبق والنزاع وقع فيهما ﴿ وماأوتى النبيون ﴾ جملة المذكورين منهم وغير المذكورين ﴿ من ربهم ﴾

يعنى اذا كان لابد من الاتباع فنتبع ملة أبراهيم لانه مجمع على فضله ﴿ حنيفا ﴾ أصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون فى القدم قال ابن عباس رضى الله عنهما الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر

ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

والعرب تسمى كل من حج أواختتن حنيفا تنبيها على أنه على دين أبراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعنى أن الحنيفية هى دين الاسلام وهودين أبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ وما كان من المشركين ﴾ يعنى أبراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعى اتباع ملة أبراهيم وهو على الشرك * ثم علم المؤمنين طرائق الايمان فقال تعالى ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ يعنى قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا أونصارى تهتدوا آمنا بالله أى صدقنا بالله ﴿ وما أنزل الينا ﴾ يعنى القرآن ﴿ وما أنزل الى أبراهيم ﴾ يعنى وآمنا بما أنزل الى أبراهيم وهو عشر صحائف ﴿ وأسمعيل وأسحق ويعقوب والاسباط ﴾ وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا أنبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين رضى الله عنهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى أسرائيل كالقبائل فى العرب من بنى أسمعيل وكان فى الاسباط أنبياء ﴿ وما أوتى موسى ﴾ يعنى التوراة ﴿ وعيسى ﴾ يعنى الانجيل ﴿ وما أوتى النبيون من ربهم ﴾ والمعنى آمنا أيضا بالتوراة والانجيل والكتب التى أوتى جميع النبيين وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور وأن الجميع من عندالله وأن جميع

(وما كان من المشركين) على دينهم * ثم علم المؤمنين مجرى التوحيد لكى تكون لليهود والنصارى دلالة الى التوحيد فقال (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) يعنى بمحمد والقرآن (وما أنزل الى أبراهيم) يعنى وبأبراهيم وكتابه (واسمعيل) وبأسمعيل وكتابه (وأسحق) وبأسحق وكتابه (ويعقوب) وبيعقوب وكتابه (والاسباط) وبأولاد يعقوب وكتبهم (وما أوتى موسى) يعنى وبموسى والتوراة (وعيسى) يعنى وبعيسى والانجيل (وما أوتى النبيون) يعنى وبجملة النبيين وكتبهم (من ربهم

قوله الخطاب للمؤمنين) رد على الزمخشرى اذجوز ان يكون للكافرين فأن قوله فأن آمنوا الخ يقتضى خلافه فيحتاج الى تأويله بأنه داخل فى مقول قل أى وقل لهم قولوا ويكون قوله وما أنزل الينا واردا على عبارة الامر دون المأمور اه ان اردت التفصيل فارجع الى الكفايه ﴿ ماذكر ﴾

لانفرق بين أحد منهم) أى لانؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد فى معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه (ونحن له مسلمون) لله مخلصون (فأن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ظاهر الآية مشكل لانه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فأن آمنوا ايمانا مثل ايمانكم والهاء يعود الى الله عز وجل وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله فى الآية الاخرى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة أى فأن آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه بما آمنتم به وما بمعنى الذى بدليل قراءة أبى بالذى آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أى فأن دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها (وأن تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو أن تولوا عن الشهادة والدخول فى الايمان بها (فأنما هم فى شقاق) أى فما هم ألا فى خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق فى شئ (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسوله

منزلا عليهم من ربهم ﴿لانفرق بين أحد منهم﴾ كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض * وأحد لوقوعه فى سياق النفى عام فساغ أن يضاف اليه بين ﴿ونحن له﴾ أى لله ﴿مسلمون﴾ مذعنون مخلصون ﴿فأن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لامثل لما آمن به المسلمون ولادين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى أن تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فأن وحدة المقصد لاتأبى تعدد الطرق أو مزيدة للتأكيد كقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها والمعنى فأن آمنوا بالله أيمانا مثل أيمانكم به أو المثل مقحم كما فى قوله وشهد شاهد من بنى أسرائيل على مثله أى عليه وتشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به وبالذى آمنتم به ﴿وأن تولوا فأنما هم فى شقاق﴾ أى أن أعرضوا عن الايمان أو عما تقولون لهم فما هم ألا فى شقاق الحق وهى المناواة والمخالفة فأن كل واحد من المتخالفين فى شق غير شق الآخر ﴿فسيكفيكهم الله﴾ تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من

ماذكر الله من أنبيائه كانوا على هدى وحق ﴿لانفرق بين أحد منهم﴾ أى لانؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وأقرت ببعض الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وأن جميعهم كانوا على حق وهدى ﴿ونحن له مسلمون﴾ أى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية * قوله عز وجل ﴿فأن آمنوا﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿بمثل ما آمنتم به﴾ أى بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شئ أى ليس مثله شئ وقيل فأن أتوا بأيمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم ﴿فقد اهتدوا﴾ والمعنى أن حصلوا دينا آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال أن يوجد دين آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما أنزل اليهم وقيل معناه فأن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا ﴿وأن تولوا﴾ أى أعرضوا ﴿فأنما هم فى شقاق﴾ أى فى خلاف ومنازعة وقيل فى عداوة ومحاربة وقيل فى ضلال وأصله من الشق كأنه صار فى شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على مايشق على صاحبه ويؤذيه ﴿فسيكفيكهم الله﴾ أى يكفيك الله يامحمد شر اليهود

لانفرق بين أحد منهم) وبين الله بالنبوة والتوحيد ويقال لانكفر بأحد منهم (ونحن له مسلمون) مقرون له بالعبادة والتوحيد (فأن آمنوا) يعنى أهل الكتاب (بمثل ما آمنتم به) بجملة الانبياء وكتبهم (فقد اهتدوا) من الضلالة بدين محمد وأبراهيم (وأن تولوا) أعرضوا عن الايمان بالنبيين وكتبهم (فأنما هم فى شقاق) فى خلاف من الدين (فسيكفيكهم الله)

عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم وأجلاء بعضهم ومعنى السين أن ذلك كائن لامحالة وأن تأخر الى حين (وهو السميع) لما ينطقون به (العليم) بما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى يسمع ماتدعو به ويعلم نيتك وماتريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صبغة الله) دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون

أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فأذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وجئ بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الاشجار أغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام (ومن أحسن من الله صبغة) تميز أى لاصبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على أن قوله صبغة الله داخل فى مفعول قولوا آمنا أى قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة أبراهيم أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لمافيه من فك النظم واخراج الكلام عن ألتئامه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ماقالت حذام (قل ﴿قالوا﴾

ناواهم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ أما من تمام الوعد بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم أخلاصكم وهو مجازيكم لامحالة أو وعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع مايبدون ويعلم مايخفون وهو معاقبهم عليه ﴿ صبغة الله ﴾ أى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فأنها حلية الانسان كما أن الصبغة حلية المصبوغ أو هدانا الله هدايته وأرشدنا حجته أو طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فأن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهيرلهم وبه تتحقق نصرانيتهم ونصبها على أنه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة أبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ لاصبغة أحسن من صبغته ﴿ ونحن له عابدون ﴾ تعريض لهم أى لانشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة الله فى مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء أو البدل أن يضمر قولوا معطوفا على الزموا أو اتبعوا ملة أبراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لايلزم فك النظم وسوء الترتيب ﴿ قل

والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ أنجزه وهو أخبار بغيب ففيه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد أنجز الله وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم وأجلاء بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿ وهو السميع ﴾ لاقوالهم ﴿ العليم ﴾ بأحوالهم يسمع جميع ماينطقون به ويعلم جميع مايضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه * قوله عز وجل ﴿ صبغة الله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما دين الله وانما سماه الله صبغة لان أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل أراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس رضى الله عنهما أن النصارى اذا ولد لاحدهم مولود وأتى عليه سبعة أيام غمسوه فى ماء لهم أصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فأذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فأخبر الله أن دينه الاسلام لاماتفعله النصارى ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ أى دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من أوساخ الكفر ﴿ ونحن له عابدون ﴾ أى مطيعون ﴿ قل ﴾ يعنى يامحمد لليهود والنصارى الذين

يقول سيرفع الله عنك مؤنتهم بالقتل والاجلاء (وهو السميع) لمقالتهم (العليم) بعقوبتهم (صبغة الله) اتبعوا دين الله (ومن أحسن من الله صبغة) دينا (ونحن له عابدون) وقولوا نحن موحدون مقرون له بالعبادة والتوحيد (قل)

أتحاجوننا فى الله) أى أتجادلوننا فى شأن الله واصطفائه النبى من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لانزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا فى أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالا فلنا كذلك (ونحن له مخلصون) أى نحن له موحدون نخلصه بالايمان وأنتم به مشركون والمخلص أحرى بالكرامة وأولى بالنبوة من غيره (أم تقولون) بالتاء شامى وكوفى غير أبى بكر وأم على هذا معادلة للهمزة فى أتحاجوننا يعنى أى الامرين تأتون المحاجة فى حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء أو منقطعة أى بل أيقولون غيرهم بالياء وعلى هذا لا تكون الهمزة الا منقطعة (أن أبراهيم وأسمعيل وأسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول مستفهما رادا عليهم بقوله (قل أأنتم أعلم أم الله) يعنى أن الله شهد لهم بملة الاسلام فى قوله ما كان أبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن

أتحاجوننا ﴾ أتجادلوننا ﴿ فى الله ﴾ فى شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روى أن أهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ﴿ وهو ربنا وربكم ﴾ لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ﴿ ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحونه أفحاما وتبكيتا فأن كرامة النبوة أما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء وأما افاضة حق على مستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما أن لكم أعمالا ربما يعتبرها الله فى أعطائها فلنا أيضا أعمال ﴿ ونحن له مخلصون ﴾ أى موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ﴿ أم يقولون أن ابراهيم وأسمعيل وأسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى ﴾ أم منقطعة والهمزة للانكار وعلى قرأة ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل أن تكون معادلة للهمزة فى أتحاجوننا بمعنى أى الامرين تأتون المحاجة أو ادعاء اليهودية أو النصرانية على الانبياء ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ وقد نفى الامرين عن أبراهيم بقوله ما كان أبراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه أتباعه

قالوا أن دينهم خير من دينكم وأمركم باتباعهم ﴿ أتحاجوننا فى الله ﴾ أى أتخاصموننا وتجادلوننا فى دين الله الذى أمرنا أن ندين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك أنهم قالوا أن ديننا أقدم من دينكم وأن الانبياء منا وعلى ديننا فنحن أولى بالله منكم فأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا لهم أتحاجوننا فى الله ﴿ وهو ربنا وربكم ﴾ أى ونحن وأنتم فى الله سواء فأنه ربنا وربكم ﴿ ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ يعنى أن لكل أحد جزاء عمله ﴿ ونحن له مخلصون ﴾ أى مخلصوا الطاعة والعبادة له وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وأنتم به مشركون * والاخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك فى دينه ولا يرائى بعمله قال الفضيل بن عياض قدس الله سره ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف * قوله عز وجل ﴿ أم تقولون ﴾ يعنى اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ ﴿ أن أبراهيم وأسمعيل وأسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى ﴾ يعنى أتزعمون أن أبراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على أبراهيم وبنيه ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أأنتم أعلم ﴾ يعنى بدينهم ﴿ أم الله ﴾ أى الله أعلم بذلك وقد أخبر أن أبراهيم وبنيه

يا محمد لليهود والنصارى (أتحاجوننا فى الله) أتخاصموننا فى دين الله (وهو ربنا وربكم) الله ربنا وربكم (ولنا أعمالنا) ديننا (ولكم أعمالكم) عليكم أعمالكم دينكم (ونحن له مخلصون) مقرون له بالعبادة والتوحيد (أم تقولون) يامعشر اليهود والنصارى (قا وخا ٢٧ ل) (أن أبراهيم وأسمعيل وأسحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب (كانوا هودا أو نصارى) كما تقولون

(قوله على كل مذهب) يعنى من مذهب أهل الحق فى أن النبوة بفضل من الله يختص من يشاء ومذهب الحكماء من أنها تدرك بالمجاهدة وتصفية الباطن من كدر العقائد والاخلاق ٤

كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له في أنها صفة له (وما الله بغافل عما تعملون) من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) كررت للتأكيد ولان المراد بالاول الانبياء عليهم السلام وبالثاني أسلاف اليهود والنصارى

(قل) يا محمد (أأنتم أعلم) بدينهم (أم الله) وقد أخبرنا الله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا (ومن أظلم) في كفره واعتى واجرأ على الله (ممن كتم شهادة عنده من الله) في التوراة في هذا النبي صلى الله عليه وسلم (وما الله بغافل) بساه (عما تعملون) تكتمون من الشهادة (تلك أمة) جماعة (قد خلت) قد مضت (لها ما كسبت) من الخير (ولكم ما كسبتم) من الخير (ولا تسئلون) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) في الدنيا

في الدين وفاقا ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا أحد أظلم من أهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة أو منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن الابتداء كما في قوله تعالى براءة من الله ورسوله ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وعيد لهم وقرئ بالياء ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى

لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء ﴿ومن أظلم ممن كتم﴾ يعني أخفى ﴿شهادة عنده من الله﴾ وهي علمهم بأن ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وأن محمدا أحق بنعته وصفته وجدوا ذلك في كتبهم وكتموه وجحدوه والمعنى ومن أظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها وأخفاها ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ يعني من كتمانكم الحق فيما ألزمكم به في كتابه من أن ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وأن الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه في الآخرة ﴿تلك أمة قد خلت﴾ يعني ابراهيم وبنيه ﴿لها ما كسبت﴾ أي جزاء ما كسبت ﴿ولكم ما كسبتم﴾ أي جزاء ما كسبتم ﴿ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ يعني أن كل انسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم أي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم

٤ والذي يشعر بالاول قوله ربنا وربكم والذي يشير الى الثاني الاعمال وقوله ينتحونه بالمهملة يعني يقصدونه وقوله روى الخ قال السيوطي لم أقف عليه في كتب الحديث اه عنايه مصححه

الجزء الثانى

فارزقنا من عندك

﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد به المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس وأعداد الجواب ﴿ماولاهم﴾ ماصرفهم ﴿عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾ يعنى بيت المقدس * والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه للصلاة ﴿قل لله المشرق

---

* قوله عز وجل ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ أى الجهال من الناس * والسفه خفة فى النفس لنقصان العقل فى الامور الدينية والدنيوية ولاشك أن ذلك فى باب الدين أعظم لان العادل عن الامر الواضح فى أمر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك فى أمر دينه كان أولى بهذا الاسم فلا كافر ألا وهو سفيه ولهذا أمكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية فى اليهود وذلك أنهم طعنوا فى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لايرون النسخ وقيل نزلت فى مشركى مكة وذلك أنهم قالوا قد تردد على محمد أمره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت فى المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل أن لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لافائدة فى التخصيص ولان الاعداء يبالغون فى الطعن والقدح فأذا وجدوا مقالا قالوا أو مجالا جالوا ﴿ماولاهم﴾ يعنى أى شئ صرفهم ﴿عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾ يعنى بيت المقدس * والقبلة هى الجهة التى يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلى يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله ﴿قل﴾ يامحمد ﴿لله المشرق

(سيقول السفهاء من الناس) الخفاف الاحلام فأصل السفه الخفة وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وأنهم لايرون النسخ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء أو المشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس اذ المفاجأة بالمكروه أشد وعداد الجواب قبل الحاجة اليه أقطع للخصم فقبل الرمى يراش السهم (ماولاهم) ماصرفهم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التى يستقبلها الانسان فى الصلاة لان المصلى يقابلها (قل لله المشرق

(سيقول السفهاء من الناس) الجهال من اليهود ومشركى العرب (ماولاهم) ماحولكم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) ألا ليرجعوا الى دين آبائهم ويقال ماولاهم أى شئ حولهم عن قبلتهم التى كانوا عليها صلوا اليها يعنى بيت المقدس (قل) يامحمد (لله المشرق) الصلاة (والمغرب)

والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله (يهدى من يشاء) من أهلها (الى صراط مستقيم) طريق مستو أى يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهى الكعبة التى أمرنا بالتوجه اليها أو الاماكن كلها لله فيأمر بالتوجه الى حيث شاء فتارة الى الكعبة وطورا الى البيت المقدس

لااعتراض عليه لانه المالك وحده (وكذلك

والمغرب ﴾ لايختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع أقامة غيره مقامه وأنما العبرة بارتسام أمره لابخصوص المكان ﴿ يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ وهو ماترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى ﴿ وكذلك ﴾ أشارة الى مفهوم الآية المتقدمة أى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل ﴿ جعلناكم أمة وسطا ﴾ أى خيارا أو عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم المكان الذى تستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى أفراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم أطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى وصف بها واستدل به على أن الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم ﴿ لتكونوا شهداء على الناس

والمغرب ﴾ يعنى أن لله قطرى المشرق والمغرب ومابينهما ملكا فلا يستحق شئ أن يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شئ واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذى جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله ﴿ يهدى من يشاء ﴾ يعنى من عباده ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ يعنى الى جهة الكعبة وهى قبلة أبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله عز وجل ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ الكاف فى قوله وكذلك كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه أحدها أنه معطوف على ماتقدم من قوله فى حق أبراهيم ولقد اصطفيناه فى الدنيا وكذلك جعلناكم أمة وسطا الثانى أنه معطوف على قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم أمة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم أمة وسطا يعنى عدولا خيارا وخير الامور أوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم * اذا نزلت أحدى الليالى بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان فى أمر الدين لا كغلو النصارى فى عيسى ولا كتقصير اليهود فى الدين وهو تحريفهم وتبديلهم * وسبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل رضى الله عنه ماترك محمد قبلتنا الا حسدا وأن قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد أنا أعدل الناس فقال معاذ أنا على حق وعدل فانزل الله تعالى هذه الآية وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا وأن هذه الامة توفى سبعين امة هى آخرها وخيرها وأكرمها على الله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ يعنى يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم

جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه وذا جر بالكاف واللام للفرق بين الاشارة الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لامحل لها من الاعراب (أمة وسطا) خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية أى كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الامم أو عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض أى كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير فأنكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا (لتكونوا شهداء) غير منصرف لمكان ألف التأنيث (على الناس)

الى الكعبة (والمغرب) الصلاة التى صليتم الى بيت المقدس كلاهما بأمر الله (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يثبت من يشاء على دين وقبلة مستقيمة (وكذلك) يعنى كما أكرمناكم بدين أبراهيم الاسلام وقبلته (جعلناكم أمة وسطا) عدلا (لتكونوا) لكى تكونوا (شهداء) للنبيين (على الناس ويكون الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم

صلة شهداء (ويكون الرسول عليكم شهيدا) عطف على لتكونوا روى أن الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسئل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع فى الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جئ بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح ألا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على أن الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شئ وشهدوا به لزم قبوله وأخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا لان المراد فى الاول اثبات شهادتهم على الامم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) أى وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فالتى كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هى ثانى مفعولى جعل روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود ثم حول

ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ علة للجعل أى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم من الكتاب أنه تعالى مابخل على أحد وماظلم بل أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين من قبلكم أو بعدكم *روى أن الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وأن كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على أمته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم ﴿ وماجعلنا القبلة التى كنت عليها ﴾ أى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فأنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى اليها بمكة ثم لماهاجر أمر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود أو الصخرة لقول ابن عباس رضى الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس

شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين ﴿ ويكون الرسول ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ عليكم شهيدا ﴾ يعنى عدلا مزكيا لكم وذلك أن الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ماجاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بأنهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم أى رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ماجاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذى وسطا عدولا * قوله عز وجل ﴿ وماجعلنا القبلة التى كنت عليها ﴾ أى وماجعلنا صرفك عن القبلة التى كنت عليها وهى بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وماجعلنا القبلة التى (كنت)

(عليكم شهيدا) لكم مزكيا معدلا (وماجعلنا) ماحولنا (القبلة التى كنت عليها) صليت اليها تسعة عشر

الى الكعبة (ألا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) أى وما جعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة ألتى كنت عليها أولا بمكة ألا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقته يرجع فيرتد عن الاسلام عند تحويل

القبلة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم أى لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه أنه يكون ويوجد فالله تعالى عالم فى الازل بكل ما أراد وجوده أنه يوجد فى الوقت الذى شاء وجوده فيه ولا يوصف بأنه عالم فى الازل أنه موجود كائن لانه ليس بموجود فى الازل فكيف يعلمه موجودا فأذا صار موجودا يدخل تحت علمه الازلى فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير على المعلوم لا على العلم أو لتميز التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز لان بالعلم به يقع التميز أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فليلقه فى النار لنعلم أيذوب (وأن كانت) أى التحويلة أو الجعلة أو القبلة وأن هى المخففة واللام فى (لكبيرة) أى ثقيلة شاقة وهى خبر كان فارقة

ألا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وماجعلنا قبلتك بيت المقدس ﴿ألا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ ألا لنمتحن به الناس ونعلم من يتبعك فى الصلاة اليها ممن يرتد عن دينك آلفا لقبلة آبائه أو لنعلم ألآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ماردد ناك الى التى كنت عليها ألا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه * فأن قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما * قلت هذا وأشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه أسنده الى نفسه لانهم خواصه أو لنميز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب * فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول * والعلم أما بمعنى المعرفة أو معلق لما فى من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثانى ممن ينقلب أى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب ﴿وأن كانت لكبيرة﴾ أن هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفاصلة وقال الكوفيون هى النافية واللام بمعنى ألا والضمير لما دل عليه قوله تعالى وماجعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة أو التولية أو التحويلة أو القبلة * وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة

كنت عليها منسوخة وقيل معناه وماجعلنا القبلة التى كنت عليها وهى الكعبة ﴿ألا لنعلم من يتبع الرسول﴾ * فأن قلت مامعنى قوله ألا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها * قلت أراد به العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فأنه لا يتعلق بما هو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أى لنرى ونميز من يتبع الرسول فى القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه ألا لتعلم رسلى وحزبى وأوليائى من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة مافعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن أمره وقيل انما قال ألا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه ألا لتعلموا أنتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا لانه تعالى سبق فى علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول أى يطيعه فى أمر القبلة وتحويلها ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ أى يرجع الى ماكان عليه من الكفر فيرتد وفى الحديث أنه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه ﴿وأن كانت﴾ أى وقد كانت ﴿لكبيرة﴾ يعنى تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هى التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هى القبلة التى وجهه اليها قبل التحويل وهى بيت المقدس وأنث الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل

شهرا (ألا لنعلم) لكى نرى ونميز (من يتبع الرسول) فى القبلة (ممن ينقلب) يرجع (على عقبيه) الى دينه وقبلته الاولى (وأن كانت) وقد كانت صرف القبلة (لكبيرة) لثقيلة

(الا على الذين هدى الله) أى هداهم الله فحذف العائد أى الا على الثابتين الصادقين فى اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلاة ايمانا لان وجوبها على أهل الايمان وقبولها من أهل الايمان وأداؤها فى الجماعة ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من أخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال (أن الله بالناس لرؤف) مهموز مشبع حجازى وشامى وحفص رءف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة (رحيم) لا يضيع أجورهم والرأفة اشد من الرحمة وجمع بينهما كما فى الرحمن الرحيم (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) تردد وجهك وتصرف نظرك فى جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة موافقة لابراهيم ومخالفة لليهود ولانها ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم

﴿ألا على الذين هدى الله﴾ الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع ﴿وما كان ليضيع ايمانكم﴾ أى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة أو صلاتكم اليها لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف عن مات يارسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ﴿أن الله بالناس لرؤف رحيم﴾ فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو أبلغ محافظة على الفواصل * وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر ﴿قد نرى﴾ ربما نرى ﴿تقلب وجهك فى السماء﴾ تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة لانها قبلة أبيه أبراهيم وأقدم القبلتين وأدعى للعرب الى الايمان

لتأنيث التولية ﴿ألا على الذين هدى الله﴾ يعنى الصادقين فى اتباع الرسول ﴿وما كان الله ليضيع ايمانكم﴾ يعنى صلاتكم الى بيت المقدس ذلك أن حيى بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس أن كانت على هدى فقد تحولتم عنه وأن كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما أمر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن تحول القبلة الى الكعبة أسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة رضى الله عنهما وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله قد صرفك الله الى قبلة أبراهيم فكيف بأخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم الى بيت المقدس ﴿أن الله بالناس لرؤف رحيم﴾ يعنى لا يضيع أجورهم * و الرأفة أخص من الرحمة وقيل الرأفة أشد من الرحمة وقيل الرأفة الرحمة وقيل فى الفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة مبالغة فى رحمة خاصة وهى دفع المكروه وازالة الضرر وأما الرحمة فأنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرأفة أولا بمعنى أنه لا يضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها أعم وأشمل * قوله عز وجل ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء﴾ سبب نزول هذه الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أحب أن يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وقيل أن الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب الى تصديق اليهود أياه اذا صلى الى قبلتهم مع مايجدون من نعته وصفته فى التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يتوجه الى الكعبة لانها قبلة أبيه أبراهيم وقيل كان يحب ذلك من أجل أن اليهود قالوا يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا فقال

(ألا على الذين هدى الله) حفظ الله قلوبهم (وما كان الله ليضيع ايمانكم) ليبطل ايمانكم كقبل نسخ الشرائع ويقال وما كان الله ليضيع لينسخ ايمانكم ولكن نسخ شرائع ايمانكم ويقال مانسخ ايمانكم صلاتكم نحو بيت المقدس ولكن نسخ قبلتكم بيت المقدس (أن الله بالناس) بالمؤمنين (لرؤف رحيم) لاينسخ ايمانكم كقبل نسخ الشرائع * ثم ذكر دعاء نبيه فى تحويل القبلة الى الكعبة فقال (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) رفع بصرك الى السماء لنزول جبريل

(رسول)

ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل ﴿ فلنولينك قبلة ﴾ فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له أو فلنجعلنك تلى جهتها ﴿ ترضاها ﴾ تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته ﴿ فول وجهك ﴾ اصرف وجهك ﴿ شطر المسجد الحرام ﴾ نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور أى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وأن لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم أى محرم فيه القتال أو ممنوع من الظلمة أن يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلاة والسلام كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فأن استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب * روى أنه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل

رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولنى الله الى الكعبة فأنها قبلة أبى أبراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فأنك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك فى السماء يعنى تردد وجهك وتصرف نظرك فى السماء أى الى جهة السماء وهذه الآية وأن كانت متأخرة فى التلاوة فهى متقدمة فى المعنى لانها رأس القصة وأول مانسخ من أحكام الشرع أمر القبلة ﴿ فلنولينك ﴾ أى فلنحولنك ولنصرفنك ﴿ قبلة ﴾ أى ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة ﴿ ترضاها ﴾ أى تحبها وتميل اليها ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ أى نحوه وتلقاءه وأراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعنى أن أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة أبدا فهى قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أول ماقدم المدينة نزل على اجداده أو قال أخواله من الانصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ ذاك أنه يصلى قبل بيت المقدس وهى قبلة أهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء فى حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر مانقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم * واختلف العلماء فى وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان فى يوم

تلى سمتها دون سمت بيت المقدس (قبلة ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة ألتى أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أى نحوه وشطر نصب على الظرف أى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أى فى جهته وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على النائى وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين روى أنه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه

بتحويل القبلة (فلنولينك) فلنحولنك فى الصلاة (قبلة) الى قبلة (ترضاها) تهواها قبلة أبراهيم (فول وجهك) فحول وجهك فى الصلاة (شطر) نحو (المسجد الحرام

(قوله وقد صلى الخ) قال السيوطى هذا تحريف للحديث فأن قصة بنى سلمة لم يكن فيها النبى صلى الله عليه وسلم أماما ولا هو الذى تحول فى الصلاة أخرج النسائى عن أبى سعيد بن المعلى قال كنا لعدو الى المسجد فمررنا يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر فقلت لقد حدث أمر فجلست فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية فقلت لصاحبى تعال نركع ركعتين قبل ان ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكون (قاوخا ٢٨ ل) اول من صلى فتوارينا فصليناهما ثم نزل رسول الله صلى عليه وسلم فصلى للناس الظهر يومئذ واخرج أبو داود فى الناسخ عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون نحو بيت المقدس فلما نزلت ٢

الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عم تصريحا بعموم الحكم وتأكيد الامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة ﴿وأن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ جملة لعلمهم بأن عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم أنه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل أو التوجه ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وعد ووعيد للفريقين * وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالياء ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية﴾ برهان وحجة على أن الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم

الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى أهل قباء فى صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة * قوله عز وجل ﴿وحيث ما كنتم﴾ أى من بر أو بحر مشرق أو مغرب ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ أى نحو البيت وتلقاءه * عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء فى أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف فى أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف فى هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا فى حق أهل المشرق لان المشرق الشتوى جنوبى متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفى شمالى متباعد عن خط الاستواء والذى بينهما فقوسها مكة والفرض لمن بمكة فى القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ماهو الاشئ ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلى الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذى ننتظره فانزل الله تعالى ﴿وأن الذين أوتوا الكتاب﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ يعنى أمر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ يعنى وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم عليه فى الدنيا والآخرة * وقرئ تعملون بالتاء قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتى وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيكم أحسن الجزاء * قوله عز وجل ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿بكل آية﴾ أى بكل معجزة وقيل بكل حجة

الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق) أى التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصلى الى القبلتين (من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) بالياء مكى وأبو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالاول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والاباء والثانى وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) أراد ذوى العناد منهم (بكل آية) برهان قاطع أن التوجه

وحيث ما كنتم) فى بر أو بحر (فولوا وجوهكم) فى الصلاة (شطره) نحوه (وأن الذين أوتوا الكتاب) اعطوا الكتاب (ليعلمون أنه) يعنى الحرم (الحق من ربهم) هو قبلة ابراهيم ولكن يكتمونه (وما الله بغافل) بساه (عما تعملون) تكتمون (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) جئت الذين اعطوا الكتاب (بكل آية) علامة طلبوا

---

٢ هذه الاية مر رجل بنى سلمة فناداهم وهم ركوع فى صلاة الفجر نحو بيت المقدس ألا ان القبلة قد حولت الى الكعبة فمالوا كلهم ركوعا الى الكعبة وأخرج الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال أن النبى صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة اهـ فقد (وبرهان) علمت ان ما ذكر المصنف ليس موافقا للروايات الصحيحة فأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتحول فى صلاته وأن التحول كان فى صلاة الفجر مصححه

الى الكعبة هو الحق (ماتبعوا قبلتك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بأيراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما فى كتبهم من نعتك أنك على الحق وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط (وماأنت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا أن يكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه الى قبلتهم ووحدت القبلة وان كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم فى البطلان (ومابعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى أنهم مع اتفاقهم على

مخالفتك مختلفون فى شأن القبلة لايرجى اتفاقهم كما لايرجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم) أى من بعد وضوح البرهان والاحاطة بأن القبلة هى الكعبة وأن دين الله هو الاسلام (أنك أذا لمن الظالمين) لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفى ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل الخطاب فى الظاهر للنبى عليه السلام والمراد أمته ولزم الوقف على الظالمين اذ لو وصل لصار (الذين آتيناهم الكتاب) صفة للظالمين وهو مبتدأ والخبر (يعرفونه) أى محمدا عليه الصلاة والسلام أو القرآن أو تحويل القبلة

﴿ ماتبعوا قبلتك ﴾ جواب القسم المضمر والقسم وجوابه سادمسد جواب الشرط والمعنى ماتركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ قطع لاطماعهم فأنهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وأن تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق ﴿ ومابعضهم بتابع قبلة بعض ﴾ فأن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لايرجى توافقهم كالايرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم ﴾ على سبيل الفرض والتقدير أى ولئن اتبعتهم مثلا بعدما بان لك الحق وجاءك فيه الوحى ﴿ أنك أذا لمن الظالمين ﴾ وأكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا من متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعنى علماءهم ﴿ يعرفونه ﴾ الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لم يسبق ذكره

وبرهان وذلك بأنهم قالوا أئتنا بآية على ماتقول فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ ماتبعوا قبلتك ﴾ يعنى الكعبة ﴿ وماأنت بتابع قبلتهم ﴾ يعنى أن اليهود تصلى الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وأنت يامحمد تصلى الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم أنت قبلتك التى أمرت بالصلاة اليها ﴿ ومابعضهم بتابع قبلة بعض ﴾ يعنى وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لايجتمعون على قبلة واحدة ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ يعنى مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم ﴿ من بعد ماجاءك من العلم ﴾ أى فى أمر القبلة وقيل معناه من بعد ماوصل اليك من العلم بأن اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق ﴿ أنك أذا لمن الظالمين ﴾ يعنى أنك أن فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لايتبع أهواءهم أبدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه ﴿ قوله عز وجل ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعنى علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه رضى الله عنهم ﴿ يعرفونه ﴾ أى يعرفون محمدا

منك (ماتبعوا قبلتك) ماصلوا الى قبلتك ومادخلوا فى دينك (وما أنت بتابع) بمصل (قبلتهم) قبلة اليهود والنصارى (ومابعضهم بتابع) بمصل (قبلة بعض) يعنى اليهود والنصارى (ولئن اتبعت أهواءهم) بعد مانهيناك فصليت على قبلتهم (من بعدماجاءك من العلم) البيان أن الحرم هو قبلة أبراهيم (أنك أذا) أن فعلت ذلك حينئذ (لمن الظالمين) الضارين لنفسك ثم ذكر مؤمنى أهل الكتاب فقال (الذين آتيناهم الكتاب) أعطيناهم علم التوراة عبدالله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم

والاول أظهر لقوله (كما يعرفون أبناءهم) قال عبدالله بن سلام أنا أعلم

لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم أو القرآن أو التحويل ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾ يشهد للاول أى يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم أبناءهم لايلتبسون عليهم بغيرهم * عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه سأل عبدالله بن سلام رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست أشك فى محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته قد خانت فقبل رأسه ﴿ وأن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن ﴿ الحق من ربك ﴾ كلام مستأنف والحق أما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ماعليه الرسول صلى الله عليه وسلم أو الحق الذى يكتمونه أو للجنس والمعنى أن الحق ماثبت أنه من الله تعالى كالذى أنت عليه لا مالم يثبت كالذى عليه أهل الكتاب وأما خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق ومن ربك حال أو خبر بعد خبر * وقرئ بالنصب على أنه بدل من الاول أو مفعول يعلمون ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ الشاكين فى أنه من ربك أو فى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل أما لتحقيق الامر وأنه بحيث لايشك فيه ناظر أو أمر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ﴿ ولكل وجهة ﴾ ولكل أمة قبلة والتنوين

صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذى يجدونه عندهم ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾ أى لايشكون فيه ولايشتبه عليهم كما لاتشتبه عليهم أبناؤهم من أبناء غيرهم روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لعبدالله بن سلام أن الله أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبدالله ياعمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتى بابنى فقال عمر وكيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حق من الله وقد نعته الله فى كتابنا ولاأدرى ماتصنع النساء فقبل عمر رأس عبدالله وقال وفقك الله ياابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير فى يعرفونه يعود الى أمر القبلة والمعنى أن علماء اليهود والنصارى يعرفون أن القبلة التى صرفتك اليها هى قبلة أبراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لايشكون فى ذلك ﴿ وأن فريقا منهم ﴾ أى من علماء أهل الكتاب ﴿ ليكتمون الحق ﴾ يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة ﴿ وهم يعلمون ﴾ يعنى أن كتمان الحق معصية وقيل يعلمون أن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه ﴿ الحق ﴾ أى الذى يكتمونه هو الحق ﴿ من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ أى من الشاكين فى أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى أمر القبلة والمعنى أن بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك فى ذلك * فأن قلت النبى صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهى * قلت هذا الخطاب وأن كان للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم أيها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا * قوله عزوجل ﴿ ولكل وجهة ﴾ أى ولكل

به منى بابنى فقال له عمر ولم قال لانى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه (وأن فريقا منهم) أى الذين لم يسلموا (ليكتمون الحق) حسدا وعنادا (وهم يعلمون) أن الله تعالى بينه فى كتابهم (الحق) مبتدأ خبره (من ربك) واللام للجنس أى الحق من الله لا من غيره يعنى أن الحق ماثبت أنه من الله كالذى أنت عليه ومالم يثبت أنه من الله كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل أو للعهد والاشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر أو حال (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فى أنه من ربك (ولكل) من أهل الاديان المختلفة (وجهة) وقبلة وقرئ بها والضمير

بصفته ونعته (كما يعرفون أبناءهم) بين الغلمان (وأن فريقا منهم) من أهل الكتاب (ليكتمون الحق) صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (وهم يعلمون) فى كتابهم (الحق من ربك) أى أنك نبى مرسل من الله (فلا تكونن من الممترين) من الشاكين أنهم لايعلمون (ولكل وجهة) لكل أهل دين قبلة

(أهل)

في (هو) لكل وفي (موليها) للوجهة أي هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين أو هو لله تعالى أي الله موليها أياه هو مولاها شامي أي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى ولكل أمة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم الخيرات) فاستبقوا اليها غيركم

من أمر القبلة وغيره (أينما تكونوا) أنتم وأعداؤكم

بدل الاضافة أو لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة ﴿هو موليها﴾ أحد المفعولين محذوف أي هو موليها وجهه أو الله موليها أياه * وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها أهلها واللام مزيدة للتأكيد جبرا لضعف العامل * وقرأ ابن عامر هو مولاها أي هو مولى تلك الجهة أي قد وليها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ من أمر القبلة وغيره مما تنال به سعادة الدارين أو الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا﴾ أي في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض أرواحكم أو أينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة ﴿أن الله على كل شئ قدير﴾ فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ﴿ومن حيث خرجت﴾ ومن أي مكان خرجت للسفر ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ اذا صليت ﴿وأنه﴾ وأن هذا الامر ﴿للحق من ربك﴾

أهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في التوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة أن المراد به جميع المؤمنين أي ولكل أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص ﴿هو موليها﴾ أي مستقبلها والمعنى أن لكل أهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل متوليها أي مختارها وقيل أن هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى أن الله موليها أياه * وقرئ مولاها أي مصروف اليها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي بادروا بالطاعة وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعي في أن الصلاة في أول الوقت أفضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب ﴿أينما تكونوا﴾ يعني أنتم وأهل الكتاب ﴿يأت بكم الله جميعا﴾ يعني يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب ﴿أن الله على كل شئ قدير﴾ أي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة * قوله عز وجل ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي من أي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه ﴿وأنه﴾ يعني التوجه اليه ﴿للحق من ربك﴾ أي الحق الذي

(يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل أو ولكل منكم يا أمة محمد وجهة جهة يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستقبلوا الفاضلات من الجهات وهي الجهة المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا ويجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها الى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام (أن الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت) ومن أي بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وأنه) وأن هذا المأمور به (للحق من ربك

(هو موليها) مستقبلها بهوى نفسه ويقال ولكل وجهة لكل نبي قبلة وهي الكعبة هو موليها أمر أن يستقبله (فاستبقوا الخيرات) فبادروا بالطاعات يا أمة محمد من جميع الامم (أينما تكونوا) في بر أو بحر (يأت بكم الله) يجئ بكم ويجمعكم الله (جميعا) فيجزيكم بالخيرات (أن الله على كل شئ) من جمعكم وغيري (قدير ومن حيث خرجت فول وجهك) في الصلاة (شطر) نحو (المسجد الحرام وأنه) يعني الحرم (للحق من ربك) أنه قبله أبراهيم

وماالله بغافل عما تعملون) وبالياء أبو عمرو (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على أنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أي قد عرفكم الله جل ذكره أمر الاحتجاج في القبلة بما قد بين في قوله ولكل وجهة هو موليها لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التوراة من تحويل القبلة وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة (ألا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس أي لئلا يكون حجة

وما الله بغافل عما تعملون ﴾ وقرأ أبو عمرو بالياء ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ كرر هذا الحكم لتعدد علله فأنه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على أن يولى أهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها وتميز بها ودفع حجج المخالفين على مانبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع أن القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى أن يؤكد أمرها ويعاد ذكرها مرة بعد أخرى ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ علة لقوله فولوا والمعنى أن التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وأن محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بأنه يدعي ملة أبراهيم ويخالف قبلته ﴿ ألا الذين ظلموا منهم ﴾

لاشك فيه فحافظ عليه ﴿ وماالله بغافل عما تعملون ﴾ أى ليس هو بساه عن أعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ فأن قلت هل في هذا التكرار فائدة • قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهي أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ قيل أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فأما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم أنها الحق وأنها قبلة أبيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه أنه حق ألا أنه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله ألا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لاحجة لاحد عليكم ألا مشركوا قريش واليهود فأنهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أى لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الآية أن اليهود عرفوا أن الكعبة قبلة أبراهيم ووجدوا في التوراة أن محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم أنهم يقولون أن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم ﴿ ألا الذين ظلموا منهم ﴾ أى ألا أن يظلموا فيكتموا

صلوات الله عليه (وماالله بغافل) بساه (عما تعملون) عما تكتمون من قبلة أبراهيم وغيرها (ومن حيث خرجت) كنت (فول وجهك) في الصلاة (شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم) في بر أو بحر (فولوا وجوهكم) في الصلاة (شطره) نحوه (لئلا يكون للناس) لعبد الله بن سلام وأصحابه (عليكم حجة) في تحويل القبلة لان في كتابهم أن الحرم هو قبلة أبراهيم فأذا صليتم اليه لا تكون لهم عليكم حجة (ألا الذين ظلموا) والا الذين ظلموا في المقالة (منهم) كعب بن الاشرف وأصحابه (ماعرفوا)

لاحد من اليهود ألا المعاندن منهم القائلين ماترك قبلتنا الى الكعبة ألا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولوكان على الحق للزم بلة الانبياء عليهم السلام أو معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى تركهم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة أبراهيم وأسمعيل أبى العرب ألا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بداله فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم ثم استأنف منبها بقوله (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فأنهم لايضرونكم (واخشونى) فلاتخالفوا أمرى (ولأتم نعمتى عليكم) أى عرفتكم لئلايكون عليكم حجة ولاتم نعمتى عليكم بهدايتى أياكم الى الكعبة (ولعلكم تهتدون) ولكى تهتدوا الى قبلة أبراهيم الكاف فى (كما أرسلنافيكم) أما أن يتعلق بما قبله أى ولاتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم فى الدنيا بأرسال الرسول أو بما بعده أى كما ذكرتكم بأرسال الرسول فاذكرونى بالطاعة أذكركم بالثواب فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الاول لا (رسولا منكم) من العرب

استثناء من الناس أى لئلا يكون لاحد من الناس حجة ألا للمعاندين منهم فأنهم يقولون ماتحول الى الكعبة ألا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده أو بداله فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كقوله

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

للعلم بأن الظالم لاحجة له. وقرئ ألا الذين ظلموا منهم على أنه استئناف بحرف التنبيه ﴿ فلاتخشوهم ﴾ فلاتخافوهم فأن مطاعنهم لاتضركم ﴿ واخشونى ﴾ فلاتخالفوا ما أمرتكم به مصلحة لكم ﴿ ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ علة محذوف أى وأمرتكم لأتمام النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم أو عطف علة على مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم أو لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ﴾

ماعرفوا من الحق ﴿ فلا تخشوهم ﴾ أى فلا تخافوهم فى انصرافكم الى الكعبة فى تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فأنى وليكم وناصركم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة ﴿ واخشونى ﴾ أى احذروا عقابى أن أنتم عدلتم عما ألزمتكم به وفرضته عليكم ﴿ ولأتم نعمتى عليكم ﴾ أى ولكى أتم نعمتى عليكم بهدايتى أياكم الى قبلة أبراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى ﴿ ولعلكم تهتدون ﴾ أى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب * قوله عزوجل ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾ كاف التشبيه تحتاج الى شئ ترجع اليه فقيل ترجع الى ماقبلها ومعناه ولأتم نعمتى عليكم كما أرسلنا فيكم وقيل أن أبراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بأن يجعل فى ذريته أمة مسلمة والمعنى كما أجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك أجبت دعوته بأن أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأتم نعمتى عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل أن الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرونى أذكركم والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه أن النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بأرسال الرسول وأن قلنا أنها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه أن النعمة فى أمر القبلة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفى أرساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم أقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما أرسلنا فيكم يامعشر العرب ﴿ رسولا منكم ﴾

ومشركوا العرب (فلاتخشوهم) فى صرف القبلة (واخشونى) فى تركها (ولأتم نعمتى) لكى أتم منتى (عليكم) بالقبلة كما أتممت عليكم بالدين (ولعلكم تهتدون) الى قبلة أبراهيم (كما أرسلنافيكم رسولا) يقول اذكرونى كما ارسلنا اليكم رسولا (منكم) من نسبكم

متصل بماقبله أى ولاتم نعمتى عليكم فى أمر القبلة أوفى الآخرة كما أتممها بأرسال رسول منكم أوبما بعده أى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى ﴿يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم﴾ يحملكم على ماتصيرون به أزكياء قدمه باعتبار القصد وأخره فى دعوة أبراهيم عليه الصلاة والسلام باعتبار الفعل ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون﴾ بالفكر والنظر اذلا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر ﴿فاذكرونى﴾ بالطاعة ﴿أذكركم﴾ بالثواب

يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿يتلوا عليكم آياتنا﴾ يعنى القرآن وذلك من أعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر ﴿ويزكيكم﴾ أى ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ماذا فعلتموه صرتم أزكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ﴿ويعلمكم الكتاب﴾ يعنى أحكام الكتاب وهو القرآن وقيل أن التعليم غير التلاوة فليس بتكرار ﴿والحكمة﴾ يعنى السنة والفقه فى الدين ﴿ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون﴾ يعنى يعلمكم من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة ممالم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فاذكرونى﴾ قيل الذكر يكون باللسان وهو أن يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو أن يتفكر فى عظمة الله تعالى وفى الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو أن تكون مستغرقة فى الاعمال التى أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التى للجوارح فيها فعل ﴿أذكركم﴾ أى بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس رضى الله عنهما اذكرونى بطاعتى أذكركم بمعونتى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء وقال أهل المعانى اذكرونى بالتوحيد والايمان أذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكرونى بالاخلاص أذكركم بالخلاص اذكرونى بالقلوب أذكركم بغفران الذنوب اذكرونى بالدعاء أذكركم بالعطاء (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فأن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وأن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وأن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وأن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وأن أتانى يمشى أتيته هرولة * قوله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا اصح * قوله وأنا معه اذا ذكرنى يعنى بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة * وقوله فأن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى النفس فى اللغة لها معان منها ذات الشئ والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فأن ذكرنى خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه أحد * قوله وأن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه الملأ اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء وأجيب عنه بأن الذكر غالبا يكون فى جماعة لانبى فيهم * قوله وأن تقرب الى شبرا

(يتلوا عليكم) يقرأ عليكم (آياتنا) القرآن (ويزكيكم ويعلمكم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة والفقه (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مالا سبيل الى معرفته ألا بالوحى (فاذكرونى) بالمعذرة (أذكركم) بالمغفرة أو بالثناء والعطاء أو بالسؤال والنوال أو بالتوبة وعفو الحوبة أو بالاخلاص والخلاص أو بالمناجات والنجاة

(يتلوا عليكم) يقرأ عليكم (آياتنا) يعنى القرآن بالامر والنهى (ويزكيكم) يطهركم بالتوحيد والزكاة والصدقة من الذنوب (ويعلمكم الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) الحلال والحرام (ويعلمكم) من الاحكام والحدود وأخبار الامم الماضية (مالم تكونوا تعلمون) قبل القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (فاذكرونى) بالطاعة (أذكركم) بالجنة ويقال فاذكرونى فى الرخاء

(قوله متصل بماقبله الخ) اختلف فى هذه الكاف فقيل للتعليل وقيل للتشبيه وهو الظاهر ولذا اقتصر عليه المصنف رحمه الله ووجهه ظاهر وأوله بالاتمام المذكور ليتم الانتظام وقوله أو بما بعده والتقدير اذكرونى ذكرا مثل ذكرى اكم بالارسال فحذف منه قال أبو البقاء والفاء غير مانعة من عمل مابعدها فيما قبلها وفيه كلام فى النحو وقوله بارسال اشارة الى ان ما مصدرية وذكر الارسال وارادة الاتمام من اقامة السبب مقام المسبب والمناسبة بين القبلة التى هى قبلة آبائهم وارسال رسول منهم تمام على تمام

﴿واشكروا لي﴾ ما أنعمت به عليكم ﴿ولا تكفرون﴾ بجحد النعم وعصيان الامر ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر﴾ عن المعاصي وحظوظ النفس ﴿والصلوة﴾ التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ﴿أن الله مع الصابرين﴾ بالنصر واجابة الدعوة ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾ أي هم أموات

تقربت اليه ذراعا الخ * وهذا من أحاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه وألطافه وبره وكرمه وأحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه ، والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وأن أتاني يمشي في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات * المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل * قوله عز وجل ﴿واشكروا لي﴾ يعني بالطاعة ﴿ولا تكفرون﴾ أي بالمعصية فمن أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره * قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة﴾ انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات أما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد وأما الاستعانة بالصلاة فلانها تجب أن تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب ﴿أن الله مع الصابرين﴾ أي بالعون والنصر ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾ نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري أخو سعد بن أبي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بني الحرث بن فهر رضي الله عنهم ومن الانصار ثمانية وهم سعد ابن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع

بالصبر) فيه تنال كل فضيلة (والصلوة) فانها تنهى عن كل رذيلة (أن الله مع الصابرين) بالنصر والمعونة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا (أموات) أي هم

أذكركم في الشدة (واشكروا لي) نعمتي (ولا تكفرون) لا تتركوا شكرها (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) على اداء فرائض الله وترك المعاصي وعلى المرازي (والصلوة) وبكثرة صلاة التطوع بالليل والنهار على تمحيص الذنوب (أن الله مع الصابرين) معين وحافظ وناصر للصابرين على المرازي ثم ذكر مقالة المنافقين لشهداء بدر وأحد والمشاهد كلها مات فلان وذهب عنه النعيم والسرور لكي يغتم به المخلصون فقال الله (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) في طاعة الله يوم بدر والمشاهد كلها (أموات) كسائر الاموات

(قوله صلى الله عليه وسلم كمثل الحي والميت) وفي نسخة المشكاة مثل الحي والميت قال شارحه لف ونشر مرتب فالحي يزين ظاهره بنور الحياة والتصرف التام فيما يريد وباطنه بنور العلم والادراك وكذا الذاكر مزين ظاهره بنور الطاعة وباطنه بنور المعرفة (قاوخا ٢٩ ل) وغير الذاكر ظاهره عاطل وباطنه باطل وقيل موقع التشبيه النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت ويمكن ان يقال في الحديث ايماء الى أن مداومة ذكر الحي الذي لا يموت تورث الحياة الحقيقية التي لا فناء لها كما قيل اولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار مصححه

الشهيد لاتعلم حسا عن الحسن رضى الله عنه أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كاتعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها (ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا (بشئ) بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الانسان وأن جل ففوقه مايقل اليه ويريهم أن رحمته معهم فى كل حال وأعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم

(بل أحياء) بل هم كاحياء أهل الجنة فى الجنة يرزقون من التحف (ولكن لاتشعرون) لاتعلمون بكراماتهم وحالهم ثم ذكر ابتلاء للمؤمنين فقال (ولنبلونكم) لنختبرنكم (بشئ

﴿بل أحياء﴾ بل هم أحياء ﴿ولكن لاتشعرون﴾ ماحالهم وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس مايحس به من الحيوانات وانما هى أمر لايدرك بالعقل بل بالوحى * وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند ربهم تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع * والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الارواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لمايحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ﴿ولنبلونكم﴾ ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ﴿بشئ

ابن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهى أمهما رضى الله عنهم كان الناس يقولون لمن قتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل أن الكفار والمنافقين قالوا أن الناس يقتلون أنفسهم ظلما لمراضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبر أن من قتل فى سبيل الله فأنه حى بقوله تعالى ﴿بل أحياء﴾ وانما أحياهم الله تعالى عز وجل فى الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع * ففيه دليل على أن المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم فى قبورهم فى البرزخ وكذا العصاة يعذبون فى قبورهم * فأن قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهى فى قوله ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات * قلت معناه لاتقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم أحياء تصل أرواحهم الى الجنان كما ورد أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وأن كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم * وجواب آخر وهو أنهم أحياء عند الله تعالى فى عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فنحن لانشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ولكن لاتشعرون﴾ أى لاترونهم أحياء فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك بأخبارى أياكم به * فأن قلت أليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة فى قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر * قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة وماكلها وغيرهم ينعمون بمادون ذلك * وجواب آخر وهو أنه رد لقول من قال أن من قتل فى سبيل الله قد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأخبر الله تعالى بقوله بل أحياء بأنهم فى نعيم دائم * قوله عز وجل ﴿ولنبلونكم﴾ أى ولنختبرنكم ياأمة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطائع من العاصى لاليعلم شيأ لم يكن عالما به فأنه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها ﴿بشئ﴾ انما قال بشئ ولم يقل بأشياء لئلا يوهم أن أشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقى فلما قال بشئ كان التقدير بشئ من الخوف وبشئ من الجوع

(قوله وفيها دلالة) قال فى العناية وجه الدلالة أنه أثبت لهم الحياة وهى ليست بالجسد فتعين كونها بالروح وحياة الروح بدون الجسد مستلزمة قيامها بنفسها وهو المذهب الحق خلافا لمن ذهب الى أنها اعراض والخلاف فيها معروف مصححه {وقيل}

عليها (من الخوف) خوف الله والعدو (والجوع) أى القحط أو صوم شهر رمضان (ونقص من الاموال) بموت المواشى أو الزكاة وهو عطف على شئ أو على الخوف أى وشئ من نقص الاموال (والانفس) بالقتل والموت أو بالمرض والشيب (والثمرات) ثمرات الحرث أو موت الاولاد لان الولد ثمرة الفؤاد (وبشر الصابرين) على هذه البلايا أو المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وفى الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وطفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو مصيبة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة (الذين) نصب صفة للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين وجعل الخبر أولئك يقف على الصابرين لا على راجعون والاول الوجه لان الذين وما بعده بيان للصابرين (أذا أصابتهم مصيبة) مكروه اسم فاعل من أصابته شدة أى لحقته ولا وقف على

من الخوف والجوع ﴾ أى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ماوقاهم منه ليخفف عليهم ويريهم أن رحمته لاتفارقهم أو بالنسبة الى مايصيب به معانديهم فى الآخرة وانما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ﴿ ونقص من الاموال والانفس والثمرات ﴾ عطف على شئ أو الخوف وعن الشافعى رضى الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الصدقات والزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم روح ولد عبدى فيقولون نعم فيقول الله أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد ﴿ وبشر الصابرين الذين أذا أصابتهم مصيبة

وقيل معناه بشئ قليل من هذه الاشياء ﴿ من الخوف ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه ألم فى القلب ﴿ والجوع ﴾ يعنى القحط وتعذر حصول القوت ﴿ ونقص من الاموال ﴾ يعنى بالهلاك والخسران ﴿ والانفس ﴾ أى ونقص من الانفس بالموت أو القتل ﴿ والثمرات ﴾ يعنى الجوائح فى الثمار وقيل قد يكون بالجدب أيضا وبترك العمل والعمارة فى الاشجار وحكى عن الشافعى رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعنى اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعنى بالامراض والثمرات يعنى موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب * عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدى قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * فأن قلت ما الحكمة فى تقديم تعريف هذا الابتلاء فى قوله ولنبلونكم * قلت فيه حكم منها أن العبد اذا علم انه مبتلى بشئ وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها أن الكفار اذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها أن الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم ومنها أن المنافقين انما أظهروا الايمان طمعا فى المال وسعة الرزق من الغنائم فلما أخبر الله أنه مبتل عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها أن الانسان فى حال الابتلاء أشد أخلاصا لله منه فى حال الرخاء فاذا علم أنه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما عسى أن ينزل به من البلاء ثم قال تعالى ﴿ وبشر الصابرين ﴾ يعنى عند نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحانى بما أمتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى ﴿ الذين اذا أصابتهم مصيبة ﴾ أى نائبة وابتلاء

من الخوف خوف العدو (والجوع) فى قحط السنين (ونقص من الاموال) ذهاب الاموال (والانفس) وذهاب الانفس بالقتل والموت والامراض (والثمرات) وذهاب الثمرات ثم قال (وبشر) يا محمد (الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة) مما

قالوا أنا لله وأنا اليه راجعون﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لمن تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم مايصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بأن يتصور ماخلق لاجله وأنه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ماأبقى عليه أضعاف مااسترده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ الصلاة فى الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه ﴿وأولئك هم المهتدون﴾

﴿قالوا أنا لله﴾ أى عبيد أوملك ﴿وأنا اليه راجعون﴾ يعنى فى الآخرة (م) عن أم سلمة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد تصيبه مصيبة فيقول أنا لله وأنا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا أجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها قيل ماأعطى أحد ماأعطيت هذه الامة يعنى الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطيها أحد لاعطى يعقوب عليه الصلاة والسلام ألا تسمع الى قوله عند فقد يوسف ياأسفا على يوسف وقيل فى قول العبد أنا لله وأنا اليه راجعون تفويض منه الى الله وأنه راض بكل مانزل به من المصائب ﴿أولئك﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿عليهم صلوات من ربهم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما أى مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى أى اغفرلهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة ﴿ورحمة﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررهما للتأكيد أى عليهم رحمة بعد رحمة ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ يعنى الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

فصل

فى ذكر أحاديث وردت فى ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعنى يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مايصيب المؤمن من نصب ولاوصب ولاحزن ولاأذى ولاغم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه * النصب التعب والاعياء * والوصب المرض (ق) عن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فسواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها

(وأنا اليه راجعون) اقرار على نفوسنا بالهلاك (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لامر الله قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة أى الصلاة

ذكرت (قالوا أنا لله) نحن عبيد الله (وأنا اليه راجعون) بعد الموت وأن لم نرض بقضائه لايرضى عنا بأعمالنا (أولئك) أهل هذه الصفة (عليهم صلوات) مغفرة (من ربهم) فى الدنيا (ورحمة) من العذاب فى الآخرة (وأولئك هم المهتدون) للاسترجاع * ثم ذكر كراهية المؤمنين للطواف بين الصفا والمروة من قبل الصنمين اللذين

(قوله فى الاصل الدعاء) اشارة الى ماقال الراغب ان كثر أهل اللغة ان معنى الصلاة هو الدعاء والتمجيد يقال صليت عليه أى دعوت وزكيت وصلاة الله للمسلمين هى فى التحقيق تزكيته والمراد بالتزكية محو السيئات وتطهيرها اه شهاب

للحق والصواب حيث استرجعوا وأسلموا لقضاء الله تعالى ﴿ أن الصفا والمروة ﴾ هما علما جبلين بمكة ﴿ من شعائر الله ﴾ من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر ﴾ الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين ﴿ فلا جناح عليه

(ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تحصد * الارزة شجر معروف بالشام ويعرف فى العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة فى الارض * عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه حتى يوافى يوم القيامة * وبهذا الاسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أن عظم الجزاء مع عظم البلاء وأن الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط أخرجه الترمذى * وله عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض * وله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى مالعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة * عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فأن كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وأن كان فى دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض وما عليه خطيئة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل ﴿ أن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ الصفا جمع صفاة وهى الصخرة الصلبة الملساء وقيل هى الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذا أصلهما فى اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة فى طرفى المسعى ولذلك أدخل فيهما الالف واللام وشعائر الله أعلام دينه وأصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التى جعلها الله أعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما ﴿ فمن حج البيت ﴾ أى قصد البيت هذا أصله فى اللغة وفى الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة لاقامة المناسك ﴿ أو اعتمر ﴾ أى زار البيت والعمرة الزيارة ففى الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة ﴿ فلا جناح عليه ﴾ أى فلا اثم عليه وأصله من جنح اذا مال

والرحمة و لاهتداء (أن الصفا والمروة) هما علمان للجبلين (من شعائر الله) من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهى العلامة (فمن حج البيت) قصد الكعبة (أو اعتمر) زار الكعبة فالحج القصد والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان (فلا جناح عليه

كانا عليهما فقال (أن الصفا والمروة) يقول الطواف بين الصفا والمروة (من شعائر الله) مما أمر الله تعالى من مناسك الحج (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه) لا مأثم

(قوله علما جبلين الخ) قال فى العناية لما ذكر الصبر عقبه بالحج لما فيه من الامور المحتاجة اليه وكونهما بالغلبة لان اصل معناهما نوع من الحجارة مطلقا فلزمهما اللام والشعائر جمع شعيرة أو شعارة بمعنى علامة يطلق على مايعلم به موطنه كما هنا وعلى نفس اعماله واضافتهما الى الله لانه جعلهما علامة مع ما فيه من التعظيم وتغليب الحج والعمرة بمعنى اشتهارهما فى نوع مخصوص منهما كالدابة لا أنهما علمان مصححه

أن يطوف بهما ﴾ كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على أنه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن أحمد أنه سنة وبه قال أنس وابن عباس رضي الله عنهم لقوله فلا جناح عليه فأنه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحمهما الله

عن القصد المستقيم ﴿ أن يطوف بهما ﴾ أي يدور بهما ويسعى بينهما * وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية وأذن في السعي بينهما واخبر أنه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول رضي الله عنه قال قلت لانس رضي الله عنه أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله أن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما * وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت أن الصفا والمروة من شعائر الله

﴿ فصل ﴾

اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة رضي الله عنهم وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى أنه تطوع وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وأبو حنيفة رضي الله عنهما الى أنه ليس بركن وعلى من تركه دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء أن من تركه فلا شئ عليه واختلفت الرواية عن أحمد في ذلك فروى عنه أن من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروى عنه أنه لا شئ في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي أن يتركه ونقل الجمهور عنه أنه تطوع * وسبب هذا الاختلاف أن قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه أنه لا اثم عليه في فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على أن السعي بين الصفا والمروة واجب أو ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحدهما فأذا لابد من دليل خارج يدل على أن السعي واجب أو غير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه في أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة رضي الله عنها قالت أخبرتني بنت أبي تجزاة واسمها حبيبة أحدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين ننظر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وأن مئزره ليدور من شد السعي حتى لاقول أني لارى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وصححه

فلا اثم عليه (أن يطوف بهما) أي تطوف فادغم التاء في الطاء وأصل الطوف المشي حول الشئ والمراد ههنا السعي بينهما قيل كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال مالك والشافعي رحمهما الله تعالى عليه (أن يطوف بهما)

(قوله كان اساف على الصفا الخ) قال في الكفاية اساف بكسر الهمزة وخفة السين المهملة وألف بعدها فاء ونائلة بنون وألف يليها همزة مكسورة ولام الاول اسم رجل سمي به صنم على الصفا والثاني اسم امرأة سمي به صنم على المروة قيل ولذا أنث مصححه

أنه ركن لقوله عليه الصلاة والسلام اسعوا فأن الله كتب عليكم السعى ﴿ ومن تطوع خيرا ﴾ أى فعل طاعة فرضا كان أو نفلا أو زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة أو طواف أو تطوع بالسعى أن قلنا أنه سنة وخيرا نصب على أنه صفة مصدر محذوف أو بحذف الجار وايصال الفعل اليه أو بتعدية الفعل لتضمنه معنى أتى أو فعل * وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب يطوع وأصله يتطوع فأدغم مثل يطوف ﴿ فأن الله شاكر عليم ﴾ مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ﴿ أن الذين يكتمون ﴾ كأحبار اليهود

الدارقطنى (ق) عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله أن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيأ أن لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى أن الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر رضى الله عنه فى حديثه الطويل فى صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ أن الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فأذا ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعى لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه خذوا عنى مناسككم والامر للوجوب ومن القياس أن السعى أشواط شرعت فى بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به فى احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج أبو حنيفة رضى الله عنه ومن لا يرى وجوب السعى بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما وهذا لا يقال فى الواجبات ثم أنه تعالى أكد ذلك بقوله ﴿ ومن تطوع خيرا ﴾ فبين أنه تطوع وليس بواجب * وأجيب عن الاول بأن قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا أنه لا اثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفى الوجوب * وعن الثانى وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضى أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور أولا بل يجوز أن يكون المقصود منه شيأ آخر يدل على ذلك قول الحسن أن المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات فى الدين يعنى فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من أنواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد فى الطواف بعد الواجب والقول الاول أولى للعموم ﴿ فأن الله شاكر ﴾ أى مجاز على الطاعة ﴿ عليم ﴾ أى بنيته * وحقيقة الشاكر فى اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر فى صفة الله تعالى مجاز فأذا وصف به أريد به أنه المجازى على الطاعة بالثواب الا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة فى الاحسان اليهم * قوله عز وجل ﴿ أن الذين يكتمون

وكذا قوله (ومن تطوع خيرا) أى الطواف بهما مشعر بأنه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلى أى يتطوع فأدغم التاء فى الطاء (فأن الله شاكر) مجاز على القليل كثيرا (عليم) بالاشياء صغيرا أو كبيرا (أن الذين يكتمون) من

بينهما (ومن تطوع خيرا) من زاد على الطواف الواجب (فأن الله شاكر) يقبله (عليم) بنياتكم ويقال فأن الله شاكر يشكر اليسير ويجزى الجزيل (أن الذين يكتمون

(قوله مثيب الخ) قال الراغب اذا وصف الله بالشكر فانما يعنى به انعامه على عباده وجزاؤه لهم وقوله لا يخفى عليه تفسير لعليم مصححه

﴿ ما أنزلنا من البينات ﴾ كالآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والهدى ﴾ ومايهدى الى وجوب اتباعه والايمان به ﴿ من بعدمابيناه للناس ﴾ لخصناه ﴿ في الكتـاب ﴾ في التوراة ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ أي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين ﴿ ألا الذين تابوا ﴾ عن الكتمان وسائر مايجب أن يتاب عنه ﴿ وأصلحوا ﴾ ماأفسدوا بالتدارك ﴿ وبينوا ﴾ مابينه الله في كتـابهم لتتم توبتهم وقيل ما أحـدثوه من التوبة ليمحوا به سمة الكفر عن أنفسهم ويقتدى بهم أضرابهم ﴿ فأولئك أتوب عليهم ﴾ بالقبول والمغفرة ﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة

ماأنزلنا من البينات والهدى ﴾ نزلت في علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل أن الآية على العموم فيمن كتم شيأ من أمر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وأنها في اليهود قال أن الكتم لايصح ألا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيأ من أمر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن أبي هريره رضي الله عنه قال لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ماحدثت شيأ أبدا أن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى وقوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه الى آخر الآيتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين فيه خلاف والاصح أنه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من أمر الدين يجب عليه اظهاره وألا فلا ﴿ من بعدمابيناه للناس في الكتاب ﴾ يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالنـاس علماء بني أسرائيل ومن قال أن المراد بالكتاب جميع ماأنزل الله على أنبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة ﴿ أولئك ﴾ يعني الذين يكتمون ماأنزل الله من البينات والهـدى ﴿ يلعنهم الله ﴾ أي يبعدهم من رحمته وأصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه جميع الخلائق ألا الجن والانس وذلك أن البهائم تقول انا منعنا القطر بمعاصي بني آدم وقيـل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيـل ماتلاعن اثنان من المسلمين ألا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى ﴿ ألا الذين تابوا ﴾ أي ندموا على مافعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام ﴿ وأصلحوا ﴾ يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى ﴿ وبينوا ﴾ يعني ما كتموا من العلم ﴿ فأولئك أتوب عليهم ﴾ أي أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم ﴿ وأنا التواب ﴾ أي المتجـاوز عن عبـادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الى ﴿ الرحيم ﴾ يعني بهم بعد اقبالهم علي ﴿ قوله عز وجل

أحبار اليهود (ماأنزلنـا) في التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمـد عليه السـلام (والهدى) الهداية الى الاسلام بوصفه عليه السلام (من بعدمابيناه) أو صححناه (للناس في الكتاب) في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين فكتموه (أولـئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (ألا الذين تابوا) عن الكتمان وترك الايمان (وأصلحوا) ماأفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) وأظهروا ما كتموا (فأولئك أتوب عليهم) أقبل توبتهم (وأنا التواب الرحيم

ماأنزلنا) بينا (من البينات) من الامر والنهي والعلامات في التوراة (والهـدى) صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (من بعـدما بيناه للناس) لبني أسرائيل (في الكتاب) في التوراة (أولـئك يلعنهم الله) يعذبهم الله في القبر (ويلعنهم اللاعنون) يلعنهم الخلائق غير الجن والانس اذا سمعوا أصواتهم في القبر (ألا الذين تابوا) من اليهودية (وأصلحوا) وحدوا (وبينوا) صفة محمد ونعته (فأولئك أتوب عليهم) أتجاوز عنهم (وأنا التواب) المتجاوز لمن تاب (الرحيم) لمن مات على التوبة (ان)

﴿أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾ أى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ استقر عليهم اللعن من الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتا. وقرئ والملائكة والناس أجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى المعنى كقولك أعجبنى ضرب زيد وعمرو أو فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة ﴿خالدين فيها﴾ أى فى اللعنة أو النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا أو اكتفاء بدلالة اللعن عليها ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون﴾ أى لا يمهلون أولا ينظرون ليعتذروا أولا ينظر اليهم نظر رحمة ﴿وألهكم أله واحد﴾ خطاب عام أى المستحق منكم العبادة واحد لاشريك له

﴿أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون. فأن قلت الكافر لايلعن نفسه ولايلعنه أهل دينه وملته فما معنى قوله والناس أجمعين. قلت فيه أوجه أحدها أنه أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثانى أن الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث أنهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه ﴿خالدين فيها﴾ أى مقيمين فى اللعنة وقيل فى النار وانما أضمرت لعظم شأنها ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون﴾ أى لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة

فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم

قال العلماء لايجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لايعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله فى هذه الآية أطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن أنسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله وأما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم على التعيين وأما على الاطلاق فيجوز لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير أبيه وكل هذه فى الصحيح. قوله عز وجل ﴿وألهكم أله واحد﴾ سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشئ الذى لا يتبعض ولا ينقسم والواحد فى صفة الله أنه واحد لا نظير له وليس كمثله شئ وقيل واحد فى ألوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين أشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله وألهكم أله واحد يعنى لاشريك له فى ألوهيته ولا نظير له فى الربوبية والتوحيد هو نفى الشريك والقسيم والشبيه

ولم يتوبوا (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها (خالدين) حال من هم فى عليهم (فيها) فى اللعنة أو فى النار الا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) من الانظار أى لا يمهلون أولا ينتظرون ليعتذروا أولا ينظر اليهم نظر رحمة (وألهكم أله واحد) فرد فى ألوهيته لاشريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره

(أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) بالله ورسله (أولئك عليهم لعنة الله) عذاب الله (والملائكة) لعنة الملائكة (والناس أجمعين) لعنة المؤمنين بعضهم بعضا ترجع عليهم (خالدين فيها) فى اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب) لا يرفع ولا يرفه ولا يهون عليهم العذاب (ولاهم ينظرون) يؤجلون من العذاب ثم وحد نفسه حين جحدوا وحدانيته فقال (وألهكم أله واحد)

يصح أن يعبد أو يسمى ألها ﴿ لاأله ألاهو ﴾ تقرير للوحدانية وأزاحة لان يتوهم أن فى الوجود ألها ولكن لايستحق منهم العبادة ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ كالحجة عليها فأنه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها وماسواه أما نعمة أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره وهما خبران آخران لقوله ألهكم أو لمبتدأ محذوف وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا أن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ﴿ أن فى خلق السموات والارض ﴾ أنما جمع السموات وأفرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة ﴿ والفلك التى تجرى فى البحر

فالله تعالى واحد فى أفعاله لاشريك له يشاركه فى مصنوعاته وواحد فى ذاته لاقسيم له وواحد فى صفاته لايشبهه شئ من خلقه ﴿ لاأله ألاهو ﴾ تقرير للوحدانية بنفى غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ يعنى أنه المولى لجميع النعم وأصولها وفروعها فلاشئ سواه بهذه الصفة لان كل ماسواه أمانعمة وأمامنعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم ❁ عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم فى هاتين الآيتين وألهكم أله واحد لاأله ألاهو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لاأله ألاهو الحى القيوم أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح ❁ وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون أن محمدا يقول ألهكم أله واحد فليأتنا بآية أن كان صادقا فأنزل الله تعالى ﴿ أن فى خلق السموات والارض ﴾ وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر فى آياته والنظر فى عجائب مصنوعاته واتقان أفعاله ففى ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان فى الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على أمر واحد ولامتنع فى أفعالهما التساوى فى صفة الكمال فثبت بذلك أن خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار ❁ فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية انواع ❁ أولها قوله أن فى خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية فى السماء هى سمكها وارتفاعها بغير عمد ولاعلاقة ومايرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية فى الارض مدها وبسطها على الماء ومايرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات ❁ النوع الثانى قوله تعالى ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ أى تعاقبهما فى المجئ والذهاب وقيل اختلافهما فى الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة أقدم والآية فى الليل والنهار أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون فى النهار وطلب النوم والراحة يكون فى الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد ❁ النوع الثالث قوله تعالى ﴿ والفلك التى تجرى فى البحر ﴾ أى السفن واحده وجمعه سواء وسمى البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية فى الفلك تسخيرها

ألها (لاأله ألاهو) تقرير للوحدانية بنفى غيره واثباته وموضع هو رفع لانه بدل من موضع لاأله ولايجوز النصب هنا لان البدل يدل على أن الاعتماد على الثانى والمعنى فى الآية على ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد يدل على الاول ورفع (الرحمن الرحيم) أى المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فاسواه أمانعمة وأمامنعم عليه على أنه خبر مبتدأ أو على البدل من هو لاعلى الوصف لان المضمر لايوصف ولما عجب المشركون من أله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل (أن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) فى اللون والطول والقصر وتعاقبهما فى الذهاب والمجئ (والفلك التى تجرى فى البحر

بلاولد ولاشريك (لاأله ألا هو الرحمن) العاطف (الرحيم) العطوف ثم ذكر علامة وحدانيته فقال (أن فى خلق السموات والارض) يقول فى تخليقهما ويقال فيما خلق فيهما (واختلاف الليل والنهار) فى تقليب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما (والفلك) وفى السفن (التى تجرى) تسير (فى البحر

بما ينفع الناس﴾ أى بنفعهم أو بالذى ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة *وقرئ بضمتين على الاصل أو الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو ﴿فأحيي به الارض بعد موتها﴾ بالنبات ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ عطف على أنزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات فى الارض أو على أحيي فأن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة* والبث النشر والتفريق ﴿وتصريف الرياح﴾ فى مهابها وأحوالها* وقرأ حمزة والكسائى على الافراد

وجريانها على وجه الماء وهى موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجى منه ألا الله تعالى * النوع الرابع قوله تعالى ﴿بما ينفع الناس﴾ يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات لطاب الارباح والآية فى ذلك أن الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض فى تجاراتهم ومنافعهم وأيضا فأن الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشئ معين وأحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار فى الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه* النوع الخامس قوله تعالى ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ يعنى المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمى سماء لان كل ما علاك فأظلك فهو سماء خلق الله الماء فى السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل أراد السماء بعينها خلق الله الماء فى السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض ﴿فأحيا به﴾ أى بالماء ﴿الارض بعد موتها﴾ أى يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيأ ولم يصبها المطر فهى كالميتة والآية فى انزال المطر وأحياء الارض به أن الله تعالى جعله سببا لاحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان *النوع السادس قوله تعالى ﴿وبث﴾ أى فرق ﴿فيها﴾ أى فى الارض ﴿من كل دابة﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية فى ذلك أن جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاختلاف فى الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبائع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بنى آدم سائر الحيوان* النوع السابع قوله تعالى ﴿وتصريف الرياح﴾ يعنى فى مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكباء وهى الريح التى تأتى من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل تصريفها فى أحوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس رضى الله عنهما أعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت

بما ينفع الناس) بالذى ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس ومن فى (وما أنزل الله من السماء) لابتداء الغاية وفى (من ماء) مطر لبيان الجنس لان ما ينزل من السماء مطر وغيره ثم عطف على أنزل (فأحيا به) بالماء (الارض بعد موتها) يبسها ثم عطف على فأحيا (وبث) وفرق (فيها) فى الارض (من كل دابة) هى كل ما يدب (وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلى أى وتقليبها فى مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفى أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب

بما ينفع الناس) فى معايشهم (وما أنزل الله) وفيما أنزل الله (من السماء من ماء) مطر (فأحيا به) بالمطر (الارض بعد موتها) بعد قحطها ويبوستها (وبث فيها) خلق فيها (من كل دابة) ذكر وأنثى (وتصريف الرياح) وفى تقليب الرياح يمينا وشمالا قبولا ودبورا

﴿ والسحاب المسخر ﴾ المذلل ﴿ بين السماء والارض ﴾ لاينزل ولاينقشع مع أن الطبع يقتضى أحدهما حتى يأتى أمر الله تعالى وقيل مسخر للرياح تقلبه فى الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم * وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أى لم يتفكر فيها * واعلم أن دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل أنها أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأنحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا أن لاتتحرك السموات أو بعضها كالارض وأن تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وأن لايكون لها أوج وحضيض أصلا أو على هذا الوجه لبساطتها وتساوى أجزائها فلا بدلها من موجد قادر حكيم يوجدها على ماتستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لوكان معه أله يقدر على مايقدر عليه الآخر فأن توافقت أرادتهما فالفعل أن كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وأن كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافى لالهيته وأن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار اليه بقوله تعالى لوكان فيهما آلهة ألا الله لفسدتا وفى الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث على البحث والنظر فيه ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ﴾ من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا

(والسحاب المسخر) المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء (بين السماء والارض) فى الهواء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الاشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها وفى الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (ومن الناس) أى ومع هذا البرهان النير من الناس (من يتخذ من دون الله أندادا)

ريح ألا الشفاء سقيم أوضده وقيل البشارة فى ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هى الريح العقيم التى أهلكت بها عاد فلا بشارة فيها * والآية فى الريح أنها جسم لطيف لايمسك ولايرى وهى مع ذلك فى غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهى مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذى روح وأنتن ماعلى وجه الارض * النوع الثامن قوله تعالى ﴿ والسحاب المسخر بين السماء والارض ﴾ أى الغيم المذلل سمى سحابا لسرعة سيره كأنه يسحب والآية فى ذلك أن السحاب مع مافيه من المياه العظيمة التى تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففى هذه الانواع الثمانية المذكورة فى هذه الآية دلالة عجيبة على وجود الصانع القادر المختار وأنه الواحد فى ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله وألهكم أله واحد لا أله ألا هو وقوله ﴿ لآيات ﴾ أى فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع آيات لان فى كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على أن لها خالقا مدبرا مختارا ﴿ لقوم يعقلون ﴾ أى ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون أن لهذه الاشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على مايريد * قوله عز وجل ﴿ ومن الناس ﴾ يعنى المشركين ﴿ من يتخذ من دون الله أندادا ﴾ يعنى أصناما يعبدونها * والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام أنداد بعضها لبعض وليست أندادا لله تعالى وتعالى الله أن يكون له ند أوله

مرة بالعذاب ومرة بالرحمة (والسحاب المسخر) وفى السحاب المذلل (بين السماء والارض) يقول فى كل هؤلاء (لآيات) لعلامات لوحدانية الرب (لقوم يعقلون) يصدقون أنها من الله ثم ذكر حب الكفار لمعبودهم فى الدنيا وتبرأ بعضهم من بعض فى الآخرة فقال (ومن الناس) يعنى الكفار (من يتخذ) يعبد (من دون الله أندادا) أصناما

يطيعونهم لقوله تعالى اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد أعم منهما وهو مايشغله عن الله ﴿ يحبونهم ﴾ يعظمونهم ويطيعونهم ﴿ كحب الله ﴾ كتعظيمه والميل الى طاعته أى يسوون بينه وبينهم فى المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه أصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى أرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد أرادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه عن المعاصى ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ لانه لاينقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فأنها لاغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ﴿ ولو يرى الذين ظلموا ﴾ ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا بأتخاذ الانداد ﴿ أذ يرون العذاب ﴾ أذا عاينوه يوم القيامة وأجرى المستقبل مجرى الماضى لتحققه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ﴿ أن القوة لله جميعا ﴾ سادمسد مفعولى يرى وجواب لو محذوف أى لويعلمون أن القوة لله جميعا أذا عاينوا العذاب

مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم فى معصية الله تعالى ﴿ يحبونهم ﴾ أى يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض وأحببت فلانا أى جعلته معرضا بأن تحبه والمحبة الارادة ﴿ كحب الله ﴾ أى كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عزوجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى أنهم يسوون بين الاصنام وبين الله فى المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثانى أثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركاء له فى الحب ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ أى أثبت وأدوم على محبته لانهم لايختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثانى وقيل أن الكفار يعدلون عن أصنامهم فى الشدائد ويقبلون الى الله تعالى كما أخبر عنهم فأذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لايعدلون عن الله تعالى فى السراء ولا فى الضراء ولا فى الشدة ولا فى الرخاء وقيل أن المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنو أشد حبا لله لان الله أحبهم أولا فأحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وسيأتى بسط الكلام فى معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه ﴿ ولو يرى الذين ظلموا ﴾ قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعنى أشركوا فى شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم فى النار لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوه من الاصنام لاينفعهم ﴿ أذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا ﴾ معناه لو رأى الذين كانوا يشركون فى الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب أن القوة ثابتة لله جميعا والمعنى أنهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ماتيقنوا معه

كتعظيم الله والخضوع له أى يحبون الاصنام كما يحبون الله يعنى يسوون بينهم وبينه فى محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) من المشركين لآلهتهم لانهم لايعدلون عنه الى غيره بحال والمشركون يعدلون عن أندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له (ولو يرى) ترى نافع وشامى على خطاب الرسول أو كل مخاطب أى ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما (الذين ظلموا) اشارة الى متخذى الانداد (اذ يرون) يرون شامى (العذاب أن القوة لله جميعا) حال

(يحبونهم كحب الله) كحب المؤمنين المخلصين لله (والذين آمنوا أشد) أدوم (حبا لله) من الكفار لاصنامهم ويقال نزلت هذه الآية فى المنافقين الذين اتخذوا الدراهم والدنانير كنزا وكهفا ويقال اتخذوا رؤساءهم ألها من دون الله (ولو يرى الذين ظلموا) لويعلم الذين أشركوا (أذ يرون العذاب) يوم القيامة (أن القوة) والقدرة والمنعة (لله جميعا

(وأن الله شديد العذاب) شديد عذابه أى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شئ من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لان لو اذا جاء فيما يشوق اليه أو يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يليها الماضى وكذا اذ وضعها لتدل على الماضى وانما دخلتا على المستقبل هنا لان اخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضى (اذ تبرأ) مدغمة الذال فى التاء حيث وقعت عراقى غير عاصم وهو بدل من اذ يرون العذاب (الذين اتبعوا) أى المتبوعون وهم الرؤساء (من الذين اتبعوا) من الاتباع (ورأوا العذاب) الواو فيه للحال أى تبرؤا فى حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ (بهم الاسباب) الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب (وقال الذين اتبعوا) أى الاتباع (لو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ) نصب على جواب التمنى لان لو فى معنى التمنى والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ (منهم كما تبرؤا منا) الآن (كذلك) مثل ذلك الاراء الفظيع (يريهم الله أعمالهم) أى عبادتهم الاوثان (حسرات عليهم) ندامات وهى مفعول ثالث ليريهم ومعناه أن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون ألا حسرات مكان (بالهلاك)

لندموا أشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا أندادهم لاتنفع لعلموا أن القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره * وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما * وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب أن بالكسر وكذا ﴿ وأن الله شديد العذاب ﴾ على الاستئناف أو اضمار القول ﴿ اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ بدل من اذ يرون أى اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع * وقرئ بالعكس أى تبرأ الاتباع من الرؤساء ﴿ ورأوا العذاب ﴾ أى رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ ﴿ وتقطعت بهم الاسباب ﴾ يحتمل العطف على تبرأ أو رأوا أو الحال والاول أظهر والاسباب الوصل التى كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك وأصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر * وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ﴾ لو للتمنى ولذلك أجيب بالفاء أى ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الآراء الفظيع ﴿ يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ ندامات وهى ثالث مفاعيل يرى أن كان من رؤية القلب و الا فحال

أن القوة له جميعا وأن الامر ليس على ماكانوا عليه من الشرك والجحود ﴿ وأن الله شديد العذاب ﴾ * قوله عز وجل ﴿ اذ تبرأ ﴾ أى تنزه وتباعد ﴿ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب ﴾ أى القادة من مشركى الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاول ﴿ وتقطعت بهم الاسباب ﴾ يعنى الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التى كانت بينهم يعملونها فى الدنيا وقيل العهود والحلف التى كانت بينهم يتوادون عليها وأصل السبب فى اللغة الحبل الذى يصعد به النخل وسمى كل مايتوصل به الى شئ من ذريعة أو قرابة أو مودة سببا تشبيها بالحبل الذى يصعد به ﴿ وقال الذين اتبعوا ﴾ يعنى الاتباع ﴿ لو أن لنا كرة ﴾ أى رجعة الى الدنيا ﴿ فنتبرأ منهم ﴾ أى من المتبوعين ﴿ كما تبرؤا منا ﴾ اليوم ﴿ كذلك يريهم الله ﴾ أى كما أراهم العذاب يريهم الله ﴿ أعمالهم حسرات عليهم ﴾ لانهم أيقنوا

وأن الله شديد العذاب) فى الآخرة لآمنوا فى الدنيا (اذ تبرأ الذين اتبعوا) يعنى القادة (من الذين اتبعوا) يعنى السفلة (ورأوا) يعنى القادة والسفلة (العذاب) فى الآخرة (وتقطعت بهم الاسباب) العهد والالفة بينهم فى الدنيا (وقال الذين اتبعوا) يعنى السفلة (لو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) من القادة فى الدنيا (كما تبرؤا منا) فى الآخرة (كذلك) هكذا (يريهم الله أعمالهم حسرات) ندامات (عليهم)

أعمالهم (وماهم بخارجين من النار) بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على أنفسهم البحائر ونحوها (يا أيها الناس كلوا) أمر اباحة (مما فى الارض) من للتبعيض لان كل مافى الارض ليس بمأكول (حلالا) مفعول كلوا أوحال مما فى الارض (طيبا) طاهرا من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقه التى يدعوكم اليها بسكون الطاء أبو عمرو وغير عباس ونافع وحمزة وأبو بكر والخطوة فى الاصل مابين قدمى الخاطئ يقال اتبع خطواته اذا اقتدى به واستن بسنته (أنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة لاخفاء به وأبان متعد ولازم ولايناقض هذه الآية قوله تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أى الشيطان لانه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرا فأنه يريهم فى الظاهر الموالاة ويزين لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم فى الباطن (انما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أى لا يأمركم بخير قط انما يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد فى القبح من العظائم وقيل السوء مالا حد فيه والفحشاء مافيه حد

﴿وماهم بخارجين من النار﴾ أصله ومايخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا ﴿ يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا ﴾ نزلت فى قوم حرموا على أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا أوصفة مصدر محذوف أوحال مما فى الارض ومن للتبعيض اذ لايؤكل كل مافى الارض ﴿ طيبا ﴾ يستطيبه والشرع أوالشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ لاتقتدوا به فى اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام *وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والبزى وأبو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خطوة وهى مابين قدمى الخاطى *وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين على أنه جمع خطوة وهى المرة من الخطو ﴿ أنه لكم عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وأن كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا فى قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت ﴿ أنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾ بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ماأنكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف

بالهلاك والحسرة الغم على مافاته وشدة الندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذى حمله على ماارتكبه والمعنى أن الله تعالى يريهم السيآت التى عملوها وارتكبوها فى الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ماتركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل يرفع لهم منازلهم فى الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لوأطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على مافاتهم ولاينفعهم الندم ﴿ وماهم بخارجين من النار ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ﴾ نزلت فى ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذى أحله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه وأصله من الحل الذى هو نقيض العقد والطيب مايستلذ والمسلم لايستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه النفس وتعافه ﴿ ولاتتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أى لاتسلكوا سبيله وقيل معناه لاتأتموا به ولاتتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا أن تتعدوا ماأحل الله لكم الى مايدعوكم اليه الشيطان قيل هى النذور فى المعاصى وقيل هى المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى ﴿ أنه لكم عدو مبين ﴾ أى ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته ماهى فقال تعالى ﴿ انما يأمركم بالسوء ﴾ يعنى بالاثم والسوء مايسوء صاحبه ويحزنه ﴿ والفحشاء ﴾ يعنى بها المعاصى وماقبح من قول أوفعل قال ابن عباس رضى الله عنهما السوء مالاحد فيه والفحشاء مايجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل

فى الآخرة (وماهم بخارجين) القادة والسفلة (من النار) ثم ذكر تحليل الحرث والانعام فقال (ياأيها الناس) يا أهل مكة (كلوا مما فى الارض) من الحرث والانعام (حلالا طيبا) بغير تحريم من الله (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) تزيين الشيطان ووسوسته فى تحريم الحرث والانعام (أنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (أنما يأمركم) الشيطان (بالسوء) بالقبيح من الفعل (والفحشاء) المعاصى

تعلمون) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (وأذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات قيل هم المشركون وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القرآن (قالوا بل نتبع ما ألفينا) وجدنا (عليه آباءنا) فأنهم كانوا خيرا منا وأعلم فرد الله عليهم بقوله (أو لو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم (لايعقلون شيأ) من الدين (ولايهتدون) للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال

الوصفين فأنه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه أياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد فى القبح من الكبائر وقيل الاول مالا حد فيه والثانى ما شرع فيه الحد ﴿ وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا وأما اتباع المجتهد لما أدى اليه ظن مستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى طريقه كما بيناه فى الكتب الاصولية ﴿ وأذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمق ماذا يجيبون ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ ما وجدناهم عليه نزلت فى المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا وأعلم وعلى هذا فيعم ما أنزل الله التوراة لانها أيضا تدعو الى الاسلام ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون﴾ الواو للحال أو العطف والهمزة للرد والتعجب أى لا ينبغى أن يكون اتباعهم لهم وهم جهلة لا يهتدون وجواب لو محذوف أى لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون فى أمر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع

﴿ وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ يعنى من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التى لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التى يجدها الانسان فى قلبه وماهية هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الكلام فى الخارج ثم أن فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها فى باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وانما أقدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان ۞ قوله عز وجل ﴿وأذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ هذه قصة مستأنفة والضمير فى لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا وأعلم منا فأنزل الله هذه الآية وقيل ان الآية متصلة بما قبلها والضمير فى لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وهم مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا يعنى من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير فى لهم يعود على قوله يا أيها الناس كلوا مما فى الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا أنزل الله يعنى فى تحليل ما حرموا على أنفسهم ﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا ﴾ يعنى وجدنا ﴿عليه آباءنا﴾ من التحريم والتحليل قال الله تعالى ﴿أو لو كان آباؤهم ﴾ يعنى الذين يتبعونهم ﴿لا يعقلون شيأ ﴾ يعنى لا يعلمون شيأ من أمر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك أنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ﴿ولا يهتدون﴾ أى الى الصواب

(وأن تقولوا على الله) من الكذب (مالا تعلمون) ذلك (وأذا قيل لهم) لمشركى العرب (اتبعوا ما أنزل الله) اتبعوا تحليل ما بين الله من الحرث والانعام (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه) وجدنا عليه (آباءنا) من التحريم قال الله (أو لو كان آباؤهم) أو ليس كان آباؤهم وقد كان آباؤهم (لايعقلون شيأ) من الدين (ولايهتدون) لسنة نبى فكيف تتبعونهم ويقال وان كان آباؤهم لايعقلون شيأ من الدين ولايهتدون (ثم)

(ومثل الذين كفروا) المضاف محذوف أي ومثل داعي الذين كفروا (كمثل الذي ينعق) يصيح والمراد (بما لايسمع ألادعاء ونداء) البهائم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان فى أنهم لايسمعون من الدعاء ألاجرس النغمة ودوى الصوت من غير ألقاء أذهان ولااستبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لاتسمع ألادعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجر لها ولاتفقه شيأ آخر كما تفهم العقلاء والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع (صم) خبر مبتدأ مضمر أي هم صم (بكم) خبر ثان (عمى) عن الحق خبر ثالث (فهم لايعقلون) الموعظة ثم بين أن ماحرمه المشركون

من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل ما أنه محق كالانبياء والمجتهدين فى الاحكام فهو فى الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع ألادعاء ونداء ﴾ على حذف مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق والمعنى أن الكفرة لانهماكهم فى التقليد لايلقون أذهانهم الى مايتلى عليهم ولايتأملون فيما يقرر معهم فهم فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولاتعرف مغزاه وتحس بالنداء ولاتفهم معناه وقيل هو تمثيلهم فى اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولاتفهم ماتحته أو تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغنى عن الاضمار ولكن لايساعده قوله ألادعاء ونداء لان الاصنام لاتسمع ألا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب ﴿ صم بكم عمى ﴾ رفع على الذم ﴿ فهم لايعقلون ﴾ أى مما يعقل

ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع ألادعاء ونداء ﴾ النعيق صوت الراعى بالغنم ولايقال نعق ألاللراعى بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يامحمد ومثل الكفار فى وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعى الذى ينعق بالغنم وهى لاتسمع ألاصوتا فصار الداعى الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعى وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل أن الغنم تسمع الصوت ولاتفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لاينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التى لاتفهم من الامر والنهى ألاالصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى دعائهم الاصنام التى لاتفقه ولاتعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لاينتفع من نعيقه بشئ غير أنه عنى من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها ألاالعناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذى قبله أن المحذوف هنا هو المدعو وهى الاصنام وفى القول الاول المحذوف هو الداعى وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ صم بكم عمى ﴾ لما شبههم بالبهائم زاد فى تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذى لايسمع يقال لمن يسمع ولايعقل كأنه أصم بكم أى عن النطق بالحق عمى أى عن طريق الهدى ﴿ فهم لايعقلون ﴾ قيل المراد به العقل الكسبى لان العقل

لسنة نبى فكيف تتبعونهم ويقال وان كان آباؤهم لايعقلون شيأ من الدين ولايهتدون لسنة نبى انهم يتبعونهم ثم ضرب مثل الكفار مع محمد صلى الله عليه وسلم فقال (ومثل الذين كفروا) مع محمد صلى الله عليه وسلم (كمثل الذى ينعق بمالا يسمع) يقول كمثل المنعوق وهو الابل والغنم مع الناعق وهو الراعى الذى ينعق يصوت بمالايسمع أى لايفهم كلامه أى كلام الراعى اذا قال له كل أو اشرب (ألا دعاء ونداء صم) عن الحق (بكم) عن الحق (عمى) عن الهدى أى يتصامون (قا و خا ٣١ ل) ويتباكون ويتعامون عن الحق والهدى (فهم لا يعقلون) لايفقهون أمر الله ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم كما لاتعقل الابل والغنم كلام الراعي ثم ذكر أيضا تحليل الحرث والانعام

حلال بقوله (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) من مستلذاته أو من حلالاته (واشكروا لله) الذى رزقكموها (أن كنتم أياه تعبدون) أن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه معطى النعم ثم بين المحرم فقال (أنما حرم عليكم الميتة) وهى كل مافارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وانما لاثبات المذكور ونفى ماعداه أى ماحرم عليكم الا الميتة (والدم) يعنى السائل لقوله فى موضع آخر أودما مسفوحا وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال (ولحم الخنزير) يعنى الخنزير بجميع اجزائه وخص اللحم لانه المقصود بالاكل (وماأهل به لغير الله) أى ذبح للاصنام فذكر عليه غير اسم الله وأصل الاهلال رفع الصوت أى رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات

للاخلال بالنظر ﴿ ياأيها الذين آمنو كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ لما وسع الامر على الناس كافة وأباح لهم مافى الارض سوى ماحرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يتحروا طيبات مارزقوا ويقوموا بحقوقها فقال ﴿ واشكروا لله ﴾ على مارزقكم وأحل لكم ﴿ أن كنتم أياه تعبدون ﴾ أن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم فأن عبادته تعالى لاتتم ألا بالشكر فأن المعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنى والانس والجن فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى ﴿ أنما حرم عليكم الميتة ﴾ أكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت من غير ذكاة والحديث ألحق بها ماأبين من حى والسمك والجراد أخرجهما العرف عنها أو استثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا ألا ماخصه الدليل كالتصرف فى المدبوغ ﴿ والدم ولحم الخنزير ﴾ انما خص اللحم بالذكر لانه معظم مايؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ أى رفع الصوت به عند ذبحه للصنم * والاهلال أصله رؤية الهلال يقال أهل الهلال وأهلته لكن لماجرت العادة

الطيبى كان حاصلا فيهم * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ قيل أن الامر فى قوله كلوا قديكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقديكون للندب كالاكل مع الضيف وقديكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله طيب ولايقبل ألا الطيب وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك * قوله أشعث أغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن أكل المستلذ من المطاعم فأباح الله تعالى لهم ذلك ﴿ واشكروا لله ﴾ يعنى على نعمه ﴿ أن كنتم أياه تعبدون ﴾ أى اشكروا الله الذى رزقكم هذه النعم أن كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه ألهكم لاغيره وقيل أن كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها * قوله عز وجل ﴿ أنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ لما أمرنا الله تعالى فى الآية التى تقدمت بأكل الطيبات التى هى الحلالات بين فى هذه الآية أنواعا من المحرمات أما الميتة فكل ما فارقته روحه من غير ذكاة مما يذبح وأما الدم فهو الجارى وكانت العرب تجعل الدم فى المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم الله الدم وأما الخنزير فأنه أراد بلحمه جميع أجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل ﴿ وماأهل به لغير الله ﴾ يعنى وماذبح للاصنام والطواغيت وأصل

فقال (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات) من حلالات (مارزقناكم) أعطيناكم من الحرث والانعام (واشكروا لله) بذلك (أن كنتم) اذ كنتم (أياه تعبدون) ويقال ان كنتم تريدون بتحريمها عبادته فلاتحرموها فأن عبادة الله فى تحليلها ثم بين ماحرم عليهم فقال (أنما حرم عليكم الميتة) التى أمر بذبحها (والدم) دم المسفوح (ولحم الخنزير وماأهل به لغير الله) ماذبح لغير اسم الله عمدا للاصنام ﴿ الاهلال ﴾

ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤى سمى ذلك أهلالاثم قيل لرفع الصوت وان كان بغيره ﴿ فمن اضطر غير باغ ﴾ بالاستئثار على مضطر آخر *وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة بكسر النون ﴿ ولا عاد ﴾ سد الرمق أوالجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولاعاد بقطع الطريق فعلى هذا لايباح للعاصى بالسفر وهوظاهر مذهب الشافعى وقول أحمد رحمهما الله تعالى ﴿ فلا أثم عليه ﴾ فى تناوله ﴿ أن الله غفور ﴾ لما فعل ﴿ رحيم ﴾ بالرخصة فيه* فأن قيل انما تفيدقصر الحكم على ماذكروكم من حرام لم يذكر *قلت المراد قصر الحرمة على ماذكر مما استحلوه لامطلقا أوقصر حرمته

الاهلال رفع الصوت وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية ﴿ فمن اضطر ﴾ يعنى الى أكل الميتة وأحوج اليها ﴿ غير باغ ﴾ أصل البغى الفساد ﴿ ولاعاد ﴾ أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد ﴿ فلاأثم عليه ﴾أى فأكل فلا أثم عليه أى فلاحرج فى أكلها ﴿ أن الله غفور ﴾ أى لما أكله فى حال الضرورة ﴿ رحيم ﴾ يعنى حيث رخص لعباده فى ذلك

فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل

﴿الاولى فى حكم الميتة﴾أجمعت الامة على تحريم أكل الميتة وأنها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد*أما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه الجماعة غير البخارى ومسلم قال الترمذى فيه حديث حسن صحيح*وأما الجراد فلما روى عن ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أوستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه أخرجاه فى الصحيحين*واختلف فى السمك الميت الطافى على الماء فقال مالك والشافعى لابأس به وقال أبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح بن جنى انه مكروه وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه أنه قال ماطفا من صيد البحر فلاتأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم مثله وروى عن أبى بكر الصديق وأبى أيوب رضى الله عنهما اباحته *واختلف فى الجراد فقال الشافعى وأبو حنيفة لابأس بأكل الجراد كله ماأخذته وما وجدته ميتا وروى مالك أن ماوجد ميتا فلا يحل وماأخذ حيا يذكى ذكاة مثله بأن يقطع رأسه ويشوى فأن غفل عنه حتى يموت فلا يحل

المسئلة الثانية فى حكم الدم

اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لايؤكل ولاينتفع به قال الشافعى تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا أوغير مسفوح وقال أبو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس أبيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطنى عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد=

وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعنى النون والضاد ويضمها غيرهم لضمة الطاء (غير) حال أى فأكل غير (باغ) للذة وشهوة (ولاعاد) متعد مقدار الحاجة وقول من قال غير باغ على الامام ولاعاد فى سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة لايبيح بلاضرورة والحبس بالحضر يبيح بلا سفر ولان بغيه لايخرج عن الايمان فلا يستحق الحرمان والمضطر يباح له قدر مايقع به القوام وتبقى معه الحياة دون مافيه حصول الشبع لان الاباحة للاضطرار فيقدر بقدر ماتندفع الضرورة (فلا أثم عليه) فى الاكل (أن الله غفور) للذنوب الكبائر فأنى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار (رحيم) حيث رخص ونزل فى رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبى عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا

(فمن اضطر) أجهد الى أكل الميتة (غير باغ) غير خارج ولا مستحل (ولا عاد) يقول ولا قاطع الطريق ولا متعمد لاكلها بغير الضرورة (فلاثم عليه) فلاحرج عليه بأكل الميتة عند الضرورة شبعا ولايتزود منها شيأ (ان الله غفور) بأكله فوق القوت (رحيم) حين رخص له

= ومن الدم الكبد والطحال،وفى لفظ آخر أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل قال أحمد وعلى بن المدينى عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قوى ثقة وقد أخرج الدار قطنى هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا وضعف أبو بكر بن العربى هذا الحديث وقال يروى عن ابن عمر ولا يصح سنده وقال البيهقى يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الموقوف واختلف فى تخصيص هذا العموم فى الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذى لا يفتقر الى برهان وقال الشافعى هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم

المسئلة الثالثة فى الخنزير

أجمعت الامة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا فى نجاسته فقال جمهور العلماء أنه نجس وقال مالك أنه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هى الحياة وللشافعى قولان فى ولوغ الخنزير الجديد أنه كالكلب والقديم يكفى فى ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما أن التغليظ فى الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل أن التغليظ فى الكلب تعبدى لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره

المسئلة الرابعة فى حكم قوله وما أهل به لغير الله

من الناس من زعم أن المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان التى كانوا يذبحونها لاصنامهم وأجاز ذبيحة النصارى اذا سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبى وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعى وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه أنهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فأن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون

المسئلة الخامسة فى حكم المضطر

المضطر هو المكلف بالشئ الملجأ اليه المكره عليه والمراد بالمضطر فى قوله فمن اضطر أى خاف التلف حتى قيل من اضطر الى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام أما باكراه أو بجوع فى مخمصة أو بفقر لا يجد شيأ البتة فأن التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء فى قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فأما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه وأما المخمصة فلا يخلو أن كانت دائمة فلا خلاف فى جواز الشبع منها وأن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعى قولان أحدهما أنه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة والثانى يأكل قدر الشبع وبه قال مالك

المسئلة السادسة فى قوله غير باغ ولا عاد

(قال)

على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء مالم تضطروا اليها ﴿ أن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ﴾ عوضا حقيرا ﴿ أولئك ما يأكلون في بطونهم ألا النار ﴾ أما في الحال لانهم أكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار كقوله

أكلت دما أن لم أرعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

يعني الدية أوفي المآل أي لا يأكلون يوم القيامة ألا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه كقوله

كلوا في بعض بطنكمو تعفوا * فأن زمانكم زمن خميص

﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ﴿ ولا يزكيهم ﴾ لا يثنى

قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أي معتد يعني العاصي بسفره بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لان أباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى أن البغي والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطروان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ أي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد أي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها * قوله عز وجل ﴿ أن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك أنهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله أن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب أي في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لانه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى أن الذين يكتمون معاني ما أنزل الله من الكتاب ﴿ ويشترون به ﴾ أي بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما أنزل الله من الكتاب ﴿ ثمنا قليلا ﴾ أي عوضا يسيرا وهي المآكل التي كانوا يأخذونها من سفلتهم ﴿ أولئك ما يأكلون في بطونهم ألا النار ﴾ يعني ما يؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضي بهم ذلك الى النار فكأنهم أكلوها ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ أي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه ﴿ ولا يزكيهم ﴾ أي ولا يطهرهم من دنس الذنوب

محمد عليه الصلاة والسلام (ويشترون به ثمنا قليلا) أي أي عوضا أو ذا ثمن (أولئك ما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم تقول أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه (ألا النار) لانه اذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم اذا أكل الدية التي هي بدل منه قال * يأكلن كل ليلة اكافا * أي ثمن اكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمناله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (ولا يزكيهم) ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم أو لا يثنى

أكل الميتة (أن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) ما بين الله في التوراة من صفة محمد ونعته (ويشترون به) بكتمانه (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا نزلت في كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وحدى بن اخطب (أولئك ما يأكلون) ما يدخلون (في بطونهم ألا النار) الا الحرام ويقال الاما يكون نارا في بطونهم يوم القيامة (ولا يكلمهم الله) بكلام طيب (يوم القيامة ولا يزكيهم) ولا يبرئهم من الذنوب ويقال ولا يثنى عليهم ثناء حسنا

عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم لحرف النفي مع الفعل خبر أولئك وأولئك مع خبره خبر أن والجمل الثلاث معطوفة على خبر أن فقد صار لان أربعة أخبار من الجمل (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) بكتمان نعت محمد عليه الصلاة والسلام (فما أصبرهم على النار) فأى شئ أصبرهم على عمل يؤدى الى النار وهذا استفهام معناه التوبيخ (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل مانزل من الكتب بالحق

(وأن الذين اختلفوا) أى أهل الكتاب (فى الكتاب) هو للجنس أى فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل (لفى شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لفى شقاق بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا) أى ليس البر توليتكم (وجوهكم قبل المشرق والمغرب) والخطاب لاهل الكتاب لان قبلة النصارى

﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم ﴿اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ فى الدنيا ﴿والعذاب بالمغفرة﴾ فى الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية ﴿فما أصبرهم على النار﴾ تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر ذاناب أو استفهامية ومابعدها الخبر أو موصولة ومابعدها صلة والخبر محذوف ﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق﴾ أى ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان ﴿وأن الذين اختلفوا فى الكتاب﴾ اللام فيه أما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض أو للعهد والاشارة أما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها أو خلفوا خلاف ماأنزل الله تعالى مكانه أى حرفوا مافيها وأما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الاولين ﴿لفى شقاق بعيد﴾ لفى خلاف بعيد عن الحق ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب فأنهم أكثروا الخوض فى أمر القبلة حين

﴿ولهم عذاب أليم﴾ أى وجيع يصل ألمه الى قلوبهم ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة﴾ معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكان فى اظهاره الهدى والمغفرة وفى كتمانه الضلالة والعذاب فلما أقدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب ﴿فما أصبرهم على النار﴾ أى ما الذى صبرهم وأى شئ جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل أنه بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما أقدموا على مايوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما أصبرهم على النار ﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب﴾ يعنى ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب ﴿بالحق﴾ فكفروا به وأنكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله أنزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة ﴿وأن الذين اختلفوا فى الكتاب﴾ يعنى اختلفوا فى معانيه وتأويله فحرفوها وبدلوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لفى شقاق﴾ أى خلاف ومنازعة ﴿بعيد﴾ يعنى عن الحق * قوله عز وجل ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلى قبل المشرق واليهود قبل

(ولهم عذاب أليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) الكفر بالايمان (والعذاب بالمغفرة) اليهودية بالاسلام ويقال اختاروا ماتجب به النار على ماتجب به الجنة (فما أصبرهم على النار) يقول فما أجرأهم على النار ويقال فما الذى أجرأهم على النار ويقال فما أعملهم بعمل أهل النار (ذلك) العذاب (بأن الله نزل الكتاب) أى نزل جبرائيل بالقرآن والتوراة (بالحق) بتبيان الحق والباطل فكفروا به (وأن الذين اختلفوا فى الكتاب) خالفوا مافى الكتاب من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وكتموا (لفى شقاق بعيد) لفى خلاف بعيد عن الهدى (ليس البر) كل البر ويقال ليس البر ليس الايمان (أن تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق) نحو الكعبة (والمغرب)

﴿المغرب﴾

حولت وادعى كل طائفة أن البر هوالتوجه الى قبلته فردالله تعالى عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فأنه منسوخ ولكن البر ما بينه الله واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين أى ليس البر مقصورا بأمر القبلة أوليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره أمرها *وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ أى ولكن البر الذى ينبغى أن يهتم به بر من آمن بالله أولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول أوفق وأحسن والمراد بالكتاب الجنس اوالقرآن *وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ أى على حب المال كما قال عليه الصلاة والسلام لما سئل أى الصدقة أفضل قال أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل

المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر فى ذلك فأخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه فى هذه الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما وهو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان فى ابتداء الاسلام اذا أتى بالشهادتين وصلى الى أى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم أى فى صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك ﴿ ولكن البر ﴾ يعنى ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البر فقال تعالى ﴿ من آمن بالله ﴾ أى ولكن البر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله ﴿ واليوم الآخر ﴾ وانما ذكر الايمان باليوم الآخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت ﴿ والملائكة ﴾ أى ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا أن جبريل عدونا ﴿ والكتاب ﴾ قيل اراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله ﴿ والنبيين ﴾ يعنى أجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ يعنى من أعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى الصدقة أعظم أجرا قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان *قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعنى الروح وأن لم يتقدم لها ذكر *وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له *وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير فى حبه راجع الى الله تعالى أى وآتى المال على حب الله وطلب

حذف المضاف والاول أجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضى وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب فى أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على أنه خبر ليس واسمه أن تولوا حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامى وعن المبرد لوكنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر وقرئ ولكن البار (واليوم الآخر) أى يوم البعث (والملائكة والكتاب) أى جنس كتب الله أو القرآن (والنبيين وآتى المال على حبه) أى على حب الله أو حب المال أو حب الايتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس

نحو بيت المقدس (ولكن البر) الايمان هو اقرار (من آمن بالله) ويقال ليس البر البار ولكن البر البار يعنى المؤمن من آمن بالله (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت (والملائكة) بجملة الملائكة (والكتاب) بجملة الكتاب (والنبيين) بجملة النبيين *ثم ذكر الواجبات بعد الايمان فقال (وآتى المال على حبه) يقول البر بعد الايمان أعطاء المال على حبه

الضمير لله أو للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ﴿ ذوى القربى واليتامى ﴾ يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم أفضل كما قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة ﴿ والمساكين ﴾ جمع المسكين وهو الذى اسكنته الخلة وأصله الدائم السكون كالمسكير للدائم السكر ﴿ وابن السبيل ﴾ المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به ﴿ والسائلين ﴾ الذين ألجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه الصلاة والسلام للسائل حق وأن جاء على فرسه ﴿ وفى الرقاب ﴾ وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين أو فك الاسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها ﴿ وأقام الصلوة ﴾ المفروضة ﴿ وآتى الزكوة ﴾ يحتمل أن يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثانى أداؤها والحث عليها ويحتمل أن يكون المراد بالاول نوافل الصدقات أو حقوقا كانت فى المال سوى

مرضاته ﴿ ذوى القربى ﴾ يعنى أهل قرابة المعطى وانما قدمهم لانهم أحق بالاعطاء ❁ عن سلمان بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة أخرجه النسائى (ق) أن ميمونة رضى الله عنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله أنى أعتقت وليدتى قال أوقد فعلت قالت نعم قال أما أنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك ❁ الوليدة الجارية ﴿ واليتامى ﴾ اليتيم هو الذى لا أب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ أى وآتى الفقراء من اليتامى ﴿ والمساكين ﴾ جمع مسكين سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شئ له ﴿ وابن السبيل ﴾ يعنى المسافر المنقطع عن أهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول أشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر ﴿ والسائلين ﴾ يعنى الطالبين المستطعمين ❁ عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس أخرجه أبو داود ❁ عن زيد بن أسلم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك فى الموطأ ❁ عن أم بجيد رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله أن المسكين ليقوم على بابى فلم أجد شيأ أعطيه أياه قال ان لم تجدى الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح ❁ وفى رواية مالك فى الموطأ عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق ❁ قوله ردوا المسكين لم يرد به ردا لحرمان وانما أراد به ردوه بشئ تعطونه أياه ولو كان ظلفا وهو للشاة وفى كونه محرقا مبالغة فى قلة ما يعطى ﴿ وفى الرقاب ﴾ يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الاسارى ﴿ وأقام الصلوة ﴾ يعنى المفروضة فى أوقاتها ﴿ وآتى الزكوة ﴾ يعنى الواجبة

﴿ والموفون ﴾

بأعطائه (ذوى القربى) أى القرابة وقدمهم لانهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك صدقة وصلة (واليتامى) والمراد الفقراء من ذوى القربى واليتامى وانما أطلق لعدم الالباس (والمساكين) المسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وهو جنس وان كان مفردا لفظا وجعل ابنا للسبيل لملازمته له أو الضيف (والسائلين) المستطعمين (وفى الرقاب) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم أو فى فك الاسارى (وأقام الصلوة) المكتوبة (وآتى الزكوة) المفروضة قيل هو تأكيد للاول وقيل المراد بالاول نوافل الصدقات

على قلته وشهوته (ذوى القربى) ذا القرابة فى الرحم (واليتامى) يتامى المؤمنين (والمساكين) المستعففين (وابن السبيل) مار الطريق الضيف النازل (والسائلين) الذين يسألون مالك (وفى الرقاب) المكاتبين والغزاة ❁ ثم ذكر الشرائع بعد الواجبات فقال (وأقام الصلوة) يقول البر بعد الواجبات اتمام الصلوات الخمس (وآتى الزكوة) أعطى الزكاة

الزكاة وفى الحديث نسخت الزكاة كل صدقة ﴿ والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ﴾ عطف على من آمن ﴿ والصابرين فى البأساء والضراء ﴾ نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض ﴿ وحين البأس ﴾ وقت مجاهدة العدو ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ فى الدين واتباع الحق وطلب البر ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾ عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحا أوضمنا فأنها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير الى الاول بقوله من آمن بالله الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله وأقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى

﴿ والموفون بعهدهم ﴾ يعنى ما أخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل أراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذى كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الامانات ﴿ اذا عاهدوا ﴾ يعنى اذا وعدوا أنجزوا واذا نذروا أوفوا واذا حلفوا بروا فى أيمانهم واذا قالوا صدقوا فى أقوالهم واذا ائتمنوا أدوا ﴿ والصابرين فى البأساء ﴾ أى فى الشدة والفقر والفاقة ﴿ والضراء ﴾ يعنى المرض والزمانة ﴿ وحين البأس ﴾ يعنى القتال والحرب فى سبيل الله وسمى الحرب بأسا لما فيه من الشدة (ق) عن البراء رضى الله عنه قال كنا والله اذا أحمر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم *قوله أحمر البأس أى اشتد الحرب ونتقى به أى نجعله وقاية لنا من العدو ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ أى أهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا فى ايمانهم ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾ *قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ﴾ نزلت فى حيين من أحياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر وأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات أولئك فرفعوا أمرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون فى الحكمين

والمبار (والموفون) عطف على من آمن (بعهدهم اذا عاهدوا) الله أو الناس (والصابرين) نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال (فى البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (وحين البأس) وقت القتال (أولئك الذين صدقوا) أى أهل هذه الصفة هم الذين صدقوا فى الدين (وأولئك هم المتقون) روى انه كان بين حيين من أحياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم القصاص) وهو عبارة عن المساواة وأصله من قص أثره واقتصه اذا اتبعه ومنه القاص لانه يتبع الآثار والاخبار (فى القتلى)

ومايشبه ذلك (والموفون بعهدهم) المتمون عهدهم فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس (اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء) يعنى الخوف والبلايا والشدائد (والضراء) الامراض والاوجاع والجوع (وحين البأس) عند القتال (أولئك الذين صدقوا) وفوا (وأولئك هم المتقون) عن نقض العهود (يا أيها الذين (قا وخا ٣٢ ل) آمنوا كتب) فرض (عليكم القصاص) القود (فى القتلى

الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ﴾ كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وأمرهم ان يتباوؤا ولاتدل على ان لايقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لاتدل على عكسه فأن المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رضى الله تعالى عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أو عبد غيره لما روى عن على رضى الله تعالى عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة أن لايقتل مسلم بذى عهد ولاحر بعبد ولان أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما كانا لايقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه * وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص

فأن وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ويأخذون دية الشريف أضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم أي فرض عليكم القصاص في القتلى * فأن قلت كيف يكون القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية * قلت ان القصاص فرض على القاتل للولى لا على الولى وقيل اذا أردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الأثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا أو خنقه أو شدخ رأسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذين قتل به وهو قول مالك والشافعي وأحدى الروايتين عن أحمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة رضى الله عنه والرواية الثانية عن أحمد ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ﴾ ومعناه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الاحرار من المعاهدين أو العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمى بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال سألت عليا رضى الله عنه هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن قال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ألا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفك الاسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر وقد أخرج مسلم عن على رضى الله عنه نحو هذا من غير رواية أبي جحيفة * العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين يعقلون * عن أبن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد أخرجه

جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى (الحر بالحر) مبتدأ وخبر أي الحر مأخوذ أو مقتول بالحر (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) وقال الشافعي رحمه الله لايقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجرى القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى أن النفس بالنفس كما بين الذكر والانثى وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وبأن تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا على ورود دليل

الحر بالحر) عمدا (والعبد بالعبد) عمدا (والانثى بالانثى) عمدا نزلت في حيين من العرب وهى منسوخة بقوله النفس

آخر وقدورد كما بينا (فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف واداء اليه بأحسان) قالوا العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا صفحت عنه واعرضت عن ان تعاقبه وهو يتعدى بعن الى الجانى والى الجناية ثم عفونا عنكم ويعفو عن السيآت واذا اجتمعا عدى الى الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفى له أى من ترك له القتل بالدية وقال الازهرى

﴿٢٥١﴾ العفو فى اللغة الفضل {سورة البقرة} ومنه يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ويقال عفوت لفلان بمال اذا أفضلت له وأعطيته وعفوت له عن مالى عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفى له من جهة أخيه شئ من العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما فى سير بزيد بعض السير والاخ ولى المقتول وذكر بلفظ الاخوة بعثاله على العطف لما بينهما من الجنسية والاسلام ومن هو القاتل المفعوله عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه وقيل أقيم له مقام عنه والضمير فى له وأخيه لمن وفى اليه للاخ أو للمتبع الدال عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جميلة وليؤد اليه المطلوب أى القاتل بدل الدم اداء بأحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه وانما قيل شئ من العفو ليعلم انه اذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ومن فسر

بالنصب وكذا كل فعل جاء فى القرآن ﴿فمن عفى له من أخيه شئ﴾ أى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بأن بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذلم يثبت عفا الشئ بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدى بعن الى الجانى والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فأذا عدى به الى الذنب عدى الى الجانى باللام وعليه ما فى الآية كأنه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة أخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابته بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه ﴿فاتباع بالمعروف وأداء اليه بأحسان﴾ أى فليكن اتباع أو فالامر اتباع والمراد به وصية العافى بأن يطالب الدية بالمعروف

الترمذى وذهب أصحاب الرأى الى أن المسلم يقتل بالذمى والحر بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعى ومن وافقه ويقولون هى مفسرة لما أبهم فى قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بنى اسرائيل فى التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأى الى أن هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ماروى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنه ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم به قال البخارى وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه ان أربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك فى الموطأ عن ابن المسيب ان عمر رضى الله عنه قتل نفرا خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا * الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير أن يعلم ما يراد به * وقوله لو تمالأ أى تعاونوا واجتمعوا عليه * قوله عز وجل ﴿فمن عفى له من أخيه شئ﴾ أى ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص فى قتل العمد ورضى بالدية أو العفو عنها أو قبول الدية فى قتل العمد من أخيه أى من دم أخيه وأراد بالاخ ولى المقتول وانما قيل له أخ لانه لابسه من قبل انه ولى الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية وأخوة الاسلام وفى قوله شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيأ من الدم قد بطل ﴿فاتباع بالمعروف﴾ أى فليتبع الولى القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا يعنفه ﴿وأداء اليه بأحسان﴾ أى على القاتل أداء الدية الى ولى الدم من غير مماطلة أمر كل واحد منهما بالاحسان فيماله وعليه وقيل فى تقدير

عفى بترك جعل شئ مفعولا به وكذا من فسره بأعطى يعنى

بالنفس (فمن عفى له من أخيه شئ) يقول من ترك له من حق أخيه شى يعنى القتل أى عفى القتل وأخذ الدية (فاتباع بالمعروف) أمر الطالب ان يطلب منه بالمعروف فى ثلاث سنين ان كان دية تامة وان كان ثلثى الدية أو نصفا ففى سنتين وان كان ثلثها ففى عامه ذلك (وأداء اليه) أمر المطلوب ان يؤدى الى أولياء المقتول حقهم (بأحسان) بغير تقاض

أن الولى اذا أعطى له شئ من مال أخيه يعنى القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل اليه بلا تسويف وارتفاع اتباع بأنه خبر مبتدأ مضمر أى فالواجب اتباع (ذلك) الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية (تخفيف من ربكم ورحمة) فأنه كان فى التوراة القتل لا غير وفى الانجيل العفو بغير بدل لا غير وأبيح لنا

القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا والآية تدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة (فمن اعتدى بعد ذلك) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الالم فى الآخرة (ولكم فى القصاص حيوة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفى تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لان المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأى حياة أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص (انه)

فلا يعنف والمعفو عنه بأن يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية أحد مقتضي العمد والا لما رتب الامر بأدائها على مطلق العفو وللشافعى رضى الله تعالى عنه فى المسئلة قولا ﴿ذلك﴾ أى الحكم المذكور فى العفو والدية ﴿تخفيف من ربكم ورحمة﴾ لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ قتل بعد العفو وأخذ الدية ﴿فله عذاب أليم﴾ فى الآخرة وقيل فى الدنيا بأن يقتل لا محالة لقوله عليه الصلاة والسلام لا أعافى أحدا قتل بعد أخذه الدية ﴿ولكم فى القصاص حيوة﴾ كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل

الآية واذا عفا ولى الدم عن شئ يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولى الدم بأحسان من غير مطل ولا مدافعة وفى الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن * ووجه ذلك من وجوه * الاول أن الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن * الوجه الثانى أنه تعالى أثبت الاخوة بين القاتل وولى الدم بقوله فمن عفى له من أخيه شئ وأراد بالاخوة أخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة * والوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق ألا عن المؤمن لا عن الكافر * قوله عز وجل ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ يعنى الذى ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم يعنى فى حقكم ورحمة وذلك لان العفو وأخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما فى التوراة وكان فى شرع النصارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص وأخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص أو العفو وأخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ يعنى بعد هذا التخفيف فقتل الجانى بعد العفو أو قبول الدية ﴿فله عذاب أليم﴾ وهو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة * قوله عز وجل ﴿ولكم فى القصاص حيوة﴾ أى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم

وتعب (ذلك) العفو (تخفيف) تهوين (من ربكم ورحمة) للقاتل من القتل (فمن اعتدى بعد ذلك) بعد أخذ الدية واعتداؤه أن يأخذ الدية ويقتل أيضا (فله عذاب أليم) يقتل ولا يعفى عنه ولا يؤخذ منه الدية (ولكم فى القصاص حيوة) بقاء

والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فأذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحياة الاخروية فأن القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الآخرة ولكم فى القصاص حياة يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون أحدهما خبرا والآخر صلة له أو حالا من الضمير المستكن فيه * وقرئ فى القصص أى فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو فى القرآن حياة للقلوب ﴿ياأولى الالباب﴾ ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس ﴿لعلكم تتقون﴾ فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له أو عن القصاص فتكفوا عن القتل ﴿كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت﴾ أى حضر اسبابه وظهرت اماراته ﴿أن ترك خيرا﴾ أى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله تعالى عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله تعالى أن ترك خيرا فأن هذا لشئ يسير فاتركه لعيالك

انه اذا قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل * واعلم أن هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذى هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما أفضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل فى معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فأنه اذا اقتص منه فى الدنيا لم يقتص منه فى الآخرة وفى ذلك حياته واذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى الآخرة ﴿ياأولى الالباب﴾ أى ياذوى العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره ﴿لعلكم تتقون﴾ يعنى لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص * قوله عزوجل ﴿كتب﴾ أى فرض وأوجب ﴿عليكم اذا حضر أحدكم الموت﴾ أى قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه فى ذلك الوقت يعجز عن الايصاء ﴿أن ترك خيرا﴾ يعنى مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهرى فتجب الوصية فى الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق ألا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا فى مقدار الكثير الذى تقع فيه الوصية فقيل ألف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى ألف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال روى ان رجلا قال لعائشة رضى الله عنها انى أريد أن أوصى فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شئ يسير فاتركه

سبب حياة نفسين (ياأولى الالباب) ياذوى العقول (لعلكم تتقون) القتل حذرا من القصاص (كتب) فرض (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أى اذا دنا منه فظهرت أماراته (أن ترك خيرا) مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له أراد ان يوصى وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب

وعبرة (ياأولى الباب) ذوى العقول من الناس (لعلكم تتقون) لكى تتقوا قتل بعضكم بعضا مخافة القصاص (كتب عليكم) فرض عليكم (اذا حضر أحدكم الموت) عند الموت (أن ترك خيرا) مالا

﴿الوصية للوالدين والاقربين﴾ مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل أو على تأويل ان يوصى أو الايصاء ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله والعامل فى اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله

«من يفعل الحسنات الله يشكرها» * والشر بالشر عندالله سيان

وردبأنه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه الصلاة والسلام ان الله أعطى كل ذى حق حقه ألا لاوصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لاتعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقى الامة له بالقبول لايلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله

لعيالك ﴿الوصية﴾ أى الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هى القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت ﴿للوالدين والاقربين﴾ كانت الوصية فى ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان أهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فأوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث وبما روى عن عمرو بن خارجة رضى الله عنه قال كنت آخذا بزمام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه النسائى وللترمذى نحوه وذهب ابن عباس رضى الله عنهما الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق من يرث وبقى وجوبها فى حق من لايرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب فى حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذى لايرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق الكافة وهى مستحبة فى حق من لايرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماحق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد أن يوصى به ان يبيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليال ألا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يقول مامرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك ألا ووصيتى مكتوبة عندى أخرجه الجماعة وقوله ماحق امرئ الحق يشتمل معناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث فى الوصية لانه لايدرى متى يأتيه الموت فربما أتاه بغتة فيمنعه عن الوصية * قوله

(الوصية للوالدين والاقربين) وكانت الوصية للوارث فى بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه فى شرح المنار وقيل هى غير منسوخة لانها نزلت فى حق من ليس بوارث بسبب الكفر لانهم كانوا حديثى عهد بالاسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرابته والاسلام قطع الارث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا الايراد بكتب

(الوصية للوالدين والاقربين)

فرض (بالمعروف) بالعدل وهو ان لايوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا (على المتقين) على الذين يتقون الشرك

(فمن بدله) فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود (بعدما سمعه) أى الايصاء (فأنما اثمه على الذين يبدلونه) فاثم التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لانهما بريئان من الحيف (أن الله سميع) لقول الموصى (عليم) بجور المبدل (فمن خاف) علم وهذا شائع فى كلامهم يقولون أخاف ان لا ترسل السماء ويريدون الظن الغالب الجارى مجرى العلم (من موص) موص كوفى غير حفص (جنفا) ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (أو اثما) تعمدا للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون بأجرائهم على طريق الشرع

يوصيكم الله أو بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى به الله عليهم ﴿بالمعروف﴾ بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث ﴿حقا على المتقين﴾ مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا ﴿فمن بدله﴾ غيره من الاوصياء والشهود ﴿بعدما سمعه﴾ أى وصل اليه وتحقق عنده ﴿فأنما اثمه على الذين يبدلونه﴾ فما اثم الايصاء المغير أو التبديل الا على مبدله لانه هو الذى حاف وخالف الشرع ﴿أن الله سميع عليم﴾ وعيد للمبدل بغير حق ﴿فمن خاف من موص﴾ أى توقع وعلم من قولهم أخاف ان ترسل السماء * وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وأبو بكر موص مشددا ﴿جنفا﴾ ميلا بالخطأ فى الوصية ﴿أو اثما﴾ تعمدا للجنف ﴿فأصلح بينهم﴾ بين الموصى لهم بأجرائهم على نهج الشرع

عز وجل ﴿بالمعروف﴾ أى بالعدل الذى لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصى للغنى ويدع الفقير (ق) عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتدبى فقلت يارسول الله انى قد بلغ بى من الوجع ماترى وأنا ذومال ولا يرثنى ألا ابنة لى أفأتصدق بثلثى مالى قال لا قلت فالشطر يارسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير أو قال والثلث كبير انك ان تذر ذريتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس *العالة الفقراء* وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كأنه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى الوصية لوان الناس غضوا من الثلث الى الربع فأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه لان أوصى بالخمس أحب الى من ان أوصى بالربع ولان أوصى بالربع أحب الى من ان أوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس أو بالخمس أو الربع ﴿حقا﴾ أى ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب ﴿على المتقين﴾ أى على المؤمنين الذين يتقون الشرك ﴿فمن بدله﴾ أى غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون أما فى الكتابة أو فى قسمة الحقوق او الشهود بأن يكتموا الشهادة أو يغيروها وانما ذكر الكناية فى بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة أى وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت أوما أوصى به ﴿بعدما سمعه﴾ أى من الموصى وتحققه ﴿فأنما اثمه على الذين يبدلونه﴾ أى ان اثم ذلك التبديل لايعود ألا على المبدل والموصى والموصى له بريئان منه ﴿أن الله سميع﴾ يعنى لما أوصى به الموصى ﴿عليم﴾ يعنى بتبديل المبدل ﴿فمن خاف﴾ أى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين ﴿من موص جنفا﴾ يعنى جورا فى الوصية وعدولا عن الحق * والجنف الميل ﴿أو اثما﴾ أى ظلما ﴿فأصلح بينهم﴾ وقيل الجنف الخطأ فى الوصية والاثم العمد وقيل فى معنى الآية انه اذا حضر رجل

(بالمعروف) للوالدين افضل واكثر (حقا على المتقين) الموحدين وهذه الآية منسوخة بآية المواريث (فمن بدله) غير وصية الميت (بعد ما سمعه فأنما اثمه) وزره (على الذين يبدلونه) يغيرونه ونجا الميت منه (أن الله سميع) لوصية الميت ومقالته (عليم) ان جار أو عدل ويقال عليم بفعل الوصى فكانوا ينفذون الوصية كما كانت وان جار مخافة الوزر حتى نزل قوله (فمن خاف من موص) علم من الميت (جنفا) ميلا وخطأ (أو اثما) عمدا فى الجنف (فأصلح بينهم) بين الورثة وبين الموصى له أى رده الى الثلث والعدل (فلا اثم عليه) فلاحرج عليه فى رده

﴿فلا أثم عليه﴾ فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ﴿أن الله غفور رحيم﴾ وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس مايؤثم ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ يعنى الانبياء والامم من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس* والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفى الشرع الامساك عن المفطرات بياض

مريضا وهو يوصى فرآه يميل فى وصيته أما بتقصير أو اسراف أو وضع الوصية فى غير موضعها فلاحرج عليه ان يأمره بالعدل فى وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه اراد به اذا أخطأ الميت فى وصيته أو حاف متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولى أمور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق ﴿ فلا اثم عليه ﴾ أى فلاحرج عليه فى الصلح ﴿ أن الله غفور رحيم ﴾ أى لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل * عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أودين الى قوله ذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذى* قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة فى الوصية أن لاتمضى أو ينقص بعضها أو يوصى لغير اهلها أو يحيف فى الوصية ونحو ذلك * قوله عز وجل ﴿ يأيها الذين آمنوا كتب ﴾ أى فرض ﴿ عليكم الصيام ﴾ والصوم فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا لانه امساك عن الكلام* والصوم فى الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع فى وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ يعنى من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة أى فى الزمن الاول ماأخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه أن هو برأ من وجعه أن يزيد فى صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ماشأن هذه الثلاثة أيام أتموه خمسين يوما فاتموه وقيل أصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل أن النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا

يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لايؤثم وقيل هذا فى حال حياة الموصى أى فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا اثم على هذا الموصى بما قال أولا (أن الله غفور رحيم يأيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان (كما كتب) أى كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف (على الذين من قبلكم) على الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار ان كل أحد له صوم أيام أى أنتم متعبدون بالصيام فى أيام كما تعبد من كان قبلكم

(أن الله غفور) للميت ان جاروا أخطأ (رحيم) بفعل الموصى ويقال غفور للوصى رحيم حين رخص عليه الرد الى الثلث والعدل (يأيها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم الصيام كما كتب) فرض (على الذين من قبلكم) بالعدد و يقال كتب عليكم الصيام فرض عليكم الصيام بترك الاكل والشرب والجماع بعد صلاة العتمة أو النوم قبل صلاة العتمة كما كتب فرض على الذين من قبلكم من

(لعلكم تتقون) المعاصي بالصيام لان الصيام أظلف لنفسه {سورة البقرة} وأردع لها من مواقعة السوء أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين اذ الصوم شعارهم وانتصاب (أياما) بالصيام أي كتب عليكم ان تصوموا أياما (معدودات) موقتات بعدد معلوم أي قلائل وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير (فمن كان منكم مريضا) يخاف من الصوم زيادة المرض (أو على سفر) أو راكب سفر (فعدة) فعليه عدة أي فأفطر فعليه صيام عدد أيام فطره والعدة بمعنى المعدود أي أمر أن يصوم أياما معدودة مكانها (من أيام أخر) سوى أيام مرضه وسفره وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الالف واللام لان الاصل في فعلى صفة ان تستعمل في الجمع بالالف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر

النهار فأنها معظم ماتشتهيه النفس ﴿ لعلكم تتقون ﴾ المعاصي فأن الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فأن الصوم له وجاء أو الاخلال بأدائه لاصالته وقدمه ﴿ أياما معدودات ﴾ موقتات بعدد معلوم أو قلائل فأن القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان أو ماوجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء أو ثلاثة أيام من كل شهر أو بكما كتب على الظرفية أو على أنه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لماروى أن رمضان كتب على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم ﴿ فمن كان منكم مريضا ﴾ مرضا يضره الصوم ويعسر معه ﴿ أو على سفر ﴾ أو راكب سفر وفيه أيماء الى أن من سافر أثناء اليوم لم يفطر ﴿ فعدة من أيام أخر ﴾ أي فعليه صوم عدة أيام المرض أو السفر من أيام أخر أن أفطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب أي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه

قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك ﴿ لعلكم تتقون ﴾ يعني ماحرم عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون مافعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم ﴿ أياما معدودات ﴾ أي مقدرات وقيل قليلات قيل أنه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس رضي الله عنهما أول مانسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل أن المراد من قوله أياما معدودات أيام شهر رمضان ووجهه أن الله تعالى قال أولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله معدودات على أنها أكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فأذا أمكن ذلك فالاوجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة ﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر ﴾ أي فافطر ﴿ ف ﴾ عليه ﴿ عدة من أيام أخر ﴾ يعني غير أيام مرضه وسفره

أهل الكتاب (لعلكم تتقون) لكي تتقوا الاكل والشرب والجماع بعد صلاة العشاء أو النوم قبل صلاة العشاء وهذا منسوخ بقوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث وبقوله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض (أياما معدودات) ثلاثين يوما مقدم ومؤخر (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) فليصم من أيام أخر بقدر ما أفطر من رمضان

﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ وعلى المطيقين للصيام أن أفطروا ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم فى ذلك فى أول الامر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ * وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين * وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين * وقرئ يطوقونه أى يكلفونه أو يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة ويتطوقونه أى يتكلفونه أو يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على أن أصلهما يطوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراآت تحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد أول به القراءة المشهورة أى يصومونه جهدهم وطاقتهم

﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ أى يطيقون الصوم واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فذهب أكثرهم الى أنها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع رضى الله عنهما وغيرهما وذلك أنهم كانوا فى ابتداء الاسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر ويفتدى فعل حتى نزلت هذه الآية التى بعدها فنسختها * وفى رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هى خاصة فى حق الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفتدى ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا فى المريض الذى يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين أن يفطر ويفتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس رضى الله عنهما الى أن الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس رضى الله عنهما ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ الفدية الجزاء وهو القدر الذى يبذله الانسان يقى به نفسه من تقصير وقع منه فى عبادة ونحوها ويجب على من أفطر فى رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر أن يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس رضى الله

طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره فطعام بدل من فدية فدية طعام مساكين مدنى وابن ذكوان وكان ذلك فى بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ولهذا كرر قوله فمن كان منكم مريضا أو على سفر لانه لما كان مذكورا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ لبدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فاضمر لا لقراءة حفصة كذلك وعلى هذا

(وعلى الذين يطيقونه) يعنى يطيقون الصوم (فدية طعام مسكين) فليطعم مكان كل يوم أفطر نصف صاع من حنطة لمسكين وهذه منسوخة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ويقال وعلى الذين يطيقونه يعنى الفدية ولا يطيقون الصوم مثل الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة لا يطيقان الصوم فدية طعام مسكين فليطعما مكان كل يوم أفطرا من رمضان نصف صاع من

﴿فمن تطوع خيرا﴾ فزاد فى الفدية ﴿فهو﴾ فالتطوع أو الخير ﴿خير له وأن تصوموا﴾ أيها المطيقون أو المطوقون وجهدتم طاقتكم أو المرخصون فى الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر ﴿خير لكم﴾ من الفدية أو تطوع الخير أو منهما ومن التأخير للقضاء ﴿أن كنتم تعلمون﴾ ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله أى اخترتموه وقيل معناه أن كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أن الصوم خير من ذلك ﴿شهر رمضان﴾ مبتدأ خبره ما بعده أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف المضاف أى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان * وقرئ بالنصب على اضمار صوموا أو على أنه مفعول وأن تصوموا وفيه ضعف أو بدل من أيام معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض أى احترق فأضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية فى ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك أما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب فيه أو لوقوعه أيام رمض الحر حيثما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ﴿الذى أنزل فيه القرآن﴾ أى ابتدئ فيه انزاله

عنهما يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره ﴿فمن تطوع خيرا فهو خير له﴾ يعنى زاد على مسكين واحد فأطعم عن كل يوم مسكينين فأكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فأطعم صاعا وعليه مد فهو خير له ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وأن تصوموا أيها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل أولى ﴿أن كنتم تعلمون﴾ يعنى أن الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما فى الصوم من المعانى المورثة للخير والتقوى * واعلم أنه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين فى أفطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا أفطروا فعليهم القضاء دون الكفارة * الثانى الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعى وذهب أهل الرأى الى أنه لا فدية عليهما * الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذى لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء * قوله عز وجل ﴿شهر رمضان﴾ يعنى وقت صيامكم شهر رمضان سمى الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا أظهره شهره وسمى الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمى الشهر شهرا باسم الهلال وأما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهى الحجارة المحماة فى الشمس وقيل أنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسموه به وقيل أن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح أن رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان ﴿الذى أنزل فيه القرآن﴾ لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين

لا يكون منسوخا (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أو الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلى (وأن تصوموا) أيها المطيقون (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير وهذا فى الابتداء وقيل وأن تصوموا فى السفر والمرض خير لكم لانه أشق عليكم (أن كنتم تعلمون) شرط محذوف الجواب (شهر رمضان) مبتدأ خبره (الذى أنزل فيه القرآن) أى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك فى ليلة القدر أو أنزل فى شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وهو بدل من الصيام أو خبر مبتدأ محذوف أى هو شهر ورمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولانهم سموا الشهور بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام

حنطة لمسكين (فمن تطوع خيرا) زاد على مدين (فهو خير له) بالثواب (وأن تصوموا خير لكم) من الفدية (أن كنتم تعلمون) اذ كنتم تعلمون (شهر رمضان الذى) هو الذى (أنزل فيه القرآن) جبريل بالقرآن جملة الى سماء الدنيا فأملاه على السفرة ثم نزل به

رمض الحر فأن قلت ماوجه من صام رمضان ايمانا واحتسابا مع

وكان ذلك ليلة القدر أوأنزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض أوأنزل فى شأنه القرآن وهوقوله كتب عليكم الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف أبراهيم عليه الصلاة والسلام أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ أوصفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بماتضمن معنى الشرط وفيه اشعار بأن الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه ﴿ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ حالان من القرآن أى أنزل وهوهداية للناس بأعجازه وآيات واضحات ممايهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بمافيه من الحكم والاحكام ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه

سبب تخصيصه بأنزال أعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعى أنه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول أنه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمى قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس رضى الله عنهما أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان فوضع فى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وذلك قوله فلااقسم بمواقع النجوم *وروى أبوداود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزلت صحف أبراهيم فى ثلاث ليال مضين من رمضان *وفى رواية فى أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى فى ست ليال مضين من رمضان وأنزل أنجيل عيسى فى ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل زبور داود فى ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم فى الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان وهو قول ابن أسحق وأبى سليمان الدمشقى وقيل فى معنى الآية شهر رمضان الذى نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية فى الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل ﴿ هدى للناس ﴾ يعنى من الضلال ﴿ وبينات من الهدى والفرقان ﴾ * فأن قلت هذا فيه أشكال وهو أنه يقال مامعنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس* قلت أنه تعالى ذكر أولا أنه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لايكون كذلك فكأنه قال هو هدى فى نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل أن القرآن هدى فى نفسه فكأنه قال أن القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هى الدلالات الواضحات التى تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل * قوله عز وجل ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ أى فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فأدركه الشهر

ان التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا قلت هو من باب الحذف لامن الالباس القرآن حيث كان غير مهموز مكى وانتصب (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) على الحال أى أنزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات ممايهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر أولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ماهدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا أى حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولايفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء فى ليصمه ولايكون مفعولا به لان المقيم والمسافر كلاهما

بعد ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم يوما بيوم آية وآيتين وثلاثا وسورة (هدى للناس) القرآن بيان من الضلالة للناس (وبينات من الهدى) واضحات من أمر الدين (والفرقان) الحلال والحرام والاحكام والحدود والخروج من الشبهات (فمن شهد منكم الشهر) فى الحضر (فليصمه) (فليصمه)

والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك شهدت الجمعة أى صلاتها فيكون ﴿ ومن كان مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر ﴾ مخصصاله لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك أولئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه

فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهى رؤية الهلال ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته أخرجاه فى الصحيحين ولاخلاف أنه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء فى وجه الخبر عنه منهم من قال يجزئ فيه خبر الواحد قاله أبو ثور ومنهم من أجراه مجرى الشهادة فى سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من أجرى أوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد وأجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل فى آخره أقل من اثنين قاله الشافعى وهذا للاحتياط فى أمر العبادة لدخولها وخروجها ﴿ ومن كان مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر ﴾ انما كرره لان الله تعالى ذكر فى الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فأعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم باق على ماكان عليه

فصل فى حكم الآية وفيه مسائل *الاولى

اختلفوا فى المرض المبيح للفطر على ثلاثة أقوال أحدها وهو قول أهل الظاهر أى مرض كان وهو مايطلق عليه اسم المرض فله أن يفطر تنزيلا للفظ المطلق على أقل أحواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثانى وهو قول الاصم أن هذه الرخصة مختصة بالمريض الذى لوصام لوقع فى مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على أكمل أحواله القول الثالث وهو قول أكثر الفقهاء أن المرض المبيح للفطر هو الذى يؤدى الى ضرر فى النفس أو زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف أنه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام أن يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض مايؤثر فى تقويته قال الشافعى اذا أجهده الصوم أفطر وإلافهو كالصحيح

المسئلة الثانية

الفطر فى السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم وبعض أهل الظاهر لايجوز الصوم فى السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام فى السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم فى السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ماروى عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ماهذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام فى السفر أخرجه البخارى

شاهدان للشهر (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) فعدة مبتدأ والخبر محذوف أى فعليه عدة أى صوم عدة

ومن كان مريضا) فى شهر رمضان (أو على سفر فعدة) فليصم (من أيام أخر) بقدر

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ أى يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر عليكم فلذلك أباح الفطر فى السفر والمرض

ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر فى السفر ماروى عن أنس رضى الله عنه قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم أخرجاه فى الصحيحين

المسئلة الثالثة

اختلف العلماء فى قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهرى أى سفر كان ولو كان فرسخا وقال الاوزاعى السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعى وأحمد ومالك أقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال أبو حنيفة وأصحابه أقله مسيرة ثلاثة أيام

المسئلة الرابعة

اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم أنشأ السفر فى أثنائه جازله أن يفطر حالة السفر ويجوزله أن يصوم فى بعض السفر وأن يفطر فى بعضه ان أحب يدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه وكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه فى الصحيحين * الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلا من مكة

المسئلة الخامسة

اختلفوا فى الافضل فذهب الشافعى الى أن الصوم أفضل من الفطر فى السفر وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال أحمد الفطر أفضل من الصوم فى السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء وأفضل الامرين أيسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

المسئلة السادسة

يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصى بسفره أن يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من أيام أخر معناه فأفطر فعليه عدة من أيام أخر فظاهر هذا أنه يجوز قضاء الصوم متفرقا وأن كان التتابع أولى وفيه أيضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخى فى القضاء ويدل عليه أيضا ماروى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يكون على الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضى الا فى شعبان ذاك من الشغل بالنبى صلى الله عليه وسلم أخرجاه فى الصحيحين ﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾ أى التسهيل فى هذه العبادة وهى أباحة الفطر للمسافر والمريض ﴿ ولا يريد بكم العسر ﴾ أى وقد نفى عنكم الحرج فى أمر الدين قيل ماخير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما الا كان ذلك أحب الى الله تعالى

(يريد الله بكم اليسر) حيث أباح الفطر بالسفر والمرض (ولا يريد بكم العسر) ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما تجب عليهما الاعادة فقد عدل

مافطر (يريد الله بكم اليسر) اراد الله بكم رخصة الافطار فى السفر ويقال اختار الله لكم الافطار فى السفر (ولا يريد بكم العسر) لم يرد ان يكون لكم العسر فى الصوم فى السفر ويقال لم يختر لكم

﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون ﴾ علل لفعل محذوف دل عليه ماسبق أى وشرع جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ماأفطرفيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخره على سبيل اللف فأن قوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير أولافعال كل لفعله أومعطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم أولتعلموا ماتعملون ولتكملوا العدة ويجوز أن يعطف على اليسر أى ويريدبكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفؤاوالمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبيريوم الفطر وقيل التكبير عندالاهلال ومايحتمل المصدر والخبر أى الذى هداكم اليه*وعن

﴿ولتكملواالعدة﴾أى عددالايام التى أفطرتم فيهابعذرالسفروالمرض والحيض لتقضوا بعددها وقيل أرادعددأيام الشهر (ق) عن ابن عمررضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلةفلاتصوموا حتى تروا الهلال ولاتفطروا حتى تروه فأن غم عليكم فاقدروا له وفى رواية فاكملوا العدة ثلاثين ﴿ ولتكبروا الله ﴾ فيه قولان أحدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس رضى الله عنهما حق على المسلمين اذارأوا هلال شوال أن يكبروا وقال الشافعى واجب أظهار التكبير فى العيدين وبه قال مالك وأحمد وأبويوسف ومحمد وقال أبوحنيفة لايكبر فى عيد الفطر ويكبر فى عيدالاضحى حجة الشافعى ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم قالوا معناه ولتكملواعدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ماهداكم الى آخرهذه العبادة القول الثانى فى معنى قوله ولتكبروا الله أى ولتعظموا الله شكرا على ماأنعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة ﴿ على ماهداكم ﴾ أى أرشدكم الى طاعته والى مايرضى به عنكم ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ الله على نعمه

فصل فى فضل شهر رمضان وفضل صيامه

(ق)عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذادخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار*الصفد الغل أى شدت بالاغلال (ق)عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه *قوله ايمانا واحتسابا أى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بأنه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهوأن يصوم على التصديق به والرغبة فى ثوابه طيبة بهانفسه غير كارهة(ق)عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشرأمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى ألا الصوم فأنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عندلقاء ربه ولخلوف فم الصائم عندالله أطيب من ريح المسك* زادفى رواية والصيام جنة فأذاكان يوم صوم أحدكم فلايرفث يومئذ ولايصخب فأن شتمه أحد أو قاتله فليقل أنى صائم

عن موجب هذا (ولتكملوا العدة) عدة ماأفطرتم بالقضاء اذا زال المرض والسفروالفعل المعلل محذوف مدلول عليه بماسبق تقديره لتعلموا ولتكملوا العدة (ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعنى جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ماأفطرفيه ومن الترخيص فى أباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ماعلم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل لتكبروا الله أى لتعظموه حامدين على ماهداكم اليه ولتكملوا بالتشديد أبوبكر ولما قال اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه نزل

الصوم فى السفر (ولتكملوا العدة) لكى تصوموا فى الحضر عدة ماافطرتم فى السفر (ولتكبروا الله) لكى تعظموا الله (على ماهداكم) كما هداكم لدينه ورخصته (ولعلكم تشكرون) لكى تشكروا

عاصم برواية أبي بكر ولتكملوا بالتشديد ﴿ وأذا سألك عبادى عنى فأنى قريب ﴾
أى فقل لهم أنى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه
على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه

* قوله كل عمل ابن آدم له معناه أن له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فأنه لايطلع عليه أحد وانما خص الصوم بقوله تعالى لى وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزى عليها لان الصوم لايظهر من ابن آدم بقول ولافعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه ألا الله تعالى لقول الله تعالى انما أتولى جزاءه على ما أحب لاعلى حساب ولا كتاب له * وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره أى بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه * وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى أن خلوف فم الصائم أبلغ عند الله فى القبول من ريح المسك عند أحدكم * قوله الصيام جنة أى حصن من المعاصى لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصى * قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل مايريده الانسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى الجنة بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون فيقومون لايدخل منه أحد غيرهم فأذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد * وفى رواية أن فى الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لايدخله الا الصائمون * عن أبى أمامة رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله مرنى بأمر ينفعنى الله به قال عليك بالصوم فأنه لامثل له * وفى روايه أى العمل أفضل فقال عليك بالصوم فأنه لاعدل له أخرجه النسائى * قوله عز وجل ﴿وأذا سألك عبادى عنى فأنى قريب﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما قال يهود المدينة يامحمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه وقيل انهم سألوه فى أى ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل أنهم قالوا أين ربنا فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لايخلو اما أن يكون عن ذات الله أو عن صفاته أو عن أفعاله أما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات وأما السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا وأما السؤال عن أفعاله تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا اذا دعوناه فقوله تعالى وأذا سألك عبادى عنى فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فأنى قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لايخفى على شئ وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح

(وأذا سألك عبادى عنى فأنى قريب) علما واجابة لتعاليه عن القرب مكانا

رخصته (واذا سألك عبادى) اهل الكتاب (عنى) اقريب انا ام بعيد (فانى قريب) فاعلمهم يامحمد انى قريب بالاجابة

وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت ﴿ أجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة ﴿ فليستجيبوا لى ﴾ اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أجيبهم اذا دعونى لمهماتهم ﴿ وليؤمنوا بى ﴾ أمر بالثبات والمداومة عليه ﴿ لعلهم يرشدون ﴾ راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق *وقرئ بفتح الشين وكسرها *واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع لاقوالهم مجيب

حاجة من سأله (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اوقال توجه الى خيبر اشرف الناس على وادفرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لاأله ألاالله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم فأنكم لاتدعون اصم ولاغائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم* قوله اربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بها وقيل معناه أمسكوا عن الجهر فأنه قريب يسمع دعاءكم* قوله تعالى عزوجل ﴿ أجيب دعوة الداع أذا دعان ﴾ أى اسمع دعاء عبدى الداعى اذا دعانى وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد ياألله لاأله ألاأنت فقولك ياألله فيه دعاء وقولك لاأله ألاأنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى أن العبد يعلم أن له ربا ومدبرا يسمع دعاءه اذا دعاه ولايخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فأن العبد اذا دعا وهو يعلم أن له ربا بأخلاص وتضرع أجاب الله دعوته * فأن قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعاء والتضرع فلايجاب له فاوجه قوله أجيب دعوة الداع وقوله تعالى ادعونى أستجب لكم * قلت ذكر العلماء فيه أجوبة * أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهى قوله بل أياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه أن شاء والمطلق يحمل على المقيد* وثانيها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك فى الآخرة* وثالثها ان معنى الآيتين خاص وأن كان لفظهما عاما فيكون معناه أجيب دعوة الداعى اذا وافق القضاء أوأجيبه أن كانت الاجابة خيرا له أوأجيبه اذا لم يسأل أثما أومحالا* ورابعها أن معناها عام أى أسمع وهو معنى الاجابة المذكورة فى الآية وأما أعطاء الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولايعطيه سؤله * وخامسها أن للدعاء آدابا وشرائط وهى أسباب الاجابة فمن استكملها وأتى بها كان من أهل الاجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء فى الدعاء فلايستحق الجواب والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ فليستجيبوا لى ﴾ يعنى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما أنى اجيبهم اذدعونى لحوائجهم والاجابة فى اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الأثابة والعطاء ﴿ وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ أى لكى يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم

فصل فى فضل الدعاء وآدابه

سهل و يعقوب ووافقهما أبو عمرو ونافع غير قالون فى الوصل غيرهم بغير ياء فى الحالين ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لاخلف فيه غير أن أجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فأجابة الدعوة أن يقول العبد يارب فيقول الله لبيك عبدى وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة أعطاء المراد وذا قد يكون ناجزا وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الآخرة وقد تكون الخيرة له فى غيره (فليستجيبوا لى) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أنى أجيبهم اذا دعونى لحوائجهم (وليؤمنوا بى) واللام فيهما للامر (لعلهم يرشدون) ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد وهو ضد الغى كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل والشرب والجماع الى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد فأذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم أن عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبى عليه السلام واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك فنزل

(أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى) فليطيعوا رسولى (وليؤمنوا بى) (قا وخا ٣٤ ل) وبرسولى قبل الدعوة (لعلهم يرشدون) لكي يهتدوا

= (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فأغفرله هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء * أحدهما وهو مذهب جهور السلف وبعض المتكلمين أنه يجب الايمان به وبأنه حق على مايليق به ونكل علمه الى الله تعالى ورسوله وأن ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد ولانتكلم فى تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات * والمذهب الثانى مذهب أكثر المتكلمين وجاعة من السلف انها تؤول على مايليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره أن معناه تنزل رحته وأمره وملائكته وقيل أنه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفى الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه * عن سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين اخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب * الصفر الخالى يقال بيت صفر ليس فيه متاع * عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماعلى الارض مسلم يدعوالله بدعوة ألاآتاه الله أياها أوصرف عنه من الشر مثلها مالم يدع بأثم أوقطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله أكثر أخرجه الترمذى * قوله الله أكثر معناه الله أكثر أجابة * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل لاه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذى * وله عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة * وله عن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحة وماسئل الله شيأ أحب اليه من أن يسئل العافية وأن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل * وله عن سلمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايرد القضاء ألاالدعاء ولايزيد فى العمر الاالبر * وله عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم مالم يعجل بقوله قد دعوت فلم يستجيب لى * ولمسلم قال لايزال يستجاب للعبد مالم يدع بأثم أوقطيعة رحم مالم يستعجل قيل يارسول الله ماالاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء * قوله يستحسر أى يستنكف عن السؤال وأصله من حسر الطرف اذا كل وضعف (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا أحدكم فلايقل اللهم اغفرلى أن شئت اللهم ارحمنى أن شئت ولكن ليعزم المسئلة فأن الله لامكره له زاد البخارى ارزقنى ان شئت ليعزم مسئلته فأنه يفعل مايشاء لامكره له * قوله ليعزم المسئلة أى لاتكن فى دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد فى المسئلة * عن فضالة

(ابن)

لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداله وحثاعليه ثم بين أحكام الصوم فقال ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ﴾ روى أن المسلمين كانوا اذا امسوا أحل لهم الا كل والشرب والجماع الى أن يصلوا العشاء أو يرقدوا ثم أن عمر رضى الله تعالى عنه باشر بعد صلاة العشاء فندم وأتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعدالعشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لايكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه وعدى بألى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ استئناف مبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى

اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا

أولان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان

ابن عبيد رضى الله عنه قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته فلم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بماشاء أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح * قوله عزوجل ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ﴾ سبب نزول هذه الآية أنه كان فى ابتداء الامر بالصوم اذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى أن يصلى العشاء الاخيرة أو يرقد قبلها فاذا صلى أو رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع أهله بعدما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أعتذر الى الله واليك من هذه الخطيئة أنى رجعت الى أهلى بعدما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت أهلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما كنت بذلك جديرا ياعمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت فى عمر وأصحابه أحل لكم أى أبيح لكم ليلة أراد بالليلة ليالى الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقبح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى حيي كريم يكنى فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع ﴿ هن لباس لكم ﴾ أى سكن لكم ﴿ وأنتم لباس لهن ﴾ أى سكن لهن قيل لايسكن شئ الى شئ كسكون أحد الزوجين الى الآخر وسمى كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما فى ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يوارى فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لايحل كما جاء فى الحديث من تزوج فقد أحرز ثلثى دينه ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد فيما ائتمنكم

اى الجماع (الى نسائكم) عدى بألى لتضمنه معنى الافضاء وانما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الافضاء الى نسائكم استقباحا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وقيل لباس أى ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو أنه اذا كان بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم فى مباشرتهن (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة

فيستجاب لهم الدعاء (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) المجامعة مع نسائكم (هن لباس لكم) سكن لكم (وأنتم لباس لهن) سكن لهن (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) بالجماع بعد صلاة

(فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وعفا عنكم) مافعلتم قبل الرخصة (فالآن باشروهن) جامعوهن فى ليالى الصوم وهو أمر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما (وابتغوا ماكتب الله لكم) واطلبوا ماقسم الله لكم وأثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة أى لاتباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ماوضع الله له النكاح من التناسل أو وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحلله دون مالم يكتب لكم من المحل المحرم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض) هو أول مايبدو من الفجر المعترض فى الافق كالخيط الممدود (من الخيط الاسود) وهو مايمتد من سواد الليل شبها بخيطين أبيض وأسود لامتدادهما

أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ﴿ فتاب عليكم ﴾ لما تبتم مما اقترفتموه ﴿ وعفا عنكم ﴾ ومحا عنكم أثره ﴿ فالآن باشروهن ﴾ لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة ألزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ واطلبوا ماقدره لكم وأثبته فى اللوح المحفوظ من الولد والمعنى أن المباشر ينبغى أن يكون غرضه الولد فأنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لالقضاء الوطر وقيل النهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود

عليه وخيانتهم أنهم كانوا يباشرون فى ليالى الصوم والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شئ فلايؤدى فيه الامانة ويقال للعاصى خائن لانه مؤتمن على دينه ﴿ فتاب عليكم ﴾ أى فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم ﴿ وعفا عنكم ﴾ أى محا ذنوبكم (خ) عن البراء رضى الله عنه قال لما نزل صوم رمضان كانوا لايقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر ﴿ فالآن باشروهن ﴾ أى جامعوهن فهو حلال لكم فى ليالى الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ أى ماقضى لكم فى اللوح المحفوظ يعنى الولد وقيل وابتغوا الرخصة التى كتب الله لكم بأباحة الاكل والشرب والجماع فى اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ﴾ نزلت فى صرمة بن قيس بن صرمة الانصارى رضى الله عنه ويقال قيس بن صرمة وذلك أنه ظل يعمل فى أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله بتمر وقال لاهله قدمى الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيأ سخنا فأخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فأذا هو قد نام وكان قد أعيا من التعب فأيقظته فكره أن يعصى الله ورسوله وأبى أن يأكل وأصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أتى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ياأباقيس مالك أمسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية * وقوله طليحا أى مهزولا مجهودا (خ) عن البراء رضى الله عنه قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولايومه حتى يمسى وان قيس بن صرمة الانصارى كان صائما فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال عندك طعام قالت لاولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا

العتمة (فتاب عليكم) تجاوز عنكم (وعفا عنكم) خيانتكم ولم يعاقبكم (فالآن) حين أحلت لكم (باشروهن) جامعوهن (وابتغوا) اطلبوا (ما كتب الله لكم) ماقضى الله لكم من ولد صالح نزلت فى عمر ابن الخطاب (وكلوا واشربوا) من حين يدخل الليل (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) يعنى يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل

(حتى)

من الفجر ﴾ شبه أول مايبدو من الفجر المعترض فى الافق ومايمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود وا كتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز أن تكون من للتبعيض فأن مايبدو بعض الفجر وماروى أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين أسود وأبيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز أوا كتفى أو لاباجتهادهم فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل

حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا فى ليالى الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطين لان كل واحد منهما يبدو فى الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر

فلما أضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط أنارا

السدف اختلاط الظلام وأسدف الفجر أضاء (ق) عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال يأكل حتى تتبين له رؤيتهما فأنزل الله عز وجل بعده ﴿من الفجر﴾ فعلموا أنه انما يعنى الليل والنهار (ق) عن عدى بن حاتم رضى الله عنه لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال أسود وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتى وجعلت أنظر فى الليل فلا يتبين لى فغدوت على رسول الله صلى الله عليه سلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم قال وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لاينادى حتى يقال له أصبحت * واعلم أن الفجر الذى يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر فى الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل * فأن قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل * قلت أن القدر الذى يبدو من البياض وهو أول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو فى الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا فى الافق مستطيرا (م) عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعنى معترضا * وفى رواية الترمذى لايمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير فى الافق فأذا تحقق طلوع الفجر الثانى وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل يعنى منتهى الصوم الى

(من الفجر) بيان أن الخيط الابيض من الفجر لامن غيره وا كتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان أحدهما بيان للآخر أو من للتبعيض لانه بعض الفجر وأوله وقوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغا كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فأذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن عدى بن حاتم قال عمدت الى عقالين أبيض واسود فجعلتهما تحت وسادتى فنظرت اليهما فلم يتبين لى الابيض من الاسود فأخبرت النبى عليه السلام بذلك فقال أنك لعريض القفا أى سليم القلب لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته انما ذلك بياض النهار.

(من الفجر

اليه وصحة صوم المصبح جنبا ﴿ ثم أتموا الصيام الى الليل ﴾ بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينتفى صوم الوصال ﴿ ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ﴾ معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون فى المسجد ولايختص بمسجد دون مسجد وان

الليل فأذا دخل الليل حل الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهل يلزم الصائم أن يتناول عند تحقق غروب الشمس شيأ فيه وجهان أحدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثانى لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية فى أن الصوم النفل يجب اتمامه وقالوا لان قوله تعالى ﴿ثم أتموا الصيام الى الليل﴾ أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام أجاب أصحاب الشافعى عنه بان هذا انما ورد فى بيان أحكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على أباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شئ قلنا لا قال فأنى اذا صائم ثم أتانا يوما آخر فقلت يارسول الله اهدى لنا حيس قال أرنيه فلقد أصبحت صائما فأكل أخرجه مسلم * الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق أو فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول أعرف * قوله عز وجل ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ﴾ الاعتكاف هو الاقبال على الشئ والملازمة له على سبيل التعظيم وهو فى الشرع عبارة عن الاقامة فى المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون فى المسجد فأذا عرض لرجل منهم حاجة الى أهله خرج اليها وخلابها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم * واعلم أن الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له فى الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى فى هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف فى النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

﴿ فصل فى حكم الاعتكاف ﴾

الاعتكاف سنة ولايجوز فى غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لانه بنى لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن على رضى الله عنه أنه لايجوز ألا فى المسجد الحرام لقوله وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لايجوز ألا فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز فى هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهرى لايصلح ألا فى الجامع وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لايجوز ألا فى مسجد له أمام ومؤذن وقال الشافعى ومالك وأحمد يجوز فى سائر

وسواد الليل وفى قوله (ثم أتموا الصيام الى الليل) أى الكف عن هذه الاشياء دليل على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفى الوصال وعلى وجوب الكفارة فى الاكل والشرب وعلى ان الجنابة لا تنافى الصوم (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد) معتكفون فيها بين أن الجماع يحل فى ليالى رمضان لكن لغير المعتكف والجملة فى موضع الحال وفيه دليل على أن الاعتكاف لايكون ألا فى المسجد وأنه لايختص به

ثم أتموا الصيام الى الليل) الى دخول الليل نزلت فى صرمة بن مالك ابن عدى (ولاتباشروهن) ولاتجامعوهن (وأنتم عاكفون) معتكفون (فى المساجد) ليلا ونهارا

الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهى فى العبادات يوجب الفساد ﴿ تلك حدود الله ﴾ أى الاحكام التى ذكرت ﴿ فلاتقربوها ﴾ نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا عن أن يتخطى عنه كما قال عليه الصلاة والسلام أن لكل ملك حمى وأن حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه

المساجد لعموم قوله وأنتم عاكفون فى المساجد الا أن المسجد الجامع أفضل حتى لايحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه بعده (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان ﴿ فروع ﴾ الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل أن يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم شرط فى الاعتكاف ولايصح الابه وحجة الشافعى ماروى عن ابن عمر قال يارسول الله أنى نذرت فى الجاهلية أن أعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال فأوف بنذرك أخرجاه فى الصحيحين ومعلوم أنه لايصح الصوم فى الليل ﴿ الفرع الثانى ﴾ لاتقدر للاعتكاف زمان عند الشافعى وأقله لحظة ولاحد لأكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر أن يعتكف مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعى وأحب أن يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فأن أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبى حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس ﴿ الفرع الثالث ﴾ الجماع حرام فى حال الاعتكاف ويفسد به وأما مادون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولايفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قولى الشافعى والثانى يبطل به وهو قول مالك وقيل أن أنزل بطل اعتكافه وأن لم ينزل فلا وهو قول أبى حنيفة وأما الملامسة بغير شهوة فجائز ولايفسد به الاعتكاف لماروى عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت ترجل النبى صلى الله عليه وسلم وهى حائض وهو معتكف فى المسجد وهى فى حجرتها يناولها رأسه* زاد فى رواية وكان لايدخل البيت ألا لحاجة اذا كان معتكفا* وفى رواية وكان لايدخل البيت ألا لحاجة الانسان أخرجاه فى الصحيحين* الترجيل تسريح الشعر* وقولها الا لحاجة حوائج الانسان كثيرة والمراد منها ههنا كل مايضطر الانسان اليه مما لايجوز له فعله فى المسجد وموضع معتكفه* قوله عز وجل ﴿ تلك حدود الله ﴾ يعنى تلك الاحكام التى ذكرت فى الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله وأصل الحد فى اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشئ الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التى قدرها ومنع من مخالفتها ﴿ فلا تقربوها ﴾ أى فلا تأتوها ولاتغشوها* فأن قلت فى الآية أشكالان أما الاول فهو أنه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ماتقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال فى الجمع فلاتقربوها

مسجد دون مسجد (تلك) الاحكام التى ذكرت (حدود الله) أحكامه المحدودة (فلاتقربوها) بالمخالفة والتغيير

(تلك حدود الله) تلك المباشرة معصية الله (فلاتقربوها) فاتركوا مباشرة النساء ليلا ونهارا حتى تفرغوا من الاعتكاف

وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿ يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ مخالفة الاوامر والنواهى ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ أى ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف أو الحال من الاموال ﴿ وتدلوا بها الى الحكام ﴾ عطف على المنهى او نصب باضمار أن والادلاء الالقاء أى ولا تلقوا

(كذلك يبين الله آياته) شرائعه (للناس لعلهم يتقون) المحارم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم) أى لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه (وتدلوا بها الى الحكام) ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل فى حكم النهى يعنى ولا تلقوا أمرها والحكومة

الاشكال الثانى هو أنه تعالى قال فى هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال فى آية أخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال فى آية أخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات * قلت الجواب عن السؤالين من وجهين أما الاشكال الاول فجوابه أن الاحكام التى تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا أن أقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع فى حال الاعتكاف وقال قبلها ثم أتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب فى النهار فلما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها * والجواب عن الاشكال الثانى أن من كان فى طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف فى حيز الحق فنهى أن يتعداه فيقع فى حيز الباطل ثم بولغ فى ذلك فنهى أن يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقيل أراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ونحو هذا من التحريم فهى حدود لا تقرب ﴿ كذلك ﴾ أى كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك ﴿ يبين الله آياته ﴾ أى معالم دينه وأحكام شريعته ﴿ للناس ﴾ مثل هذا البيان الشافى الوافى ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أى لكى يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب * قوله عز وجل ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ نزلت فى امرىء القيس بن عابس الكندى ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمى ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أى من غير الوجه الذى أباحه الله له وأصل الباطل الشىء الذاهب

فصل

أما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه * الاول أن يأكله بطريق التعدى والنهب والغصب * الثانى أن يأكله بطريق اللهو كالقمار واجرة المغنى وثمن الخمر والملاهى ونحو ذلك * الثالث أن يأكله بطريق الرشوة فى الحكم وشهادة الزور * الرابع الخيانة وذلك فى الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن أخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع فى التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها ﴿ وتدلوا بها الى الحكام ﴾

(كذلك) هكذا (يبين الله آياته) أمره ونهيه (للناس) كما يبين هذا (لعلهم يتقون) لكى يتقوا معصية الله نزلت فى نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب وعمار بن ياسر وغيرهما كانوا معتكفين فى المسجد فيأتون الى أهاليهم اذا احتاجوا ويجامعون نساءهم ويغتسلون فيرجعون الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك ثم نزل فى عبدان بن الاشوع وامرىء القيس (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بالظلم والسرقة والغصب والحلف الكاذب وغير ذلك (وتدلوا بها) لا تلجوا بها (الى الحكام

(لتأكلوا) بالحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالاثم) بشهادة الزور أو بالايمان الكاذبة أو بالصلح
مع العلم بأن المقتضى له ظالم وقال عليه السلام للخصمين انما أنا بشر وأنتم تختصمون الى

ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فلا يأخذن منه شيأ فأن ما اقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبي وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة يقال أدلى دلوه أى ألقاه فى البئر للاستقاء (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل (يسألونك عن الاهلة) جمع هلال سمى به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته (قل هى مواقيت للناس

حكومتها الى الحكام ﴿ لتأكلوا ﴾ بالتحاكم ﴿ فريقا ﴾ طائفة ﴿ من أموال الناس بالاثم ﴾ بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو ملتبسين بالاثم ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرئ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهى دليل على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من النار فليحملها أو يذرها ﴿ يسئلونك عن الاهلة ﴾ سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رضى الله عنهما فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ﴿ قل هى مواقيت للناس

أى وتلقوا أمور تلك الاموال التى فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا فى الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم أن الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو أن يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال أخيك الى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فأن قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضى يقول أنى لاقضى لك وأنى لاظنك ظالما ولكنى لا يسعنى ألا أن أقضى بما يحضرنى من البينة وأن قضائى لا يحل لك حراما (ق) عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما أنا بشر وأنه يأتينى الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض * وفى رواية ألحن بحجته من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليحملها أو يذرها * قولها سمع جلبة خصم يعنى أصوات خصم * قوله ألحن بحجته يقال فلان ألحن بحجته من فلان أى أقوم بهامنه وأقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة ﴿ لتأكلوا فريقا ﴾ أى طائفة وقطعة ﴿ من أموال الناس بالاثم ﴾ يعنى بالظلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ يعنى أنكم على الباطل * قوله عز وجل ﴿ يسألونك ﴾ أى يا محمد ﴿ عن الاهلة ﴾ نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين رضى الله عنهما قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدأ ولا يكون على حال واحدة فأنزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة فى تبيين حال الهلال فى الزيادة والنقصان * والاهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر ﴿ قل هى مواقيت للناس ﴾ جمع ميقات والمعنى أنا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس أوقات

لتأكلوا فريقا) لكى تأكلوا طائفة (من أموال الناس بالاثم) بالحلف الكاذب (وأنتم تعلمون) ذلك فاقر امرؤ القيس بالمال بنزول هذه الآية (يسألونك عن الاهلة) عن زيادة الاهلة
ونقصانها لما ذا (قل) يا محمد (هى مواقيت (قا وخا ٣٥ ل) للناس) علامات للناس لقضاء دينهم وعدة لنسائهم

والحج ﴾أى انهم سألوا عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره الله ان يجيب بأن الحكمة الظاهرة فى ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم و معالم للعبادات الموقتة يعرف بها أوقاتها وخصوصا الحج فأن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء *والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ وقرأ ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر

حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم وأجائرهم وعدة النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة ﴿والحج﴾ أى وللحج وانما أفرد الحج بالذكر وان كان داخلا فى جملة العبادات لفائدة عظيمة وهى ان العرب فى الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل الله ذلك من فعلهم وأخبر ان الحج مقصور على الاشهر التى عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لايجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسئ ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ (ق) عن البراء رضى الله عنه قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها * وفى رواية كانوا اذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فأنزل الله هذه الآية وقيل كان الناس فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فأن كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد منه وان كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشديدهم فى دينهم *والحماسة الشدة كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا بظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لايبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احمسى فقال الرجل ان كنت أحمسيا فأنا أحمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يجعلوا بينهم وبين السماء شيأ وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل

والحج) أى معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أى ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف فى رفع البر هنا لان الآية ثمة تحتمل الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثمة وهذه لا تحتمل الاوجها واحدا وهو الرفع اذ الباء لاتدخل الا على خبر ليس

وصومهم وافطارهم (والحج) وللحج نزلت فى معاذ بن جبل حين سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك (وليس البر) الطاعة والتقوى (بأن تأتوا البيوت من ظهورها) بان تدخلوا البيوت من ظهورها من

(ولكن البر) بر (من اتقى) ماحرم الله البيوت وبابه مدنى وبصرى وحفص وهو الاصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هى توجب الخروج من كسر الى ضم وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم ان كل مايفعله الله تعالى لايكون الا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا فى خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر فى شئ وأنتم تحسبونها برا فهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل ان يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت الحج لانه كان من أفعالهم فى الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم فى سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ليس البر ﴿٢٧٥﴾ ومايبنغى ان تكونوا {سورة البقرة} عليه بأن تعكسوا فى مسائلكم

﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف ولكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولافسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين أو انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم فى الحج ذكره للاستطراد أو انهم لما سألوا عما لايعنيهم ولايتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ماسألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ اذ ليس فى العدول بر فباشروا الامور من وجوهها ﴿ واتقوا الله ﴾ فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ لكى تظفروا بالهدى والبر ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله ﴾ جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه ﴿ الذين يقاتلونكم ﴾ قيل كان ذلك قبل ان أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء أو الكفرة كلهم فأنهم بصدد قتال المسلمين

حجرة فدخل رجل من الانصار من بنى سلمة على أثره فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رأيتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى أحمسى فقال الانصارى وانا أحمسى يقول أنا على دينك فأنزل الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴿ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ يعنى فى حال الاحرام وغيره ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ ❁ قوله عز وجل ﴿وقاتلوا فى سبيل الله﴾ أى فى طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ﴿الذين يقاتلونكم﴾ كان فى ابتداء الاسلام أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما

ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) وباشروا الامور من وجوهها التى يجب ان تباشر عليها ولاتعكسوا أو المراد وجوب الاعتقاد بان جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولااعتراض شك فى ذلك حتى لايسئل عنه لما فى السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لايسئل عما يفعل وهم يسئلون (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (لعلكم تفلحون) لتفوزوا بالنعيم السرمدى (وقاتلوا فى سبيل الله) المقاتلة فى سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين (الذين يقاتلونكم)

خلفها فى الاحرام (لكن البر) الطاعة فى الاحرام (من اتقى) الصيد وغير ذلك (وأتوا البيوت) ادخلوا البيوت (من أبوبها) التى كنتم تدخلونها وتخرجون منها قبل ذلك (واتقوا الله) واخشوا الله فى الاحرام (لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخط والعذاب نزلت فى نفر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كنانة وخزاعة كانوا يدخلون بيوتهم فى الاحرام من خلفها أو من سطحها كما فعلوا فى الجاهلية (وقاتلوا فى سبيل الله) فى طاعة الله فى الحل والحرم (الذين يقاتلونكم) يبدؤنكم بالقتال

وعلى قصده ويؤيد الاول ماروى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لايوفوا لهم ويقاتلوهم فى الحرم أو الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ﴿ ولاتعتدوا ﴾ بابتداء القتال أو بقتال المعاهد أو المفاجأة به من غير دعوة أو المثلة أو قتل من نهيتم عن قتله ﴿ أن الله لايحب المعتدين ﴾ لايريد بهم الخير ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ حيث وجدتموهم فى حل أو حرم وأصل الثقف الحذق فى ادراك الشئ علما كان أو عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فاما تثقفونى فاقتلونى * فمن اثقف فليس الى خلود

﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ أى من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم

هاجر الى المدينة أمر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن أنس هذه أول آية نزلت فى القتال ثم أمر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا فى سبيل الله الذين اعتدوا أنفسهم للقتال فأما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى ﴿ولاتعتدوا﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما لاتقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولامن ألقى اليكم السلام (م) عن بريدة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش او سرية اوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بالله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولاتغلوا ولاتغدروا ولا تمثلوا ولاتقتلوا وليدا * قوله ولاتغلوا الغلول الخيانة وهو مايخفيه أحد الغزاة من الغنيمة * قوله ولاتعتدوا أى ولا تنقضوا العهد وقيل فى معنى الآية لاتعتدوا أى لاتبدؤهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء خافوا ان لاتفى قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فأنزل الله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فى الشهر الحرام وفى الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح فى ذلك وقال ولا تعتدوا بابتداء القتال ﴿ أن الله لايحب المعتدين ﴾ * قوله عز وجل ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ أى حيث وجدتموهم وأدركتموهم فى الحل والحرم وتحقيق القول فيه أن الله تعالى أمر بالجهاد فى الآية الاولى بشرط أقدام الكفار على القتال وفى هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أولم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام ﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ أى وأخرجوهم من ديارهم

يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقيل هى أول آية نزلت فى القتال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم فى حكم المقاتلة (ولاتعتدوا) فى ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما أو بالمثلة (أن الله لايحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم والثقف الوجود على وجه الاخذ والغلبة (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم

(ولاتعتدوا) لاتبتدؤا (ان الله لايحب المعتدين) المبتدئين بالقتال فى الحل والحرم (واقتلوهم) ان بدؤكم (حيث ثقفتموهم) وجدتموهم فى الحل والحرم (واخرجوهم) من مكة (من حيث أخرجوكم)

يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أي شركهم بالله أعظم من القتل الذي يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان فيعذب به أشد عليه من القتل وقيل لحكيم ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت فقد جعل الاخراج من الوطن من الفتن التي يتمنى عندها الموت (ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) أي ولاتبدؤا بقتالهم في الحرم حتى يبدؤا فعندنا المسجد الحرام يقع على الحرم كله (فأن قاتلوكم فاقتلوهم) في الحرم فعندنا يقتلون في الاشهر الحرم لافي الحرم الا أن يبدؤا بالقتال معنا فحينئذ نقاتلهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الامكنة كلها لكن لقوله ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم الا عند البداءة منهم كذا في شرح التأويلات (كذلك جزاء الكافرين) مبتدأ وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فأن قتلوكم حمزة وعلى (فأن انتهوا) عن الشرك والقتال (فأن الله غفور) لماسلف من طغيانهم (رحيم) بقبول توبتهم وايمانهم (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) شرك وكان تامة وحتى بمعنى كي أو الى

الفتح ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ أي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه أشد من قتلكم أياهم فيه ﴿ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ أي لاتفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرم ﴿فأن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ فلا تبالوا بقتالهم ثمة فأنهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولاتقتلوهم حتى يقتلوكم فيه فأن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد ﴿كذلك جزاء الكافرين﴾ مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل مافعلوا ﴿فأن انتهوا﴾ عن القتال والكفر ﴿فأن الله غفور رحيم﴾ يغفر لهم ماقدسلف ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة﴾ شرك

كما أخرجوكم من دياركم ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يعني أن شركهم بالله أشد وأعظم من قتلكم أياهم في الحرم والاحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم وانما جعل أعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت أن الفتنة أشد من القتل ﴿ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ اختلف العلماء في هذه الآية فذهب مجاهد في جماعة من العلماء الى أنها محكمة وانه لايحل أن يقاتل في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله ﴿فأن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ أي فقاتلوهم وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أن مكة لاتحل لاحد قبلي ولاتحل لاحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم ألا أن يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى أن هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فأمر بقتالهم في الحل والحرم وقيل أنها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ﴿كذلك جزاء الكافرين فأن انتهوا﴾ يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر ﴿فأن الله غفور﴾ يعني لما سلف ﴿رحيم﴾ يعني بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة ﴿وقاتلوهم﴾ أي وقاتلوا المشركين ﴿حتى لاتكون فتنة﴾ أي شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولايقبل من الوثني ألا الاسلام أو القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما أن أهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع وأحكام يرجعون اليها وأن كانوا قدحرفوا وبدلوا فأمهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر بأصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمني أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا وأما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون

كما أخرجوكم (والفتنة) الشرك بالله وعبادة الاوثان (أشد) اشر (من القتل) في الحرم (ولاتقاتلوهم) بالابتداء (عند المسجد الحرام) في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه) في الحرم بالابتداء (فأن قاتلوكم) بالابتداء (فاقتلوهم كذلك) هكذا (جزاء الكافرين) بالقتل (فأن انتهوا) عن الكفر والشرك وتابوا (فأن الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (وقاتلوهم) بالابتداء منهم في الحل والحرم (حتى لاتكون فتنة)

أن (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أى لا يعبد دونه شئ (فأن انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) فأن امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فأنه لا عدوان الا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة

فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة (الشهر الحرام) مبتدأ خبره (بالشهر الحرام) أى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة أى حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم اوزائدة وتقديره عدوانا

﴿ ويكون الدين لله ﴾ خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب ﴿ فأن انتهوا ﴾ عن الشرك ﴿ فلا عدوان ألا على الظالمين ﴾ أى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن أن يظلم ألا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم أو أنكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام ﴾ قاتلهم المشركون عام حديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به ﴿ والحرمات قصاص ﴾ احتجاج عليه أى كل حرمة وهو مايجب أن يحافظ عليها يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم أن قاتلوكم كما قال ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ﴾ وهو فذلكة التقرير

اليه ويرشدهم الى الحق فكان أمهالهم زيادة فى شركهم وكفرهم فأبى الله عزوجل أن يرضى منهم ألا بالاسلام أو القتل ﴿ ويكون الدين لله ﴾ أى الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ ﴿ فأن انتهوا ﴾ يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر ﴿ فلا عدوان ﴾ أى فلا سبيل ﴿ ألا على الظالمين ﴾ قاله ابن عباس رضى الله عنهما فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى الكافر ظالما لوضعه العبادة فى غير موضعها ❁ قوله عزوجل ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام ﴾ نزلت فى عمرة القضاء وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن البيت ﴿ والحرمات ﴾ جمع حرمة وانما جمعت لانه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام ﴿ قصاص ﴾ القصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل مافعل والمعنى أنهم لما منعوكم عن العمرة وأضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وفقتم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فأن بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فأنه قصاص ﴿ فمن اعتدى عليكم ﴾ أى بالقتال ﴿ فاعتدوا عليه ﴾ أى فقاتلوه ﴿ بمثل مااعتدى عليكم ﴾ سمى الجزاء بالاعتداء على

الشرك بالله فى الحرم (ويكون الدين لله) يكون الاسلام والعبادة لله فى الحرم (فأن انتهوا) عن قتالكم فى الحرم (فلا عدوان) فلا سبيل لكم بالقتل (ألا على الظالمين) المبتدئين بالقتل (الشهر الحرام) الذى دخلت فيه لقضاء العمرة (بالشهر الحرام) الذى صدوك عنه (والحرمات قصاص) بدل (فمن اعتدى) ابتدأ (عليكم) بالقتل فى الحرم (فاعتدوا) فابتدؤا (عليه (سبيل) بمثل مااعتدى عليكم) بالقتل (واتقوا الله) واخشوا الله بالابتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) معين المتقين بالنصرة

﴿واتقوا الله﴾ فى الانتصار ولا تعتدوا الى مالم يرخص لكم ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ فيحرسهم ويصلح شأنهم ﴿وانفقوا فى سبيل الله﴾ ولا تمسكوا كل الامساك ﴿ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ بالاسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والانفاق فيه فأن ذلك يقوى العدو ويسلطهم على أهلاككم ويؤيده ماروى عن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه انه قال لما أعز الله الاسلام وكثر أهله رجعنا الى أهلينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالامساك وحب المال فأنه يؤدى الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء الشئ فى الفساد والالقاء طرح الشئ وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بأيدى الانفس * والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهى مصدر كالتضرة والتسرة أى لا توقعوا أنفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة

سبيل المشاكلة ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ * قوله عز وجل ﴿وأنفقوا فى سبيل الله﴾ يعنى به الجهاد وذلك أن الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فأمر به والانفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن أطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله أيمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فأن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات * عن خريم بن فاتك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى ﴿ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا أيديكم الى التهلكة والمراد بالايدى الانفس والمعنى ولا تلقوا أنفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن الانفس وقيل الباء على أصلها وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم الى التهلكة كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب فى هلاكها وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك مالا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس رضى الله عنهما انفق فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم أو مشقص ولا يقول أحدكم لا أجد شيأ * السهم هنا هو ما يرمى به * والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فأما أن ينقطع بهم وأما أن يكونوا عالة فأمرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه فى الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه فى التهلكة وهو أن يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الآية فى ترك الجهاد (ت) عن أبى عمران واسمه أسلم رضى الله عنه قال كنا بمدينة الروم فأخرجوا لنا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد

مثل عدوانهم (واتقوا الله) فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى مالا يحل لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصر (وأنفقوا فى سبيل الله) تصدقوا فى رضاء الله وهو عام فى الجهاد وغيره (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) أى أنفسكم والباء زائدة أو ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الهلاك أو عن الاسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد

(وانفقوا فى سبيل الله) فى طاعة الله لقضاء العمرة (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) يقول لا تمنعوا أيديكم عن النفقة فى سبيل الله فتهلكوا ويقال لا تلقوا أنفسكم بأيديكم فى التهلكة ويقال لا تنهكوا فتهلكوا أى لا تيأسوا من رحمة الله فتهلكوا

بأيديكم أو لاتلقوا بأيديكم أنفسكم اليها فحذف المفعول ﴿وأحسنوا﴾ اعمالكم واخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج ﴿أن الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله﴾ أي ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة لله وماروى جابر رضي الله تعالى عنه انه قيل يارسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لاولكن ان تعتمر خيرلك فمارض بماروى أن رجلا قال لعمر رضي الله تعالى عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين على أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولايقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب أهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة أهلك أو ان تفرد لكل منهما سفرا وان تجرده لهما لاتشوبهما بغرض دنيوي أو ان تكون النفقة حلالا

الاخلاف (أن الله يحب المحسنين) الى المحتاجين (وأتموا الحج والعمرة لله) وأدوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلاتوان ولانقصان وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على أن من شرع فيهما لزمه اتمامهما وبه نقول أن العمرة تلزم بالشروع ولا تمسك للشافعي رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لانه أمر باتمامها وقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع أو اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل واحد منهما سفرا أو أن تنفق فيهما حلالا أو ان لاتتجر معهما

فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيديه الى التهلكة فقام أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه فقال أيها الناس أنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أموالنا قد ضاعت وأن الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ماضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ماقلنا وأنفقوا في سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة فكانت التهلكة الاقامة على الاموال وأصلاحها وتركنا الغزو فمازال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم وقال حديث غريب صحيح * مات أبو أيوب في آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية ودفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى أن ذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو أن يقنط من رحمة الله وهو أن الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى الآية أنفقوا في سبيل الله ولاتقولوا انا نخاف الفقر ان أنفقنا فنهلك فنهوا أن يجعلوا أنفسهم هالكين بالانفاق (خ) عن حذيفة رضي الله عنه قال أنفقوا في سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة ﴿وأحسنوا﴾ أي بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل أحسنوا في الانفاق ولاتسرفوا ولاتقتروا نهوا عن الاسراف والاقتار في الانفاق وقيل معناه وأحسنوا في أداء فرائض الله تعالى ﴿أن الله يحب المحسنين﴾ أي يثيبهم على أحسانهم * قوله عز وجل ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه هو أن تتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل هو أن تفرد =

(واحسنوا) أي بالنفقة في سبيل الله ويقال احسنوا الظن في الله ويقال احسنوا النفقة في سبيل الله (أن الله يحب المحسنين) بالنفقة في سبيل الله نزلت من قوله وقاتلوا في سبيل الله الى ههنا في المحرمين مع النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء العمرة بعد عام الحديبية (وأتموا الحج والعمرة لله) لتقبل الله بالاخلاص واتمام الحج الى آخره واتمام العمرة الى البيت

لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما أن تكون النفقة حلالا وتنتهى عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما أن تخرج من أهلك لهما لا للتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام

فصل واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا

(م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفى كل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم * وفى وجوب العمرة قولان للشافعى أصحهما أنها واجبة وهو قول على وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب أحمد بن حنبل رضى الله عنهم * والقول الثانى أنها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبى واليه ذهب مالك وأبو حنيفة رضى الله عنهم * حجة من أوجب العمرة ماروى فى حديث الضبى ابن معبد أنه قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على وانى أهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائى بأطول من هذا * وجه الدليل انه أخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بما رآه فى وجوبهما عليه لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها كقرينها فى كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس أحد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فأنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائى والترمذى * وزاد وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح * وجه الدليل انه أمر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج * وحجة من قال بأنها سنة ماروى عن جابر رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هى قال لا وان تعتمروا خير لكم أخرجه الترمذى * وأجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ماتفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجتمعت الامة على جواز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أنواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد أن يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى الحل أو يعتمر قبل أشهر الحج ثم يحج فى تلك السنة وصورة التمتع أن يحرم بالعمرة فى أشهر الحج ويأتى بأعمالها فأذا فرغ من أعمالها أحرم بالحج من مكة فى تلك السنة وانما سمى تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى أن يحرم بالحج وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا فى أشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو أحرم بالعمرة فى أشهر الحج =

=ثم أدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا فى الافضل فذهب مالك والشافعى الى أن الافراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج أخرجه مسلم ❋ وله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال أهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا * وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج مفردا ❋ وله عن جابر رضى الله عنه قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا ❋ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته أن يعتمر فى غير أشهر الحج أخرجه مالك فى الموطأ * وذهب الثورى وأبو حنيفة الى أن القران أفضل يدل عليه ماروى عن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا * وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا أخرجاه فى الصحيحين * وذهب أحمد بن حنبل وأسحق بن راهويه الى أن التمتع أفضل يدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فأول من نهى عنها معاوية أخرجه الترمذى ﴿ق﴾ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من أهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدى فأنه لايحل من شئ حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجع الى أهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن أول شئ ثم خب ثلاثة أطواف من السبع ومشى أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يحل من شئ حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شئ حرم منه وفعل مثل مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى فساق الهدى من الناس * اختلفت الروايات فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا أو قارنا وهى ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت أن حجة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم فى حجته صلى الله عليه وسلم أنه كان أولا مفردا ثم أنه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى أنه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر الامر ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوى وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار

(على)

﴿ فأن أحصرتم ﴾ منعتم يقال حصره العدو وأحصره اذا حبسه ومنعه من المضى مثل صده وأصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعى رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله فى الحديبية ولقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لما روى عنه عليه الصلاة والسلام من كسر أو عرج فقد حل وعيه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى

على فعل واحد وبهذا أمكن الجمع بين الاحاديث المختلفة فى صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعى فى كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا فى ذلك فقال أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى أنه أمر به وأذن فيه ويجوز فى لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما تجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره وأريد به أنه أمر ببنائها وكما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما أمر برجمه واختار الشافعى الافراد واحتج فى ترجيحه بأنه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة رضى الله عنهم وهؤلاء لهم مزية فى حجة الوداع على غيرهم فاما جابر رضى الله عنه فهو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فأنه ذكرها من حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو أضبط لها من غيره وأما ابن عمر رضى الله عنهما فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وانما سمعه يلبى بالحج وأما ابن عباس رضى الله عنهما فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة رضى الله عنها فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد أن الخلفاء الراشدين أفردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه * وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير فى أصح القولين * وأركان العمرة أربعة الاحرام والطواف والسعى والحلق أو التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة * قوله تعالى ﴿ فأن أحصرتم ﴾ أصل الحصر فى اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف أهل اللغة فى الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد أحصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض اذا منعه من السفر أو حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن أهل اللغة يقال للذى يمنعه الخوف أو المرض أحصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة فى قوله فأن أحصرتم هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عدو يقال أحصر فهو محصر فأن حبس فى دار أو سجن قيل حصر فهو محصور وذهب

فأن أحصرتم) يقال أحصر فلان اذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز وحصر اذا حبسه عدو عن المضى وعندنا الاحصار يثبت بكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما لظاهر النص وقد جاء فى الحديث من كسر أو مرض فقد حل أى جاز له أن يحل وعليه الحج من قابل وعند الشافعى رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر النص يدل على أن الاحصار يتحقق فى العمرة أيضا لانه ذكر عقبهما

(فأن أحصرتم) حبستم عن الحج والعمرة من عدو

﴿ فما استيسر من الهدى ﴾ فعليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر والمعنى ان أحصر المحرم وأراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى ماتيسر عليه من بدنة أوبقرة أوشاة حيث أحصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى يبعث به ويجعل للمبعوث

قوم الى أنهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن أحصرك وقال أحمد بن يحيي أصل الحصر والاحصار الحبس وحصر فى الحبس أقوى من أحصر وقيل الاحصار يقال فى المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لايقال ألا فى المنع الباطن وأما قوله فأن أحصرتم فمحمول على الامرين وبحسب اختلاف أهل اللغة فى معناها اختلف الفقهاء فى حكمها فذهب قوم الى أن كل مانع من عدو أومرض أوذهاب نفقة فأنه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب أبى حنيفة ويدل عليه ماروى عن عكرمة قال حدثنى الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابى هريرة وابن عباس رضى الله عنهم فقالا صدق أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن وذهب قوم الى أنه لايباح له التحلل ألا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس رضى الله عنهم وبه قال مالك والليث والشافعى وأحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بأن نزول الآية كان فى قصة الحديبية فى سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبى صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه أيضا سياق الآية وهو قوله فأذا أمنتم والامن لايكون ألا من خوف وثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لاحصر ألا حصر العدو فثبت بذلك أن المراد من الاحصار وهو حصر العدو دون المرض وغيره * وأجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بأنه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط فى الاحرام ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ضباعة بنت الزبير أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله أنى أريد الحج أفاشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولى لبيك اللهم لبيك محلى من الارض حيث تحبسنى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * ولغيره أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى فذهب الشافعى وأحمد وأسحق اذا اشترط فى الحج فعرض له مرض أوعذر ان يتحلل ويخرج من أحرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى ﴿ فما استيسر من الهدى ﴾ ومعنى الآية فأن أحصرتم دون تمام الحج أو العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدى والهدى ما يهدى الى البيت وأعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قال ابن عباس رضى الله عنهما شاة لانه أقرب الى اليسر

(فما استيسر من الهدى) فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية يعنى فأن منعتم من المضى الى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم اذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة فما رفع بالابتداء أى فعليكم ما استيسر أو نصب أى فاهدوا ما استيسر

أومرض (فما استيسر من الهدى) فعليكم ما استيسر من الهدى شاة اوبقرة او

على يده يوم أمار فأذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ﴿ ولاتحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ﴾ أى لاتحلوا حتى تعلموا أن الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه حلا كان أوحرماوا قتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال أبوحنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى فى مطية ﴿ فمن كان منكم مريضا ﴾ مرضا يحوجه الى الحلق ﴿ أوبه أذى من رأسه ﴾ كجراحة وقمل ﴿ ففدية ﴾ فعليه فدية ان حلق ﴿ من صيام أوصدقة أونسك ﴾ بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه عليه الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة

ومحل ذبح هدى المحصر حيث أحصر واليه ذهب الشافعى لان النبى صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديبية بها وذهب أبوحنيفة الى أنه يقيم على أحرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل فى ذلك الوقت ﴿ ولاتحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ﴾ أى مكانه الذى يجب أن يذبح فيه وفيه قولان أحدهما أنه الحرم فأن كان حاجا فمحله يوم النحر وأن كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول أبى حنيفة والقول الثانى محل ذبحه حيث أحصر سواء كان فى الحل أو فى الحرم ومعنى محله يعنى حيث يحل ذبحه وأكله وهو قول مالك والشافعى وأحمد ويدل عليه ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه أخرجه البخارى * قوله عزوجل ﴿ فمن كان منكم مريضا أوبه أذى من رأسه ﴾ معناه ولاتحلقوا رؤسكم فى حال الاحرام ألا أن تضطروا الى حلقه لمرض أو أذى وهو القمل أو الصداع ﴿ ففدية ﴾ فيه اضمار تقديره فحلق رأسه فعليه فدية نزلت هذه الآية فى كعب بن عجرة رضى الله عنه (ق) عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر لى والقمل يتناثر على وجهى فقال أيؤذيك هوام رأسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو أنسك نسيكة لاأدرى بأى ذلك بدأ * وفى رواية قال فى نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا أوبه أذى من رأسه ففدية من صيام أوصدقة أونسك وذكر نحوه * وفى أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره * وفى أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت أرى أن الوجع بلغ منك ماأرى أوما كنت أرى أن الجهد بلغ بك ماأرى أتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت فى خاصة وهى لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية ﴿ من صيام ﴾ أى صوم ثلاثة أيام ﴿ أوصدقة ﴾ يعنى أطعام ثلاثة أصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع ﴿ أونسك ﴾ واحدتها نسيكة أى ذبيحة وأعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وهذه الفدية

(ولاتحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) الخطاب للمحصرين أى لاتحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا أن الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا فى أن دم الاحصار لايذبح الافى الحرم على الشافعى رحمه الله اذ عنده يجوز فى غير الحرم (فمن كان منكم مريضا) فمن كان منكم به مرض يحوجه الى الحلق (أوبه أذى من رأسه) وهو القمل أو الجراحة (ففدية) فعليه اذا حلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (أوصدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أونسك) شاة وهو مصدر أوجمع

بعير لترك الحرم (ولا تحلقوا رؤسكم) فى الحبس (حتى يبلغ الهدى) الذى تبعثون به (محله) منحره (فمن كان منكم مريضا) لايستطيع ان يقوم مقامه فى الحبس فيرجع الى بيته قبل ان يبلغ هديه الى محله (أوبه أذى من رأسه) أو فى رأسه قبل يحلق رأسه نزلت فى كعب بن عجرة وكان فى رأسه قمل فحلق رأسه فى الحرم (ففدية من صيام) ففداؤه صيام ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين من أهل مكة (أونسك) شاة يبعث بها

تمتع) استمتع (بالعمرة الى الحج) واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) هو هدى المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر (فمن لم يجد) الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت الحج وهو أشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام

الى محله (فأذا أمنتم) من العدو وبرأتم من المرض فاقضوا ما أوجب الله عليكم من حج أو عمرة من العام القابل (فمن تمتع) بالطيب واللباس (بالعمرة) بعد قضاء العمرة (الى الحج) الى ان يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) فعليه دم المتعة ودم القران والمتعة سواء بقرة أو شاة أو بعير (فمن لم يجد) فمن لم يستطع ان يفعل من هذه الثلاثة شيأ (فصيام ثلاثة أيام) فليصم ثلاثة ايام متتابعات (فى الحج) فى عشر الحج

لعلك اذاك هوامك قال نعم يارسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة آصع ﴿ فأذا امنتم ﴾ الاحصار أو كنتم فى حال سعة وامن ﴿ فمن تمتع بالعمرة الى الحج ﴾ فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج فى أشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج ﴿ فما استيسر من الهدى ﴾ فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبر ان يذبحه اذا أحرم بالحج ولا يأكل منه وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى انه دم نسك فهو كالاضحية ﴿ فمن لم يجد ﴾ أى الهدى ﴿ فصيام ثلاثة أيام فى الحج ﴾ فى ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال أبو حنيفة رحمه الله فى اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة

على التخيير أن شاء ذبح أو صام أو تصدق وكل هدى أو طعام يلزم المحرم فأنه لمساكين الحرم الاهدى المحصر فأنه يذبحه حيث أحصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء * قوله تعالى ﴿ فأذا أمنتم ﴾ يعنى من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا أمنتم من الاحصار ﴿ فمن تمتع بالعمرة الى الحج ﴾ قال ابن الزبير رضى الله عنهما معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع بأحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام المقبل وقيل معناه فأذا أمنتم وقد احللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا فى تلك السنة ثم اعتمرتم فى السنة القابلة فى اشهر الحج ثم احللتم فاستمتعتم بأحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق فى اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع فى اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه فى حال الاحرام الى احرامه بالحج ﴿ فما استيسر من الهدى ﴾ يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعدما أحرم بالحج أجزاه عند الشافعى كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند أبى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط أحدها ان يقدم العمرة على الحج الثانى ان يحرم بالعمرة فى اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان لا يكون من حاضرى المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة فى وجوب دم التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعى فلا يجوز ان يأكل منه وقال أبو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان يأكل منه وقوله ﴿ فمن لم يجد ﴾ يعنى الهدى ﴿ فصيام ثلاثة أيام فى الحج ﴾ أى فعليه صيام ثلاثة ايام فى وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب أن يصوم فى أيام الحج بحيث يكون فى يوم عرفة مفطرا فأن لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم أيام التشريق وبه قال مالك وأحمد

(قوله هوامك) جمع هامة بتشديد الميم وهى صغار الدواب غير ذوات السم من هم بمعنى دب وفى الحديث اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة * والفرق بفتح الفاء والراء وتسكن والقاف مكيال يسع ثلاثة آصع * وانسك بمعنى اذبح * وآصع جمع صاع وهو مكيال معروف مصححه

وثامنه وتاسعه ولايجوز يوم النحر وأيام والتشريق عندالاكثرين ﴿ وسبعة أذا رجعتم ﴾ الى أهليكم وهو أحد قولى الشافعى رضى الله تعالى عنه أو نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثانى ومذهب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه * وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام ﴿ تلك عشرة ﴾ فذلكة الحساب وفائدتها ان لايتوهم متوهم ان الواو بمعنى أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فأن أكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فأنه يطلق لها ﴿ كاملة ﴾ صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى محافظة العدد أو مبينة كمال العشرة فأنه أول عدد كامل اذبه تنتهى الآحاد وتتم مراتبها أو مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه لانه لامتعة ولاقران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك أى التمتع منهم فعليه دم جناية ﴿ لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ﴾ وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فأنه مقيم الحرم أو فى حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده وأهل الحل عند طاوس وغير المكى عند مالك

وهو أحد قولى الشافعى وقيل بل يصوم بعد أيام التشريق وهو رواية عن أحد والقول الآخر للشافعى ﴿ وسبعة أذا رجعتم ﴾ يعنى وصوموا سبعة أيام اذا رجعتم الى أوطانكم وأهليكم قاله أبن عباس رضى الله عنهما وبه قال الشافعى فلو صام قبل الرجوع الى أهله لم يجزئه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزئه أن يصوم السبعة أيام بعد الفراغ من أعمال الحج وقبل الرجوع الى أهله وبه قال أبو حنيفة رحمه الله ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ يعنى فى الثواب والاجر وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى لانه قد يحتمل أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدى فأعلم الله أن العشرة بكمالها هى القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن أنزل بلغة العرب والعرب تكرر الشئ تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة فى علم الحساب وهو أن يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل أن العرب لما كانوا لايعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أى أكملوها ولا تنقصوها ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الحكم الذى تقدم ﴿ لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ﴾ قيل حاضروا المسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة رحمه الله حاضروا المسجد الحرام أهل الميقات والمواقيت ذوالحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من أهل

الحج (وسبعة أذا رجعتم) اذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج (تلك عشرة كاملة) فى وقوعها بدلا عن الهدى أو فى الثواب أو المراد رفع الايهام فلايتوهم فى الواو أنها بمعنى الاباحة كما فى جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى انه لو جالسهما أو أحدا منهما كان ممتثلا (ذلك) اشارة الى التمتع اذ لاتمتع ولاقران لحاضرى المسجد الحرام عندنا وعند الشافعى رحمه الله الى الحكم الذى هو وجوب الهدى أو الصيام ولم يوجب عليهم شيأ (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) هم أهل المواقيت فمن دونها

آخرها يوم عرفة (وسبعة اذا رجعتم) الى أهاليكم فى الطريق أو فى أهاليكم (تلك عشرة كاملة) مكان الهدى (ذلك) يعنى دم المتعة (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) لمن لم يكن أهله ومنزله فى الحرم لانه ليس على أهل

﴿ واتقوا الله ﴾ فى المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان ﴿ الحج أشهر ﴾ أى وقته كقولك البرد شهران ﴿ معلومات ﴾ معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه أو وقت اعماله ومناسكه أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فأن مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وأبو حنيفة رضى الله عنه وأن صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهرين وبعض شهر

هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه فى قوله ذلك يرجع الى أقرب مذكور وهو لزوم الهدى أو بدله على التمتع وهو الآفاقى فأما المكى اذا تمتع أو قرن فلا هدى عليه ولا بدله لانه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فأقدامه على التمتع لا يوجب خللا فى حجه فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما أخرجه البخارى تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن متعة الحج فقال أهل المهاجرون والانصار وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا أهلالكم بالحج عمرة ألا من قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى فأنه لا يحل من شئ حتى يبلغ الهدى محله ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج فأذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم الى أمصاركم والشاة تجزئ فجمعوا بين النسكين فى عام بين الحج والعمرة فأن الله أنزله فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام وفى الحديث زيادة قال الحميدى قال أبو مسعود الدمشقى هذا حديث غريب ولم أجده ألا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه فى صحيحه من اجل عكرمة فأنه لم يرو عنه فى صحيحه وعندى أن البخارى انما أخذه من مسلم * قوله عز وجل ﴿ واتقوا الله ﴾ أى فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه فى الحج وفى غيره ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ يعنى لمن خالف أمره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه * قوله عز وجل ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ يعنى أشهر الحج أشهر معلومات وقيل وقت الحج أشهر معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبى وهو قول الشافعى والثورى وأبى ثور وحجة الشافعى ومن وافقه أن الحج يفوت بطلوع الفجر الثانى من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل

الى مكة (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن لم يتقه (الحج) أى وقت الحج كقولك البرد شهران (أشهر معلومات) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وهى شوال وذو العقدة وعشر ذى الحجة وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ان شيأ من أفعال الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعى رحمه الله وعندنا وان انعقد لكنه مكروه وجمعت أى الاشهر لبعض الثالث أو لان اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى

الحرم هدى التمتع (واتقوا الله) اخشوا الله فى ترك ما أمرتم (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن ترك ما أمر من هدى أو صوم (الحج أشهر معلومات) للحج اشهر معروفات يحرم فيها بالحج شوال وذو القعدة

أشهرا اقامة للبعض مقام الكل أو اطلاقا للجمع على مافوق الواحد ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ فمن أوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا أوبالتلبية أوسوق الهدى عند ابى حنيفة رضى الله عنه وهو دليل على ماذهب اليه الشافعى رحمه الله تعالى

على ان يوم النحر ليس من أشهر الحج وأيضا فأن الاحرام بالحج فيه لايجوز فدل على انه ومابعده ليس من أشهر الحج وقال ابن عباس رضى الله عنهما أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذى الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعى وقتادة ومكحول والضحاك والسدى وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وهى أحدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام أركان الحج وقيل ان أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهرى وهى الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان أوله من أشهر الحج كان آخره كذلك * فأن قلت هنا أشكال وهو أن الله تعالى قال قبل هذه الآية يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج * قلت قوله هى مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهى قوله تعالى الحج أشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل أن الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها * فان قلت انما قال الحج أشهر بلفظ الجمع وعند الشافعى أشهر الحج شهران وعشر ليال وعند أبى حنيفة وعشرة أيام فما وجه هذا * قلت أن لفظ الجمع يشترك فيه ماوراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل أنه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه فى ساعة منها ولا أشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان أشهر الحج ثلاث شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ يعنى فمن ألزم نفسه وأوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض مابه يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا فى ذلك الفعل فقال الشافعى ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه أن فرض الحج عبارة عن النية فوجب أن تكون النية كافية فى انعقاد الحج وقال أبو حنيفة رحمه الله لايصح الشروع فى الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه التلبية أوسوق الهدى ووجهه أن الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلابد من انضمام شئ الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية فى الصلاة وفى الآية دليل على أن الاحرام بالحج لاينعقد ألا فى أشهره وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما واليه ذهب الشافعى وأحمد وأسحق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد فى غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولافائدة وقال مالك والثورى وأبو حنيفة ينعقد أحرامه بالحج فى جميع شهور السنة ووجهه أن الاحرام الزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هى مواقيت

فقد صغت قلوبكما (فمن فرض) الزم على نفسه بالاحرام (فيهن الحج) فى وعشر من ذى الحجة (فمن فرض فيهن الحج) فمن احرم فيهن بالحج

(ولافسوق) هو المعاصى أو السباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق أو التنابز بالالقاب لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق (ولا جدال فى الحج) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج أسمج كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قراءة القرآن والمراد بالنفى وجوب انتفائها وانها حقيقة بأن لاتكون وقرأ أبو عمرو ومكى الاولين بالرفع فحملاهما على معنى النهى كأنه قيل فلايكونن رفث ولافسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولاشك ولاخلاف فى الحج ثم حث على الخير عقيب النهى عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة بقوله

وان من أحرم الحج لزمه الاتمام ﴿ فلا رفث ﴾ فلا جماع اوفلا فحش من الكلام ﴿ ولافسوق ﴾ ولاخروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ﴿ ولاجدال ﴾ ولا مراء مع الخدم والرفقة ﴿ فى الحج ﴾ فى أيامه نفى الثلاثة على قصد النهى للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بأن لاتكون وماكانت منها مستقبحة فى نفسها ففى الحج أقبح كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة *وقرأ ابن كثير وأبوعمرو الاولين بالرفع على معنى لايكونن رفث ولافسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر

للناس والحج وقدتقدم الجواب عنه وقوله تعالى ﴿ فلارفث ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الرفث الجماع * وفى رواية عنه أن الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به فى غيبة النساء لايكون رفثا قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس رضى الله عنهما بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * أن يصدق الطير ننك لميسا

فقلت أترفث وأنت محرم فقال أن الرفث ماقيل عند النساء * وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه * وقوله فلارفث يحتمل أن يكون نهيا عن تعاطى الجماع وأن يكون نهيا عن الحديث فى ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فلايرفث يومئذ ولايصخب ﴿ ولافسوق ﴾ أصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس رضى الله عنهما هى المعاصى كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهرى والربيع. والقرظى وقال ابن عمر رضى الله عنهما هو مانهى عنه المحرم فى حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظافر وأخذ الشعر وماأشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ﴿ ولاجدال فى الحج ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الجدال هو المراء وهو ان يمارى الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج فى ذى القعدة وبعضهم فى ذى الحجة وكل يقول الصواب فيمافعلته فأنزل الله ولاجدال فى الحج فأخبر ان امر الحج قد استقر على مافعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاخلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبى صلى الله عليه

(فلارفث) فلا جماع فى الاحرام (ولافسوق) لاسباب ولا تنابز (ولاجدال) لامرىء مع صاحبه (فى الحج) فى احرام الحج ويقال لاجدال

الحرام فارتفع الخلاف بأن أمروا بأن يقفوا أيضا بعرفة ﴿ وماتفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ حث على الخير عقيب النهى عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه ﴿ وتزودوا فأن خير الزاد التقوى ﴾ وتزودوا لمعادكم التقوى فأنه خير زاد وقيل نزلت فى أهل اليمن كانوا يحجون ولايتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فأمروا أن يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس ﴿ واتقون ياأولى الالباب ﴾ فأن قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرأوا من كل شئ

وسلم الاان الزمان قداستدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولاشك فى الحج انه فى ذى الحجة فأبطل النسئ وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهى أى لاترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا فى الحج وانما نهى عن ذلك وأمر باجتنابه فى الحج وان كان اجتناب ذلك فى كل الاحوال والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال فى الحج أسمج وأفظع منه فى غيره ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ أى لايخفى عليه شئ من أعمالكم وهوالذى يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهى عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لايوجد منهم مانهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع أفعال العباد من الخير والشر لفائدة وهى انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فأذا كان هذا فعله مع عبده فى الدنيا فكيف يكون فى العقبى وهو أرحم الراحمين وأكرم الاكرمين ﴿ وتزودوا فأن خير الزاد التقوى ﴾ نزلت فى أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا أفلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما أفضى بهم الحال الى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا أى ماتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا أبرامهم والتثقيل عليهم فأن خير الزاد التقوى وقيل فى معنى الآية وتزودوا من التقوى فأن الانسان لابد له من سفر فى الدنيا ولابد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولابد فيه من زاد أيضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد أفضل من الزاد الاول فأن زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم فى الآخرة وفى هذا المعنى قال الاعشى

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لاتكون كمثله * وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

﴿ واتقون ﴾ أى وخافوا عقابى وقيل معناه واشتغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله ﴿ ياأولى الالباب ﴾ ياذوى العقول الذين يعلمون حقائق

يجازيكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات كان أهل اليمن لايتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم (وتزودوا) اى تزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم (فأن خير الزاد التقوى) أى الاتقاء عن الابرام والتثقيل عليهم أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فأن خير الزاد اتقاؤها (واتقون) وخافوا عقابى وهو مثل دعان (ياأولى الالباب) ياذوى العقول يعنى أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكأنه لالب له ونزل فى قوم زعموا أن لاحج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداج وليسوا

فى فرضية الحج (وماتفعلوا من خير) ماتتركوا من رفث وفسوق وجدال فى الحرم (يعلمه الله) يقبله الله (وتزودوا ياأولى الالباب) من زاد الدنيا مقدم ومؤخر يقول تزودوا من الدنيا ماتكفون به وجوهكم عن المسئلة ياذوى العقول من الناس والاتوكلوا على الله (فأن خير الزاد التقوى) فان التوكل خير زاد من زاد الدنيا (واتقون) اخشونى فى الحرم (ياأولى الالباب) نزلت هذه الآية فى اناس من اهل اليمن كانوا يحجون بغير زاد فيصيبون فى الطريق من اهل المنزل ظلما فنهاهم الله

سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص أولى الالباب بهذا الخطاب ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا ﴾ فى أن تبتغوا أى تطلبوا ﴿ فضلا من ربكم ﴾ عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذوالمجاز أسواقهم فى الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معائشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت ﴿ فأذا أفضتم من عرفات ﴾ دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء اذا صببته بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول كما حذف فى دفعت من البصرة * وعرفات جمع سمى به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لاتنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة

الامور * قوله عزوجل ﴿ ليس عليكم جناح ﴾ أى حرج ﴿ أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ يعنى رزقا ونفعا وهو الربح فى التجارة (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت عكاظ ومجنة وذوالمجاز أسواقا فى الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تأثموا أن يتجروا فى المواسم فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج وقرأها ابن عباس رضى الله عنهما هكذا * وفى رواية أن تبتغوا فى مواسم الحج فضلا من ربكم * وعكاظ سوق معروف بقرب مكة * ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقى هى بأسفل مكة على بريد منها وذوالمجاز سوق عند عرفة كانت العرب فى الجاهلية يتجرون فى هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة أيام من آخر ذى القعدة وثمانية أيام من أول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة فى يوم التروية وقال الداودى مجنة عند عرفة وعن أبى أمامة التيمى قال كنت رجلا أكرى فى هذا الوجه وكان الناس يقولون لى انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر رضى الله عنهما فقلت له يا أبا عبد الرحمن انى رجل أكرى فى هذا الوجه وان أناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار فقلت بلى قال فأن لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ماسألتنى عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج أخرجه أبو داود والترمذى وقال بعض العلماء ان التجارة ان أوقعت نقصا فى أعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التى الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة أفضل وأكمل * قوله عز وجل ﴿ فأذا أفضتم ﴾ أى دفعتم والافاضة دفع بكثرة ﴿ من عرفات ﴾ جمع عرفة سميت بذلك وأن كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل أن اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى أبراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمى

بالحاج (ليس عليكم جناح أن تبتغوا) فى ان تبتغوا فى مواسم الحج (فضلا من ربكم) عطاء وتفضيلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء (فأذا أفضتم) دفعتم بكثرة من افاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول (من عرفات) هى علم للموقف سمى بجمع كاذرعات وانما صرفت لان التاء فيها ليست للتأنيث بل هى مع الالف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لاتكون الا بعده

عن ذلك (ليس عليكم جناح) حرج (ان تبتغوا) تطلبوا (فضلا من ربكم) بالتجارة فى الحرم نزلت فى اناس كانوا لايرون البيع والشراء فى الحرم فرخص الله لهم ذلك (فأذا أفضتم من عرفات) فاذا رجعتم من عرفات الى المشعر الحرام

تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك أولان التأنيث أما أن يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء تأنيث وانماهى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث أو بتاء مقدرة كما فى سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث أنها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كما ثبت وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما أبصره عرفه أولان جبريل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر فلما أراه قال عرفت أولان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا أولان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهى من الاسماء المرتجلة ألا أن يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لاتكون الابعده وهى مأموربها بقوله ثم افيضوا ومقدمة الذكر المأمور به واجبة وفيه نظر اذالذكر غيرواجب بل مستحب وعلى تقدير أنه واجب فهوواجب مقيد

ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك أن آدم لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات فى يوم عرفة فتعارفا فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى أن أبراهيم لما أذن فى الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأبى من أبى أمره الله تعالى أن يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان أنه لايطيعه ذهب فانطلق أبراهيم حتى أتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجازه فسمى ذا المجاز ثم انطلق أبراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا أمسى ازدلف الى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنه أن أبراهيم رأى ليلة التروية فى منامه أنه يؤمر بذبح ولده فلما أصبح تروى يومه أجمع أى تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى أم من الشيطان فسمى يوم التروية ثم رأى ذلك فى ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل سمى بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمى عرفة من العرف وهو الطيب وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء أى يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلايكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة * واعلم أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولايتم الحج ألا به ومن فاته الوقوف فى وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثانى من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات فى هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل أونهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فأذا غربت الشمس دفع من عرفات وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ

لاواجب مطلق حتى يجب مقدمته والامر به غير مطلق ﴿ فاذكروا الله ﴾ بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين ﴿ عند المشعر الحرام ﴾ جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل مابين مأزمى عرفة ووادى محسر ويؤيد الاول ماروى جابر رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام لماصلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمى مشعرا

ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يارسول الله فقال الصلاة أمامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل أنسان بعيره فى منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيأ ❁ قوله عزوجل ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ سمى مشعرا من الشعار وهى العلامة لانه من معالم الحج وأصل الحرام المنع فهو ممنوع من أن يفعل فيه مالم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو مابين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة الى وادى محسر وليس المأزمان ولاوادى محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول أصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتى المغرب والعشاء هناك ويدل عليه أن قوله فاذكروا الله أمر وهو للوجوب ولايجب هناك ألا الصلاة والذى عليه جمهور العلماء أن المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ﴿ ق ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن اسامة بن زيد كان رديف النبى صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزلفة ثم أردف الفضل من المزلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة ❁ عن جابر رضى الله عنه قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيأ ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوى بغير سند ولم اجده فى الاصول قال طاوس كانوا فى الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فأخر الافاضة من عرفة الى مابعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى ماقبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل ايها الجبل فى الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير اى ندفع للنحر يقال اغار اذا أسرع ودفع فى عدوه

(فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء (عند المشعر الحرام) هو قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه الميقدة والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وسميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها أى دنا منها أو

(فاذكروا الله) بالقلب واللسان (عند المشعر الحرام

لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ممايليه ويقرب منه فأنه أفضل وألا فالمزدلفة كلها موقف ألاوادى محسر ﴿واذكروه كما هداكم﴾ كما علمكم أواذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية أوكافة ﴿وأن كنتم من قبله﴾ أى الهدى ﴿لمن الضالين﴾ الجاهلين بالايمان والطاعة وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ أى من عرفة لامن المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فأمروا بأن يساووهم وثم لتفاوت مابين الافاضتين كما فى قولك أحسن الى الناس ثم لاتحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام * وقرئ الناس بالكسر أى الناسى يريد آدم من قوله سبحانه وتعالى فنسى

(خ) عن عمرو بن ميمون رضى الله عنه قال قال عمر رضى الله عنه كان اهل الجاهلية لايفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرف ثبير فخالفهم النبى صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل طلوع الشمس * قوله عز وجل ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أى اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه ﴿وان كنتم من قبله لمن الضالين﴾ اى لاتعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء فى من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول أى من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذى انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين * قوله عز وجل ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ اى لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس * وفى المخاطبين بهذا قولان * احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون أن يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع وأخبرهم أنه سنة أبراهيم وأسمعيل عليهما الصلاة والسلام (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتى عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس * قولها كانوا يسمون الحمس هو جمع أحمس وأصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم فى دينهم فعلى هذا القول الناس معناهم جميع العرب سوى الحمس * والقول الثانى أنه خطاب لسائر المسلمين أمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض أبراهيم وهو المراد بقوله من حيث أفاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسى

لانه يجمع فيها بين الصلاتين أولان الناس يزدلفون الى الله تعالى أى يتقربون بالوقوف فيها (واذكروه كما هداكم) ما مصدرية أو كافة أى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أواذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولاتعدلوا عنه (وأن كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لاتعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولاتكن من المزدلفة قالوا هذا أمر لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلانخرج منه وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهى الافاضة من جمع الى منى والمراد بالناس على هذا الحمس ويكون الخطاب

واذكروه كما هداكم) على ماهداكم (وان كنتم) وقد كنتم (من قبله) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاسلام (لمن الضالين) الكافرين (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) يقول ارجعوا من حيث رجع

والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه ﴿ واستغفروا الله ﴾ من جاهليتكم فى تغيير المناسك ونحوه ﴿ أن الله غفور رحيم ﴾ يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه ﴿ فأذا قضيتم مناسككم ﴾ فأذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها

بالياء وقال هو آدم عهد اليه فنسى ووجه هذا أن الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمى والنحر واراد بالناس أبراهيم وأسمعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها فى قوله فأذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذى عليه جمهور المفسرين * فأن قلت على القول الاول الذى هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لايقتضى ذلك لان قوله فأذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز *قلت أجيب عن هذا الاشكال بأن فيه تقديما وتأخيرا وتقديره ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله أن الله غفور الرحيم ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فأذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح أن تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل أن ثم فى قوله ثم أفيضوا بمعنى الواو أى وأفيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن أبيه قال سئل اسامة بن زيد رضى الله عنهما وأنا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق * العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو أشد من المشى * والفجوة الفرجة وهى المتسع من الارض * والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه دفع مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبى صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فأشار بسوطه اليهم وقال يأيها الناس عليكم بالسكينة فأن البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد * قوله تعالى ﴿ واستغفروا الله ﴾ أى من مخالفتكم فى الموقف ولجميع ذنوبكم ﴿ أن الله غفور رحيم ﴾ يعنى ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة فى الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة عن عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه * قوله عز وجل ﴿ فأذا قضيتم مناسككم ﴾ أى فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسائككم أى ذبائحكم وذلك بعد رمى جمرة العقبة والاستقرار

للمؤمنين (واستغفروا الله) من مخالفتكم فى الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم فى اعمال الحج (أن الله غفور رحيم) بكم (فأذا قضيتم مناسككم) فاذا فرغتم

أهل اليمن (واستغفروا الله) لذنوبكم (أن الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة نزلت فى اناس يقال لهم الحمسيون كانوا لايرون الخروج من الحرم الى عرفات لحجهم فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم ان يذهبوا الى عرفات ويرجعوا من ثمه (فأذا قضيتم مناسككم) فاذا فرغتم من سنن حجكم

﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾ فأكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر
آبائكم فى المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل
فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم ﴿ أو أشد ذكرا ﴾ اما مجرور معطوف على
الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آبائكم أو كذكر أشد
منه وأبلغ أو على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى أو كذكر قوم أشد منكم ذكرا واما منصوب
بالعطف على آبائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى أو كذكركم اشد مذكورا من
آبائكم أو بمضمر دل عليه المعنى تقديره أو كونوا أشد ذكرا لله منكم لآبائكم ﴿ فمن الناس
من يقول ﴾ تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب
به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد اليه ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا ﴾

بمنى ﴿ فاذكروا الله ﴾ يعنى بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه
﴿ كذكركم آباءكم ﴾ قال أهل التفسير كانت العرب فى الجاهلية اذا فرغوا من
حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر
آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول أحدهم كان أبى
كبير الجفنة رحب الفناء يقرى الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه
ويتناشدون الاشعار فى ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم
الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالاسلام
أمرهم ان يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكرونى فأنا الذى فعلت ذلك بكم وبهم
وأحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان
الصغار الآباء وذلك ان الصبى أول ما يفصح بالكلام يقول أبه أمه لا يعرف غير ذلك
فأمرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء ﴿ أو أشد ذكرا ﴾ أى بل اشد
ذكرا وقيل أو بمعنى الواو أى واشد ذكرا أى واكثر ذكرا للآباء لانه هو المنعم عليهم
وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن
هذه الآية قيل له قد يأتى على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه فقال ليس كذلك
ولكن أن تغضب لله عز وجل اذا عصى أشد من غضبك لوالديك اذا شتما ﴿ فمن
الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا ﴾ يعنى أن المشركين كانوا يسألون الله فى
حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم أعطنا أبلا وغنما وبقرا وعبيدا وأماء وكان
أحدهم يقوم فيقول اللهم أن أبى كان عظيم الفئة كبير الجفنة كثير المال فأعطنى مثل ما أعطيته
قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب (خ) عن أبى هريرة رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة أن
أعطى رضى وأن لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش * قوله
تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار * والخميصة
ثوب من خز أو صوف معلم * قوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضا لان من انتكس

من عباداتكم التى أمرتم بها فى الحج ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) أى
فاذكروا الله ذكرا مثل
ذكركم آباءكم والمعنى
فاكثروا من ذكر الله
وبالغوا فيه كما تفعلون فى
ذكر آبائكم ومفاخرهم
وايامهم وكانوا اذا قضوا
مناسكهم وقفوا بين المسجد
بمنى وبين الجبل فيعددون
فضائل آبائهم ويذكرون
محاسن ايامهم (أو أشد
ذكرا) اى اكثر وهو فى
موضع جر عطف على
ما اضيف اليه الذكر فى قوله
كذكركم كما يقولون كذكر
قريش آبائهم أو قوم اشد
منهم ذكرا وذكرا تمييز
(فمن الناس من يقول) فمن
الذين يشهدون الحج من
يسأل الله حظوظ الدنيا
فيقول (ربنا آتنا فى الدنيا)
اجعل اتياننا اى اعطاءنا
فى الدنيا خاصة يعنى الجاه

(فاذكروا الله) فقولوا
يا الله (كذكركم آباءكم)
يا أبه ويقال اذكروا
الله بالاحسان اليكم كذكركم
آباءكم كما ذكرتم آباءكم
فى الجاهلية بالاحسان
(أو أشد ذكرا) بل اكثر
ذكرا من ذكر آباءكم
(فمن الناس من يقول)
فى الموقف (ربنا آتنا)
اعطنا (فى الدنيا) ابلا
وبقرا وغنما وعبيدا واماء

اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا ﴿وماله فى الآخر من خلاق﴾ أى نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا أومن طلب خلاق ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة﴾ يعنى الصحة والكفاف وتوفيق الخير ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ يعنى الثواب والرحمة ﴿وقنا عذاب النار﴾ بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله تعالى عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار أمثلة للمراد بها

على رأسه أوفى أمره فقد خاب وخسر * قوله واذاشيك هذا فعل مالم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذدخلت فى جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث ﴿وماله فى الآخرة من خلاق﴾ أى وماله فى الآخرة من حظ ولا نصيب ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ يعنى المؤمنين *واعلم أن الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا فى الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لايعتقدون البعث والآخرة والفريق الثانى هم المؤمنون الذين جمعوا فى الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لاطاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالاولى له أن يستعيذ بالله من شرها وآلامها لانه لواضطرب على الانسان عرق من عروقه لشوش عليه حياته فى الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك أن طلب الدنيا فى الدعاء من أمر الدين فلذلك قال الله تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة قيل أن الحسنة فى الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقيل الحسنة فى الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفى الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتى فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة يعنى فى الدنيا عافية وفى الآخرة عافية (م) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشئ أوتسأله اياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبنى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لاتطيقه ولاتستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان اكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة

بالآخرة والمعنى أكثروا ذكر الله ودعاءه لان الناس من بين مقل لايطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين أى من الذين قيل فيهم (ومنهم) ومن الذين يشهدون الحج (من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) نعمة وعافية أو علما وعبادة (وفى الآخرة حسنة) عفوا ومغفرة أو المال والجنة أوثناء الخلق ورضا الحق أو الايمان والامان أو الاخلاص والخلاص أو السنة والجنة أو القناعة والشفاعة أو المرأة الصالحة والحور العين أو العيش على سعادة والبعث من من القبور على بشارة (وقنا عذاب النار) احفظنا من عذاب جهنم أو عذاب النار

ومالا (وماله فى الآخرة من خلاق) من نصيب فى الجنة بحجه (ومنهم من يقول ربنا آتنا) اعطنا (فى الدنيا حسنة) العلم والعبادة والعصمة من الذنوب والشهادة والغنيمة (وفى الآخرة حسنة) الجنة ونعيمها (وقنا عذاب النار) ادفع عنا عذاب القبر

(وفى)

﴿أولئك﴾ أشارة الى الفريق الثانى وقيل اليهما ﴿لهم نصيب مما كسبوا﴾ أى من جنسه وهو جزاؤه أومن أجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا أو مما دعوابه نعطيهم منه ماقدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال ﴿والله سريع الحساب﴾ يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم فى مقدار لمحة أويوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ كبروه أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى أيام

وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ❁ عن عبدالله بن السائب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخرجه أبو داود ﴿أولئك﴾ اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال وماله فى الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين ﴿لهم﴾ جميعا أى لكل فريق من هؤلاء ﴿نصيب﴾ أى حظ ﴿مما كسبوا﴾ يعنى من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا ﴿والله سريع الحساب﴾ ذكروا فى معنى الحساب أن الله تعالى يعلم العباد مالهم وعليهم بمعنى أن الله تعالى يخلق العلوم الضرورية فى قلوبهم بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير مالهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل أن المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل أن الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم ومالهم من الثواب والعقاب وقيل أنه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لايحتاج الى عقد يد وروية فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لايشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولامساعد فلا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق فى اقل من لمحة البصر وروى انه تعالى يحاسب الخلائق فى قدر حلب شاة أوناقة وقيل فى معنى كونه تعالى سريع الحساب أى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون فى الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه شئ من ذلك لانه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل فى معنى الآية أن أتيان القيامة قريب لان كل ماهو كائن وآت قريب لامحالة وفيه اشارة الى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة ❁ قوله عز وجل ﴿واذكروا الله﴾ يعنى بالتوحيد والتعظيم والتكبير فى أدبار الصلوات وعند رمى الجمرات وذلك أنه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة ﴿فى أيام معدودات﴾ يعنى أيام التشريق وهى أيام منى ورمى الجمار سميت معدودات لقلتهن وهى ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها اليوم الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول

من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة أومن أجل ما كسبوا وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب ويجوز أن يكون أولئك للفريقين أوان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة أووصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته وروى انه يحاسب الخلق فى قدر حلب شاة وروى فى مقدار لمحة (واذكروا الله فى أيام معدودات) هى أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير فى أدبار الصلوات

وعذاب النار (أولئك) أهل هذه الصفة (لهم نصيب) حظ وافر فى الجنة (مما كسبوا) من حجهم (والله سريع الحساب) يقول اذا حاسب فحسابه سريع ويقال سريع الحفظ ويقال شديد العقاب لاهل الرياء (واذكروا الله) بالتكبير والتهليل والتمجيد (فى أيام معدودات) معلومات ايام التشريق وهى خمسة ايام يوم عرفة ويوم النحر وثلاثة ايام

التشريق ﴿ فمن تعجل ﴾ فمن استعجل النفر ﴿ فى يومين ﴾ يوم القر والذى بعده أى فمن نفر فى ثانى أيام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده ﴿ فلا أثم عليه ﴾ باستعجاله

ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعى وقيل أن الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن أبى طالب رضى الله عنه ويروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أيضا وهو مذهب أبى حنيفة (م) عن نبيشة الهذلى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ومن الذكر فى هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه وفى مجلسه وفى ممشاه فى تلك الايام جميعا * وفى رواية أنه كان يكبر فى قبته فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الاسواق حتى ترتج منى أخرجه البخارى بغير أسناد وأجمع العلماء على أن المراد بهذا هو التكبير عند رمى الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها فى جميع أيام التشريق وأجمعوا أيضا على أن التكبير فى عيد الاضحى وفى هذه الايام فى أدبار الصلوات سنة واختلفوا فى وقت التكبير فقيل يبتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى خمس عشرة صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وبه قال الشافعى فى أصح اقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون فى التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل أنه يبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم صلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو القول الثانى للشافعى فيكون التكبير على هذا القول فى ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعى أنه يبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى ثلاث وعشرين صلاة وهو قول على بن ابى طالب رضى الله عنه ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير فى ثمان صلوات وبه قال أبو حنيفة وقال احمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر أيام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبع عشرة صلاة اولها الظهر من يوم النحر وآخرها أيام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعى ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول أهل المدينة قال الشافعى وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه يكبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول أهل العراق * قوله عز وجل ﴿ فمن تعجل فى يومين ﴾ أى فمن تعجل النفر الاول وهو فى الثانى من أيام التشريق ﴿ فلا أثم عليه ﴾ أى فلا حرج عليه وذلك أنه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالى أيام التشريق ليرمى كل يوم

وعند الجمار (فمن تعجل) فمن عجل فى النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل فى الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق بقوله ومن تأخر (فى يومين) من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث واكتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الايام الثلاثة (فلا أثم عليه) فلا يأثم بهذا التعجيل

بعدهما (فمن تعجل) برجوعه الى اهله (فى يومين) بعد يوم النحر (فلا أثم عليه)

(قوله عنده) قال فى الكفاية أى عند أبى حنيفة والمقام مقام الاظهار مصححه

﴿ ومن تأخر فلا أثم عليه ﴾ ومن تأخر النفر حتى رمى فى اليوم الثالث بعد الزوال وقال أبو حنيفة رضى الله عنه يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على أهل الجاهلية فأن منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم التأخر ﴿ لمن اتقى ﴾ أى الذى ذكر من التخيير أو من الاحكام لمن أتقى لانه الحاج على الحقيقة والمتفع به أولا جله حتى لايتضرر بترك مايهمه منهما ﴿ واتقوا الله ﴾ فى مجامع أموركم ليعبأ بكم ﴿ واعلموا أنكم اليه تحشرون ﴾ للجزاء بعد الاحياء وأصل الحشر الجمع وضم المتفرق

بعد الزوال أحدى وعشرين حصاة برمى عند كل جرة سبع حصيات ثم من رمى فى اليوم الثانى وأراد أن ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا أثم عليه يعنى فلا أثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله ﴿ ومن تأخر فلا أثم عليه ﴾ يعنى ومن تأخر الى النفر الثانى وهو اليوم الثالث من أيام التشريق فلا أثم عليه فى تأخره * وأعلم أنه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثانى من أيام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وأن غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمى اليوم الثالث هذا مذهب الشافعى وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة يجوزله أن ينفر مالم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمى بعد ورخص لرعاة الابل وأهل سقاة الحاج ترك المبيت بمنى ليالى منى * فأن قلت قوله ومن تأخر فلا أثم عليه فيه أشكال وهو أن الذى أتى بأفعال الحج كاملة تامة فقد أتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا أثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه * قلت فيه أجوبة * أحدها انه تعالى لما أذن فى التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فأنه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لااثم عليه فى الامرين فأن شاء عجل وان شاء أخر * الجواب الثانى ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب فى فعله وانه لااثم عليه * الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة * الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى قال فتعجلوا أو تأخروا فلا اثم فى التعجيل ولا فى التأخير ﴿ لمن اتقى ﴾ أى ذلك التخيير ونفى الاثم للحاج المتقى وقيل لمن اتقى ان يصيب فى حجه شيأ مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور فى الحج وقيل معناه أنه ذهب أثمه أن اتقى فيما بقى من عمره وذلك أن الحاج يرجع مغفورا له بشرط أن لا يرتكب مانهى عنه فيما بقى من عمره وهو قوله ﴿ واتقوا الله ﴾ أى فى المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات ﴿ واعلموا أنكم اليه تحشرون ﴾ أى فيجازيكم بأعمالكم وفيه حث على التقوى * قوله عز وجل

(ومن تأخر)حتى رمى فى اليوم الثالث (فلا أثم عليه لمن اتقى) الصيد أو الرفث والفسوق أو هو مخير فى التعجيل والتأخر وان كان التأخر أفضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم أفضل وقيل كان أهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى المأثم عنهما (واتقوا الله) فى جميع الامور (واعلموا أنكم اليه تحشرون) حين يبعثكم من القبور كان الاخنس ابن شريق حلو المنطق اذا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله انى صادق

بتعجيله (ومن تأخر) الى اليوم الثالث (فلا أثم عليه) بتأخره ويقال فلا عتب عليه بتأخره يخرج مغفورا (لمن اتقى) يقول التعجيل لمن اتقى الصيد الى اليوم الثالث (واتقوا الله) واخشوا الله فى اخذ الصيد الى اليوم الثالث (واعلموا أنكم اليه تحشرون)

فنزل فيه (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشئ العجيب الذي يعظم في النفس (في الحياة الدنيا) في يتعلق بالقول أي يعجبك مايقوله في معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة أو يعجبك أي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة (ويشهد الله على ما في قلبه) أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام (وهو ألد الخصام) شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام والمخاصمة والاضافة بمعنى في لان أفعل يضاف الى ماهو بعضه تقول زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره ألد في الخصومة أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو أشد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق (سعى في الارض ليفسد فيها) كما فعل بثقيف فأنه كان بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم (ويهلك الحرث والنسل) أي الزرع والحيوان أو اذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم

بعد الموت (ومن الناس من يعجبك قوله) كلامه وحديثه وعلانيته (في الحيوة الدنيا) في الدنيا (ويشهد الله على ما في قلبه) يحلف بالله اني احبك واتابعك (وهو ألد الخصام) جدل بالباطل شديد الخصومة (واذا تولى) غضب ﴿خصومة﴾ (سعى) مشى (في الارض ليفسد فيها) بالمعاصي (ويهلك الحرث) الزرع والكدس بالحرق (والنسل) يهلك الحيوان

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله ﴾ يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه ﴿ في الحيوة الدنيا ﴾ متعلق بالقول أي مايقوله في أمور الدنيا وأسباب المعاش أو في معنى الدنيا فأنها مراده من أدعاء المحبة وأظهار الايمان أو يعجبك أي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة أو لانه لا يؤذن له في الكلام ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه ﴾ يحلف ويستشهد الله على أن ما في قلبه موافق لكلامه ﴿ وهو ألد الخصام ﴾ شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز أن يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى أشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم ﴿ واذا تولى ﴾ أدبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا ﴿ سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ﴾ كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ﴾ نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه أشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم أن محمدا ابن أختكم فأن يك كاذبا كفاكموه الناس وأن يك صادقا كنتم أسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال أني سأخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله أي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بأمر الدنيا ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه ﴾ يعني قوله والله اني بك مؤمن ولك محب ﴿ وهو ألد الخصام ﴾ أي شديد الجدال في الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم يعني الشديد في الخصومة ﴿ واذا تولى ﴾ أي أدبر وأعرض عنك بعد الانة القول وحلاوة المنطق ﴿ سعى في الارض ﴾ أي سار ومشى في الارض ﴿ ليفسد فيها ﴾ يعني بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين ﴿ ويهلك الحرث والنسل ﴾ وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف

حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد واذا قيل له) للاخنس (اتق الله) فى الافساد والاهلاك (أخذته العزة بالاثم) حملته النخوة وحمية الجاهلية على الاثم الذى ينهى عنه وألزمته ارتكابه أو الباء للسبب أى أخذته العزة من أجل الاثم الذى فى قلبه وهو الكفر (فحسبه جهنم) أى كافيه (ولبئس المهاد) أى الفراش جهنم ونزل فى صهيب حين أراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة أوفيين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (ومن الناس من يشرى) يبيعها (نفسه ابتغاء) لابتغاء (مرضات الله

والاتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه ﴿ وأذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ﴾ حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاجا من قولك أخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته أياه ﴿ فحسبه جهنم ﴾ كفته جزاء وعذابا *وجهنم علم لدار العقاب وهى فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب ﴿ ولبئس المهاد ﴾ جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به *والمهاد الفراش وقيل مايوطأ للجنب ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ﴾ يبيعها أى يبذلها فى الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ﴿ ابتغاء مرضات الله ﴾ طلبا لرضاه قيل أنها نزلت فى صهيب بن سنان الرومى رضى الله عنه أخذ المشركون وعذبوه ليرتد فقال أنى شيخ كبير لا ينفعكم أن كنت معكم ولا يضركم أن كنت عليكم. فخلونى وما أنا

خصومة فبيتهم ليلا فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فأحرق له كدسا وعقر له أتانا وقيل معناه اذا تولى أى صار واليا وملك الامر سعى فى الارض ليفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل أن الآية عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع ان تنزل فى رجل واحد ثم تكون عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يرضى بالمعاصى واحتجت المعتزلة بهذه الآية على أن المحبة عبارة عن الارادة وأجيب عنه بأن الارادة معنى غير المحبة فأن الانسان قد يريد شيأ ولا يحبه وذلك لانه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل أن المحبة مدح الشئ وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك ﴿ وأذا قيل له اتق الله ﴾ أى خف الله فى سرك وعلانيتك ﴿ أخذته العزة بالاثم ﴾ أى حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بأن يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه وأصل العزة المنعة والتكبر ﴿ فحسبه جهنم ﴾ أى كافية له جهنم جزاء وعذابا* وجهنم اسم من أسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الآخرة وقيل هى اسم أعجمى وقيل بل هى عربى سميت النار بذلك لبعد قعرها ﴿ ولبئس المهاد ﴾ أى الفراش والمهاد التوطئة أيضا والمعنى أن العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود رضى الله عنه ان من أكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى * قوله عز وجل ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى سرية الرجيع وكانت بعد أحد (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن =

بالقتل (والله لا يحب الفساد) والمفسد (واذا قيل له اتق الله) فى صنعك (أخذته العزة بالاثم) الحمية بالتكبر (فحسبه جهنم) مصيره الى جهنم (ولبئس المهاد) الفراش والمصير نزلت هذه الآية فى اخنس بن شريق وكان حسن المنظر حلو المنطق وكان يعجب النبى صلى الله عليه وسلم كلامه بأنى احبك وابايعك فى السر ويحلف بالله على ذلك وكان منافقا زعموا انه احرق كدس قوم وقتل حمار القوم (ومن الناس من يشرى) من يشترى (نفسه) بماله (ابتغاء مرضات الله) طلب رضا الله نزلت فى صهيب بن سنان وأصحابه اشترى نفسه بماله من أهل مكة

الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا أثرهم حتى لحقوهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا الى فدفد وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لانقتل منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا انزل فى ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا أول الغدر فأبى ان يصحبهم فجروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحرث ابن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذى قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى اذا اجتمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال أتخشين منى ان اقتله ماكنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول مارأيت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب ومابمكة يومئذ تمرة وأنه لموثق فى الحديد وماكان الارزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعونى أصلى ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ترون أن مابى جزع من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم أحصهم عددا وقال

فلست أبالى حين أقتل مسلما * على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وأن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شئ * زاد فى رواية وأخبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم * الفدفد الموضع الذى فيه غلظ وارتفاع * وقوله عالجوه أى مارسوه وأراد به انهم يخدعونه ليتبعهم فأبى * وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة * والقطف العنقود من العنب * قوله على أوصال شلو الشلو العضو من أعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة الشئ الذى يظل من فوق الانسان * والدبر جماعة النحل والزنابير * وقال أهل التفسير أن كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد أسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء أصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدى الانصارى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخالد بن بكر وعبدالله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى أفلح الانصارى رضى الله عنهم وذكر

(نحو)

=نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا نصلب خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لي أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي فقام اليه أبو سروعة عقبة بن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله فمازاده ذلك الاعتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم يعني سلامان. وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية ابن خلف فبعثه مع مولى له يسمى بنسطاس الى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم أبوسفيان بن حرب فقال له أبوسفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يازيد أتحب محمدا عندنا الآن مكانك يضرب عنقه وانك في أهلك فقال زيد والله ما أحب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في أهلي فقال أبوسفيان مارأيت أحدا يحب احدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير أنا يارسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى أتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة أربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا هو رطب ينثني ولم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب معهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض وقال الزبير ماأجرأكم علينا يامعشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت عبدالمطلب وصاحبي المقداد بن الاسود أسدان ضاريان يدفعان عن أشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يامحمد ان الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ماكان في كنانته وقال والله لاتصلوا الى أو أرمي بكل سهم معي ثم أضرب بسيفي مابقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبايحيي وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن أتدرون فيما نزلت هذه الآية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لااله الاالله فيأبى أن يقولها فيقول المسلم والله

عليه وخذوا مالى فقبلوه منه وأتى المدينة ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ حيث أرشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء ﴿ ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾ السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره الباقون * وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير أو السلم لانها تؤنث كالحرب قال

السلم تأخذ منها مارضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

والمعنى استسلموا لله وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو ادخلوا فى الاسلام بكليتكم ولاتخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى أهل الكتاب فأنهم بعد أسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل وألبانها أو فى شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب أو فى شعب الاسلام وأحكامه كلها فلا تخلوا بشئ والخطاب

لاشرين نفسى لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الآية فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ابن عباس رضى الله عنهما أرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل وأخذته العزة بالاثم قال وأنا أشرى نفسى لله فقاتله وكان على كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رضى الله عنه رجلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل ❁ عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ❁ وأما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن أى باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى فى الدار الآخرة وهذا البيع هو أن يبذل نفسه فى طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهى عن المنكر فكان مايبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشترى والثمن هو ثواب الله تعالى فى الآخرة ابتغاء مرضات الله أى طلب رضا الله ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ أى من رأفة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم فى الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته أنه يقبل توبة عبده ومن رأفته ان نفس العباد وأموالهم له ثم انه تعالى يشترى ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا ❁ قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾ نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لما أسلموا أقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل وألبانها وقالوا أن ترك هذه الاشياء مباح فى الاسلام وواجب فى التوراة وقالوا أيضا يارسول الله أن التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به فى صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا فى السلم أى فى شرائع الاسلام ولايتمسكوا بالتوراة فأنها منسوخة والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما أمركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل

والله رؤف بالعباد) حيث أثابهم على ذلك (ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم) وبفتح السين حجازى وعلى وهو الاستسلام والطاعة أى استسلموا لله وأطيعوه أو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لانهم آمنوا بألسنتهم (كافة) لايخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير فى ادخلوا أى جميعا أو من السلم لانها تؤنث كأنهم أمروا أن يدخلوا فى الطاعات كلها أو فى شعب الاسلام و شرائعه كلها وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم أحد باجتماعهم

(والله رؤف بالعباد) الذين قتلوا بمكة نزلت فى أبوى عمار بن ياسر وسمية وغيرهم قتلهم مشركوا اهل مكة (ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) فى شرائع دين محمد صلى الله عليه وسلم جميعا

للمسلمين ﴿ولاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ بالتفرق والتفريق ﴿أنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة ﴿فأن زللتم﴾ عن الدخول في السلم ﴿من بعدما جاءتكم البينات﴾ الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ لايعجزه الانتقام ﴿حكيم﴾ لاينتقم الا بحق ﴿هل ينظرون﴾ استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده ﴿ألا أن يأتيهم الله﴾ أي يأتيهم أمره أو بأسه كقوله تعالى أو يأتي أمر ربك فجاءها

الكتاب والمعنى ياأيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة أي في الاسلام * وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر رضي الله عنه فقال انا نسمع أحاديث من يهود وتعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم أمتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو أن موسى حي ماوسعه الااتباعي * قوله أمتهوكون أي متحيرون أنتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى * وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنفية بيضاء نقية أي لاتحتاج الى شئ وقيل يحتمل أن يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى ياأيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا في السلم أي الانقياد والطاعة لان أصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة أي بأجمعكم ولاتتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في أحكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى أليق بظاهر التفسير لانهم أمروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية للاسلام ثمانية أسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لاسهم له ﴿ولاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ يعني آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولاتلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم أصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة أنسان فقد تبع أثره ﴿أنه لكم عدو مبين﴾ يعني الشيطان * فأن قلت عداوته بايصال الضرر وألقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بأن الله هو الفاعل لجميع الاشياء * قلت أنه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك وأما معنى الوسوسة فمعلوم أنه يزين المعاصي وألقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من أعظم جهات العداوة * فأن قلت كيف يصح وصف الشيطان بأنه مبين مع انالانراه * قلت ان الله تعالى بين عداوته ماهي فكأنه بين وأن لم يشاهد ﴿فأن زللتم﴾ أي ملتم وضللتم وقال ابن عباس رضي الله عنهما أشركتم ﴿من بعدما جاءتكم البينات﴾ أي الدلالات الواضحات ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ أي في نقمته ممن خالفه غالب لايعجزه شئ ﴿حكيم﴾ يعني أنه لاينتقم الا بحق والحكيم ذوالاصابة في الامور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق أوعنده شبهة في الدين * قوله عزوجل ﴿هل ينظرون﴾ أي ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان ﴿ألا أن يأتيهم الله

(ولاتتبعوا خطوات الشيطان)وساوسه (أنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فأن زللتم)ملتم عن الدخول في السلم (من بعدما جاءتكم البينات)أي الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على ان ادعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا أن الله عزيز) غالب لايمنعه شئ من عذابكم (حكيم) لايعذب الا بحق وروى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي لم يقرأ القرآن فانكره وقال ليس هذا من كلام الله اذ الحكيم لايذكر الغفران عندالزلل والعصيان لانه اغراء عليه (هل ينظرون)ماينتظرون (الا أن يأتيهم الله) أي أمر الله وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءها بأسنا والمأتي به محذوف بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه للدلالة عليه بقوله أن الله عزيز

(ولاتتبعوا خطوات الشيطان) تزيين الشيطان في تحريم السبت ولحم الجمل وغير ذلك (أنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فأن زللتم) ملتم عن شرائع دين محمد صلى الله عليه وسلم (من بعدما جاءتكم البينات) بيان مافي كتابكم (فاعلموا أن الله عزيز) بالنقمة لمن لايتابع رسوله (حكيم) في نسخ شرائع الاول نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه لكراهيتهم السبت ولحم الجمل وغير ذلك (هل ينظرون)هل ينتظرون أهل مكة (ألا أن يأتيهم الله)بلا

بأسنا أو يأتيهم الله بأسه فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله تعالى أن الله عزيز حكيم ﴿ فى ظلل ﴾ جمع ظلة كقلة وقلل وهى ما أظلك * وقرئ ظلال كقلال ﴿ من الغمام ﴾ السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فأذا جاء منه العذاب كان أفظع لان الشر اذا جاء من حيث لايحتسب كان أصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير ﴿ والملائكة ﴾ فأنهم الواسطة فى أتيان أمره أو الآتون

فى ظلل جمع ظلة ﴿من الغمام﴾ يعنى السحاب الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شئ غير السحاب ولم يكن الا لبنى أسرائيل فى تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض ﴿ والملائكة ﴾ أى وتأتيهم الملائكة * وروى الطبرى فى تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتى الله عزوجل فيها محفوفا وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى * واعلم أن هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء فى آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان * أحدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام أهل السنة الايمان والتسليم لما جاء فى آيات الصفات وأحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبى هذا من الذى لايفسر وقال سفيان بن عيينة كل ماوصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد أن يفسره الا الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث ابن سعد وأحمد بن حنبل وأسحق بن راهويه يقولون فى هذه الآية وأمثالها اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الامة وأنشد بعضهم فى المعنى

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته * ولا ذاته شئ عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

* المذهب الثانى وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك أنه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من أصحاب النظر على أنه تعالى منزه عن المجئ والذهاب ويدل على ذلك أن كل مايصح عليه المجئ والذهاب لاينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان ومالاينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك فى حقه تعالى فثبت بذلك أن ظاهر الآية ليس مرادا فلابد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل فى معنى الآية هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بالآيات فيكون مجئ الآيات مجيئا لله

(فى ظلل) جمع ظلة وهى ما أظلك (من الغمام) السحاب وهو للتهويل اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا أنزل منه العذاب كان الامر أفظع وأهول (والملائكة) أى وتأتى الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم أو المراد حضورهم كيف يوم القيامة (فى ظلل من الغمام والملائكة)

على الحقيقة بأسه * وقرئ بالجر عطفا على ظلل أو الغمام ﴿ وقضى الامر ﴾ أتم أمر أهلاكهم وفرغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه *وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ * قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على أنه من الرجع * وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع * وقرأ أيضا بالتذكير وبناء المفعول ﴿ سل بنى أسرائيل ﴾ أمر للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد والمراد بهذا السؤال تقريعهم ﴿ كم آتيناهم من آية بينة ﴾ معجزة ظاهرة أو آية فى الكتب شاهدة على الحق والصواب على أيدى الانبياء وكم خبرية أو استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر الى المبتدأ وآية مميزها ومن للفصل ﴿ ومن يبدل نعمة الله ﴾ أى آيات الله فأنها سبب

انه ملك العباد بعض الامور فترجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور حيث كان شامى وحمزة وعلى (سل) أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل وهو أمر للرسول أو لكل أحد وهو سؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيامة (بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) على أيدى أنبيائهم وهى معجزاتهم أو من آية فى الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم استفهامية أو خبرية (ومن يبدل نعمة الله) هى آياته وهى أجل نعمة من الله لانها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم أياها أن الله أظهرها لتكون

تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا أن يأتيهم أمر الله * ووجه هذا التأويل أن الله تعالى فسره فى آية أخرى فقال هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل فى هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما أوعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتى به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما يأتى به كان أسهل عليهم فى باب الوعيد اذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل ان تكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذى يأتى من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان يأتيهم قهر الله وعذابه فى ظلل من الغمام * فأن قلت لم كان اتيان العذاب فى الغمام * قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فأذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة وأهوالها ﴿ وقضى الامر ﴾ أى وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ أى الى الله تصير أمور العباد فى الآخرة * فأن قلت هل كانت ترجع الى غيره * قلت ان أمور جميع العباد ترجع اليه فى الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا أعلام الخلق انه المجازى على الاعمال بالثواب والعقاب * وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره فى الدنيا اضافوا أفعاله الى سواه ثم فأذا كان يوم القيامة انكشف الغطاء ردوا الى الله ما اضافوه الى غيره فى الدنيا * قوله عز وجل ﴿ سل بنى أسرائيل ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها بأعلام الله أياه ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة فى الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التى أنعم بها على سلفهم ﴿ كم آتيناهم من آية بينة ﴾ أى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى ﴿ ومن يبدل نعمة الله

مقدم ومؤخر (وقضى الامر) فرغ من الامر ادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور فى الآخرة (سل بنى أسرائيل) قل لاولاد يعقوب (كم آتيناهم من آية بينة) كم من مرة كلمناهم بالامر والنهى واكرمناهم بالدين فى زمان موسى فبدلوا ذلك بالكفر (ومن يبدل نعمة الله) من يغير دين الله وكتابه بالكفر

الهدى الذى هو أجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس أو بالتحريف والتأويل الزائغ ﴿ من بعدما جاءته ﴾ من بعدما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بأنهم بدلوها بعدما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل ﴿ فأن الله شديد العقاب ﴾ فيعاقبه أشد عقوبة لانه ارتكب أشد جريمة ﴿ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ﴾ حسنت فى أعينهم وأشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ مامن شئ الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وماخلقه الله فيها من الامور البهيمية والاشياء الشهوية مزين بالعرض ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب أى ويسترذلونهم يستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ السخرية

من بعدما جاءته ﴾ يعنى يغير الآيات التى جاءته من الله لانها هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذى عهد اليهم فلم يفوا به ﴿ فأن الله شديد العقاب ﴾ يعنى لمن بدل نعمة الله ❁ قوله عز وجل ﴿ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ﴾ نزلت فى مشركى العرب أبى جهل وأصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت فى المنافقين عبدالله بن أبى وأصحابه وقيل نزلت فى رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت فى الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاى وذلك انه لايمتنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب فى الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لاعلى سبيل الالجاء والقسر الذى لايمكن تركه بل على سبيل التحبب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل أن المراد من التزيين انه تعالى أمهلهم فى الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وقيل أوهموهم ان لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وأن كلهم مزين لهم وهذا المزين لابد وأن يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ يعنى أن الكفار يستهزؤن بفقراء المؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما مثل عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم رضى الله عنهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه

أى وحرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (من بعدما جاءته) من بعد ماعرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه (فأن الله شديد العقاب) لمن استحقه (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها أو الله تعالى بخلق الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا (ويسخرون من الذين آمنوا) كانو يسخرون من فقراء المؤمنين ابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم أى لايريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لاحظ له فيها أو ممن يطلب غيرها

(من بعد ماجاءته) من بعدماجاء محمد به (فان الله شديد العقاب) لمن كفر به (زين) حسن (للذين كفروا) ابى جهل واصحابه (الحيوة الدنيا) مافى الحياة الدنيا من سعة (ويسخرون من الذين) على الذين (آمنوا) سلمان وبلال وصهيب واصحابهم بضيق المعيشة

منهم ﴿ والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ﴾ لانهم فى عليين وهم فى أسفل السافلين أولانهم فى كرامة وهم فى مذلة أولانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على أنهم متقون وأن استعلاءهم للتقوى ﴿ والله يرزق من يشاء ﴾ فى الدارين ﴿ بغير حساب ﴾ بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء أخرى ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ متفقين على الحق فيما بين آدم وأدريس أونوح أوبعد الطوفان أو متفقين على الجهالة

يغلب بهم ﴿ والذين اتقوا ﴾ يعنى الفقراء من المؤمنين ﴿ فوقهم ﴾ أى فوق الكفار ﴿ يوم القيامة ﴾ لان الفقراء فى عليين والكفار والمنافقين فى أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لوأقسم على الله لابره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظرى مستكبر *العتل الفظ الغليظ الشديد فى الخصومة الذى لاينقاد لخير *والجواظ الفاجر المختال فى مشيته وقيل هو القصير البطين *والجعظرى الفظ الغليظ وقيل هو الذى يتمدح بماليس فيه أوعنده (ق) عن اسامة ابن زيد رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فأذا عامة من دخلها النساء * الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعطى كثيرا بغير مقدار لان كل مايدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى أنه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه فى الدنيا ولايحاسبه فى الآخرة وقيل معناه أنه يرزق من يشاء من حيث لايحتسب وقيل معناه أنه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه أنه تعالى لايخاف نفاد مافى خزائنه حتى يحتاج الى حساب لمايخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر مايعطى والله غنى عالم بمايعطى ولايخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه أن الله يقتر الرزق على من يشاء و يبسط الرزق لمن يشاء ولايعطى كل أحد على قدر حاجته بل يعطى الكثير لمن لايحتاج اليه ولامعارض له فى حكمه ومحاسب فيما رزق ولا يقال له لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم أعطيت هذا أكثر من ذاك لانه تعالى لاشريك له فى ملكه ينازعه ولايسئل عما يفعل وقيل يحتمل أن يكون المراد منه مايعطى الله المتقين فى الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على مامن به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لانفادله ولاانقطاع وقيل انه تعالى يعطى أهل الجنة الثواب والاجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب * قوله عزوجل ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ أى على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو أول

(والذين اتقوا) عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم فى جنة عالية وهم فى نار هاوية (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقتير يعنى انه يوسع على من أراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهى استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم (كان الناس امة واحدة) متفقين على دين الاسلام من آدم الى نوح عليهما السلام أوهم نوح ومن كان معه فى السفينة فاختلفوا

(والذين اتقوا) الكفر والشرك يعنى سلمان واصحابه (فوقهم) فى الحجة فى الدنيا والقدر والمنزلة فى الجنة (يوم القيامة والله يرزق من يشاء) يوسع المال على من يشاء (بغير حساب) بغير حزم وتكلف ويقال ويرزق من يشاء فى الجنة بغير حساب بغير فوت ولا اهتداء (كان الناس) فى زمن نوح وابراهيم (أمة واحدة) على ملة واحدة ملة الكفر ويقال كانوا فى زمن ابراهيم مسلمين

والكفر فى فترة أدريس أو نوح ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ أى فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمته من عدد الانبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا والمرسل منها ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانيـة وعشرون ﴿ وأنزل معهم الكتـاب ﴾ يريد به الجنس ولايريد به أنه أنزل مع كل واحد كتابا يخصه فأن اكثرهم لم يكن معهم كتـاب يخصهم وانما كانوا يأخـذون بكتب من قبلهم ﴿ بالحق ﴾ حال من الكتـاب أى ملتبسا بالحق شـاهدا به ﴿ ليحكم بين النـاس ﴾ أى الله أو النبى المبعوث أو كتابه ﴿ فيما اختلفوا فيه ﴾ فى الحق الذى اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم

رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيـل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ان غيره عمرو بن لحى وقيل كان الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لاخذ الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغى والحسـد وقيل ان آدم وحـده كان أمة واحـدة يعنى اماما وقدوة يقتدى به وانمـا ظهر الاختلاف بعده وقيـل كان الناس أمة واحـدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين * فأن قيل أليس قـد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وأدريس ونحوهم * فالجواب ان الغالب فى ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان النـاس كانوا أمة واحـدة وليس فيهـا مايدل على انهم كانوا على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج ﴿ فبعث الله النبيين ﴾ وجلتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم فى القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا ﴿ مبشرين ﴾ يعنى بالثواب لمن آمن وأطاع ﴿ ومنذرين ﴾ يعنى مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجرى مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجرى مجرى ازالة المرض ولاشك ان المقصود هو الاول فكان أولى بالتقديم ﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾ أى الكتب أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد الكتاب ﴿ بالحق ﴾ أى بالعدل والصـدق وجلة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى أدريس خمسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن ﴿ ليحكم بين الناس ﴾ يعنى الكتاب وانما أضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذى أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبى بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب أو النبى مجاز والله هو الحاكم فى الحقيقة ﴿ فيما اختلفوا فيه ﴾ أى فى الحق الذى اختلفوا فيه من بعدما كانوا متفقين عليه

على حـذفه قوله تعـالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيـه وقراءة عبدالله كان النـاس أمـة واحـدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس الاأمة واحدة فاختلفوا أو كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الاوجه (مبشرين) بالثواب للمؤمنين (ومنذرين) بالعقـاب للكافرين وهما حالان (وأنزل معهم الكتاب) أى مع كل واحد منهم كتابه (بالحق) بتبيان الحق (ليحكم) الله أو الكتاب أو النبى المنزل عليه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) فى دين الاسـلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق

(فبعث الله النبيين) من ذرية نوح وابراهيم (مبشرين) بالجنـة لمن آمن بالله (ومنذرين) من النـار لمن لم يؤمن بالله (وانزل معهم الكتـاب) انزل عليهم جبرائيل بالكتاب (بالحق) مبينا الحق والباطل (ليحكم) كل نبى بكتابه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) فى الدين ويقال ليحكم الكتـاب وان قرأت بالتاء اراد به النبى صلى الله عليه وسلم

(وما)

﴿ وما اختلف فيه ﴾ فى الحق أو الكتاب ﴿ الا الذين أوتوه ﴾ أى الكتاب المنزل لازالة الخلاف أى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه ﴿ من بعدما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾ حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه ﴾ أى للحق الذى اختلف فيه من اختلف ﴿ من الحق ﴾ بيان لما اختلفوا فيه بأذنه بأمره أو بارادته ولطفه ﴿ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ لا يضل

﴿ وما اختلف فيه ﴾ أى فى الحق ﴿ الا الذين أوتوه ﴾ أى أعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا ﴿ من بعدما جاءتهم البينات ﴾ أى الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ بغيا بينهم ﴾ أى أنهم لم يبق لهم عذر فى العدول عنه وترك ماجاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه ﴾ أى الى مااختلفوا فيه ﴿ من الحق ﴾ والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة مااختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذى اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى * وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له * زاد النسائى يعنى يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا فى شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا فى عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه فهدانا الله فى ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق الذى اختلف فيه من اختلف ﴿ بأذنه ﴾ يعنى بعلمه وأمره وارادته ﴿ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ * قوله عز وجل

(وما اختلف فيه) فى الحق (الا الذين أوتوه) أى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف أى ازدادوا الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب (من بعدما جاءتهم البينات) على صدقه (بغيا بينهم) مفعول له أى حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أى هدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه (بأذنه) بعلمه (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

(وما اختلف فيه) فى الدين ومحمد صلى الله عليه وسلم (الا الذين أوتوه) أعطوه يعنى الكتاب (من بعدما جاءتهم البينات) بينات ما فى كتابهم (بغيا بينهم) حسدا منهم فكفروا به (فهدى الله الذين آمنوا) بالنبيين (لما اختلفوا فيه) من الاختلاف فى الدين (من الحق) الى الحق ويقال فهدى الله الذين آمنوا فحفظ الله الذين آمنوا بالنبيين لما اختلفوا فيه من الاختلاف فى الدين من الحق الى الباطل (باذنه) بكرامته وارادته (والله يهدى من يشاء) من كان أهلا لذلك ويقال (قا وخا ٤٠ ل) يثبت من يشاء (الى صراط مستقيم) على دين

أم حسبتم) أم منقطعة لا متصلة لان شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك أعندك زيد أم عمرو أي أيهما عندك وجوابه زيد ان كان عنده زيد أو عمرو ان كان عنده عمرو واما أم المنقطعة فتقع بعد الاستفهام و بعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة والتقدير بل احسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريق الالتفات التي هي أبلغ ام حسبتم (ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم) أي ولم يأتكم وفي لما معنى التوقع يعني أن اتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) مضوا أي حالهم التي هي مثل في الشدة (من قبلكم) من النبيين والمؤمنين (مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم (البأساء) أي البؤس (والضراء) المرض والجوع (وزلزلوا) وحركوا بأنواع البلايا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) الى الغاية التي قال الرسول ومن معه من المؤمنين (متى نصر الله) أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم

سالكه ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾ خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الأنبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ﴿ ولما يأتكم ﴾ ولم يأتكم وأصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد ﴿ مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ حالهم التي هي مثل في الشدة ﴿ مستهم البأساء والضراء ﴾ بيان له على الاستئناف ﴿ وزلزلوا ﴾ وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه ﴾ لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر * وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه ﴿ متى نصر الله ﴾

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾ نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة في أول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا أموالهم وديارهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر قوم النفاق فأنزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم ومعنى الآية أحسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى أظننتم أيها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله ﴿ ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ أي شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين وأتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم ﴿ مستهم البأساء ﴾ أي أصابهم الفقر أو الشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس ﴿ والضراء ﴾ يعني المرض والزمانة وضروب الخوف ﴿ وزلزلوا ﴾ أي وحركوا بأنواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾ وذلك لان الرسل أثبت من غيرهم وأصبر وأضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا اتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال

قائم يرضيه (أم حسبتم) أظننتم يامعشر المؤمنين يعني عثمان وأصحابه (ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أي لم تبتلوا بمثل ما ابتلى (في) الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين (مستهم) اصابتهم (البأساء) الخوف والبلايا والشدائد (والضراء) الامراض والاوجاع والجوع (وزلزلوا) حركوا في الشدة (حتى يقول الرسول) حتى قال رسولهم (والذين آمنوا معه) به (متى نصر الله) على الاعداء قال الله لذلك النبي

استبطاءله لتأخره ﴿ ألاان نصرالله قريب ﴾ استئناف على ارادة القول أى فقيل لهم ذلك اسعافالهم الى طلبتهم من عاجل النصروفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عمرو بن الجموح الانصارى رضى الله عنه كان شيخا هما ذامال عظيم فقال يارسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت ﴿ قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ سئل عن المنفق فأجيب ببيان المصرف لانه أهم فأن اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان فى سؤال عمرو وأن لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ماتضمنه قوله ماانفقتم من خير ﴿ وماتفعلوا من خير ﴾ فى معنى الشرط ﴿ فأن الله به عليم ﴾ جوابه أى أن تفعلوا

فى الشدة الى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم ﴿ ألاان نصرالله قريب ﴾ اجابة لهم فى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغير هم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان يأتيهم نصرالله فكونوا يامعشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة فى طلب الحق فأن نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تنتصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه مايصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الاالله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ❊ قوله عزوجل ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون ﴾ نزلت فى عمرو بن الجموح رضى الله عنه وكان شيخا كبيرا ذامال فقال يارسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون ﴿ قل ما أنفقتم من خير ﴾ أى مال والمعنى وماتفعلوا من انفاق شئ من المال قل أوكثر ﴿ فللوالدين ﴾ وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود ﴿ والاقربين ﴾ وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لايقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم ﴿ واليتامى ﴾ وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لايقدرون على الاكتساب ولالهم أحد ينفق عليهم ﴿ والمساكين ﴾ وانما أخرهم لان حاجتهم أقل من حاجة غيرهم ﴿ وابن السبيل ﴾ يعنى المسافر فأنه بسبب انقطاعه عن بلده قديقع فى الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى كيفية الانفاق ❊ ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى ﴿ وماتفعلوا من خير فأن الله به عليم ﴾ وماتفعلوا من خير مع هؤلاء أوغيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فأن الله به عليم فيجازيكم

يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الابل حتى يجئ البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على اضمار أن ومعنى الاستقبال لان أن علم له ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها نزل (يسئلونك ماذا ينفقون قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ماهو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لايعتدبها الا أن تقع موقعها عن الحسن هى فى التطوع (وماتفعلوا من خير فأن الله به عليم)

(ألاان نصرالله) على الاعداء بنجاتكم (قريب يسئلونك) يا محمد وكان هذا السؤال قبل آية المواريث (ماذا ينفقون) على من يتصدقون (قل ماانفقتم من خير) من مال (فللوالدين) فعلى الوالدين (والا قربين) وعلى الاقربين ثم نسخت الصدقة بعد ذلك على الوالدين بآية المواريث (واليتامى) يقول تصدقوا على اليتامى يتامى الناس (والمساكين) مساكين الناس (وابن السبيل) الضيف النازل (وما تفعلوا من خير) ماتنفقوا من مال على هؤلاء (فأن الله به عليم) أى عالم به وبنياتكم يجزيكم

خيرا فأن الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الآية ماينافيه فرض الزكاة لينسخ به ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالخبز * وقرئ بالفتح على أنه لغة فيه كالضعف والضعف أو

عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود رضى الله عنه نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه أحكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وهو ظاهر الآية فمن أحب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق فى الوجوه المذكورة فى الآية فيقدم الاول فالاول ❁ ((بقى فى الآية سؤال)) ❁ وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا عن بيان ماينفق فأجيبوا ببيان المصرف وأجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ماينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السؤال مايكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لاتعد نفقة الا أن تقع موقعها قال الشاعر

أن الصنيعة لاتعد صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

❁ قوله عز وجل ﴿كتب عليكم القتال﴾ أى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء فى حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من أوجبه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا أخرجه أبو داود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلماء قال الزهرى كتب الله القتال على الناس جاهدوا أولم يجاهدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به أعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولوكان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية على ثلاثة أقوال * أحدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين * القول الثانى انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة * القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة ❁ قوله عز وجل ﴿وهو كره لكم﴾ أى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل

فيجزى عليه (كتب عليكم القتال) فرض عليكم جهاد الكفار (وهو كره لكم) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها

* فانما هى أقبال وأدبار *

كأنه فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أوهو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أى وهو

به (كتب) فرض (عليكم القتال) فى أوقات النفير العام مع النبى صلى الله عليه وسلم (وهو كره لكم)

مكروه لكم (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خيرلكم) فانتم تكرهون الغزو وفيه أحدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيأ) وهو القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر (والله يعلم) ماهو خيرلكم (وأنتم لاتعلمون) ذلك فبادروا الى مايأمركم به وان شق عليكم

ونزل فى سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لايعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف (يسئلونك عن الشهر الحرام) أى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال فى الشهر الحرام (قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم

أو بمعنى الاكراه على المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها ﴿وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم﴾ وهو جميع ما كلفوا به فأن الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم ﴿وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم﴾ وهو جميع مانهوا عنه فأن النفس تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها ﴿والله يعلم﴾ ماهو خيرلكم ﴿وأنتم لاتعلمون﴾ ذلك وفيه دليل على أن الاحكام تتبع المصالح الراجحة وأن لم تعرف عينها ﴿يسئلونك عن الشهر الحرام﴾ روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبدالله بن جحش ابن عمته على سرية فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عير القريش فيهم عمرو بن عبدالله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة

من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا أنهم كرهوا أمر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل أن يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذى تكرهون من القتال هو خيرلكم من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم ﴿وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خيرلكم﴾ لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهى لاتدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه أحدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشئ شاقا فى الحال وهو سبب المنافع الجليلة فى المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع فى الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة فى المستقبل ﴿وعسى أن تحبوا شيأ﴾ يعنى القعود عن الغزو ﴿وهو شر لكم﴾ يعنى لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم أن فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم ﴿والله يعلم﴾ يعنى مافى الجهاد من الغنيمة والاجر والخير ﴿وأنتم لاتعلمون﴾ يعنى ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى أمره بأمر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال أمر الله تعالى وان كان يشق على النفس فى الحال ✽ قوله عز وجل ﴿يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبدالله بن جحش رضى الله عنه وهو ابن عمته فى سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وأمره على السرية وقتلهم عمرو بن الحضرمى وسؤالهم عن القتال فى الشهر الحرام يعنى رجبا آخر عشية جمادى الآخرة قبل رؤية هلال رجب وملامة المشركين لهم بذلك فقال (يسئلونك) يامحمد (عن الشهر الحرام

شاق لكم (وعسى أن تكرهوا شيأ) الجهاد فى سبيل الله (وهو خيرلكم) تصيبون الشهادة والغنيمة (وعسى أن تحبوا شيأ) الجلوس عن الجهاد (وهو شر لكم) لاتصيبون الشهادة ولا الغنيمة (والله يعلم) ان الجهاد خيرلكم (وأنتم لاتعلمون) ان الجلوس شر لكم نزلت فى سعد بن ابى وقاص والمقداد بن الاسود وأصحابهما ثم نزلت فى شأن عبدالله بن جحش وأصحابه

وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولاتنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك به ولا تستكرهن أحدا منهم على السير معك فسار عبدالله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فأذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير القريش لعلك تأتينا منها بخير فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى أن أستكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى أصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه أحد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبدالله ببقية أصحابه حتى نزل فى بطن نخلة بين مكة والطائف فبينماهم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف وفى العير عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ونوفل بن عبدالله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبدالله ابن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا رأوه محلوقا أمنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم أشرف عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فأجمعوا أمرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبدالله السهمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وأسر الحكم بن كيسان وعثمان وكانا أول أسيرين فى الاسلام وأفلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدماء وأخذ الحرائب يعنى المال وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يامعشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبدالله بن جحش وأصحابه ماأمرتكم بالقتال فى الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ شيأ من ذلك وعنف المسلمون أصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم مالم تؤمروا به فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط فى أيديهم وقالوا يارسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى ثم أمسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندرى أفى رجب أصبناه أم فى جمادى وأكثر الناس فى ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان أول خمس فى الاسلام وأول غنيمة قسمت فقسم الباقى على أصحاب السرية وبعث أهل مكة فى فداء أسيريهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعقبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا رضى الله عنه واما عثمان بن عبدالله فرجع الى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق

فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على أصحاب السرية وقالوا مانبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهى أول غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل أصحاب السرية ﴿ قتال فيه ﴾ بدل اشتمال من الشهر الحرام ٭ وقرئ عن قتال بتكرير العامل ﴿ قل قتال فيه كبير ﴾ أى ذنب كبير والاكثر على أنه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فأن قتالا فيه نكرة فى حيز مثبت فلايعم ﴿ وصد ﴾ صرف ومنع ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى الاسلام أومايوصل العبد الى الله من الطاعات ﴿ وكفر به ﴾ أى بالله ﴿ والمسجد الحرام ﴾ على أرادة المضاف أى وصد المسجد الحرام كقول أبى داود

أكل امرئ تحسبين امرأ ٭ ونار توقد بالليل نارا

ولايحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لايقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فى به فأن العطف على الضمير المجرور انمايكون بأعادة الجار ﴿ وأخراج أهله منه ﴾ أهل المسجد وهم النبى صلى الله

فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جيعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية ٭ وأما تفسير الآية فقوله تعالى يسئلونك يعنى يامحمد عن الشهر الحرام يعنى رجبا وسمى بذلك لتحريم القتال فيه وفى السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان ٭ أحدهما أنهم المسلمون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطؤا أم أصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال فى الحرم وفى الشهر الحرام لايحل فلما كتب عليهم القتال سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية ٭ والقول الثانى ان السائلين هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يامحمد ﴿ قتال فيه كبير ﴾ أى عظيم مستكبر واختلف العلماء فى حكم هذه الآية على قولين ٭ أحدهما انها محكمة وانه لايجوز الغزو فى الشهر الحرام الا أن يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطاء انه كان يحلف بالله مايحل للناس أن يغزوا فى الشهر الحرام ولا أن يقاتلوا فيه ومانسخت ٭ والقول الثانى الذى عليه جهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز فى الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر الحرم وغيرها ﴿ وصد عن سبيل الله ﴾ هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو وصدكم عن الاسلام من يريده ﴿ وكفر به ﴾ أى بالله ﴿ والمسجد الحرام ﴾ أى وصدكم عن المسجد الحرام ﴿ وأخراج أهله منه ﴾ يعنى رسول الله صلى الله عليه

لانها قدوصفت بفيه وأكثر الاقاويل على أنها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) أى منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدأ (وكفر به) أى بالله عطف عليه (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله أى وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء فى به أى كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول وبزيد ولوكان معطوفا على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام (وأخراج أهله) أى أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وهو عطف عليه أيضا (منه) من المسجد الحرام وخبر الاسماء الثلاثة

قتال فيه) يقول يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام يعنى رجبا (قل قتال فيه) فى رجب (كبير) فى العقوبة (وصد عن سبيل الله)

ولكن صرف الناس عن دين الله وطاعته (وكفر به والمسجد الحرام) وصد الناس عن المسجد الحرام (وأخراج اهله منه

(أكبر عندالله) أى مما فعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج أوالشرك (أكبر من القتل) فى الشهر الحرام أوتعذيب الكفار المسلمين أشد قبحا من قتل هؤلاء المسلمين فى الشهر الحرام

 أى الى الكفر وهو اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لاينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبدالله حتى يدخل الجنة أى يقاتلونكم كى يردوكم وقوله تعالى (ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك ان ظفرت بى فلاتبق على وأنت واثق بأنه لايظفر بك (ومن يرتدد منكم عن دينه) ومن يرجع عن دينه الى دينهم (فيمت وهو كافر) أى يمت على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) لمايفوتهم بالردة مما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الاسلام وفى الآخرة من الثواب

أكبر عقوبة (عند الله)من قتل عمرو بن الحضرمى (والفتنة) الشرك بالله (أكبر من القتل) من قتل عمرو بن الحضرمى (ولايزالون) يعنى أهل مكة (يقاتلونكم حتى يردوكم) يرجعوكم (عن دينكم) الاسلام (ان استطاعوا) قدروا (ومن يرتدد منكم عن دينه) الاسلام (فيمت) ومن يمت (وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم) بطلت أعمالهم وردت حسناتهم (فى الدنيا والآخرة) ولايجزون بها فى الآخرة ﴿وأولئك﴾

عليه وسلم والمؤمنون ﴿ أكبر عندالله ﴾ مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش * وأفعل ممايستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾ أى ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع ممارتكبوه من قتل الحضرمى ﴿ ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ﴾ أخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وأنهم لاينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبدالله حتى أدخل الجنة لقوله ﴿ أن استطاعوا ﴾ وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه أن ظفرت بى فلاتبق على وايذان بأنهم لايردونهم ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم ﴾ قيدالردة بالموت عليها فى أحباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى رحمه الله والمراد بها الاعمال النافعة * وقرئ حبطت بالفتح وهى لغة فيه ﴿ فى الدنيا ﴾ لبطلان ماتخيلوه وفوات ماللاسلام من الفوائد الدنيوية ﴿ والآخرة ﴾ بسقوط الثواب

وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله أهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين ﴿ أكبر عندالله ﴾ أى أعظم وزرا عندالله من القتال فى الشهر الحرام ﴿ والفتنة ﴾ أى الشرك الذى أنتم عليه ﴿ أكبر من القتل ﴾ يعنى قتل ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبدالله بن أنيس وقيل عبدالله بن جحش الى مؤمنى مكة ان عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم أياهم من البيت ﴿ ولايزالون ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ يقاتلونكم ﴾ يعنى يامعشر المؤمنين ﴿ حتى يردوكم عن دينكم ﴾ يعنى الى دينهم وهو الكفر ﴿ ان استطاعوا ﴾ يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق على وهو واثق انه لا يظفر به ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ﴾ يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل أن يتوب ﴿ فأولئك حبطت أعمالهم ﴾ أى بطلت أعمالهم ﴿ فى الدنيا والآخرة ﴾ وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولايستحق الميراث من أقاربه المؤمنين ولاينصر ان استنصر ولايمدح ولايثنى عليه ويكون ماله فيأ للمسلمين هذا فى الدنيا ولايستحق الثواب على أعماله ويحبط أجرها فى الآخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر أما اذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من أحكام الردة وفيه دليل للشافعى ان الردة لاتحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند أبى حنيفة ان الردة تحبط العمل وان أسلم

وحسن المآب (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وبه احتج الشافعى رحمه الله على أن الردة لاتحبط العمل حتى يموت عليها وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والاصل عندنا أن المطلق لايحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين فى سبيل الله نزل (أن الذين آمنوا والذين هاجروا) تركوا مكة وعشائرهم (وجاهدوا فى سبيل الله) مع المشركين ولاوقف عليه لان (أولئك يرجون رحمت الله) خبران قيل من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور رحيم) نزل فى الخمر أربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من الصحابة قالوا يارسول الله أفتنا فى الخمر فأنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل (يسئلونك عن الخمر والميسر) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل ياأيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزل لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت مكانها منارة لم أوذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه والخمر

(قا وخا ٤١ ل)

﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ كسائر الكفرة ﴿أن الذين آمنوا﴾ نزلت أيضا فى أصحاب السرية لما ظن بهم أنهم أن سلموا من الاثم فليس لهم أجر ﴿والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله﴾ كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان فى تحقيق الرجاء ﴿أولئك يرجون رحمت الله﴾ ثوابه أثبت لهم الرجاء اشعارا بأن العمل غير موجب ولاقاطع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم ﴿والله غفور﴾ لما فعلوا خطأ وقلة احتياط ﴿رحيم﴾ بأجزال الاجر والثواب ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر﴾

﴿وأولئك أصحاب النار﴾ يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم أصحاب النار ﴿هم فيها خالدون﴾ أى لايخرجون منها أبدا ﴿ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله﴾ نزلت فى عبد الله بن جحش وأصحابه رضى الله عنهم وذلك ان أصحاب السرية قالوا يارسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع أن يكون لنا غزو فانزل الله هذه الآية ❊ وعن جندب ابن عبد الله رضى الله عنه قال لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمى ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا أصابوا فى سفرهم وزرا فليس لهم فيه أجر فأنزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا أى فارقوا مساكنهم وعشائرهم وأموالهم وفارقوا مساكنة المشركين فى أمصارهم ومجاورتهم فى ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعنى المشركين فى سبيل الله أى فى طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا ﴿أولئك يرجون رحمت الله﴾ أى يطمعون فى نيل رحمة الله أخبر أنهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع فى أصل الثواب وانما دخل الظن فى كميته ووقته قال قتادة أثنى الله تعالى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب ﴿والله غفور﴾ أى لذنوب عباده ﴿رحيم﴾ بهم والمعنى أنه تعالى غفر لعبد الله بن جحش وأصحابه رضى الله عنهم مالم يعلموا به ❊ قوله عز وجل ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر﴾ الآية نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل

(وأولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) مقيمون لايموتون ولا يخرجون ثم نزل أيضا فى شأن عبد الله بن جحش وأصحابه فقال (أن الذين آمنوا) بالله ورسوله (والذين هاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا فى سبيل الله) فى قتل عمرو بن الحضرمى الكافر (أولئك يرجون رحمت الله) ينالون جنة الله (والله غفور) لصنيعهم (رحيم) بهم اذلم يعاقبهم (يسئلونك عن الخمر والميسر) نزلت فى شأن عمر بن الخطاب لقوله اللهم أرنا رأيك فى الخمر فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم

ماغلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا اذا ستره لتغطيتها العقل

روى أنه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فأخذ المسلمون يشربونها ثم أن عمر ومعاذا فى نفر من الصحابة رضى الله عنهم قالوا أفتنا يارسول الله فى الخمر فأنها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه ناسا منهم فشربوا فسكروا فأم أحدهم فقرأ اعبد ماتعبدون فنزلت لاتقربوا الصلوة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه أنصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يارب * والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره سمى بها عصير العنب والتمر اذا اشد وغلى كأنه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره أى يحجزه وهى حرام مطلقا وكذا كل ماأسكر عند أكثر العلماء وقال أبو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه مادون السكر * والميسر أيضا مصدر كالموعد سمى به القمار لانه أخذ مال الغير بيسر أو سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله تعالى

وجماعة من الانصار رضى الله عنهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله أفتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله تعالى هذه الآية * وأصل الخمر فى اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل أى تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول فى تحريم الخمر ان الله عز وجل أنزل فى الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها فى أول الاسلام وهى لهم حلال ثم نزل بالمدينة فى جواب سؤال عمر ومعاذ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله و منافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع طعاما ودعا اليه ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلى بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون اعبد ماتعبدون بحذف حرف لا الى آخر السورة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون فحرم الله السكر فى أوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلى الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعنى وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن أبى وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فأخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصارى فقال =

والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب أو من اليسار كأنه سلب يساره وصفة الميسر أنه كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أغفال لانصيب لها وهى المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الاقداح فى خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحا قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفى حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسألونك عما فى تعاطيهما بدليل

=عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا*ويروى أن حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه شرب الخمر يوما وخرج فلقى رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصارى يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة * فلم يرحى مثلنا فى المعاشر
فأحياؤنا من خير أحياء من مضى * وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة أولئك المهاجرون وقال الانصارى بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصارى فهرب الانصارى وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الانصارى مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى الآية التى فى المائدة الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الاحزاب بأيام والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم أن القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال أنس رضى الله عنه حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شئ أشد من الخمر (ق) عن أنس رضى الله عنه قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم وانى لقائم أسقى أبا طلحة وأبا أيوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرجل *الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ والمشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهى الجرة الكبيرة

فصل فى تحريم الخمر ووعيد من شربها

أجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات وهو يدمنها ولم يتب منها لم يشربها فى الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر رضى الله عنه ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يارسول الله قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يارسول الله قال صديد أهل النار أخرجه أبو داود * عن عبدالله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر=

= فجعلها فى بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان أذهبت عقله عن شئ من الفرائض* وفى رواية عن القرآن لم تقبل صلاته أربعين يوما وان مات فيها مات كافرا أخرجه النسائى * عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال اجتنبوا الخمر فأنها أم الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائى موقوفا عليه وفيه قصة * عن أنس رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها أخرجه الترمذى

فصل فى احكام تتعلق بالخمر {وفيه مسائل} الاولى فى ماهيتها

قال الشافعى الخمرة عبارة عن عصير العنب النئ الشديد الذى قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فأن طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كتب الى بعض عماله أن ارزق المسلمين من الطلآء ماذهب ثلثاه وبقى ثلثه* وفى رواية أما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فأن له اثنين ولكم واحد أخرجه النسائى* الطلآء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه واحتج أيضا بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب أخرجه النسائى واستدل أيضا على ان السكر حرام بما روى عن أبى الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى بردة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة رضى الله عنها نحوه أخرجه النسائى وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعى على ان الخمر من عدة أشياء بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ماخامر العقل ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا اخرجه البخارى ومسلم (ق) عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب أسكر فهو حرام* البتع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه * عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا أخرجه أبو داود* وزاد فى رواية والذرة وانى أنهاكم عن كل مسكر وللترمذى نحوه وزاد وان من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن الباذق فقال سبق حكم محمد الباذق فما أسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب =

(المطالع)

=المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما أسكر فهو خمر لان الاسم لاينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير فى النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم للخمر بالفارسية أى لم يكن فى زمانه أوسبق قوله فيها وفى غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما أسكر فهو حرام * عن أم سلمة رضى الله عنها قالت نهى رسول الله صلى الله عنه وسلم عن كل مسكر ومفتر أخرجه أبو داود * والمفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعى على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أسكر كثيره فقليله حرام أخرجه الترمذى وأبو داود * عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فلء الكف منه حرام أخرجه أبو داود والنسائى * وفى رواية له والحسوة منه حرام * الفرق بالتحريك مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادى * وأجيب عن حديث عمر فى الطلاء بأنه معارض بما روى عن السائب بن يزيد ان عمر رضى الله عنه قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وأنا سائل عنه فأن كان يسكر جلدته فسأل عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما أخرجه مالك فى الموطأ * وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه فى الباذق * وقوله والسكر من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهو الصواب وأما حديث أبى الاحوص ففيه وهمان أحدهما فى سنده حيث قال عن أبى بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن أبى بريدة عن أبيه والوهم الثانى فى متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ماروى مسلم فى صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة فى ظروف الادم فاشربوا فى كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائى فى حديث أبى الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه أبو الاحوص سلام بن سليم لا يعلم ان أحدا تابعه عليه من أصحاب سماك واما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم فى قول النسائى

المسئلة الثانية فى الحكم بنجاسة الخمر

الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه * والرجس فى اللغة النجس والشئ المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغى ان يحكم بنجاستها تأكيدا للزجر عنها ==

المسئلة الثالثة فى تحريم بيعها والانتفاع بها

اجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ماروى عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والاصنام أخرجاه فى الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة فى الخمر (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا ألم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها * عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير أخرجه أبو داود * وقوله فليشقص الخنازير أى فليقطعها قطعا قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما فى التحريم سواء * عن أبى طلحة رضى الله عنه قال يانبى الله انى اشتريت خمرا لايتام فى حجرى فقال اهرق الخمر واكسر الدنان أخرجه الترمذى وقال وقد روى عن انس ان أبا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو أصح * فأن قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس * قلت منافعها اللذة التى توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح فى ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

فصل

وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الرجل فى الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله هذه الآية * وأصل الميسر ان أهل الثروة من العرب فى الجاهلية كانوا يشترون جزورا فيحرونها ويجزؤنها ثمانية وعشرين جزأ ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام وأسماؤها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها أنصباء فللفذ سهما وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة أسهم وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لاانصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لى فى الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح
انما سهمى وغد * ومنيح وسفيح

ثم يجمعون القداح فى خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المحيل والمفيض فيحيلها فى الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فأيهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر مايخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التى لاانصباء لها لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وقيل لايأخذ ولايغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولايأكلون منه شيأ وكانوا يفتخرون

(بذلك)

(قل فيهما اثم كبير) بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير حمزة وعلى (ومنافع للناس) بالتجارة فى الخمر والتلذذ بشربها وفى الميسر بارتفاق الفقراء أونيل

المال بلا كد (واثمهما) وعقاب الاثم فى تعاطيهما (أكبر من نفعهما) لان أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) أى الفضل أى انفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصدق بالفضل فى أول الاسلام فرضا فاذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل واذا كان صانعا أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة العفو أبو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسما واحدا فى موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى الذى وينفقون صلته اى ما الذى ينفقون فجاء الجواب العفو

﴿ قل فيهما ﴾ أى فى تعاطيهما ﴿ أثم كبير ﴾ من حيث أنه يؤدى الى الانتكاب عن المأمور به وارتكاب المحظور * وقرأ حمزة والكسائى كثير بالثاء ﴿ ومنافع للناس ﴾ من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة ﴿ وأثمهما أكبر من نفعهما ﴾ أى المفاسد التى تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فأن المفسد اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر أنه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ﴿ ويسئلونك ماذا ينفقون ﴾ قيل سائله أيضا عمرو بن الجموح سأل أولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق ﴿ قل العفو ﴾

بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعنى البخيل الذى لا يخرج شيأ بين الاصحاب لبخله * وأما حكم الآية فالمراد به جميع أنواع القمار فكل شئ فيه قمار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شئ فيه خطر يعنى الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطر أم لا ويدل على تحريمه ماروى عن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير أخرجه مسلم * وعن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله أخرجه أبو داود * وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا فى الشطرنج فذهب ابى حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان برهن أو بغير رهن ومذهب الشافعى انه مباح بشروط ذكرها الشافعى فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان وروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال وأخذ مال وهذا ليس كذلك * قوله عز وجل ﴿ قل فيهما ﴾ يعنى فى الخمر والميسر ﴿ أثم كبير ﴾ أى وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فأذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففى ذلك آثام كبيرة منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير فى الميسر فهو أكل المال الحرام بالباطل وما يجرى بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة ﴿ ومنافع للناس ﴾ يعنى انهم كانوا يربحون فى بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كد ولا تعب قيل ربما ان الواحد منهم كان يقمر فى المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة ﴿ وأثمهما أكبر من نفعهما ﴾ يعنى اثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر * قوله عز وجل ﴿ ويسئلونك ماذا ينفقون ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا تنفق فقال الله تعالى ﴿ قل العفو ﴾

يسئلونك عن الخمر والميسر عن شرب الخمر والقمار (قل) يا محمد (فيهما أثم كبير) بعد التحريم (ومنافع للناس) قبل التحريم بالتجارة بها وبأخذ مال بغير كد (وأثمهما) بعد التحريم (أكبر من نفعهما) قبل التحريم ثم حرم بعد ذلك فى كلهما (ويسئلونك ماذا ينفقون) نزلت فى شأن عمرو بن الجموح سأل النبى صلى الله عليه وسلم ماذا نتصدق من أموالنا فقال الله لنبيه ويسئلونك ماذا ينفقون ماذا يتصدقون من أموالهم (قل العفو) ما فضل من القوت

أى هو العفو فاعراب الجواب كاعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال (كذلك) الكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف
أى تبيينا مثل هذا التبيين (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا)

أى فى أمر الدنيا (والآخرة) وفى يتعلق بتتفكرون أى تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم أو تتفكرون فى الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يتعلق بيبين أى يبين لكم الآيات فى أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) أى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير

وأكل العيال ثم نسخ ذلك بآية الزكاة (كذلك) هكذا (يبين الله لكم الآيات) الامر والنهى وهوان الدنيا (لعلكم تتفكرون فى الدنيا) انها فانية (والآخرة) انها باقية (ويسئلونك عن اليتامى) نزلت فى شأن عبد الله بن رواحة سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن مخالطة اليتامى فى الطعام والشراب والمسكن يجوز أم لا فقال الله لنبيه ويسألونك عن اليتامى عن مخالطة اليتامى بالطعام والشراب والمسكن (قل) يا محمد (أصلاح لهم) ولما لهم (خير) من ترك (وقيل)

العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ماتيسر له بذله ولايبلغ منه الجهد قال

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولاتنطقى فى سورتى حين أغضب

وروى ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه حتى كرر عليه مرارا فقال هاتها مغضبا فأخذها فحذفها حذفا لوأصابه لشجه ثم قال يأتى أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى *وقرأ أبو عمرو برفع العفو ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أى مثل مابين ان العفو أصلح من الجهد أو ماذكر من الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف أى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع ﴿لعلكم تتفكرون﴾ فى الدلائل والاحكام ﴿فى الدنيا والآخرة﴾ فى أمور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولاينفعكم أو يضركم اكثر ممانيفعكم ﴿ويسئلونك عن اليتامى﴾ لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بأمرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿قل أصلاح لهم خير﴾ أى مداخلتهم لاصلاحهم أو أصلاح أموالهم خير من مجانبتهم

يعنى الفضل والعفو مافضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة رضى الله عنهم يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ماكان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط فى الانفاق من غير اسراف ولااقتار وقيل هو فى صدقة التطوع اذ لوكان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أى يبين لكم الامور التى سألتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه ﴿لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة﴾ يعنى فتأخذون مايصلحكم فى الدنيا وتنفقون الباقى فينفعكم فى الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفى اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها * قوله عز وجل ﴿ويسئلونك عن اليتامى﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا أموالهم عن أموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولايأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ويسئلونك عن اليتامى ﴿قل أصلاح لهم خير﴾ أى اصلاح أموال اليتامى من غير أخذ أجرة ولاعوض خير لكم أى أعظم أجرا

﴿وأن تخالطوهم فأخوانكم﴾ حث على المخالطة أى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح أى يعلم أمره فيجازيه عليه ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ أى ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم أى كلفكم مايشق عليكم من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ﴿أن الله عزيز﴾ غالب يقدر على الاعنات ﴿حكيم﴾ يحكم مايقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ﴿ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ أى ولاتتزوجوهن *وقرئ بالضم أى ولاتزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان أهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عمايشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها أناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت ألاتخلو فقال أن الاسلام حال بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بى فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولايوسع من طعام اليتيم ﴿وأن تخالطوهم﴾ يعنى فى الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة أى شاركوهم فى أموالهم واخلطوها بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم أوتكافؤهم على ماتصيبون من أموالهم ﴿فأخوانكم﴾ أى فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ يعنى المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذى يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل مال اليتيم بغير حق والذى يقصد الاصلاح ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ أى لضيق عليكم وماأباح لكم مخالطتهم وأصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم فى كل شئ مايشق عليكم ﴿أن الله عزيز حكيم﴾ أى غالب يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لايكلف عباده الامانتسع فيه طاقتهم * قوله عزوجل ﴿ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ نزلت فى أبى مرثد بن أبى مرثد الغنوى واسم أبى مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية فأتته فقالت ألاتخلو فقال ويحك ياعناق ان الاسلام حال بينى وبين ذلك فقالت له هل لك أن تتزوج بى قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمره فقالت أبى تتبرم واستعانت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق ومالقى بسببها وقال يارسول الله أيحل لى أن أتزوجها فأنزل الله تعالى هذه الآية * وأصل النكاح فى اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولاتنكحوا أيها المؤمنون

(فأخوانكم) فهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ أن يخالط أخاه (والله يعلم المفسد) لاموالهم (من المصلح) لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح (ولو شاء الله) اعناتكم (لأعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة وأخرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم (ان الله عزيز) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم (حكيم) لايكلف الا وسعهم وطاقتهم ولما سأل مرثد النبى صلى الله عليه وسلم عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل (ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن) أى لاتتزوجوهن يقال نكح اذا تزوج وأنكح غيره

مخالطتهم (وان تخالطوهم) فى الطعام والشراب والمسكن (فأخوانكم) فهم اخوانكم فى الدين فاحفظوا انصافهم (والله يعلم المفسد) لمال اليتيم (من المصلح) لمال اليتيم (ولو شاء الله لأعنتكم) لحرم المخالطة عليكم (ان الله عزيز) بالنقمة لمفسد مال اليتيم (حكيم) يحكم باصلاح مال اليتيم (ولا تنكحوا المشركات) نزلت فى مرثد بن أبى مرثد الغنوى الذى أراد أن يتزوج امرأة مشركة تسمى عناق فنهى الله عن ذلك فقال ولاتنكحوا (قا و خا ٤٢ ل) المشركات يقول لاتتزوجوا المشركات بالله (حتى يؤمن)

فاستأمره فنزلت ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة﴾ أى ولامرأة مؤمنة حرة كانت أومملوكة فأن الناس كلهم عبيدالله وأماؤه ﴿ولو أعجبتكم﴾ بحسنها وشمائلها والواو

زوجه (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) ولوكان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها

بالله (ولامة مؤمنة) يقول نكاح أمة مؤمنة (خير من مشركة) من نكاح حرة مشركة (ولو أعجبتكم) حسنها وجمالها

المشركات حتى يؤمن أى يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام المسلمين* واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أى أجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزل فى مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شئ ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن يعنى مشركات العرب اللاتى ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا فى مسئلة وهى ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار أن لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الاليعبدوا الها واحدا لاأله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة فى شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وان زعم أن الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم أن ما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أن اسم الشرك لايتناول الاعبدة الاوثان فقط والاول أصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لايتناول الاالوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة فى حق الوثنيات منسوخة فى حق الكتابيات وقوله تعالى ﴿ولأمة مؤمنة خير﴾ يعنى أنفع وأصلح وأفضل ﴿من مشركة﴾ يعنى حرة ﴿ولو أعجبتكم﴾ يعنى بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير وأفضل عند الله من الحرة المشركة نزلت فى خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال ياخنساء قد ذكرت فى الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك ثم أعتقها وتزوجها وقيل نزلت فى عبدالله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال وماهى ياعبدالله قال هى تشهد أن لاأله الاالله

(ولاتنكحوا المشركين) ولاتزوجوهم مسلمة كذا قاله الزجاج وقال فى جامع العلوم حذف أحد المفعولين والتقدير ولاتنكحوهن المشركين (حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) ثم بين علة ذلك فقال (أولئك) وهو اشارة الى المشركات والمشركين (يدعون الى النار) الى الكفر الذى هو عمل أهل النار فحقهم أن لايوالوا ولايصاهروا (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) أى وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة ومايوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم (بأذنه) بعلمه أو بأمره (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزل (ويسئلونك عن المحيض) هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك

للحال ولو بمعنى أن وهو كثير ﴿ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ ولاتزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين ﴿أولئك﴾ اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات ﴿يدعون الى النار﴾ أى الكفر المؤدى الى النار فلايليق موالاتهم ومصاهرتهم ﴿والله يدعو﴾ أى أولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم ﴿الى الجنة والمغفرة﴾ أى الى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة ﴿بأذنه﴾ أى بتوفيق الله تعالى وتيسيره أو بقضائه وارادته ﴿ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾ لكى يتذكروا أوليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ﴿ويسئلونك عن المحيض﴾ روى أن أهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوهن كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى أن سأل أبو الدحداح فى نفر من

وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلى فقال هذه أمة مؤمنة قال عبد الله فوالذى بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية ﴿ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ هذا خطاب لاولياء المرأة أى لاتزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا من أى أصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على أنه لايجوز للمسلمة أن تتزوج بالمشرك ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾ يعنى حرا ﴿ولو أعجبكم﴾ بحسنه وماله وجماله ﴿أولئك يدعون الى النار﴾ يعنى يدعون الى الشرك الذى يؤدى الى النار ﴿والله يدعو الى الجنة والمغفرة﴾ يعنى انه تعالى بين هذه الاحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فأنه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة ﴿بأذنه﴾ أى بتيسير الله وارادته وتوفيقه ﴿ويبين آياته للناس﴾ أى يوضح أدلته وحججه فى أوامره ونواهيه وأحكامه ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى فيتعظون * قوله عزوجل ﴿ويسئلونك عن المحيض﴾ (م) عن أنس رضى الله عنه أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزوجل ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا مايريد هذا الرجل ان يدع من

وكذلك (لاتنكحوا المشركين) أى لاتزوجوا المشركين بالله (حتى يؤمنوا) بالله (ولعبد مؤمن) يقول تزويجكم لعبد مؤمن (خير من مشرك) من تزويجكم لحر مشرك (ولو أعجبكم) بدنه وقوته (أولئك) المشركون (يدعون الى النار) يدعون الى الكفر وعمل النار (والله يدعو الى الجنة) بالتوحيد (والمغفرة) بالتوبة (بأذنه) بأمره (ويبين آياته) أمره ونهيه فى التزويج (للناس لعلهم يتذكرون) لكى يتعظوا و ينتهوا عن تزويج الحرام (ويسئلونك عن المحيض) نزلت فى شأن ابى الدحداح سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال الله لنبيه ويسألونك عن المحيض عن مجامعة النساء

جاء مجيئا (قل هو أذى) أي المحيض شئ يستقذر ويؤذي من يقربه (فاعتزلوا النساء في المحيض) فاجتنبوهن أي فاجتنبوا مجامعتهن وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شئ فأمر الله بالاقتصاد بين الامرين ثم عندأبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الازار ومحمد رحمه الله لا يوجب الا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضي الله عنها يجتنب شعار الدم وله ماسوى ذلك (ولا تقربوهن) مجامعين أو ولا تقربوا مجامعتهن (حتى يطهرن) بالتشديد كوفي غير حفص أي يغتسلن وأصله يتطهرن فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن أي ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له ان يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا أولى من العكس لانه حينئذ يجب ترك العمل بأحديهما لما اعرف وعند الشافعي رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى (فأذا تطهرن فأتوهن) فجامعوهن فجمع بينهما (من حيث أمركم الله) من المأتى الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل

في المحيض (قل) يا محمد (هو أذى) قذر حرام (فاعتزلوا النساء في المحيض) فاتركوا مجامعة النساء في المحيض (ولا تقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) من (وهو) الحيض (فأذا تطهرن) واغتسلن (فأتوهن) جامعوهن (من حيث أمركم الله) من حيث رخصكم الله قبل ذلك في الفروج

الصحابة عن ذلك فنزلت * والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في أوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع ﴿قل هو أذى﴾ أي الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه الصلاة والسلام انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم بأخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فأنهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بأنه أذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بأنه العلة ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عباس رضي الله عنهما يطهرن أي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله ﴿فأذا تطهرن فأتوهن﴾ فأنه يقتضي تأخير جواز الاتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه أن طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل ﴿من حيث أمركم الله﴾ أي المأتى الذي أمركم الله به وحلله لكم

أمرنا شيأ الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما * الوجد الغضب * وأصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه ﴿قل هو أذى﴾ أي هو شئ قذر والاذى في اللغة مايكره من كل شئ ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ أي فاجتنبوا مجامعتهن ﴿ولا تقربوهن﴾ يعني بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض ﴿حتى يطهرن﴾ يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم * وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن ﴿فاذا تطهرن﴾ أي اغتسلن من حيضهن ﴿فأتوهم من حيث أمركم الله﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما طؤهن في الفرج ولا تعتدوا الى غيره فانه هو الذي أمر الله به ولا تأتوهن في غير المأتى وقيل فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات

فصل في حكم هذه الآية { وفيه مسائل } المسئلة الاولى

أجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد أخرجه الترمذي وقال انما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ ومن فعله

وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفى وجوب الكفارة قولان أحدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول أبى حنيفة والشافعى فى الجديد والقول الثانى انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعى وبه قال أحمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرجل يقع على امرأته وهى حائض قال يتصدق بنصف دينار* وفى رواية قال اذا كان دما أحمر فدينار وان كان دما أصفر فنصف دينار أخرجه الترمذى وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس رضى الله عنهما ووقفه بعضهم

المسئلة الثانية

أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت أحدانا اذا كانت حائضا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تأتزر بأزار فى فور حيضها ثم يباشرها وأيكم يملك أربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك أربه* وفى رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرنى فأتزر فيباشرنى وأنا حائض أخرجاه فى الصحيحين* المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج* وفور كل شئ أوله وابتداؤه* وقولها يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولينى الخمرة من المسجد قلت أنا حائض قال ان حيضتك ليست فى يدك* الخمرة حصير صغير مضفور من سعف النخل أو غيره بقدر الكف* وقولها من المسجد يعنى ناداها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد وعائشة فى حجرتها فطلب منها الخمرة وهى حائض

المسئلة الثالثة

يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو أمنت الحائض من التلويث فى عبور المسجد جاز فى أحد الوجهين قياسا على الجنب والثانى لا لان حدثها أغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روى عن معاذة العدوية قالت سألت عائشة رضى الله عنها فقلت ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة قالت أحرورية أنت قلت لست بحرورية ولكنى أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة أخرجاه فى الصحيحين

المسئلة الرابعة

لا يرتفع شئ مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فأنه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فأنه يصح وان اغتسلت فى النهار وذهب أبو حنيفة الى أنه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة أيام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعى وغيره من العلماء انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الحيض أو تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين أحدهما انقطاع الدم والثانى الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعنى من الحيض فأذا تطهرن يعنى اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله فدل ذلك على ان الوطء لا يحل

﴿ أن الله يحب التوابين ﴾ من الذنوب ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ أى المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى ﴿ نسائكم حرث لكم ﴾ مواضع حرث لكم شبهن بها تشبيها لمايلقى فى أرحامهن

قبل الفسل * قوله عزوجل ﴿ أن الله يحب التوابين ﴾ يعنى من الذنوب والتواب الذى كلما أذنب جدد توبة وقيل التواب هوالذى لايعود الى الذنب ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ يعنى من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب * قوله عزوجل ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ الآية (ق) عن جابر رضى الله عنه قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم * وفى رواية للترمذى كانت اليهود تقول من أتى المرأة فى قبلها من دبرها وذكر الحديث * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلى الليلة قال فلم يرد عليه شيأ فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله حولت رحلى هو كناية عن الاتيان فى غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز أن يريد به انه أتاها فى المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان هذا الحى من الانصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن أهل الكتاب أن لايأتوا النساء الاعلى حرف وذلك أشق ماتكون المرأة فكان هذا الحى من الانصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدنية تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب ان يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والافاجتنبنى حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزوجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك موضع الولد أخرجه أبوداود * والوثن الصنم وقيل الصورة لاجثة لها * وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شئ جانبه * وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها وأصل الشرح البسط * وقوله سرى أمرهما أى ارتفع وعظم وتفاخم وأصله من سرى البرق اذا لج فى اللمعان * عن أم سلمة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم فى صمام واحد ويروى سمام بالسين أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل

ان الله يحب التوابين) من ارتكاب مانهوا عنه أو العوادين الى الله تعالى وان زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا ييأس (ويحب المتطهرين) بالماء أو المتنزهين من ادبار النساء أو من الجماع فى الحيض او من الفواحش كان اليهود يقولون اذا أتى الرجل أهله باركة أتى الولد أحول فنزل (نساؤكم حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لمايلقى فى ارحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله أى ان المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث لامكان الفرث تنبيها على ان المطلوب الاصلى فى الاتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذى

(ان الله يحب التوابين) الراجعين من الذنوب (ويحب المتطهرين) من الذنوب والادناس (نساؤكم حرث لكم) يقول فروج نسائكم مزرعة لاولادكم

من النطف بالبذور ﴿فأتوا حرثكم﴾ أي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله ﴿أنى شئتم﴾ من أي جهة شئتم روى أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿وقدموا لانفسكم﴾ ما يدخر لكم من الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند الوطء ﴿واتقوا الله﴾ بالاجتناب عن معاصيه ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ فتزودوا مالا تفتضحون به

التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج * وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في أدبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة في دبرها أخرجه أبو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني أن شئتم فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فارو ويروى عنه انه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال أحمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي * وروى نافع قال كنت أمسك على ابن عمر رضي الله عنهما المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال تدري فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له ياعم ما حديث يحدثه نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء في أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من أدبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وأنكره أصحابه وأجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء في أدبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فأولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره * قوله عز وجل ﴿وقدموا لانفسكم﴾ يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا وقيل أراد به تقديم الافراط (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم * قوله الا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد أبر الله قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية ﴿واتقوا الله﴾ أي احذروا ان تأتوا شيأ مما نهاكم الله عنه ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ أي صائرون اليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم

نيط به هذا المطلوب (فأتوا حرثكم أنى شئتم) جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم باركة او مستلقية أو مضطجعة بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة فعلى كل مسلم ان يتأدب بها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات (وقدموا لانفسكم) ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه أو هو طلب الولد أو التسمية على الوطء (واتقوا الله) فلا تجترؤا على المناهي (واعلموا أنكم ملاقوه) صائرون اليه فاستعدوا

(فأتوا حرثكم) مزرعتكم (أنى شئتم) كيف شئتم مقبلة أو مدبرة اذا كان في صمام واحد (وقدموا لانفسكم) من ولد صالح (واتقوا الله) اخشوا الله في ادبار النساء ومجامعتهن في الحيض (واعلموا أنكم ملاقوه) معاينوه بعد الموت

للقائه (وبشر المؤمنين) بالثواب يامحمد وانما جاء يسئلونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كأنه وقع فى أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر فى وقت واحد فجيئ بحرف الجمع لذلك (ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهى اسم ماتعرضه دون الشئ من عرض العود على الاناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير وكان

الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو اصلاح ذات بين أو احسان الى أحد أو عبادة ثم يقول اخاف الله ان أحنث فى يمينى فيترك البر ارادة البر فى يمينه فقيل لهم ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا بتلبسه باليمين كقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف بيان لايمانكم أى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس واللام تتعلق بالفعل أى ولاتجعلوا الله لايمانكم برزخا ويجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل أو بالعرضة اى ولاتجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة

﴿وبشر المؤمنين﴾ الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل أمره منهم ﴿ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ نزلت فى الصديق رضى الله تعالى عنه لما حلف ان لاينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضى الله عنها أو فى عبدالله بن رواحة رضى الله عنه حلف ان لايكلم ختنه بشير بن النعمان ولايصلح بينه وبين أخته . والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولاتجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة والسلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن تكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل أو بعرضة أى ولاتجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولاتجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولاتطع كل حلاف مهين وأن تبروا علة للنهى أى

﴿وبشر المؤمنين﴾ يعنى بالكرامة من الله تعالى * قوله عز وجل ﴿ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم﴾ نزلت فى عبدالله بن رواحة رضى الله عنه كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شئ فحلف عبدالله لايدخل عليه ولايكلمه ولايصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لاأفعل فلايحل لى الا ان تبر يمينى فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لاينفق على مسطح حين خاض فى حديث الافك . والعرضة مايجعل معرضا للشئ وقيل العرضة الشدة والقوة وكل مايعترض فيمنع عن الشئ فهو عرضة والمعنى ولاتجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم الى بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لاأفعله فيعتل بيمينه فى ترك البر والاصلاح ﴿أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ قيل معناه لاتحلفوا بالله أن لاتبروا ولاتتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لاتكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة

فيجزيكم بأعمالكم (وبشر المؤمنين) يقول وبشر يامحمد المؤمنين المتقين عن أدبار النساء ومجامعتهن فى الحيض بالجنة (ولاتجعلوا الله عرضة) علة (لايمانكم) نزلت فى شأن عبدالله بن رواحة اذ حلف بالله أن لايحسن الى أخته وختنه ولايكلمهما ولايصلح بينهما فنهاه الله عن ذلك فقال ولاتجعلوا الله عرضة علة لايمانكم أى لاتحلفوا (الحلف) (أن تبروا) أن لاتبروا (وتتقوا) وأن لاتتقوا عن قطيعة الرحم (وتصلحوا) وان لاتصلحوا (بين الناس) يقول ارجعوا الى ماهو خير لكم وكفروا يمينكم ويقال ان لاتبروا أى لاتحسنوا الى أحد وتتقوا أى يقول اتقوا عن الحلف بالله فى ترك الاحسان وتصلحوا أصلحوا

لان تبروا (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم

أنهاكم عنه أرادة بركم وتقواكم وأصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لايكون برا متقيا ولاموثوقا به في أصلاح ذات البين ﴿ والله سميع ﴾ لايمانكم ﴿ عليم ﴾ بنياتكم ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ اللغو الساقط الذي لايعتدبه من كلام وغيره ولغو اليمين مالا عقد معه كما سبق به اللسان أوتكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا و الله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ والمعنى لايؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لاقصد معه ولكن يؤاخذكم بهما أوبأحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال أبوحنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لايعاقبكم بما أخطأتم

الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه ﴿ والله سميع ﴾ أي لحلفكم ﴿ عليم ﴾ يعني بنياتكم ﴿ قوله عزوجل ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ اللغو كل ساقط مطرح من الكلام ومالا يعتدبه وهو الذي يورد لاعن روية وفكر واللغو في اليمين هوالذي لاعقد معه كقول القائل لاوالله وبلى والله على سبق اللسان من غير قصدونية وبه قال الشافعي ويعضده ماروى عن عائشة رضي الله عنها قالت نزل قوله تعالى لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم في قول الرجل لاوالله وبلى والله أخرجه البخاري موقوفا ورفعه أبوداود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في يمينه كلا والله وبلى والله ورواه عنها أيضاموقوفا وقيل في معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شئ يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطأ أحسن ماسمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشئ يتيقن انه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشئ وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضى به أحدا ويعتذر لمخلوق أويقتطع به مالا فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف أن لايفعل الشئ المباح له فعله ثم يفعله أو ان يفعله ثم لايفعله مثل ان يحلف لايبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك أويحلف ليضربن غلامه ثم لايضربه وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وأبي حنيفة في لغواليمين ان الشافعي لايوجب الكفارة في قول الرجل لاوالله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وأبوحنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هوقول عائشة رضي الله عنها والشعبي وعكرمة ومذهب أبي حنيفة هوقول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان ابن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو مايقع سهوا من غير قصد ألبتة ومعنى لايؤاخذكم أي لايعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لايؤاخذكم أي لايلزمكم الكفارة بلغو اليمين ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ يعني لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هوالعقدوالنية

فصل في بيان حكم الآية ﴿وفيه مسائل﴾ المسألة الاولى

(لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو الساقط الذي لايعتدبه من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذي لايعتدبه في الايمان وهو ان يحلف على شئ يظنه على ماحلف عليه والامر بخلافه والمعنى لايعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم وعند الشافعي رحمه الله هومايجرى على لسانه من غير قصد للحلف نحو لا والله وبلى والله (ولكن يؤاخذكم) ولكن يعاقبكم (بما كسبت قلوبكم) بما اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على مايعلم انه خلاف مايقوله وهواليمين الغموس وتعلق الشافعي بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لان كسب القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثمة مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على

بين الناس (والله سميع) يمينكم بترك الاحسان (عليم) بنياتكم وبكفارة اليمين (لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) يقول بكفارة أيمانكم باللغو بقولكم لاوالله وبلى والله في الشراء والبيع (قا وخا ٤٣ ل) وغيرذلك من اللغو (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)

فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيه ﴿ والله غفور ﴾ حيث لم يؤاخذكم باللغو ﴿ حليم ﴾ حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة ﴿ للذين يؤلون من نسائهم ﴾ أى يحلفون على أن لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما

البعض (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو فى أيمانكم (للذين يؤلون) يقسمون وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما ومن فى (من نسائهم) يتعلق بالجار والمجرور أى للذين كما تقول لك منى نصرة ولك منى معونة أى

تضمر قلوبكم بذلك (والله غفور) لايمانكم باللغو (حليم) اذ لم يعجلكم بالعقوبة ويقال اللغو يمين على المعصية فان تركه وكفر يمينه لا يؤاخذه وان فعل يؤاخذه (للذين يؤلون من نسائهم) يتركون مجامعة نسائهم بالحلف لا يقربها أربعة أشهر أو فوق

لا تنعقد اليمين الا بالله وبأسمائه وصفاته فأما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذى نفسى بيده والذى أعبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف بشئ من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة

المسئلة الثانية

لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبى وأبى ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير فى ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت أخرجاه فى الصحيحين

المسئلة الثالثة

اذا حلف على أمر فى المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على أمر ماض ولم يكن أو على انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهى من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعى سواء كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهى كبيرة وان كان جاهلا فهى من لغو اليمين ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لعباده فيما لغوا من أيمانهم التى أخبرانه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء آخذهم وألزمهم الكفارة فى العاجل والعقوبة عليها فى الآجل ﴿ حليم ﴾ يعنى فى ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة قال الحليمى فى معنى الحليم انه الذى لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصى كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك فى معاصيه كما يبقى البر المتقى وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعوه كما يقيها الناسك الذى يدعوه ويسأله وقال أبو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناءة الذى لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأنى الذى لا يعجل بالعقوبة * قوله عز وجل ﴿ للذين يؤلون من نسائهم ﴾ يؤلون أى يحلفون والالية اليمين قال كثير

قليل الالايا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء فى عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا أجامعك أو لا أباضعك أو لا أقربك قال ابن عباس رضى الله عنه كان أهل الجاهلية اذا طلب

(الرجل)

ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن ﴿ تربص أربعة أشهر ﴾ مبتدأ وماقبله خبره أو فاعل الظرف على خلاف سبق* والتربص الانتظار والتوقف أضيف الى الظرف على الاتساع أى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلايطالب بفئ ولاطلاق ولذلك قال الشافعى لاأيلاء الافى أكثر من أربعة أشهر ويؤيده ﴿فأن فاؤا﴾ أى رجعوا فى اليمين بالحنث ﴿فأن الله غفور رحيم﴾ للمولى أثم حنثه اذا كفر أوماتعرض بالايلاء من ضرار

الرجل من امرأته شيأ فأبت أن تعطيه حلف لايقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لاأيما ولاذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وأنزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار أهل الجاهلية فكان الرجل لايريد امرأته ولايحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لايقربها أبدا فيتركها لاأيما ولاذات بعل وكانوا عليه فى ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذى يعلم به ماعند الرجل فى المرأة أربعة أشهر وأنزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم ﴿ تربص ﴾ أى انتظار ﴿ أربعة أشهر ﴾ والتربص التثبت والانتظار ﴿فأن فاؤا﴾ أى رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها ﴿فأن الله غفور رحيم﴾ للزوج اذا تاب من اضراره بامرأته فأنه غفور رحيم لكل التائبين ﴿ فروع ﴾ تتعلق بحكم الآية ﴿ الفرع الاول ﴾ اذا حلف انه لايقرب زوجته أبدا أومدة هى أكثر من أربعة أشهر فهو مول فاذا مضت أربعة أشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفئ وهو الرجوع أوالطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه أوبالقول مع العجز عنه فأن لم يفئ ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وأبى الدرداء وابن عمر رضى الله عنهم قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى وأحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم اذا مضت مدة أربعة أشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثورى وأبوحنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلقة رجعية ﴿ الفرع الثانى ﴾ لوحلف أن لايطأها أقل من أربعة أشهر فليس بمول بل هو حالف فأن وطئها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين ﴿ الفرع الثالث ﴾ لوحلف أن لايطأها أربعة أشهر فليس بمول بعد مضى المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفئ أوالطلاق وقد مضت المدة وعند أبى حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة ﴿ الفرع الرابع ﴾ مدة الايلاء أربعة أشهر فى حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وأبى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير أن عند أبى حنيفة تتنصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما فى الطلاق ﴿ الفرع الخامس ﴾

للمؤلين من نسائهم (تربص أربعة أشهر) أى استقر للمؤلين ترقب أربعة أشهر لايبؤلون لان آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية ولك ان تقول عدى بمن لما فى هذا القسم من معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين (فأن فاؤا) فى الاشهر لقراءة عبدالله فان فاؤا فيهن أى رجعوا الى الوطء عن الاصرار بتركه (فأن الله غفور رحيم) حيث

ذلك (تربص أربعة أشهر) يقول انتظار أربعة أشهر (فأن فاؤا) فان جامعوا قبل أربعة أشهر (فأن الله غفور) لبينهم ان تابوا (رحيم) اذ بين

شرع الكفارة (وأن عزموا الطلاق) بترك الفيء فتربصوا الى مضى المدة (فأن الله سميع) لايلائه (عليم) بنيته وهو وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعند الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضى المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فان أحمدتكم أقمت عندكم الى آخره والا لم أقم الا ريثما أتحول (والمطلقات) أراد المدخول بهن من ذوات الاقراء (يتربصن بأنفسهن) خبر فى معنى الامر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات واخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفى ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان أنفس النساء طوامح الى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن و يغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص (ثلاثة قروء) جمع قرء أو قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذى يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة (قال) ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعي لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة لانه اذا طلقها فى آخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده واذا طلقها

المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة ﴿ وأن عزموا الطلاق ﴾ وأن صمموا قصده ﴿ فأن الله سميع ﴾ لطلاقهم ﴿ عليم ﴾ بغرضهم فيه وقال أبو حنيفة الايلاء فى أربعة أشهر فما فوقها وحكمه أن المولى أن فاء فى المدة بالوطء أن قدر وبالوعد أن عجز صح الفيء ولزم الوطء أن يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الامرين فأن أبى عنهما طلق عليه الحاكم ﴿ والمطلقات ﴾ يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار أن حكم غيرهن خلاف ما ذكر ﴿ يتربصن ﴾ خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بأنه مما يجب أن يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد أن يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد ﴿ بأنفسهن ﴾ تهييج وبعث لهن على التربص فأن نفوس النساء طوامح الى الرجال فأمرن بأن يقمعنها ويحملنها على التربص ﴿ ثلاثة قروء ﴾

اذا وطىء خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فأن فاؤا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك فى اسقاط العقوبة عنه لا فى الكفارة * قوله تعالى ﴿ وان عزموا الطلاق ﴾ أى تحققوه بالايقاع ﴿ فأن الله سميع ﴾ يعنى لاقوالهم ﴿ عليم ﴾ يعنى بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق مالم يطلقها زوجها لانه عز وجل شرط فيها العزم * قوله عز وجل ﴿ والمطلقات ﴾ أى المخليات من حبال أزواجهن والمطلقة هو التى أوقع الزوج عليها الطلاق ﴿ يتربصن بأنفسهن ﴾ أى ينتظرن فلا يتزوجن ﴿ ثلاثة قروء ﴾ جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر

كفارتهم (وأن عزموا الطلاق) حققوا الطلاق وبروا يمينهم (فأن الله سميع) ليمينه (عليم) بما بانت امرأته منه بتطليقة واحدة بعد أربعة أشهر وبكفارة يمينه نزل ذلك فى رجل يحلف بالله ان لا يقرب امرأته بالجماع أربعة أشهر أو فوق ذلك فأن بر يمينه وترك مجامعتها حتى تجاوز أربعة أشهر بانت منه امرأته بتطليقة واحدة وان جامعها قبل ذلك فعليه كفارة اليمين (والمطلقات) واحدة أو اثنتين (يتربصن بأنفسهن) ينتظرن بأنفسهن فى العدة (ثلاثة قروء) ثلاث حيض

نصب على الظرف أو المفعول به أى يتربصن مضيها * وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة أيام أقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الاعشى

مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وأصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض وأما قوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم أن شاء أمسك بعد وأن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها

قال أبو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل أنه حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس واختلفوا فى أصله فقيل أصله الجمع من قرأ أى جمع لان فى وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع فى البدن وقيل أصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه أى لوقته الذى كان فيه لان الحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت وبحسب اختلاف أهل اللغة فى الاقراء اختلف الفقهاء على قولين * أحدهما ان الاقراء هى الحيض روى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وأبى موسى وعبادة بن الصامت وأبى الدرداء رضى الله عنهم وبه قال عكرمة والضحاك والسدى والاوزاعى وسفيان الثورى وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول ان الاقراء هى الاطهار وأنا اليوم أذهب الى انها الحيض * القول الثانى انها الاطهار يروى ذلك عن زيد ابن ثابت وابن عمر وعائشة رضى الله عنهم وبه قال الزهرى وأبان بن عثمان ومالك والشافعى وحجة من يقول ان الاقراء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة أيام أقرائك يعنى أيام حيضك لان المرأة لا تدع الصلاة الا أيام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امرأته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء أمسكها وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها فأخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

ففى كل عام أنت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

أراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فتضيع اقراؤهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف أن مدة العدة عند الشافعى أقصر وعند غيره

فى آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه ويقال أقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وانتصاب ثلاثة على انه مفعول به أى يتربصن مضى ثلاثة قروء أو على الظرف أى يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التى هى الاقراء لاشتراكهما فى الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت اكثر استعمالا فى جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة

﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ من الولد والحيض استعجالا في العدة وأبطالا لحق الرجعة وفيه دليل على أن قولها مقبول في ذلك ﴿أن كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على أنه ينافي

المهمل (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من الولد أو من دم الحيض أو منهما وذلك اذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (أن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) لان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله

(ولا يحل لهن ان يكتمن) الحبل (ما خلق الله في ارحامهن) من ولد (ان كن) اذ كن (يؤمن بالله واليوم الآخر

أطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضي الله عنها اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا أعلم لان هذا مما يبتلى به النساء وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب أبي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض * فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن * قلت هو خبر في صورة الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات فأخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بأنه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعاء يرحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

فصل في أحكام العدة {وفيه مسائل} المسئلة الاولى

عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والامة

المسئلة الثانية

عدة المتوفى عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده وسواء في ذلك الحائض والامة والآيسة

المسئلة الثالثة

عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان أحدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهي ثلاثة اقراء الضرب الثاني الآيسات من الحيض اما لكبر أو تكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها

المسئلة الرابعة

عدة الاماء نصف عدة الحرائر فيماله نصف وفي الاقراء قرآن لانه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الامة بحيضتين * قوله عز وجل ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض أو الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد ﴿ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وايجاب

من العظائم (وبعولتهن) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع (أحق بردهن) أى أزواجهن أولى برجعتهن وفيه دليل على ان الطلاق الرجعى لايحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق (فى ذلك) فى مدة ذلك التربص والمعنى ان الرجل ان أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو أحق منها الا ان لها حقا فى الرجعة (أن أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذى عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذى يجب لهم عليهن من الامر والنهى (بالمعروف) بالوجه الذى لاينكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ماليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب فى كونه حسنة لافى جنس الفعل فلايجب عليه اذا غسلت ثيابه أو خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بمايليق بالرجال

الايمان وأن المؤمن لايجترئ عليه ولاينبغى له أن يفعل ﴿وبعولتهن﴾ أى أزواج المطلقات ﴿أحق بردهن﴾ الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى تتلوها فالضمير أخص من المرجوع اليه ولاامتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه* والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤلة أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به أو أقيم مقام المضاف المحذوف أى وأهل بعولتهن وأفعل ههنا بمعنى الفاعل ﴿فى ذلك﴾ أى فى زمان التربص ﴿أن أرادوا أصلاحا﴾ بالرجعة لااضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ أى ولهن حقوق على

اداء الامانة فى الاخبار عما فى الرحم من الحيض أو الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك أدحق ان كنت مؤمنا يعنى ان أداء الحقوق من أفعال المؤمنين وتقول للذى يظلم ان كنت مؤمنا فلاتظلمنى والمعنى ينبغى ان يمنعك ايمانك من الظلم* وفى سبب وعيد النساء بهذا قولان احدهما انه لاجل مايستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس رضى الله عنهما والثانى انه لاجل ألحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة اذا رغبت فى زوجها تقول انى حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وأمرهن بأداء الامانة ﴿وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك﴾ يعنى أزواجهن سمى الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وازواجهن أولى برجعتهن وردهن اليهم فى ذلك أى فى حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة ﴿أن أرادوا أصلاحا﴾ يعنى ان أراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لاالاضرار بهن وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة ﴿ولهن﴾ يعنى وللنساء على الازواج ﴿مثل الذى عليهن﴾ يعنى للازواج ﴿بالمعروف﴾ وذلك ان حق الزوجية لايتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعى حق الآخر فيما له وعليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى الآية انى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى لان الله تعالى قال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (م) عن جابر رضى الله عنه أنه ذكر خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله فى النساء فأنكم أخذتموهن بأمانات الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لايوطئن فرشكم

وبعولتهن) أزواجهن (أحق بردهن) بمراجعتهن (فى ذلك) فى ذلك الحبل أو العدة (ان أرادوا أصلاحا) مراجعة لان فى بدء الاسلام كان اذا طلق الرجل أمرأته تطليقة أو تطليقتين كان أملك برجعتها بعد انقضاء العدة قبل التزويج فنسخ ملك الرجعة بقوله الطلاق مرتان وكذلك فى الحبل كان أحق برجعتها فى ذلك الحبل ولو طلقها ألف مرة فنسخ الله ملك الرجعة بقوله فطلقوهن لعدتهن (ولهن) من الحق والحرمة على أزواجهن (مثل الذى) للازواج (عليهن بالمعروف) فى احسان الصحبة والمعاشرة

الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها الا فى الجنس ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى أنفسهن وحقوقهن المهر و الكفاف وترك الضرار ونحوها أوشرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن فى غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق ﴿والله عزيز﴾ يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام ﴿حكيم﴾ يشرعها لحكم ومصالح ﴿الطلاق مرتان﴾ أى التطليق الرجعى اثنتان لماروى أنه صلى الله عليه وسلم سئل أين الثالثة فقال

أحد اتكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضرباغير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف*قوله فاتقوا الله فى النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف* قوله فانكم أخذتموهن بامانات الله ويروى بامانة*وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هى قوله فانكحوا ماطاب لكم من النساء وقيل الكلمة هى قوله فامساك بمعروف أوتسريح باحسان وقيل الكلمة هى كلمة التوحيد وهى لااله الا الله محمد رسول الله اذ لاتحل مسلمة لغير مسلم *وقوله لايوطئن فرشكم أحدا تكرهونه معناه ولايأذن لاحد أن يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء ولايرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنا فأن ذلك محرم على كل الوجوه فلامعنى لاشتراط الكراهة فيه ولوكان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد*وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعنى بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع *قوله عزوجل ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ أى منزلة ورفعة قال ابن عباس رضى الله عنه بماساق اليها من المهر وأنفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بأمور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل أن يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذاطلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شئ من ذلك بيدها ﴿والله عزيز﴾ أى غالب لايمتنع عليه شئ ﴿حكيم﴾ أى فى جميع أفعاله وأحكامه روى البغوى بسنده عن ابى ظبيان ان معاذ بن جبل رضى الله عنه خرج فى غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لوأمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها *قوله عزوجل ﴿الطلاق مرتان﴾ عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضى عدتها كان له ذلك وان طلقها ألف مرة فعمد رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الى ولا تحلين أبدا فأنزل الله تعالى الطلاق مرتان فأمساك بمعروف او تسريح بأحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أولم يطلق أخرجه

(وللرجال عليهن درجة) زيادة فى الحق وفضيلة بالقيام بأمرها وان اشتركا فى اللذة و الاستمتاع أوبالانفاق وملك النكاح (والله عزيز) لايعترض عليه فى أموره (حكيم) لايأمر الابما هو صواب وحسن (الطلاق مرتان) الطلاق بمعنى التطليق كالسلامة بمعنى التسليم أى التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع

(وللرجال عليهن درجة) فضيلة فى العقل والميراث والدية والشهادة وبما عليهم من النفقة والخدمة (والله عزيز) بالنقمة لمن ترك مابين المرأة والزوج من الحق والحرمة (حكيم) فيما حكم بينهما (الطلاق مرتان) يقول طلاق

عليه الصلاة والسلام أو تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة ﴿فأمساك بمعروف﴾ بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول ﴿أو تسريح باحسان﴾ بالطلقة الثالثة أو بان لا يرجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية

الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ماشاء الله ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا اطلقك فتبيني مني ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان عائشة قالت فاستأنف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية ان التطليق الشرعي يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام الا ان أبا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الآية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى أن عدد الطلاق الذي لكم فيه رجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وأنه لا رجعة له بعد التطليقتين أن سرحها فطلقها الثالثة ﴿فأمساك بمعروف﴾ يعني بعد الرجعة وذلك أنه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف وهو كل ماعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة ﴿أو تسريح بأحسان﴾ يعني أنه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل هو أنه اذا طلقها أدى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها

﴿ فروع ﴾ تتعلق بأحكام الطلاق ﴿ الفرع الاول ﴾ صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط ﴿ الفرع الثاني ﴾ الحر اذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها مادامت في العدة فأذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد بأذنها وأذن وليها ﴿ الفرع الثالث ﴾ العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان أحد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك وأحمد وذهب أبو حنيفة الى أن الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين

البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا في ان الجمع بين الطلقتين والثلاثة بدعة في طهر واحد لان الله تعالى أمرنا بالتفريق لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر والا يؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية ان زوجي قال لا أزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت الطلاق مرتان أي الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثالث (فأمساك بمعروف) برجعة والمعنى فالواجب عليكم امساك بمعروف (أو تسريح بأحسان) بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بأن لا يطلقها الثالثة في الطهر الثالث ونزل في جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع

الرجعة مرتان (فامساك) قبل التطليقة الثالثة وقبل الاغتسال من الحيضة الثالثة (بمعروف) بحسن الصحبة والمعاشرة (أو تسريح باحسان أو يطلقها الثالثة باحسان يؤدي حقها

كان فى الاسلام (ولايحل لكم) أيهاالازواج أوالحكام لانهم الآمرون بالاخذوالايتاء عندالترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) مما أعطيتموهن من المهور (الاأن يخافا أن لايقيما حدودالله) الاأن يعلم الزوجان ترك اقامة حدودالله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوزالمرأة وسوء خلقها

(ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن) اعطيتموهن من المهر (شيأ الا أن يخافا) يعلما الزوج والمرأة عندالخلع (ألايقيما حدود الله) احكام الله فيما بين

التطليق ﴿ولايحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيأ﴾ أى من الصداق روى أن جميلة بنت عبدالله بن أبى ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاأنا ولاثابت لايجمع رأسى ورأسه شئ والله ماأعتبه فى دين ولاخلق ولكنى أكره الكفر فى الاسلام وماأطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل فى عدة من الرجال فأذاهو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة أصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل أنه خطاب للازواج ومابعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة ﴿ألاأن يخافا﴾ أى الزوجان * وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ﴿ألا يقيما حدود الله﴾ بترك

﴿ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن﴾ يعنى أعطيتموهن ﴿شيأ﴾ يعنى من مهر أوغيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى ﴿الاأن يخافا أن لايقيما حدودالله﴾ نزلت فى جميلة بنت عبدالله بن أبى ويقال حبيبة بنت سهل الانصارى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهويحبها وكان بينهما كلام فأتت أباها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسب أبى ويضربنى فقال ارجعى الى زوجك فانى أكره للمرأة أن لاتزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها أثر الضرب فقال لها ارجعى الى زوجك فلما رأت أن أباها لايشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارابها من ضربه وقالت يارسول الله لاأنا ولاهو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والذى بعثك بالحق نبيا ماعلى وجه الارض أحب الى منها غيرك فقال لها ماتقولين فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يارسول الله ولكنى خشيت أن يهلكنى فاخرجنى منه فقالت يارسول الله ماكنت أحدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو أكرم الناس حبا لزوجته ولكنى أبغضه فلا أنا ولاهو قال ثابت أعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها على وأخلى سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياثابت خذ منها ماأعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ثابت بن قيس ماأعتب عليه فى خلق ولامال ولكنى أكره الكفر فى الاسلام قال أبو عبدالله يعنى تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة * قولها ماأعتب عليه يعنى ماأجد عليه والعتبى الموجدة والحديقة البستان من النخل اذاكان عليه الحائط معنى قوله تعالى الاأن يخافا أى يعلما الزوجان من أنفسهما أن لايقيما حدود الله والمعنى تخاف المرأة أن تعصى الله فى أمور زوجها ويخاف الزوج انه اذا لم تعطه أن يعتدى عليها فنهى الله الرجل أن يأخذ من

(قوله من الصداق) بفتح الصاد وكسرها وفى نسخة من الصدقات بفتح الصاد وضم الدال وصدقة بضم الصاد وسكون الدال وهو المهر (قوله روى أن جميلة الخ) قال شراح الكساف الصواب أخت عبدالله وقال الطيبى انه روى من طرق شتى وليس فيها انى رفعت جانب الخباء الخ قلت قال خاتمة الحفاظ السيوطى رحمه الله كلاهما صواب فان أباها عبدالله بن أبى رأس المنافقين واخوها صحابى جليل واسمه عبدالله أيضا ثم اختلف قديما هل هى بنت عبدالله المنافق او أخته بنت أبى والذى رجحه الحفاظ الاول قال الدمياطى هى أخت عبدالله شقيقته أمها خولة بنت المنذر وروى الدارقطنى ان اسمها زينب قال ابن حجر فلعل لها اسمين أو احدهما لقب والا فجميلة أصح ووقع فى طريق آخر ان اسم امرأة ثابت حبيبة بنت سهل قال ابن حجر والذى يظهر انهما قصتان له مع امرأتين لصحة الحديثين وماقاله الطيبى ليس كما قال فانه كثير مايعتمد على الكتب الستة ومسندى احمد والدارمى وليس فيها ﴿امرأته﴾ وقدروى ابن جرير ماذكره المصنف رحمه الله الاانه ليس فى شئ من الروايات ان هذه القصة سبب نزول الآية مصححه

أقامة أحكامه من مواجب الزوجية * وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وأبدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتمال * وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب ﴿فأن خفتم﴾ أيها الحكام ﴿أن لايقيما حدودالله فلاجناح عليهما فيما افتدت به﴾ على الرجل فى أخذما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه

امرأته شيأ مما أعطاها الا أن يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا أطيع لك أمرا ولا أطألك مضجعا ونحو ذلك * وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا أن يعلم ذلك من حالهما يعنى يعلم القاضى والوالى ﴿فأن خفتم﴾ يعنى فان خشيتم وأشفقتم وقيل معناه فأن ظننتم ﴿أن لايقيما حدودالله﴾ يعنى ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها ﴿فلاجناح عليهما فيما افتدت به﴾ أى لاجناح على المرأة فى النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها أوأعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال اذا أعطته المرأة طائعة راضية

فصل فى حكم الخلع ﴿وفيه مسائل﴾ الاولى

قال الزهرى والنخعى وداود لايباح الخلع الا عند الغضب والخوف من أن لايقيما حدودالله فان وقع الخلع فى غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الآية صريحة فى انه لايجوز للزوج أن يأخذ من المرأة شيأ عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا أن يخافا أن لايقيما حدودالله فكانت هذه صريحة فى انه لايجوز الاخذ فى غير حالة الغضب والخوف من أن لايقيما حدودالله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب * عن ثوبان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبوداود والترمذى * عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق أخرجه أبوداود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن يحصل لها شئ فأذا بذلت كان ذلك فى الخلع الذى تصير بسببه مالكة أمر نفسها أولى وأجيب عن الاستثناء المذكور فى هذه الآية انه محمول على الاستثناء المنقطع

المسئلة الثانية

الخلع جائز على أكثر مما اعطاها به قال أكثر العلماء وقال بعضهم لايجوز ان يأخذ أكثر مما أعطاها وهو قول على رضى الله عنه وبه قال الزهرى والشعبى والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذون ما أعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب أن لايقيد بمقدار معين كما ان للمرأة ان لاترضى

(فأن خفتم) أيها الولاة وجاز أن يكون أول الخطاب للازواج وآخره للحكام (ألا يقيما حدودالله فلا جناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر الا أن يخافا حمزة على البناء للمفعول وابدال ألا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه اقامة

المرأة والزوج (فان خفتم) علمتم (الا يقيما حدودالله) احكام الله فيما بين المرأة والزوج (فلاجناح عليهما) على الزوج خاصة (فيما افتدت به) أن يأخذ ما اشترت المرأة نفسها به من الزوج بطيبة نفسها نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس وامرأته جميلة بنت عبدالله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين اشترت نفسها من زوجها

﴿ تلك حدود الله ﴾ اشارة الى ماحد من الاحكام ﴿ فلاتعتدوها ﴾ فلاتتعدوها بالمخالفة ﴿ ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة في التهديد *واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن الخلع لايجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ماساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة أتردين عليه حديقته فقالت أردها وأزيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام أما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فأن المنع عن العقد لايدل على فساده وأنه يصح بلفظ المفاداة فأنه تعالى سماه افتداء واختلف في أنه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ أو طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله ﴿ فأن طلقها ﴾ فأن تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى أن يكون طلقة رابعة لوكان الخلع طلاقا والاظهر أنه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فأن طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله أوتسريح بأحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض أخرى والمعنى فأن طلقها بعد

عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لايرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لاسيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت بغضه وكراهته

المسئلة الثالثة

اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وطاوس وعكرمة وبه قال أحمد وأسحق وأبوثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلاتحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولوكان الخلع طلاقا لكان الطلاق أربعا وحجة القول الجديد انه لوكان فسخا لماصح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وأيضا لوكان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر مهرا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وأيضا فان الطلقة الثالثة قوله أوتسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فأن تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا فبانت منه بثلاث * قوله عزوجل ﴿ تلك حدود الله ﴾ يعني هذه أوامر الله ونواهيه وهو ماتقدم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله مامنع من مجاوزتها وهو قوله ﴿ فلاتعتدوها ﴾ أي فلاتجاوزوها ﴿ ومن يتعد حدود الله ﴾ أي يجاوزها ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ * قوله عزوجل ﴿ فأن طلقها ﴾ يعني الطلقة الثالثة

حدود الله (تلك حدود الله) أي ماحد من النكاح واليمين والايلاء والطلاق والخلع وغير ذلك (فلا تعتدوها) فلا تجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) الضارون أنفسهم (فأن طلقها) مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعي رحمه الله في قول فكان هذه تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك أي فان طلقها الثالثة ببدل فحكم

بعهرها (تلك حدود الله) هذه أحكام الله بين المرأة والزوج (فلا تعتدوها) فلا تجاوزوها الى مانهى الله تعالى لكم (ومن يتعد) يجاوز (حدود الله) أحكام الله الى ما نهى الله عنه (فأولئك هم الظالمون) الضارون لانفسهم ثم رجع الى قوله الطلاق مرتان فقال (فان طلقها) الثالثة

الثنتين ﴿ فلاتحل له من بعد ﴾ من بعد ذلك الطلاق ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ حتى تزوج غيره والنكاح يستند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لابد من الاصابة لماروى أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رفاعة طلقنى فبت طلاقى وأن عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وأن مامعه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لاحتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه أبو حنيفة رحمه الله مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له ﴿ فأن طلقها ﴾ الزوج الثانى ﴿ فلا جناح عليهما أن يتراجعا ﴾ أى يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ﴿ أن ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ ان كان فى ظنهما

﴿ فلاتحل له من بعد ﴾ أى لاتحل له رجعتها بعد الثلاث ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ يعنى حتى تتزوج زوجا آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت فى تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظى وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظى فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاقى فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وان مامعه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لاحتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته * قولها فبت طلاقى أى قطعه والبت القطع * وقولها مثل هدبة الثوب أى طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر * قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما أنث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل أنثه حملا له على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاى وكسر الباء وروى انها لبثت ماشاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى قد مسنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن أصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر فقالت ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع الى زوجى الاول فان زوجى الآخر قد مسنى وطلقنى فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتيته وقال لك ماقال فلا ترجعى اليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت له مثل ماقالت لابى بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك ﴿ قوله عز وجل ﴿ فأن طلقها ﴾ يعنى الزوج الثانى بعد وطئها ﴿ فلاجناح عليهما ﴾ يعنى على المرأة والزوج الاول ﴿ أن يتراجعا ﴾ يعنى بنكاح جديد ﴿ أن ظنا ﴾ أى علما وأيقنا وقيل ان رجوا لان أحدا لايعلم ماهو كائن الا الله تعالى ﴿ أن يقيما حدود الله ﴾

والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج وفيه دليل على ان النكاح ينعقد بعبارتها والاصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف فى أصول الفقه والفقه فيه انه لما أقدم على فراق لم يبق للندم مخلص لم تحل له الا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه (فأن طلقها) الزوج الثانى بعد الوطء (فلا جناح عليهما) على الزوج الاول وعليها (أن يتراجعا) ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (أن ظنا أن يقيما حدود الله) ان كان فى ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما أنهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما

(فلا تحل له) تلك المرأة (من بعد) من بعد التطليقة الثالثة (حتى تنكح) تتزوج (زوجا غيره) ويدخل بها الزوج الثانى (فأن طلقها) الزوج الثانى نزلت فى عبد الرحمن بن الزبير (فلاجناح عليهما) على الزوج الاول والمرأة (أن يتراجعا) بمهر ونكاح جديد (أن ظنا) علما (أن يقيما حدود الله) أحكام الله فيما بين المرأة والزوج

(قوله وان مامعه) ما فى النسخ كتبت مفصولة وهى موصولة ولو وصلت كانت اداة وهى صحيحة أيضا كفاية مصححه

أنهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت أن يقوم زيد لان أن الناصبة للتوقع وهو ينافى العلم ﴿وتلك حدود الله﴾ أى الاحكام المذكورة ﴿يبينها لقوم يعلمون﴾ يفهمون ويعملون بمقتضى العلم ﴿وأذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ أى آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى به ينتهى قال

كل حى مستكمل مدة العمـ ... ـر ومود اذا انتهى أجله

والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الآية ليصح ان يترتب عليه ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾

يعنى يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل ﴿فرعان﴾ الاول مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لاتحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرائط وهى ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء فى اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب أو بالسنة على ثلاثة أقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما ﴿الثانى﴾ اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك وأحمد لما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وروى أنه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط فى النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان فى عزمهما ذلك وبه قال الشافعى وأبو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهى بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع أتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل ﴿وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ يعنى يعلمون ما أمرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان * قوله عز وجل ﴿وأذا طلقتم النساء﴾ نزلت فى ثابت ابن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها ﴿فبلغن أجلهن﴾ أى قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذى يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذى هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لايبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا الى المجاز ﴿فأمسكوهن﴾ أى راجعوهن ﴿بمعروف﴾

لايعلمه الا الله (وتلك حدود الله يبينها) وبالنون المفضل (لقوم يعلمون) يفهمون ما بين لهم (وأذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان أجل وللموت الذى ينتهى به أجل (فامسكوهن بمعروف

(وتلك حدود الله) هذه أحكام الله وفرائضه (يبينها لقوم يعلمون) أنه من الله ويصدقون بذلك (وأذا طلقتم النساء) واحدة (فبلغن أجلهن) عدتهن قبل الاغتسال من الحيضة الثالثة (فامسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن الصحبة والمعاشرة

(وهو)

أوسرحوهن بمعروف) أى فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة واما ان يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار (ولاتمسكوهن ضرارا) مفعول له أو حال أى مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لاعن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا) لتظلموهن أولتلجؤهن الى الافتداء (ومن يفعل ذلك) يعنى الامساك للضرار (فقد ظلم نفسه) بتعريضها لعقاب الله (ولاتتخذوا آيات الله هزوا) أى جدوا فى الاخذ بها والعمل بمافيها وارعوها حق رعايتها والافقد اتخذتموها هزوا يقال لمن لم يجد فى الامر انما أنت لاعب وهازئ (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام

أوسرحوهن بمعروف﴾ اذلا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار أوخلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به ﴿ولاتمسكوهن ضرارا﴾ ولاتراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة أو الحال بمعنى مضارين ﴿لتعتدوا﴾ لتظلموهن بالتطويل أو الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ بتعريضها للعقاب ﴿ولاتتخذوا آيات الله هزوا﴾ بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بمافيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما أنت هازئ كأنه نهى عن الهزء وأراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق ﴿واذكروا نعمت الله عليكم﴾ التى من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾ القرآن والسنة أفردهما بالذكر أظهارا لشرفهما

وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لابالوطء ﴿أوسرحوهن بمعروف﴾ أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيملكن أنفسهن ﴿ولاتمسكوهن ضرارا﴾ أى لاتقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضاروهن لتفتدى المرأة منه بمالها ﴿لتعتدوا﴾ أى لتظلموهن بمجاوزتكم فى أمورهن حدود الله التى بينها لكم وقيل معناه لاتضاروهن على قصد الاعتداء عليهن ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ أى ضر نفسه بمخالفة أمر الله وتعريضها عذاب الله ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزوا﴾ يعنى بذلك مابين من حلاله وحرامه وأمره ونهيه فى وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التى تقدم ذكرها فى العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فكل من خالف أمرا من أمور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك * عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة أخرجه أبو داود والترمذى * قوله عز وجل ﴿وأذكروا نعمت الله عليكم﴾ يعنى بالايمان الذى أنعم به الله عليكم فهدا كم له وسائر نعمه التى أنعم بها عليكم ﴿وما أنزل عليكم﴾ أى وأذكروا نعمته فيما أنزله عليكم ﴿من الكتاب﴾ يعنى القرآن ﴿والحكمة﴾ يعنى السنة التى علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ

(أوسرحوهن) اتركوهن حتى يغتسلن ويخرجن من العدة (بمعروف) يؤدى حقهن (ولاتمسكوهن ضرارا) بالضرار (لتعتدوا) لتظلموا عليهن ولتطيلوا عليهن العدة (ومن يفعل ذلك) الضرار (فقد ظلم نفسه) ضر بنفسه (ولا تتخذوا آيات الله) امر الله ونهيه (هزوا) استهزاء لاتعملون بها (واذكروا نعمت الله) احفظوا منة الله (عليكم) بالاسلام (وما أنزل عليكم من الكتاب) فى الكتاب من الامر والنهى (والحكمة) الحلال

قوله والرجعة لعل الصواب العتاق لتداخل الرجعة فى الطلاق ولانه حديث مشهور روى بالعتاق مصححه

﴿ يعظكم به ﴾ عما أنزل عليكم ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم ﴾ تأكيد وتهديد ﴿ وأذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ أى انقضت عدتهن وعن الشافعى رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين ﴿ فلاتعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ المخاطب به الاولياء لماروى أنها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته جيل أن ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على أن المرأة لاتزوج نفسها اذلو تمكنت منه لم يكن لعضل الولى معنى ولايعارض بأسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضى العدة ولايتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لايوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذاوجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له * والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة

القرآن ﴿ يعظكم به ﴾ أى بالكتاب الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ واتقوا الله ﴾ يعنى خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ واعلموا أن الله بكل شئ عليم ﴾ يعنى أن الله تعالى يعلم ماأخفيتم من طاعة ومعصية فى سر وعلن لايخفى عليه شئ من ذلك * قوله عزوجل ﴿ وأذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ نزلت فى معقل بن يسار المزنى عضل أخته جبلة وكانت تحت أبى القداح عاصم بن عدى فطلقها عن معقل ابن يسار قال كانت لى أخت تخطب الى وأمنعها من الناس فأتانى ابن عم لى فأنكحتها أياه فاصطحبا ماشاء الله ثم طلقها طلاقاله رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى أتانى يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الى فمنعتها الناس وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى أتيتنى تخطبها مع الخطاب والله لاانكحتها لك أبدا ففى نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلاتعضلوهن أن ينكحن أزواجهن الآية فكفرت عن يمينى وأنكحتها أياه أخرجه البخارى وقيل أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها أراد أن يرتجعها فأبى جابر رضى الله عنه وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية واراد ببلوغ الاجل فى قوله فبلغن أجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التى قبل هذه قال الشافعى دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين ﴿ فلاتعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ خطاب للاولياء والمعنى لاتضيقوا عليهن أيها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائى اذا كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

يعنى اذا ضاق الامر وفى الآية دليل للشافعى ومن وافقه فى ان المرأة لاتلى عقد

تحققها (يعظكم به) بما أنزل عليكم وهو حال (واتقوا الله) فيما امتحنكم به (واعلموا أن الله بكل شئ عليم) من التذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو أى انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لان النكاح يعقبه هنا وذايكون بعد العدة وفى الاول الرجعة وذايكون فى العدة (فلا تعضلوهن) فلا تمنعوهن العضل المنع والتضييق (أن ينكحن) من أن ينكحن (أزواجهن) الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج سموا أزواجا باسم مايؤول اليه أو للاولياء فى عضلهن أن

والحرام (يعظكم به) ينهاكم عن الضرار (واتقوا الله) اخشوا الله فى الضرار (واعلموا أن الله بكل شئ) من الضرار وغيره (عليم وأذا طلقتم النساء) تطليقة واحدة أو تطليقتين (فبلغن أجلهن) فانقضت عدتهن وأردن ان يرجعن الى أزواجهن الاول بمهر ونكاح جديد (فلاتعضلوهن) تمنعوهن (أن ينكحن) ان يتزوجن (أزواجهن) الاول وان قرأت بخفض (النكاح)

(قوله جبيل) بالتصغير كذا فى القاموس وجزم ابن ماكول وفى نسخة جملا بضم الجيم وتسكين الميم وهى رواية اخرى مصححه

يرجعن الى أزواجهن الذين كانوا ازواجا لهن سموا ازواجا باعتبار ماكان نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول أو للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين (أذا تراضوا بينهم) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط أو بمهر المثل والكفء لان عند عدم احدهما للاولياء ان يتعرضوا والخطاب فى (ذلك) للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل واحد (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) فالمواعظ انما تنجع فيهم (ذلكم) أى ترك العضل والضرار (أزكى لكم وأطهر) اى لكم من ادناس الآثام أو ازكى واطهر افضل واطيب (والله يعلم) ما فى ذلك من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) ذلك (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر فى معنى الامر المؤكد كيتربصن وهذا الامر على وجه الندب أو على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبى الأثدى أمه او لم توجد له ظئرا وكان الاب عاجزا عن الاستئجار أو أراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل

اذا نشب بيضها فلم يحرج ﴿ اذا تراضوا بينهم ﴾ أى الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن أو لا تعضلوهن ﴿ بالمعروف ﴾ بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع أو صفة لمصدر محذوف أى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفؤ غير منهى عنه ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى مامضى ذكره والخطاب للجميع على تأويل القبيل أو كل واحد أو ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين أو للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه أمر لا يكاد يتصوره كل أحد ﴿ يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ لانه المتعظ به والمنتفع ﴿ ذلكم ﴾ أى العمل بمقتضى ماذكر ﴿ أزكى لكم ﴾ انفع ﴿ وأطهر ﴾ من دنس الآثام ﴿ والله يعلم ﴾ مافيه من النفع والصلاح ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ لقصور علمكم ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن ﴾ أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب أو الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبى الا من أمه أو لم يوجد له ظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار

النكاح ولا تأذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهى الولى عن العضل معنى * قوله عز وجل ﴿ اذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ يعنى اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ماوافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة ﴿ ذلك ﴾ أى ذلك الذى ذكر من النهى ﴿ يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ يعنى ان المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره ﴿ ذلكم أزكى لكم وأطهر ﴾ يعنى انه خير لكم وأطهر لقلوبكم وأطيب عند الله ﴿ والله يعلم ﴾ يعنى مافى ذلك من الزكاة والتطهير ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ يعنى ذلك * قوله عز وجل ﴿ والوالدات ﴾ يعنى المطلقات اللاتى لهن أولاد من أزواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات أو متزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه ﴿ يرضعن أولادهن ﴾ هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن أولادهن فى حكم الله الذى أوجبه وهذا الامر ليس أمر ايجاب وانما هو أمر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام أصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على أنه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فأن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له أخرى

الضاد فهو الحبس (أذا تراضوا بينهم) اذا اتفقوا فيما بينهم (بالمعروف) بمهر ونكاح جديد (ذلك) الذى ذكرت (يوعظ به) يؤمر به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم) الذى ذكرت (أزكى لكم) أصلح لكم (وأطهر) لقلوبكم وقلوبهن (قا وخا ٤٥ ل) من الريبة والعداوة (والله يعلم) حب المرأة للزوج (وأنتم لا تعلمون) ذلك نزلت هذه الآية فى معقل بن يسار المزنى لمنعه أخته جميلة الرجوع الى زوجها الاول عبد الله بن عاصم بمهر ونكاح جديد فنهاه الله عن ذلك (والوالدات) المطلقات (يرضعن أولادهن

الرضاع (حولين) ظرف (كاملين) تامين وهو تأكيد لانه مما يتسامح فيه فانك تقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما (لمن
أراد أن يتم الرضاعة) بيان لمن توجه اليه الحكم أى هذا الحكم لمن اراد اتمام

الرضاعة والحاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه ان يتخذله ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام مادامت زوجة أو معتدة (وعلى المولود له) الهاء يعود الى اللام الذى بمعنى الذى والتقدير وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية كعليهم فى المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم كالاظآر ألا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ (رزقهن وكسوتهن بالمعروف) بلا اسراف ولا تقتير وتفسيره مايعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ماليس فى وسعه ولا يتضارا (لا تكلف

والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن ﴿حولين كاملين﴾ أكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ بيان للمتوجه اليه الحكم أى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة أو متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضعه وهو دليل على ان أقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنهما ﴿وعلى المولود له﴾ أى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه ﴿رزقهن وكسوتهن﴾ أجرة لهن واختلف فى استئجار الام فجوزه الشافعى ومنعه أبو حنيفة رحمهما الله تعالى مادامت زوجة أو معتدة نكاح ﴿بالمعروف﴾ حسب مايراه الحاكم ويفى به وسعه ﴿لا تكلف

هذا نص صريح فى ذلك فأن لم يوجد من يرضع الطفل أو لم يقبل غير لبن أمه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل أحد مواساة المضطر فان رغبت الام فى ارضاع ولدها فهى أولى به من غيرها ﴿حولين كاملين﴾ الحول السنة وأصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول أقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت أن المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين فى مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة أشهر أرضعته حولين وان وضعته لسبعة أشهر أرضعته ثلاثا وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة أشهر أرضعته أحدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال فى رواية الوالبى عنه هو حد لكل مولود فى أى وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من الابوين فأيهما أراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فأن أرادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم أنزل التخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أى هذا منتهى الرضاع لمن أراد أتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به ﴿وعلى المولود له﴾ يعنى الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم

وانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء ابناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المرأة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه ﴿رزقهن﴾ أى طعامهن ﴿وكسوتهن﴾ أى لباسهن ﴿بالمعروف﴾ أى على قدر الميسرة ﴿لا تكلف

حولين كاملين) سنتين كاملتين (لمن أراد أن يتم الرضاعة) رضاع
الولد (وعلى المولود له) يعنى الاب (رزقهن) نفقتهن على الرضاع (وكسوتهن بالمعروف) بغير اسراف ولا تقتير (لا تكلف (نفس)

نفس الاوسعها) وجدها وقدرا مكانها والتكليف الزام ما يؤثره في الكلفة وانتصاب وسعها على انه مفعول ثان لتكلف لا على الاستثناء ودخلت الا بين المفعولين (لاتضار) مكي وبصري بالرفع على الاخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها الباقون لاتضار على النهي والاصل تضارر أسكنت الراء الاولى وأدغمت في الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين (والدة بولدها) أي لاتضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ماليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعدما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ﴿٣٥٥﴾ (ولا مولود له بولده) أي {سورة البقرة} ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيأ مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهي تريد ارضاعه واذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد أو تضار بمعنى تضر والباء من صلته أي لاتضر والدة ولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعدما ألفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وعلى وارث الصبي عند عدم الاب (مثل ذلك) أي مثل الذي كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك وعند الشافعي رحمه الله لانفقة فيما عدا

نفس الاوسعها ﴾ تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه سبحانه وتعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه ﴿ لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾ تفصيل له وتقرير أي لايكلف كل واحد منهما الآخر ماليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لاتضار بالرفع بدلا من قوله لاتكلف وأصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل أو الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته أي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له * وقرئ لاتضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه أخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي أن يضرا به أو ان يتضارا بسببه ﴿ وعلى الوارث مثل ذلك ﴾ عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل

نفس الا وسعها ﴾ يعني طاقتها والمعنى ان أبا الولد لايكلف في الانفاق عليه وعلى أمه الا قدر ماتتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة ﴿ لاتضار والدة بولدها ﴾ يعني لا ينزع الولد من أمه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لاتكره الام على ارضاع الولد اذا قبل الصبي لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها ﴿ ولا مولود له بولده ﴾ يعني لاتلقى المرأة الولد الى أبيه وقد ألفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب أن يعطي أم الولد أكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير أمه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل أن يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لايضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب أو ينزعه من أمه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لاتضار والدة ولدها ولا اب ولده ﴿ وعلى الوارث مثل ذلك ﴾ يعني وعلى وارث أبي الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة

نفس) بالنفقة على الرضاع (الاوسعها) الا بقدر ما أعطاها الله من المال (لاتضار والدة بولدها) بأخذ ولدها منها بعد مارضيت بما أعطت غيرها على الرضاع (ولا مولود له) يعني الاب (بولده) بطرح الولد عليه بعد ما عرف أمه ولا يقبل ثدي غيرها (وعلى الوارث) وارث الاب ويقال وارث الصبي (مثل ذلك) مثل ما على الاب من النفقة وترك الضرار اذا لم يكن الاب

الولاد (فأن أرادا) يعنى الابوين (فصالا) فطاما صادرا (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلاجناح عليهما) فى ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه والتشاور استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضى عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذى أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسبة والولاية وللام الشفقة والعناية (وأن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أى لاولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من ارضع يقال أرضعت المرأة الصبى واسترضعتها الصبى معدى الى مفعولين أى ان تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين يعنى غير الام عند ابائها أو عجزها (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم ايتاءه من الاجرة أتيتم مكى من أتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله كان وعده مأتيا أى مفعولا والتسليم ندب لاشرط للجواز (بالمعروف) متعلق بسلمتم أى سلمتم الاجرة

معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى أى تمأن المرضعة من ماله اذامات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذلانفقة عنده فيماعدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن أبى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب أبى حنيفة وقيل عصباته وبه قال أبو زيد وذلك اشارة الى ماوجب على الاب من الرزق والكسوة ﴿ فأن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور ﴾ أى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته ﴿ فلاجناح عليهما ﴾ فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم أحدهما على مايضر به لغرض أوغيره ﴿وأن أردتم ان تسترضعوا أولادكم ﴾ أى تسترضعوا المراضع أولادكم يقال أرضعت المرأة الطفل واسترضعتها أياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته أياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه ﴿ فلاجناح عليكم ﴾ فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع ﴿ اذا سلمتم ﴾ الى المراضع ﴿ما آتيتم﴾ ماأردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة * وقرأ ابن كثير ماأتيتم من أتى اليه أحسانا اذا فعله * وقرئ أوتيتم أى ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الاجرة ﴿ بالمعروف ﴾

والكسوة فيلزم وارث الاب أن يقوم مقامه فى القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبى الذى لومات الصبى ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أب الصبى فى حال حياته واختلف فى أى وارث هو فقيل هم عصبة الصبى كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال أحمد فيجبرون على نفقة الصبى كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذارحم محرم منه وبه قال أبو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبى نفسه فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبى فى ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولايجبر على نفقة الصبى غير الابوين وبه قال مالك والشافعى وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة ﴿ فأن أرادا ﴾ يعنى الوالدين ﴿ فصالا ﴾ يعنى فطام الولد قبل الحولين ﴿ عن تراض منهما ﴾ أى على اتفاق من الوالدين فى ذلك ﴿ وتشاور ﴾ أى يشاورون أهل العلم فى ذلك حتى يخبروا أن الفطام قبل الحولين لايضر بالولد والمشاورة استخراج الرأى بمافيه مصلحة ﴿ فلاجناح عليهما ﴾ أى فلا حرج ولااثم على الوالدين فى الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد ﴿ وأن أردتم ان تسترضعوا أولادكم ﴾ أى لاولادكم مراضع غير أمهاتهم اذا أبت أمهاتهم ارضاعهم أوتعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن أوغير ذلك أوأردن التزويج ﴿فلا جناح عليكم اذ اسلمتم ﴾ يعنى الى المراضع ﴿ ما آتيتم ﴾ يعنى لهن من أجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى أمهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن ﴿ بالمعروف ﴾ أى

(فأن أرادا) يعنى الزوج والمرأة (فصالا) فصال الصبى عن اللبن قبل الحولين يعنى فطاما (عن تراض منهما) بتراض الاب والام (وتشاور) بمشاورتهما (فلاجناح عليهما) على الاب والام ان لم يرضعا ولدهما سنتين (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) غير الام وأرادت الام (بالاحسان) أن تتزوج (فلاجناح عليكم) فلاحرج على الاب والام (اذا سلمتم ما آتيتم) اذا أنفقتم ما اعطيتم (بالمعروف) بالموافقة

صلة سلمتم أى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ماهو الاولى والاصلح للطفل ﴿ واتقوا الله ﴾ مبالغة فى المحافظة على ماشرع فى أمر الاطفال والمراضع ﴿ واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴾ حث وتهديد ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ أى وازواج الذين أووالذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لايستعلمون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهدله قوله تعالى ان لبثتم الاعشرا ثم ان لبثتم الايوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر أقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلايحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى رضى الله عنه والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل منه لقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن * وعن على و ابن عباس رضى الله عنهم أنها تعتد

بالاحسان والاجمال أمروا أن يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن ﴿ واتقوا الله ﴾ يعنى وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم لاولادكم ﴿ واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴾ يعنى لايخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانيتها فأنه تعالى يراها ويعلمها * قوله عز وجل ﴿ والذين يتوفون ﴾ يعنى يموتون ﴿ منكم ﴾ وأصل التوفى أخذ الشئ وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفى فلان يعنى قبض وأخذ ﴿ ويذرون ﴾ أى ويتركون ﴿ أزواجا ﴾ والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة ﴿ يتربصن ﴾ أى ينتظرن ﴿ بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ يعنى قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا أبهمت فى العدل من الليالى والايام غلبوا الليالى حتى ان أحدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالى على الايام فأذا أظهروا الايام قالوا صمنا عشرة أيام وقيل ان هذه الايام أيام حزن ولبس احداد فشبهها بالليالى على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة فى ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض فى بطن أمه لنصف مدة الحمل يعنى يتحرك وقيل ان الروح ينفخ فى الولد فى هذه العشرة أيام ويدل على ذلك ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو

الى المواضع بطيب نفس وسرور (واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) لاتخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها (والذين يتوفون منكم) تقول توفيت الشئ واستوفيته اذا أخذته وافيا تاما أى تستوفى أرواحهم (ويذرون) ويتركون (أزواجا يتربصن بأنفسهن) أى وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن أى يعتددن أو معناه يتربصن بعدهم بأنفسهن فحذف بعدهم للعلم به وانما احتيج الى تقديره لانه لابد من عائد يرجع الى المبتدأ فى الجملة التى وقعت خبرا يتوفون المفضل أى يستوفون آجالهم (أربعة أشهر وعشرا) أى و عشر ليال والايام داخلة معها ولايستعمل التذكير فيه ذهابا الى الايام تقول صمت عشرا ولوذكرت لخرجت من كلامهم

بغير مخالفة (واتقوا الله) واخشوا الله فى الضرار والمخالفة (واعلموا أن الله بما تعملون) من الموافقة والمخالفة بالضرار (بصير والذين يتوفون منكم) يموتون من رجالكم (ويذرون) يتركون (أزواجا) بعد الموت (يتربصن) ينتظرن (بأنفسهن) فى العدة (أربعة أشهر وعشرا) يعنى عشرة أيام

سعيد ثم ينفخ فيه الروح أخرجاه فى الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع فى مدة أربعة أشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه فى هذه الايام الزائدة

فصل فى حكم عدة المتوفى عنها زوجها

والاحداد {وفيه مسائل} المسئلة الاولى

عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة أيام وبه قال جمهور العلماء وقال أبو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها أن تتزوج ويدل على هذا ماروى عن سبيعة الاسلمية انها كان تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تلبث ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال مالى أراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ماأنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتانى بانى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزويج ان بدالى أخرجاه فى الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولاأرى بأساان تتزوج حين وضعت وان كانت فى دمها غيرانه لايقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام فى كل من توفى عنها زوجها بان تعتد أربعة أشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم أولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن

المسئلة الثانية

يجب على من توفى عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال الشافعى تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار * عن أم سلمة رضى الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى أبو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ماهذا ياأم سلمة فقلت انما هو صبر يارسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولاتمتشطى بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت بأى شئ أمتشط يارسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك أخرجه أبو داود وللنسائى نحوه * قوله فانه يشب الوجه أى يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا أوقدها * قوله تغلفين به رأسك أى تلطخين به رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها اذا لطخته بشئ فأكثرت منه ولايجوز لها لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ماصبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز لها أن تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن زينب بنت أبى سلمة رضى الله عنها دخلت على أم حبيبة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها

(ابو)

بأقصى الاجلين احتياطا ﴿ فاذا بلغن أجلهن ﴾ أى انقضت عدتهن ﴿ فلاجناح عليكم ﴾ أيها الائمة أو المسلمون جميعا ﴿ فيما فعلن فى أنفسهن ﴾ من التعرض للخطاب وسائر ماحرم عليها للعدة ﴿ بالمعروف ﴾ بالوجه الذى لاينكره الشرع ومفهومه انهن

أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن المنبر لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الاعلى زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الاعلى زوج أربعة أشهر وعشرا (م) عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الاعلى زوجها أربعة أشهر وعشرا (ق) عن أم عطية رضى الله عنها قالت كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاث الاعلى زوج أربعة أشهر وعشرا ولانكتحل ولانتطيب ولانلبس ثوبا مصبوغا الأثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت أحدانا من حيضتها فى نبذة من كست أظفار * قولها الأثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذى صبغ غزله قبل النسج * قولها نبذة من كست النبذة الشئ اليسير والكست لغة فى القسط وهو شئ معروف يتبخر به * عن أم سلمة قالت رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولاتختضب ولاتكتحل ولاتطيب أخرجه أبو داود * قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هى المصبوغة بالمشق وهى المغرة عن نافع أن صفية بنت عبد الله اشتكت عينها وهى حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمضان أخرجه مالك فى الموطأ

﴿المسئلة الثالثة﴾

اختلفوا فى ان هذه المدة سببها الوفاة أو العلم بالوفاة فقال بعضهم مالم تعلم بوفاة زوجها لاتعتد بانقضاء الايام فى العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بأنفسهن وذلك لايحل الا بالقصد الى التربص ولايحل ذلك الامع العلم قال الجمهور السبب هو الموت لو انقضت المدة أو أكثرها أو بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التى لاعلم لها يكفى فى انقضاء عدتها هذه المدة

﴿المسئلة الرابعة﴾

أجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة فى التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد فى موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ فاذا بلغن أجلهن ﴾ أى انقضت عدتهن ﴿ فلاجناح عليكم ﴾ خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد ﴿ فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف ﴾ يعنى

(فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلاجناح عليكم) أيها الائمة والحكام (فيما فعلن فى أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه

(فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلاجناح عليكم) على أولياء الميت فى تركهن (فيما فعلن فى أنفسهن) من الزينة (بالمعروف)

الذى لاينكره الشرع (والله بما تعملون خبير) عالم بالبواطن (ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) الخطبة الاستنكاح والتعريض أن تقول لها انك لجميلة أوصالحة ومن غرضى ان أتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريدنكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى أريدان أتزوجك والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية ان تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيأ تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * فكانه امالة الكلام الى غرض يدل على الغرض

للتزويج (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير ولاجناح عليكم) لاحرج على الخطاب (فيما عرضتم به من خطبة النساء) فيما تعرضتم أنفسكم على المرأة المتوفى عنها زوجها قبل انقضاء العدة لتزوجها بعد انقضاء العدة وهوأن يقول لها ان جمع الله بيننا

لوفعلن ماينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾ التعريض والتلويح ايهام المقصود بمالم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غيران المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة خصت بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة

من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوزلها نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هوالنكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبى حنيفة على جواز النكاح بغيرولى بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة وأجاب أصحاب الشافعى ان قوله تعالى فلاجناح عليكم خطاب للاولياء ولوصح العقد بغيرولى لما كان مخاطبا وأجيب عن قوله فيما فعلن فى أنفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لأنها تزوج نفسها ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ يعنى أنه تعالى لايخفى عليه خافية * والخبير فى صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشئ وحقيقته من غيرشك والخبير فى صفة المخلوقين انما يستعمل فى نوع من العلم وهوالذى يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله * قوله عزوجل ﴿ ولاجناح ﴾ أى لاحرج ﴿ عليكم فيما عرضتم به ﴾ أى لوحتم وأشرتم به والتعريض ضدالتصريح ومعناه أن يضمن كلامه مايصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر و باطن ﴿ من خطبة النساء ﴾ يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو أن يقول أنك لجميلة وانك لصالحة وأن غرضى التزويج وأنى فيك لراغب وعسى الله أن ييسرلى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بأن يقول أنى أريد أن أنكحك أوأتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول انى أريد التزويج وان النساء لمن حاجتى ولوددت ان تيسرلى امرأة صالحة أخرجه البخارى وروى ان سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبوجعفر محمد بن على الباقر فى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة غفرالله لك أتخطبنى فى العدة وأنت يؤخذ عنك فقال انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهى فى عدة زوجها أبى سلمة فذكرلها منزلته من الله عزوجل

﴿وهو﴾

(أوأكننتم فى أنفسكم) أوسترتم وأضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لامعرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكرونهن) لامحالة ولاتنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن (ولكن لاتواعدوهن سرا) جماعا لانه ممايسر أى لاتقولوا فى العدة انى قادر على هذا العمل (الاأن تقولوا قولا معروفا) وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والا متعلق بلا تواعدوهن أى لاتواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقدة النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح أوولاتقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لاصيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبت الصيام أى ولاتعزموا على عقدة النكاح

أونافقة ومن غرضى ان أتزوج ونحو ذلك ﴿ أوأكننتم فى أنفسكم ﴾ أواضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولاتعريضا ﴿ علم الله أنكم ستذكرونهن ﴾ ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ﴿ ولكن لاتواعدوهن سرا ﴾ استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أى فاذكروهن ولكن لاتواعدوهن نكاحا أوجماعا عبر بالسر عن الوطء لانه ممايسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لاتواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بمايستهجن ﴿ الاأن تقولوا قولا معروفا ﴾ وهو ان تعرضوا ولاتصرحوا والمستثنى منه محذوف أى لاتواعدوهن مواعدة الامواعدة معروفة أو الامواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لاتواعدوهن الا التعريض وهوغير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ﴿ ولاتعزموا عقدة النكاح ﴾ ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد أى ولاتعزموا عقد عقدة النكاح وقيل

وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير فى يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة ﴿ أوأكننتم ﴾ يعنى أضمرتم ﴿ فى أنفسكم ﴾ يعنى من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولايتكلم بشئ والمقصود انه لاحرج عليكم فى التعريض للمرأة فى عدة الوفاة ولافيما يضمر الرجل فى نفسه من الرغبة فيها ﴿ علم الله أنكم ستذكرونهن ﴾ يعنى بقلوبكم لان شهوة النفس والتمنى لايخلو منه أحد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق أسقط عنه الحرج ﴿ ولكن لاتواعدوهن سرا ﴾ اختلفوا فى معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعينى فاذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لاتفوتينى نفسك فانى ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق ان لاتتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها فى العدة وقال الشافعى السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الكلبى لاتصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

ألازعمت بسباسة القوم أننى * كبرت وان لايحسن السر أمثالى

بسباسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حى كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لاتواعدوهن مواعدة سرية أولاتواعدوهن بالشئ الموصوف بالسر وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى أذن فى أول الآية فى التعريض بالخطبة ومنع فى آخرها عن التصريح بالخطبة ﴿ الاأن تقولوا قولا معروفا ﴾ يعنى هو ماذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولى المرأة انه راغب فى نكاحها ﴿ ولاتعزموا عقدة النكاح

بالحلال يعجبنى ذلك (أو أكننتم) اضمرتم ذلك (فى أنفسكم) فى قلوبكم (علم الله أنكم ستذكرونهن) تذكرون نكاحهن (ولكن لاتواعدوهن سرا) بالجماع (الاأن تقولوا قولا معروفا) صحيحا ظاهرا وهوان يقول ان جمع الله بيننا بالحلال يعجبنى ذلك لايزيد على ذلك (ولاتعزموا) لاتحققوا (عقدة النكاح

(حتى يبلغ الكتاب أجـله) حتى تنقضى عدتها وسميت العدة كتابا لانها فرضت بالكتاب يعنى حتى يبلغ التربص المكتوب عليها أجـله أى غايته (واعلموا أن الله يعـلم مافى أنفسكم) من العزم على مالا يجوز (فاحـذروه) ولاتعزموا عليه (واعلموا أن الله غفور حليم) لايعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولاجامعها (لاجناح عليكم) لاتبعة عليكم من ايجاب مهر (أن طلقتم النساء) شرط ويدل على جوابه لاجناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلاجناح عليكم (مالم تمسوهن) مالم تجامعوهن وماشرطية أى ان لم تمسوهن تماسوهن حمزة وعلى حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين (أو تفرضوا لهن فريضة) الا ان تفرضوا لهن فريضة أوحتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير الموطوأة لها نصف المسمى ان سمى لها مهر وان لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف مافرضتم فقوله فنصف مافرضتم اثبات للجناح المنفى ثمة (ومتعوهن) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار

معناه لاتقطعوا عقدة النكاح فأن أصل العزم القطع ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ حتى ينتهى ما كتب من العدة ﴿ واعلموا أن الله يعـلم مافى أنفسكم ﴾ من العزم على مالا يجوز ﴿ فاحذروه ﴾ ولاتعزموا ﴿ واعلموا أن الله غفور ﴾ لمن عزم ولم يفعل خشية من الله سبحانه وتعالى ﴿ حليم ﴾ لايعاجلكم بالعقوبة ﴿ لاجناح عليكم ﴾ لاتبعة من مهر وقيل من وزر لانه لابدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ﴿ أن طلقتم النساء مالم تمسوهن ﴾ أى تجامعوهن * وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم فى جميع القرآن ﴿ أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ الا أن تفرضوا أوحتى تفرضوا أو وتفرضوا * والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى المفعول والتـاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لاتبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لوكانت ممسوسة فعليه المسمى أو مهر المثل ولوكانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفى الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومهـا يقتضى الوجوب على الجملة فى الاخيرتين ﴿ ومتعوهن ﴾ عطف على مقدر أى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأى الحاكم ويؤيده قوله

حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ أى لاتحققوا العزم على عقدة النكاح فى العدة حتى تنقضى وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به ﴿ واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه ﴾ أى فخافوه ﴿ واعلموا أن الله غفور حليم ﴾ لايعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه * قوله عز وجل ﴿ لاجناح عليكم أن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ أى ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعنى ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت فى رجل من الانصار تزوج امرأة من بنى حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوتك * فأن قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبـل المسيس فاوجه نفى الحرج والجنـاح عنـه * قلت فيه سـبب قطع الوصـلة وماجاء فى الحديث ان أبغض الحـلال الى الله الطـلاق فنـفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لاحرج عليكم فى تطليقهن قبل المسيس فى أى وقت شئتم حائضا كانت المرأة أو طاهرا لانه لاسنة فى طلاقهن قبل الدخول ﴿ ومتعوهن ﴾ أى اعطوهن من مالكم مايتمتعن به والمتعة والمتاع مايتبلغ

(حتى يبلغ الكتاب أجله) حتى تبلغ العـدة وقتها (واعلموا أن الله يعـلم مافى أنفسكم) فى قلوبكم من الوفاء والخلاف على ماقلتم (فاحذروه) فاحذروا مخالفته (واعلموا أن الله غفور) لمن تاب من مخالفته (به) (حليم) اذ لم يعجله بالعقوبة (لاجناح عليكم) لاحرج عليكم (أن طلقتم النساء مالم تمسوهن) تجامعوهن (أو تفرضوا لهن فريضة) او لم تبينوا لهن مهرا (ومتعوهن) متعة الطلاق

﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ أى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال مايطيقه ومايليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال أبو حنيفة رضى الله عنه هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا أن يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج وألحق بها الشافعى رضى الله عنه فى أحد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم* وقرأ حمزة والكسائى وحفص وابن ذكوان بفتح الدال ﴿متاعا﴾ تمتيعا ﴿بالمعروف﴾ بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروأة ﴿حقا﴾ صفة لمتاعا أو مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا ﴿على المحسنين﴾ الذين يحسنون الى أنفسهم بالمسارعة الى الامتثال أو الى المطلقات بالتمتيع وسماهم

به من الزاد ﴿على الموسع﴾ أى الغنى الذى يكون فى سعة من غناه ﴿قدره﴾ أى قدر امكانه وطاقته ﴿وعلى المقتر﴾ أى الفقير الذى هو فى ضيق من فقره ﴿قدره﴾ أى قدر امكانه وطاقته ﴿متاعا بالمعروف﴾ يعنى متعوهن تمتيعا بالمعروف يعنى من غير ظلم ولاحيف ﴿حقا﴾ أى حق ذلك التمتع حقا واجبا لازما ﴿على المحسنين﴾ يعنى الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من أراد أن يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن

فصل فى بيان حكم الآية

وفيه فروع ﴿الفرع الاول﴾ اذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعى وأبو حنيفة وأحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها عليه ﴿الفرع الثانى﴾ المطلقة المدخول بها فيها قولان قال فى القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال أبو حنيفة وهو أحدى الروايتين عن أحمد وقال فى الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن أحمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التى فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر ﴿الفرع الثالث فى قدر المتعة﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وازار وأقلها دون ذلك وقاية أو مقنعة أو شئ من الورق وهو مذهب الشافعى لانه قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ان عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه طلق امرأته وحممها يعنى متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن على رضى الله عنهما زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت

متاع قليل من حبيب مفارق

وقال أبو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لايجاوز وقال أحمد فى أحدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزى فيه الصلاة وقال فى الرواية الاخرى

(على الموسع) الذى له سعة (قدره) مقداره الذى يطيقه قدره فيهما كوفى غير أبى بكر وهما لغتان (وعلى المقتر) الضيق الحال (قدره) ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (متاعا) تأكيد لمتعوهن أى تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أى متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا (على المحسنين) على المسلمين أو على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التى سمى لها مهرا فى الطلاق

(على الموسع قدره) على الموسر قدر ماله (وعلى المقتر قدره) قدر ماله (متاعا بالمعروف) فوق مهر البغى أدناه درع وخمار وملحفة (حقا على المحسنين) واجبا على الموحدين لانه بدل المهر ثم بين حكم من سمى

قبل المس فقال (وأن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) ان مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر أى من قبل مسكم أياهن (وقد فرضتم) فى موضع الحال (لهن فريضة) مهرا (فنصف مافرضتم الا أن يعفون) يريد المطلقات وان مع الفعل فى موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل فعليكم نصف مافرضتم فى جميع الاوقات الاوقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون ان الواو فى الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا أثر فى لفظه للعامل (أو يعفو) عطف على محله (الذى بيده عقدة النكاح) هو الزوج كذا فسره على رضى الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وأبى حنيفة والشافعى على الجديد رضى الله عنهم وهذا لان الطلاق بيده فكان بقاء العقد بيده والمعنى ان الواجب شرعا هو النصف الا أن تسقط هى الكل أو يعطى هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعى فى القديم هو الولى قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف

محسنين قبل الفعل للمشارفة ترغيبا وتحريضا ﴿وأن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم﴾ لما ذكر حكم المفوضة أتبعه حكم قسيمها أى فلهن أو فالواجب نصف مافرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها ﴿الا أن يعفون﴾ أى المطلقات فلا يأخذن شيأ والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه ﴿أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح﴾ أى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بأن الطلاق قبل المسيس

تتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج فى اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التى أوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر مخالف حال المعسر فى ذلك ﴿ الفرع الرابع ﴾ ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير صحيح مهر النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة * قوله عز وجل ﴿ وأن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ يعنى تجامعوهن وهذا فى المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله تعالى ﴿ وقد فرضتم لهن فريضة ﴾ أى سميتم لهن مهرا ﴿ فنصف مافرضتم ﴾ أى فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعى ان الخلوة من غير مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة فى المس باليد أو جعل كناية عن الجماع وأيهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال أبو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع حسى ولا شرعى فالحسى نحو الرتق والقرن أو يكون معهما ثالث والشرعى نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا أو نفلا والآية حجة لمذهب الشافعى قال شريح لم أسمع الله ذكر فى كتابه بابا ولا سترا ان زعم أنه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر ﴿ فرع ﴾ لو مات أحد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت * قوله عز وجل ﴿ الا أن يعفون ﴾ يعنى النساء المطلقات والمعنى الا ان تترك المرأة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج ﴿أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح﴾ فيه قولان أحدهما انه الولى وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبى والنخعى والزهرى والسدى وبه قال الشافعى فى القديم ومالك والقول الثانى انه الزوج وهو قول على وابن

مهرها فقال (وأن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) تجامعوهن (وقد فرضتم لهن فريضة) وقد بينتم مهورهن (فنصف مافرضتم) فعليكم نصف ماسميتم من مهرهن (الا أن يعفون) الا ان تترك المرأة حقها على الزوج (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) أو يترك الزوج حقه على المرأة فيعطى

مخير للزوج غيرمشطر بنفسه واليه ذهب بعض أصحابنا والحنيفة وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذاكانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعى رحمه الله ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف وان لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ أى ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿ أن الله بما تعملون بصير ﴾ لا يضيع تفضلكم واحسانكم ﴿ حافظوا على الصلوات ﴾ بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها

عباس رضى الله عنهم فى الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظى وهو قول أبى حنيفة والشافعى فى الجديد وأحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الآية الا أن تعفو المرأة اذا كانت ثيبا بالغة من أهل العفو عن نصيبها للزوج أو يعفو وليها اذا كانت المرأة بكرا صغيرة أو غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولى بشروط وهى ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولى أبا أو جدا لان غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثانى ان الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبرى والواحدى فيكون معنى الآية أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح يعنى الزوج فيعطى المرأة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا تطالب بشئ من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفى لها المهر كاملا وروى ان جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو ولان المهر حق المرأة فليس لوليها ان يهب من مالها شيأ فكذلك المهر لانه مال لها ﴿ وان تعفوا أقرب للتقوى ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هى الاصل والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض أيها الرجال والنساء أقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذى ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ يعنى ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا أو تترك المرأة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق ﴿ أن الله بما تعملون ﴾ يعنى من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق ﴿ بصير ﴾ أى لا يخفى عليه شئ من ذلك ❁ قوله عز وجل ﴿ حافظوا ﴾ أى داوموا وواظبوا ﴿ على الصلوات ﴾ يعنى الخمس المكتوبات أمر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام أركانها وفعلها فى أوقاتها المختصة بها

يجوز حمله عليه (وان تعفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتقوى) والخطاب للازواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج أى عفو الزوج باعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة باسقاط كله خير لها أو للازواج (ولا تنسوا الفضل) التفضل (بينكم) أى ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض (أن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على تفضلكم (حافظوا على الصلوات) داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها

مهرها كاملا (وان تعفوا) تتركوا حقكم (أقرب للتقوى) أقرب للمتقين الى التقوى يقول للزوج والمرأة من ترك حقه على صاحبه فهو أولى بالتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يقول للمرأة والزوج لا تتركوا الفضل والاحسان بعضكم الى بعض (أن الله بما تعملون) من الفضل والاحسان (بصير) ثم حث على الصلوات الخمس فقال (حافظوا على الصلوات) الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها

(والصلوة الوسطى) بين الصلوات أى الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهى صلاة العصر عند أبى حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التى شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب وفى مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولانها بين صلاتى الليل وصلاتى النهار وفضلها لما فى وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة الظهر لانها فى وسط النهار أو صلاة الفجر لانها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل أو صلاة المغرب لانها بين الاربع والمثنى ولانها بين صلاتى مخافتة وصلاتى جهر أو صلاة العشاء لانها بين وترين أو هى غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل

فى مواقيتها (والصلاة الوسطى) صلاة العصر خاصة

فى تضاعيف أحكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها ﴿والصلوة الوسطى﴾ أى الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصا وهى صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم فكانت أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل العبادات أحزها وقيل صلاة الفجر لانها بين صلاتى النهار والليل والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين بين طرفى الليل وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل * وقرئ بالنصب على الاختصاص

﴿والصلوة الوسطى﴾ تأنيث الاوسط ووسط كل شئ خيره وأعدله وقيل الوسطى يعنى الفضلى من قولهم للافضل أوسط وانما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها أوسط الصلوات محلا

فصل فى ذكر اختلاف العلماء فى الصلاة الوسطى

قد اختلف العلما من الصحابة فمن بعدهم فى الصلاة الوسطى على مذاهب * الاول ان الصلاة الوسطى هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس وبه قال مالك والشافعى رضى الله عنهم ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان على بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهم كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر أخرجه مالك فى الموطأ وأخرجه الترمذى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم تعليقا ولانها بين صلاتى جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تأتى فى وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم فى الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقيبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر فى قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعنى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهى مكتوبة فى ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها * المذهب الثانى انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبى سعيد الخدرى ورواية عائشة وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن أبى حنيفة ويدل على ذلك ماروى عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر أخرجه مالك فى الموطأ عن زيد والترمذى عنهما تعليقا وأخرجه أبو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى =

(الظهر)

=الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلى صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتى وسط النهار وفى شدة الحر ولانها تأتى بين البردين يعنى صلاة الفجر وصلاة العصر ❁ المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول على وابن مسعود وأبى أيوب وأبى هريرة وابن عمر وابن عباس وأبى سعيد الخدرى وعائشة رضى الله عنهم وهو قول أبى عبيدة السلمانى والحسن البصرى وأبراهيم النخعى وقتادة والضحاك والكلبى ومقاتل وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذى هو قول أكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردى من أصحابنا هذا مذهب الشافعى لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة فى العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ماروى عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفى رواية يوم الخندق ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس * وفى رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه * وزاد فى أخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء أخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا ❁ عن سمرة بن جندب رضى الله عنه ان رسول الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر أخرجه الترمذى ❁ وله عن ابن مسعود رضى الله عنه مثله وقال فى كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن أبى يونس مولى عائشة رضى الله عنهما قال أمرتنى عائشة أن أكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذنى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فاملت على حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم * ويروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تاتى وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها أولى ولانها تأتى بين صلاتى نهار وهما الفجر والظهر وصلاتى ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ماروى عن أبى المليح قال كنا مع بريدة فى غزوة فقال فى يوم ذى غيم بكروا بصلاة العصر فان النبى صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله أخرجه البخارى * قوله بكروا بصلاة العصر أى قدموها فى أول وقتها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله * قوله وتر أهله نقص وسلب أهله وماله فبقى فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب أهله وماله ❁ المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وحجة

﴿ وقوموالله ﴾ فى الصلاة ﴿ قانتين ﴾ ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل

هذا المذهب ان صلاة المغرب تأتى بين بياض النهار وسواد الليل ولانها أزيد من ركعتين كما فى الصبح وأقل من أربع ولا تقصر فى السفر وهى وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتداء جبريل كان بها واذا كانت الظهر أولى الصلوات كانت المغرب هى الوسطى * المذهب الخامس أنها صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف فيها شئ وانما ذكرها بعض المتأخرين وجة هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها أثقل صلاة على المنافقين * المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هى أحدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها بالصلاة الوسطى وليس فى الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك أمكن أن يقال فى كل واحدة من الصلوات الخمس انها هى الوسطى أبهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم على المحافظة على أداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب أخفى الله تعالى ليلة القدر فى شهر رمضان وأخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة وأخفى اسمه الاعظم فى جميع أسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين أن رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال أرأيت لو علمتها بعينها أكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك أن حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى * والصحيح من هذه الاقوال كلها قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى أعلم * قوله عز وجل ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ أى طائعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل فى أركانها وسننها قيل لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله فى صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل أمن هو قانت ولما أمر بالمحافظة على الصلوات وجب أن يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به فى الصلاة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم فى الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه فى الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام أخرجاه فى الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام فى الصلاة ويدل عليه ما روى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت أخرجه مسلم ومن القنوت أيضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدء فى الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام أحدهم يصلى يهاب الرحمن ان يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشئ أو يحدث نفسه بشئ من

(أمور)

(وقوموالله) فى الصلاة (قانتين) حال أى مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله فى قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائما أو مطيلين

(وقوموا لله قانتين) صلوا لله قائمين بالركوع والسجود ويقال مطيعين له فى الصلاة غير عاصين بالكلام

خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح ﴿فأن خفتم﴾ من عدو أو غيره ﴿فرجالا أو ركبانا﴾ فصلوا راجلين أو راكبين* ورجالا جمع راجل أو رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال

أمور الدنيا الا ناسيا* قوله عز وجل ﴿فأن خفتم فرجالا﴾ أي رجالة ﴿أو ركبانا﴾ يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو أو غيره فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب* وصلاة الخوف قسمان أحدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية* وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومؤن بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فأنه لاحاجة اليه وقال أبو حنيفة لايصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ماغربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الآية* وأجيب عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بأنه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لافي القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو أو قصده سبع هائج أو غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة أمن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل* فأن قلت قوله تعالى فرجالا أو ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال *قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة أخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحق بن راهويه قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي أربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولايجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس رضي الله عنهما هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة أخرى يأتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لابد منه للجمع بين الاحاديث

القيام (فأن خفتم) فان كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالا) حال أي فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام (أو ركبانا) وحدانا بإيماء ويسقط عنه التوجه الى القبلة

(فأن خفتم) من عدو في المسايفة (فرجالا) فصلوا على أرجلكم بالايماء (أو ركبانا) على الدواب

(فأذا أمنتم) فاذا زال خوفكم (فاذكروا الله) فصلوا صلاة الامن (كما علمكم) أى ذكرا مثل ما علمكم (مالم تكونوا تعلمون) من صلاة الامن (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم) بالنصب شامى وأبو عمرو وحمزة وحفص أى فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع أى فعليهم وصية (متاعا) نصب بالوصية لانها مصدر أو تقديره متعوهن متاعا (الى الحول) صفة لمتاعا (غير أخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ماتقول أو بدل من متاعا والمعنى ان حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بان تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا فى أول الاسلام ثم

أبو حنيفة لايصلى حال المشى والمسايفة مالم يمكن الوقوف ﴿ فأذا أمنتم ﴾ وزال خوفكم ﴿ فاذكروا الله ﴾ صلوا صلاة الامن أو اشكروه على الامن ﴿ كما علمكم ﴾ ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حالتى الخوف والامن أو شكرا يوازيه وما مصدرية أو موصولة ﴿ مالم تكونوا تعلمون ﴾ مفعول علمكم ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم ﴾ * قرأها بالنصب أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية أو ليصوا وصية أو كتب الله عليهم وصية أو الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه * وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون أو وحكمهم وصية أو والذين يتوفون أهل وصية أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية * وقرئ متاع بدلها ﴿ متاعا الى الحول ﴾ نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية أو بمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع ﴿ غير أخراج ﴾ بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ماتقول أو حال من أزواجهم أى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك فى أول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وهو وأن كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع

* قوله عز وجل ﴿ فأذا أمنتم ﴾ يعنى من خوفكم ﴿ فاذكروا الله ﴾ أى فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها ﴿ كما علمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيأ ولم نصل الى معرفة شئ فله الحمد على ذلك * قوله عز وجل ﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ يعنى يامعشر الرجال ﴿ ويذرون أزواجا ﴾ يعنى زوجات ﴿ وصية لازواجهم ﴾ قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية ﴿ متاعا الى الحول ﴾ أى متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وماتحتاج اليه ﴿ غير أخراج ﴾ أى غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية فى رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة ومعه أبواه وامرأته وله أولاد فمات فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم أبويه وأولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم فى ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبتين فى مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت فى بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولاسكنى وكان يجب على الرجل أن يوصى بذلك فدلت هذه الآية على مجموع أمرين أحدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها

حيثما توجهتم (فأذا أمنتم) من العدو (فاذكروا الله) فصلوا لله بالركوع والسجود (كما علمكم) فى القرآن للمسافر ركعتان وللمقيم أربع (مالم تكونوا تعلمون) قبل القرآن (والذين يتوفون منكم) يقبضون من رجالكم (ويذرون) يتركون (أزواجا) بعد الموت (وصية) يقول عليهم وصية وان قرأت بنصب الهاء يقول عليهم أن يوصوا وصية (لازواجهم) فى أموالهم (متاعا الى الحول) النفقة والسكنى الى سنة (غير أخراج) من غير أن يخرجن من مسكن زوجهن (سنة)

أوالثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة رحمه الله ﴿فأن خرجن﴾ عن منزل الازواج ﴿فلاجناح عليكم﴾ أيها الائمة ﴿فيمافعلن فى أنفسهن﴾ كالتطيب وترك الاحداد ﴿من معروف﴾ ممالم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليهـا ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة وأخـذ النفقة وبين الخروج وتركهـا ﴿والله عزيز﴾ ينتقم ممن خالفـه منهم ﴿حكيم﴾ يراعى مصالحهم ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين﴾ أثبت المتعة للمطلقات جميعـا بعد ماأوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لايخصصه الااذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبهـا ابن جبير لكل مطلقة وأول غيره بمايعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد أولتكرير القصة ﴿كذلك﴾ اشارة الى ماسبق من احكام الطلاق والعدة ﴿يبين الله لكم آياته﴾ وعدبانه سيبين لعباده

سنة والثانى ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين أما الوصـية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع أوالثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرا * فأن قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة * قلت قدتكون الآية المتقـدمة متقدمة فى التلاوة متأخرة فى التنزيل كقوله تعـالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعـالى قدنرى تقلب وجهك فى السماء * قوله عزوجل ﴿فأن خرجن فلا جنـاح عليكم﴾ يعنى يامعشر أوليـاء الميت ﴿فيما فعلن فى أنفسهن من معروف﴾ يعنى التزين للنـكاح ولرفع الحرج على الورثة وجهان أحدهما انه لاجناح عليكم فى قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثانى لاجناح عليكم فى ترك منعهن من الخروج لان مقامها فى بيت زوجها حولا غـير واجب عليها خـيرها الله تعـالى بين ان تقيم فى بيت زوجها حولا ولهـا النفقـة والسـكنى وبين ان تخرج ولانفقة لهـا ولاسـكنى ثم نسخ الله ذلك بأربعة أشهر وعشرا ﴿والله عزيز﴾ أى غالب قوى فى انتقـامه ممن خالف أمره ونهيه وتعـدى حدوده ﴿حكيم﴾ يعنى فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام * قوله عزوجل ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ انما أعادالله تعالى ذكر المتعة هنالزيادة معنى وهو ان فى تلك الآية بيان حكم غير الممسوسـة وفى هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات فى المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت أحسنت وان لم أرد لم أفعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى ﴿حقا على المتقين﴾ يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم أحكام المتعة * قوله عزوجل ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ يعنى يبين لكم مايلزمكم ويلزم أزواجكم أيهـا المؤمنون وكما عرفتكم أحكامى والحق الذى يجب لبعضكم على بعض

وعشرا والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قدنرى تقلب وجهك فى السماء (فأن خرجن) بعد الحول (فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسـهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (والله عزيز حكيم) فيما حكم (وللمطلقات متاع) أى نفقة العدة (بالمعروف حقا) نصب على المصـدر (على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته

(فان خرجن) من قبـل أنفسهن أو تزوجن من قبل الحول (فلا جنـاح عليكم) على أولياء الميت فى منع النفقة والسكنى منها بعد ما خرجت من بيت زوجها أوتزوجت (فيما فعلن) ولا بما فعلن (فى أنفسهن من معروف) من تشوف وتزين للتزويج وهى منسوخة بميراثها يعنى نفقة المتوفى (والله عزيز) بالنقمة لمن ترك ما أمر به (حكيم) بما نسخ نفقة المتوفى والسكنى الى الحول لقبل نصيبها من الميراث الربع أوالثمن (وللمطلقات متاع بالمعروف) بالاحسان والفضل (حقا على المتقين) وليس بواجب لانه فضل على المهر على وجه الاحسان (كذلك) هكذا (يبين الله لكم آياته) أمره ونهيه

من الدلائل والاحكام مايحتاجون اليه معاشا ومعادا ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها ﴿ ألم تر ﴾ تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ومن لم يسمع فأنه صار مثلا فى التعجب ﴿ الى الذين خرجوا من ديارهم ﴾ يريد أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لامفر من قضاء الله تعالى وقدره أوقوما من بنى أسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم ﴿ وهم ألوف ﴾ أى ألوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع ألف اوآلف كقاعد وقعود والواو

فى هذه الآيات كذلك أبين لكم سائر أحكامى فى آياتى التى أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الكتاب ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى لكى تعقلوا مابينت لكم من الفرائض والاحكام ومافيه صلاحكم وصلاح دينكم ❁ قوله عزوجل ﴿ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم ﴾ قال أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك أكثر من بقى بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان أصحابنا أحزم منا لوصنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى أرض لاوباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادى وملك آخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر رضى الله عنه أنه خرج الى الشأم فلما جاء سرع بلغه ان الوباء قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بأرض فلاتقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلاتخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التى تأتيها بها وباء فلا تخرج حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وأله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية فى أنفسهم حتى يعلموا أنهم لايستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى ألم ترأى ألم تعلم يامحمد باعلامى أياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعانى هو تعجيب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول ألم ترالى صنيع فلان وكل مافى القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبى صلى الله عليه وسلم فهذا معناه ❁ قوله عزوجل ﴿ وهم ألوف ﴾ قيل هو من العدد واختلفوا فى مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون

(ألفا)

لعلكم تعقلون) هو فى موضع الرفع لانه خبر لعل وان أريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهى على سبيل الندب (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل فى معنى التعجيب (الى الذين خرجوا من ديارهم) من قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم بدعاء حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) فى موضع النصب على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لانها جمع كثرة وهى جمع ألف لاآلف

كما بين هذا (لعلكم تعقلون) ما أمرتم به ثم ذكر خبر غزاة بنى اسرائيل فقال (ألم تر) ألم تخبر يامحمد فى القرآن (الى الذين خرجوا من ديارهم) من منازلهم لقتال عدوهم (وهم ألوف) ثمانية آلاف فجبنوا

للحال ﴿حذر الموت﴾ مفعول له ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ أى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بأمر الله سبحانه ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ﴿ثم أحياهم﴾ قيل مر حزقيل

ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع ألف والاول أصح قالوا فمر عليهم مدة فبليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل ابن بوذى وهو ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بأمر بنى اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمى به لانه تكفل سبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم فأوحى الله تعالى اليه أتريد أن أريك آية قال نعم يارب فأحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل ان يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام وذلك انه لما أصابهم ذلك خرج فى طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يارب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لاقوم لى فأوحى الله اليه انى قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم قال ابن عباس رضى الله عنهما وانها لتوجدا ليوم تلك الريح فى ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا فأن قلت كيف أميت هؤلاء مرتين فى الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى * قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبى ومعجزات الانبياء خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون قوله الا الموتة الاولى عاما مخصوصا بمعجزات الانبياء أى الا الموتة الاولى التى ليست من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفى هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكرى البعث أيضا اذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق فى خبره أنه أماتهم ثم أحياهم فى الدنيا فهو تعالى قادر على أن يحييهم يوم القيامة * قوله عز وجل ﴿حذر الموت﴾ أى مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل ان يكون ذلك أمر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين ﴿ثم أحياهم﴾ يعنى بعد موتهم

(حذر الموت) مفعول له (فقال لهم الله موتوا) أى فأماتهم الله وانما جىء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى أن يكون فى سبيل الله (ثم أحياهم) ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم أو لما كان معنى قوله فقال لهم الله موتوا فاماتهم

عن القتال (حذر الموت) مخافة القتل (فقال لهم الله موتوا) فأماتهم الله مكانهم (ثم أحياهم) بعد ثمانية

كان عطفا عليه معنى (أن الله لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم مايعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصر باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيي أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولوشاء لتركهم موتى الى يوم النشور (ولكن أكثر الناس لايشكرون) ذلك والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال فى سبيل الله وهو قوله (وقاتلوا فى سبيل الله) فحرض على لان الفرار من الموت لايغنى وهذا الخطاب لامة محمد عليه السلام أو لمن أحياهم (واعلموا أن الله سميع) يسمع مايقوله المتخلفون والسابقون (عليم) بما يضمرونه (من) استفهام فى موضع رفع بالابتداء (ذا) خبره (الذى) نعت لذا أو بدل منه (يقرض الله) صلة الذى سمى ما ينفق فى سبيل الله قرضا لان القرض مايقبض ببدل مثله من بعد سمى به لان المقرض يقطعه من ماله فيدفعه اليه والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفأر والانقراض فنبههم بذلك على أنه لايضيع عنده وانه يجزيهم عليه لامحالة (قرضا حسنا) بطيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة فى الجهاد لانه لما أمر بالقتال فى سبيل الله ويحتاج فيه الى المال حث على الصدقة لتهيأ أسباب الجهاد

عليه السلام على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب من ذلك فأوحى الله تعالى اليه نادفيهم أن قوموا بأذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لااله الا أنت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعريض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ﴿أن الله لذو فضل على الناس﴾ حيث أحياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليهم حالهم ليستبصروا ﴿ولكن أكثر الناس لايشكرون﴾ أى لايشكرونه كما ينبغى ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار ﴿وقاتلوا فى سبيل الله﴾ لما بين أن الفرار من الموت غير مخلص منه وأن المقدر لامحالة واقع أمرهم بالقتال اذ لوجاء أجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب ﴿واعلموا أن الله سميع﴾ لما يقوله المتخلف والسابق ﴿عليم﴾ بما يضمر انه وهو من وراء الجزاء ﴿من ذا الذى يقرض الله﴾ من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا أو بدله واقراض الله سبحانه وتعالى مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه ﴿قرضا حسنا﴾ اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة

﴿ان الله لذو فضل على الناس﴾ يعنى ان الله تعالى تفضل على أولئك الذين أماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق فى الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة ﴿ولكن أكثر الناس لايشكرون﴾ يعنى ان أكثر من أنعم الله عليه لايشكره أما الكافر فانه لم يشكره أصلا واما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره * قوله عز وجل ﴿وقاتلوا فى سبيل الله﴾ قيل هو خطاب للذين أحيوا أحياهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لاتهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد ﴿واعلموا أن الله سميع﴾ يعنى لما يقوله المتعلل عن القتال ﴿عليم﴾ بما يضمره * قوله عز وجل ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾ القرض اسم لكل مايعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ قال أمية بن أبى الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا * أو سيئا أومدينا كالذى دانا

أيام (أن الله لذو فضل) لذو من (على الناس) على هؤلاء لاحيائهم (ولكن أكثر الناس لايشكرون) الحياة ثم قال لهم الله بعدما أحياهم (وقاتلوا (وأصل) فى سبيل الله) فى طاعة الله مع عدوكم (واعلموا أن الله سميع) لمقالتكم (عليم) بنياتكم وعقوبتكم ان لم تفعلوا ما أمرتم به ثم حث المؤمنين على الصدقة فقال (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) فى الصدقة محتسبا صادقا

والانفاق فى سبيل الله ﴿ فيضاعفه له ﴾ فيضاعف جزاءه أخرجه على صورة المغالبة للمبالغة * وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى أيقرض الله أحد * وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب ﴿أضعافا كثيرة ﴾ كثرة لايقدرها الاالله سبحانه وتعالى وقيل الواحد بسبعمائة وأضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب أو المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى التصيير أو المصدر على أن الضعف اسم مصدر وجمعه للتنويع ﴿والله يقبض ويبسط ﴾ يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب مااقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم * وقرأ نافع والكسائى والبزى وأبو بكر بالصاد

وأصل القرض فى اللغة القطع سمى به لان المقرض يقطع من ماله شيأ فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذى يقدم لنفسه الى الله مايرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى فى استدعاء عباده الى أعمال البر والطاعة وقيل فى الآية اختصار تقديره من ذا الذى يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله أى يؤذون عباد الله وكما جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى الحديث واختلفوا فى المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق فى سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لايكون الا تبرعا ولما روى الطبرى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال أبو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبى صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال ناولنى يدك فناوله يده قال فانى قد أقرضت ربى حائطى حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشى حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه فى عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجى من الحائط فانى قد أقرضته لربى زاد غيره فقال النبى صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابى الدحداح وقيل فى معنى يقرض الله أى ينفق فى طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعنى محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال فى وجوه البر وقيل هو أن لايمن بالقرض ولايؤذى وقيل هو الخالص لله تعالى ولايكون فيه رياء ولاسمعة ﴿ فيضاعفه له ﴾ يعنى ثواب ماأنفق ﴿ أضعافا كثيرة ﴾ قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدى هذا التضعيف لايعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما أبهم الله ذلك لان ذكر المبهم فى باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى

(فيضاعفه له) بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع أبو عمرو ونافع وحمزة وعلى عطفا على يقرض أو هو مستأنف أى فهو يضاعفه فيضعفه شامى فيضعفه مكى (أضعافا) فى موضع المصدر (كثيرة) لايعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة (والله يقبض ويبصط) يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة و يبسط حجازى

من قبله (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) بواحدة ألفى ألف (والله يقبض) يقتر (ويبسط) يوسع المال

ومثله فى الاعراف فى قوله تعالى وزادكم فى الخلق بسطة ﴿واليه ترجعون﴾ فيجازيكم على حسب ماقدمتم ﴿ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل﴾ الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض ﴿من بعد موسى﴾ أى من بعد وفاته ومن للابتداء ﴿إذ قالوا لنبى لهم﴾ هو يوشع أو شمعون أو أشمويل عليهم السلام

لما أمرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق أخبر أنه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الانفاق فى الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق فى البر كما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التى يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الامة ﴿واليه ترجعون﴾ يعنى فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم ❋ قوله عز وجل ﴿ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل﴾ الملأ أشراف القوم ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ﴿من بعد موسى﴾ أى من بعد موت موسى أو من بعد زمنه ﴿إذ قالوا﴾ يعنى أولئك الملأ ﴿لنبى لهم﴾ اختلفوا فى ذلك النبى فقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمى شمعون لان أمه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائى وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين هو أشمويل بن بال وقيل هو ابن هلقانى قيل انه من ولد هارون ومعرفة حقيقة ذلك النبى بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب فى الجهاد وذلك حاصل

ذكر الاشارة الى القصة

كان سبب مسئلة أولئك الملأ لذلك النبى انه لما مات موسى عليه الصلاة والسلام خلف من بعده فى بنى اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم أمر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده فى بنى اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم ألياس نبيا فدعاهم الى الله وكانت الانبياء من بنى اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا مانسوا من التوراة ويأمرونهم بالعمل بأحكامها ثم خلف من بعد ألياس أليسع فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوا على كثير

وعاصم وعلى (واليه ترجعون) فيجازيكم على ماقدمتم (ألم تر الى الملأ) الاشراف لانهم يملؤن القلوب جلالة والعيون مهابة (من بنى اسرائيل) من للتبعيض (من بعد موسى) من بعد موته ومن لابتداء الغاية (اذ قالوا) حين قالوا (لنبى لهم) هو شمعون أو يوشع أو اشمويل

على من يشاء فى الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت فتجزون بأعمالكم نزلت هذه الآية فى رجل من الانصار يكنى أبا الدحداح أو أبا الدحداحة (ألم تر الى الملأ) ألم تخبر عن قوم (من بنى اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم) اشمويل

(ابعث لنا ملكا) أنهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى

﴿ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ اقم لنا أميرا ننهض معه للقتال يدبر أمره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب * وقرئ بالرفع على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف للملك ﴿قال هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾ فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال أن كتب عليكم فأدخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا * وقرأ نافع عسيتم بكسر السين ﴿قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أي أي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما نوجبه ويحث

من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من ابناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام اسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا أبتاه رأيتك تدعوني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فأن دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فأن الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له أن كنت صادقا فأبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله أشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ﴿ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ جزم على جواب الأمر فلما قالوا له ذلك ﴿قال﴾ يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿هل عسيتم﴾ هذا استفهام شك يقول لعلكم ﴿أن كتب﴾ أي فرض ﴿عليكم القتال﴾ يعني مع ذلك الملك ﴿ألا تقاتلوا﴾ يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه ﴿قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله﴾ * فأن قلت ما وجه دخول أن والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل كذا ولكن تقول مالك لا تفعل كذا * قلت دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك أن لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون وقيل معناه ومالنا في أن لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل أن هنا زائدة ومعناه ومالنا لا نقاتل في سبيل الله ﴿وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أي أخرج

أمره (نقاتل) بالنون والجزم على الجواب (في سبيل الله) صلة نقاتل (قال) النبي (هل عسيتم) عسيتم حيث كان نافع (ان كتب عليكم القتال) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (ألا تقاتلوا) والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الامر كما أتوقعه انكم لا تقاتلون وتجبنون فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه (قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله) وأي داع لنا الى ترك القتال وأي غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) الواو في وقد للحال وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم اربعمائة وأربعين يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلابد

(ابعث لنا ملكا) بين لنا ملك الجيش (نقاتل) بامره مع عدونا (في سبيل الله) في طاعة الله (قال هل عسيتم) اتقدرون وان قرأت بخفض السين يقول أحسبتم (ان كتب) ان فرض (عليكم القتال) مع عدوكم (ألا تقاتلوا) عدوكم

(قالوا ومالنا ألا نقاتل) ولم لا نقاتل العدو (في سبيل الله (قا وخا ٤٨ ل) وقد أخرجنا من ديارنا) من منازلنا (وأبنائنا) وسبى

عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك أن جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا أولادهم واسروا من أبناء الملوك أربعمائة وأربعين ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا الاقليلا منهم ﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد ﴿ وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى أن نبيهم عليه السلام لماذا الله أن يملكهم أتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها

من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا فى ديارهم وأبنائهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا لنبيهم أنا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين فى بلادنا لايظهر علينا عدونا فأما أذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا فى جهاد عدونا ونمنع نساءنا وأولادنا * قوله عزوجل ﴿ فلما كتب عليهم القتال ﴾ فى الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبى فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال ﴿تولوا﴾ أى أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله ﴿الاقليلا منهم﴾ يعنى لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ماسيأتى فى قصتهم ان شاء الله تعالى ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ يعنى هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال * قوله عزوجل ﴿ وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ وذلك ان اشمويل سأل الله عزوجل أن يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمى طالوت لطوله وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقى الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابى طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام فى طلبها فمر على بيت اشمويل النبى فقال الغلام لطالوت لودخلنا على هذا النبى فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا أو ليدعولنا فدخلا عليه فبيناهما عنده يذكران له حاجتهما اذنش الدهن فى القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى أمرنى الله تعالى ان أملكك عليهم فقال طالوت أوماعلمت ان سبطى من أدنى أسباط بنى اسرائيل قال بلى قال فبأى آية قال بآية انك ترجع وقدوجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا

من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أى أجيبوا الى ملتمسهم (تولوا) أعرضوا عنه (الاقليلا منهم) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت) هو اسم أعجمى كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة (ملكا) حال

ذرارينا (فلما كتب) اوجب (عليهم القتال تولوا) اعرضوا عن قتال عدوهم (الاقليلا منهم) ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (والله عليم بالظالمين) الذين تولوا عن قتال عدوهم (وقال لهم نبيهم) اشمويل (أن الله قد بعث) بين (لكم طالوت ملكا) ملكه عليكم

(قالوا أنى يكون له الملك علينا) أى كيف ومن أين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له (ونحن أحق بالملك منه) الواو للحال (ولم يؤت سعة من المال) أى كيف يتملك علينا والحال انه لايستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك فى سبط يهوذا وهو كان من سبط بنيامين وكان رجلا سقاء أودباغا فقيرا وروى ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قال أن الله اصطفاه عليكم) الطاء فى اصطفاه بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة أى اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال (وزاده بسطة) مفعول ثان (فى العلم والجسم) قالوا كان اعلم بنى اسرائيل بالحرب والديانات فى وقته واطول من كل انسان برأسه ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لابد ان يكون من أهل العلم فان الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما لانه أعظم فى النفوس واهيب فى القلوب (والله يؤتى ملكه من يشاء) أى الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء ايتاءه وليس

الاطالوت ﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ﴾ من أين يكون له ذلك ويستأهل ﴿ ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ والحال انا أحق بالملك منه وراثة ومكنة وأنه فقير لامال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا أوسقاء أودباغا من أولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى أولاد لاوى بن يعقوب والملك فى أولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق ﴿ قال أن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء ﴾

وقيل انه جلس عنده وقال يا أيها الناس ان الله ملك طالوت فأتت عظماء بنى اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ماشأن طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة فى سبط لاوى بن يعقوب والمملكة فى سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ﴾ أى من أين يكون له الملك وكيف يستحقه ﴿ ونحن أحق بالملك منه ﴾ انما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم ﴿ ولم يؤت سعة من المال ﴾ يعنى أنه فقير والملك يحتاج الى المال ﴿ قال ﴾ يعنى اشمويل النبى ﴿ أن الله اصطفاه عليكم ﴾ أى اختاره عليكم وخصه بالملك وفى هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بنى اسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم وأعلمهم أن هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به ﴿ وزاده بسطة ﴾ أى فضيلة وسعة ﴿ فى العلم ﴾ وذلك أنه كان من أعلم بنى اسرائيل وقيل أنه أوحى اليه حين أوتى الملك وقيل هو العلم فى الحرب ﴿ والجسم ﴾ يعنى بالطول وذلك لانه كان أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من أجل بنى اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ المملكة ﴿ والله يؤتى ملكه من يشاء ﴾ يعنى أن الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد فى فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده

(قالوا أنى يكون) من اين يكون (له الملك علينا) وليس هو من سبط الملك (ونحن أحق بالملك منه) لانا من سبط الملك (ولم يؤت سعة من المال) ليس له سعة المال لينفق على الجيش (قال) اشمويل (أن الله اصطفاه) اختاره بالملك وملكه (عليكم وزاده بسطة) فضيلة (فى العلم) علم الحرب (والجسم) الطول والقوة (والله يؤتى ملكه) يعطى ملكه (من يشاء) فى الدنيا وان لم يكن من سبط الملك

والله واسع عليم ﴾ لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك أولا بأن العمدة
فيه اصطفاء الله سبحانه وتعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانيا بأن الشرط
فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن لتكون أعظم خطرا
في القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ماذكرتم وقد زاده الله فيهما
وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بأنه تعالى مالك الملك على الاطلاق
فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بأنه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن
يليق بالملك من النسيب وغيره ﴿وقال لهم نبيهم ﴾ لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه
وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ﴿ أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴾ الصندوق
فعلوت من التوب وهو الرجوع فانه لا يزال يرجع اليه مايخرج منه وليس بفاعول
لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله أبدله منه كما أبدل من تاء التأنيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة ويريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها
بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين ﴿ فيه سكينة من ربكم ﴾ الضمير للاتيان أى
في اتيانه سكون لكم وطمأنينة أو للتابوت أى مودع فيه ماتسكنون اليه وهو التوراة
وكان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني أسرائيل ولا يفرون وقيل
صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان

﴿ والله واسع ﴾ يعني ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شئ
ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى أنكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع
الفضل والرزق فأذا فوض اليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل
الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى ﴿ عليم ﴾ يعني أنه تعالى مع قدرته على اغناء
الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان ۞ قوله عز وجل
﴿ وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت ﴾ وذلك انهم سألوا اشمويل النبي
فقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت ۞ وكانت قصة التابوت على
ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه
صورة الأنبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة أذرع
في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه أولاد آدم الى ان
بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان أكبر أولاده ثم صار الى
يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع
فيه التوراة ومتاعا من متاعه ثم كان عنده الى أن مات ثم تداوله أنبياء بني اسرائيل
الى وقت اشمويل وكان في التابوت ماذكر الله تعالى وهو قوله ﴿ فيه سكينة من
ربكم ﴾ واختلفوا في تلك السكينة ماهي فقال علي بن أبي طالب هي ريح خجوج
هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شئ يشبه الهرة له رأس
كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من
زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا

ذلك بالوراثة (والله واسع)
أى واسع الفضل والعطاء
يوسع على من ليس له سعة
من المال ويغنيه بعد الفقر
(عليم) بمن يصطفيه للملك
فثمة طلبوا من نبيهم آية على
اصطفاء الله طالوت (وقال
لهم نبيهم ان آية ملكه ان
يأتيكم التابوت) أى صندوق
التوراة وكان موسى
عليه السلام اذا قاتل قدمه
فكانت تسكن نفوس بني
اسرائيل ولا يفرون (فيه
سكينة من ربكم) سكون

والله واسع) بالعطية (عليم)
بمن يعطي قالوا ليس ملكه
من الله بل انت ملكته
علينا (وقال لهم نبيهم)
اشمويل (أن آية) علامة
(ملكه) انه من الله (أن
يأتيكم التابوت) هو ان
يرد اليكم التابوت الذي
أخذ منكم (فيه سكينة)
رحمة وطمأنينة ويقال
فيه ريح النصرة له صفرة
كوجه أنسان (من ربكم

(التابوت)

فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة مافيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد أن لم يكن ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون﴾ رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما أبناؤهما أو أنفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما أو أنبياء بنى أسرائيل

التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هى روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا فى شئ فتخبرهم ببيان مايريدون وقال عطاء بن أبى رباح هى مايعرفون من الآيات التى يسكنون اليها وقال قتادة والكلبى هى فعيلة من السكون أى طمأنينة من ربكم ففى أى مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول أولى بالصحة فعلى هذا كل شئ كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ماقيل فيه لان كل شئ يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر * قوله عز وجل ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون﴾ يعنى موسى وهارون أنفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا فى تلك البقية التى ترك آل موسى وآل هارون فقيل رضاض من الالواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هارون وشئ من ألواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هارون وعمامته وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل فكان التابوت عند بنى اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عز وجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وأخذوه منهم وكان السبب فى ذلك انه كان لعيلى وهو الشيخ الذى ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلى حبر بنى اسرائيل وصاحب قربانهم فى زمنه فاحدث ابناه فى القربان شيأ لم يكن فيه وذلك انه كان منوط القربان الذى ينوطونه به كلا بين فلما أخرجا كانا للكاهن الذى كان ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين فى بيت المقدس فيتشبثان بهن فأوحى الى اشمويل ان انطلق الى عيلى وقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا فى قربانى وقدسى شيأ وان يعصيانى فلأنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك وأياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر عيلى ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيؤا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاء رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل فى التابوت قال أخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه

وطمأنينة (وبقية) هى رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشئ من التوراة ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام (مما ترك آل موسى وآل هرون) أى مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما

وبقية مما ترك آل موسى) مما ترك موسى يعنى كتابه ويقال الواحه وعصاه (وآل هرون) مما ترك هارون رداءه

لانهم أبناء عمهما ﴿ تحمله الملائكة ﴾ قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان فى أرض جالوت الى أن ملك الله طالوت فأصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ﴿ أن فى ذلك لآية لكم أن كنتم مؤمنين ﴾ يحتمل أن يكون من تمام كلام النبى عليه

فمات فخرج أمر بنى اسرائيل وتفرقوا الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعنى اشمويل ان آية ملكه يعنى علامة ملكه التى تدل على صحته ان يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ماذكره أصحاب الاخبار ان الذين أخذوا التابوت من بنى اسرائيل أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه فى بيت أصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح الصنم ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه فى ناحية من مدينتهم فاخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بنى اسرائيل لا يقوم له شئ فأخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك الناحية فأرا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما فى جوفه فأخرجوه الى الصحراء ودفنوه فى مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امرأة من بنى اسرائيل كانت عندهم وهى من بنات الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها فى ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين أربعة أملاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على أرض بنى اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت فى أرض فيها حصاد لبنى اسرائيل ورجعا الى أرضهما فلم يرع بنى اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى ﴿ تحمله الملائكة ﴾ أى تسوقه وقال ابن عباس رضى الله عنهما جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة فى السماء فلما ولى طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت فى التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته فى دار طالوت فأصبح فى داره فاقروا بملكه ﴿ أن فى ذلك لآية لكم ﴾ يعنى قال لهم نبيهم اشمويل ان فى مجئ التابوت تحمل الملائكة لآية لكم يعنى علامة ودلالة على صدقى فيما أخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ يعنى مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وأقروا بالملك لطالوت تأهب للخروج الى الجهاد فأسرعوا لطاعته وخرجوا

(تحمله الملائكة) يعنى التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه والجملة فى موضع الحال وكذا فيه سكينة ومن ربكم نعت لسكينة ومما ترك نعت لبقية (أن فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) ان فى رجوع التابوت اليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين

وعمامته (تحمله) تسوقه (الملائكة) اليكم (أن فى ذلك) فى رد التابوت اليكم (لآية) علامة (لكم) أن ملكه من الله (أن كنتم مؤمنين) مصدقين فلما رد اليهم التابوت قبلوا

(فلمافصل طالوت) خرج (بالجنود)عن بلده الى جهاد العدو وبالجنود فى موضع الحال أى مختلطا بالجنود وهم ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا (قال أن الله مبتليكم) مختبركم أى يعاملكم معاملة المختبر (بنهر) وهو نهر فلسطين ليتميز المحق فى الجهاد من المعذر (فمن شرب منه) كرعا (فليس منى) فليس من أتباعى وأشياعى (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه (فانه منى) وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو واستثنى (الا من اغترف) من قوله فمن شرب منه فليس منى والجملة الثانية فى حكم المتأخرة عن الاستثناء الا انها قدمت للعناية (غرفة بيده) غرفة حجازى وأبو عمرو بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه (فشربوا منه) أى فكرعوا (الا قليلا منهم) وهم ثلثمائة

الصلاة والسلام وان يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه وتعالى ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود ﴾ انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روى أنه قال لهم لايخرج معى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا ﴿ قال أن الله مبتليكم بنهر ﴾ معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه ﴿ فمن شرب منه فليس منى ﴾ فليس من أشياعى أوليس بمتحد معى ﴿ ومن لم يطعمه فأنه منى ﴾ أى ومن لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه مأكولا أومشروبا قال

فان شئت حرمت النساء سواكم * «وأن شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا»

وانما علم ذلك بالوحى أن كان نبيا كما قيل أو باخبار النبى عليه السلام ﴿ الا من اغترف غرفة بيده ﴾ استثناء من قوله فمن شرب منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر فى قوله أن الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة فى القليل دون الكثير * وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين ﴿ فشربوا منه الا قليلا منهم ﴾ أى فكرعوا فيه اذ الاصل فى الشرب منه أن لايكون بوسط وتعميم

معه وذلك قوله عزوجل ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود ﴾ أى خرج وأصل الفصل القطع يعنى قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة وعشرون ألفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره أو مريض لمرضه أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا فى النصر فسارعوا الى الخروج فى الجهاد وكان مسيرهم فى حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لاتحملنا فادع الله أن يجرى لنا نهرا ف ﴿ قال طالوت ﴾ أن الله مبتليكم بنهر ﴾ أى مختبركم به لتبين طاعتكم وهو أعلم بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين ﴿ فمن شرب منه فليس منى ﴾ أى فليس من أهل دينى وطاعتى ﴿ ومن لم يطعمه ﴾ أى لم يذقه يعنى الماء ﴿ فانه منى ﴾ يعنى من أهل طاعتى ﴿ الا من اغترف غرفة بيده ﴾ قرئ بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم التى تحصل فى الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر ﴿ فشربوا منه ﴾ يعنى من النهر ﴿ الا قليلا منهم ﴾ قيل هم أربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك مار وى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة أخرجه البخارى قيل البضع

وخرجوا معه (فلمافصل طالوت) خرج طالوت (بالجنود) بالجيش فأخذ بهم فى أرض قفرة فاصابهم حر وعطش شديد فطلبوا منه الماء (قال) لهم طالوت (أن الله مبتليكم بنهر) مختبركم بنهر جار (فمن شرب منه) من النهر (فليس منى) ليس معى على عدوى ولا يجاوزه (ومن لم يطعمه) لم يشرب منه (فأنه منى) على عدوى ثم استثنى فقال (الا من اغترف غرفة بيده) وان قرأت بنصب الغين اراد به غرفة واحدة فكانت تكفيهم تلك الغرفة لشربهم ودوابهم وجلهم (فشربوا منه) فلما بلغوا الى النهر وقعوا فى النهر وشربوا منه كيف شاؤا (الا قليلا منهم) ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا لم يشربوا

وثلاثة عشر رجلا (فلما جاوزه) أي النهر (هو) طالوت (والذين آمنوا معه) أي القليل (قالوا لاطاقة لنا اليوم) أي لاقوة لنا (بجالوت) هو جبار من العمالقة من أولاد عمليق ابن عاد وكان في بيضته ثلثمائة رطل من الحديد (وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) يوقنون بالشهادة قيل الضمير في قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه وروى ان الغرفة كانت تكفى الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش (كم من فئة قليلة) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء (غلبت) خبرها (فئة كثيرة باذن الله) بنصره (والله مع الصابرين)

الا كاد لهم الله (فلما جاوزه) يعنى النهر (هو) يعنى طالوت (والذين آمنوا) صدقوا (معه قالوا) فيما بينهم (لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون) يعلمون ويستيقنون (أنهم ملاقوا الله) معاينوا الله بعد الموت (كم من فئة قليلة) جماعة قليلة من المؤمنين (غلبت فئة) جماعة (كثيرة) من الكافرين (بأذن الله) بنصر الله (والله مع الصابرين) معين الصابرين

الاول ليتصل الاستثناء أو أفرطوا في الشرب الا قليلا منهم* وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل ألفا روى أن من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر أن يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ أى القليل الذين لم يخالفوه ﴿قالوا﴾ أى بعضهم لبعض ﴿لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ لكثرتهم وقوتهم ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله﴾ أى قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه أو علموا أنهم يستشهدون عماقريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتحذيرا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله﴾ بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة أو مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته أو من فاء اذا رجع فوزنها فعة أو فلة ﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصر والاثابة

هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر ألقى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما أمره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل أولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى ﴿فلما جاوزه هو﴾ يعنى جاوز النهر طالوت ﴿والذين آمنوا معه﴾ يعنى أولئك القليل ﴿قالوا﴾ يعنى الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى وكانوا أهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصى فلما رأوا العدو قال المنافقون ﴿لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه* فان قلت فعلى هذا القول من القائل لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده* قلت يحتمل ان يكون أهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين قسم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لاطاقة لنا لاقوة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴿قال الذين يظنون﴾ أى يستيقنون ويعلمون ﴿أنهم ملاقوا الله﴾ أى ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الآخرة ﴿كم من فئة قليلة﴾ الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط ﴿غلبت فئة كثيرة باذن الله﴾ أى بقضاء الله وارادته ﴿والله مع الصابرين﴾ يعنى بالنصر والمعونة

(قوله)

﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده﴾ أى ظهروا لهم ودنوا منهم ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ التجؤا الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا أولا افراغ الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا ﴿فهزموهم باذن الله﴾ فكسروهم بنصره أو مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم ﴿وقتل داود جالوت﴾ قيل كان أيشى فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فأوحى الله الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد كلمه فى الطريق ثلاثة أحجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته

﴿ قوله عز وجل ﴿ ولما برزوا ﴾ يعنى طالوت وجنوده المؤمنين ﴿لجالوت وجنوده﴾ يعنى الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ماظهر واستوى منها ﴿ قالوا ﴾ يعنى المؤمنين أصحاب طالوت ﴿ ربنا أفرغ ﴾ أى أصبب ﴿ علينا صبرا وثبت أقدامنا ﴾ أى قو قلوبنا لتثبت أقدامنا ﴿وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين ﴿ فهزموهم باذن الله ﴾ يعنى ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فافرغ عليهم الصبر وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعنى بقضائه وارادته * وأصل الهزم فى اللغة الكسر أى كسروهم وردوهم ﴿ وقتل داود جالوت ﴾ وكانت قصة قتله على ماذكره أهل التفسير وأصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت أيشا أبو داود فى ثلاثة عشر ابناله وكان داود أصغرهم وكان يرمى بالقذافة فقال داود لابيه يوما ياأبتاه ماأرمى بقذافتى شيأ الاصرعته فقال له أبوه ابشر يابنى فان الله قد جعل رزقك فى قذافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال ياأبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبته وأخذت باذنه فلم يهجنى فقال له أبوه أبشر يابنى فان هذا خير يريده الله بك ثم أتاه يوما آخر فقال له ياأبتاه انى لامشى بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل الاسبح معى فقال يابنى أبشر فأن هذا خير أعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بنى اسرائيل أن ابرزالى وأبرزاليك أو أبرزالى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله فى ذلك فدعا الله فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى اذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه ولايسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بنى اسرائيل وجربهم فلم يوافقه أحد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان فى ولد أيشا من يقتل جالوت فدعا طالوت أيشا وقال له اعرض على بنيك =

(علينا صبرا) على القتال (وثبت أقدامنا) بتقوية قلوبنا وألقاء الرعب فى صدور عدونا (وانصرنا على القوم الكافرين) اعنا عليهم (فهزموهم) أى طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده (باذن الله) بقضائه (وقتل داود جالوت) كان بيشا أبو داود فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الله الى نبيهم ان داود هو الذى يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر فى طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده واراد قتله ثم مات تائبا

فى الحرب بالنصرة (ولما برزوا) صافوا (لجالوت وجنوده قالوا) يعنى هؤلاء المصدقين (ربنا أفرغ علينا صبرا) أى اكرمنا بالصبر (وثبت أقدامنا) فى الحرب (وانصرنا على القوم الكافرين) على جالوت وجنوده (فهزموهم باذن الله) بنصرة الله (وقتل داود) النبى (جالوت) الكافر

= فاخرج له اثنى عشر رجلا أمثال السوارى فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيأ فقال يا أيشا هل بقى لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يارب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبى ان ربى قد كذبك فقال أيشا صدق ربى يا نبى الله ان لى ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكان داود عليه الصلاة والسلام رجلا قصيرا مسقاما أزرق أمعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده فى الوادى وقد سال الوادى ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التى يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لاشك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه فنش وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وأزوجك ابنتى وأجرى خاتمك فى ملكى قال نعم فقال له هل آنست من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرعى الغنم فيجئ الاسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة من الغنم فأقوم فافتح لحييه عنها وأخرجها من قفاه فأخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه الصلاة والسلام فى طريقه بحجر فناداه ياداود احملنى فانى حجر هارون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال ياداود احملنى فأنى حجر موسى فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له ياداود احملنى فأنى حجرك الذى تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة فى مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه الصلاة والسلام فاعطى طالوت داود فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ماشأنك فقال له دواد عليه الصلاة والسلام ان لم ينصرنى ربى لم يغن هذا السلاح عنى شيأ وان نصرنى فلا حاجة لى به فدعني أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود مخلاته وتقلدها وأخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب فى قلبه فقال له جالوت وأنت تبرز لى قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال أتيتنى بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وأنت شر من الكلب قال جالوت لاجرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه الصلاة والسلام أو يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله أبراهيم وأخرج حجرا ثم قال باسم اله أسحق وأخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب وأخرج حجرا ووضعها فى مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وأدار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصاب أنف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخرج جالوت صريعا قتيلا فأخذه داود يجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل =

(الناس)

= الناس يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجز لى ماوعدتنى فقال له أتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ماشرطت على صداقا وليس لى شئ فقال لا أكلفك الا ماتطيق أنت رجل جرئ وفى حيالنا أعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى بغلفهم زوجتك بنتى فأتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته فى خيط حتى نظم مائتى غلفة فجاء بها الى طالوت وألقاها بين يديه وقال ادفع الى امرأتى فزوجه ابنته وأجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود عليه الصلاة والسلام وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذوالعينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلنى قالت أبى قال وهل أجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثنى بذلك من لايكذب ولاعليك ان تغيب الليلة حتى ننظر مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ائتينى بزق خمر فأتته به فوضعه فى مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ماكان أكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ماطلبت لحقيق ان لايدعنى حتى يدرك ثأره منى فاشتد حجابه وحراسته وأغلق دونه أبوابه ثم ان داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب ففتح الابواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير منى ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى فكف عنى ولو شاء لوضع هذا السهم فى حلقى وماأنا بالذى آمنه فلما كان من الليلة القابلة أتاه ثانيا فأعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ أبريق وضوئه وكوزه الذى يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيأ من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشى فى البرية فقال اليوم أقتله وركض فى أثره فأشتد داود فى عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان دخل هنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لاينهاه أحد عن قتل داود الاقتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلماء حتى أتى بأمرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع فى قلب طالوت التوبة والندم على مافعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكى وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى توبة الاأخبرنى بها فلما كثر ذلك منه ناداه مناد من القبور ياطالوت أماترضى أن قتلتنا

﴿ وآتاه الله الملك ﴾ أى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك ﴿ والحكمة ﴾ النبوة ﴿ وعلمه مما يشاء ﴾ كالسرد وكلام الدواب والطير

حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فتوجه الخباز الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك أيها الملك فأخبره وقال هل تعلم لى توبة أو تعلم فى الارض عالما أسأله عن توبتى فقال له الخباز أيها الملك ان دللتك على عالم يوشك ان تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق بى اليها لاسألها عن توبتى قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز أيها الملك انها اذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفى فلما دخلا عليها قال لها الخباز ياهذه ألست تعلمين حق عليك قالت بلى قال فان لى اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قدجاءك يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشى عليها فلما أفاقت قالت والله ما أعلم له توبة ولكن دلونى على قبرنبى فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت ياصاحب القبر فخرج ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال مالكم أقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا طالوت قدجاء يسألك هل له من توبة فقال اشمويل ياطالوت مافعلت بعدى قال لم أدع من الشر شيأ الافعلته وجئت أطلب التوبة فقال اشمويل ياطالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ماأعلم لك من توبة الاأن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت أحزن ماكان رهبة ان لايتابعه بنوه على مايريد وكان قد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فجمع أولاده وقال لهم أرأيتم لودفعت الى النار هل كنتم تنقذونى منها فقالوا بلى ننقذك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ماآمركم به قالوا أعرض علينا ماأردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا فى الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذى سألت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا فى سبيل الله فقدم أولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ماأنت بباق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة أربعين سنة فأتى بنواسرائيل الى داود فملكوه عليهم وأعطوه خزائن طالوت قال الكلبى والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الاعلى داود فذلك قوله عزوجل ﴿ وآتاه الله الملك والحكمة ﴾ يعنى النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة فى سبط والملك فى سبط وقيل الحكمة هى العلم مع العمل به ﴿ وعلمه مما يشاء ﴾ أى وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لايأكل الامن عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذاقرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يأخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له

(وآتاه الله الملك) فى مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنواسرائيل على ملك قط قبل داود (والحكمة) والنبوة (وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطيور والدواب

(وآتاه الله الملك) أعطى الله داود ملك بنى اسرائيل (والحكمة) الفهم والنبوة (وعلمه مما يشاء) يعنى الدروع

وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) هو مفعول به (بعضهم) بدل من الناس دفاع مدني مصدر دفع اودافع (ببعض لفسدت الارض) أي ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها من الحرث والنسل أو ولولا ان الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بغلبة الكفار وقتل الابرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) بازالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة في مسئلة الاصلح (تلك) مبتدأ خبره (آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره على الجبابرة على يد صبي (نتلوها) حال من آيات الله والعامل فيه معنى الاشارة أو آيات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر (عليك بالحق) باليقـ

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ ولولا أنه سبحانه وتعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وأفسدوا في الارض أو لفسدت الارض بشؤمهم * وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله ﴿ تلك آيات الله ﴾ اشارة الى ماقص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت ﴿ نتلوها عليك بالحق ﴾ بالوجه المطابق الذي لايشك فيه أهل الكتاب وأرباب

ويركد الماء الجاري وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلم من آبائه وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو ان الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لايحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى أن رفعت فمن تعدى على صاحبه أو أنكره حقا أتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة أنكره أياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى أتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه ما أعرف لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة أمسك عكازتي فأخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة * قوله عز وجل ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الايمان والطاعة بعضا وهم أهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس رضي الله عنهما ولولا دفع الله بجنوده المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار على الكفار والفجار ﴿ لفسدت الارض ﴾ يعني لهلكت بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد ابن حنبل عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ﴿ ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم ﴿ تلك آيات الله ﴾ يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي ﴿ نتلوها عليك بالحق ﴾ أي باليقين الذي لايشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) كما دفع بداود شر جالوت عن بني اسرائيل (لفسدت الارض) باهلها يقول دفع الله بالنبيين عن المؤمنين شر أعدائهم وبالمجاهدين عن القاعدين عن الجهاد شر أعدائهم ولولا ذلك لفسدت الارض باهلها (ولكن الله ذو فضل) ذو من (على العالمين) بالدفع (تلك آيات الله) هذه آيات الله يعني القرآن باخبار الامم الماضية (نتلوها عليك) ننزل عليك جبريل بها (بالحق) لبيان

التواريخ ﴿ وأنك لمن المرسلين ﴾ لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع

﴿ وأنك لمن المرسلين ﴾ يعنى حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولاسماع أخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذى تخبر به وحى من الله تعالى

الذى لايشك فيه أهل الكتاب لانه فى كتبهم كذلك (وأنك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله

الحق والباطل (وأنك لمن المرسلين) الى الجن والانس كافة

الجزء الثالث

ياستار العيوب استر عيوبنا

﴿ تلك الرسل ﴾ اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى السورة أو المعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم أو جماعة الرسل واللام للاستغراق ﴿ فضلنا بعضهم على بعض ﴾ بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره ﴿ منهم من كلم الله ﴾ تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم الله موسى ليلة الحيرة وفى الطور ومحمدا عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبينهما بون بعيد * وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فأنه كلم الله كما أن الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ بأن فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فأنه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه

---

* قوله عز وجل ﴿ تلك الرسل ﴾ يعنى جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم فى هذه السورة ﴿ فضلنا بعضهم على بعض ﴾ فيه دليل على زوال الشبهة لمن أوجب التسوية بين الانبياء فى الفضيلة لاستوائهم فى القيام بالرسالة وأجمعت الامة على ان الانبياء بعضهم أفضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴿ منهم ﴾ أى من الرسل ﴿ من كلم الله ﴾ أى كلمه الله وهو موسى عليه الصلاة و السلام ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما أوتى نبى من الانبياء آية أو معجزة الا وأوتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

(تلك الرسل) اشارة الى جماعة الرسل التى ذكرت قصصها فى هذه السورة من آدم الى داود أو التى ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام (فضلنا بعضهم على بعض) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون فى صفة الايمان ويتفاوتون فى الطاعات بعد الايمان ثم بين ذلك بقوله (منهم من كلم الله) أى كلمه الله حذف العائد من الصلة يعنى منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم) مفعول أول (درجات) مفعول ثان أى بدرجات أو الى درجات يعنى ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم بارساله

(تلك الرسل) الذين سميناهم لك (فضلنا بعضهم على بعض) بالكرامة (منهم من كلم الله) وهو موسى (ورفع بعضهم درجات) فضائل هو ابراهيم اتخذه خليلا مصافيا وادريس رفعه مكانا عليا

كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم عليه الصلاة والسلام خصصه بالخلة التى هى أعلى المراتب وقيل ادريس عليه الصلاة والسلام لقوله سبحانه وتعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل أولو العزم من الرسل ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته

مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء بآيات ومعجزات أخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذى حن عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له بشاهدة برسالته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التى لاتحصى كثرة وأعظمها وأظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذى عجز أهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن نبى من الانبياء الا وقد أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلائق كافة وختم بى النبيون * فأن قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم * قلت فى هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم مالايخفى لما فيه من الشهادة بأنه العلم الذى لايشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيأ فعله بعضكم أو أحدكم ويريد نفسه فيكون أفخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من أشعر الناس قال زهير والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه * قوله عز وجل ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ يعنى الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ أى وقويناه بجبريل عليه الصلاة والسلام فكان معه الى أن رفعه الى عنان السماء السابعة * فأن قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء * قلت لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة أيضا فلما أوتى موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر فى باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا أحرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق فى الفضل لانه أعظم الانبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم صلى الله عليه وسلم

الى الكافة وبانه أوتى مالم يؤته أحد من الانبياء المتكاثرة المرتقية الى ألف أو أكثر وأكبرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفى هذا الابهام تفخيم وبيان انه العلم الذى لايشتبه على أحد والمتميز الذى لايلتبس وقيل أريد به محمد وابراهيم وغيرهما من أولى العزم من الرسل (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك (وأيدناه بروح القدس) قويناه بجبريل أو بالانجيل

(وآتينا) أعطينا (عيسى ابن مريم البينات) الامر والنهى والعجائب (وأيدناه) قويناه وأعناه (بروح القدس) بجبريل الطاهر

(ولو شاء الله مااقتتل) أى ما اختلف لانه سببه (الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد ماجاءتهم البينات) المعجزات الظاهرات (ولكن اختلفوا) بمشيئتى ثم بين الاختلاف فقال (فمنهم من آمن ومنهم من كفر) بمشيئتى يقول الله أجريت أمور رسلى على هذا أى لم يجتمع لاحد منهم طاعة جميع أمته فى حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر (ولوشاء الله مااقتتلوا) كرره للتأكيد أى لوشئت أن لايقتتلوا لم يقتتلوا اذ لايجرى فى ملكى الا مايوافق مشيئتى وهذا

يبطل قول المعتزلة لانه أخبر أنه لوشاء ان لايقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء أن لايقتتلوا فاقتتلوا (ولكن الله يفعل مايريد) أثبت الارادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) فى الجهاد فى سبيل الله أو هو عام فى كل صدقة واجبة (من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه) أى من قبل أن يأتى يوم لاتقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الانفاق لانه لابيع فيه حتى تبتاعوا

سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ﴿ولوشاء الله﴾ أى هدى الناس جميعا ﴿ مااقتتل الذين من بعدهم ﴾ من بعد الرسل ﴿من بعد ماجاءتهم البينات ﴾ أى المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا ﴿ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ﴾ بتوفيقه لالتزام دين الانبياء تفضلا ﴿ ومنهم من كفر ﴾ لاعراضه عنه بخذلانه ﴿ ولوشاء الله مااقتتلوا ﴾ كرره للتأكيد ﴿ ولكن الله يفعل مايريد ﴾ فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الاقدام وأنه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وأن الحوادث بيد الله سبحانه وتعالى تابعة لمشيئته خيرا كان أو شرا ايمانا أو كفرا ﴿ ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ ما أوجبت عليكم انفاقه ﴿ من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه

وعليهم أجمعين ﴿ ولوشاء الله ﴾ أى ولو أراد الله وأصل المشيئة الارادة ﴿ ما اقتتل الذين من بعدهم ﴾ يعنى بعد الرسل الذين وصفهم الله ﴿ من بعدما جاءتهم البينات ﴾ أى الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه ﴿ ولكن اختلفوا ﴾ يعنى اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل ﴿فمنهم من آمن﴾ أى ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله ﴿ ومنهم من كفر ﴾ أى ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل ﴿ولوشاء الله مااقتتلوا﴾ أى ولو أراد الله أن يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك ﴿ولكن الله يفعل مايريد﴾ يعنى انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لااعتراض عليه فى ملكه وفعله سأل رجل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن القدر فقال ياأمير المؤمنين أخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم فلاتسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلاتلجه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفى عليك فلاتفتشه ✽ قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والانفاق فى وجوه الخير ﴿ من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ﴾ أى لافدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من أموالكم من قبل أن يأتى يوم لاتجارة فيه فيكسب الانسان مايفتدى به من

(ولوشاء الله ما اقتتل) ما اختلف (الذين من بعدهم) من بعد موسى وعيسى (من بعد ماجاءتهم البينات) بيان مافى كتابهم نعت محمد وصفته (ولكن اختلفوا فى الدين (فمنهم من آمن) بكل كتاب ورسول (ومنهم من كفر) بالكتب والرسل (ولو شاء الله مااقتتلوا) مااختلفوا فى الدين (ولكن الله يفعل مايريد) كما يريد بعباده ثم حثهم على الصدقة فقال (ياأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) تصدقوا مما أعطيناكم من الاموال فى سبيل الله (من قبل أن يأتى يوم) وهو يوم القيامة (لابيع فيه) لافداء فيه ﴿العذاب﴾

ولا خلة ولا شفاعة ﴾ من قبل أن يأتي يوم لاتقتدرون فيه على تدارك مافرطتم والخلاص من عذابه أذلا بيع فيه فتحصلون ماتنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى تعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط مافى ذممكم وانا رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الاصل ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ يريد والتاركون للزكاة هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم أو وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا لهم وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة ﴿ الله لااله الاهو ﴾ مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لاغير وللنحاة خلاف فى أنه هل يضمر للا خبر مثل فى الوجود أو يصح أن يوجد ﴿ الحى ﴾ الذى يصح أن يعلم ويقدر وكل مايصح له فهو واجب لايزول لامتناعه عن القوة والامكان ﴿ القيوم ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه

العذاب ﴿ ولا خلة ﴾ أى ولا مودة ولا صداقة ﴿ ولا شفاعة ﴾ وظاهر هذا يقتضى نفى الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل ﴿ الله لااله الاهو الحى القيوم ﴾

فصل فى فضل هذه الآية الكريمة

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ سنام وأن سنام القرآن البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى أخرجه الترمذى *قوله ان لكل شئ سناما سنام كل شئ أعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة * والسيد الفاضل فى قومه والشريف والكريم وأصله من ساد يسود *وقوله هى سيدة آى القرآن أى أفضله (م) عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لااله الاهو الحى القيوم فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلم ياأبا المنذر * عن واثلة ابن الاسقع رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم فى صفة المهاجرين فسأله انسان أى آية فى القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لااله الاهو الحى القيوم أخرجه أبو داود * وقال العلماء انما تميزت آية الكرسى بكونها أعظم آية فى القرآن لما جمعت من أصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه أصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى أعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان أعظم الاذكار * وفى هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة * ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم أبو الحسن الاشعرى وأبو بكر الباقلانى قالا لان تفضيل بعضه على بعض

ماتنفقونه (ولا خلة) حتى يسامحكم اخلاؤكم به (ولا شفاعة) أى للكافرين فاما المؤمنون فلهم شفاعة أو الا باذنه (والكافرون هم الظالمون) أنفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجاتهم أو الكافرون بهذا اليوم هم الظالمون لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة مكى وبصرى (الله لااله الاهو) لا مع اسمه وخبره وما ابدل من موضعه فى موضع الرفع خبر المبتدأ وهو الله (الحى) الباقى الذى لاسبيل عليه للفناء (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق

(ولا خلة) ولا مخالة (ولا شفاعة) للكافرين (والكافرون) بالله (هم الظالمون) المشركون بالله ثم مدح نفسه فقال (الله لااله الا هو الحى) الذى لايموت (القيوم) القائم

فيعول من قام بالامر اذا حفظه * وقرئ القيام والقيم ﴿ لاتأخذه سنة ولانوم ﴾ السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع

وسنان أقصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفى للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس أونوم كان مأوف الحياة قاصرا فى الحفظ والتدبير ولذلك

يقتضى نقص المفضول وليس فى كلام الله عزوجل نقص وتأول هؤلاء ماورد من اطلاق لفظ أعظم وأفضل على بعض الآيات أوالسور بمعنى عظيم وفاضل * ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم أجر القارئ أوجزيل ثوابه وقول ان هذه الآية أوهذه السورة أعظم أو أفضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هوالمختار وهو معنى الحديث والله أعلم ❁ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسى وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسى ومن قرأها حين يمسى حفظ ليلته تلك حتى يصبح أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ❁ وأما التفسير فقوله عزوجل الله لاأله الاهو نفى الالهية عن كل ماسواه وأثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لاكريم الازيد فانه أبلغ من قولك زيد كريم الحى يعنى الباقى على الابد الدائم بلازوال والحى فى صفة الله تعالى هوالذى لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولايعتريه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شئ هالك الاوجهه سبحانه وتعالى * القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه فى ايجادهم وأرزاقهم وجميع مايحتاجون اليه وقيل هوالقائم الدائم بلازوال الموجود الذى يمتنع عليه التغير وقيل هوالقائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشئ ﴿ لاتأخذه سنة ولانوم ﴾ السنة مايتقدم النوم من الفتور الذى يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هوالثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب فالسنة هى أول النوم والنوم هوغشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لاتأخذه سنة فضلا عن أن يأخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وأن ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عزوجل لاينام ولاينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور * وفى رواية النار لوكشفه

وحفظه (لاتأخذه سنة) نعاس وهو مايتقدم النوم من الفتور (ولانوم) عن المفضل السنة ثقل فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما وقد أوحى الى موسى عليه السلام قل لهؤلاء انى أمسك السموات والارض بقدرتى فلو أخذنى نوم أونعاس لزالتا

لابدله (لاتأخذه سنة) نعاس (ولانوم) ثقيل فيشغله عن تدبيره وأمره

ترك العاطف فيه وفى الجمل التى بعده ﴿له مافى السموات ومافى الارض﴾ تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده فى الالوهية والمراد بمافيهما ماوجد فيهما داخلا فى حقيقتهما أوخارجا عنهما متمكنا فيهما فهو أبلغ من قوله له ملك السموات والارض

لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه ((شرح مايتعلق بلفظ هذا الحديث)) منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووى *قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لاينام ولاينبغى له أن ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لاينام وانه مستحيل فى حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك *وقوله يخفض القسط ويرفعه أراد بالقسط الميزان الذى يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بمايوزن فيه من أعمال العباد المرتفعة اليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذى هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء ويرفعه أى يوسعه على من يشاء* وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعنى ان الحفظة من الملائكة يصعدون باعمال العباد فى الليل بعد انقضائه فى أول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضائه فى أول الليل* قوله حجابه النور لوكشفه لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه* سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء فى أخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله فى اللغة المنع وحقيقة الحجاب انماتكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشئ المانع من الرؤية وسمى ذلك الشئ المانع نورا أونارا لانهما يمنعان من الادراك فى العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بماانتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من فى قوله من خلقه لبيان الجنس لاللتبعيض ومعنى الحديث لوزال المانع وهو الحجاب المسمى نورا أونارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله أعلم* وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله لاتأخذه سنة ولانوم ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فأوحى الله تعالى الى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلايتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما فجعل ينعس وينتبه وهما فى يديه فى كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انماهو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض* ورواه عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى على المنبر قال وقع فى نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس رضى الله عنهما* قال بعض العلماء ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى أعلم* قوله عز وجل ﴿له مافى السموات ومافى الارض﴾ يعنى ان الله تعالى

(له مافى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا

(له مافى السموات) من الملائكة (ومافى الارض)

ومافيهن ﴿من ذا الذى يشفع عنده الاباذنه﴾ بيان لكبرياء شأنه سبحانه وتعالى وأنه لاأحديساويهأويدانيه يستقل بان يدفع مايريده شفاعة واستكانة فضلاعن أن يعاوقه عنادا أومناصبة ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم﴾ ماقبلهم ومابعدهم أو بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى أوأمور الدنيا وأمور الآخرة أوعكسه أومايحسونه وما يعقلونه أومايدركونه وما لايدركونه والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء أولمادل عليه من ذا من الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ولايحيطون بشئ من علمه﴾ من معلوماته ﴿الا بماشاء﴾ أن يعلموا وعطفه على ماقبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿وسع كرسيه السموات والارض﴾ تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى وماقدروا الله حق قدره والارض جميعاقبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسى فى الحقيقة ولاقاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه أوملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك وقيل جسم بين يدى العرش ولذلك سمى كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ماالسموات السبع والارضون السبع مع الكرسى الاكحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو فى الاصل اسم لمايقعد عليه ولايفضل عن مقعد القاعد وكأنه المنسوب

مالك جميع ذلك بغير شريك ولامنازع وهو خالقهم وهم عبيده وفى ملكه * فأن قلت لم قال له مافى السموات ولم يقل من فى السموات * قلت لماكان المراد اضافة كل ماسواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لايعقل أجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما ﴿ من ذا الذى يشفع عنده الاباذنه ﴾ أى بأمره وهذا استفهام انكارى والمعنى لايشفع عنده أحد الابأمره وأرادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبرانه لاشفاعة لاحد عنده الاما استثناه بقوله الاباذنه يريد بذلك شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض ﴿ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ﴾ يعنى مابين أيديهم من الدنيا وماخلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ماكان قبلهم وماكان بعدهم وقيل يعلم ماقدموه بين أيديهم من خير أوشر وماخلفهم مماهم فاعلوه والمقصود من هذا أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لايخفى عليه شئ من أحوال جميع خلقه ﴿ ولايحيطون بشئ من علمه ﴾ يقال أحاط بالشئ اذا علمه وهو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه فى قلبه فقد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى أن أحدا لايحيط بمعلومات الله تعالى ﴿ الا بماشاء ﴾ يعنى أن يطلعهم عليه وهم الانبياء والرسل ليكون مايطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الامن ارتضى من رسول ﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ يقال فلان وسع الشئ سعة اذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسى

ليس لاحد ان يشفع عنده الا باذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وان أحدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له فى الكلام وفيه رد لزعم الكفار ان الاصنام تشفع لهم (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) ماكان قبلهم ومايكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء (ولا يحيطون بشئ من علمه) من معلومه يقال فى الدعاء اللهم اغفر فينا علمك أى معلومك (الا بماشاء) الا بما علم (وسع كرسيه السموات والارض) أى علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم والكراسى العلماء وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم وهو كقوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما أو ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك أو عرشه كذا عن الحسن أو

من الخلق (من ذا الذى يشفع عنده) من أهل السموات والارض يوم القيامة (الاباذنه) بأمره (يعلم مابين أيديهم) بين ايدى الملائكة من أمر الآخرة لمن تكون الشفاعة (وما خلفهم) من أمر الدنيا (ولايحيطون بشئ من علمه الا بماشاء) يقول لاتعلم الملائكة شيأ من أمر الدنيا والآخرة الا ماعلمهم الله (وسع كرسيه السموات والارض) يقول كرسيه أوسع من السموات والارض

هوسرير دون العرش فى الحديث مما السموات السبع فى الكرسى الاكحلقة ملقاة

الى الكرسى وهو المبد ﴿ ولايؤده ﴾ أى ولايثقله مأخوذ من الاود وهو الاعوجاج ﴿ حفظهما ﴾ أى حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول ﴿ وهو العلى ﴾ المتعالى عن الانداد والاشباه ﴿ العظيم ﴾ المستحقر بالاضافة اليه كل ماسواه وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الالهية فانها دالة على انه سبحانه وتعالى موجود واحد فى الالوهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لايناسب الاشباح ولايعتريه مايعترى الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذى لايشفع عنده الامن أذن له عالم

فى اللغة من تركب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض والكرسى فى العرف اسم لما يقعد عليه سمى به لتركب خشباته بعضها على بعض * واختلفوا فى المراد بالكرسى هنا على أربعة أقوال * أحدها ان الكرسى هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسى اسم للسرير الذى يصح التمكن عليه * القول الثانى ان الكرسى غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدى ان السموات والارض فى جوف الكرسى كحلقة ملقاة فى فلاة والكرسى فى جنب العرش كحلقة فى فلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان السموات السبع فى الكرسى كدراهم سبعة ألقيت فى ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسى طولها مثل السموات والارض وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسى أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم على الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة أبى البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبنى آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة * وفى بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسى سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسى من نور حملة العرش * القول الثالث ان الكرسى هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسى يعتمد عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما كرسيه علمه * القول الرابع المراد بالكرسى الملك والسلطان والقدرة لان الكرسى موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسى على سبيل المجاز ﴿ ولايؤده ﴾ أى لايثقله ولايجهده ولايشق عليه ﴿ حفظهما ﴾ أى حفظ السموات والارض ﴿ وهو العلى ﴾ أى الرفيع فوق خلقه الذى ليس فوقه شئ فيما يجب له أن يوصف به من معانى الجلال والكمال فهو العلى بالاطلاق المتعالى عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلو فى صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه أنه يعلو ان يحيط به وصف الواصفين ﴿ العظيم ﴾ يعنى أنه ذو العظمة والكبرياء الذى لاشئ أعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذى قد كمل فى عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة

بفلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة أو قدرته بدليل قوله (ولايؤده) ولا يثقله ولايشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلى) فى ملكه وسلطانه (العظيم) فى عزه وجلاله أو العلى المتعالى عن الصفات التى لاتليق به العظيم المتصف بالصفات التى تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وانما ترتبت الجمل فى آية الكرسى بلا حرف عطف لانها وردت على سبيل البيان فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره وانما فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ماورد منه ماروى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه

(ولايؤده حفظهما) لايثقل عليه حفظ العرش والكرسى بغير الملائكة (وهو العلى) أعلى من كل شئ (العظيم) أعظم من كل شئ

آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات التى حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى

وقال ماقرئت هذه الآية فى دار الاهجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وقال من قرأ آية الكرسى عند منامه بعث اليه ملك يحرسه حتى يصبح وقال من قرأ هاتين الآيتين حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح وان قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى آية الكرسى وأول حم المؤمن الى اليه المصير لاشتمالهما على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الاذكار وبه يعلم ان اشرف العلوم علم التوحيد (لا اكراه فى الدين) أى لا اجبار على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل هو اخبار فى معنى النهى وروى أنه كان لانصارى ابنان فتنصرا فلزمهما أبوهما وقال والله لأدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يارسول الله أيدخل بعضى فى النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما قال ابن مسعود وجماعة كان هذا فى الابتداء ثم نسخ بالامر بالقتال (قدتبين الرشد من الغى) قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل (طهر)

الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل مايصح أن يملك ويقدر عليه لايؤده شاق ولايشغله شأن متعال عمايدركه وهم عظيم لايحيط به فهم ولذلك قال النبى عليه الصلاة السلام أن أعظم آية فى القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ من مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله ﴿ لا اكراه فى الدين ﴾ اذ الاكراه فى الحقيقة الزام الغير فعلا لايرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن ﴿ قدتبين الرشد من الغى ﴾

والجلال والكمال وهو فى صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذى هو من نعوت الاجسام * قوله عزوجل ﴿ لا اكراه فى الدين ﴾ سبب نزول هذه الآية فيما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا وهى التى لايعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته فى اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا واخواننا فنزلت الآية لا اكراه فى الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر فانزل الله تعالى لا اكراه فى الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت فى أهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام أو القتل ونزل فى أهل الكتاب لا اكراه فى الدين يعنى اذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك فى ابتداء الاسلام قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهرى سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا اكراه فى الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لايكره أحدا فى الدين فأبى المشركون الا ان يقاتلوه فاستأذن الله فى قتالهم فأذن له ومعنى لا اكراه فى الدين أى دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه ﴿ قدتبين الرشد من الغى ﴾ يعنى

شئ (لا اكراه فى الدين) لايكره أحد على التوحيد من أهل الكتاب والمجوس بعد اسلام العرب (قدتبين الرشد من الغى) الايمان من الكفر والحق من الباطل

الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان أوالاصنام (ويؤمن بالله فقد استمسك) تمسك (بالعروة) أى المعتصم والمتعلق (الوثقى) تأنيث الاوثق أى الاشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون (لاانفصام لها) لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لاتحله شبهة (والله سميع) لاقراره (عليم) باعتقاده (الله ولى الذين آمنوا) أرادوا أن يؤمنوا أى ناصرهم ومتولى أمورهم (يخرجهم من الظلمات) من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها (الى النور) الى الايمان والهداية ووحد

تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على أن الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غى يؤدى الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار بمعنى النهى أى لاتكرهوا فى الدين وهو اماعام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم أوخاص بأهل الكتاب لما روى ان أنصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لأدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يارسول الله أيدخل بعضى النار وأنا انظر اليه فنزلت فخلاهما ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ بالشيطان أوالاصنام أوكل ماعبد من دون الله أوصد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ﴿ويؤمن بالله﴾ بالتوحيد وتصديق الرسل ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهى مستعارة لمتمسك الحق من النظر الصحيح والرأى القويم ﴿لاانفصام لها﴾ لاانقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته ﴿والله سميع﴾ بالاقوال ﴿عليم﴾ بالنيات ولعله تهديد على النفاق ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ محبهم أومتولى أمرهم والمراد بهم من أراد ايمانه وثبت فى علمه انه يؤمن ﴿يخرجهم﴾ بهدايته وتوفيقه ﴿من الظلمات﴾ ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر ﴿الى النور﴾ الى

ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ يعنى الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هوكل ماعبد من دون الله تعالى وقيل كل مايطغى الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان ﴿ويؤمن بالله﴾ أى ويصدق بالله أنه ربه ومعبوده من دون كل شئ كان يعبده وفيه اشارة الى أنه لابد للكافر أن يتوب أولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أى فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم فى الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذى يوصل الى رضاالله تعالى وهو دين الاسلام ﴿لاانفصام لها﴾ أى لاانقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذى هو دين الاسلام كالمتمسك بالشئ الوثيق الذى لايمكن كسره ولاانقطاعه ﴿والله سميع﴾ يعنى أنه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وأتى بالشهادتين ﴿عليم﴾ بما فى قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك أياهم الى الاسلام عليم بحرصك على أسلامهم * قوله عزوجل ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ أى ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولى أمورهم فلايكلهم الى غيره وقيل هومتولى هدايتهم ﴿يخرجهم من الظلمات الى النور﴾ أى من الكفر الى الايمان وكل مافى القرآن

الباطل ثم نزلت فى منذر بن ساوى التميمى (فمن يكفر بالطاغوت) بأمر الشيطان وعبادة الاصنام (ويؤمن بالله) وبما جاء منه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) فقد أخذ بالثقة بلا اله الا الله (لاانفصام لها) لاانقطاع لها ولا زوال ولاهلاك ويقال لاانقطاع لصاحبها عن نعيم الجنة ولازوال عن الجنة ولاهلاك بالبقاء فى النار (والله سميع) لهذه المقالة (عليم) بثوابها ونعيمها (الله ولى الذين آمنوا) حافظ وناصر الذين آمنوا يعنى عبدالله ابن سلام وأصحابه (يخرجهم من الظلمات (قاوخا ٥١ ل) الى النور) فقد أخرجهم ووفقهم حتى خرجوا من الكفر

لاتحادالايمان(والذين كفروا) مبتدأ والجملةوهى(أولياؤهم الطاغوت)خبره(يخرجونهم من النورالى الظلمات) وجمع لأن
الطاغوت فى معنى الجمع يعنى والذين صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولى المؤمنين

يخرجهم من الشبهة فى الدين
ان وقعت لهم بما يهديهم
ويوفقهم له من حلها حتى
يخرجوا منها الى نور اليقين
والذين كفروا أولياؤهم
الشيطان يخرجهم من نور
البينات الذى يظهر لهم
الى ظلمات الشك والشبهة
(أولئك أصحاب النارهم فيها
خالدون) ثم أعجب نبيه
عليه السلام وسلاه بمجادلة
أبراهيم عليه السلام نمرود
الذى كان يدعى الربوبية
بقوله (ألم ترالى الذى حاج
ابراهيم فى ربه) فى معارضته
ربوبية ربه والهاء فى ربه يرجع
الى ابراهيم أو الى الذى حاج
فهو ربهما (ان آتاه الله
الملك) لان آتاه الله يعنى
ان ايتاء الملك أبطره واورثه
الكبر فحاج لذلك وهو
دليل على المعتزلة فى الاصلح
أوحاج وقت ان آتاه الله

الى الايمان (والذين كفروا)
يعنى كعب بن الاشرف
وأصحابه (أولياؤهم الطاغوت)
الشيطان (يخرجونهم
من النور الى الظلمات)
يدعوهم من الايمان الى
الكفر (أولئك أصحاب
النار) أهل النار (هم فيها
خالدون) لايموتون ولا
يخرجون منها أبدا (ألم تر)
ألم تخبر (الى الذى) عن
الذى (حاج) خاصم (ابراهيم فى ربه) فى دين ربه (أن آتاه الله الملك) أعطاه وهو نمرود بن كنعان (وأما)

الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر أو حال من المستكن فى الخبر أو من الموصول أو منهما أو استئناف مبين أو مقرر للولاية ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ أى الشياطين أو المضلات من الهوى والشياطين وغيرهما ﴿يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات أو من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لايأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به ﴿أولئك أصحاب النارهم فيها خالدون﴾ وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم ﴿ألم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه﴾ تعجيب من محاجة نمروذ وحماقته ﴿أن آتاه الله الملك﴾ لان آتاه أى أبطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة أو حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتنى لانى أحسنت اليك أو وقت أن آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر

من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمى الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وسمى الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان أدلته ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ يعنى كعب بن الاشرف وحيى بن أخطب وسائر رؤس الضلالة ﴿يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ أى من الهدى الى الضلالة * فأن قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا فى نور قط * قلت هم اليهود كانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل أن يبعث لما يجدون فى كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم فى حق جميع الكفار سمى منع الطاغوت أياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه أخرجتنى عن مالك اذا أوصى به لغيره فى حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه الصلاة والسلام انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله ولم يكن قط فى ملتهم ﴿أولئك أصحاب النارهم فيها خالدون﴾ يعنى الكفار والطاغوت أهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم *قوله عزوجل ﴿ألم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه﴾ يعنى هل انتهى اليك يا محمد خبر الذى خاصم ابراهيم وجادله لان ألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال ألم ترالى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا فى صنعه والذى حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الارض وادعى الربوبية ﴿أن آتاه الله الملك﴾ أى لان آتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن دواد وذو القرنين

الملك (اذ قال) نصب بحاج أو بدل من أن آتاه اذا جعل بمعنى الوقت (ابراهيم ربى) حزة (الذى يحيي ويميت) كأنه قال له من ربك قال ربى الذى يحيي ويميت (قال) نمرود (أنا أحيي وأميت) يريد أعفو عن القتل وأقتل فانقطع اللعين بهذا عن المخاصمة فزاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ما لا يتأتى فيه التلبيس على الضعفة حيث (قال ابراهيم) عليه السلام (فأن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) وهذا ليس بانتقال من حجة الى حجة كما زعم البعض لان الحجة الاولى كانت لازمة ولكن لما عاند اللعين حجة الاحياء بتخلية واحد وقتل آخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا أهل تنجيم وحركة الكواكب من المغرب الى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى الى غير جهة حركة النمل فقال ان

من المعتزلة ﴿ أذقال أبراهيم ﴾ ظرف لحاج أو بدل من أن آتاه الله على الوجه الثانى ﴿ ربى الذى يحيي ويميت ﴾ بخلق الحياة والموت فى الاجساد * وقرأ حمزة رب بحذف الياء ﴿ قال أنا أحيي وأميت ﴾ بالعفو عن القتل والقتل * وقرأ نافع أنا بالالف ﴿ قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾ أعرض ابراهيم

وأما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا فى وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعونا اليه قال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد ألقائه فى النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا أتاه أحد يمتار سأله من ربك فيقول أنت فيميره فخرج ابراهيم عليه الصلاة والسلام اليه يمتار لاهله الطعام فأتاه فقال له من ربك قال ربى الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر على كثيب رمل أعفر فأخذ منه تطيبيا لقلوب أهله اذا دخل عليهم فلما أتى أهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام أجود مارآه أحد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من أين هذا وكان عهد أهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله قدرزقه فحمدالله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك أن آمن بى وأتركك فى ملكك قال وهل رب غيرى فجاء الثانية فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فأمر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شئ من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكثت فى رسه أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان أرحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب أربعمائة سنة مدة ملكه حتى أماته الله عزوجل ﴿ أذقال أبراهيم ربى الذى يحيي ويميت ﴾ هذا جواب سؤال غيرمذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال أبراهيم ربى الذى يحيي ويميت ﴿ قال ﴾ يعنى قال نمرود ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيي الآخر فجعل ترك القتل احياء فأنتقل أبراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة أخرى لا عجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه أراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم أن يقول لنمرود فاحى من أمت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة أخرى أوضح من الاولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فأنه عارض الفعل بمثله ونسى اختلاف الفعلين ﴿ قال أبراهيم فأن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

(اذقال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت) يحيي البعث ويميت فى الدنيا (قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم) لما أنتنى بيان ذلك قال فأتى برجلين من السجن فقتل واحدا وترك واحدا وقال هذا بيان ذلك قال ابراهيم (فأن الله يأتى بالشمس من المشرق) من نحو المشرق (فأت بها من المغرب) من نحو المغرب

ربي يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها بحركتها فهو أهون (فبهت الذي كفر) تحير ودهش (والله لايهدي القوم الظالمين) أي لايوفقهم وقالوا انما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لان الله تعالى صرفه عنه وقيل انه كان يدعى الربوبية لنفسه وماكان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله أنا أحيي وأميت أن الذي ينسب اليه الاحياء والاماتة أنا لاغيري والآية تدل على اباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لانه قال ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والمحاجة تكون بين اثنين فدل على ان ابراهيم حاجه أيضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكون الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا أمرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله وتوحيده واذا دعوناهم الى ذلك لابد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لايكون الا بعد المناظرة كذا في شرح التأويلات (أو كالذي مر) معناه أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر وقال صاحب الكشف فيه الكاف زائدة والذي عطف على قوله الى الذي حاج عن الحسن ان المار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي والاكثر أنه عزير أراد أن يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأنى يحيي (شرخيا) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي (على قرية) هي بيت المقدس حين خربه بختنصر وهي التي

عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لايقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لاعن حجة الى أخرى ولعل نمروذ زعم أنه يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته أو اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم عليه الصلاة والسلام الاصنام سجنه أياما ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه ﴿فبهت الذي كفر﴾ فصار مبهوتا * وقرئ فبهت أي فغلب ابراهيم الكافر ﴿والله لايهدي القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لايهديهم محجة الاحتجاج أو سبيل النجاة أو طريق الجنة يوم القيامة ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ تقديره أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر الى الذي حاج عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من أن يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر الى الذي حاج أو الذي مر وقيل

فبهت الذي كفر ﴾ يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيأ وعرف أنه لايطيق ذلك * فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه أن يقول لابراهيم سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب * قلت انما لم يقله لانه خاف انه لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح ﴿والله لايهدي القوم الظالمين﴾ يعني لايرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود * قوله عز وجل ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ هذه معطوفة على الآية التي قبلها والمعنى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذي حاج ابراهيم وهل رأيت كالذي مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الى الذي مر على قرية * واختلفوا في ذلك المار فروى عن مجاهد أنه كان كافرا شاك في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لايخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لايستعمل في حق الكافر وانما يستعمل في حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير بن

(فبهت الذي كفر) خصم وقصم الذي كفر أي سكت بغير الحجة (والله لايهدي) الى الحجة (القوم الظالمين) الكافرين يعني نمرود (أو كالذي مر على قرية) يقول والى الذي مر على قرية تسمى دير هرقل وهو عزير بن شرحيا مر على قرية

انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل ألم تر كالذى حاج أو كالذى مر وقيل أنه من كلام أبراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره أو أن كنت تحيي فأحي كاحياء الله تعالى الذى مر على قرية وهو عزيز بن شرخيا أو الخضر أو كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمروذ والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر التى أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل القرية التى خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع ﴿ وهى خاوية على عروشها ﴾ خالية ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿ قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ﴾ اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي أن كان القائل مؤمنا واستبعادا أن كان كافرا وأنى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى أو على الحال بمعنى كيف

شرخيا وقال وهب بن منبه هو أرمياء بن حلقيا من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز أن يكون ذلك المار هو عزير وجائز أن يكون ارمياء وفى هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أخبر اليهود بما يجدونه فى كتبهم ويعرفونه وهو أمى لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا فى تلك القرية فقيل هى بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هى القرية التى أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل هى دير سابر آباد وقيل سلما باد وقيل هى دير هرقل وقيل قرية العنب هى على فرسخين من بيت المقدس * وقوله هى دير سابر آباد موضع كان بفارس وسلماباد محلة أو قرية من نواحى جرجان وقيل أيضا من نواحى همدان ودير هرقل بكسر أوله وراء ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم لحزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها هى التى عندها احيي الله حمار عزير ﴿ وهى خاوية على عروشها ﴾ أى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت أولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك ﴿ قال ﴾ يعنى ذلك المار ﴿ أنى يحيي هذه الله بعد موتها ﴾ فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك فى قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجارى العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى أو كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام رب أرنى كيف تحيي الموتى ومعنى أنى يحيي هذه الله من أين يحيي هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية فى نفسه وفى احياء تلك القرية * وكان سبب القصة فى ذلك ماروى عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارمياء الى ناشية بن أموص ملك بنى اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى فأوحى الله تعالى الى ارمياء ان ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم أحداثهم وادعهم الى فقال ارمياء يارب =

خرج منها الالوف (وهى خاوية على عروشها) ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش (قال أنى يحيي) أى كيف (هذه) أى أهل هذه (الله بعد موتها

(وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها) يقول كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد موتهم

= انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انى ألهمك فقام ارمياء فيهم ولم يدر مايقول فالهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل انى أحلف بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى اليه انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاءه ناداه ياارمياء أشق عليك ماأوحيت اليك قال نعم يارب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى اسرائيل مالا أسر به فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى لاأهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح ارمياء بذلك وطابت نفسه وقال لاوالذى بعث موسى بالحق لاأرضى بهلاك بنى اسرائيل ثم أتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الامعصية وتماديا فى الشر فقل الوحى وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر البابلى فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا وأتى الخبر الى ملك بنى اسرائيل قال لارمياء أين مازعمت ان الله تعالى أوحى اليك فقال أرمياء ان الله لايخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارمياء ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له ارمياء من أنت قال أنا رجل من بنى اسرائيل أتيتك استفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم ولم آت اليهم الاحسنا ولايزيدهم اكرامى أياهم الاسخطالى فافتنى فيهم فقال ارمياء أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث أياما ثم أقبل اليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارمياء من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى فقال له ارمياء اماطهرت اخلاقهم بعدلك فيهم فقال يانبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ماأعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى رحمه الاقدمتها اليهم وأفضل فقال ارمياء أرجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث أياما ثم ان بختنصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارمياء يانبى الله أين ماوعدك الله فقال انى بربى واثق ثم أقبل ذلك الملك الى ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له ارمياء من أنت قال أنا الذى جئتك فى شأن أهلى مرتين فقال ارمياء أما آن لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يانبى الله ان كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فاليوم رأيتهم على عمل لايرضى الله تعالى فقال له ارمياء على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك وأنا أسألك بالله الذى بعثك بالحق أن تدعو الله عليهم =

(ليهلكوا)

= ليهلكوا فقال ارمياء ثم يامالك السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على عمل لاترضاه فاهلكهم فاخرجت الكلمة من فيه حتى أرسل الله عزوجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان وأحرقت سبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك ارمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يامالك السموات والارض أين ميعادك الذى وعدتنى به فنودى انهم لم يصبهم ماأصابهم الابفتياك ودعائك عليهم فاستيقن ارمياء انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشأم وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان بقى فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين ألف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة غلمة وكان فى أولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشأم فكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله ببنى اسرائيل بظلمهم فلما ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل أقبل أرمياء على حماره ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايليا وهى أرض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها * ومن قال ان المار كان عزيرا قال ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قدم بسبايا بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل ديرهرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق ولما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لاشكا فى البعث * ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان ارمياء ربط حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقى عصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة أرسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يأمرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود أعمر ما كان فأنتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة أحيي الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيي الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض

فأماته الله مائة عام ثم بعثه) أى أحياه (قال) له ملك (كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم) بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد روى انه مات ضحى وبعث بعدمائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو

بعض يوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك) روى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا اولبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء لان الاصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهت فلانا أى عاملته سنة أو واو لان الاصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء فى الوصل وباثباتها فى الوقف حمزة وعلى (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتت عظامه أو وانظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ مامعه وقيل الواو عطف على محذوف أى لتعتبر

﴿فأماته الله مائة عام﴾ فالبثه ميتا مائة عام أو اماته الله فلبث ميتا مائة عام ﴿ثم بعثه﴾ بالاحياء ﴿قال كم لبثت﴾ القائل هو الله وساغ أن يكلمه وأن كان كافرا لانه آمن بعد البعث أو شارف الايمان وقيل ملك أو نبى ﴿قال لبثت يوما أو بعض يوم﴾ كقول الظان وقل أنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم على الاضراب ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية أن قدر لام السنة هاء وهاء سكت أن قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى وانما أفرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا أو عنبا وشرابه عصيرا أو لبنا وكان الكل على حاله * وقرأ حمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء فى الوصل ﴿وانظر الى حمارك﴾ كيف تفرقت عظامه أو انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول أدل على الحال وأوفق لما بعده ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ أى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى أنه أتى قومه على حماره وقال انا عزير

ثم نودى ان الله يأمرك أن تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى ان الله يأمرك ان تحيى فقام الحمار بأذن الله ثم نهق وعمر الله ارمياء فهو يدور فى الفلوات فذلك قوله تعالى ﴿فأماته الله مائة عام﴾ أصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم فى جميع بروجها ﴿ثم بعثه﴾ أى ثم أحياه وأصله من بعثت الناقة اذا أقمتها من مكانها ﴿قال كم لبثت﴾ يعنى قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذى مكثت فيه ميتا قبل أن أبعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما أحياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت ﴿قال﴾ يعنى ذلك المبعوث بعد مماته ﴿لبثت يوما﴾ وذلك ان الله تعالى أماته ضحى فى أول النهار وأحياه بعد مائة سنة فى آخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال ﴿أو بعض يوم قال﴾ يعنى قال الله له وقيل قال الملك له ﴿بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك﴾ يعنى التين الذى كان معه قبل موته ﴿وشرابك﴾ يعنى العصير ﴿لم يتسنه﴾ يعنى لم تغيره السنون التى أتت عليه فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن ﴿وانظر الى حمارك﴾ اى وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول

(فأماته الله) مكانه فكان ميتا (مائة عام ثم بعثه) أحياء فى آخر النهار (قال) الله (كم لبثت) مكثت ياعزير (قال لبثت) مكثت (يوما) ثم نظر الى الشمس وقد بقى منها شئ فقال (أو بعض يوم قال) الله (بل لبثت) مكثت ميتا (مائة عام فانظر الى طعامك) التين والعنب (وشرابك) العصير (لم يتسنه) لم يتغير (وانظر الى حمارك) الى عظام حمارك كيف تلوح بيضاء (ولنجعلك) لكى نجعلك (آية) علامة (للناس)

{الواو}

فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا وأولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة ﴿وانظر الى العظام﴾ يعنى عظام الحمار أو الاموات الذين تعجب من احيائهم ﴿كيف ننشرها﴾ نحييها أو نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام أى انظر اليها محياة * وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى * وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر ﴿ثم نكسوها لحما

الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا مافعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعنى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب أسود الرأس واللحية وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك آية للناس ﴿وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما﴾ قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال أنشر الله الميت انشارا يعنى أحياه * وقرئ بالزاى ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشئ رفعه وانزعاجه يقال نشزته فنشز أى رفعته فأرتفع * واختلفوا فى معنى الآية فقال الاكثرون انه أراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى أحيى عزيرا أو ارمياء على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فأقبل اليه يمشى حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل أراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة فى عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف ننشرها وذلك ان الله أول ماأحيى منه عينيه فنظر فرأى سائر جسده ميتا وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من المفسرين لما احيى الله عزيرا بعدما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى الى محلته فأنكره الناس وأنكرهو الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت مارأيت أحدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال أنا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال أنى عزير أن الله تعالى أماتنى مائة سنة ثم أحيانى فقالت أن عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله

ولنجعلك قيل أتى قومه راكبا حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب (وانظر الى العظام) أى عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشزها) نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب ننشرها بالراء حجازى وبصرى نحييها (ثم نكسوها) أى العظام (لحما) جعل اللحم كاللباس مجازا

فى احياء الموتى أنهم يحيون على مايموتون لانه مات شابا وبعث شابا فيقال جعله عبرة للناس لانه كان ابن أربعين سنة وابنه ابن مائة وعشرين سنة (وانظر الى العظام) عظام الحمار (كيف ننشزها) نرفع بعضها على بعض وان قرأت بالراء يقول كيف نخلقها (ثم نكسوها لحما) بعد ذلك يقول نثبت عليها العصب والعروق واللحم والجلد والشعر ونجعل فيه الروح

﴿فلما تبين له﴾ فاعل تبين مضمر يفسره مابعده تقديره فلما تبين له أن الله على كل شئ قدير ﴿قال أعلم أن الله على كل شئ قدير﴾ فحذف الاول لدلالة الثانى عليه أو يفسره ماقبله أى فلما تبين له مااشكل عليه *وقرأ حمزة والكسائى قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه أوهو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت ﴿وأذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى﴾ أنما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمروذ أنا احيي وأميت قال له أن أحياء الله تعالى برد الروح الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب أن سئل عنه مرة أخرى ﴿قال أولم تؤمن﴾ بأنى قادر على

ان يرد على بصرى حتى أراك فأن كنت عزيزا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال لها قومى بأذن الله تعالى فاطلق الله رجلها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت أشهد أنك عزير وانطلقت الى بنى اسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فتنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم فدعا لى عزير ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى وزعم أن الله تعالى قد أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فرآها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال أنى عزير وقد بعثنى الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ماجعل الله التوراة فى قلب رجل بعدما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأتى القصة فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى * قوله عزوجل ﴿فلما تبين له﴾ يعنى فلما اتضح له عيانا ماكان ينكره من احياء القرية ورآه عيانا فى نفسه ﴿قال اعلم﴾ * قرئ مجزوما موصولا على الامر يعنى قال الله له أعلم * وقرئ أعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن الذى قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له ورأى ذلك عيانا قال أعلم ﴿أن الله على كل شئ قدير﴾ يعنى الاماتة والاحياء * قوله عز وجل ﴿وأذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى﴾ اختلفوا فى سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقيل أنه مر على دابة ميتة وهى جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فاكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب أنى قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف الدواب فارنى كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى ﴿قال أولم تؤمن﴾ يعنى أولم تصدق

(فلما تبين له) فاعله مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شئ قدير (قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقولهم ضربنى وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعنى أمر أحياء الموتى قال اعلم على لفظ الامر حمزة وعلى أى قال الله له اعلم أو هو خاطب نفسه (واذ قال ابراهيم رب أرنى) بصرنى (كيف تحيي الموتى) موضع كيف نصب بتحيي (قال أولم تؤمن

بعد ذلك (فلما تبين له) كيف يجمع الله عظام الموتى (قال أعلم) قد علمت (أن الله على كل شئ) من الحياة والموت (قدير واذ قال) وقد قال (ابراهيم) ايضا (رب أرنى كيف تحيي الموتى) كيف تجمع عظام الموتى (قال أولم تؤمن) توقن بذلك

الاحياء باعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم أنه أعرف الناس في الايمان ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه ﴿ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ أي بلى آمنت ولكن سألت ذلك لازيد بصيرة وسكون قلب بضامة العيان الى الوحي والاستدلال

﴿قال بلى ﴾ يارب قد علمت وآمنت ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ أي ليسكن قلبي عند المعاينة أراد ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ماتفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه الصلاة والسلام شاكا في احياء الله الموتى ولا دافعا له ولكنه أحب أن يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون أن يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونها ويسألونه في دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك أحب ابراهيم أن يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود أنت عاينته فلم يقدر ابراهيم أن يقول نعم فانتقل الى حجة أخرى ثم سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل أنت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فأذن له فأتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من أغير الناس وكان اذا خرج أغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له من أذن لك أن تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت أبشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال له ماعلامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سألتك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن مالبث يوسف لاجبت الداعي

القول على معنى الحديث ومايتعلق به

اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم على أقوال كثيرة فأحسنها وأصحها مانقل المزني وغيره من العلماء ان الشك مستحيل في حق أبراهيم فان الشك في احياء الموتى لو كان متطرقا الى الانبياء لكنت أنا أحق به من ابراهيم ولقد علمتم أني لم أشك فاعلموا ان أبراهيم لم يشك وانما خص أبراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق

(قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) وانما قال له أولم تؤمن وقد علم انه أثبت الناس ايمانا ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن لازيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة

(قال بلى) انا موقن (ولكن ليطمئن قلبي) لتسكن حرارة قلبي وأعلم بأني خليلك

﴿ قال فخذ أربعة من الطير ﴾ قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان أحياء النفس بالحياة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذى هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه أقرب الى الانسان وأجمع لخواص الحيوان والطير مصدر

الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابى ليس فى قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفى الشك عنهما يقول اذا لم أشك أنا فى قدرة الله تعالى على أحياء الموتى فابراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لولبثت فى السجن مالبث يوسف لاجبت الداعى وفيه الاعلام بأن المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من أبراهيم ومعناه أن هذا الذى تظنونه شكا أنا أولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وأدبا أو قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم ❁ وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذقال ابراهيم أى واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والتقدير ألم تر الى الذى حاج أبراهيم فى ربه ألم تر اذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال يعنى قال الله لابراهيم أولم تؤمن ❊ الالف فى أولم تؤمن الف اثبات وايجاب كقول جرير ❊ ألستم خير من ركب المطايا ❊ أى ألستم كذلك والمعنى اولست قد آمنت وصدقت أنى أحيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعنى سألتك ذلك ارادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ولكن لارى من آياتك وأعلم انك قد أجبتنى ﴿ قال فخذ أربعة من الطير ﴾ قيل أخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة ❊ فأن قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة ❊ قلت لان الطير صفته الطيران فى السماء والارتفاع فى الهواء وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو فى الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته ❊ فأن قلت لم خص هذه الاربعة الاجناس من الطير بالاخذ ❊ قلت فيه اشارة ففى الطاوس اشارة الى مافى الانسان من حب الزينة والجاه وفى النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفى الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفى الغراب اشارة الى شدة الحرص ففى هذه الطيور مشابهة لمافى الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق أعلى الدرجات فى الجنة وفاز بنيل السعادات

القلب (قال فخذ أربعة من الطير) طاوسا وديكا

مستجاب الدعوة قال (فخذ اليك) مقدم ومؤخر (أربعة من الطير) أشتاتا أى مختلفا ديكا وغرابا

سمى به أوجع كصحب ﴿ فصرهن اليك ﴾ فأملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء * وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال

وماصيد الاعناق فيهم جبلة * ولكن اطراف الرماح تصورها

وقال

وفرع يصير الجيد وحف كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح

* وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وهما لغتان مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ﴾ أي ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة * وقرأ أبو بكر جزأ وجزوأ بضم الزاى حيث وقع ﴿ ثم ادعهن ﴾ قل لهن تعالين باذن الله ﴿ يأتينك سعيا ﴾ ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا روى أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويمسك رؤسها ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن * وفيه اشارة الى أن من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاوعه مسرعات متى دعاهن بدعاية العقل أو الشرع وكفى لك شاهدا على فضل

﴿ فصرهن ﴾ * قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن * وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن ﴿ اليك ﴾ ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ﴾ لانه يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم أمره ان يجعل على كل جبل منهن جزأ * واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمر ان يجعل كل طائر أربعة أجزاء وان يجعلها على أربعة أجبل على كل جبل ربعا من كل طائر قيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة اجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الآخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها ببعض في السماء بغير رؤس ثم اقبلن سعيا الى رؤسهن كلما جاء طائر قال برأسه فأن كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى ﴿ ثم ادعهن يأتينك سعيا ﴾ وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك أبعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور أو ان

(ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفي أرضك وكانت أربعة اجبل أو سبعة جزأ بضمتين وهمز أبو بكر (ثم ادعهن) قل لهن تعالين بأذن الله تعالى (يأتينك سعيا) مصدر في موضع الحال أي ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن وانما أمره بضمها الى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك وروى انه أمر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر ان يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى

وبطا وطاوسا (فصرهن) فقطعهن اليك (ثم اجعل) ثم ضع (على كل جبل) من أربعة أجبل (منهن جزأ) بعضا (ثم ادعهن) باسمائهن (يأتينك سعيا) مشيا

رأسها (واعلم أن الله عزيز) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) فيما يدبر لا يفعل الا ما فيه الحكمة ولما برهن على قدرته على الاحياء حث على الانفاق في سبيل الله واعلم ان من أنفق في سبيله فله في نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم (كمثل حبة) أو مثلهم كمثل باذر حبة (أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) المنبت

هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني المناظر والممثل به موجود في الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على ان التمثيل يصح وان لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع اقراء (والله يضاعف لمن يشاء) أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضعف شامى

(واعلم) يا ابراهيم (أن الله عزيز) بالنقمة لمن لم يقر باحياء الموتى (حكيم) بجمع عظام الموتى واحيائهم كما جمع وأحيي هذه الطيور * ثم

أبراهيم عليه الصلاة والسلام وعن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال أنه سبحانه وتعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيرا بعد أن أماته مائة عام ﴿واعلم أن الله عزيز﴾ لا يعجز عما يريده ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة﴾ أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف ﴿أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة ﴿والله يضاعف﴾ تلك المضاعفة ﴿لمن يشاء﴾ بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن أجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب

أرجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك سعيا وقيل المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة ﴿ واعلم أن الله عزيز ﴾ يعني انه تعالى غالب على جميع الاشياء لا يعجزه شئ ﴿ حكيم ﴾ يعني في جميع أموره * قوله عز وجل ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ قيل أراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴿ كمثل حبة ﴾ أي كمثل زارع حبة ﴿ أنبتت ﴾ يعني أخرجت تلك الحبة ﴿ سبع سنابل ﴾ جمع سنبلة ﴿ في كل سنبلة مائة حبة ﴾ * فان قلت فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها * قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الآخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين

ذكر نفقة المؤمنين في سبيل الله فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) يقول مثل (الى) أموال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله (كمثل حبة أنبتت) أخرجت (سبع سنابل في كل سنبلة) منها (مائة حبة) كذلك يضاعف نفقة المؤمنين في سبيل الله من واحد الى سبعمائة (والله يضاعف) فوق ذلك (لمن يشاء) لمن كان أهلا لذلك ويقال لمن

﴿ والله واسع ﴾ لايضيق عليه مايتصل به من الزيادة ﴿ عليم ﴾ بنية المنفق وقدر انفاقه ﴿ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ماانفقوا مناولا أذى ﴾ نزلت فى عثمان رضى الله تعالى عنه فانه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وعبدالرحمن ابن عوف رضى الله عنه فانه أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من أحسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ماأنعم

الى سبعمائة الى مايشاء من الاضعاف ممالايعلمه الاالله ﴿ والله واسع ﴾ أى غنى يعطى الغنى عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال ﴿ عليم ﴾ يعنى بنية من ينفق فى سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبمايستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه * قوله عزوجل ﴿ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ﴾ قيل نزلت فى عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف رضى الله عنهما اما عثمان فجهز المسلمين فى غزوة تبوك بألف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبدالرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار فى جيش العسرة فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله واما عبدالرحمن فجاء باربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندى ثمانية آلاف فامسكت لنفسى ولعيالى أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجتها لربى عزوجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم فى حوائجهم ومؤنتهم ﴿ ثم لا يتبعون ماأنفقوا مناولاأذى ﴾ أى لايتبع نفقته التى أنفقها عليهم بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطائه فيقول قد أعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو أن يعيره فيقول كم تسأل وانت فقير ابدا وقدبليت بك وأراحنى الله منك وأمثال ذلك والمن فى اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا أثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر

فمنى علينا بالسلام فانما * كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ماهو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما أعطاه قال عبدالرحمن ابن يزيد كان أبى يقول اذا أعطيت رجلاشيأ ورأيت ان سلامك يثقل عليه فلاتسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم فى المدح بترك المن

زاد معروفك عندى عظما * انه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته * وهو فى العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء

أتيت قليلا ثم أسرعت منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

وأما الاذى فهومايصل الى الانسان من ضرر بقول أوفعل اذا عرفت هذا فنقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هوان يشكو منهم بسبب ماأعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله *فأن قلت قد وصف الله

ومكى (والله واسع) واسع الفضل والجود (عليم) بنيات المنفقين (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ماانفقوا منا) هوان يعتد على من أحسن اليه بأحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقاله وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها (ولاأذى) هوان يتطاول عليه بسبب مااعطاه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم

قبل منه (والله واسع) بالتضعيف (عليم) بنفقة المؤمنين وبنياتهم (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) نزلت هذه الآية فى عثمان ابن عفان وعبدالرحمن بن عوف (ثم لايتبعون ماأنفقوا) بعد النفقة (منا) على الله (ولا أذى) لصاحبها

استقاموا (لهم أجرهم عند ربهم) أي ثواب انفاقهم (ولا خوف عليهم) من بخس الاجر (ولا هم يحزنون) من فوته أو لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وانما قال هنا لهم أجرهم وفيما بعد فلهم اجرهم لان الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غنى) لا حاجة له الى منفق يمن ويؤذى (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم أكد ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير أبطالا مثل ابطال الذى (ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) أى لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بانفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة ورئاء مفعول له

(لهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) فى الجنة (ولا خوف عليهم) فيما يستقبلهم من العذاب (ولا هم يحزنون) على ماخلفوا من خلفهم (قول معروف) كلام حسن لاخيك فى المغيب بالدعاء والثناء (ومغفرة) تجاوز عن مظلمة (خير) لك وله (من صدقة يتبعها أذى) تمن بها عليه وتؤذيه بذلك (والله غنى) عن صدقة المنان (حليم) اذ لم يعجل بعقوبة المنة (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أجر صدقاتكم (بالمن) على الله معناه العجب (والاذى) لصاحبها (كالذى ينفق ماله رئاء الناس) سمعة الناس (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت

عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى ﴿ لهم أجرهم عند ربهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند اليه معنى الشرط ايهاما بأنهم أهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا ﴿قول معروف﴾ رد جميل ﴿ ومغفرة ﴾ وتجاوز عن السائل إلحاحه أو نيل المغفرة من الله بالرد الجميل أو عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده ﴿خير من صدقة يتبعها أذى﴾ خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة ﴿والله غنى﴾ عن الانفاق بمن وايذاء ﴿حليم﴾ عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ﴾ لا تحبطوا أجرها بكل واحد منهما ﴿ كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه ولا يريد به رضاء الله سبحانه وتعالى ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذى ينفق رئاء الناس فالكاف فى محل النصب على المصدر أو الحال ورئاء نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرائيا أو المصدر

تعالى نفسه بالمنان فما الفرق * قلت المنان فى صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسان اليهم فجميع ماهم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما * قوله عز وجل ﴿لهم أجرهم﴾ يعنى ثوابهم ﴿عند ربهم﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ ولا خوف عليهم ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ يعنى على ماخلفوا من الدنيا ﴿قول معروف﴾ أى كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعده بها وقيل دعاء صالح تدعو له بظهر الغيب ﴿ ومغفرة ﴾ أى تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده ﴿ خير من صدقة ﴾ يعنى هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التى تدفعها الى الفقير ﴿يتبعها أذى﴾ وهو ان يعطى الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقول أو يؤذيه بفعل ﴿ والله غنى ﴾ أى مستغن عن صدقة العباد والغنى الكامل الغنى الذى لا يحتاج الى أحد وليس كذلك الا الله تعالى ﴿حليم﴾ يعنى أنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذى بصدقته * قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾ يعنى أجور صدقاتكم ﴿بالمن والاذى﴾ يعنى على السائل الفقير وقال ابن عباس رضى الله عنهما بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى ﴿ كالذى ﴾ أى كابطال الذى ﴿ ينفق ماله رئاء الناس ﴾ أى مراآة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخى كريم ﴿ ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ يعنى ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين

(لكن)

(فمثله كمثل صفوان عليه تراب) مثاله ونفقته التى لاينتفع بها البتة بحجر أملس كان عليه تراب (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أجرد نقيا من التراب الذى كان عليه (لايقدرون على شئ مما كسبوا) لايجدون ثواب شئ مما أنفقوا أو الكاف فى محل النصب على الحال أى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق وانما قال لايقدرون بعد قوله كالذى ينفق لانه أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى ينفق (والله لايهدى القوم الكافرين) ماداموا مختارين الكفر (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم) أى وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لانه اذا أنفق المسلم ماله فى سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له أى للابتغاء والتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى زكاتها

أى انفاقا رئاء ﴿ فمثله ﴾ أى فمثل المرائى فى انفاقه ﴿ كمثل صفوان ﴾ كمثل حجر أملس ﴿ عليه تراب فأصابه وابل ﴾ مطر عظيم القطر ﴿ فتركه صلدا ﴾ أملس نقيا من التراب ﴿ لايقدرون على شئ مما كسبوا ﴾ لاينتفعون بما فعلوا رئاء ولايجدون له ثوابا والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس أو الجمع كما فى قوله

وأن الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم ياأم خالد

﴿ والله لايهدى القوم الكافرين ﴾ الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفات الكفار ولابد للمؤمن أن يتجنب عنها ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم ﴾ وتثبيتا بعض أنفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله سبحانه وتعالى ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها أو تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم

لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به ﴿ فمثله ﴾ أى مثل هذا المرائى بصدقته وسائر أعماله ﴿ كمثل صفوان ﴾ هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفى ﴿ عليه تراب ﴾ أى على ذلك الصفوان تراب ﴿ فاصابه وابل ﴾ يعنى المطر الشديد العظيم القطر ﴿ فتركه صلدا ﴾ يعنى ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لاشئ عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائى والمؤمن المنان بصدقته يؤذى الناس يرى الناس ان لهؤلاء أعمالا فى الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر أذهبه وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب ﴿ لايقدرون على شئ مما كسبوا ﴾ أى لايقدرون على ثواب شئ مما عملوا فى الدنيا ﴿ والله لايهدى القوم الكافرين ﴾ يعنى الذين سبق فى علمه انهم يموتون على الكفر * روى البغوى بسنده عن محمود بن لبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ﴿م﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه * قوله عز وجل ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ﴾ أى طلب رضاء الله ﴿ وتثبيتا من أنفسهم ﴾ يعنى على الانفاق فى طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه أن أنفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما أنفقت وقيل احسانا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة أموالهم وينفقون

(فمثله) مثل صدقة المنان وصدقة المشرك (كمثل صفوان) حجر (عليه تراب فأصابه وابل) مطر شديد (فتركه صلدا) أجرد نقيا بلا تراب (لايقدرون على شئ)على ثواب شئ فى الآخرة (مما كسبوا) انفقوا فى الدنيا يقول لايجد المنان والمؤذى ثواب صدقته كما لايوجد على الصفا التراب بعد ما أصابه (قا وخا ٥٣ ل) المطر الشديد (والله لايهدى) لايثيب (القوم الكافرين) والمرائين بنفقتهم فى الشرك والرياء كذلك المنان لايثيبه الله بنفقته (ومثل الذين ينفقون أموالهم) مثل اموال الذين ينفقون أموالهم (ابتغاء مرضات الله) طلب رضاء الله (وتثبيتا من أنفسهم) تصديقا وحقيقة ويقينا

فيها أزكى وأحسن ثمرا بربوة عاصم وشامى (أصابها وابل فآتت أكلها) ثمرتها أكلها نافع ومكى وأبو عمرو (ضعفين) مثلى ماكانت تثمر قبل بسبب الوابل (فأن لم يصبها وابل فطل) فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد ان يطلب بها رضاء الله تعالى زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده (والله بما تعملون بصير) يرى أعمالكم على اكثار واقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء

وفيه تنبيه على أن حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال ﴿ كمثل جنة بربوة ﴾ أى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا • وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح • وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها ﴿ أصابها وابل ﴾ مطر عظيم القطر ﴿ فآتت أكلها ﴾ ثمرتها • وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالسكون للتخفيف ﴿ ضعفين ﴾ مثلى ماكانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما أريد بالزوج الواحد فى قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثاله ونصبه على الحال أى مضاعفا ﴿ فأن لم يصبها وابل فطل ﴾ أى فيصيبها أو فالذى يصيبها طل أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله سبحانه وتعالى لاتضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ماينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ تحذير عن الرياء

من قلوبهم بالثواب (كمثل جنة) بستان (بربوة) بمكان مرتفع مستو (أصابها وابل) مطر شديد كثير (فآتت أكلها) أخرجت ثمرها (ضعفين فان لم يصبها وابل) مطر كثير (فطل) فرش مثل الرذاذ يعنى الندى وهذا مثل نفقة المؤمن اذا كان بالاخلاص والخشية قليلة أو كثيرة يضاعف ثوابها كما يضاعف ثمرة البستان (والله بما تعملون) تنفقون (بصير

أموالهم فى سائر وجوه البر والطاعات طيبة أنفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون فى الموضع الذى يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذاهم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك أو رياء أمسك ﴿ كمثل جنة ﴾ أى بستان قال الفراء اذا كان فى البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس ﴿ بربوة ﴾ هى المكان المرتفع عن الارض المستوى لان ماارتفع من الارض عن مسيل الماء والاودية كان ثمرها أحسن وأزكى اذا كان لها من الماء مايرويها وقيل هى الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا أصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحلت أشجارها ﴿ اصابها وابل ﴾ وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ماروضة من رياض الحزن معشبة • خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحزن ماغلظ وارتفع من الارض ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ أى فاعطت ثمرتها مثلين قيل انها حملت فى سنة من الريع مايحمله غيرها فى سنتين وقيل أضعفت فحملت فى السنة مرتين ﴿ فأن لم يصبها وابل فطل ﴾ أى طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن أصابها وابل وأصابها طل فتلك حال هذه الجنة فى تضاعف ثمرها فانها لاتنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فى انفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تريع وتزكو فى كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا أو كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص فى صدقته وانفاقه الذى لايمن ولايؤذى سواء قلت نفقته أو كثرت ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾

واخلاص*الهمزة فى (أيود أحدكم) للانكار (ان تكون له جنة) بستان (من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له) لصاحب البستان (فيها) فى الجنة (من كل الثمرات) يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له

فيها ولان النخيل والاعناب لما كانا أكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات (واصابه الكبر) الواو للحال ومعناه ان تكون له جنة وقد أصابه الكبر والواو فى (وله ذرية ضعفاء) أولاد صغار للحال أيضا والجملة فى موضع الحال من الهاء فى أصابه (فاصابها اعصار) ريح تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود (فيه) فى الاعصار وارتفع (نار) بالظرف اذ جرى الظرف وصفا لاعصار (فأحترقت) الجنة وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة

وترغيب فى الاخلاص ﴿أيود أحدكم﴾ الهمزة فيه للانكار ﴿أن تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات﴾ جعل الجنة منهما مع مافيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع ﴿وأصابه الكبر﴾ أى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال أو للعطف حملا على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ صغار لاقدرة لهم على الكسب ﴿فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت﴾ عطف على اصابه أو تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها مايحبطها كرئاء وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور

يعنى انه تعالى لايخفى عليه نفقة المخلص فى صدقته الذى لايمن بها ولايؤذى والذى يمن بصدقته ويؤذى * قوله عز وجل ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾ هذه متصلة بماقبلها وهو قوله تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى أيود يعنى أيحب أحدكم أن تكون له جنة أى بستان من نخيل وأعناب انما خصهما بالذكر لانهما أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه ﴿تجرى من تحتها الانهار﴾ يعنى ان جرى الانهار فيها من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها ﴿له فيها من كل الثمرات﴾ لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه ﴿وأصابه الكبر﴾ يعنى صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون فى غاية الاحتياج الى تلك الجنة* فأن قلت كيف عطف وأصابه الكبر على أيود وكيف يجوز عطف الماضى على المستقبل* قلت فيه وجهان أحدهما أن تكون له جنة حال ما أصابه الكبر والوجه الثانى انه عطف على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ يعنى له أولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر ﴿فاصابها﴾ يعنى أصاب تلك الجنة ﴿اعصار فيه نار فاحترقت﴾ الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائى يقول مثل عمل المنافق والمرائى بعمله فى حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو أحوج مايكون اليها فحصل فى قلبه من الغم والحسرة مالايعلمه الله تعالى لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو لايجد مايعود به على أولاده وهم لايجدون مايعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لاحيلة بايديهم

(أيود أحدكم) يتمنى أحدكم (أن تكون له جنة) بستان (من نخيل واعناب) كروم (تجرى من تحتها الانهار) تطرد الانهار من تحت شجرها ومساكنها وغرفها (له فيها) فى الجنة (من كل الثمرات) من ألوان الثمرات (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء) عجزة عن الحيلة (فأصابها) يعنى تلك الجنة (اعصار) يعنى ريح حار أو بارد (فيه نار فاحترقت

والتفت الى ماسوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ أى تتفكرون فيها فتعتبرون بها ﴿ يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ من حلاله أو جياده

فكذلك حال من أتى يوم القيامة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو فى غاية الحاجة اليها حين لامستعتب له ولاتوبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم أولا نعلم فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى نفسى منها شئ يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق أعماله كلهـا ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ يعنى كما بين الله تعالى لكم أمر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك ﴿ لعلكم تتفكرون ﴾ أى فتتعظوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما لعلكم تتفكرون يعنى فى زوال الدنيـا واقبال الآخرة * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ أى من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث * عن خولة الانصارية رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من أصابه بحق بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار أخرجه الترمذى * المتخوض الذى يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان فى الماء يمينا وشمالا (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لايبالى المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام (خ) عن المقدام رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده * عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذى والنسائى * واختلفوا فى المراد بقوله تعالى أنفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل

المسئلة الاولى

ظـاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجـارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة فى مال التجارة وقال داود الظـاهرى لاتجب الزكاة

(كذلك) كهذا البيـان الذى بين فيما تقدم (يبين الله لكم الآيات) فى التوحيد والدين (لعلكم تتفكرون) فتنتبهوا (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة

كذلك يبين الله لكم الآيات) العلامات بالامر والنهى (لعلكم تتفكرون) لكى تتفكروا فى امثال القرآن وهـذا مثل الكافرين فى الآخرة يكون بلا حيلة ولا رجوع الى الدنيا كما ان هذا الكبير بقى بلا حيلة ولا رجوع الى قوته وشبابه (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات) من حلالات (ما كسبتم) ما جمعتم من الذهب والفضة

﴿ ومما أخرجنا لكم من الارض ﴾ أى ومن طيبات ماأخرجنا من الحبوب والثمرات والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره

بحكم التجارة فى العروض الا أن ينوى به التجارة فى حال تملكه ❊ ودليل الجمهور ماروى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذى يعد للبيع أخرجه أبو داود ❊ وعن أبى عمرو بن خماس ان أباه قال مررت بعمر ابن الخطاب وعلى عنقى ادمة أحملها فقال عمر ألا تؤدى زكاتك ياخماس فقلت مالى غير هذا واهب فى القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا أومائتى درهم أخرج منه ربع العشر

المسئلة الثانية

فى قوله تعالى ﴿ ومما أخرجنا لكم من الارض ﴾ ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل ماخرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فاوجبوا الزكاة فى النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة الزكاة فى كل مايقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك ❊ دليل الجمهور ماروى عن معاذ انه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهى البقول فقال ليس فيها شئ أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند أهل العلم انه ليس فى الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبدالله بن تيمية الحرانى فى احكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبدالله بن المغيرة أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضروات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس فى ذلك صدقة رواه الاثرم فى سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهرى والاوزاعى ومالك تجب الزكاة فى الزيتون وتجب فى الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وفى الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدراس والتصفية

المسئلة الثالثة

يجب اخراج العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح أوسانية ويدل على ذلك ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون أوكان عثريا العشر وماسقى بالنضح نصف العشر أخرجه البخارى ولابى داود والنسائى قال فيما سقت السماء والانهار والعيون أوكان بعلا العشر وماسقى

فى اموال التجارة (ومما أخرجنا لكم من الارض) من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ماأخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات

(ومما أخرجنا لكم من الارض) من النبات يعنى الحبوب والثمار

﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ أى ولا تقصدوا الردئ ﴿منه﴾ أى من المال أو مما أخرجنا لكم وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه أكثر * وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء ﴿تنفقون﴾ حالا مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز أن يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ﴿ولستم بآخذيه﴾ أى وحالكم أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم لرداءته ﴿الا أن تغمضوا فيه﴾ الا أن تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه * وقرئ تغمضوا أى تحملوا على الاغماض أو توجدوا مغمضين وعن ابن عباس

بالسوانى والنضح نصف العشر قال أبو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن فى سقيه وقال وكيع هو الذى ينبت من ماء السماء * قوله أو كان عثريا أراد به القوى من الزرع وهو البعل وقد فسره فى لفظ الحديث والنضح هو الاستسقاء وكذلك السانية وهى الدابة التى يسقى عليها سواء كانت من الابل أو البقر ولا يجب العشر فى الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة أوسق * والوسق ستون صاعا وقال أبو حنيفة يجب العشر فى كل قليل أو كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور فى ايجاب النصاب بما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمسة أواق صدقة وليس فيما دون خمسة ذود صدقة * وفى رواية ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر أو حب صدقة أخرجاه فى الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة أخرجاه فى الصحيحين * قوله عز وجل ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ أى ولا تقصدوا الخبيث يعنى الردئ من أموالكم ﴿منه تنفقون﴾ أى من الخبيث * عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتى بالقنو والقنوين فيعلقه فى المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم اذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر أو التمر فيأكل وكان ناس ممالا يرغب فى الخير يأتى بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو ان أحدكم أهدى اليه مثل ما أعطى لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتى أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعنى الردئ منه تنفقون يعنى تتصدقون ﴿ولستم بآخذيه﴾ يعنى ذلك الشئ الخبيث الردئ ﴿الا أن تغمضوا فيه﴾ الاغماض فى اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك ان الانسان

(ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الردىء (منه تنفقون) تخصونه بالانفاق وهو فى محل الحال أى ولا تيمموا الخبيث منفقين أى مقدرين النفقة (ولستم بآخذيه) وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم (الا أن تغمضوا فيه) الا ان تتسامحوا فى أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر

(ولا تيمموا الخبيث) لا تعمدوا الى الردىء من أموالكم (منه تنفقون ولستم بآخذيه) بقابليه يعنى الردىء اذا كان لكم حق على صاحبكم (الا أن تغمضوا فيه) تتغمضوا فيه وتتركوا بعض حقكم كذلك لا يقبل الله

رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه ﴿ واعلموا أن الله غنى ﴾ عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم ﴿ حميد ﴾ بقبوله واثابته ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾ فى الانفاق والوعد فى الاصل شائع فى الخير والشر. وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ﴿ ويأمركم بالفحشاء ﴾ ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخل فاحشا وقيل المعاصى ﴿ والله يعدكم مغفرة منه ﴾ أى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم ﴿ وفضلا ﴾ خلفا أفضل مما أنفقتم فى الدنيا أو فى الآخرة ﴿ والله واسع ﴾

اذا رأى مايكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه لو أن لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو لو أهدى ذلك ما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لى مالا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردى لان أهل السهمان شركاء له فيما عنده وان كان كله رديئا فلا بأس باعطاء الردئ ﴿ واعلموا أن الله غنى ﴾ يعنى عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها ﴿ حميد ﴾ أى محمود فى أفعاله وقيل حميد بمعنى حامد أى أجركم على ماتفعلونه من الخير * قوله عز وجل ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾ أى يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال فى الخير وعدته وفى الشر أوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت ﴿ ويأمركم بالفحشاء ﴾ يعنى يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبى كل فحشاء فى القرآن فهى الزنا الا هذا الموضع * وفى هذه الآية لطيفة وهى ان الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى أن يأمره بالفحشاء وهى البخل وذلك لان البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهى التخويف من الفقر فلهذا قال سبحانه وتعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴿ والله يعدكم مغفرة منه ﴾ يعنى مغفرة لذنوبكم وسترا لكم ﴿ وفضلا ﴾ يعنى رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا ومايحصل بين الرزق والخلف * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب * قوله ان للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشئ والمراد بهذه اللمة اللمة التى تقع فى القلب من فعل خير أو شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسة وأما لمة الملك فالهام من الله تعالى ﴿ والله واسع ﴾ أى غنى قادر

وشراره فنهوا عنه (واعلموا أن الله غنى) عن صدقاتكم (حميد) مستحق للحمد أو محمود (الشيطان يعدكم) فى الانفاق (الفقر) ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد يستعمل فى الخير والشر (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) فى الانفاق (مغفرة منه) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وان يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو ثوابا عليه فى الآخرة (والله واسع) يوسع على

الردىء منكم (واعلموا أن الله غنى) عن نفقاتكم (حميد) محمود فى افعاله ويقال يشكر اليسير ويجزى الجزيل نزلت هذه الآية فى رجل بالمدينة صاحب الحشف (الشيطان يعدكم الفقر) يخوفكم الفقر عند الصدقة (ويأمركم بالفحشاء) بمنع الزكاة (والله يعدكم مغفرة منه) لذنوبكم باعطاء الزكاة (وفضلا) خلفا وثوابا فى الآخرة (والله واسع) بالخلف والمغفرة

أى واسع الفضل لمن انفق ﴿ عليم ﴾ بانفاقه ﴿ يؤتى الحكمة ﴾ تحقيق العلم واتقان العمل ﴿ من يشاء ﴾ مفعول أول أخر للاهتمام بالمفعول الثانى ﴿ ومن يؤت الحكمة ﴾ بناؤه للمفعول لانه المقصود * وقرأ يعقوب بالكسر أى ومن يؤته الله الحكمة ﴿ فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ أى أى خير كثير اذ حيز له خير الدارين ﴿ ومايذكر ﴾ ومايتعظ بما قص من الآيات أو مايتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما أودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة ﴿ الا أولوا الالباب ﴾ ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى

على اغنائكم واخلاف ماتنفقونه ﴿ عليم ﴾ يعنى بما تنفقونه لاتخفى عليه خافية (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أنفق ينفق عليك * وفى رواية يد الله ملأى لاتغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال ارأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض مافى يده وفى رواية فانه لم يغض مافى يمنه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع * وفى رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقى ولا تحصى فيحصى عليك ولا توعى فيوعى عليك * قوله ولا توعى أى لاتشحى فيشح الله عليك أى فيجازيك بالتقتير فى رزقك ولايخلف عليك ولايبارك لك والمعنى لاتجمعى وتمنعى بل أنفقى ولاتعدى ولاتشحى * قوله عز وجل ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هى علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال فى القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لايسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولايكونوا كأهل النهروان يعنى الخوارج تأولوا آيات من القرآن فى أهل القبلة وانما نزلت فى أهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف فى شئ منه وقيل هى القرآن والعلم والفقه وقيل هى الاصابة فى القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر

أبنى حيفة أحكموا سفهاءكم

أى امنعوا سفهاءكم وقال السدى الحكمة النبوة لان النبى يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع فى دين الله لان الورع يمنع صاحبه من أن يقع فى الحرام أو مالايجوز له فعله ﴿ ومن يؤت الحكمة ﴾ يعنى ومن يؤته الله الحكمة ﴿ فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ تنكير تعظيم معناه فقد أوتى أى خير كثير ﴿ ومايذكر الا أولوا الالباب ﴾ أى ومايتعظ بما وعظه الله الا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه

من يشاء (عليم) بافعالكم ونياتكم (يؤتى الحكمة من يشاء) علم القرآن والسنة أو العلم النافع الموصل الى رضاء الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل (ومن يؤت الحكمة) ومن يؤت يعقوب أى ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتى خيرا كثيرا) تنكير تعظيم أى أوتى أى خير كثير (وما يذكر الا أولوا الالباب) وما يتعظ بمواعظ الله الا ذوو العقول السليمة أو العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى

للذنوب (عليم) بنياتكم وصدقاتكم ثم ذكر كرامته فقال (يؤتى الحكمة من يشاء) يعنى النبوة لمحمد عليه الصلاة والسلام ويقال تفسير القرآن ويقال اصابة القول والفعل والرأى (ومن يؤت الحكمة) اصابة القول والفعل والرأى (فقد أوتى) أعطى (خيرا كثيرا ومايذكر) يتعظ بامثال القرآن والحكمة (الا أولوا الالباب) ذوو العقول من الناس

(قوله)

متابعة الهوى ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ قليلة أو كثيرة سرا أو علانية فى حق أو باطل ﴿أو نذرتم من نذر﴾ بشرط أو بغير شرط فى طاعة أو معصية ﴿فأن الله يعلمه﴾ فيجازيكم عليه ﴿وما للظالمين﴾ الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها أو يمنعون

* قوله عز وجل ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ يعنى فيما فرضه الله عليكم من أعطاء زكاة وغيرها ﴿أو نذرتم من نذر﴾ يعنى به ما أوجبتموه على أنفسكم فى طاعة الله فوفيتم به والنذر أن يوجب الانسان على نفسه شيأ ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا وأصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير فى الامر المهم * والنذر فى الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله على صوم أو حج أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو أن يقول نذرت لله لا أفعل كذا ثم يفعله أو يقول لله على نذر من غير تسمية شئ فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه * عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فى معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه فليف به أخرجه أبو داود * عن عمران ابن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم أخرجه النسائى (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتى بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد أن يخرج * قال بعض العلماء يحتمل أن يكون سبب النهى عن النذر كون الناذر يصير ملتزما مالا فيأتى به تكلفا من غير نشاط أو يكون سببه كونه يأتى به على سبيل المعاوضة عن الامر الذى طلبه فينقص أجره وشأن العبادة أن تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل أن يكون النهى لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر أو يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا * وقوله فى بعض روايات الحديث انه لا يأتى بخير معناه انه لا يرد شيأ من القدر * وقوله فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد أن يخرج معناه انه لا يأتى بهذه القربة تطوعا محضا مبتدأ وانما يأتى بها فى مقابلة شئ يريده كقوله ان شفى الله مريضى فلله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله أعلم * قوله عز وجل ﴿فأن الله يعلمه﴾ أى يعلم ما أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وقيل أن الكناية عادت على ما فى قوله وما أنفقتم لانها اسم فهو كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما ﴿وما للظالمين﴾ يعنى الواضعين

فى معنى الانفاق (وما أنفقتم من نفقة) فى سبيل الله أو فى سبيل الشيطان (أو نذرتم من نذر) فى طاعة الله أو فى معصيته (فأن الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم فى المعاصى أو ينذرون فى المعاص أو لا يفون بالنذور

(وما أنفقتم من نفقة) فى سبيل الله (أو نذرتم من نذر) فى طاعة الله فوفيتم به (فأن الله يعلمه) يقبله اذا كان لله ويثيب عليها (وما للظالمين)

الصدقات ولا يوفون بالنذور ﴿ من أنصار ﴾ من ينصرهم من الله سبحانه وتعالى ويمنعهم من عقابه ﴿ أن تبدوا الصدقات فنعماهى ﴾ فنعم شيأ ابداؤها * وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل * وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو أقيس ﴿ وأن تخفوها وتؤتوها الفقراء ﴾ أى تعطوها مع الاخفاء ﴿ فهو خير لكم ﴾ فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره أفضل لنفى التهمة عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل

الصدقة فى غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام ﴿ من أنصار ﴾ أى من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم * قوله عز وجل ﴿ أن تبدوا الصدقات ﴾ أى تظهروا الصدقات والصدقة مايخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع ﴿ فنعماهى ﴾ أى فنعمت الخصلة هى وقيل فنعم الشئ هى وقيل معناه فنعم شيأ ابداء الصدقات ﴿ وان تخفوها ﴾ أى تسروا الصدقة ﴿ وتؤتوها الفقراء ﴾ أى وتعطوها الفقراء فى السر ﴿ فهو خير لكم ﴾ يعنى اخفاء الصدقة أفضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا فى المراد بالصدقة المذكورة فى الآية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع أفضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك أبعد من الرياء وأقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفى صدقة السر أيضا فائدة ترجع الى الفقير الآخذ وهى انه اذا أعطى فى السر زال عنه الذل والانكسار واذا أعطى فى العلانية يحصل له الذل والانكسار * ويدل على ان صدقة السر أفضل ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال أنى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه أخرجاه فى الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ممن قد أمن على نفسه من مداخلة الرياء فى عمله أو يكون ممن يقتدى به فى أفعاله فاذا أظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك وأما الزكاة فاظهار أخراجها أفضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة فى الجماعة أفضل وصلاة التطوع فى البيت أفضل ولكن فى اظهار الزكاة نفى التهمة عن المزكى وقيل ان الآية واردة فى زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لايظنون بأحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم فى زماننا فاظهار الزكاة أفضل حتى لايساء الظن به وقيل ان الآية عامة فى جميع الصدقات الواجبة والتطوع

ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعماهى) فنعم شيأ ابداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هى فنعما هى بكسر النون واسكان العين أبو عمرو ومدنى غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى وبكسر النون والعين غيرهم (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء (فهو خير لكم) فالاخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهر فى الفرائض أفضل لنفى التهمة حتى اذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه أفضل والمتطوع ان أراد أن يقتدى به كان اظهاره أفضل

للمشركين (من أنصار) من مانع من عذاب الله ثم ذكر صدقة السر والعلانية لقولهم أيهما أفضل فقال (ان تبدوا) ان تظهروا (الصدقات) الواجبة (فنعماهى) فنعم شيأهى (وان تخفوها) تسروها يعنى التطوع (وتؤتوها) تعطوها (الفقراء) أصحاب الصفة (فهو خير لكم من العلانية وكلاهما مقبول

(ونكفر) بالنون وجزم الراء مدني وحمزة وعلي وبالياء ورفع الراء شامي وحفص وبالنون والرفع غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء ومابعده لانه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله (عنكم من سيآتكم) والنون على معنى نحن نكفر (والله بما تعملون) من الابداء والاخفاء (خبير) عالم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدي من يشاء) أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وانما ذلك الى الله (وما تنفقوا من خير) من مال (فلانفسكم) فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله أي رضاء الله ولطلب ما عنده فما بالكم

من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ﴿ ويكفر عنكم من سيئاتكم ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء أي والله يكفر أو الاخفاء * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على أنه جملة فعلية مبتدأة أو اسمية معطوفة على ما بعد الفاء أي ونحن نكفر * وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده * وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ ترغيب في الاسرار ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ لا يجب عليك أن تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ صريح بان الهداية من الله سبحانه وتعالى وبمشيئته وأنها تختص بقوم دون قوم ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ من نفقة معروفة ﴿ فلأنفسكم ﴾ فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث ﴿ وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ﴾ حال وكأنه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه

والاخفاء أفضل في كل صدقة من زكاة وغيرها * قوله عز وجل ﴿ ونكفر عنكم من سيئاتكم ﴾ قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيآتكم قال ابن عباس رضي الله عنهما جميع سيآتكم وقيل ادخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من سيآتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ يعني من اظهار الصدقات واخفائها * قوله عز وجل ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة الى الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا في الاسلام فحينئذ تتصدق عليهم فأعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام وأراد بالهداية هنا هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية اعطوهم وتصدقوا عليهم ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ أي من مال ﴿ فلأنفسكم ﴾ أي ما تفعلوا تنفعوا به أنفسكم ﴿ وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ﴾ ظاهره خبر ومعناه نهي

منكم (ويكفر عنكم من سيئاتكم) ذنوبكم بقدر صدقاتكم (والله بما تعملون) تعطون من الصدقة (خبير) ثم رخص الصدقة على فقراء أهل الكتاب والمشركين لقولهم أيجوز لنا يا رسول الله أن نتصدق على ذوي قرابتنا من غير أهل ديننا سألت عن ذلك أسماء بنت أبي بكر ويقال بنت أبي النضر فقال الله لنبيه (ليس عليك هداهم) في الدين هدى فقراء أهل الكتاب (ولكن الله يهدي من يشاء) لدينه (وما تنفقوا من خير) من مال على الفقراء (فلأنفسكم) ثواب ذلك (وما تنفقون) على الفقراء فلا تنفقون (الا ابتغاء وجه الله) طلب

الله سبحانه وتعالى وطلب ثوابه أوعطف على ماقبله أى وليس نفقتكم الا الابتغاء وجهه فمابالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى ﴿وماتنفقوا من خير يوف اليكم﴾ ثوابه أضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة أوما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى أن ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما أسلموا أن ينفقوهم فنزلت وهـذا فى غير الواجب أما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ أى لاتنقصون ثواب نفقتكم ﴿للفقراء﴾ متعلق بمحذوف أى اعمـدوا للفقراء أو اجعلوا ماتنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء ﴿الذين احصروا فى سبيل الله﴾ احصرهم الجهـاد ﴿لايستطيعون﴾ لاشتغالهم به ﴿ضربا فى الارض﴾

أى ولاتنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله انه قد علم أن مرادهم بنفقتهم ماعنده وقيل معناه ولستم فى صدقاتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله فى صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو أنفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على انه لايجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون فى سورة التوبة وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وخالفه سائر العلماء فى ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء أهل الذمة فاما زكاة الفرض فلايجوز صرفها الى أهل الذمة بحال ﴿وماتنفقوا من خير يوف اليكم﴾ أى يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس رضى الله عنهما يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدى اليكم يوم القيامة ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية ﴿وأنتم لاتظلمون﴾ أى لاتنقصون شيأ من ثواب أعمالكم * قوله عز وجل ﴿للفقراء﴾ اختلفوا فى موضع اللام فى قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم فكانه قال وماتنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التى سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو أربعمـائة رجـل لم يكن لهم بالمدينة مسـاكن ولا عشـائر وكانوا يأوون الى صفة فى المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى النـاس على مواسـاتهم فكان من عنده فضـل أتاهم به اذا أمسى * قوله عز وجل ﴿الذين أحصروا فى سبيل الله﴾ يعنى هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد فى سـبيل الله وقيل حبسوا أنفسهم على طـاعة الله ﴿لايستطيعون ضربا فى الارض﴾ يعنى لايتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد فى سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات فى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى

ولاتنفقوا الا ابتغاء وجه الله (وماتنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على أحسن الوجوه وأجلها (وأنتم لاتظلمون) ولا تنقصون كقوله ولم تظلم منه شيأ أى لم تنقص * الجار فى (للفقراء) متعلق بمحذوف أى اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدأ محذوف أى هذه الصدقات للفقراء (الذين أحصروا فى سبيل الله) هم الذين أحصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الارض) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم تكن لهم مسـاكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفة المسجد وهى سقيفة يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون

مرضاة الله (وماتنفقوا من خير) من مال على فقراء أصحاب الصفة (يوف اليكم) يوفر اليكم ثواب ذلك فى الآخرة (وأنتم لاتظلمون) لا ينقص من حسـناتكم ولا يزاد على سـيآتكم (للفقراء الذين أحصروا) يقول انما الصدقات للفقراء الذين حبسـوا أنفسـهم (فى سبيل الله) فى طاعة الله فى مسجد الرسول وهم أصحاب الصفة (لايستطيعون ضربا) سيرا (فى الارض) (حصرهم)

ذهابا فيها للكسب وقيل هم أهل الصفة كانوا نحوا من أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يحسبهم الجاهل ﴾ بحالهم * وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين ﴿ أغنياء من التعفف ﴾ من أجل تعففهم عن السؤال ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ﴿ لا يسألون الناس إلحافا ﴾ الحاحا وهو أن يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه أى أعطانى من فضل ماعنده والمعنى انهم لا يسألون وأن سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين كقوله

« على لاحب لا يهتدى بمناره » * اذا ساقه العود الديا فى جرجرا

حصرهم المرض والزمانة عن الضرب فى سبيل الله ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ أى يظن من لم يختبر حالهم انهم أغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهى ترك الشئ والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم أغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسئلة ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ السيماء والسيمياء والسمة العلامة التى يعرف بها الشئ واختلفوا فى معناها هنا فقيل هى الخضوع والتواضع وقيل هى أثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هى صفرة ألوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر ﴿ لا يسألون الناس إلحافا ﴾ يعنى الحاحا قيل اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس أصلا لانه قال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهو ترك المسئلة فعلم بذلك انهم لا يسألون البتة ولانه قال تعالى تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسئلة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنه رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ (خ) عن الزبير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسأل الناس اعطوه أم منعوه * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته فى وجهه خموش أو خدوش أو كدوح وقيل يا رسول الله ما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى * عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد الحف أخرجه أبو داود * وقال زاد هشام فى حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين درهما * وفى رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا * عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى (يحسبهم الجاهل) بحالهم يحسبهم وبابه شامى ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة والباقون بكسر السين (أغنياء من التعفف) مستغنين من أجل تعففهم عن المسئلة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجوه ورثاثة الحال (لا يسئلون الناس الحافا) الحاحا قيل هو نفى السؤال والالحاح جميعا كقوله * على لاحب لا يهتدى بمناره * يريد نفى المنار والاهتداء به والالحاح هو اللزوم وان لا يفارق الا بشئ يعطاه وفى الحديث ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السآل الملحف وقيل معناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف

بالتجارة (يحسبهم الجاهل) من لا يعرفهم (أغنياء من التعفف) من التجمل (تعرفهم) يا محمد (بسيماهم) بحليتهم (لا يسألون الناس الحافا) يقول الحاحا ولا غير الحاح

ولم يلحوا (وماتنفقوا من خير فأن الله به عليم) لايضيع عنده (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراوعلانية) هما حالان أى مسرين ومعلنين يعنى يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية أو فى على رضى الله عنه لم يملك الأربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين يأكلون الربوا) هو فضل مال خال عن العوض فى معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الالف بعدها

ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال أو على الحال ﴿ وماتنفقوا من خير فان الله به عليم ﴾ ترغيب فى الانفاق وخصوصا على هؤلاء ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ﴾ أى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل فى أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه لم يملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف أى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية ﴿ الذين يأكلون الربوا ﴾ أى الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه أعظم منافع المال ولان الربا شائع فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد الى أجل أو فى العوض بان يباع

من سأل الناس وله أربعون درهما فهو ملحف أخرجه النسائى (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فأنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر * قوله عز وجل ﴿ وماتنفقوا من خير فأن الله به عليم ﴾ يعنى ان الله تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازى عليها ففيه حث على الصدقة والانفاق فى الطاعة * قوله عز وجل ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه نزلت هذه الآية فى على بن أبى طالب رضى الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية * وفى رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه بدنانير كثيرة الى أهل الصفة وبعث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الليل بوسق من تمر فأنزل الله فيهما الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار يعنى بنفقة الليل نفقة على وبالنهار نفقة عبد الرحمن * وفى الآية اشارة الى ان صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية فى الذين يربطون الخيل للجهاد فى سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار وفى السر والعلانية (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات وقيل ان الآية عامة فى الذين ينفقون أموالهم فى جميع الاوقات ويعمون بها أصحاب الحاجات والفاقات ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ أى جزاء أعمالهم ﴿ ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل ﴿ الذين يأكلون الربوا ﴾ أى يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يؤكل انما

(وماتنفقوا) على فقراء أصحاب الصفة (من خير) من مال (فأن الله به) بالمال وبنياتكم (عليم الذين ينفقون أموالهم) فى الصدقة (بالليل والنهار سرا) فى السر (وعلانية) فى العلانية (فلهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) فى الجنة (ولا خوف عليهم) بالدوام (ولاهم يحزنون) اذا حزن غيرهم نزلت هذه الآية فى على بن أبى طالب * ثم ذكر عقوبة آكل الربا فقال(الذين يأكلون الربوا)

{يصرف}

تشبيها بواو الجمع (لايقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) أى المصروع لانه تخبط
فى المعاملة فجوزى على المقابلة والخبط الضرب على غير استواء كتخبط العشواء (من المس)
من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم الا كما يقوم المصروع أو بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فارباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) العقاب (بأنهم) بسبب انهم (قالوا انما البيع مثل الربوا) ولم يقل انما الربا مثل البيع مع ان الكلام فى الربا لا فى البيع لانه جئ به على طريقة المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا

استحلالا (لايقومون) من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم) فى الدنيا (الذى يتخبطه) يتخبله (الشيطان من المس) من الجنون (ذلك) التخبل علامة آكل الربا فى الآخرة (بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا) الزيادة فى آخر البيع بعد ما حل الاجل كالزيادة فى أول البيع

أحدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ﴿لايقومون﴾ اذا بعثوا من قبورهم ﴿الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان﴾ الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء ﴿من المس﴾ أى الجنون وهذا أيضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون أى لايقومون من المس الذى بهم بسبب أكل الربا أو بيقوم أو بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ولكن لان الله أربى فى بطونهم ما أكلوه من الربا فاثقلهم ﴿ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا﴾ أى ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيوع فى سلك

يصرف فى المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف فى الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء * وأصل الربا فى اللغة الزياده يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة فى المال ﴿لايقومون﴾ يعنى من قبورهم يوم القيامة ﴿الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان﴾ أى يصرعه وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتى تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذى يتصرف فى الامور على غير اهتداء وتميز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون ﴿من المس﴾ يعنى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة * وروى البغوى بسند الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء قال فانطلق بى جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذين يتخبطه الشيطان من المس * قوله بطنه مثل البيت الضخم أى العظيم الكبير الغليظ * وقوله منضدين أى موضوعين بعضهم على بعض * والسابلة الطريق * وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط فى الشهوة بالطعام من الجوع * قوله عز وجل ﴿ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا﴾ أى ذلك الذى نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم

واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل أنما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها أوتوقع رواجها يجبر هذا الغبن ﴿وأحل الله البيع وحرم الربوا﴾ انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص

اياه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الاجل حتى أزيدك فى المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح أو عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربوا ﴾ يعنى وأحل الله لكم الارباح فى التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذى هو زيادة فى المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد ان يعترض عليه فى شئ مما أحل أو حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوى عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر فى المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيأ بغير عوض أما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال ان العوض هو الامهال فى مدة الاجل لان الامهال ليس مالا أو شيأ يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

فصل فى حكم الربا {وفيه مسائل} المسئلة الاولى

ذكروا فى سبب تحريم الربا وجوها* أحدها ان الربا يقتضى أخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام* الوجه الثانى انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدارهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضى ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح* الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدارهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى* الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة فى ذلك

المسئلة الثانية

اعلم أن الربا فى اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة فى مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الاهاء وهاء والبر بالبر ربا الاهاء وهاء والشعير

(بالشعير)

انهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم بينهما اذا الحل مع الحرمة ضدان فأنى تماثلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه

اذا بعت بالنسيئة (وأحل الله البيع) الزيادة الاولى (وحرم الربوا) الزيادة الاخيرة

بالشعير ربا الاهاء وهاء والتمر بالتمر ربا الاهاء وهاء *وفى رواية الورق بالورق ربا الاهاء وهاء والذهب بالذهب ربا الاهاء وهاء (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد أربى* وفى رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد أربى الاما اختلفت ألوانه (م) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا فى هذه الستة أشياء وهى النقدان وأربعة أصناف من المطعومات وهى البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم الى ان حكم الربا ثبت فى هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل مايوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا فى تلك الاوصاف فذهب قوم الى أن المعنى فى جميعها هو واحد وهو النفع فأثبتوا الربا فى جميع الاموال وذهب الاكثرون الى أن الربا ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف وفى الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا فى ذلك الوصف فذهب الشافعى ومالك الى انه ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأى الى انه ثبت بعلة الوزن فأثبتوا الربا فى جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الاربعة أشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأى الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فأثبتوا الربا فى جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعى فى القديم وقال فى الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فأثبت الربا فى جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله أرسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا أخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن الا مثلا بمثل فانى كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال انى أخاف أن يضارع أخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعى ماكان ثمنا أو مطعوما

المسئلة الثالثة

الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع مايدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع أحد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة فى الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط فى

﴿ فمن جاءه موعظة من ربه ﴾ فمن بلغه وعظ من الله سبحانه وتعالى وزجر كالنهى عن الربا ﴿ فانتهى ﴾ فاتعظ وتبع النهى ﴿ فله ماسلف ﴾ تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه ومافى موضع الرفع بالظرف أن جعلت من موصولة وبالابتداء أن جعلت شرطية على رأى سيبويه اذالظرف غير معتمد على ماقبله ﴿ وأمره الى الله ﴾ يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه ﴿ ومن عاد ﴾ الى تحليل الربا اذ الكلام فيه ﴿ فأولئك

بيعه بجنسه المساواة فى الكيل ويشترط التقابض فى مجلس العقد فان باع مايدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر فان باع بما لايوافقه فى وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا فان باعه بما يوافقه فى الوصف لا فى الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو كان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط فى بيعه التقابض فى المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض فى المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض فى المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله أعلم

﴿ المسئلة الرابعة ﴾

فى القرض وهو من أقرض شيأ وشرط عليه ان يرد عليه أفضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ماروى عن مالك قال بلغنى ان رجلا أتى ابن عمر فقال انى أسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه أفضل مما أسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجه مالك فى الموطأ قال فان لم يشترط فضلا فى وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز ويدل على ذلك ماروى عن مجاهد أن ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى أن يأخذها وقل هذه خير من دراهمى فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسى بذلك طيبة أخرجه مالك فى الموطأ * قوله عز وجل ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه ﴾ أى تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تأنيثه غير حقيقى فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شئ واحد ﴿ فانتهى ﴾ أى عن أكل الربا ﴿ فله ماسلف ﴾ أى مامضى من ذنبه قبل النهى مغفور له ﴿ وأمره الى الله ﴾ يعنى بعد النهى ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى أكل الربا وقيل معناه وأمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شئ وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم أكل الربا ثم يأكله فأمره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه ﴿ ومن عاد ﴾ يعنى الى أكل الربا بعد التحريم مستحلا له ﴿ فأولئك

(فمن جاءه موعظة من ربه) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا (فانتهى) فتبع النهى وامتنع (فله ماسلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه أخذ قبل نزول التحريم (وأمره الى الله) يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من أمره اليكم شئ فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى استحلال الربا عن الزجاج أو الى الربا مستحلا (فأولئك

(فمن جاءه موعظة من ربه) نهى من ربه عن الربا (فانتهى) عن الربا (فله ماسلف) فليس عليه مامضى قبل التحريم (وأمره) فيما بقى من عمره (الى الله) ان شاء عصمه وان شاء خذله (ومن عاد) بعد التحريم الى قوله انما البيع مثل الربا (فأولئك

أصحاب النارهم فيها خالدون) لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من أحل ما حرم الله عزوجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين أنه لاتعلق للمعتزلة بهذه الآية في تخليد الفساق (يمحق الله الربوا) يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه (ويربي الصدقات) ينميها ويزيدها أي يزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث مانقصت زكاة من مال قط (والله لايحب كل كفار) عظيم الكفر باستحلال الربا (أثيم) متماديا في الاثم باكله (أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربوا) أخذوا ماشرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال

أصحاب النارهم فيها خالدون﴾ لانهم كفروا به ﴿يمحق الله الربوا﴾ يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ﴿ويربي الصدقات﴾ يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي أحدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام مانقصت زكاة من مال قط ﴿والله لايحب﴾ لايرضى ولا يحب محبته للتوابين ﴿كل كفار﴾ مصر على تحليل المحرمات ﴿أثيم﴾ منهمك في ارتكابه ﴿أن الذين آمنوا﴾ بالله ورسله وبما جاءهم منه ﴿وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ عطفهما على مايعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة ﴿لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم﴾ من آت ﴿ولاهم يحزنون﴾ على فائت ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربوا﴾ واتركوا بقايا ماشرطتم على الناس من الربا

أصحاب النارهم فيها خالدون﴾ * قوله عزوجل ﴿يمحق الله الربوا﴾ أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته قال ابن عباس رضي الله عنهما لايقبل الله منه صدقة ولا حجا ولاجهادا ولاصلة ﴿ويربي الصدقات﴾ أي يزيدها ويثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله * لفظ مسلم والبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله * وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل ﴿والله لايحب كل كفار﴾ يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا ﴿أثيم﴾ يعني متماديا في الاثم وفيه نهي عنه وان من أكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل أن يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين * قوله عزوجل ﴿أن الذين آمنوا﴾ يعني صدقوا بالله ورسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ يعني التي أمرهم الله بها ﴿وأقاموا الصلوة﴾ يعني المفروضة باركانها وحدودها في اوقاتها ﴿وآتوا الزكوة﴾ يعني المفروضة عليهم في أموالهم ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ أي لهم ثواب أعمالهم في الآخرة ﴿ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ أي يوم القيامة * قوله عزوجل ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربوا﴾ قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكانا قد أسلفا في التمر

أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون الى ماشاء الله اذا كانوا المخلصين (يمحق الله الربوا) يهلك ويذهب ببركته في الدنيا والآخرة (ويربي) يقبل ويضاعف (الصدقات) الواجبة والتطوع اذا كان لله (والله لايحب كل كفار) كافر جاحد بتحريم الربا (أثيم) فاجر بأكله (أن الذين آمنوا) بالله ورسله وكتبه وبتحريم الربا (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم وتركوا الربا (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس بما يجب فيها (وآتوا الزكوة) أعطوا زكاة أموالهم (لهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) اذا ذبح الموت (ولاهم يحزنون) اذا أطبقت النار (ياأيها الذين آمنوا) يعني ثقيفا ومسعودا وخبيبا وعبد ياليل وربيعة (اتقوا الله) اخشوا الله في الربا (وذروا مابقي من الربوا) اتركوا مابقي لكم من الربا على بني مخزوم

﴿أن كنتم مؤمنين﴾ بقلوبكم فان دليله امتثال ما أمرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت ﴿فأن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أي فاعلموا بها من أذن بالشئ اذا علم به *وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا أى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفئ الى أمر الله كالباغى

فلما كان وقت الجذاد قال صاحب التمر لهما ان أتما أخذتما حقكما لم يبق لى ما يكفى عيالى فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقيل نزلت فى العباس وخالد بن الوليد رضى الله عنهما وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا الى بنى عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله هزيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس ابن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت فى أربعة أخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وخبيب وربيعة بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفى كانوا يداينون بنى المغيرة ابن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفى وطلبوا رباهم من بنى المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطى الربا فى الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب ابن أسيد رضى الله عنه وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم بقضية الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أى خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا أى واتركوا ما بقى من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقى لكم ما فضل على رؤس أموالكم ﴿أن كنتم مؤمنين﴾ يعنى ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا ﴿فأن لم تفعلوا﴾ أى لم تتركوا ما بقى من الربا بعد تحريمه ﴿فآذنوا﴾ *قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله *وقرئ فأذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا ﴿بحرب من الله ورسوله﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعانى حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا فى معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة فى الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من أصر على أكل الربا وعلم به الامام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى أن تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس

والربا (أن كنتم مؤمنين) كاملى الايمان فأن دليل كماله امتثال المأمور به (فأن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فاعلموا بها من أذن بالشئ اذا علم يؤيده قراءة الحسن فايقنوا فآذنوا حمزة وأبو بكر غير ابن غالب فاعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لان هذا أبلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة

(أن كنتم مؤمنين) اذ كنتم مصدقين بتحريم الربا (فأن لم تفعلوا) لم تتركوا الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فاستعدوا للعذاب من الله فى الآخرة بالنار ولعذاب من رسوله فى الدنيا بالسيف

ولايقتضى كفره روى انهالمانزلت قال ثقيف لايدى لنابحرب الله ورسوله ﴿ وأن تبتم ﴾ من الارتباء واعتقاد حله ﴿ فلكم رؤس أموالكم لاتظلمون ﴾ بأخذ الزيادة ﴿ ولاتظلمون ﴾ بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ماقلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فئ ﴿ وان كان ذو عسرة ﴾ وان وقع غريم ذوعسرة *وقرئ ذا عسرة أى وان الغريم ذاعسرة ﴿ فنظرة ﴾ فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهى الانظار *وقرئ فناظره على الخبر فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر أى فسامحه بالنظرة ﴿ الى ميسرة ﴾ يسار *وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة *وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله

ان الخليط اجدوا البين فانجردوا * «واخلفوك عدا الامر الذى وعدوا»

﴿ وأن تصدقوا ﴾ بالابراء *وقرأ عاصم بتخفيف الصاد ﴿ خير لكم ﴾ اكثر ثوابا من الانظار أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة

من كان مقيما على أكل الربا لاينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع أى تاب والا ضرب عنقه ﴿ وأن تبتم ﴾ أى ان تركتم أكل الربا ورجعتم عنه ﴿ فلكم رؤس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون ﴾ يعنى لاتظلمون أنتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولاتظلمون أنتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنوعمرو الثقفى ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لايدان لنا يعنى لاقوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس أموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا أخرونا الى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروهم فانزل الله عزوجل ﴿ وأن كان ذوعسرة ﴾ يعنى وان كان الذى عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال وأعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد مايؤديه فى دينه ﴿ فنظرة ﴾ أى فامهال وتأخير ﴿ الى ميسرة ﴾ أى الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذى يؤديه فى دينه واختلفوا فى حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا أم هو عام فى كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وشريح والضحاك والسدى أن الآية فى الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وأمر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول فى كتابه وان كان ذوا عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذاك فى الربا وان الله تعالى قال فى كتابه ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثانى وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام فى كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذوعسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما فى جميع المعسرين ﴿ وأن تصدقوا خير لكم ﴾ يعنى وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس أموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما

المديونين بطلب الزيادة عليها (ولاتظلمون) بالنقصان منها (وان كان ذوعسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذوعسرة ذو اعسار (فنظرة) فالحكم أو فالامر نظرة أى انظار (الى ميسرة) يسار ميسرة نافع وهما لغتان (وأن تصدقوا) بالتخفيف عاصم أى تتصدقوا برؤس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف أحدى التاءين والتشديد على الادغام (خير لكم) فى القيامة وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لايحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له

(وان تبتم) من الربا (فلكم رؤس أموالكم) التى لكم على بنى مخزوم (لاتظلمون) على احد اذا لم تطلبوا الزيادة (ولاتظلمون) لايظلمكم أحد اذا أعطوكم رؤس أموالكم ويقال لاتظلمون لاتنقصون ولا تظلمون لاتنقصون بديونكم (وان كان) بديونكم بنى مخزوم (ذوعسرة) شدة (فنظرة) فأجلوهم (الى ميسرة) الى ان يتيسروا (وأن تصدقوا) عليهم رؤس أموالكم فهو (خير لكم) من الاخذ والتأخير

والسلام لايحل دين رجل مسلم فيؤخره الاكان له بكل يوم صدقة ﴿أن كنتم تعلمون﴾ مافيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل

﴿ان كنتم تعلمون﴾ يعنى التصدق خيرلكم وأفضل لان فيه الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى

فصل فى ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والامر بقضائه

(م) عن أبى قتادة رضى الله عنه انه طلب غريماله فتوارى عنه ثم وجده فقال انى معسر قال آلله قال آلله قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه (م) عن أبى اليسر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لاظل الا ظله (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه * وعن أبى موسى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبائر التى نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لايدع له قضاء أخرجه أبو داود (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عز وجل عنه ومن أخذ أموال الناس يريد اتلافها أتلفه الله (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظلم * زاد فى رواية واذا اتبع أحدكم على ملئ فليتبع (ق) عن كعب بن مالك رضى الله عنه انه تقاضى ابن أبى حدرد دينا كان له فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يارسول الله فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يارسول الله قال قم فاقضه (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الاسنا فوقها فقال اعطوه فقال أوفيتنى وفاك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان خيركم أحسنكم قضاء * وفى رواية انه أغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم أمر له بافضل من سنه (م) عن أبى قتادة الانصارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد فى سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال فقام رجل فقال يارسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال أرأيت ان قتلت فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لى ذلك * عن محمد

بكل يوم صدقة (أن كنتم تعلمون) أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لايعمل به

(أن كنتم) اذ كنتم (تعلمون) ذلك

وان علمه كأنه لايعلمه

﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ﴾ يوم القيامة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه * وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾ جزاء ماعملت من خير أوشر ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين يوما وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين ﴾ أى اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا وفائدة ذكر الدين أن لايتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وأنه الباعث على الكتبة ويكون مرجع الضمير فاكتبوه ﴿ الى أجل مسمى ﴾ معلوم بالايام والاشهر

ابن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يارسول الله ماهذا التشديد الذى نزل فقال والذى نفسى بيده لو ان رجلا قتل فى سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي وعليه دين مادخل الجنة حتى يقضى عنه دينه أخرجه النسائى * قوله عز وجل ﴿ واتقوا ﴾ أى وخافوا ﴿ يوما ترجعون فيه الى الله ﴾ * قرئ بفتح التاء أى تصيرون فيه الى الله * وقرئ بضم التاء وفتح الجيم أى تردون فيه الى الله ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾ يعنى من خير أو شر ﴿ وهم لايظلمون ﴾ أى فى ذلك اليوم وفى هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول فى يوم الاثنين سنة أحدى عشرة من الهجرة وروى الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آخر آية نزلت آية الربا * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما حرم الربا أباح السلم وقال أشهد ان السلف المضمون الى أجل مسمى قد أحله الله فى كتابه وأذن فيه * وقوله اذا تداينتم أى تعاملتم بالدين أو داين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص أحد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تأكيدا ﴿ الى أجل مسمى ﴾ يعنى الى مدة معلومة الاول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد أو نحوه والاجل يلزم فى الثمن فى البيع وفى السلم حتى لايكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لايلزم فيه الاجل عند أكثر أهل العلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قدم

ترجعون أبو عمرو فرجع لازم ومتعد قيل هى آخر آية نزل بها جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ضعها فى رأس المائتين وثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما أو أحدا وثمانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أى جزاء ما كسبت (وهم لايظلمون) بنقصان الحسنات وزيادة السيآت (ياأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) أى اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا أو آخذا (الى أجل مسمى) مدة معلومة كالحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج وانما احتيج الى ذكر الدين ولم يقل اذا تداينتم الى أجل مسمى ليرجع الضمير اليه فى قوله

(واتقوا يوما) اخشوا عذاب يوم (ترجعون فيه الى الله ثم توفى) توفر (كل نفس) برة وفاجرة (ما كسبت) ماعملت من خير أو شر (وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ثم علمهم ماينبغي لهم فى معاملتهم فقال (ياأيها الذين آمنوا) بالله والرسول (اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى) الى

(فاكتبوه) اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال وانما امر بكتابة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والمعنى

اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والامر للندب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم المضمون الى أجل معلوم فى كتابه وانزل فيه أطول آية وفيه دليل على اشتراط الاجل فى السلم (وليكتب بينكم) بين المتداينين (كاتب بالعدل) هو متعلق بكاتب صفة له أى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه دليل ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجئ مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع واحد من الكتاب (ان يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بان يكتب (فليكتب) تلك

لا بالحصاد وقدوم الحاج ﴿ فاكتبوه ﴾ لانه أوثق وأدفع للنزاع والجمهور على أنه استحباب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾ من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو فى الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ﴿ولا يأب كاتب﴾ ولا يمتنع أحد من الكتاب ﴿أن يكتب كما علمه الله﴾ مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق أو لا يأب أحد أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك ﴿ فليكتب ﴾ تلك الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهى عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهى عن الامتناع

رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى التمر العام والعامين فقال لهم من اسلف فى تمر ففى كيل معلوم أو وزن معلوم الى أجل معلوم * قوله عز وجل ﴿ فاكتبوه ﴾ أى اكتبوا الدين الذى تداينتم به بيعا كان ذلك أو سلما أو قرضا واختلفوا فى هذه الكتابة فقيل هى واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعى واختاره محمد بن جرير الطبرى وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وهو قول الحسن والشعبى والحكم بن عيينة * ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى ﴿ وليكتب بينكم كاتب ﴾ أى ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب ﴿ بالعدل ﴾ أى بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هى حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة أو تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود أو النقص من أصل الدين الذى عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة أمر الله تعالى بها ﴿ ولا يأب ﴾ أى ولا يمتنع ﴿ كاتب أن يكتب ﴾ واختلفوا فى وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لان ظاهر الكلام نهى عن الامتناع من الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من أهلهما وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبى فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضى حاجة أخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التى أنعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴿ كما علمه الله ﴾ أى كما شرعه الله وأمر به ﴿ فليكتب ﴾ وذلك أن يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح أن يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وان يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وأن يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء

وقت معلوم (فاكتبوه) يعنى الدين (وليكتب بينكم) بين الدائن والمديون (كاتب بالعدل) بالقسط (ولا يأب كاتب ان يكتب) بين الدائن والمديون (كما علمه الله) الكتابة (فليكتب) بلا زيادة

(وان)

الكتابة لايعدل عنها (وليملل الذى عليه الحق) ولايكن المملى الامن وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به فيكون ذلك اقرارا على نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان (وليتق الله ربه) وليتق الله الذى عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء فيكون جحودا لكل حقه (ولايبخس منه شيأ) ولاينقص من الحق الذى عليه شيأ فى الاملاء فيكون جحودا لبعض حقه (فأن كان الذى عليه الحق سفيها) أى مجنونا لان السفه خفة فى العقل أو محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أوضعيفا) صبيا (أولايستطيع أن يمل هو) لعى به أوخرس أو جهل باللغة (فليملل وليه) الذى يلى أمره ويقوم به (بالعدل) بالصدق والحق (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض

منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة ﴿ وليملل الذى عليه الحق ﴾ وليكن المملى من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد ﴿ وليتق الله ربه ﴾ أى المملى أوالكتاب ﴿ ولا يبخس ﴾ ولاينقص ﴿ منه شيأ ﴾ أى من الحق أومما املى عليه ﴿ فأن كان الذى عليه الحق سفيها ﴾ ناقص العقل مبذرا ﴿ أوضعيفا ﴾ صبيا أوشيخا مختلا ﴿ أولا يستطيع أن يمل هو ﴾ أوغير مستطيع للاملال بنفسه لخرس أوجهل باللغة ﴿ فليملل وليه بالعدل ﴾ أى الذى يلى أمره ويقوم مقامه من قيم أن كان صبيا أومختل عقل أووكيل أومترجم أن كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة فى الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل ﴿ واستشهدوا شهيدين ﴾ واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان ﴿ من رجالكم ﴾ من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه

وان يحترز من الالفاظ التى يقع النزاع فيها وهذه الامور لاتحصل الالمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء ﴿ وليملل الذى عليه الحق ﴾ يعنى ان المطلوب الذى عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ماعليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك * والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد ﴿ وليتق الله ربه ﴾ يعنى المملى ﴿ ولايبخس ﴾ أى ولاينقص ﴿ منه ﴾ أى من الحق الذى وجب ﴿ شيأ فأن كان الذى عليه الحق سفيها ﴾ أى جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعى السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه ﴿ أو ضعيفا ﴾ يعنى شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته أو جنون ﴿ أولا يستطيع أن يمل هو ﴾ يعنى لخرس أوعى أوعجمة فى كلامه أوحبس أوغيبة لايمكنه الحضور عند الكاتب أويجهل بماله وعليه فهؤلاء كلهم لايصح اقرارهم فلابد من أن يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فليملل وليه ﴾ يعنى ولى كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه يقوم مقامه فى صحة الاقرار وقال ابن عباس رضى الله عنهما أراد بالولى صاحب الدين يعنى ان عجز الذى عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه ﴿ بالعدل ﴾ أى بالصدق ﴿ واستشهدوا شهيدين ﴾ يعنى وأشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد ﴿ من رجالكم ﴾ يعنى من أهل ملتكم يعنى من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول أكثر أهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة * وحجة جمهور العلماء ولا يأب الشهداء اذا مادعوا فهذا نص يقتضى أن من تحمل شهادته وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم يأذن له فى ذلك حرم عليه

ولانقصان الكتاب (وليملل الذى عليه الحق) وليملل أى ليبين المديون على الكاتب مما عليه من الدين (وليتق الله ربه) وليخش المديون ربه (ولايبخس منه شيأ) ولا ينقص ما عليه من الدين شيأ فى الاملاء (فأن كان الذى عليه الحق) يعنى المديون (سفيها) جاهلا بالاملاء (أوضعيفا) عاجزا بالاملاء (أولا يستطيع) لايحسن (أن يمل هو) على الكاتب (فليملل وليه) ولى المال وهو الدائن (قا وخا ٥٦ ل) (بالعدل) بلا زيادة (واستشهدوا) على حقوقكم (شهيدين من رجالكم) من أحراركم حرين مسلمين مرضيين

ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة رضي الله عنه تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض ﴿ فأن لم يكونا رجلين ﴾ فان لم يكن الشاهدان رجلين ﴿ فرجل وامرأتان ﴾ فليشهد أوفالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ لعلمكم بعدالتهم

الذهاب الى أداء الشهادة فوجب ان لايكون العبد من أهل الشهادة ﴿ فأن لم يكونا رجلين ﴾ أى فان لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فرجل وامرأتان﴾ أى فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء مع الرجال جائزة فى الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا فى غير الاموال فذهب سفيان الثورى وأصحاب الرأى الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال فى سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى أن غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعى الى أن مايطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين أوشهادة أربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة فى العقوبات والحدود ❊قوله عزوجل ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ يعنى من كان مرضيا عندكم فى دينه وأمانته والشرائط المعتبرة فى العدالة وقبول الشهادة عشرة وهى الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وان لايجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولايدفع عنه بها مضرة ولايكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لايكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لاتقبل شهادته فالذى يكذب على الله أولى بان ترد شهادته وجوز بعض أهل الرأى شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض ولاتقبل شهادة العبيد وأجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول أنس ولاقول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذلك فقال لاتجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو ان لايكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا على الصغائر والمروءة شرط وهى ماتتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهى حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر فى نفسه شيأ مما يستحى أمثاله من اظهاره فى الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلاتقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم فى حق عدوه لافى حق غيره ولاتقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولاتقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا ❊عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولاذى غمر على أخيه ولامجرب شهادة ولاالقانع أهل البيت لهم ولا ظنين فى ولاء ولاقرابة قال الفزارى القانع التابع أخرجه الترمذى ٭قوله لاتجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة فى الدين والمال والامانة فان من ضيع شيأ من اوامر الله أوارتكب شيأ مما نهى الله عنه لايكون عدلا ٭ والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم

مقبولة عندنا (فأن لم يكونا) فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص (ممن ترضون من الشهداء) ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على ان غير المرضى شاهد

(فأن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) من أهل الثقة

﴿وقيل﴾

(أن تضل أحديهما فتذكر أحديهما الاخرى) لاجل أن تنسى أحداهما الشهادة فتذكرها الاخرى ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد فينتقم الله منه فتذكر مكي وبصرى من الذكر لا من الذكر (ولا يأب الشهداء اذا مادعوا) لاداء الشهادة أو للتحمل لئلا تتوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا

لمايشارف منزلة الكائن فالاول للفرض والثانى للندب (ولا تسأموا) ولا تملوا قال الشاعر * سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم * والضمير فى (ان تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا أو كبيرا) على أى حال كان الحق من صغر أو كبر وفيه دلالة جواز السلم فى الثياب لان مايكال أو يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وانما يقال فى الذرعى ويجوزان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا أو مشبعا (الى أجله) الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) اشارة الى ان تكتبوه لانه فى معنى المصدر أى ذلك الكتب (أقسط) اعدل من القسط وهو العدل (عند الله) ظرف لاقسط (وأقوم للشهادة) واعون على اقامة الشهادة وبنى فعلا التفضيل أى

﴿أن تضل أحديهما فتذكر أحديهما الآخرى﴾ علة اعتبار العدد أى لاجل أن أحداهما أن ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة فى الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح أن يجئ عدو فادفعه وكأنه قيل ارادة ان تذكر أحداهما الاخرى أن ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن * وقرأ حمزة أن تضل على الشرط فتذكر بالرفع * وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ﴿ولا يأب الشهداء اذا مادعوا﴾ لاداء الشهادة أو التحمل وسموا شهداء قبل التحمل تنزيلا لمايشارف منزلة الواقع وما مزيدة ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه﴾ ولا تملوا من كثرة مداينا تكم ان تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب وقيل كنى بالسآمة عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يقول المؤمن كسلت ﴿صغيرا أو كبيرا﴾ صغيرا كان الحق أو كبيرا أو مختصرا كان الكتاب أو مشبعا ﴿الى أجله﴾ الى وقت حلوله الذى أقربه المديون ﴿ذلكم﴾ اشارة الى ان تكتبوه ﴿أقسط عند الله﴾ أكثر قسطا ﴿وأقوم للشهادة﴾

وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة فى جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظاء المتهم * قوله عز وجل ﴿أن تضل أحديهما﴾ أى تنسى أحدى المرأتين ﴿فتذكر أحديهما الاخرى﴾ لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت أحداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكى عن سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أى تجعل أحداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول أصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان * قوله عز وجل ﴿ولا يأب الشهداء اذا مادعوا﴾ يعنى اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا أمر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو أمر ندب فهو مخير فى جميع الاحوال وقال بعضهم هذا فى اقامة الشهادة وأدائها ومعنى الآية ولا يأب الشهداء اذا مادعوا لاداء الشهادة التى تحملوها وقيل الآية فى الامرين جميعا يعنى فى التحمل والاداء والاقامة اذا كان عارفا وقيل الشاهد بالخيار مالم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء ﴿ولا تسأموا﴾ أى ولا تملوا ولا تضجروا ﴿أن تكتبوه﴾ الضمير راجع الى الحق أو الدين ﴿صغيرا﴾ كان ﴿أو كبيرا﴾ يعنى قليلا كان الحق أو الدين أو كثيرا ﴿الى أجله﴾ يعنى الى محل الحق والدين ﴿ذلكم﴾ يعنى ذلك الكتاب ﴿أقسط عند الله﴾ يعنى أعدل عند الله لانه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه ﴿وأقوم للشهادة﴾ يعنى ان الكتابة تذكر الشهود

بالشهادة (أن تضل أحديهما) ان تنسى احدى المرأتين (فتذكر أحديهما) التى لم تنس الشهادة (الاخرى) التى نسيت (ولا يأب الشهداء) عن اقامة الشهادة (اذا مادعوا) الى الحكام (ولا تسأموا) لا تملوا (ان تكتبوه) ان لا تكتبوه يعنى الدين (صغيرا أو كبيرا) قليلا كان أو كثيرا (الى أجله) الى وقته (ذلكم) الذى ذكرت لكم من الكتابة للدين (أقسط عند الله) أصوب وأعدل عند الله (وأقوم للشهادة) أبين للشاهد بالشهادة اذا نسى

أقسط واقوم من اقسط واقام على مذهب سيبويه (وأدنى ألا ترتابوا) واقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع الشك فى المقدار والصفات واذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك وألف أدنى منقلبة من واو لانه من الدنو (الا أن تكون تجارة حاضرة) عاصم أى الا ان تكون التجارة تجارة أو الا ان تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة حاضرة على كان التامة

أى الا ان تقع تجارة حاضرة أو هى ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر (تديرونها) وقوله (بينكم) ظرف لتديرونها ومعنى ادارتها بينهم تعاطيها يدا بيد (فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) يعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لاتكتبوها لانه لايتوهم فيه مايتوهم فى التداين (وأشهدوا اذا تبايعتم) أمر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لانه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف أو أريد به وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر للندب (ولايضار كاتب ولاشهيد) يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضى الله عنه ولايضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضى الله عنهما ولايضارر والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى مايطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا أو لايعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه ﴿الكاتب﴾

وأثبت لها وأعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس أو من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده ﴿ وأدنى ألا ترتابوا ﴾ واقرب فى ان لاتشكوا فى جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك ﴿ الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ﴾ استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين أو عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد أى الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس أن لاتكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان * ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمر تقديره الى أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها أو على كان التامة ﴿ وأشهدوا اذا تبايعتم ﴾ هذا التبايع أو مطلقا لانه أحوط والاوامر التى فى هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ﴿ ولايضار كاتب ولا شهيد ﴾ يحتمل البناءين ويدل عليه أنه قرئ ولايضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة أو النهى عن الضرار بهما مثل أن يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما

﴿ وأدنى ألا ترتابوا ﴾ يعنى وأحرى وأقرب الى أن لاتشكوا فى الشهادة ﴿ الا أن تكون تجارة حاضرة ﴾ أى الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد ﴿ تديرونها بينكم ﴾ أى فيما بينكم ليس فيها أجل ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أى لاضرر عليكم ﴿ ألا تكتبوها ﴾ يعنى التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى فى الكتابة والاشهاد فى هذا النوع من التجارة لكثرة مايجرى بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه فى ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد ﴿ وأشهدوا اذا تبايعتم ﴾ يعنى فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا فى هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب أن يشهد فى صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته وقيل هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولايضار كاتب ولاشهيد ﴾ هذا نهى عن المضارة وأصله يضارر بكسر الراء الاولى ومعناه لايضار

(وأدنى) أحرى لكم (ألا ترتابوا) تشكوا بالدين والاجل (الا أن تكون تجارة حاضرة) حالة (تديرونها بينكم) يدا بيد (فليس عليكم جناح) حرج (ألا تكتبوها) يعنى التجارة (واشهدوا اذا تبايعتم) بالاجل (ولايضار كاتب) بالكتابة (ولاشهيد) بالشهادة أى لاتجبروهما

من بلد (وأن تفعلوا) وان تضاروا (فأنه) فان الضرار (فسوق بكم) مأثم (واتقوا الله) فى مخالفة أوامره (ويعلمكم الله) شرائع دينه (والله بكل شئ عليم) لايلحقه سهو ولا قصور (وأن كنتم) أيها المتداينون (على سفر) مسافرين (ولم تجدوا كاتبا فرهن) فرهان مكي وأبو عمرو أى فالذى يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال ورهن فى الاصل مصدر سمى به ثم كسر تكسير الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعواز الكتب والاشهاد أمر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد لان السفر شرط تجويز الارتهان وقوله (مقبوضة) يدل على اشتراط القبض لا كما زعم مالك ان الرهن يصح بالايجاب والقبول

حد لهما ولايعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان ﴿وأن تفعلوا﴾ الضرار وما نهيتم عنه ﴿فأنه فسوق بكم﴾ خروج عن الطاعة لاحق بكم ﴿واتقوا الله﴾ فى مخالفة أمره ونهيه ﴿ويعلمكم الله﴾ أحكامه المتضمنة لمصالحكم ﴿والله بكل شئ عليم﴾ كرر لفظة الله فى الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية ﴿وأن كنتم على سفر﴾ أى مسافرين ﴿ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة﴾ فالذى يستوثق به رهان أو فعليكم رهان أو فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك رحمهما الله لانه عليه الصلاة والسلام رهن درعه فى المدينة من يهودى على عشرين صاعا من شعير أخذه لاهله بل لاقامة التوثيق للارتهان مقام التوثيق بالكتابة فى السفر الذى هو مظنة أعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون * وقرئ باسكان الهاء

الكاتب فيأبى أن يكتب والشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ماأملى عليه فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق وكذلك الشاهد وقيل أصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعى ان الله أمركما أن تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وأمر أن يطلب غيرهما ﴿وأن تفعلوا﴾ يعنى مانهيتم عنه من الضرار ﴿فأنه فسوق بكم﴾ أى معصية وخروج عن الامر ﴿واتقوا الله﴾ أى خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها ﴿ويعلمكم الله﴾ يعنى مايكون ارشادا لكم فى أمر الدنيا كما يعلمكم مايكون ارشادا لكم فى أمر الدين ﴿والله بكل شئ عليم﴾ يعنى ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لايخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل ﴿وأن كنتم على سفر﴾ أى فى سفر ﴿ولم تجدوا كاتبا﴾ يعنى ولم تجدوا آلات الكتابة ﴿فرهن﴾ جمع رهن * وقرئ فرهان ﴿مقبوضة﴾ يعنى فارتهنوا ممن تدينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم بأموالكم وأصل الرهن الدوام يقال رهن الشئ اذا دام وثبت والرهن ماوضع عند الانسان مما ينوب مناب ماأخذ منه دينا * فأن قلت لم شرط الارتهان فى السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند أبى الشحم اليهودى على طعام أخذه الى أجل ولم يكن ذلك فى سفر ولا عند عدم كاتب * قلت ليس الغرض تجويز الارتهان فى السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد أمر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن فى الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لايجوز الا فى السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وأجاب الجمهور عن ظاهر

على ذلك (وأن تفعلوا) الضرار (فأنه فسوق بكم) معصية منكم (واتقوا الله) أى اخشوا الله فى الضرار (ويعلمكم الله) مايصلح لكم فى المعاملة (والله بكل شئ) من صلاحكم وغيره (عليم وأن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا) أو آلة الكتابة (فرهان مقبوضة) فليقبض الدائن من المدين

بدون القبض (فأن أمن بعضكم بعضا) فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن (فليؤد الذى ائتمن أمانته) دينه وائتمن افتعل من الامن وهو حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وائتمانه له وان يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه (وليتق الله ربه) فى انكار حقه (ولاتكتموا الشهادة) هذا خطاب للشهود (ومن يكتمها فانه آثم قلبه)ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كأنه قيل فانه يأثم قلبه أو بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان وانما أسند الى القلب وحده والجملة هى الآثمة لا القلب وحده لان كتمان الشهادة أن يضمرها فى القلب ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا مكتسبا بالقلب أسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التى يعمل بها أبلغ كما تقول هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى ومما عرفه قلبى ولان القلب رئيس الاعضاء والمضغة التى ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم فى أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ولان أفعال القلوب أعظم من افعال سائر الجوارح ألا ترى ان أصل الحسنات والسيآت الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما (على) أكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان

على التخفيف ﴿ فان أمن بعضكم بعضا ﴾ أى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بأمانته عن الارتهان ﴿ فليؤد الذى ائتمن أمانته ﴾ أى دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء والذى اتمن بادغام الياء فى التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم ﴿ وليتق الله ربه ﴾ فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ﴿ ولاتكتموا الشهادة ﴾ أيها الشهود أو المديونون والشهادة شهادتهم على أنفسهم ﴿ ومن يكتمها فانه آثم قلبه ﴾ أى يأثم قلبه أو قلبه يأثم والجملة خبر أن واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية أو للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله أعظم الافعال وكأنه قيل تمكن الاثم فى نفسه وأخذ

الآية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لايتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعنى ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لايتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لايجوز له أن يسترجعه مادام شئ من الحق باقيا * قوله عز وجل ﴿ فأن أمن بعضكم بعضا ﴾ يعنى فان كان الذى عليه الحق أمينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيأ لحسن ظنه به ﴿ فليؤدى الذى ائتمن أمانته ﴾ يعنى فليؤد المديون الذى عليه الحق الذى كان أمينا فى ظن الدائن الذى هو صاحب الحق أمانته يعنى حقه سمى الدين أمانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه حيث أمن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن الذى ائتمنه وان يؤدى اليه حقه الذى ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيأ ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله ﴿ وليتق الله ربه ﴾ أى المديون فى أداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى ﴿ ولاتكتموا الشهادة ﴾ يعنى اذا دعيتم الى اقامتها وأدائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ فى الوعيد عليه فقال تعالى ﴿ ومن يكتمها ﴾ يعنى الشهادة ﴿ فأنه آثم قلبه ﴾ أى فاجر قلبه والآثم الفاجر وانما أضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعى والصوارف انما تحدث فى القلب فلما كان الامر كذلك أضيف الاثم الى القلب قيل ما أوعد الله

رهنا بدينه (فأن أمن بعضكم بعضا) بالدين بلا رهن (فليؤد الذى ائتمن) بالدين (أمانته) حق صاحبه (وليتق الله ربه) وليخش المديون ربه فى اداء الدين (ولاتكتموا الشهادة) عند الحكام (ومن يكتمها) يعنى الشهادة (فأنه آثم قلبه) فاجر قلبه

الشهادة (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واظهارها (عليم) لايخفى عليه شئ (لله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا (وأن تبدوا مافى أنفسكم أوتخفوه) يعنى من السوء (يحاسبكم به الله) يكافئكم ويجازكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مماليس فى وسعه الخلو منه ولكن مااعتقده وعزم عليه والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما اذاهم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع عنه بمانع ليس باختياره فانه لايعاقب على ذلك عقوبة فعله أى بالعزم على الزنا لايعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه السلام ان الله عفا عن أمتى ماحدثت به أنفسها مالم تعمل أوتتكلم به والجمهور على ان الحديث فى الخطرة دون العزم وان المؤاخذة فى العزم ثابتة واليه مال الشيخ أبو منصور وشمس الأئمة الحلوانى رحمهما الله والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الآية وعن عائشة رضى الله عنها ماهم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن فى الدنيا وفى أكثر التفاسير انه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضى الله عنهم وقالوا أنؤاخذ بكل ماحدثت به انفسنا فنزل قوله آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفى بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون على ان النسخ يكون فى الاحكام لافى الاخبار

اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ تهديد ﴿ لله مافى السموات ومافى الارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ وأن تبدوا مافى أنفسكم أوتخفوه ﴾ يعنى مافيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض

على شئ كما يعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك ﴿ والله بما تعملون عليم) يعنى من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها * قوله عز وجل ﴿ لله مافى السموات ومافى الارض ﴾ ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكهم ﴿ وأن تبدوا مافى أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله ﴾ وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التى ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف مالا يطاق * وأجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة فى القلب على قسمين فمنها ماوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثانى مايخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا فى وجه تخصيصها فقال بعضهم هى متصلة بالآية التى قبلها وانما نزلت فى كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا مافى أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أوتخفوه أى تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب قضية فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا أى تظهروا مافى أنفسكم يعنى من ولاية الكفار أوتخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب أكثر العلماء الى أن الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هى منسوخة بالآية التى بعدها ويدل عليه ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله مافى السموات ومافى الارض وان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا أى رسول الله كلفنا من الاعمال مانطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولانطيقها فقال رسول الله

(والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واقامتها (عليم لله مافى السموات وما فى الارض) من الخلق والعجائب يأمر عباده بمايشاء (وأن تبدوا) تظهروا (مافى أنفسكم) مافى قلوبكم وهو حديث النفس بعد الوسوسة قبل الابداء (أو تخفوه) تسروه (يحاسبكم) يجازكم (به الله) وكذلك النسيان بعد الذكر والخطأ بعد الصواب والاستكراه بعد الاجتهاد

صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتم أنزل الله تعالى في أثرها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عزوجل فانزل الله تعالى لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم أخرجه مسلم* وله عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ماحدثت به أنفسها مالم يعملوا به أو يتكلموا به * وفي رواية ماوسوست به صدورها* وقال قوم ان الآية غير منسوخة لان النسخ لايرد الا على الامر والنهي ولايرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلايرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد أسر عملا أو أعلنه من حركة جارحة أو همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر مايشاء ويعذب بمايشاء * وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ماأبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ماأخفوه أخف مما لم يعملوا به وهو مايحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة ❊عن أمية أنها سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عزوجل وان تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوأ يجز به فقالت ماسألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ❊ وله عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة * وقال قوم في معنى الآية وان تبدوا مافي أنفسكم يعني مما عزمتم عليه أو تخفوه أي ولاتبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس ممالم تعزموا عليه فان ذلك مما لايكلف الله نفسا الا وسعها ولايؤاخذ به قال عبدالله بن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما أخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل مافي الضمائر والسرائر مما ظهر أو خفي ومعنى الآية وان تبدوا مافي أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله أي يخبركم به ويعرفكم أياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين أظهارا لعدله يروى عن ابن عباس رضي الله

(عنهما)

﴿ فيغفر لمن يشاء ﴾ مغفرته ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغيرفاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل أو الاشتمال كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وادغام الراء فى اللام لحن اذ الراء لاتدغم الا فى مثلها ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على الاحياء والمحاسبة ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ﴾ شهادة وتنصيص من الله سبحانه وتعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وأنه جازم فى أمره غير شاك فيه ﴿ والمؤمنون كل

عنهما ويدل عليه أنه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه أيضا ماروى عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرنى ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسابه وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أخرجاه فى الصحيحين * قوله عز وجل ﴿ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ يعنى انه تعالى قادر على كل شئ كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا * قوله عز وجل ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شئ لم يدخل من شئ فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله فى هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد وأقاصيص الانبياء وماذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة مافيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله عز وجل ﴿ والمؤمنون ﴾ أى وصدق المؤمنون بذلك أيضا ﴿ كل ﴾ أى كل واحد من المؤمنين

(فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) برفعهما شامى وعاصم أى فهو يغفر ويعذب وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالادغام أبو عمرو وكذا فى الاشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ لان الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولايجوز ادغام المضاعف وراويه عن أبى عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى أعلم الناس بالعربية مايؤذن بجهل عظيم (والله على كل شئ) من المغفرة والتعذيب وغيرهما (قدير) قادر (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون) ان عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه فى (كل) راجعا الى الرسول والمؤمنون أى كلهم

(فيغفر لمن يشاء) من تاب من سائر الذنوب (ويعذب من يشاء) من لم يتب (والله على كل شئ) من المغفرة والعذاب (قدير) فلما نزلت هذه الآية اشتد على المؤمنين ما فى هذه الآية فلما عرج النبى صلى الله عليه وسلم الى السماء سجد لربه فقال الله مدحا لنبيه (آمن الرسول) صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (بما انزل اليه من ربه) يعنى القرآن ومافيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم عبارة عن الله (والمؤمنون كل) اى كل

ثانيا والتقدير كل منهم ومن خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر الاول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلى يعنى القرآن أو الجنس (لانفرق) أى يقولون لانفرق بل نؤمن بالكل (بين أحد من رسله) أحد فى معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل الا على اسم يدل على أكثر من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد (وقالوا سمعنا) أجبنا قولك (وأطعنا) أمرك (غفرانك) أى اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر (ربنا واليك المصير) المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان الاستثناء فى الايمان وعلى بقاء الايمان

آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ لايخلو من أن يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه أولان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال * وقرأ حمزة والكسائى وكتابه يعنى القرآن أو الجنس والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب ﴿ لانفرق بين أحد من رسله ﴾ أى يقولون لانفرق * وقرأ يعقوب لايفرق بالياء على أن الفعل لكل * وقرئ لايفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل أتوه داخرين وأحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب ﴿ وقالوا سمعنا ﴾ اجبنا ﴿ وأطعنا ﴾ أمرك ﴿ غفرانك ربنا ﴾ اغفر لنا غفرانك أو نطلب غفرانك ﴿ واليك المصير ﴾ المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث

﴿ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ فهذه أربع مراتب من أصول الايمان وضرورياته * فاما الايمان بالله فهو أن يؤمن بان الله واحد أحد لاشريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حى عالم قادر على كل شئ * وأما الايمان بالملائكة فهو ان يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله * واما الايمان بكتبه فهو ان يؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هى وحى الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه * وأما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وأمناؤه على وحيه وانهم معصومون وانهم أفضل الخلق وان بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لانفرق بين أحد من رسله وأجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شئ آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله ﴿ لانفرق بين أحد من رسله ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفى الآية اضمار تقديره وقالوا يعنى المؤمنين لانفرق بين أحد من رسله ﴿ وقالوا سمعنا وأطعنا ﴾ يعنى سمعنا قولك وأطعنا أمرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما أمرنا به واطعناه فيما الزمناه من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه ﴿ غفرانك ربنا ﴾ أى نسألك غفرانك ربنا أو يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا ﴿ واليك المصير ﴾ يعنى قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ﴿ذنوبنا﴾

واحد منهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله) يقولون لانكفر باحد من رسله (وقالوا) ايضا (سمعنا) قول ربنا (وأطعنا) أمر ربنا أى سمعا وطاعة لربنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم (غفرانك) نسألك المغفرة عن حديث النفس (ربنا) يا ربنا (واليك المصير) المرجع بعد الموت

لمرتكب الكبائر (لا يكلف الله نفسا) محكي عنهم أو مستأنف (الا وسعها) الا طاقتها وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التأويلات

وقال صاحب الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان في طاقة الانسان أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان الافتعال للانكماش والنفس تنكمش في الشر وتتكلف للخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) تركنا أمرا من أوامرك سهوا (أو أخطأنا) ودل هذا على جواز المؤاخذة في النسيان والخطأ

﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾ الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة أو ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله سبحانه وتعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه ﴿لها ما كسبت﴾ من خير ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت أجد في تحصيله وأعمل بخلاف الخير ﴿ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا﴾ أي لا تؤاخذنا بما أدى بنا الى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة أو بأنفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما أن تناولها يؤدي الى الهلاك وأن كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد أن يفضي الى العقاب وأن لم يكن عزيمة لكنه سبحانه وتعالى وعد التجاوز عنه رحمة

ذنوبنا * روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير * قوله عز وجل ﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾ قيل يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مالم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم مالا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق ﴿لها ما كسبت﴾ يعني للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ يعني من الشر عليها وزره وعقابه وقيل في معنى الآية ان الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره * قوله عز وجل ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا أي لا تعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسيء قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكأنه اعدل عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به ﴿ان نسينا أو أخطأنا﴾ فيه وجهان أحدهما انه من النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما أمروا به

فقال الله (لا يكلف الله نفسا) من الطاعة (الا وسعها) الا طاقتها (لها ما كسبت) من الخير وترك حديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه (وعليها ما اكتسبت) من الشر وحديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه ثم علمهم كيف يدعون ربهم حتى يرفع عنهم حديث النفس والخطأ والنسيان والاستكراه فقال لهم قولوا (ربنا) يا ربنا (لا تؤاخذنا ان نسينا) طاعتك (أو أخطأنا) في أمرك

وفضلا فيجوز أن يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ﴿ ربنا ولا تحمل علينا اصرا ﴾ عبأ ثقيلا يأصر صاحبه أى يحبسه فى مكانه يريد به التكاليف الشاقة * وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ حملا مثل حملك اياه من قبلنا أو مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو أسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى اليوم والليلة وصرف ربع

أو أخطؤا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شئ مما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك * فأن قلت أليس فعل الناسى فى محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء * قلت الجواب عنه من وجوه * الاول ان النسيان على ضربين أما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فأخر أزالته عنه ثم نسى فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذا كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما أمر بفعله على وجه السهو أو ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كاكل آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة التى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفو له عن ذلك وأما الضرب الثانى فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها أو ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان * الوجه الثانى من الجواب ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم مالا ينبغى فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى * وأما الخطأ فى قوله أو أخطأنا فعلى وجهين أيضا * أحدهما ان يأتى العبد ما نهى عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذى ارتكبه * الوجه الثانى أن يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بأن له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو فى يوم غيم فأخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله ﴿ ربنا ولا تحمل علينا اصرا ﴾ يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ يعنى اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض

(عليهم)

خلافا للمعتزلة لامكان التحرز عنهما فى الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عبأ يأصر حامله أى يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثواب وغير ذلك (كما حملته على الذين من قبلنا) كاليهود

(ربنا) يا ربنا (ولا تحمل علينا اصرا) عهدا تحرم علينا الطيبات بتركنا ذلك (كما حملته) حرمته (على الذين من قبلنا) من بنى اسرائيل بنقضهم عهدك فى الطيبات لحوم الابل وشحوم البقر والغنم وغير

المال للزكاة أوما أصابهم من الشدائد والمحن ﴿ ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنابه ﴾ من البلاء والعقوبة أومن التكاليف التى لاتفى بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بمالايطاق والالماسئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثانى ﴿ واعف عنا ﴾ وامح ذنوبنا ﴿ واغفرلنا ﴾ واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة ﴿ وارحمنا ﴾ وتعطف بناوتفضل علينا ﴿ أنت مولانا ﴾ سيدنا ﴿ فانصرناعلى القوم الكافرين ﴾فان من حق المولى أن ينصر مواليه على الاعداء أوالمراد به عامة الكفرة روى أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له

عليهم خمسين صلاة وأمرهم باداءربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنباأصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوهذا من الاثقال والآصارالتى كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن أمثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقدأجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وماجعل عليكم فى الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لاتوبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله ﴿ ربناولاتحملنامالا طاقة لنابه ﴾ يعنى لاتكلفنا من الاعمال مالانطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف مالا يطاق على وجهين أحدهما ماليس فى قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذى لايكلف الله به عبده بحال الوجه الثانى من تكليف مالايطاق هو مافى قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان فى ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذاالذى سأل المؤمنون ربهم لايحملهم مالاطاقة لهم به واستدل بهذ الآية من يقول ان تكليف مالايطاق جائز اذ لولم يكن جائزالماحسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل فى قوله ولاتحملنا مالاطاقة لنابه هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هوالحب وقيل هوشماتة الاعداءوقيل هو الفرقةوالقطيعة وقيل هومسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله ﴿ واعف عنا ﴾ أى تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا ﴿ واغفرلنا ﴾ أى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿ وارحمنا ﴾ أى تغمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لاننال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجردوالتفضل على العبادون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كأن العبد يقول أطلب منك العفو واذا عفوت عنى فاستره على فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التى هى الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب ﴿ أنت مولانا ﴾ أى ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولى أمورنا ﴿ فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ يعنى الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى

عن قبلنا (واعف عنا) امح سيآتنا (واغفرلنا) واستر ذنوبناوليس بتكرار فالاول للكبائر والثانى للصغائر (وارحمنا) بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا والاول من المسخ والثانى من الخسف والثالث من الغرق (أنت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك اوناصرنا أومتولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فمن حق المولى أن ينصرعبيده فى الحديث من قرأ آمن الرسول الى آخره فى ليلة كفتاه وفيه من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام

ذلك (ربنا) ياربنا (ولا تحملنا) أى لاتحمل علينا أيضا (مالاطاقة لنا به) مالاراحةلنا فيه ولامنفعة وهوالاستكراه (واعف عنا) ذلك (واغفرلنا) ذلك (وارحمنا) بذلك (أنت مولانا) اولى بنا (فانصرنا على القوم الكافرين) ويقال واعف عنا من المسخ كما مسخت قوم عيسى واغفرلنا من الخسف كما خسفت بقارون وارحمنا من القذف كما قذفت قوم لوط فلما دعوا بهذا الدعاء رفع الله عنهم حديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه وعفى

عندكل كلمة قدفعلت * وعنه عليه الصلاة والسلام أنزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل يارسول الله وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لاتؤاخذنا ان نسينا أوأخطأنا قال لاأؤاخذكم ربنا ولاتحمل علينا اصرا قال لاأحمل عليكم ولاتحملنا مالا طاقة لنابه قال لاأحملكم واعف عنا واغفرلنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهي مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي مايهبط من فوقها فيقبض منها قال اذيغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لايشرك بالله من أمته شيأ المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار وأصل الاقحام الولوج (ق) عن أبي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل مايحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذسمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الااليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الااليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الاأعطيته * عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب لنا كتابا قبل أن يخلق السموات والارض بألفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولايقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

* تفسير سورة آل عمران *

مدنية وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا

الليل ويجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أوقرأت البقرة لماروى عن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة والله أعلم

سورة آل عمران نزلت بالمدينة وهي مائتا آية

عنهم من الخسف والمسخ والقذف ولمن اتبعهم بذلك

ومن سورة التي يذكر فيها آل عمران وهي

كلها مدنية آياتها مائتا آية وكلماتها ثلاث آلاف وأربعمائة وستون وحروفها أربعة عشر ألفا وخمسمائة وخمس وعشرون

(بسم)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ألم الله) حركت الميم لالتقاء الساكنين أعنى سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالى الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها اذلو كان كذلك لوجب فتحها فى حم ولا يصح ان يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك الهمزة همزة وصل تسقط فى الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز اثباتها واثباتها غير جائز وأسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا الالف والباقون بوصل الالف وفتح الميم والله مبتدأ (لااله الاهو) خبره وخبر لا مضمر والتقدير لااله فى الوجود الاهو وهو فى موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه (الحى القيوم) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحى أو بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم الله لااله الاهو ﴾ أنما فتح الميم فى المشهور وكان حقها أن يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرك الميم فى لام. وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين. وقرأ ابوبكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل ﴿ الحى القيوم ﴾ روى أنه عليه الصلاة والسلام قال أن اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة الله لااله الاهو الحى القيوم وفى آل عمران الله لااله الا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل ﴿ ألم الله لااله الاهو الحى القيوم ﴾ قال المفسرون نزلت هذه الآية فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يؤل أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذى لايصدرون الاعن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم بمالهم وصاحب رحلهم الذى يقوم بأمر طعامهم وشرابهم وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده فى دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلى العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وأردية يقول من رآهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مارأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون انه لايكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حى لايموت وان عيسى يأتى عليه الموت قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الاما علم قالوا لا قال ألستم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لايأكل ولايشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد ألست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا الا جحودا فانزل الله ردا عليهم الم الله لااله الاهو يعنى ان

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وباسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ألم) يقول انا الله أعلم بخبر وفد بنى نجران ويقال قسم أقسم به ان الله واحد لاولد له ولا شريك له (الله لااله الاهو الحى) الذى لايموت ولايزول (القيوم) القائم

هوالحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم ﴿نزل عليك الكتاب﴾ القرآن نجوما ﴿بالحق﴾ بالعدل أوبالصدق فى اخباره أوبالحجج المحققة أنه من عندالله وهو فى موضع الحال ﴿مصدقا لمابين يديه﴾ من الكتب ﴿وأنزل التورية والانجيل﴾ جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك أنه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهوليس من ابنية العرب * وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان والكسائى التوراة بالامالة فى جميع القرآن * ونافع وحمزة بين اللفظين الاقالون فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين ﴿من قبل﴾ من قبل تنزيل القرآن ﴿هدى للناس﴾ على العموم أن قلنا انامتعبدون بشرائع من قبلنا والافالمراد به قومهما ﴿وأنزل الفرقان﴾ يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ماعداها كأنه قال وأنزل سائر مايفرق به بين الحق والباطل أوالزبور أوالقرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث أنه يشاركهما فى كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز

كانت منازعتكم يامعشر النصارى فى معرفة الاله فهوالله الذى لااله الاهو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان أحدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولاله ولد ثم اتبع ذلك بما يجرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحى القيوم * أما الحى فى صفة الله تعالى فهو الدائم الباقى الذى لا يصح عليه الموت * وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه فى معاشهم ومعادهم ﴿نزل عليك الكتاب﴾ يعنى القرآن ﴿بالحق﴾ أى بالصدق والعدل ﴿مصدقا لمابين يديه﴾ يعنى لماقبله من الكتب فى التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان مابين يديه فهو امامه فقيل لكل شئ تقدم على الشئ هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره ﴿وأنزل التورية والانجيل من قبل﴾ أى من قبل القرآن * فأن قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل * قلت لان القرآن نزل منجما مفصلا فى أوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وأنزل التوراة والانجيل جملة واحدة ﴿هدى للناس﴾ يعنى ان انزال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس * فأن قلت كيف وصف القرآن فى أول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس * قلت انما وصف القرآن بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوارة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرائع والاحكام ﴿وأنزل الفرقان﴾ يعنى الفارق بين الحق والباطل قيل أراد به القرآن وانما أعاد ذكره تعظيما لشأنه ومدحاله لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما أعاد ذكره ليبين انه تعالى أنزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين مااختلف فيه اليهود

كل نفس بما كسبت (نزل) أى هو نزل (عليك الكتاب) القرآن (بالحق) حال أى نزله حقا ثابتا (مصدقا لمابين يديه) لماقبله (وأنزل التورية والانجيل) هما اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة (من قبل) من قبل القرآن (هدى للناس) لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس (وأنزل الفرقان) أى جنس الكتب لان الكل يفرق بين الحق والباطل أو الزبور أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له

الذى لابدءله (نزل عليك الكتاب) جبريل بالكتاب (بالحق) لتبيان الحق والباطل (مصدقا) موافقا بالتوحيد (لما بين يديه) لماقبله من الكتب (وأنزل التورية) جملة على موسى ابن عمران (والانجيل) جملة على عيسى ابن مريم (من قبل) من قبل محمد والقرآن (هدى للناس) لبنى اسرائيل من الضلالة (وأنزل الفرقان) على محمد

{والنصارى}

يفرق بين المحق والمبطل أو المعجزات ﴿ أن الذين كفروا بآيات الله ﴾ من كتبه المنزلة وغيرها ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ بسبب كفرهم ﴿ والله عزيز ﴾ غالب لايمنع من التعذيب ﴿ ذوانتقام ﴾ لايقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جئ به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ماهو العمدة فى اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ﴿ أن الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولافى السماء ﴾ أى شئ كائن فى العالم كليا كان أوجزئيا أيمانا أوكفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لايتجاوزهما وأنما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر مااقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله ﴿ هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء ﴾ أى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية

والنصارى فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدى فى الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس ﴿ أن الذين كفروا بآيات الله ﴾ يعنى الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لايمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشئ من آيات الله تعالى ﴿ لهم عذاب شديد والله عزيز ﴾ أى غالب لايغلب ﴿ ذوانتقام ﴾ يعنى ممن كفر به والانتقام المبالغة فى العقوبة ❁ قوله عزوجل ﴿ أن الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولافى السماء ﴾ أى لايخفى عليه شئ من أمر العالم وهو المطلع على أحوالهم فقوله ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولافى السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات ﴿ هو الذى يصوركم فى الارحام ﴾ التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشئ بالتأليف والارحام جمع رحم ﴿ كيف يشاء ﴾ يعنى الصور المختلفة المتفاوتة فى الخلقة ذكرا أوأنثى أبيض أوأسود حسنا أوقبيحا كاملا أوناقصا والمعنى انه الذى يصوركم فى ظلمات الارحام صورا مختلفة فى الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك باربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أوسعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذى لااله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضى خلقها قال يارب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الاجل فكتب له ذلك فى بطن أمه وقيل ان الآية واردة فى الرد على النصارى وذلك

تفخيما لشأنه (أن الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد والله عزيز ذوانتقام) ذوعقوبة شديدة لايقدر على مثلها منتقم (أن الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) أى فى العالم فعبر عنه بالسماء والارض أى هو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء)

متفرقا بالحلال والحرام (أن الذين كفروا بآيات الله) بمحمد والقرآن وهم وفد بنى نجران (لهم عذاب شديد) فى الدنيا والآخرة (والله عزيز) منيع بالنقمة (ذوانتقام) ذونقمة منهم (أن الله لايخفى عليه شئ فى الارض) من خبر وفد بنى نجران (ولا فى السماء) من خبر الملائكة (هو الذى يصوركم) يخلقكم (فى الارحام كيف يشاء) قصيرا أوطويلا حسنا أوقبيحا ذكرا أوأنثى

من الصور المختلفة (لااله الاهو العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تدبيره روى انه قدم وفد بنى نجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقفهم وحبرهم أبو حارثة خاصموا فى أن عيسى ان لم يكن ولد الله فمن أبوه فقال عليه الصلاة والسلام ألستم تعلمون انه لايكون ولد الاوهويشبه أباه قالوا بلى قال ألم تعلموا ان الله تعالى حى لايموت وعيسى يموت وان ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لايقدر على ذلك وانه لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وعيسى لايعلم الاماعلم وانه صور عيسى فى الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته وكان يأكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية (هو الذى أنزل عليك الكتاب) القرآن (منه) من الكتاب (آيات محكمات) أحكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها (وأخر) وآيات أخر (متشابهات) مشتبهات محتملات ومثل ذلك الرحمن

شقيا أوسعيدا (لااله) لامصور ولاخالق (الا هو العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن به (الحكيم) بتصوير مافى الارحام (هو الذى أنزل عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (منه) من القرآن (آيات محكمات) مبينات بالحلال والحرام (ولا) لم تنسخ يعمل بها (هن أم الكتاب) أصل الكتاب وامام فى كل كتاب يعمل بها نحو قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم الآية (وأخر متشابهات) مااشتبهت على اليهود من نحو حساب الجمل مثل ألم ألمص ق ألمر وألر ويقال منسوخات لايعمل بها

والاستدلال على أنه عالم باتقان فعله فى خلق الجنين وتصويره *وقرئ تصوركم أى صوركم لنفسه وعبادته ﴿ لااله الاهو ﴾ اذلايعلم غيره جملة مايعلمه ولايقدر على مثل مايفعله ﴿ العزيز الحكيم ﴾ اشارة الى كمال قدرته وتناهى حكمته وقيل هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا فأن وفد نجران لماحاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من أولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لمااحتج به عليهم وأجاب عن شبههم ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ أحكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال والاحتمال ﴿ هن أم الكتاب ﴾ أصله يرد اليها غيرها والقياس أمهات فافرد على تأويل كل واحدة أوعلى أن الكل بمنزلة آية واحدة ﴿ وأخر متشابهات ﴾ محتملات لايتضح مقصودها لاجمال أومخالفة ظاهر الابالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد

ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول أكلت فى دارك كذا صنعت كذا وانه أحيي الموتى وأبرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ماقدر على ذلك الاأنه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك وأخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هوالذى لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وانه المصور فى الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه الصلاة والسلام ممن صوره فى الرحم فنبه بكونه مصورا فى الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه مالا يخفى على الله عزوجل ﴿لااله الاهو العزيز الحكيم﴾ وهذا أيضا فى الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كأنه قال كيف يكون والدا له وقد صوره الله فى الرحم * قوله عزوجل ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب﴾ يعنى القرآن ﴿منه آيات محكمات﴾ يعنى مبينات مفصلات أحكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كأنه تعالى أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها ﴿هن أم الكتاب﴾ يعنى هن أصل الكتاب الذى يعول عليه فى الاحكام ويعمل به فى الحلال والحرام * فأن قلت كيف قال هن أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب * قلت لان الآيات فى اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شئ واحد وقيل ان كل آية منهن أم الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمه آية يعنى ان كل واحد منهما آية ﴿وأخر﴾ جمع أخرى ﴿متشابهات﴾ يعنى أن لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه * فأن قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله فى موضع آخر كله محكما فقال فى أول هود ألر كتاب أحكمت آياته وجعله فى موضع آخر كله متشابها فقال تعالى فى الزمر الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات * قلت حيث جعله كله محكما أراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث

حرصهم على أن يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله تعالى كتابا متشابها فمعناه أنه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ * وأخر جمع أخرى وأنما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه أن القياس أن يعرف ولم يعرف لأنه فى معنى المعرف أو عن

ولا هزل وحيث جعله كله متشابها أراد ان بعضه يشبه بعضا فى الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما المحكمات الثلاث آيات التى فى آخر سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ونظيرها فى بنى اسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمة هى الناسخ والمتشابهات هى الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدى وقيل ان المحكمات مافيه أحكام الحلال والحرام والمتشابهات ماسوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما أطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم مالا يحتمل من التأويل الاوجها واحدا والمتشابه مايحتمل أوجها وروى ذلك عن الشافعى وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هى الحروف المقطعة فى أوائل السور قال ابن عباس رضى الله عنهما ان رهطا من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا أنك أنزل عليك ألم فانشدك الله أأنزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فأنى أعلم مدة ملك أمتك هى أحدى وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم ألمص قال فهذه أكثر هى أحدى وستون ومائة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم ألر قال هذه أكثر هى مائتان وأحدى ثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم ألمر قال هذه أكثر هى مائتان وأحدى وسبعون سنة ولقد اختلط علينا فلا ندرى أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه وقيل ان المحكم مالم تتكرر ألفاظه والمتشابه ماتكررت ألفاظه وقيل أن المحكم مااستقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه مااحتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهى والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والامثال * فأن قلت انما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما * قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة * أحدها ان القرآن أنزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين أحدهما الايجاز للاختصار والموجز الذى لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثانى المجاز والكنايات

على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شئ أو المحكم ما أمر الله به فى كل كتاب أنزله نحو قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الآيات والمتشابه ماوراءه أو ما لا يحتمل الا وجها واحدا وما احتمل أوجها أو ما يعلم تأويله وما لم يعلم تأويله أو الناسخ الذى يعمل به والمنسوخ الذى لا يعمل به وانما لم يكن كل القرآن محكما لما فى المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى

آخر من ﴿ فأما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ عدول عن الحق كالمبتدعة ﴿ فيتبعون ماتشابه منه ﴾ فيتعلقون بظاهره أو بتأويل باطل ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ وطلب أن

والاشارات والتلويحات واغماض بعض المعانى وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع فى كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأى الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا * الجواب الثانى ان الله تعالى انزل المتشابه لفائدة عظيمة وهى ان يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثيبوا على عباداتهم ولو أنزل القرآن كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعانى وقد قيل فى عيب الغنى انه يورث البلادة وفى فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال * الجواب الثالث ان أهل كل علم يجعلون فى علومهم معانى غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعانى الغامضة كانوا على الواضح أقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو * الجواب الرابع ان الله تعالى أنزل المتشابه فى كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله أعلم بمراده * قوله عز وجل ﴿ فأما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ أى ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا فى المعنى بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه الصلاة والسلام وقالوا ألست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة فى أوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة ﴿ فيتبعون ماتشابه منه ﴾ يعنى يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا أولو الالباب فقال اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم * قوله عز وجل ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ أى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ أى تفسيره وأصل التأويل فى اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر

(فأما الذين فى قلوبهم زيغ) ميل عن الحق وهم أهل البدع (فيتبعون ماتشابه) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لايطابق المحكم ويحتمل مايطابقه من قول أهل الحق (منه ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب ان يؤولوه التأويل الذى

(فاما الذين) وهم اليهود كعب ابن الاشرف وحيي بن أحطب وجدى بن أحطب (فى قلوبهم زيغ) شك وخلاف وميل عن الهدى (فيتبعون ماتشابه منه) من القرآن (ابتغاء الفتنة) طلب الكفر والشرك والاستقامة على ماهم عليه من الضلالة (وابتغاء تأويله) طلب عاقبة هذه الامة لكي يرجع الملك

يؤولوه على مايشتهونه ويحتمل أن يكون الداعى الى الاتباع مجموع الطلبتين أو كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثانى يلائم الجاهل ﴿ومايعلم تأويله﴾ الذى يجب أن يحمل عليه ﴿الا الله والراسخون فى العلم﴾ أى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ماهو المراد ﴿يقولون آمنا به﴾ استئناف موضح لحال الراسخين أو حال منهم أو خبر ان جعلته مبتدأ ﴿كل من عند ربنا﴾ أى كل من المتشابه والمحكم

الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله وابتغاء تأويله أى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه ﴿ومايعلم تأويله الا الله﴾ يعنى تأويل المتشابه وقيل لايعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم فى رواية عنه وأبى بن كعب وعائشة وأكثر التابعين رضى الله عنهم فعلى هذا القول تم الكلام عنده قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل ﴿والراسخون فى العلم﴾ أى الثابتون فى العلم وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لايدخل فى علمهم شك ﴿يقولون آمنا به﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم الله راسخين فى العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم فى العلم هو الايمان به وقال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به ﴿كل من عند ربنا﴾ يعنى المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه ومالم نعلم ونحن معتمدون فى المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى وفى المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه فمنه تفسير لايسع أحدا جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لايعلمه الا الله وقيل ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو عطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول أنا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد عنه أنا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون فى القرآن شئ لايعرفه أحد من الامة وفى المراد بالراسخين فى العلم هنا قولان أحدهما انهم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والقول الثانى ان الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل أنس بن مالك عن الراسخين فى العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له

يشتهونه (وما يعلم تأويله الا الله) أى لايهتدى الى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه الا الله (والراسخون فى العلم) والذين رسخوا أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور والوقف عندهم على قوله الا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر (يقولون آمنا به) وهو ثناء منه تعالى عليهم بالايمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفائدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقية ما أراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن الوقوف على مالم يجعل لهم اليه سبيلا ويعضده قراءة أبى ويقول الراسخون وعبد الله ان تأويله الا عند الله ومنهم من لايقف عليه ويقول بأن الراسخين فى العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين يعنى هؤلاء العالمون بتأويل يقولون آمنا به أى بالمتشابه أو بالكتاب (كل) من متشابهه ومحكمه (من عند ربنا) من عند الله الحكيم الذى لايتناقض كلامه

اليهم (ومايعلم تأويله) عاقبة هذه الامة (الا الله) انقطع الكلام ثم استأنف فقال (والراسخون فى العلم) البالغون بعلم التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (يقولون آمنا به) بالقرآن (كل من عند ربنا) نزل المحكم

من عنده ﴿ ومايذكر الا أولو الالباب ﴾ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى مااستعدوا به للاهتداء الى تأويله وهوتجرد العقل عن غواشى الحس واتصال الآية بماقبلها من حيث أنها فى تصوير الروح بالعلم وتربيته بماقبلها فى تصوير الجسد وتسويته أوأنها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلته ألقاها الى مريم وروح منه كما أنه جواب قولهم لاأب له غيرالله فتعين أن يكون هوأباله بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة أب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور لايكون أب المصور ﴿ربنا لاتزغ قلوبنا﴾ من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لاتزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لاترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن أن شاء اقامه على الحق وأن شاء ازاغه عنه وقيل لاتبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ﴿ بعد أذهديتنا ﴾ الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل أنه بمعنى أن ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾ تزلفنا اليك ونفوز بهاعندك أوتوفيقا للثبات على الحق أومغفرة للذنوب ﴿ أنك أنت الوهاب ﴾ لكل سؤل وفيه دليل على أن الهدى والضلال

وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس ﴿ ومايذكر الا أولو الالباب ﴾ أى ومايتعظ بما فى القرآن الاذووالعقول وهذا ثناء من الله عزوجل على الذين قالوا آمنا به كل من عندربنا * قوله عزوجل ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا ﴾ أى ويقول الراسخون فى العلم ربنا لاتزغ قلوبنا أى لاتملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ ﴿ بعد أذهديتنا ﴾ أى وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾ أى أعطنا توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة ﴿ أنك أنت الوهاب ﴾ الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب فى صفة الله تعالى انه تعالى يعطى كل أحد على قدر استحقاقه (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيه قولان أحدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولاتكييف ولا لمعرفة معناه بل نؤمن به كما جاء وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هومذهب أهل السنة من سلف الامة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم والقول الثانى انه يتأول بحسب مايليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شئ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان فى قبضتى وفى كفى يريد انه تحت قدرته وفى تصرفه لانه حال فى كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء لايمتنع عليه منها شئ ولايفوته ما أراد منها كما لايمتنع

(ومايذكر) وما يتعظ وأصله يتذكر (الا أولو الالباب) أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بألقاء الذهن وحسن التأمل وقيل يقولون حال من الراسخين (ربنا لاتزغ قلوبنا) لاتملها عن الحق بخلق الميل فى القلوب (بعد أذهديتنا) للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه (وهب لنا من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت (أنك أنت الوهاب) كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أى قولوها وكذلك التى بعدها

والمتشابه (ومايذكر) يتعظ بامثال القرآن (الا اولوالالباب) ذووالعقول من الناس عبدالله بن سلام وأصحابه (ربنا) ويقولون أيضا يا ربنا (لاتزغ قلوبنا) لاتمل قلوبنا عن دينك (بعد أذهديتنا) لدينك (وهب لنا من لدنك رحمة) ثبتنا على دينك (أنك أنت الوهاب) للمؤمنين الذين قبلنا ويقال الوهاب النبوة

وهى (ربنا أنك جامع الناس ليوم) أى تجمعهم لحساب يوم أوالجزاء يوم (لاريب فيه) لاشك فى وقوعه (أن الله لايخلف الميعاد) الموعد والمعنى ان الالهية تنافى خلف الميعاد كقولك ان الجواد لايخيب سائله أى لايخلف ماوعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب (أن الذين كفروا) برسول الله (لن تغنى) تنفع أوتدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذابه (شيأ) من الاشياء (وأولئك هم وقود النار) حطبها (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) الدأب مصدر

من الله سبحانه وتعالى وأنه متفضل بما ينعم على عباده لايجب عليه شئ ﴿ربنا أنك جامع الناس ليوم ﴾ لحساب يوم أولجزائه ﴿ لاريب فيه ﴾ فى وقوع اليوم ومافيه من الحشر والجزاء نبهوا به على أن معظم غرضهم من الطلبتين مايتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ﴿أن الله لايخلف الميعاد﴾ فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية وأجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ﴿ أن الذين كفروا ﴾ عام فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران أواليهود أومشركوا العرب ﴿ لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ ﴾ أى من رحمته أوطاعته على معنى البدلية أومن عذابه ﴿وأولئك هم وقود النار﴾ حطبها *وقرئ بالضم بمعنى أهل وقودها ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ متصل بما قبله أى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم كما توقد بأولئك أو استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن ﴿ والذين من قبلهم ﴾ عطف على آل فرعون وقيل

على الانسان مابين أصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب مااعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية أو الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهى أن الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهى مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب فى الحركات والسكنات والله أعلم * قوله عزوجل ﴿ ربنا أنك جامع الناس ليوم لاريب فيه ﴾ أى ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى فى أى فى يوم لاريب فيه أى لاشك فيه انه كائن وهو يوم القيامة ﴿ أن الله لايخلف الميعاد ﴾ هذا من بقية دعاء الراسخين فى العلم وذلك انهم طلبوا من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا أنك جامع الناس ليوم لاريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزاء فى يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لاتخلف الميعاد فمن أزغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد * قوله عزوجل ﴿ أن الذين كفروا ﴾ يعنى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما هم قريظة والنضير ﴿ لن تغنى ﴾ أى لن تنفع ولن تدفع ﴿ عنهم أموالهم ولاأولادهم من الله شيأ ﴾ أى من عذاب الله شيأ وقيل من بمعنى عند أى عند الله شيأ ﴿ وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما كفعل آل فرعون وصنيعهم فى الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار فى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون ﴿ والذين من قبلهم ﴾ يعنى كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم

والاسلام لمحمد (ربنا) ويقولون ياربنا (أنك جامع الناس) بعد الموت (ليوم) فى يوم (لاريب فيه) لاشك فيه (أن الله لايخلف الميعاد) البعث بعد الموت والحساب والصراط والميزان والجنة والنار (أن الذين كفروا) يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه ويقال أبو جهل وأصحابه (لن تغنى عنهم أموالهم) كثرة أموالهم (ولا أولادهم) كثرة أولادهم (من الله) من عذاب الله (شيأ أولئك هم وقود النار) حطب النار (كدأب آل فرعون) كصنع آل فرعون يقول صنع بك قومك كذبوك وشتموك كما صنع قوم موسى بموسى كذبوه وشتموه ونصنع بهم يوم بدر كما صنعنا بقوم موسى يوم الغرق (والذين من قبلهم) من

دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ماعليه الانسان من شأنه وحاله

استئناف ﴿كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم﴾ حال باضمار قد أو استئناف بتفسير حالهم أو خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم ﴿والله شديد العقاب﴾ تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم﴾ أي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة * وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه ﴿وبئس المهاد﴾ تمام ما يقال لهم أو استئناف وتقديره وبئس المهاد

﴿كذبوا بآياتنا﴾ يعني لما جاءتهم بها الرسل ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أي فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم ﴿والله شديد العقاب﴾ وقيل في معنى الآية ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فأخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم * قوله عز وجل ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون﴾ قرئ بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد أنهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون ﴿الى جهنم﴾ قيل أراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة ليستفزهم فاجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فأنزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون أي ستهزمون وتحشرون يعني في الآخرة الى جهنم ﴿وبئس المهاد﴾ أي الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم

والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة في تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم أو منصوب المحل بلن تغني أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك كداب بلا همز حيث كان أبو عمرو (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم مما فعلوا أو فعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز أن يكون حالا أي قد كذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) بسبب ذنوبهم يقال اخذته بكذا أي جازيته عليه (والله شديد العقاب) شديد عقابه فالاضافة غير محضة (قل للذين كفروا) هم مشركوا مكة (ستغلبون) يوم بدر (وتحشرون الى جهنم) من الجهنام وهي بئر عميقة وبالياء فيهما حمزة وعلي (وبئس المهاد) المستقر

قبل قوم موسى (كذبوا بآياتنا) بالكتاب والرسول الذي بعثنا اليهم (فأخذهم الله) أهلكهم الله (بذنوبهم) بتكذيبهم (والله شديد العقاب) اذا عاقب (قل) يا محمد (للذين كفروا) كفار مكة (ستغلبون) تقتلون يوم بدر (وتحشرون) يوم القيامة (الى جهنم وبئس المهاد)

(في)

جهنم (قدكان لكم آية) الخطاب لمشركى قريش (فى فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) وهم المؤمنون (وأخرى)
وفئة أخرى (كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين
ألفين أو مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم ترونهم نافع أى ترون يامشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة أو مثلى أنفسهم ولا يناقض هذا ماقال فى سورة الانفال ويقللكم فى أعينهم لانهم قللوا أولا فى أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما اجتمعوا كثروا فى أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة واظهار الآية ومثليهم نصب على الحال لانه من رؤية العين

جهنم أو ما مهدوه لانفسهم ﴿قدكان لكم آية﴾ الخطاب لقريش أو لليهود أو للمؤمنين ﴿فى فئتين التقتا﴾ يوم بدر ﴿فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم﴾ يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريب من ألف أو مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ماقللهم فى أعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى أعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين أو يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به فى قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قرأة

فى النار* قوله عزوجل ﴿قدكان لكم آية فى فئتين التقتا﴾ قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفا على الذى قبله فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير *فأن قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة *قلت كل ماليس بمؤنث حقيقى يجوز تذكيره وقيل انه ردالمعنى الى البيان فمعناه قدكان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ماجاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قدكان لكم آية أى عبرة ودلالة على صدق ماأقول انكم ستغلبون فى فئتين أى فرقتين وأصلها فىء الحرب لان بعضهم يفىء الى بعض أى يرجع التقتا يعنى يوم بدر ﴿فئة تقاتل فى سبيل الله﴾ أى فى طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن ابى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف * قوله عزوجل ﴿وأخرى كافرة﴾ أى وفرقة أخرى كافرة وهم مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى ﴿ترونهم مثليهم﴾ قرئ بالتاء يعنى ترون أهل مكة ضعفى المسلمين يامعشر اليهود وذلك أن جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة *وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا فى وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم *فأن قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة أمثالهم* قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم* ووجه آخر وهو أن يكون الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذى يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثانى هو

الفراش والمصير (قدكان لكم) يا أهل مكة (آية) علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فى فئتين) جمعين جمع محمد وجمع أبى سفيان (التقتا) يوم بدر (فئة) جماعة (تقاتل فى سبيل الله) فى طاعة الله محمد وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا (وأخرى كافرة) وجماعة أخرى كافرة بالله والرسول أبو سفيان وأصحابه وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا (يرونهم) (قا وخا ٥٩ ل) يرون أنفسهم (مثليهم) مثلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

بدليل قوله (رأى العين) يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها (والله يؤيد بنصره من يشاء) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم
فى أعين العدو (أن فى ذلك) فى تكثير القليل (لعبرة) لعظة (لأولى الابصار)
لذوى البصائر (زين للناس) المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم دليله قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان

نافع ويعقوب بالتاء * وقرئ بهما على البناء للمفعول أى يريهم الله أو يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو الحال من فاعل التقتا ﴿رأى العين﴾ رؤية ظاهرة معاينة ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ نصره كما أيد أهل بدر ﴿أن فى ذلك﴾ أى التقليل أو التكثير أو غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الوقعة آية أيضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لعبرة لأولى الابصار﴾ أى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم ﴿زين للناس

الاصح قلل الله المشركين فى أعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين أو المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا فى استقلال احديهما الاخرى * قلت ان التقليل والتكثير كانا فى حالتين مختلفين * فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين فى أعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرناهم فرأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا * وفى رواية أخرى عنه قال لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة قال فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا * وان قلنا أن الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعنى رأى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين فى أعين المشركين فى أول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا فى القتال كثر الله المسلمين فى أعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى أن المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعنى المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان فى وقعة بدر أحوال فى التكثير والتقليل وما ذلك الا لاظهار القدرة التامة * قوله عز وجل ﴿رأى العين﴾ أى فى رأى العين ﴿والله يؤيد﴾ أى يقوى ﴿بنصره من يشاء أن فى ذلك﴾ يعنى الذى ذكر من النصرة وقيل رؤية الجيش مثليهم ﴿لعبرة﴾ اى لآية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم وأصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هى التى يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم ﴿لأولى الابصار﴾ لذوى العقول والبصائر * قوله عز وجل ﴿زين للناس﴾ قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق لجميع أفعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده وأباحها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال

(رأى العين) عيانا ظاهرا بالعين ويقال لها وجه آخر يقول قل للذين كفروا بنى قريظة والنضير ستغلبون بالقتل والاجلاء وتحشرون بعد الموت الى جهنم وبئس المهاد الفراش والمصير أخبرهم بذلك قبل يوم بدر بسنتين ثم نزل قد كان لكم يا معشر اليهود آية علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى فئتين جمعين جمع محمد وجمع أبى سفيان التقتا يوم بدر فئة جماعة محمد عليه السلام وأصحابه تقاتل فى سبيل الله فى طاعة الله وأخرى كافرة وجماعة أخرى كافرة بالله والرسول أبو سفيان وأصحابه ترونهم رأيتموهم يا معشر اليهود مثليهم مثلى أصحاب محمد رأى العين عيانا ظاهرا (والله يؤيد) يقوى (بنصره من يشاء) يعنى محمدا (أن فى ذلك) فى نصرة الله لمحمد يوم بدر (لعبرة لأولى الابصار) فى الدين يعنى المؤمنين ويقال لمن أبصر بالعين * ثم ذكر ما زين للكفار من نعيم الدنيا فقال (زين للناس) حسن للناس

حب الشهوات ﴾ أى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا فى محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى احببت حب الخير والمزين هوالله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء أولانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله سبحانه وتعالى ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم ﴿من النساء والبنين والقناطير المقنطرة

تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هوالله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاى على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد فى هذه الاشياء بان أعلم عباده زوالها ولان الله تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء فى معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن أبى على الجبائى من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ماذهب اليه أهل السنة لان الله تعالى خالق كل شئ ولا شريك له فى ملكه ❁ قوله عز وجل ﴿ حب الشهوات ﴾ يعنى المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشئ المشتهى ﴿ من النساء ﴾ انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولانهن حبائل الشيطان وأقرب الى الافتتان ﴿ والبنين ﴾ انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى فى قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهى بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لماحصل ذلك ﴿ والقناطير المقنطرة ﴾ جمع قنطار وسمى قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا أحكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا فى القنطار هل هو محدود أوغير محدود على قولين أحدهما انه محدود ثم اختلفوا فى حده فروى عن معاذ بن جبل ان القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس رضى الله عنهما ألف ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أوألف دينار دية أحدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وقال السدى هو أربعة آلاف مثقال والقول الثانى ان القنطار ليس بمحدود وقال ربيع بن أنس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروى عن أبى عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لايحد وهو اختيار ابن جرير الطبرى وغيره وقال الحاكم القنطار مابين السماء والارض من مال وقال أبو نصرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا أوفضة وقال القنطار من المال مافيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة أى المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل أن تكون ستة أوتسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة

(حب الشهوات) الشهوة توقان النفس الى الشئ جعل الاعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة كأنه اراد تخسيسها بتسميتها شهوات، اذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية (من النساء) والاماء داخلة فيها (والبنين) جمع ابن وقد يقع فى غير هذا الموضع على الذكور والاناث وهنا أريد به الذكور فهم المشتهون فى الطباع والمعدون للدفاع (والقناطير) جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور أو مائة ألف دينار ولقد جاء الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا (المقنطرة) المنضدة أو المدفونة

فى قلوبهم (حب الشهوات) اللذات (من النساء) يعنى من الاماء والنساء (والبنين) يعنى العبيد والبنين (والقناطير المقنطرة) يعنى الاموال المجموعة

(من الذهب والفضة) سمى ذهبا لسرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تتفرق بالانفاق والفض التفريق (والخيل) سميت بها لاختيالها فى مشيها (المسومة) المعلمة من السومة وهى العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها (والانعام) هى الازواج الثمانية (والحرث) الزرع (ذلك) المذكور (متاع الحيوة الدنيا) يتمتع بها فى الدنيا (والله عنده حسن المآب) المرجع ثم زهدهم فى الدنيا فقال (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) من الذى تقدم (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ماهو خير من ذلكم فجنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره (تجرى من تحتها

(من الذهب والفضة) ويقال يعنى الاموال المضروبة المنقشة من الذهب والفضة والقنطار واحد وهو ملء مسك ثور ذهبا أو فضة ويقال ألف ومائتا مثقال والقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة (والخيل المسومة) يعنى الخيل الرواتع الحسان المعلمة (والانعام) يعنى الغنم والبقر والابل (والحرث) يعنى الزرع والمزرعة (ذلك) الذى ذكرت (متاع الحيوة الدنيا) منفعة للناس فى الدنيا ثم تفنى ويقال ذلك هذا الذى ذكرت متاع الحياة الدنيا يقول بقاؤه كبقاء متاع البيت مثل القدح والسكرجة وغير ذلك (والله عنده حسن المآب) المرجع فى الآخرة يعنى الجنة لمن ترك ذلك ثم بين نعيم الآخرة وبقاءها وفضلها كما بين نعيم الدنيا فقال (قل) يا محمد للكفار (أؤنبئكم) أخبركم (بخير من ذلكم) مما ذكرت لكم من زينة الدنيا (خالد) (للذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش يعنى أبا بكر وأصحابه (عند ربهم جنات) بساتين (تجرى) تطرد (من تحتها) من تحت شجرها

من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ﴾ بيان للشهوات * والقنطار المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف فى انه فعلال أو فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة * والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة أو المرعية من اسام الدابة وسومها أو المطهمة * والانعام الابل والبقر والغنم ﴿ ذلك متاع الحيوة الدنيا ﴾ اشارة الى ماذكر ﴿ والله عنده حسن المآب ﴾ أى المرجع وهو تحريض على استبدال ماعنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ﴾ يريد به تقرير ان ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا ﴿ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها

﴿ من الذهب والفضة ﴾ انما بدأ بهما من بين سائر أصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على مايريده وهى صفة كمال وهى محبوبة وقيل سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولايبقى والفضة لانها تنفض أى تتفرق ﴿ والخيل المسومة ﴾ الخيل جمع لاواحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها فى مشيها وقيل لان الخيل لايركبها أحد الا وجد فى نفسه مخيلة يعنى عجبا واختلفوا فى معنى المسومة على ثلاثة أقوال * القول الاول انها الراعية يقال أسمت الدابة وسومتها اذا أرسلتها المرعى والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها * والقول الثانى انها من السمة وهى العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فى تلك العلامة فقيل هى الغرة والتحجيل التى تكون فى الخيل وقيل هى الخيل البلق وقيل هى المعلمة بالكى * والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها ﴿ والانعام ﴾ جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم ولايقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها ﴿ والحرث ﴾ يعنى الزرع ﴿ ذلك ﴾ يعنى ذلك الذى ذكر من هذه الاصناف ﴿ متاع الحيوة الدنيا ﴾ أى الذى يستمتع به فى الحياة الدنيا وهى زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى ﴿ والله عنده حسن المآب ﴾ أى المرجع فيه اشارة الى التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه فى الآخرة لانها السعادة القصوى * قوله عز وجل ﴿ قل أؤنبئكم ﴾ أى أخبركم ﴿ بخير من ذلكم ﴾ يعنى الذى ذكر من متاع الدنيا ﴿ للذين اتقوا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه يريد المهاجرين والانصار أراد أن يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل فى هذا الخطاب كل من اتقى الشرك ﴿ عند ربهم ﴾ معناه ان الله تعالى أخبر ان ماعنده خير مما كان فى الدنيا وان كان محبوبا لختمهم على ترك مايحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى ﴿ جنات تجرى من تحتها

الانهار) صفة لجنات ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) أى رضا الله (والله بصير بالعباد) عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذا أعدلهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للمتقين أو للعباد (ربنا أننا آمنا) اجابة لدعوتك (فاغفر لنا ذنوبنا) انجازا لوعدك (وقنا عذاب النار) بفضلك (الصابرين) على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح (والصادقين) قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بامضاء العزم (والقانتين) الداعين أو المطيعين (والمنفقين) المتصدقين (والمستغفرين بالاسحار) المصلين

ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والعسل واللبن والماء (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وأزواج مطهرة) ولهم ازواج مهذبة من الحيض والادناس (ورضوان من الله) ورضا ربهم أكبر مماهم فيه من النعيم (والله بصير بالعباد) بالمؤمنين وبمكانهم فى الجنة وباعمالهم فى الدنيا ثم وصفهم فقال (الذين يقولون) فى الدنيا (ربنا) ياربنا (أننا آمنا) بك وبرسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) فى الجاهلية ومابعد الجاهلية (وقنا عذاب النار) ادفع عنا عذاب النار (الصابرين) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه ويقال الصابرين على المرازى (والصادقين) فى ايمانهم (والقانتين) المطيعين لله وللرسول (والمنفقين) أموالهم فى سبيل الله (والمستغفرين) المصلين (بالاسحار) التطوع * ثم وحد نفسه فقال

الانهار خالدين فيها ﴾ استئناف لبيان ماهو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير ﴿ وأزواج مطهرة ﴾ مما يستقذر من النساء ﴿ ورضوان من الله ﴾ قرأ عاصم فى رواية أبى بكر فى جميع القرآن بضم الراء ماخلا الحرف الثانى فى المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ أى بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسئ أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك اعدلهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فأدناها متاع الدنيا وأعلاها رضوان الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى ورضوان من الله أكبر وأوسطها الجنة ونعيمها ﴿ الذين يقولون ربنا أننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾ صفة للمتقين أو للعباد أو مدح منصوب أو مرفوع وفى ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها ﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار ﴾ حصر لمقامات

الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ﴾ (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد رضى عنه كان أتم لسروره وأعظم لفرحه ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ يعنى ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ماعنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازى كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعدلهم الجنات * قوله عز وجل ﴿ الذين يقولون ربنا أننا آمنا ﴾ أى صدقنا ﴿ فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ أى استر علينا وتجاوز عنا ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ * قوله عز وجل ﴿ الصابرين ﴾ يعنى على أداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفى البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وماأصابهم ﴿ والصادقين ﴾ يعنى فى ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت ألسنتهم وقلوبهم فى السر والعلانية والصدق يكون فى القول والافعال والنية فأما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق فى الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق فى النية العزم على الفعل حتى يبلغه ﴿ والقانتين ﴾ يعنى المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها ﴿ والمنفقين ﴾ يعنى أموالهم فى طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وأقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة فى جميع القربات ﴿ والمستغفرين بالاسحار ﴾

السالك على أحسن ترتيب فان معاملته مع الله سبحانه وتعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها أقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع سيما للمجتهدين قيل أنهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون ﴿شهد الله أنه لا اله الا هو﴾ بين واحدانيته بنصب

يعنى المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم فى ليلهم قال نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما يحيى الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلى الصبح (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له * وفى لفظ مسلم فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى الحديث * وله فى رواية أخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح * هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفى أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفى الكيفية عنه والمذهب الثانى هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات قال أبو سليمان الخطابى انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذى هو تدل من أعلى الى أسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فأما نزول من لا تستولى عليه صفات الاجسام فان هذه المعانى غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقيل فى قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى ان لقمان قال لابنه يا بنى لا تكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح فى جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة * قوله عز وجل ﴿ شهد الله أنه لا اله الا هو ﴾ قيل سبب نزل هذه الآية ان حبرين من احبار الشأم قدما على النبى صلى الله عليه وسلم فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يخرج فى أخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا فأنا نسألك عن شئ فان أنت أخبرتنا به آمنابك

أو طالبين المغفرة وخص الاسحار لانه وقت اجابة الدعاء ولانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بنى لا يكن الديك أكيس منك ينادى بالاسحار وأنت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم فى كل واحدة منها وللاشعار بان كل صفة مستقلة بالمدح (شهد الله) أى حكم أو قال (أنه) أى بانه (لا اله الا هو

(شهد الله) وان لم يشهد أحد غيره (انه لا اله الا هو

الدلائل الدالة عليها وأنزال الآيات الناطقة بها ﴿ والملائكة ﴾ بالاقرار ﴿ وأولوا العلم ﴾ بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد ﴿ قائما بالقسط ﴾ مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وأنما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أو من هو والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد قائما أو أحقه لانها حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة أو حالا من الضمير* وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو أو الخبر لمحذوف ﴿ لا اله الا هو ﴾ كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبتني عليه قوله ﴿ العزيز الحكيم ﴾ فيعلم أنه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته

وصدقناك قال اسألاني قالا فاخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فأسلم الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه الصلاة والسلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين الله وأظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه أعلم الله أنه لا اله الا هو وذلك بيان الدلائل لما أمكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى أرشد عباده الى معرفة توحيده بما باين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته* سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو ﴿ والملائكة ﴾ أي وشهد الملائكة فمعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بأنه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما ﴿ وأولوا العلم ﴾ أي وشهد أولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في أولي العلم فقيل هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم أعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين ﴿ قائما بالقسط ﴾ أي بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بأمر فلان يعني أنه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان أي انه مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بأرزاقهم ومجازلهم بأعمالهم ﴿ لا اله الا هو ﴾ انما كرره للتأكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني رسم تعليم أي قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بان هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات ﴿ العزيز ﴾ أي الغالب الذي لا يقهر ﴿ الحكيم ﴾ يعني في جميع أفعاله

والملائكة) بما عاينوا من عظيم قدرته (وأولوا العلم) أي الانبياء والعلماء (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو وانما جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم الالباس فانك لو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح وكرر (لا اله الا هو) للتأكيد (العزيز الحكيم) رفع على الاستئناف أي هو العزيز وليس بوصف لهو لان الضمير لا يوصف يعني انه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل

والملائكة) يشهدون بذلك (وأولوا العلم) النبيون والمؤمنون يشهدون بذلك (قائما بالقسط) بالعدل (لا اله الا هو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أمر

على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد * وقد روى فى فضلها أنه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى أن لعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله ﴿أن الدين عندالله الاسلام﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للاولى أى لادين مرضى عندالله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم * وقرأ الكسائى بالفتح على أنه بدل من أنه بدل الكل أن فسر الاسلام بالايمان أو بما يتضمنه أو بدل الاشتمال أن فسر بالشريعة * وقرئ أنه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض مابينهما أو اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم أخرى لتضمنه معناهما ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى أو من أرباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم أنه حق وقال قوم أنه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا أو فى التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا

﴿أن الدين عندالله الاسلام﴾ يعنى ان الدين المرضى عندالله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لادين أفضل من اليهودية وادعت النصارى انه لادين أفضل من النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عندالله الاسلام * وقرئ أن الدين بفتح الهمزة ردا على أن الاولى والمعنى شهد الله أنه لااله الاهو وشهد أن الدين عندالله الاسلام * وأصل الدين فى اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ماتعبد الله به خلقه وأمرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول فى السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول فى الطاعة * وروى البغوى بسند الثعلبى عن غالب القطان قال أتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت أختلف اليه فلما كان ذات ليلة أردت أن أنحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله أنه لااله الاهو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لااله الاهو العزيز الحكيم قال الاعمش وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عندالله وديعة ان الدين عندالله الاسلام قالها مرارا قلت سمع فيها شيأ فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له انى سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لاأحدثك فيها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة فقال حدثنى أبو وائل عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عزوجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة * قوله عزوجل ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ قال الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب فى نبوة

عن الحق (أن الدين عندالله الاسلام) جملة مستأنفة ان الدين على البدل من قوله أنه لااله الاهو أى شهد الله أن الدين عندالله الاسلام قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة ومن قال بعدها وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عندالله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة ان لعبدى عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أى أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد فثلثت النصارى

أن لايعبد غيره (أن الدين) المرضى (عندالله الاسلام) ويقال شهد الله ان الدين عندالله الاسلام مقدم ومؤخر وشهد بذلك الملائكة والنبيون والمؤمنون نزلت هذه الآية فى رجلين من أهل الشام طلبا من النبى صلى الله عليه وسلم أى شهادة أكبر فى كتاب الله فبين الله ذلك فاسلما (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) اعطوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى فى الاسلام

وقالت اليهود عزير ابن الله (الا من بعد ماجاءهم العلم) انه الحق الذى لامحيد عنه (بغيا بينهم) أى ما كان ذلك الاختلاف الاحسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لاشبهة فى الاسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم فى أمر عيسى بعد ماجاءهم العلم انه عبدالله ورسوله (ومن يكفر بآيات الله) بحججه ودلائله (فأن الله سريع الحساب) سريع المجازاة (فأن حاجوك) فان جادلوك فى ان دين الله الاسلام والمراد بهم وفد بنى نجران عندالجمهور (فقل أسلمت وجهى لله) اى أخلصت نفسى وجلتى لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكا بان أعبده وأدعو الها معه يعنى ان دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وماجئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولانشرك به شيأ فهو دفع للمحاجة بان ماهو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لاشك فيه فمامعنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت أى أسلمت انا ومن اتبعنى وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب وافق أبو عمرو فى الوصل وجهى مدنى وشامى وحفص والاعشى والبرجمى

فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿الا من بعد ماجاءهم العلم﴾ أى بعد ماعلموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج ﴿بغيا بينهم﴾ حسدا بينهم وطلبا للرياسة لالشبهة وخفاء فى الامر ﴿ومن يكفر بآيات الله فأن الله سريع الحساب﴾ وعيد لمن كفر منهم ﴿فأن حاجوك﴾ فى الدين وجادلوك فيه بعد ماأقمت الحجج ﴿فقل أسلمت وجهى لله﴾ اخلصت نفسى وجملتى له لا أشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت به الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ﴿ومن اتبعن﴾ عطف على التاء فى أسلمت

محمد صلى الله عليه وسلم ﴿الا من بعدما جاءهم العلم﴾ يعنى بيان نعته وصفته فى كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثانى والثالث وقعت الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ماجاءهم العلم يعنى بيان مافى التوراة من الاحكام ﴿بغيا بينهم﴾ أى طلبا بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت فى نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعنى الانجيل واختلافهم كان فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ومادعوا فيه من الالهية الا من بعد ماجاءهم العلم يعنى بان الله تعالى واحد أحد وأن عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعنى المعاداة والمخالفة ﴿ومن يكفر بآيات الله فأن الله سريع الحساب﴾ فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله عزوجل ﴿فأن حاجوك﴾ أى خاصموك يامحمد فى الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ماسميتنا به يامحمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فأمر الله عزوجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم بانه اتبع أمر الله الذى هم مقرون به بقول ﴿فقل أسلمت وجهى لله﴾ أى انقدت له بقلبى ولسانى وجميع جوارحى وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشئ فقد خضع له سائر جوارحه وقيل أراد بالوجه العمل أى أخلصت عملى لله وقصدت بعبادتى الله ﴿ومن أتبعن﴾ يعنى ومن أسلم كما أسلمت أنا

ومحمد (الا من بعد ماجاءهم العلم) بيان مافى كتابهم (بغيا بينهم) حسدا بينهم (ومن يكفر بآيات الله) بمحمد والقرآن (فأن الله سريع الحساب) شديد العقاب * ثم ذكر خصومتهم مع النبى صلى الله عليه وسلم فى دين الاسلام فقال (فأن حاجوك) خاصموك يعنى اليهود والنصارى فى الدين (فقل أسلمت وجهى) أخلصت دينى وعملى (لله ومن اتبعن) أيضا

(وقل للذين اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) بهمزتين كوفى يعنى انه قد أتاكم من البينات مايقتضى حصول الاسلام فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعنـاه الامر أى اسلموا كقولهم فهل أنتم منتهون أى انتهوا (فأن اسلموا فقد اهتدوا) فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى (وأن تولوا فانما عليك البلاغ) أى لم يضروك فانك رسول منبه ماعليك الأن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى (والله بصير بالعباد) فيجازيهم على اسلامهم وكفرهم (أن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الانبياء (بغير حق) حال مؤكدة لان قتل النبى لايكون حقا (ويقتلون الذين يأمرون) ويقاتلون حمزة (بالقسط) بالعدل (من الناس) أى سوى الانبياء قال عليه السلام قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا فى آخر النهار من ذلك اليوم

وحسن للفصل أو مفعول معه ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ﴾ الذين لا كتاب لهم كمشركى العرب ﴿أأسلمتم﴾ كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة أم أنتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل أنتم منتهون وفيـه تعييرلهم بالبلادة أو المعاندة ﴿ فأن أسلموا فقد اهتدوا ﴾ فقد نفعوا أنفسهم بان اخرجوها من الضلال ﴿ وأن تولوا فأنما عليك البلاغ ﴾ أى فلم يضروك اذ ماعليك الان تبلغ وقد بلغت ﴿والله بصـير بالعباد ﴾ وعد ووعيد ﴿ أن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس

﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿والاميين﴾ يعنى مشركى العرب ﴿أأسلمتم﴾ لفظه استفهام ومعناه أمر أى أسلموا ﴿فأن أسلموا فقد اهتدوا﴾ يعنى الى الفوز والنجاة فى الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود أتشهدون ان موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا قال الله تعالى ﴿وأن تولوا﴾ أى أعرضوا ﴿فأنما عليك البلاغ﴾ يعنى تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصـار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ يعنى انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لايؤمن ❁ قوله عزوجل ﴿ أن الذين يكفرون بآيات الله ﴾ يعنى يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى ﴿ ويقتلون النبيين بغـير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴾ كان انبياء بنى اسرائيل يأتيهم الوحى ولم يكن يأتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصـدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط يعنى بالعدل من الناس ❁ روى البغوى بسند الثعلبى عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أورجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسـط من النـاس الى أن انتهى الى قوله ومالهم من ناصرين ثم قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم ياأبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا

(وقل للذين أوتوا الكتاب) اعطوا الكتاب يعنى اليهود والنصـارى (والاميين) يعنى العرب (أأسلمتم) أتسلمون كما أسلمنا فقال الله (فأن أسلموا) كما اسلمتم (فقد اهتدوا) من الضلالة (وأن تولوا) عن ذلك (فأنما عليك البلاغ) التبليغ عن الله (والله بصير بالعباد) بمن يؤمن وبمن لايؤمن (أن الذين يكفرون بآيات الله) بمحمد والقرآن (ويقتلون النبيين) يعنى يتولون الذين كانوا يقتلون النبيين من آبائهم (بغير حق) بلا جرم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) بالتوحيد (من الناس) من الذين

فبشرهم بعذاب أليم ﴾ هم أهل الكتاب الذين فى عصره صلى الله عليه وسلم قتل أولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة * وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر أن كليت ولعل ولذلك قيل الخبر ﴿ أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ﴾ كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لايغير معنى الابتداء بخلافهما ﴿ ومالهم من ناصرين ﴾ يدفعون عنهم العذاب ﴿ ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ﴾ أى التوراة أو جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض أو للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير ﴿ يدعون الى كتاب الله

من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله فى كتابه وأنزل الآية فيهم ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ انما دخلت الفاء فى قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه فى معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب أليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفى هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان أسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم ﴿ أولئك الذين حبطت ﴾ أى بطلت ﴿ أعمالهم فى الدنيا والآخرة ﴾ وبطلان العمل هو أن لايقبل فى الدنيا ولا يجازى عليه فى الآخرة ﴿ ومالهم من ناصرين ﴾ يعنى يمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل ﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ﴾ أنزلت فى اليهود ﴿ يدعون الى كتاب الله ﴾ يعنى القرآن وذلك أن اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهى بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه أيضا ان رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن أوفى وبحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من أعلمكم بالتوارة فقالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال

(فبشرهم بعذاب أليم) دخلت الفاء فى خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم بمعنى من يكفر فبشرهم وهذا لان ان لاتغير معنى الابتداء فهى للتحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع دخول الفاء (أولئك الذين حبطت أعمالهم) أى ضاعت (فى الدنيا والآخرة) فلهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (وما لهم من ناصرين) جمع لوقف رؤس الآى والا فالواحد النكرة فى النفى يعم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد أحبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض أو للبيان (يدعون) حال من الذين (الى كتاب الله) أى التوراة

آمنوا بالنبيين (فبشرهم بعذاب أليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم (أولئك الذين حبطت أعمالهم) بطلت حسناتهم (فى الدنيا والآخرة) يعنى لايثابون بها فى الآخرة (ومالهم من ناصرين) من مانعين من عذاب الله * ثم ذكر اعراض بنى قريضة والنضير من أهل خيبر عن الرجم فقال (ألم تر) ألم تنظر محمد (الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أعطوا علما بما فى التوراة من الرجم وغيره (يدعون الى كتاب الله) القرآن

أوالقرآن (ليحكم بينهم) جعل حاكما حيث كان سببا للحكم أو ليحكم النبي روى انه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت قال النبي عليه السلام على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فابيا (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لايزال

الاعراض ديدنهم (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) أى ذلك التولى والاعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم فى الخروج من النار بعد أيام قلائل وهى أربعون يوما أوسبعة أيام وذلك مبتدأ وبأنهم خبره (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) أى غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا الامدة يسيرة (فكيف اذا جمعناهم ليوم) فكيف يكون حالهم فى ذلك الوقت (لاريب فيه) لاشك فى كونه (ووفيت)

ليحكم بينهم ﴾ الداعى محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن أوالتوراة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أى دين أنت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم * وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة فى الاصول ﴿ ثم يتولى فريق منهم ﴾ استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع اليه واجب ﴿ وهم معرضون ﴾ وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى التولى والاعراض ﴿ بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ ﴿ وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون ﴾ من ان النار لن تمسهم الا أياما قلائل أوان آباءهم الانبياء يشفعون لهم أوأنه تعالى وعد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان لايعذب أولاده الا تحلة القسم ﴿ فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ﴾

أنت أعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ مابعدها فقال عبدالله بن سلام يارسول الله قدجاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع مافى بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فانزل الله عزوجل ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعنى علمهم الذى علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعنى القرآن أوالتوراة على اختلاف الروايتين ﴿ ليحكم بينهم ﴾ أى ليقضى بينهم واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز ﴿ ثم يتولى فريق منهم ﴾ يعنى الرؤساء والعلماء ﴿ وهم معرضون ﴾ يعنى عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلماء والذين أعرضوا هم الاتباع ﴿ ذلك بأنهم ﴾ يعنى ذلك التولى والاعراض انما حصل بسبب انهم ﴿ قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات ﴾ تقدم تفسيره فى سورة البقرة ﴿ وغرهم ﴾ أى وأطمعهم ﴿ فى دينهم ما كانوا يفترون ﴾ أى يحلفون ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل ﴿ فكيف اذا جمعناهم ﴾ أى فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ﴿ ليوم ﴾ أى فى يوم ﴿ لاريب فيه

(ليحكم بينهم) بالرجم كما فى كتابهم على المحصن والمحصنة اللذين زنيا فى خيبر (ثم يتولى فريق منهم) يعرض طائفة منهم بنو قريظة وأهل خيبر عن الحكم (وهم معرضون) مكذبون بذلك (ذلك) الاعراض والتكذيب والعذاب (بأنهم قالوا لن تمسنا النار) لن تصيبنا النار فى الآخرة (الا أياما معدودات) قدر أربعين يوما قال قوم من اليهود لن تمسنا النار الا أياما معدودات وهى سبعة أيام من أيام الآخرة كل يوم ألف سنة التى عبد آباؤهم العجل فيها (وغرهم فى دينهم) يعنى ثباتهم على دينهم اليهودية (ما كانوا يفترون) افتراؤهم هذا ويقال تأخير العذاب فكيف يصنعون يامحمد (اذا جمعناهم) بعد الموت (ليوم) فى يوم (لاريب فيه)

استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات روى ان أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ﴿ ووفيت كل نفس ما كسبت ﴾ جزاء ما كسبت و فيه دليل على ان العبادة لاتحبط وان المؤمن لايخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لاتكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها ﴿ وهم لايظلمون ﴾ الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان ﴿ قل اللهم ﴾ الميم عوض عن يا ولذلك لايجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول ياء عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل أصله ياالله أمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء و متعلقات الفعل وهمزته ﴿ مالك الملك ﴾ تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فأن الميم عنده تمنع الوصفية ﴿ تؤتى الملك من تشاء

ووفيت كل نفس ما كسبت ﴾ أى لاشك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديدلهم واستعظام لما أعدلهم فى ذلك اليوم وانهم يقعون فيما الاحيلة لهم فيه وان ماحدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لايكون ولايحصل لهم قيل ان أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار ﴿ وهم لايظلمون ﴾ أى لاينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيآتهم ❁ قوله عزوجل ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ قال قتادة ذكرلنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عزوجل ان يجعل ملك فارس والروم فى أمته فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لانطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بنى اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه ياالله لما حذف حرف النداء زيد الميم فى آخره وقيل ان الميم آخر وهو ياالله أمنا بخير أى اقصدنا مالك الملك أى مالك العباد وماملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لايدعى الملك أحد غيره وفى بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلاتشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ ومالك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك أى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء ﴿ تؤتى الملك من تشاء ﴾ يعنى النبوة لانها أعظم مراتب الملك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم له الامر

ووفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ما كسبت (وهم) يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس (لا يظلمون) بزيادة فى سيآتهم ونقصان فى حسناتهم (قل اللهم) الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء فى القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته فى يا الله وبالتفخيم (مالك الملك) تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان أى يامالك الملك (تؤتى الملك من تشاء) تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له

لاشك فيه (ووفيت) ووفرت (كل نفس) برة وفاجرة (ما كسبت) ماعملت من خير أو شر (وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم (قل اللهم) قل ياالله أمنا أى اقصد بنا الى الخير (مالك الملك) يامالك الملوك والملك (تؤتى الملك من تشاء) تعطى الملك من تشاء يعنى محمدا

وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ تعطى منها ماتشاء لمن تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم ﴿ وتعزمن تشاء وتذل من تشاء ﴾ فى الدنيا أو فى الآخرة أوفيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان ﴿ بيدك الخير أنك على كل شئ قدير ﴾ ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذلا يوجد شر جزئى مالم يتضمن خيرا كليا أولمراعاة الادب فى الخطاب أولان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه الصلاة والسلام لماخط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا واخذوا يحفرون ظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه الصلاة والسلام فأخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء منه مابين لابتيها لكأن بها مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثه فقال اضاءت لى منها قصور صنعاء واخبرنى جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألاتعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من

على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الاعلى ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة ﴿ وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ يعنى بذلك نزع النبوة من بنى اسرائيل وايتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لانبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته أحد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعنى من أبى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل آدم ﴿ وتعز من تشاء ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة ﴿ وتذل من تشاء ﴾ يعنى اليهود بأخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمدا وأصحابه دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعنى أباجهل واضرابه حين قتلوا وألقوا فى قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع ﴿ بيدك الخير ﴾ يعنى النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات * فأن قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر * قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى أنكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم أعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لاينافى أن يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ماسواه الاانه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه ﴿ أنك على كل شئ قدير ﴾ يعنى من أيتاء

من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) أى تنزعه فالملك الاول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روى انه عليه السلام حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك (وتعز من تشاء) بالملك (وتذل من تشاء) بنزعه منه (بيدك الخير) أى الخير والشر فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر ولان الكلام وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك (أنك على كل شئ قدير) ولايقدر على شئ أحد غيرك الا باقدارك وقيل المراد بالملك

وأصحابه (وتنزع الملك ممن تشاء) تأخذ الملك ممن تشاء من أهل فارس والروم (وتعز من تشاء) يعنى محمدا (وتذل من تشاء) يعنى عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه وأهل فارس والروم (بيدك الخير) العز والذل والملك والغنيمة والنصرة والدولة (أنك على كل شئ) من العز والذل والملك والغنيمة والنصرة والدولة (قدير) نزلت هذه الآية فى عبدالله بن أبى بن سلول المنافق فى قوله بعد فتح مكة من أين (الملك)

ملك العافية أوملك القناعة قال عليه السلام ملوك الجنة من أمتى القانعون بالقوت يوما فيوما أو ملك قيام الليل وعن الشبلى الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة اوبالاستغناء بالمكون أوبالقناعة وتذل باضدادها ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل) فالايلاج ادخال الشئ فى الشئ وهو مجاز هنا أى تنقص من ساعات الليل وتزيد فى النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد فى الليل

يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر أيضا بيده بقوله أنك على كل شئ قدير ﴿ تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه* والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال أحدهما فى الآخر بالتعقيب أوالزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس

الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء * قوله عزوجل ﴿ تولج الليل فى النهار ﴾ الآية لما ذكر الله تعالى أنه مالك الملك أردفه بذكر قدرته الباهرة فى حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال اخراج الحى من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفى ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوى الافهام والعقول فهو قادر ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل فى النهار يعنى تدخل الليل فى النهار وهو أن تجعل الليل قصيرا ومانقص منه زائدا فى النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل ﴿ وتولج النهار فى الليل ﴾ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد أنه تعالى يأتى بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتى بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول أصح وأقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة فى النهار وبالعكس وهو معنى الولوج ﴿ وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ﴾ وهو أنه تعالى يخرج الانسان الحى من النطفة وهى ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حى من البيضة وهى ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حى الفؤاد والكافر ميته ﴿ وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ يعنى من غير تضييق ولاتقتير بل تبسط الرزق من تشاء وتوسعه عليه

(وتخرج الحى من الميت) الحيوان من النطفة أوالفرخ من البيضة أوالمؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحى) النطفة من الانسان أوالبيض من الدجاج أو الكافر من المؤمن (وترزق من تشاء بغير حساب) لايعرف الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عنده ليدل على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدران يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك

يكون لهم ملك فارس والروم ويقال نزلت فى قريش لقولهم كسرى ينام على فرش الديباج فان كنت نبيا فاين ملكك ثم بين

قدرته فقال (تولج الليل فى النهار) يقول تزيد النهار على الليل فيكون النهار أطول من الليل (وتولج النهار فى الليل) يقول تزيد الليل على النهار فيكون الليل أطول من النهار (وتخرج الحى من الميت) يقول تخرج النسمة من النطفة (وتخرج الميت من الحى) النطفة من الانسان ويقال تخرج الحى الدجاجة من الميت من البيضة وتخرج الميت البيضة من الحى من الدجاجة ويقال وتخرج الحى السنبلة من الميت من الحبة وتخرج الميت الحبة من الحى من السنبلة (وترزق من تشاء بغير حساب) بلاقوة ولاهنداز ولامنة ويقال توسع المال على من تشاء بلاحرج

ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلاتشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحي
من الميت والميت من الحي بالتشديد حيث كان مدني وكوفي غير أبي بكر (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو لصداقة قبل الاسلام أو غير ذلك وقد كرر ذلك في القرآن والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم في الايمان (من دون المؤمنين) يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ) أي ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شئ لان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان (الا أن تتقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أي الا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة وابطال المعاداة

انشاء الحيوانات من موادها واماتتها أو انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر الميت بالتخفيف ﴿لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما حتى لايكون حبهم وبغضهم الا في الله أو عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية ﴿من دون المؤمنين﴾ اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي اتخاذهم أولياء ﴿فليس من الله في شئ﴾ أي من ولايته في شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لايجتمعان قال

تود عدوي ثم تزعم أنني * صديقك ليس النوك عنك بعاذب

﴿الا أن تتقوا منهم تقاة﴾ الا ان تخافوا من جهتهم مايجب اتقاؤه أو اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا * وقرأ يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام

* قوله عز وجل ﴿لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لايفتنونكم عن دينكم فأبى أولئك النفر الا مباطنتهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يارسول الله ان معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت ان أستظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية ** قوله لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء يعني أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لايجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين ان يوالوا الكفار أو يلاطفوهم لقرابة بينهم أو محبة أو معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان ﴿ومن يفعل ذلك﴾ يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم ﴿فليس من الله في شئ﴾ أي فليس من دين الله في شئ وقيل معناه فليس من ولاية الله في شئ وهذا أمر معقول من أن ولاية المولى معاداة أعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لايجتمعان ﴿الا أن تتقوا منهم تقاة﴾ أي الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم

وتكليف (لايتخذ المؤمنون) يقول لا ينبغي أن يتخذ المؤمنون عبد الله بن أبي وأصحابه (الكافرين) اليهود (أولياء) في التعزز والكرامة (من دون المؤمنين) المخلصين (ومن يفعل ذلك) الولاية (كفار) والكرامة (فليس من الله) من كرامة الله ورحمته وذمته (في شئ الا أن تتقوا) تريدوا ان تنجوا (منهم تقاة) نجاة

(ويحذركم الله نفسه) أى ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد (والى الله المصير) أى مصيركم اليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر ﴿٤٨١﴾ (قل أن تخفوا مافى ﴿سورة آل عمران﴾ صدوركم أوتبدوه) من ولاية الكفار أوغيرهامما لايرضى الله (يعلمه الله) ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد (ويعلم ما فى السموات ومافى الارض) استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أى هو الذى يعلم مافى السموات وما فى الارض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيكون قادرا على عقوبتكم (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء

كن وسطا وامش جانبا ﴿ ويحذركم الله نفسه والى الله المصير ﴾ فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى فى القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة ﴿ قل أن تخفوا مافى صدوركم أوتبدوه يعلمه الله ﴾ أى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها أوتبدوها ﴿ ويعلم مافى السموات ومافى الارض ﴾ فيعلم سركم وعلنكم ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء

كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما أو مالا حراما أوغير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لاتكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم وأنكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد أعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم قال يحيي البكاء قلت لسعيد ابن جبير فى أيام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى الاسلام تقية انما التقية فى الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أى ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنهى أو تخالفوا المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله ﴿ والى الله المصير ﴾ يعنى ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه فى الآخرة ❁ قوله عزوجل ﴿ قل أن تخفوا مافى صدوركم ﴾ يعنى مافى قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب ﴿ أوتبدوه ﴾ يعنى تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا مافى قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتبدوه أى تظهروه بالحرب والمقاتلة له ﴿ يعلمه الله ﴾ أى يحفظه عليكم ويجازيكم به ﴿ ويعلم مافى السموات ومافى الارض ﴾ يعنى انه تعالى اذا كان لايخفى عليه شئ فى السموات ولا فى الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم ﴿ والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ﴾ يعنى تجد كل نفس جزاء ماعملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شئ ﴿ وما عملت من سوء ﴾ أى تجد ماعملت من الخير محضرا

باللسان دون القلب (ويحذركم الله نفسه) فى التقية عن دم الحرام وفرج الحرام ومال الحرام وشرب الخمر وشهادة الزور والشرك بالله (والى الله المصير) المرجع بعد الموت (قل) يامحمد (أن تخفوا) تسروا (مافى صدوركم) مافى قلوبكم من البغض والعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أوتبدوه) تظهروه بالشتم والطعن والحرب (يعلمه الله) يحفظه الله عليكم ويجزكم بذلك (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) من الخير والشر والسر والعلانية (والله على كل شئ) من أهل السموات والارض (قاوخا ٦١ ل) وثوابهم وعقابهم (قدير) نزلت هذه الآية فى المنافقين واليهود (يوم) وهو يوم القيامة (تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) مكتوبا فى ديوانها (وماعملت من سوء) من قبيح

تودلوأن بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود والضمير فى بينه لليوم أى يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أى مسافة بعيدة أوباذكر ويقع ماعملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أى والذى عملته من سوء تود هى لوتباعد مابينها وبينه ولايصح أن تكون ماشرطية لارتفاع تود نعم الرفع جائز اذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هوالكثير وعن المبرد ان الرفع شاذ وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لايغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لايتعرضوا لسخطه ويجوز أن يريد انه مع كونه محذرا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى ان ربك لذومغفرة وذو عقاب أليم ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله واحباؤه (قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) محبة العبد لله ايثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الانس به وقيل هى اتباع النبى عليه السلام فى أقواله وأفعاله وأحواله الا ماخص به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكر كثير الخلوة دائم الصمت لايبصر اذا نظر ولايسمع اذا نودى ولا يحزن اذا أصيب ولا يفرح اذا أصاب ولايخشى أحدا (وقد)

تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ﴾ يوم منصوب بتود أى تمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أوجزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لوان بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أوبمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير فى عملت أوخبر لماعملت من سوء وتجد مقصور على ماعملت من خير ولاتكون ماشرطية لارتفاع تود*وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع معنى لانه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ كرره للتأكيد والتذكير ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ اشارة الى انه سبحانه وتعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أوانه لذو مغفرة وذو عقاب أليم فيرجى رحمته ويخشى عذابه ﴿ قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى ﴾ المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على مايقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله سبحانه وتعالى وان كل مايراه كمالا من نفسه أوغيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى عبادته والحرص على مطاوعته ﴿ يحببكم الله

فتسر به وما عملت من سوء ﴿ تود ﴾ أى تمنى ﴿ لوأن بينها وبينه ﴾ أى وبين ماعملت من السوء ﴿ أمدا بعيدا ﴾ أى مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه أمد بعيد ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ انما كرره لتأكيد الوعيد ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولايهمل وقيل معناه انه رؤف بالعباد حيث أمهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهووعيد اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهووعد ليعلم العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه * قوله عز وجل ﴿ قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام

ايضا تجد مكتوبا فى ديوانها (تودلوأن بينها) بين النفس (وبينه) بين العمل القبيح (أمدا بعيدا) أجلا طويلا من مطلع الشمس الى مغربها (ويحذركم الله نفسه) عند المعصية (والله رؤف بالعباد) بالمؤمنين (قل) يامحمد (أن كنتم تحبون الله) ودينه (فاتبعونى) فاتبعوا دينى (يحببكم الله) يزدكم

ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ جواب للامر أى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل فى أقوام زعموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله سبحانه وتعالى فأمروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فأن تولوا ﴾ يحتمل المضى والمضارعة بمعنى فان تتولوا ﴿ فأن الله لا يحب الكافرين ﴾ لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل فلا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ﴿ أن الله اصطفى آدم ونوحا

وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يامعشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله لتقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول فى عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعونى يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين فى ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعونى فان اتباعى من محبة الله تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ يعنى ان من غفر له فقد أزال عنه العذاب ﴿ والله غفور الرحيم ﴾ يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من أحبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن أبى بن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾ يعنى ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه كل أمر أو نهى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى ما أمر الله به فى كتابه أو نهى عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان تطيعونى وتعصوا محمدا فلن أقبل منكم ﴿ فأن تولوا ﴾ أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله ﴿ فأن الله لا يحب الكافرين ﴾ أى لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم (خ) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى * قوله عز وجل ﴿ أن الله اصطفى آدم ونوحا ﴾ قال ابن عباس رضى الله

ولا يرجوه (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول) قيل هى علامة المحبة (فأن تولوا) أعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل أن يكون مضارعا أى فان تتولوا (فأن الله لا يحب الكافرين) أى لا يحبهم (أن الله اصطفى) اختار (آدم) أبا البشر (ونوحا)

حبا الى حبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) فى اليهودية (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة نزلت هذه الآية فى اليهود لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه على دينه فلما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن أبى يأمرنا محمد أن نحبه كما أحبت النصارى المسيح وقالت اليهود يريد محمد ان نتخذه ربا حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فأنزل الله فى قولهم (قل أطيعوا الله) فى الفرائض (والرسول) فى السنن (فأن تولوا) اعرضوا عن طاعتهما (فأن الله لا يحب الكافرين) اليهود والمنافقين فلما نزلت هذه الآية قالت اليهود نحن على دين آدم مسلمين فأنزل الله (أن الله اصطفى آدم) اختار آدم بالاسلام (ونوحا) بالاسلام

وآل أبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على مالم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله سبحانه وتعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسماعيل واسحق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب أو عيسى وأمه مريم بنت عمران بن ماثان بن اسعازار بن أبي يود بن يوزن بن زرب بابل بن ساليان بن يوحنا بن أوشا بن اموذن بن ميشكى بن حارفار بن احاد بن يوتام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشى بن راجعيم ابن سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن سلمون بن ياعز بن يحشون بن عمياز بن رام بن خضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أى أنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية

عنها قالت اليهود نحن من أبناء أبراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الآية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وأنتم يامعشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهى الخالص من كل شئ آدم هو أبو البشر عليه الصلاة والسلام ونوحا هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام وحكى ابن الجوزى فى تفسيره عن أبى سليمان الدمشقى ان اسم نوح السكن وانما سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه ﴿ وآل أبراهيم ﴾ قيل أراد بآل أبراهيم أبراهيم نفسه وقيل آل أبراهيم أسمعيل وأسحق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل أبراهيم أصلا لشعبتين فجعل أسمعيل بن أبراهيم عليهما الصلاة والسلام أصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل فى هذا الاصطفاء وجعل أسحق أصلا لبنى اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل أراد بآل أبراهيم من كان على دينه ﴿ وآل عمران ﴾ واختلفوا فى عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون آل عمران موسى وهارون أو نفسه وقيل هو عمران بن أشيم بن أمون وقيل بن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه الصلاة والسلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم ﴿ على العالمين ﴾ أى اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة ﴿ ذرية ﴾ أى اصطفى ذرية وأصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمى الآباء والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والاباء من ذرية آدم وهو مما ذرأه الله تعالى أى خلقه ﴿ بعضها من بعض ﴾ أى بعضها من ولد بعض وقيل بعضها

﴿من﴾

شيخ المرسلين (وآل أبراهيم) اسمعيل واسحق وأولادهما (وآل عمران) موسى وهارون هما ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران ابن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (على العالمين) على عالمى زمانهم (ذرية) بدل من آل أبراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) مبتدأ وخبره فى موضع النصب صفة لذرية يعنى ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران ابن ماثان وهو يتصل بيهودا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل فى آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها

(وآل أبراهيم) اولاد ابراهيم بالاسلام (وآل عمران) موسى وهارون بالاسلام (على العالمين) عالمى زمانهم ويقال ليس عمران أبا موسى وهارون (ذرية بعضها من بعض) بعضها على دين بعض وولد

الولديقع على الواحد والجمع فعلية من الذر أوفعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت ﴿والله سميع عليم﴾ بأقوال الناس وأعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل أوسميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها ﴿أذ قالت امرأة عمران رب أنى نذرت لك مافى بطنى﴾ فينتصب به اذ على التنازع وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من هارون فظن أن المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج ابنته ايشاع وكان يحيي وعيسى عليهما السلام ابنى خالة من الاب روى أنها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذرأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم أن لك على نذرا أن رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمته فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير وطلبت ذكرا ﴿محررا﴾ معتقا لخدمته لاأشغله

من بعض فى التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض ﴿والله سميع عليم﴾ يعنى ان الله تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا ❊ قوله عز وجل ﴿أذ قالت امرأت عمران﴾ هى حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن اشيم وليس بعمران أبى موسى لان بينهما ألفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل فى ذلك الزمن وأحبارهم وملوكهم ﴿رب أنى نذرت لك مافى بطنى محررا﴾ أى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محررا منى لك والنذر مايوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا أى عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لاأشغله بشئ من أمور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل فى الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولايبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان أحب أقام فيها وان أحب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان اختار الاقامة فى الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من أنبياء بنى اسرائيل ومن علمائهم الا ومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولاتصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم مافى بطنها ❊ وكانت القصة فى ذلك على ماذكره أصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهى أم يحيي عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أخت ايشاع عند عمران وهى أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هى فى ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على أن رزقتنى ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت مافى بطنها ولم تعلم ماهو فقال لها زوجها ويحك ماصنعت أرأيت ان كان مافى بطنك أنثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم شديد من أجل ذلك فمات عمران قبل أن تضع حنة

من بعض فى الدين (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء أوسميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها (أذقالت) واذ منصوب به أوباضمار اذكر (امرأت عمران) هى امرأة عمران ابن ماثان أم مريم جدة عيسى وهى حنة بنت فاقوذا (رب أنى نذرت لك) أوجبت (مافى بطنى محررا) هو حال من ما وهى بمعنى الذى أى معتقا لخدمة بيت المقدس لايدلى عليه ولا أستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أومخلصا للعبادة يقال طين

بعضها من بعض (والله سميع) لمقالة اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وعلى دينه (عليم) بعقوبتهم وبمن هو على دينه واذكر يا محمد (اذقالت امرأة عمران) حنة أم مريم (رب أنى نذرت لك) جعلت لك (مافى بطنى محررا) خادما

حر أى خالص (فتقبل منى) مدنى وأبو عمرو والتقبل أخذ الشئ على الرضا به (أنك أنت السميع العليم فلما وضعتها) الضمير لما فى بطنى وانما أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة (قالت رب أنى وضعتها أنثى) أنثى حال من الضمير فى وضعتها أى وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أنثى وانما قالت هذا القول لان التحرير لم يكن الا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله تعالى (والله أعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها أى والله أعلم بالشئ الذى وضعت وماعلق به من عزائم الامور وضعت شامى وأبو بكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا فى القول وعلى الاول يوقف عند قوله أنثى وقوله والله أعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تعالى (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت لها واللام فيهما للعهد (وأنى سميتها مريم) معطوف على انى وضعتها أنثى ومابينهما جملتان معترضتان وانما

لمسجد بيت المقدس (فتقبل منى أنك أنت السميع) للدعاء (العليم) بالاجابة وبما فى بطنى (فلما وضعتها) ولدتها فاذا هى جارية (قالت رب انى وضعتها أنثى) ولدتها جارية (والله أعلم بما وضعت) بما ولدت (وليس الذكر) فى الخدمة والعورة (كالانثى) كالجارية (وأنى سميتها مريم) (التسمية)

بشئ أو مخلصا للعبادة ونصبه على الحال ﴿فتقبل منى﴾ ماندرته ﴿أنك أنت السميع العليم﴾ لقولى ونيتى ﴿فلما وضعتها قالت رب أنى وضعتها أنثى﴾ الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانه كان أنثى وجاز انتصاب أنثى حالا منه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد أو على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وأنما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ أى بالشئ الذى وضعت وهو استئناف من الله سبحانه وتعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها * وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على أنه من كلامها تسلية لنفسها أى ولعل الله فيه سرا أو الانثى كان خيرا * وقرئ بما وضعت على انه خطاب الله تعالى لها ﴿وليس الذكر كالانثى﴾ بيان لقوله والله أعلم أى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس ﴿وأنى سميتها مريم﴾ عطف على ماقبلها من مقالها ومابينهما اعتراض وأنما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان

حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها ﴿فتقبل منى﴾ يعنى فتقبل نذرى والتقبل أخذ الشئ على الرضا وأصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص فى دعائه وعبادته ﴿أنك أنت السميع﴾ يعنى لتضرعى ودعائى ﴿العليم﴾ يعنى بنيتى وما فى ضميرى * قوله عز وجل ﴿فلما وضعتها﴾ أى ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان فى علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو أن يكون غلاما ﴿قالت﴾ يعنى حنة ﴿رب أنى وضعتها أنثى﴾ تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما فى بطنها قبل أن تضعه ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى أنه تعالى قال والله أعلم بالشئ الذى وضعت * وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام أم مريم على تقدير أنها لما قلت رب انى وضعتها أنثى خافت أن تكون أخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت ﴿وليس الذكر كالانثى﴾ يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها ومايحصل لها من الحيض ولانها عورة ولايجوز لها الحضور مع الرجال وقيل فى معنى الآية ان المراد منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الانثى هى موهبة لله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى هى موهبة لله تعالى وكانت مريم من أجل النساء وأفضلهن فى وقتها ﴿وأنى سميتها مريم﴾ يعنى العابدة والخادمة وهو بلغتهم وأرادت بهذه

ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لان مريم فى لغتهم العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وأنى) مدنى (أعيذها بك) أجيرها (وذريتها) أولادها (من الشيطان الرجيم) الملعون فى الحديث مامن مولود يولد الاوالشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من

مس الشيطان اياه الامريم وابنها (فتقبلها ربها)

يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة ﴿ وأنى أعيذها بك ﴾ اجيرها بحفظك ﴿ وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ المطرود وأصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم مامن مولود يولد الاوالشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الامريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الامريم وابنها فان الله سبحانه وتعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة ﴿ فتقبلها ربها ﴾ فرضى بها فى النذر مكان الذكر ﴿ بقبول حسن ﴾ أى بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة روى أن حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى أسرائيل وملوكهم فقال زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فأبوا الاالقرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها زكريا ويجوز أن يكون مصدرا على تقدير مضاف أى بذى قبول حسن وأن يكون تقبل بمعنى

التسمية أن يفضلها الله على اناث الدنيا ﴿ وأنى أعيذها بك وذريتها ﴾ أى امنعها وأجيرها بك وذريتها ﴿ من الشيطان الرجيم ﴾ يعنى اللعين الطريد وذلك ان حنة أم مريم لما فاتها ما كانت تطلب من أن يكون ولدها ذكرا فاذا هى أنثى تضرعت الى الله تعالى أن يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وأن يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن بنى آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم *وللبخارى عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن فى الحجاب *قوله عز وجل ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن ﴾ يعنى ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الاصل فى العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشئ قبولا اذا رضيته وقال أبو عمرو ليس فى المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم أسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو ان يرى الشئ ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل فى التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين

قبل الله مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) قيل القبول اسم مايقبل به الشئ كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها أنثى فى ذلك أو بان تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى أختها فقالوا لاحتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف أى فتقبلها بذى قبول حسن أى بأمر ذى قبول حسن وهو

وأنى أعيذها بك) إعتصمها بك وأمنعها بك (وذريتها) ان كان لها ذرية (من الشيطان الرجيم) اللعين (فتقبلها ربها بقبول حسن) أى أحسن اليها حتى قبلها

استقبل كتقضى وتجل أى فأخذها فى أول أمرها حين ولدت بقبول حسن ﴿ وأنبتها نباتا حسنا ﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جمع أحوالها ﴿ وكفلها زكريا ﴾ شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول أى جعله كافلا لها وضامنا بمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ أى الغرفة التى بنيت لها أو المسجد أو اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس ﴿ وجد عندها رزقا ﴾ جواب كلما وناصبه روى أنه كان لايدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة أبواب فكان

يعنى التقبل الذى بمعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضا ﴿ وأنبتها نباتا حسنا ﴾ معناه وأنبتها فنبتت هى نباتا حسنا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن أى سلك بها طريق السعداء وأنبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولانقصان فكانت تنبت فى اليوم ماينبت المولود فى عام ﴿ وكفلها زكريا ﴾ قال أهل الاخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاخبار أبناء هارون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ماتلى الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها لان خالتها عندى فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا أقلامهم فى الماء على ان من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا أقلامهم التى كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت فى النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى أعلى وجرت أقلامهم مع جرى الماء الى أسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكرياء قرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة *وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بأمرها وهو زكريا ابن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها أم يحيي حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه ولايرقى اليه الا بسلم ولايصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ يعنى الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب مايرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها المحراب ﴿ وجد عندها رزقا ﴾ يعنى فاكهة

أو ضمن القيام بأمرها وكفلها كوفى أى كفلها الله زكريا يعنى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها (زكريا) بالقصر كوفى غير أبى بكر فى كل القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه فى العبرى دائم الذكر والتسبيح (كلما دخل عليها زكريا المحراب) قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لايدخل عليها الا هو وحده (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان

مكان الغلام (وأنبتها نباتا حسنا) غذاها فى العبادة بالسنين والشهور والايام والساعات غذاء حسنا (وكفلها زكريا) ضمها اليه للتربية (كلما دخل عليها زكريا المحراب) يعنى بيتها الذى كانت تعبد فيه (وجد عندها رزقا) فاكهة الشتاء فى الصيف مثل القصب وفاكهة الصيف فى الشتاء (فى)

يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ﴿ قال يا مريم أنى لك هذا ﴾ من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه ﴿ قالت هو من عند الله ﴾ فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه الصلاة والسلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ﴿ أن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ بغير تقدير لكثرته أو بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل أن يكون من كلامها وأن يكون من كلام الله سبحانه وتعالى روى أن فاطمة رضي الله تعالى عنها أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني أسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع أهل بيته وبقي الطعام كما هو فأوسعته على جيرانها ﴿ هنالك دعا زكريا ربه ﴾ في ذلك المكان أو الوقت اذ تستعار هنا وثمه وحيث للزمان * لما رأى كرامة مريم ومنزلتها

في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿ قال ﴾ يعني زكريا ﴿ يا مريم أنى لك هذا ﴾ أي من أين لك هذه الفاكهة ﴿ قالت ﴾ يعني مريم مجيبة لزكريا ﴿ هو من عند الله ﴾ يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه الصلاة والسلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن أسحق أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها في المحراب أنماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله ﴿ أن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ وهذا يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته أو من غير سبب * وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم قال أهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر أن يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد وذلك ان أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله عز وجل ﴿ هنالك دعا زكريا ربه ﴾ يعني انه عليه الصلاة والسلام دخل محرابه وأغلق الابواب وسأل

يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كان كلام عيسى وهو في المهد (أن الله يرزق من يشاء) من جملة كلام مريم أو من كلام رب العالمين (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل (هنالك) في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثمه للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أمها حنة في الكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (دعا زكريا ربه

مثل العنب (قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا في غير حينه (قالت هو من عند الله) أتاني به جبريل (أن الله يرزق من يشاء) يعطي من يشاء في حينه وفي غير حينه (بغير حساب) بلا تقدير (قا وخا ٦٢ ل) ولا هنداز (هنالك) عند ذلك (دعا) وطمع (زكريا ربه

قال رب هب لى من لدنك ذرية) ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع (طيبة) مباركة والتأنيث للفظ الذرية (أنك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة لان المعنى اتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناديه بالياء والامالة حمزة وعلى (وهو قائم يصلى فى المحراب) وفيه دليل على ان المرادات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية الا باتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب (أن الله) بكسر الالف شامى وحمزة على اضمار القول أو لان النداء قول الباقون بالفتح أى بان الله (يبشرك) يبشرك وما بعده حمزة وعلى من بشره والتخفيف والتشديد لغتان (بيحيي) هو غير منصرف ان كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا) حال منه (بكلمة من الله) أى مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو أول من آمن به وسمى عيسى كلمة الله لان تكونه بكن بلا أب أو مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب

من الله سبحانه وتعالى ﴿قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة﴾ كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه فى غير أوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة ﴿أنك سميع الدعاء﴾ مجيبه ﴿فنادته الملائكة﴾ أى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبرائيل وحده * وقرأ حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير ﴿وهو قائم يصلى فى المحراب﴾ أى قائم فى الصلاة ويصلى صفة قائم أو خبر أو حال آخر أو حال عن الضمير فى قائم ﴿أن الله يبشرك بيحيي﴾ أى بأن الله * وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول أو لان النداء نوع منه * وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيي اسم أعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل ﴿مصدقا بكلمة من الله﴾ أى بعيسى عليه الصلاة والسلام سمى بذلك لانه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التى هى عالم

ربه الولد ﴿قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة﴾ يعنى انه قال يارب أعطنى من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية ﴿أنك سميع الدعاء﴾ أى سامعه ومجيبه * قوله عز وجل ﴿فنادته الملائكة﴾ يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام وانما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس الملائكة وقل أن يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة ﴿وهو قائم يصلى فى المحراب﴾ أى فى المسجد وذلك ان زكريا عليه الصلاة والسلام كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم فى الدخول فبينما هو قائم يصلى فى محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن فى الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه الصلاة والسلام يا زكريا ﴿أن الله يبشرك بيحيي﴾ أى بولد اسمه يحيي قال ابن عباس رضى الله عنهما سمى يحيي لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقيل لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط ﴿مصدقا بكلمة من الله﴾ يعنى عيسى بن مريم وانما سمى عيسى عليه الصلاة والسلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمى كلمة لان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمى كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمى كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل لان الله تعالى أخبر الانبياء الذين قبله فى كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة

قال رب هب لى) أعطنى (من لدنك) من عندك (ذرية طيبة) ولدا صالحا (أنك سميع الدعاء) مجيب ﴿يعنى﴾ الدعاء (فنادته الملائكة) يعنى جبريل (وهو قائم يصلى فى المحراب) فى المسجد (أن الله يبشرك بيحيي) بولد يسمى يحيي (مصدقا بكلمة من الله) بعيسى بن مريم أن يكون بكلمة من الله مخلوقا بلا أب

الامر أو بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته ﴿ وسيدا ﴾ يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فى انه ما هم بمعصية قط ﴿ وحصورا ﴾ مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ﴿ ونبيا من الصالحين ﴾ ناشئا منهم أو كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة ﴿ قال رب أنى يكون لى غلام ﴾ استبعادا من حيث العادة أو استعظاما أو تعجبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه ﴿ وقد بلغنى الكبر ﴾ أدركنى كبر السن وأثر فى

يعنى الوعد الذى وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيي أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيي أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابنى خالة وقتل يحيي قبل أن يرفع عيسى عليهما الصلاة والسلام وقيل ان أم يحيي لقيت أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيي لام عيسى يا مريم أشعرت انى حامل فقالت مريم وأنا أيضا حامل فقالت أم يحيي يا مريم أنى لاجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعنى ان يحيي آمن بعيسى وصدق به ﴿ وسيدا ﴾ من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذى يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيي عليه الصلاة والسلام سيد المؤمنين ورئيسهم فى الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذى يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا فى العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذى لا يغضبه شئ وقيل السيد هو الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير وقيل هو السخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال وأى داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح ﴿ وحصورا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من المفسرين الحصور الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذى لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعنى الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو أليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص فى معرض المدح لا يجوز وأيضا فان منصب النبوة يجل من أن يضاف الى أحدهم نقص أو آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه ﴿ ونبيا من الصالحين ﴾ يعنى انه من أولاد الانبياء الصالحين * قوله عز وجل ﴿ قال ﴾ يعنى زكريا ﴿ رب ﴾ أى يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربى أى يا سيدى وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع فى ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب ﴿ أنى يكون لى غلام ﴾ يعنى من أين يكون وكيف يكون لى غلام ﴿ وقد بلغنى الكبر ﴾ قيل هو من المقلوب ومعناه وقد

منه (وسيدا) هو الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف وكان يحيي فائقا على قومه لانه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة وقال الجنيد هو الذى جاد بالكونين عوضا عن المكون (وحصورا) هو الذى لا يقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه أى منعا لها من الشهوات (ونبيا من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من أصلاب الانبياء أو كائنا من جملة الصالحين (قال رب أنى يكون لى غلام) استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك (وقد بلغنى الكبر) كقولهم أدركته السن العالية أى أثر فى الكبر وأضعفنى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته

(وسيدا) حليما عن الجهل (وحصورا) لم يكن له شهوة الى النساء (ونبيا من الصالحين) من المرسلين (قال رب) قال زكريا لجبريل يا سيدى (أنى يكون لى غلام) من أين يكون لى ولد (وقد بلغنى الكبر وقد ادركنى الكبر

(قوله كلمة الحويدرة) الحويدرة تصغير الحادرة بالمهملات وهو لقب شاعر جاهلى اسمه قطبة ابن محصن بن خرول وأصل معنى الحادرة الضخم المنكبين وهى قصيدة عينية معروفة عند الرواة مشهورة بالبلاغة اهـ مصححه

وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة ﴿وامرأتي عاقر﴾ لاتلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد ﴿قال كذلك الله يفعل مايشاء﴾ أي يفعل مايشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل مايشاء من خلق الولد أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه الصفة ويفعل مايشاء بيان له أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الامر كذلك والله يفعل مايشاء بيان له ﴿قال رب أجعل لي آية﴾ علامة أعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار ﴿قال آيتك ألاتكلم الناس ثلاثة أيام﴾ ان لاتقدر على تكليم الناس ثلاثاً وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة لتخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان يحبس لسانك الاعن الشكر وأحسن الجواب

بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وأدركني الضعف *فأن قلت كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة أياه به ومامعنى هذه المراجعة ولم تجب من ذلك بعد وعدالله اياه به أكان شاكا في وعدالله أو في قدرته *قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعدالله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من أي جهة يكون لي الولد أيكون بأزالة العقر عن زوجتي وردشبابي على أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل مايشاء وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يازكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحى اليك في سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة * واعترض على الجواب بانه لايجوز ان يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذلوجوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي* وأجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فأما مايتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى ﴿وامرأتي عاقر﴾ أي عقيم لاتلد ﴿قال كذلك الله يفعل مايشاء﴾ يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل مايشاء لايعجزه شئ * قوله عزوجل ﴿قال﴾ يعني زكريا ﴿رب اجعل لي آية﴾ أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة والشكر لك ﴿قال آيتك﴾ أي علامتك على الذي طلبت معرفة علمه ﴿ألاتكلم الناس﴾ أي لاتقدر على تكليم الناس ﴿ثلاثة أيام﴾ أي مدة ثلاثة أيام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في

ثمان وتسعون (وامرأتي عاقر) لم تلد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) من الافعال العجيبة (قال رب اجعل لي) مدني وأبو عمرو (آية) علامة أعرف بها الحبل لاتلقى النعمة بالشكر اذا جاءت (قال آيتك ألاتكلم الناس) أي لاتقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام

وامرأتي عاقر) عقيم لاتلد (قال) جبريل (كذلك) كما قلت لك (الله يفعل مايشاء) كما يشاء (قال) زكريا (رب) أي يارب (اجعل لي آية) علامة في حبل امرأتي (قال آيتك) علامتك في حبل امرأتك (ألاتكلم الناس) لاتقدر ان تكلم الناس (ثلاثة أيام) من غير خرس

ما اشتق من السؤال ﴿ الارمزا ﴾ اشارة بنحو يد أو رأس وأصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام مادل على الضمير * وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله

متى ماتلقنى فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا

﴿ واذكر ربك كثيرا ﴾ فى أيام الحبسة وهو مؤكد لماقبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لايفيد التكرار ﴿ وسبح بالعشى ﴾ من الزوال الى الغروب وقيل من العصر أو الغروب الى ذهاب صدر الليل ﴿ والابكار ﴾ من طلوع الفجر الى الضحى * وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار ﴿ وأذ قالت الملائكة يامريم أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾

آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى أيام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بأمور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من أعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص فى هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشئ آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من أجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام ﴿ الارمزا ﴾ يعنى الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقيل أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول أصح لموافقة أهل اللغة عليه ﴿ واذكر ربك كثيرا ﴾ وذلك لما منعه الله من الكلام فى تلك المدة أمره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لاتمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه ﴿ وسبح ﴾ أى وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى ﴿ بالعشى والابكار ﴾ فاما العشى فهو مابين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاتا الظهر والعصر صلاتى العشى والابكار هو مابين طلوع الفجر الى الضحى * قوله عزوجل ﴿ وأذ قالت الملائكة ﴾ يعنى جبريل عليه السلام ﴿ يامريم أن الله اصطفاك ﴾ أى اختارك ﴿ وطهرك ﴾ يعنى من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لاتحيض وقيل من الذنوب ﴿ واصطفاك ﴾ أى واختارك ﴿ على نساء العالمين ﴾ أى عالمى زمانها وقيل على جميع نساء العالمين

الارمزا) الااشارة بيد أورأس أوعين أوحاجب وأصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه مايفهم منه سمى كلاما أوهو استثناء منقطع وانما خص تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) أى فى ايام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لايشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال والعشى من حين الزوال الى الغروب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى (وأذ) عطف على اذ قالت امرأة عمران أوالتقدير واذكر اذ (قالت الملائكة يامريم) روى انهم كلموها شفاها (أن الله اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك رباك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الافعال (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين)

(الا رمزا) الا تحريكا بالشفتين والحاجبين والعينين واليدين و يقال الاكتابة على الارض (واذكر ربك) باللسان والقلب (كثيرا) على كل حال (وسبح بالعشى والابكار) صل غدوة وعشيا كما كنت تصلى (وأذ قالت الملائكة) يعنى جبريل (يامريم أن الله اصطفاك) يقال اختارك بالاسلام والعبادة (وطهرك) من الكفر والشرك والادناس ويقال أنجاك من القتل (واصطفاك) اختارك (على نساء العالمين) عالمى زمانك بولادة عيسى

كلوها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا أو أرهاصا لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الارجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الاول تقبلها من أمها ولم تقبله قبلها أنثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها تطهيرها عما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين ﴿ يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾ أمرت بالصلاة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم أو للتنبيه على ان الواو لاتوجب الترتيب أو ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت

فأن قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثانى قلت ذكر العلماء فى معناهما وجوها يتحصل منها الفرق فقيل فى معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها *منذورة محررة ولم تحرر قبلها أنثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثانى ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير أب وأسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال أبو كريب وأشار وكيع الى السماء والارض قيل أراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير فى قوله خير نسائها ومعناه أنهما خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محيى الدين النووى والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض فى عصرها وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه (ق) عن أبى موسى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الامريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام أفضل من المرق وثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثريد مالاحم فيه أفضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة * عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امرأة فرعون أخرجه الترمذى * قوله عز وجل ﴿ يامريم اقنتى لربك ﴾ أى قالت الملائكة لها شفاها أطيعى ربك وقيل معناه أطيلى القيام فى الصلاة لربك قال الاوزاعى لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكى عن مجاهد نحوه ﴿ واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾ انما قدم السجود على الركوع لان الواو لاتقتضى الترتيب انما هى للجمع كانه قيل لها افعلى

(الركوع)

بان وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء (يامريم اقنتى لربك) أديمى الطاعة أو أطيلى قيام الصلاة (واسجدى) وقيل أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ثم قيل لها (واركعى مع الراكعين) أى ولتكن صلاتك مع المصلين أى فى الجماعة أو وانظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم

(يامريم اقنتى لربك) اطيعى لربك شكرا لذلك ويقال اطيلى القيام فى الصلاة شكرا لربك (واسجدى وازكعى) معناه واركعى واسجدى بالركوع والسجود (مع الراكعين)

(ذلك) اشارة الى ماسبق من قصة حنة وزكريا ويحيي ومريم (من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعنى ان ذلك من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى (وما كنت ﴿٤٩٥﴾ لديهم أذ يلقون أقلامهم) {سورة آل عمران} أزلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين أوهى الاقلام التى كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أوليعلموا أويقولون (وما كنت لديهم أذ يختصمون) فى شأنها تنافسا فى التكفل بها (أذ قالت الملائكة) أى ذكر (يامريم أن الله يبشرك بكلمة) أى بعيسى (منه) فى موضع جرصفة

آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك﴾ أى ماذكرنا من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى ﴿وما كنت لديهم أذ يلقون أقلامهم﴾ أقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بأقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة أو السماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم فبقى ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولايظن به عاقل ﴿أيهم يكفل مريم﴾ متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أى يلقونها ليعلموا أو يقولون أيهم يكفل مريم ﴿وما كنت لديهم أذ يختصمون﴾ تنافسا فى كفالتها ﴿أذ قالت الملائكة﴾ بدل من اذ قالت الاولى ومابينهما اعتراض أو من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع كقول لقيته سنة كذا ﴿يامريم أن الله يبشرك بكلمة منه

الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقال ابن الانبارى أمرها أمرا عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملى السجود فى حال والركوع فى حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل أراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعى مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين أعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال أفضل وأتم وقيل معناه افعلى كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة فى جماعة أى صلى مع المصلين فى جماعة * قوله عزوجل ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يقول الله عزوجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ذكرت لك من حديث زكريا ويحيي ومريم وعيسى عليهم الصلاة والسلام من أخبار الغيب ﴿نوحيه اليك﴾ أى نلقيه اليك يامحمد لانه لايمكنك ان تعلم أخبار الامم الماضين الا بوحى منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ ﴿وما كنت﴾ يعنى يامحمد ﴿لديهم﴾ هنالك عندهم ﴿أذ يلقون أقلامهم﴾ يعنى التى كانوا يكتبون بها فى الماء لاجل الاقتراع ﴿أيهم يكفل مريم﴾ يعنى يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم فى كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان أبوها قدمات فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها ﴿وما كنت لديهم أذ يختصمون﴾ يعنى فى كفالتها وتربيتها * قوله عزوجل ﴿أذ قالت الملائكة يامريم أن الله يبشرك بكلمة منه﴾ معناه وما كنت لديهم يامحمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعنى جبريل عليه السلام يامريم ان الله يبشرك * والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل القى الى فلان كلمة سرنى بها وأخبرنى خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة

مع أهل الصلاة (ذلك) هذا الذى ذكرت من خبر مريم وزكريا (من أنباء الغيب) من أخبار الغائب عنك يامحمد (نوحيه اليك) يقول نرسل جبريل به اليك (وما كنت لديهم) يعنى عند الاحبار (أذ يلقون أقلامهم) فى جرى الماء (أيهم يكفل) يأخذ (مريم) للتربية (وما كنت لديهم) عندهم (أذ يختصمون) يتكلمون بالحجة لتربية مريم (أذ قالت الملائكة) يعنى جبريل (يامريم أن الله يبشرك بكلمة منه) بولد يكون بكلمة من الله مخلوقا

اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب أيشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسح الارض ولم يقم فى موضع أو مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت فى سلكها ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد به ان الذى يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه و يجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير أب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب

لمريم يامريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهى ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد ﴿ اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ وقال قتادة فى قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة التى هى كن كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاء الله يعنى ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس رضى الله عنهما الكلمة هى عيسى عليه الصلاة والسلام وانما سمى كلمة لانه وجد عن الكلمة التى هى كن * فأن قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التى هى كن فلم خص عيسى عليه الصلاة والسلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره * قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ماهو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى فلاجرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة أتم وأكمل وبهذا التأويل حسن أن يسمى عيسى عليه الصلاة والسلام نفس الكلمة لانه حدث عنها * فأن قلت الضمير فى قوله اسمه عائد الى الكلمة وهى مؤنثة فلم ذكر الضمير * قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير * فأن قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة * قلت الضمير فى قوله اسمه يرجع الى عيسى وللمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذى يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا المسمى عيسى عليه الصلاة والسلام مسيحا وهل هو اسم مشتق أو موضوع فقيل انه موضوع وأصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب وأصل عيسى أيشوع كما قالوا موسى وأصله موشى أو ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس رضى الله عنهما سمى عيسى مسيحا لانه مامسح ذا عاهة الا برأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لايكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح فى الارض ولايقيم بمكان فكأنه يمسح الارض أى يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمى مسيحا لانه كان مسيح القدمين لاأخمص له وسمى الدجال مسيحا لانه ممسوح أحدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمى عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمى الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة

لكلمة (اسمه) مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر (المسيح) خبره والجملة فى موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلنى مباركا أينما كنت وقيل سمى مسيحا لانه كان لايمسح ذا عاهة الا برأ أو لانه كان يمسح الارض بالسياحة لايستوطن مكانا (عيسى) بدل من المسيح (ابن مريم) خبر مبتدأ محذوف أى هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى ابن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه

(اسمه المسيح) يسمى المسيح لانه يسيح فى البلدان ويقال المسيح الملك (عيسى ابن مريم

﴿وجيها في الدنيا والآخرة﴾ حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ﴿ومن المقربين﴾ من الله سبحانه وتعالى وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة أو رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا﴾ أي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر أحواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ﴿ومن الصالحين﴾ حال ثالث من

من الاضداد * قوله عز وجل ﴿وجيها﴾ أي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر ﴿في الدنيا والآخرة﴾ أما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى وأما وجاهته في الآخر فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى ﴿ومن المقربين﴾ يعني عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم أعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء ﴿ويكلم الناس في المهد﴾ يعني ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل أوان الكلام ووقته والكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله آتاني الكتاب الآية وتكلم ببراءة أمه مما رماها به أهل القرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وأنا أسمع ولما تكلم ببراءة أمه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيها الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق ﴿وكهلا﴾ يعني ويكلم الناس في حال الكهولة * والكهل في اللغة هو الذي اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي وخطه الشيب وهو السن الذي يستحكم فيه العقل وتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة أرسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو في المهد ببراءة أمه وهي معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم أخبرها بانه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغيير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفي هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة ﴿ومن الصالحين﴾ يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم أوصاف عيسى عليه الصلاة والسلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع أقواله وأفعاله فلما وصفه الله تعالى

(وجيها) ذاجاه وقدر (في الدنيا) بالنبوة والطاعة (والآخرة) بعلو الدرجة والشفاعة (ومن المقربين) برفعه الى السماء وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين أي وثابتا من المقربين وكذا (ويكلم الناس) أي ومكلما الناس (في المهد) حال من الضمير في يكلم أي ثابتا في المهد وهو ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر (وكهلا) عطف عليه أي ويكلم الناس طفلا وكهلا اى ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء (ومن الصالحين) حال أيضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات

وجيها في الدنيا) له القدر والمنزلة في الدنيا عند الناس (والآخرة) وفي الآخرة عند الله له القدر والمنزلة (ومن المقربين) الى الله في جنة عدن (ويكلم الناس في المهد) في الحجر ابن أربعين يوما اني عبد الله ومسبحه (وكهلا) بعد ثلاثين سنة بالنبوة (ومن الصالحين) من المرسلين

(قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء أذا قضى أمرا فأنما يقول له كن فيكون) أي اذا قدر تكون شيء كوّنه من غير تأخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا عن سرعة تكون الاشياء بتكوينه (ويعلمه) مدني وعاصم و موضعه حال معطوفة على وجيها الباقون بالنون على انه كلام مبتدأ (الكتاب) أي الكتابة وكان أحسن الناس خطا في زمانه وقيل كتب الله (والحكمة) بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان (والتورية والانجيل ورسولا) أي ونجعله رسولا أو يكون في موضع الحال أي وجيها في الدنيا والآخرة ورسولا (الى بني اسرائيل أني) بأني (قدجئتكم بآية من ربكم) بدلالة تدل على صدقي فيما أدعيه من النبوة (أني أخلق لكم) نصب بدل من أني قدجئتكم أوجر بدل من آية أورفع على هي أني أخلق لكم أني نافع على الاستئناف (من الطين

كلمة أوضميرها الذي في يكلم ﴿ قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ تعجب أواستبعاد عادي أواستفهام عن انه يكون بتزوج أوغيره ﴿ قال كذلك الله يخلق مايشاء﴾ القائل جبريل أو الله تعالى وجبريل حكى لها قوله تعالى ﴿ أذا قضى أمرا فأنما يقول له كن فيكون ﴾ اشارة الى انه تعالى كمايقدر ان يخلق الاشياء مدرجا بأسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ﴿ ونعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ﴾ كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لماهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج أوعطف على يبشرك أو وجيها والكتاب الكتبة أوجنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ﴿ورسولا الى بني اسرائيل أني قدجئتكم بآية من ربكم ﴾ منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بأني قدجئتكم أو بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا بأني قدجئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم أوللرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم ﴿ أني أخلق لكم من الطين

بكونه وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس في المهد وكهلا أردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات ۞ قوله عز وجل ﴿قالت﴾ يعني مريم ﴿رب﴾ يعني ياسيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل ﴿أني يكون لي ولد﴾ أي من أين يكون لي ولد ﴿ولم يمسسني بشر﴾ أي ولم يصبني رجل وانما قالت ذلك تعجبا لاشكا في قدرة الله تعالى اذلم تكن العادة جرت أن يولد ولد من غير أب ﴿قال كذلك الله يخلق مايشاء﴾ يعني هكذا يخلق الله منك ولدا من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق مايشاء ويصنع مايريد وهو قوله ﴿ أذا قضى أمرا فأنما يقول له كن فيكون ﴾ يعني كما يريد ﴿ ونعلمه الكتاب ﴾ يعني الكتابة والخط باليد ﴿والحكمة﴾ يعني العلم والسنة وأحكام الشرائع ﴿والتورية﴾ يعني التي أنزلت على موسى ﴿ والانجيل ﴾ يعني الذي أنزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ماهو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة ﴿ورسولا الى بني اسرائيل﴾ أي ونجعله رسولا الى بني اسرائيل وكان أول أنبياء بني اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فلما بعث اليهم قال ﴿أني قدجئتكم بآية من ربكم﴾ يعني بعلامة من ربكم على صدق قولي وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبني اسرائيل قالوا ماهذه الآية قال ﴿أني أخلق﴾ أي أصور وأقدر ﴿لكم من الطين

(قالت رب) قالت مريم لجبريل ياسيدي (أني يكون لي ولد) من أين يكون لي غلام ولد (ولم يمسسني بشر) بالحلال ولا بالحرام (قال) جبريل (كذلك) كما قلت لك (الله يخلق ما يشاء) كما يشاء (أذا قضى أمرا) اذا أراد ان يخلق ولدا منك بلا أب (فأنما يقول له كن فيكون) ولدا بلا أب (ويعلمه الكتاب) كتب الانبياء ويقال الكتابة (والحكمة) الحلال والحرام ويقال حكمة (كهيئة) الانبياء قبله (والتورية) في بطن أمه (والانجيل) بعد خروجه من بطن أمه (ورسولا) بعد ثلاثين سنة (الى بني اسرائيل) فلما جاءهم قال (أني قدجئتكم بآية) بعلامة (من ربكم) لنبوتي قالوا وما العلامة قال (أني أخلق) اني أصور (لكم من الطين

كهيئة الطير ﴾ نصب بدل من أنى قدجئتكم أوجر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم والمعنى أقدرلكم وأصور شيأ مثل صورة الطير * وقرأ نافع أنى بالكسر ﴿ فأنفخ فيه ﴾ الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل ﴿ فيكون طيرا بأذن الله ﴾ فيصير حياطيارا بأذن الله سبحانه وتعالى نبه به على ان احياءه من الله تعالى لامنه * وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا بالالف والهمزة ﴿ وأبرئ الاكمه والابرص ﴾ الاكمه الذى ولد أعمى أو الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام ومايداوى الابالدعاء ﴿ وأحيي الموتى بأذن الله ﴾

كهيئة الطير ﴾ والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشئ اذا قدرته وأصلحته ﴿ فأنفخ فيه ﴾ أى فى الطين المهيأ المصور ﴿ فيكون طيرا ﴾ قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع * وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ماأنفخ فيه طائرا أوماأخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من أكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لهاثدى وتحيض * ذكروا أن عيسى عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة وأظهر لهم المعجزات أخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذاغاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهوالله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى ﴿ بأذن الله ﴾ معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى أعمل هذا التصوير أنا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وأبرئ الاكمه والابرص ﴾ أى وأشفى الاكمه والابرص وأصحهما واختلفوا فى الاكمه فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى ولد أعمى وقيل هو الاعمى وان كان أبصر وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه الصلاة والسلام الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه الصلاة والسلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين ألفا فمن أطاق أن يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته ﴿ وأحيي الموتى بأذن الله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما قد أحيي أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولد له الاسام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه الصلاة والسلام فارسلت اليه أخت عازر ان أخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة أيام فاتاه عيسى وأصحابه فوجدوه قدمات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له وأما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه الصلاة والسلام

كهيئة الطير) أى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدنى (بأذن الله) بأمره قيل لم يخلق شيأ غير الخفاش (وأبرئ الاكمه) الذى ولد أعمى (والابرص وأحيي الموتى بأذن الله) كرر بأذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية روى انه أحيي سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون اليه فقالوا هذا سحر مبين فأرنا آية فقال يافلان أكلت كذا ويافلان خبئ لك كذا وهو قوله

كهيئة الطير) كشبه الطير (فأنفخ فيه) كنفخ النائم (فيكون طيرا) فيصير طيرا يطير بين السماء والارض (بأذن الله) بأمر الله فصور لهم خفاشا فقالوا هذا سحر فهل عندك غيره قال نعم (وأبرئ) أصحح (الاكمه) الذى لم يزل أعمى (والابرص) أيضا (وأحيي الموتى بأذن الله) باسم الله الاعظم ياحى ياقيوم فلما فعل ذلك قالوا هذا سحر فهل عندك غيره

كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ﴾ بالمغيبات من أحوالكم التى لاتشكون فيها ﴿ أن فى ذلك

يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وأتى أهله وعاش وولدله وأماابنة العاشر فكان أبوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولدلها وأماسام ابن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقدشاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان فقال قدقامت الساعة فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لاولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت فقال له بشرط أن يعيذنى الله من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل ﴿ وأنبئكم ﴾ يعنى وأخبركم ﴿ بما تأكلون ﴾ أى مما لم أعاينه ﴿ وماتدخرون فى بيوتكم ﴾ أى وماترفعونه فتخبؤنه فى بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه الصلاة والسلام يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكله اليوم وبما يدخره للعشاء وقيل كان فى الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا وقدرفعوا لك كذا فينطلق الصبى فيبكى على أهله حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لاتقعدوا مع ذلك الساحر وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال ومافى البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذاهم خنازير ففشا ذلك فى بنى اسرائيل وظهر فهموابه فخافت عليه أمه فحملته على حمارلها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا فى نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا فيه من طعام الجنة وأمروا أن لايخونوا ولايدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان عيسى عليه الصلاة والسلام يخبرهم بما أكلوا من المائدة وماادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفى هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام ومعجزة عظيمة له وهى اخباره عن المغيبات مع ماتقدمله من الآيات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا ممالاسبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام * فأن قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق * قلت ان المنجم والكاهن لابد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد فى اخباره عليها أما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها أو بواسطة حساب الرمل أونحو ذلك وقد يخطئ فى كثير مما يخبربه وأما الكاهن فانه يستعين برائد من الجن وقد يخطئ أيضا فى كثير ممايخبربه وأما اخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن المغيبات فليس الا بالوحى السماوى وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولاغيره فحصل الفرق ﴿ أن فى ذلك ﴾ يعنى

(وأنبئكم بماتأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) وما فيهما بمعنى الذى أو مصدرية (أن فى ذلك) فيما سبق

قال نعم (وأنبئكم) أخبركم (بما تأكلون) غدوة وعشية (وماتدخرون) ترفعون من غداء لعشاء ومن عشاء لغداء (فى بيوتكم أن فى ذلك) فيما قلت لكم

التورية) أي قدجئتكم بآية وجئتكم مصدقا (ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) رد على قوله بآية من ربكم أى جئتكم بآية من ربكم لاحل لكم ماحرم الله عليهم فى شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذى ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك (وجئتكم بآية من ربكم) كرر للتأكيد (فاتقوا الله) فى تكذيبي وخلافى (وأطيعون) فى أمرى (أن الله ربي وربكم) اقرار بالعبودية ونفى للربوبية عن نفسه بخلاف مايزعم النصارى (فاعبدوه) دونى

لآية لكم أن كنتم مؤمنين ﴾ موفقين للايمان فان غيرهم لاينتفع بالمعجزات أو مصدقين للحق غير معاندين ﴿ ومصدقا لما بين يدى من التورية ﴾ عطف على رسولا على الوجهين أو منصوب باضمار فعل دل عليه قدجئتكم أى وقدجئتكم مصدقا ﴿ ولاحل لكم ﴾ مقدر باضماره أو مردود على قوله أنى قدجئتكم بآية أو معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولأطيب قلبك ﴿ بعض الذى حرم عليكم ﴾ أى فى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه الصلاة والسلام ولايخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لايعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان ﴿ وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون أن الله ربي وربكم فاعبدوه

الذى تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات ﴿ لآية لكم ﴾ أى لعبرة ودلالة على صدقى انى رسول من الله اليكم ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ يعنى مصدقين بذلك ﴿ ومصدقا ﴾ قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على انى قدجئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا ﴿ لما بين يدى من التورية ﴾ وذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذى قبله ويصدق بما أنزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه الصلاة والسلام ومصدقا لما بين يدى من التوراة ﴿ ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم ﴾ قال وهب بن منبه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان على شريعة موسى عليه السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبنى اسرائيل انى لم أدعكم الى خلاف حرف مما فى التوراة الالاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وأضع عنكم الآصار وذلك ان الله تعالى كان قدحرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ماصدر منهم من الخيانات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فبقى ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه الصلاة والسلام فرفع عنهم تلك التشديدات التى كانت عليهم وقال قتادة كان الذى جاء به عيسى ألين من الذى جاء به موسى وكان قدحرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم وأشياء من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف وأحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه الصلاة والسلام رفع كثيرا من أحكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بأمر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق ﴿ وجئتكم بآية من ربكم ﴾ أى بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتى ثم خوفهم بقوله ﴿ فاتقوا الله ﴾ يعنى يامعشر بنى اسرائيل فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ وأطيعون ﴾ يعنى فيما ادعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما أدعوكم اليه هو قولى ﴿ أن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا فى الله تعالى وفى هذه الآية حجة

(لآية) لعلامة (لكم) لنبوتى (أن كنتم مؤمنين) مصدقين (ومصدقا) وجئتكم موافقا بالتوحيد بالدين (لما بين يدى من التورية) قبلى من التوراة وسائر الكتب (ولاحل لكم) أرخص وأبين لكم (بعض الذى) تحليل بعض الذى (حرم عليكم) مثل لحم الابل وشحوم البقر والغنم والسبت وغير ذلك (وجئتكم بآية) بعلامة (من ربكم فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم به وتوبوا اليه (وأطيعون) واتبعوا أمرى ودينى (أن الله ربي) هو ربي (وربكم فاعبدوه) فوحدوه

هذا صراط مستقيم ﴾ أي جئتكم بآية أخرى ألهمنيها ربكم وهى قولى ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبى والساحر أو جئتكم بآية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم اى جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله أى لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة وأطيعونى فيما أدعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر ﴾ تحقق كفرهم عنده تحقق مايدرك

(هذا صراط مستقيم) يؤدى صاحبه الى النعيم المقيم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم مايدرك

(هذا) التوحيد (صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام (فلما أحس) علم (عيسى منهم الكفر) ورأى منهم القتل حين أرادوا قتله ويقال أحس

على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى عليه الصلاة والسلام انه كان بريئا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبدا لله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ يعنى التوحيد ❁ قوله عز وجل ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر ﴾ أى وجد وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشئ بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله

ذكر سبب القصة

قال أهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بنى اسرائيل وأمره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه وأخرجوه من بينهم فخرج هو وأمه يسيحان فى الارض فنزل فى قرية على رجل فاضافهم وأحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل فى بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم ماشأن زوجك أراه كئيبا حزينا فقالت لا تسأليني فقالت مريم أخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولى له لا يهتم لذلك فانا آمر ابنى أن يدعو له فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فى ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لا نبالى فانه قد أحسن الينا وأكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمنى ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه الصلاة والسلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابى خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك ان خمرى من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هى من أرض أخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل أنا أخبرك ان عندى غلاما لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان

بالحواس ﴿قال من أنصاري الى الله﴾ ملتجئا الى الله سبحانه وتعالى أو ذاهبا اليه أو ضاما اليه ويجوز أن يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة أي من الذين يضيفون أنفسهم الى الله في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع أو في أو اللام ﴿قال الحواريون﴾ حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن سمي به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿نحن أنصار الله﴾ أي انصار دينه

للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا بدعوته ليستجيبن له في احياء ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لاتفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي أليس أراه فقال عيسى ان أنا أحييته تتركني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد أكلنا هذا الملك حتى اذا دنا أجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فقاتلوه وظهر أمر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فاخذوا في أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله ﴿قال﴾ يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿من أنصاري الى الله﴾ أي مع الله وقيل معناه الى ان أبين أمر الله وأظهر دينه وقيل الى بمعنى في أي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لي ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما دعا بني اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ماتصنعون قالوا نصيد السمك قال أفلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته في الماء فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تمزق من كثرته فاستعانوا بأهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلف في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشئ بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى أعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحوارين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وأنا خارج الى السفر ولا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت

بالحواس (قال من أنصاري) مدني وهو جمع ناصر كاصحاب أو جمع نصير كاشراف (الى الله) يتعلق بمحذوف حال من الياء أي من أنصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه (قال الحواريون) حواري الرجل صفوته وخاصته (نحن أنصار الله) أعوان دينه

سمع منهم تكرار الكفر (قال) عيسى (من أنصاري) من اعواني (الى الله) مع الله على أعدائه (قال الحواريون) أصفياؤه القصارون وهم اثنا عشر رجلا (نحن أنصار الله) أعوانك مع الله

﴿ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ أى مع الشاهدين بوحدانيتك أو مع الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يشهدون لاتباعهم أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس ﴿ ومكروا ﴾ أى الذين احس منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة

كل واحد منها بخيط على اللون الذى يصبغ به فأريد ان تفرغ منها وقت قدومى وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما أريد منك ثم قدم الحوارى والثياب كلها فى الحب فقال لعيسى مافعلت قال قد فرغت منها قال وأين هى قال فى الحب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى وأخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر وثوبا أسود حتى أخرجها كلها على الالوان التى يريد الحوارى فجعل الحوارى يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من أثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا أصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحوارى الناصر والحوارى الرجل الذى يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال ندب النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير قال الحواريون نحن أنصار الله يعنى أنصار دين الله ورسوله وأعوانه ﴿ آمنا بالله ﴾ أى صدقنا بان الله ربنا ورب كل شئ ﴿ واشهد ﴾ يعنى أنت ياعيسى ﴿ بأنا مسلمون ﴾ قيل معناه وأشهد بانا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بأن دينهم الاسلام وأنه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ﴾ يعنى قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت يعنى بكتابك الذى أنزلته على عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ واتبعنا الرسول ﴾ يعنى عيسى ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ يعنى الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا أمرك ونهيك فاثبت أسماءنا مع أسمائهم واجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضى ان يكون للشاهدين الذين سأل الحواريون أن يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله فاكتبنا مع الشاهدين أى مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعنى النبيين لان كل نبى شاهد على أمته * قوله عز وجل ﴿ ومكروا ﴾ يعنى كفار بنى اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعى بالفساد فى الخفية فامامكرهم بعيسى فانهم دبروا فى قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام بعد ان أخرجه قومه هو وأمه رجع مع الحواريين وصاح فيهم

(آمنا بالله واشهد) ياعيسى (بأنا مسلمون) انما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم وفيه دليل على أن الايمان والاسلام واحد (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول) أى رسولك عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم أو مع الذين يشهدون لك بالوحدانية أو مع أمة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس (ومكروا) أى كفار بنى اسرائيل الذين أحس منهم الكفر حين

على اعدائه (آمنا بالله واشهد) اعلم أنت ياعيسى (بأنا مسلمون) مقرون لله بالعبادة والتوحيد (ربنا) يا ربنا (آمنا بما أنزلت) من الكتاب يعنى الانجيل (واتبعنا الرسول) دين الرسول عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) فاجعلنا من السابقين الاولين الذين شهدوا قبلنا ويقال فاجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ومكروا) أرادوا يعنى اليهود قتل

﴿ومكر الله﴾ حين رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث أنه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج ﴿والله خير الماكرين﴾ أقواهم مكرا وأقدرهم على ايصال الضرر

بالدعوة وأظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة ﴿ومكر الله﴾ أى جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه فى مقالته وقيل مكر الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله فى هذه الآية خاصة هو ألقاء الشبه على صاحبهم الذى دلهم على عيسى حين أرادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس رضى الله عنهما ان عيسى عليه الصلاة والسلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما رأى ذلك يهودا رأس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فادخله خوخة فى سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وأمر يهودا ملك اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها وألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى فى بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعنى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين الى اليهود وقال ما تجعلون لى ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذى فيه المسيح ألقى الله شبه عيسى عليه الصلاة والسلام عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذى دل عليه فقال أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذى ألقى عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه الصلاة والسلام وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعنى ولم يصبنى الا خير وهذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت اليه فانه لم يبك عليك أحد بكاها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم تجمع لك الحواريين فبثهم فى الارض دعاة الى الله عز وجل فأهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة فى الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله ﴿والله خير الماكرين﴾ يعنى وهو أفضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدى ان اليهود حبست عيسى عليه الصلاة والسلام فى بيت

أرادوا قتله وصلبه (ومكر الله) أى جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى الى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز اضافة المكر الى الله تعالى الا على معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا فى شرح التأويلات (والله خير الماكرين) أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من

عيسى (ومكر الله) أراد الله قتل صاحبهم ططيانوس (والله خير الماكرين) أقوى المريدين ويقال

من حيث لايحتسب ﴿ أذ قال الله ﴾ ظرف لمكر الله أو خير الماكرين أو لمضمر مثل وقع ذلك ﴿ ياعيسى أنى متوفيك ﴾ أى مستوفى أجلك ومؤخرك الى أجلك المسمى عاصما أياك من قتلهم أو قابضك من الارض من توفيت مالى أو متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ﴿ ورافعك الىّ ﴾ الى محل كرامتى ومقر ملائكتى

ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فالقى عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار أنسيا ملكا أرضيا سماويا قال أهل التاريخ حملت مريم بعيسى و لها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من أرض أورى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله الى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين * قوله عز وجل ﴿ أذ قال الله ياعيسى أنى متوفيك ورافعك الىّ ﴾ اختلفوا فى معنى التوفى هنا على طريقين * فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا فى معناها وجوها * الاول معناه انى قابضك ورافعك الىّ من غير موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا أخذته وقبضته تاما والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره * الوجه الثانى ان المراد بالتوفى النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية انى منيمك ورافعك الىّ * الوجه الثالث ان المراد بالتوفى حقيقة الموت قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه انى مميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه اليه * الوجه الرابع ان الواو فى قوله ورافعك الىّ لا تفيد الترتيب والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ماذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت فى الحديث أن عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى * الوجه الخامس قال أبو بكر الواسطى معناه انى متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الىّ وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة فى زوال الشهوة * الوجه السادس ان معنى التوفى أخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعنى روحه وبقى

حيث لايشعر المعاقب (أذ قال الله) ظرف لمكر الله (ياعيسى أنى متوفيك) أى مستوفى أجلك ومعناه أنى عاصمك من أن تقتلك الكفار ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم (ورافعك الى) الى سمائى ومقر ملائكتى

أفضل الصانعين (أذ قال الله ياعيسى أنى متوفيك ورافعك) مقدم ومؤخر يقول انى رافعك (الى

﴿ومطهرك من الذين كفروا ﴾ من سوء جوارهم أو قصدهم ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ﴾ يعلونهم بالحجة أو السيف فى غالب الامر و متبعوه من أقر بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع أغلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم

فى الارض ناسوته يعنى جسده فرد الله عليهم بقوله أنى متوفيك ورافعك الى فأخبر الله أنه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا * الطريق الثانى ان فى الآية تقديما وتأخيرا تقديره أنى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى الى الارض فى القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا و ذلك لانه لم يكتهل فى الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد * زاد فى رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته * وفى رواية كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم * وفى رواية فامكم منكم قال ابن أبى ذؤيب تدرى ما أمكم منكم قلت فاخبرنى قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم * وفى أفراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينماهما كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق ۞ عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبينه يعنى عيسى نبى وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل فى زمانه كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون أخرجه أبو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه الصلاة والسلام يدفن فى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام ۞ قوله عز وجل ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ يعنى مخرجك من بينهم و منجيك منهم ﴿ و جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ﴾ يعنى وجاعل الذين اتبعوك فى التوحيد وصدقوا قولك وهم أهل الاسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان أظهروا متابعة عيسى عليه الصلاة والسلام فهم أشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له

من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالى على فلان اذا استوفيته أو مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن اذ الواو لا توجب الترتيب قال النبى عليه السلام ينزل عيسى خليفة على أمتى يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها أو متوفى نفسك بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب (وجاعل الذين اتبعوك) أى المسلمين لانهم متبعوه فى أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فوق الذين كفروا) بك (الى يوم القيمة) يعلونهم بالحجة وفى أكثر الاحوال بها وبالسيف

ومطهرك) منجيك (من الذين كفروا) بك (وجاعل الذين اتبعوك) اتبعوا دينك (فوق الذين كفروا) بالحجة والنصرة (الى يوم القيمة)

ثم متوفيك قابضك بعد النزول ويقال متوفى قلبك من حب الدنيا

(ثم الى مرجعكم) فى الآخرة (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم والله لايحب الظالمين) وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفيهم حفص

(ذلك) اشارة الى ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ (نتلوه عليك) خبره (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (والذكر الحكيم) القرآن يعنى المحكم أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لماقال وفد بنى نجران هل

ثم الى مرجعكم) بعد الموت (فأحكم بينكم) فاقضى بينكم (فيما كنتم فيه) فى الدين (تختلفون) تخاصمون (فأما الذين كفروا) بالله ورسوله محمد وعيسى (فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) بالسيف والجزية (والآخرة) بالنار (وما لهم من ناصرين) من مانعين من عذاب الله فى الدنيا والآخرة (وأما الذين آمنوا) بالله والكتاب والرسول محمد وعيسى (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم خالصا (فيوفيهم) يوفرهم (أجورهم) ثوابهم فى الجنة يوم القيامة (والله لايحب الظالمين) المشركين بظلمهم وشركهم (ذلك) الذى ذكرت يامحمد من خبر عيسى (نتلوه عليك) ننزل عليك جبريل به (من الآيات) يقول من آيات القرآن بالامر والنهى (والذكر الحكيم) المحكم بالحلال والحرام ﴿قوله﴾ ويقال موافقا للتوراة والانجيل ويقال للوح المحفوظ ثم بين تخليق عيسى بلا أب لقول وفد بنى نجران

ملك ودولة ﴿ثم الى مرجعكم﴾ الضمير لعيسى عليه الصلاة والسلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين ﴿فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم﴾ تفسير للحكم وتفصيل له * وقرأ حفص فيوفيهم بالياء ﴿والله لايحب الظالمين﴾ تقرير لذلك ﴿ذلك﴾ اشارة الى ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره ﴿نتلوه عليك﴾ وقوله ﴿من الآيات﴾ حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على أن العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه ﴿والذكر الحكيم﴾ المشتمل على الحكم أو المحكم

بأنه عبدالله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة ﴿ثم الى مرجعكم﴾ يعنى يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين فى الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به ﴿فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ يعنى من الحق فى أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى ﴿فأما الذين كفروا﴾ يعنى الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ماقالوا من الباطل ووصفوه بما لاينبغى من سائر اليهود والنصارى ﴿فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا﴾ يعنى بالقتل والسبى والذلة وأخذ الجزية منهم ﴿والآخرة﴾ أى وأعذبهم فى الآخرة بالنار ﴿ومالهم من ناصرين﴾ يعنى مانعين يمنعونهم من عذابنا ﴿وأما الذين آمنوا﴾ يعنى بعيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته ﴿وعملوا الصالحات﴾ يعنى عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ يعنى جزاء أعمالهم لاينقص منه شئ ﴿والله لايحب الظالمين﴾ أى لايحب من ظلم غيره حقاله أووضع شيأ فى غير موضعه والمعنى انه تعالى لايرحمهم ولايثنى عليهم بجميل ثم قال تعالى ﴿ذلك﴾ يعنى الذى ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص ﴿نتلوه عليك﴾ أى نخبرك به يامحمد على لسان جبريل وانما أضاف مايتلوه جبريل عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلا فاضافه اليه ﴿من الآيات﴾ يعنى من القرآن وقيل الآيات يعنى العلامات الدالة على نبوتك يامحمد لانها أخبار لايعلمها الامن يقرأ ويكتب أونبى يوحى اليه وأنت أمى لاتقرأ ولاتكتب فثبت ان ذلك من الوحى السماوى الذى أنزل عليك ﴿والذكر الحكيم﴾ أى المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذى منه تنزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش

الممنوع من تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ﴿أن مثل عيسى عندالله كمثل آدم﴾ أى شأنه الغريب كشأن آدم عليه الصلاة والسلام ﴿خلقه من تراب﴾ جملة مفسرة للتمثيل مبينة لماله الشبه وهو انه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم شبه حاله بما هو اغرب منه أفحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ﴿ثم قال له كن﴾ أى أنشأه بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر

---

* قوله عز وجل ﴿أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ الآية أجمع أهل التفسير ان هذه الآية نزلت فى محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس رضى الله عنهما ان رهطا من أهل نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ماشأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبدالله فقال النبى صلى الله عليه وسلم أجل انه عبدالله فقالوا له فهل رأيت له مثلا أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت انسانا قط من غير أب فأنزل الله تعالى ان مثل عيسى عندالله أى فى الخلق والانشاء فى كونه خلقه من غير أب كمثل آدم فى كونه خلقه من تراب من غير أب وأم ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير أب كصفة آدم فى كونه خلقه من تراب لا من أب وأم فمن أقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو أبلغ فى القدرة فلا يقر بان الله خلق عيسى من مريم من غير أب بل الشأن فى خلق آدم أعجب وأغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم فى كونه خلقه من تراب أى قدره جسدا من طين ﴿ثم قال له كن﴾ أى أنشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا فى الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضى أن يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق وأجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى أخبر بأنه خلقه من تراب لا من ذكر وأنثى ثم ابتدأ خبرا آخر فقال انى أخبركم أيضا انى قلت له كن فكان من غير ترتيب فى الخلق كما يكون فى الولادة ويحتمل أن يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير فى قوله كن يرجع الى عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى هذا فلا اشكال فى الآية * فان قلت كيف شبه عيسى عليه الصلاة والسلام بآدم عليه الصلاة والسلام وقد وجد عيسى من غير أب ووجد آدم من غير أب ولا أم * قلت هو مثله فى أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة فى بعض الاوصاف ولانه شبه به فى انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران لان الوجود من غير أب وأم أغرب فى العادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون

أى ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) قدره جسدا من طين وهى جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغرب به وعن بعض العلماء انه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيى أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما (ثم قال له كن)

أتتنا بحجة من القرآن على قولك ان عيسى ليس ولدا لله فقال الله (أن مثل عيسى) مثل تخلق عيسى (عندالله) بلا أب (كمثل آدم خلقه من تراب) بلا أب وأم (ثم قال له) لعيسى (كن

أى أنشأه بشرا (فيكون) أى فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق (فلا تكن) أيها السامع (من الممترين) الشاكين ويحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لانه عليه السلام معصوم من الامتراء (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ماجاءك من العلم) من البينات الموجبة للعلم وماعنى الذى (فقل تعالوا) هلموا والمراد بالمجئ العزم والرأى كما تقول تعال نتفكر فى هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل

أوقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا المخبر ﴿فيكون﴾ حكاية حال ماضية ﴿الحق من ربك﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره أى الحق المذكور من الله تعالى ﴿فلا تكن من الممترين﴾ خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات أو لكل سامع ﴿فمن حاجك﴾ من النصارى ﴿فيه﴾ فى عيسى ﴿من بعدما جاءك من العلم﴾ أى من البينات الموجبة للعلم ﴿فقل تعالوا﴾ هلموا بالرأى والعزم ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ أى يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ﴿ثم نبتهل﴾ أى نتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصله الترك من قولهم أبهلت الناقة اذا تركتها بلا اصرار

أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وحكى ان بعض العلماء أسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أب له ولا أم قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل أولى لان عيسى أحيى أربعة نفر وأحيى حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سليما * قوله عز وجل كن ﴿فيكون﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ماقال له ربك كن فانه يكون لامحالة ﴿الحق من ربك﴾ الذى أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك ﴿فلا تكن من الممترين﴾ أى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا أيها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة * قوله عز وجل ﴿فمن حاجك فيه﴾ أى فمن جادلك فى عيسى وقيل فى الحق ﴿من بعد ماجاءك من العلم﴾ يعنى بأن عيسى عبد الله ورسوله ﴿فقل تعالوا﴾ أى هلموا والمراد منه المجئ وأصله من العلو بالرأى والعزم كما تقول تعال نتفكر فى هذه المسئلة ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ﴿ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ قيل أراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل على العموم لجماعة أهل الدين ﴿ثم نبتهل﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال

فيكون) ولدا بلا أب (الحق) هو الخبر الحق (من ربك) ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه (فلا تكن من الممترين) من الشاكين فيما بينت لك من تخليق عيسى بلا أب * ثم ذكر خصومة وفد بنى نجران مع النبى صلى الله عليه وسلم بعد مابين لهم ان مثله عند الله كمثل آدم فقالوا ليس كما تقول ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه فقال الله (فمن حاجك فيه) فمن خاصمك فيه فى عيسى (من بعد ماجاءك من العلم) من البيان بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه (فقل تعالوا ندع أبناءنا) نخرج أبناءنا (وأبناءكم) أخرجوا أنتم أبناءكم (ونساءنا) نخرج نساءنا (ونساءكم) اخرجوا أنتم نساءكم (وأنفسنا) نخرج بأنفسنا (وأنفسكم) اخرجوا أنتم بأنفسكم (ثم نبتهل) نتضرع ونجتهد

﴿الالتعان﴾

أبن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه عليه السلام لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يامعشر النصارى ان محمدا نبي مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لنهلكن فان أبيتم الا ألف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا للحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يامعشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى فقالوا ياأبا القاسم رأينا أن لانباهلك فصالحهم النبى على ألفى حلة كل سنة فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير وانما ضم الابناء والنساء وان كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لان ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وألصقهم بالقلوب وقدمهم فى الذكر على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق أو مخالف انهم أجابوا الى ذلك (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) منا ومنكم فى شأن عيسى، ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع

﴿فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾ عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ماترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فأن أبيتم الا ألف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله عنه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال أسقفهم يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية ألفى حلة حمراء

الالتعان يقال عليه بهلة الله أى لعنة الله ﴿فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾ يعنى منا ومنكم فى أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى أمرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ماترى ياعبد المسيح قال لقد عرفتم يامعشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان أبيتم الا الاقامة على ماأنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال يامعشر النصارى انى لارى وجوها لوسألوا الله أن يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا ياأبا القاسم قد رأينا أن لانباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ماللمسلمين وعليكم ماعليهم فأبوا ذلك فقال انى أناجزكم فقالوا مالنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على أن لاتغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى اليك فى كل سنة ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب* زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم

فى الدعاء (فنجعل) فنقل (لعنت الله) فيما بيننا (على الكاذبين) على الله فى عيسى

(أن هذا) الذى قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص الحق) هو فصل بين اسم ان وخبرها أومبتدأ والقصص الحق خبره و الجملة خبر ان و جاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لانه أقرب الى المبتدأ منه وأصلها ان تدخل على المبتدأ ومن فى (ومامن أله الاالله) بمنزلة البناء على الفتح فى لااله الاالله فى افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى تثليثهم (وأن الله لهو العزيز) فى الانتقام (الحكيم) فى تدبير الاحكام (فأن تولوا) أعرضوا ولم يقبلوا (فأن الله عليم بالمفسدين) وعيدلهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون

(أن هذا) الذى ذكرت يامحمد من خبر عيسى و وفد بنى نجران (لهو القصص الحق) الخبر الحق بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولاشريكه (ومامن أله الاالله) بلاولد ولاشريك (وأن الله لهو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أمر ان لايعبد غيره ويقال الحكيم حكم عليهم الملاعنة فتولوا عن ذلك ولم يخرجوا فى الملاعنة مع النبى عليه السلام لانهم علموا أنهم كاذبون وان محمدا نبى صادق مرسل وصفته و نعته فى كتابهم فقال الله (فأن تولوا) عن دعوتكم الى الملاعنة مع النبى صلى الله عليه وسلم (وتهديد) (فأن الله عليم بالمفسدين) بنصارى بنى نجران ثم دعاهم الى التوحيد

وثلاثين درعا من حديد فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لوتباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر وهودليل على نبوته صلى الله عليه وسلم وفضل من أتى بهم من أهل بيته ﴿ أن هذا ﴾ أى ماقص من نبأ عيسى ومريم ﴿ لهو القصص الحق ﴾ بجملتها خبران أوهو فصل يفيد أن ماذكره فى شأن عيسى ومريم حق دون ماذكروه ومابعده خبر واللام دخلت فيه على الفصل لانه أقرب الى المبتدأ من الخبر وأصلها ان تدخل على المبتدأ ﴿ ومامن أله الا الله ﴾ صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم ﴿ وأن الله لهو العزيز الحكيم ﴾ لا أحد سواه يساويه فى القدرة التامة و الحكمة البالغة ليشاركه فى الالهية ﴿ فأن تولوا فأن الله عليم بالمفسدين ﴾ وعيدلهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج

عليهم الوادى نارا والاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا * فأن قلت ماكان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء فى المباهلة * قلت ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وافلاذ كبده وأحب الناس اليه فلذلك ضمهم فى المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وألصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم فى الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق ومخالف انهم أجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته ومايدل عليها فى كتبهم * قوله عز وجل ﴿ أن هذا ﴾ يعنى الذى قص عليك يامحمد من خبر عيسى عليه الصلاة والسلام وانه عبدالله ورسوله ﴿ لهو القصص الحق ﴾ وأصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذى تتابع فيه المعانى ﴿ ومامن أله الاالله ﴾ انما دخلت من لتوكيد النفى والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفى جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لاشريك له فى الالهية ﴿ وأن الله لهو العزيز ﴾ أى الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها آخر ﴿ الحكيم ﴾ يعنى فى تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك ﴿ فأن تولوا ﴾ يعنى فان أعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه ﴿ فأن الله عليم بالمفسدين ﴾ أى الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد

والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم ﴿ قل ياأهل الكتاب ﴾ يعم أهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران أو يهود المدينة ﴿ تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ لايختلف فيها الرسل والكتب و تفسيرها مابعدها ﴿ ألا نعبد الا الله ﴾ أى نوحده بالعبادة ونخلص فيها ﴿ ولانشرك به شيأ ﴾ ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولانراه أهلا لان يعبد ﴿ ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ ولانقول عزير ابن الله ولاالمسيح ابن الله ولانطيع الاحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لان كلامنهم بعضنا بشر مثلنا روى أنها لما نزلت اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ماكنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك ﴿ فأن تولوا ﴾ عن التوحيد ﴿ فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ أى لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنكم

وتهديد لهم ✽ قوله عزوجل ﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ قال المفسرون لماقدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا فى أبراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من أبراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ماتريد الا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يامحمد ماتريد الا أن نقول فيك ماقالت اليهود فى عزير فأنزل الله عزوجل قل ياأهل الكتاب تعالوا أى هلموا الى كلمة يعنى فيها انصاف ولاميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمى كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح كلمة سواء أى عدل لايختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله ﴿ ألا نعبد الا الله ولانشرك به شيأ ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل يامحمد لليهود والنصارى هلموا الى أمر عدل نصف وهو أن لانقول عزير ابن الله ولانقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولانطيع أحبارنا ورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ماشرع ولايسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع أحدا فى معصية الله ﴿ فأن تولوا ﴾ يعنى فان أعرضوا عما أمرتهم به ﴿ فقولوا ﴾ أنتم لهؤلاء ﴿ اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ أى مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أباسفيان أخبره ان هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش

(تعالوا الى كلمة سواء) أى مستوية (بيننا وبينكم) لايختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد الا الله ولانشرك به شيأ ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) يعنى تعالوا اليها حتى لانقول عزير ابن الله ولاالمسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولانطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ماشرع الله وعن عدى ابن حاتم ماكنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فأن تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم

فقال (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة) لا اله الا الله (سواء) عدل (بيننا وبينكم الا نعبد الا الله) ان لانوحد الا الله (ولانشرك به شيأ) من المخلوقين (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) لايطيع أحدنا أحدا من الرؤساء فى معصية الله (من دون الله) فأبوا عن ذلك أيضا فقال الله (فأن تولوا) أعرضوا وأبوا (قا و خا ٦٥ ل) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا) اعلموا أنتم (بأنا مسلمون) مقرون له

كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل *(تنبيه)* انظر الى ماراعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج بين أولا أحوال عيسى عليه الصلاة والسلام وماتعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكر مايحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا أسهل وألزم بأن دعاهم الى ماوافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك أيضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لاتغنى عنهم أعرض عن ذلك وقال فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿ياأهل الكتاب لم تحاجون فى أبراهيم وماأنزلت التورية والانجيل الا من بعده﴾ تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت

أن تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال أوصراع اعترف بأنى أنا الغالب وسلم الى الغلبة (ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التورية والانجيل الا من بعده) زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة متطاولة

وكانوا تجارا بالشأم فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادفيها أباسفيان وكفار قريش فأتوه وهو بايليا فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية الكلبى الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فأن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون لفظ الحديث أحد روايات البخارى وقد أخرجه باطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسيين وفى رواية الاريسين * والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبدالله بن أريس رجل كان فى الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى أتباع عبدالله بن أروس وهم الاروسة وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صددتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك * قوله عزوجل ﴿ياأهل الكتاب لم تحاجون فى أبراهيم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما اجتمع عند النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ماكان أبراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ماكان أبراهيم الا نصرانيا فأنزل الله فيهم ياأهل الكتاب لم تحاجون فى أبراهيم ﴿وما أنزلت التورية والانجيل الا من بعده﴾ ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن أبراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة أنه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل أبراهيم مما ادعوا فيه وأخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد أبراهيم بزمان طويل فكان بين أبراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى

بالعبادة والتوحيد ثم ذكر خصومتهم مع النبى صلى الله عليه وسلم بقولهم انا مسلمون على دين ابراهيم وادعوا ذلك فى التوراة فقال الله (ياأهل الكتاب لم تحاجون) تخاصمون (فى أبراهيم) فى دين ابراهيم (وماأنزلت التورية والانجيل الا من بعده) بعد ابراهيم

(أفلا تعقلون) حتى لاتجادلوا مثل هذا الجدال المحال (هاأنتم هؤلاء) هاللتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره (حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعنى أنتم هؤلاء الاشخاص الحمقاء وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم (فيمالكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته هآ أنتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدنى وأبو عمرو (والله يعلم) علم ماحاججتم فيه (وأنتم لاتعلمون) وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بانه برئ من دينهم فقال (ما كان أبراهيم يهوديا ولا نصرانيا

والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما ﴿أفلا تعقلون﴾ فتدعون المحال ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيمالكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ هاحرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التى غفلوا عنها وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة أخرى مبينة للاولى أى أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التوراة والانجيل عنادا أو تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لاعلم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل هاأنتم أصله آأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء * وقرأ نافع وأبو عمرو هآأنتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش أقل مدا وقنبل بالهمز من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزى يقتصر على المد على أصله ﴿والله يعلم﴾ ماحاججتم فيه ﴿وأنتم لاتعلمون﴾ وأنتم جاهلون به ﴿ما كان أبراهيم يهوديا ولا نصرانيا﴾ تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان

ألف وستمائة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن اسحق كان بين أبراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل أن الاسلام أيضا انما حدث بعد أبراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك أنزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ماادعيتم فى أبراهيم انه كان حنيفا مسلما وأجيب عنه بان الله عزوجل أخبر فى القرآن بأن أبراهيم كان حنيفا مسلما وليس فى التوراة والانجيل أن أبراهيم كان يهوديا أونصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ماادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى ﴿أفلاتعقلون﴾ يعنى بطلان قولكم يامعشر اليهود والنصارى حتى لاتجادلوا مثل هذا الجدال المحال ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ ها للتنبيه وهو موضع النداء يعنى ياهؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين يعنى يامعشر اليهود والنصارى ﴿حاججتم﴾ أى جادلتم وخاصمتم ﴿فيمالكم به علم﴾ يعنى فيما وجدتم فى كتبكم وأنزل عليكم بيانه فى أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ يعنى انه ليس فى كتابكم أن أبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا ﴿والله يعلم﴾ يعنى ما كان أبراهيم عليه من الدين ﴿وأنتم لاتعلمون﴾ يعنى ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما تقولون فى أبراهيم ثم برأه الله عزوجل عماقالوا فيه واعلمهم أن أبراهيم برئ من دينهم فقال تعالى ﴿ما كان أبراهيم يهوديا ولانصرانيا﴾ يعنى لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى

(أفلا تعقلون) أنه ليس فيهما ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا (هآ أنتم هؤلاء) أنتم ياهؤلاء اليهود والنصارى (حاججتم) خاصمتم (فيمالكم به علم) فى كتابكم ان محمدا نبى مرسل وان ابراهيم لم يكن يهوديا ولانصرانيا فجحدتم ذلك (فلم تحاجون) فلم تخاصمون (فيما ليس لكم به علم) فى كتابكم فتقولون ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا (والله يعلم) ان ابراهيم لم يكن يهوديا ولانصرانيا (وأنتم لاتعلمون) أنه كان يهوديا أونصرانيا ثم بين الله تكذيب قولهم فقال (ما كان أبراهيم يهوديا) على دين اليهود (ولا نصرانيا) على دين النصارى

﴿ ولكن كان حنيفا ﴾ مائلا عن العقائد الزائغة ﴿ مسلما ﴾ منقادالله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام ﴿ وماكان من المشركين ﴾ تعريض بأنهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ أن أولى الناس بأبراهيم ﴾ أى أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهوالقرب ﴿ للذين اتبعوه ﴾ من أمته ﴿ وهذا النبى والذين آمنوا ﴾ لموافقتهم له فى أكثر ماشرع لهم على الاصالة * وقرئ والنبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم ﴿ والله ولى المؤمنين ﴾ ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم

﴿ ولكن كان حنيفا مسلما ﴾ يعنى مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذى يوحد ويختتن ويضحى ويستقبل الكعبة فى صلاته وهو أحسن الاديان وأسهلها وأحبها الى الله عزوجل ﴿ وماكان من المشركين ﴾ يعنى الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بألهية المسيح وعبادتهم له * قوله عزوجل ﴿ أن أولى الناس بأبراهيم ﴾ يعنى أخصهم به وأقربهم منه ﴿ للذين اتبعوه ﴾ يعنى الذين كانوا فى زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته ﴿ وهذا النبى ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ والذين آمنوا ﴾ يعنى هذه الامة الاسلامية ﴿ والله ولى المؤمنين ﴾ يعنى بالنصر والمعونة * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وان وليى أبى وخليل ربى أبراهيم ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين أخرجه الترمذى * وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه واناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر ماكان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين عند النجاشى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشى لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبى معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجداله وسلما عليه وقالاله ان قومنالك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه أحدمنا الاالسفهاء وانا كنا قدضيقنا عليهم الامر وألجأناهم الى شعب بأرضنا لايدخل عليهم أحد ولايخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك

﴿ لايسجدون ﴾

و لكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين) كأنه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح أوو ماكان من المشركين كالم يكن منهم (أن أولى الناس بأبراهيم) ان أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) فى زمانه وبعده (وهذا النبى) خصوصا خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام (والذين آمنوا) من أمته (والله ولى المؤمنين) ناصرهم

(ولكن كان حنيفا) حاجا (مسلما) مخلصا (وماكان من المشركين) على دينهم ثم بين من هو على دين ابراهيم فقال (أن أولى الناس) أحق الناس (بأبراهيم) بدين ابراهيم (للذين اتبعوه) فى زمانه (وهذا النبى) محمد على دينه (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن أيضا على دين ابراهيم (والله ولى المؤمنين) حافظهم وناصرهم ثم ذكر دعوة كعب بن الاشرف وأصحابه أصحاب رسول الله معاذا وحذيفة وعمارا بعد يوم أحد الى دينهم اليهودية عن دينهم الاسلام فقال

لايسجدون لك ولايحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك
قالا فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى
فقال النجاشى مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى نعم فليدخلوا
بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله
وماأجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص
ألا ترى انهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشى مامنعكم أن تسجدوا لى
وتحيونى بالتحية التى يحيينى بها من أتانى من الآفاق قالوا نسجد لله الذى خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فأمرنا
بالتحية التى رضيها الله وهى السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشى ان ذلك حق
وانه فى التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله تعالى قال جعفر
أنا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من أهل الكتاب ولايصلح عندك كثرة
الكلام ولاالظلم وانما أحب ان أجيب عن أصحابى فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما
ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشى سل
هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا قد أبقنا من أربابنا فردنا عليهم
فقال النجاشى أعبيدهم أم أحرار فقال، بل أحرار كرام فقال النجاشى نجوا من
العبودية فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لاولاقطرة
قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشى ان كان
قنطارا فعلى قضاؤه فقال عمرو لاولاقيراط فقال النجاشى فما تطلبون منهم قال كنا
وأياهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا
قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشى وماهذا الدين الذى كنتم عليه والدين الذى اتبعوه
فقال جعفر أماالدين الذى كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة
وأماالذى تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عندالله رسول وكتاب مثل
كتاب ابن مريم موافقاله فقال النجاشى ياجعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم أمر
النجاشى بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده
قال النجاشى أنشدكم الله الذى أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين
يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بى
ومن كفر به فقد كفر بى فقال النجاشى لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل ومايأمركم به
وماينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر
ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبدالله وحده لاشريك له
فقال اقرأ على مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشى
وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف
فأراد عمرو أن يغضب النجاشى فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشى فما تقولون
فى عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشى

﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ﴾ نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان ﴿ ومايضلون الا أنفسهم ﴾ وما يتخطاهم الاضلال ولايعود وباله الاعليهم اذ يضاعف به عذابهم أو مايضلون الأمثالهم ﴿ وما يشعرون ﴾ وزره واختصاص ضرره بهم ﴿ ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ﴾ بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ انها آيات الله أوبالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أوتعلمون بالمعجزات انه حق ﴿ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾ بالتحريف وابراز الباطل في صورته أو بالتقصير في التميز بينهما * وقرئ وتلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء أي تكتسون الحق مع الباطل كقوله عليه الصلاة والسلام كلابس

من سواكه قدر مايقذى العين وقال والله مازاد المسيح على ماتقولون هذا ثم اقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم أوآذاكم غرم ثم قال ابشروا ولاتخافوا فلادهورة اليوم على حزب أبراهيم فقال عمرو يانجاشي ومن حزب أبراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين أبراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وأنزل الله عزوجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في أبراهيم وهو في المدينة ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * قوله عزوجل ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لويضلونكم ﴾ نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهم حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة أي تمنت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود لويضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر ﴿ ومايضلون الا أنفسهم ﴾ لان المؤمنين لايقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين ﴿ وما يشعرون ﴾ يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون أمثالهم وأتباعهم وأشياعهم ﴿ ياأهل الكتاب ﴾ الخطاب لليهود ﴿ لم تكفرون بآيات الله ﴾ يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم مافيها من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ يعني ان نعته وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك ان أحبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض أظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق ﴿ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾ وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا

(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا أنفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم (ومايشعرون) بذلك (ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لايؤمنون بمانطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها (وأنتم تشهدون) تعترفون بانها آيات الله أوتكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون انها حق (ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) تخلطون الايمان بموسى وعيسى

(ودت) تمنت (طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) ان يضلوكم عن دينكم الاسلام (وما يضلون) عن دين الله (الا أنفسهم ومايشعرون) ذلك ويقال لايعلمون ان الله يخبر نبيه بذلك (ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بمحمد والقرآن (وأنتم تشهدون) تعلمون في كتابكم ان محمدا نبي مرسل (ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) لم تخلطون الباطل مع الحق في كتابكم صفة

ثوبى زور ﴿ وتكتمون الحق ﴾ نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ونعته ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ عالمين بما تكتمونه ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ﴾ أى أظهروا الايمان بالقرآن أول النهار ﴿ واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بأنكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا فى الاسلام أول النهار ويقولوا

صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بألسنتهم وكانوا يجتهدون فى ألقاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعى فى اخفاء الحق لايقدر على ذلك الابهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذى كتبوه بأيديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤا على اظهار الاسلام فى أول النهار والرجوع عنه فى آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وأنه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لاينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس ﴿ وتكتمون الحق ﴾ يعنى نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته فى التوراة ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ يعنى انه رسول من عندالله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وانتم تعلمون ماتستحقون على كتمان الحق والعقاب * قوله عز وجل ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره ﴾ وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد فى دينه واتهموه وقالوا أنهم أهل الكتاب وأعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا فى شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذى أنزل على محمد فى أمر الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وأنزل هذه الآية ووجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شئ لانه أول مايواجه منه وأنشدوا فى معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

* قوله عز وجل ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ يعنى عنه أى انا ألقينا هذه الشبهة لعلهم يشكون

(وأنتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من أهل الكتاب) فيما بينهم (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) أى القرآن (وجه النهار) ظرف أى أوله يعنى أظهروا الايمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار (واكفروا آخره) واكفروا به فى آخره (لعلهم يرجعون) لعل المسلمين يقولون مارجعوا وهم أهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم

الدجال بصفة محمد (وتكتمون الحق) ولم تكتمون صفة محمد ونعته (وأنتم تعلمون) ذلك فى كتابكم ثم ذكر مقالة كعب وأصحابه فى تحويل القبلة فقال (وقالت طائفة من أهل الكتاب) كعب وأصحابه من الرؤساء لسفلتهم (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وجه النهار) أول النهار وهو صلاة الفجر (واكفروا آخره) يعنى صلاة الظهر يقولون آمنوا بالقبلة التى صلى اليها محمد وأصحابه صلاة الفجر واكفروا آخره بالقبلة الاخرى التى صلوا اليها صلاة الظهر (لعلهم يرجعون) لكى يرجع عامتهم الى دينكم وقبلتكم

(أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا أيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء هداه حتى أسلم أو ثبت

(ولا تؤمنوا) لا تصدقوا أحدا بالنبوة (الا لمن تبع دينكم) اليهودية وقبلتكم بيت المقدس (قل) لهم يا محمد يعني اليهود (أن الهدى هدى الله) ان دين الله هو الاسلام وقبلة الله هي الكعبة (أن يؤتى) ان يعطى (أحد) من الدين والقبلة (مثل ما أوتيتم) أعطيتم يا أصحاب محمد (أو يحاجوكم) أو أن يخاصموكم اليهود بهذا الدين والقبلة (عند ربكم) يوم القيامة

آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عليه الصلاة والسلام بالنعت الذي ورد في التوراة لعل أصحابه يشكون فيه ﴿ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ﴾ ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم أو لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فأن رجوعهم أرجى و أهم ﴿ قل أن الهدى هدى الله ﴾ يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ﴿ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ متعلق بمحذوف أي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى أحد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك أو بلا تؤمنوا أي ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل أن الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدى بطائل أو خبر أن على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير آن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول أي ألأن يؤتى أحد دبرتم * وقرئ أن على أنها النافية فيكون من كلام الطائفة أي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿ أو يحاجوكم عند ربكم ﴾ عطف على أن يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث

في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما أثر ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف * قوله عز وجل ﴿ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ﴾ هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم أي وافق ملتكم التي أنتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم أي ردفكم ﴿ قل أن الهدى هدى الله ﴾ أي ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم أصح دينا منهم فلما أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في أثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي أنتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا أمر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي هدى اليه وامر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف * وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ﴿ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ وتكون ان بمعنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى ﴿ أو يحاجوكم عند ربكم ﴾ يعني الا ان يحاجوكم أي اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم

على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله (قل أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أوتيتم

معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير أحد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم ﴿ قل أن الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء

وقوله عند ربكم أي عند فعل ربكم وقيل أو في قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ماأعطى الله أحدا مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم * وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون في الكلام اختصار تقديره آن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم يامعشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولاتؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يامحمد ان الهدى هدى الله ألآن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يامعشر المؤمنين عند ربكم قل يامحمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى أحد مثل ماأوتيتم يامعشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولاتؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله عزوجل ولاتصدقوا يامعشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولاتصدقوا ان يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من الدين والفضل ولاتصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولايشكوا * قوله عزوجل ﴿ قل أن الفضل ﴾ يعني قل لهم يامحمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام ﴿ بيدالله ﴾ أي انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ يعني الفضل الذي هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم ان يؤتى أحد مثل ماأوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء وأصل الفضل في اللغة الزيادة وأكثر مايستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ﴿ والله واسع ﴾ أي ذو سعة يتفضل على من يشاء ﴿ عليم ﴾ أي بمن يتفضل عليه وهو للفضل أهل ﴿ يختص برحمته ﴾ يعني بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقرآن ﴿ من يشاء ﴾ يعني من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لاتحصل الا بالاختصاص

الكلام عند قوله الالمن تبع دينكم أي ولاتؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الالمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله ان يؤتى لان يؤتى احد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لالشئ آخر يعني ان مابكم من الحسد والبغي ان يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ماقلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير آن بالمد والاستفهام يعني ألآن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من الكتاب تحسدونهم وقوله أو يحاجوكم على هذا معناه دبرتم مادبرتم لان يؤتى أحد مثل ماأوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم (والله واسع) أي واسع الرحمة (عليم) بالمصلحة (يختص برحمته) بالنبوة أو بالاسلام (من يشاء

(قل) أيضا يامحمد (أن الفضل) بالنبوة والاسلام

وقبلة ابراهيم (بيد الله يؤتيه من يشاء) (قا وخا ٦٦ ل) يعطيه من يشاء يعني محمدا وأصحابه (والله واسع) لعطيته (عليم) بمن يعطى (يختص برحمته) يختار لدينه (من يشاء) محمدا و أصحابه

والله ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك هو عبدالله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية ذهبا فأداه اليه (ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم

والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (الا مادمت عليه قائما) الامدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه ملازما له يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكى وشامى ونافع وعلى وحفص واختلاس أبو عمرو فى رواية غيرهم بسكون الهاء (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لا يؤده (بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل) أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل أى لا يتطرق علينا اثم وذم فى شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم فى كتابنا

والله ذو الفضل العظيم ﴾ رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ﴿ ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ﴾ كعبدالله بن سلام استودعه قرشى ألفا ومائتى أوقية ذهبا فأداه اليه ﴿ ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك ﴾ كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشى آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة * وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمرو يؤده اليك ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الهاء وكذا روى عن حفص والباقون باشباع الكسرة ﴿ الا مادمت عليه قائما ﴾ الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البينة ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده ﴿ بأنهم قالوا ﴾ بسبب قولهم ﴿ ليس علينا فى الاميين سبيل ﴾ أى ليس علينا فى شأن

والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل أن يفعل مايشاء الى من يشاء بغير استحقاق ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك ﴾ الآية نزلت فى اليهود أخبر الله عز وجل ان فيهم أمانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثرت مثل عبدالله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية أودع رجل من قريش عبدالله بن سلام ألفا ومائتى أوقية من ذهب فاداها اليه فذلك قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل أهل الامانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود لان مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم فى الدين وأخذ ماله بأى طريق كان ﴿ الا مادمت عليه قائما ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الامدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل أراد انه ان أودعته شيأ ثم استرجعته منه فى الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وان أخرت استرجاع ما أودعته انكره ولم يرده عليك ﴿ ذلك ﴾ أى سبب ذلك الاستحلال والخيانة ﴿ بأنهم قالوا ﴾ يعنى اليهود ﴿ ليس علينا فى الاميين سبيل ﴾ يعنى انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج فى أخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا

(والله ذو الفضل) ذو المن (العظيم) بالنبوة والاسلام على محمد * ثم ذكر امانة أهل الكتاب وخيانتهم فقال (ومن أهل الكتاب) يعنى اليهود (من أن تأمنه بقنطار) تبايعه بملء مسك ثور ذهبا (يؤده اليك) بغير عناء ولا تعب ولا يستحله (أموال) وهو عبدالله بن سلام وأصحابه (ومنهم من أن تأمنه) تبايعه (بدينار لا يؤده اليك) لا يرده اليك ويستحله (الا مادمت عليه قائما) ملحا متقاضيا وهو كعب وأصحابه (ذلك) الاستحلال والخيانة (بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل) فى أخذ أموال العرب حرج

حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ان ذلك فى كتابهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون (بلى) اثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الاميين أى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من أوفى بعهده

من ليسوا من أهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ بادعائهم ذلك ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب أعداء الله مامن شئ فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فأنها مؤداة الى البر والفاجر ﴿بلى﴾ اثبات لما نفوه أى بلى عليهم فيهم سبيل ﴿من أوفى بعهده واتقى فأن الله يحب المتقين﴾ استئناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن أو لله وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء الى من وأشعر بأن التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى ﴿أن الذين يشترون﴾ يستبدلون ﴿بعهدالله﴾

أموال العرب حلال لنا انهم ليسوا على ديننا ولاحرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلاسبيل علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا وقيل انهم قالوا أن الاموال كلها كانت لنا فما فى يد العرب فهو لنا وانهم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا فى أخذها منهم بأى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ يعنى اليهود ﴿وهم يعلمون﴾ يعنى انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال ﴿بلى﴾ أى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفى ماقبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من أوفى أى ولكن ﴿من أوفى بعهده) أى بعهد الله الذى عهد اليه فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذى أنزل عليه وباداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء فى قوله بعهده راجعة الى الموفى ﴿واتقى﴾ يعنى الكفر والخيانة ونقض العهد ﴿فأن الله يحب المتقين﴾ يعنى الذين يتقون الشرك (ق) عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * وفى رواية اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * قوله عز وجل ﴿أن الذين يشترون بعهدالله

واتقى) جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده يرجع الى الله تعالى أى كل من أوفى بعهد الله واتقاه (فأن الله يحب المتقين) أى يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من ويدخل فى ذلك الايمان وغيره من الصالحات وماوجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء قيل نزلت فى عبدالله بن سلام ونحوه من مسلمى أهل الكتاب ويجوز أن يرجع الضمير الى من أوفى أى كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله فى ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه ونزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود وأخذ الرشوة على ذلك (أن الذين يشترون) يستبدلون (بعهدالله) بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول

(ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون بذلك (بلى) رد عليهم (من أوفى بعهده) يقول ولكن من أوفى بعهده فيما بينه و بين الله أو بينه وبين الناس (واتقى) عن نقض العهد بالخيانة وترك الامانة (فأن الله يحب المتقين) من نقض العهد والخيانة وترك الامانة وهو عبدالله بن سلام وأصحابه * ثم ذكر عقوبتهم يعنى عقوبة اليهود فقال (أن الذين يشترون بعهدالله) بنقض عهدالله

بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات ﴿وأيمانهم﴾ وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ﴿ثمنا قليلا﴾ متاع الدنيا ﴿أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله﴾ بما يسرهم أو بشئ أصلا وان الملائكة يسألونهم يوم

وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ قال عكرمة نزلت هذه الآية فى أحبار اليهود ورؤسائهم أبى رافع وكنانة بن أبى الحقيق وكعب بن الاشرف وحيي بن أخطب الذين كتموا ماعهد الله اليهم فى التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التى كانوا يأخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت فى ادعاء اليهود الذين قالوا انه ليس علينا فى الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت فى الاشعث بن قيس وخصم له (ق) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان قال عبدالله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وفى رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهدالله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندى فقال مايحدثكم أبو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فى نزلت كان بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وأخرجه الترمذى وأبو داود وقالا ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية فى رجل أقام سلعة وهو فى السوق فحلف لقد أعطى بها مالم يعطه (خ) عن عبدالله بن أبى أوفى رضى الله عنه ان رجلا أقام سلعة وهو فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهدالله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهدالله يدخل فيه جميع ماأمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه مايلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذى يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعنى الامانة وايمانهم يعنى الكاذبة ثمنا قليلا يعنى شيأ يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشترى يأخذ شيأ ويعطى شيأ فكل واحد من المعطى والمأخوذ يكون ثمنا للآخر فهذا معنى الشراء ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ لا خلاق لهم فى الآخرة ﴾ أى لا نصيب لهم فى الآخرة ونعيمها وجميع منافعها ﴿ولا يكلمهم الله﴾

المصدق لما معهم (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوى رجوع الضمير فى بعهده الى الله (أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة) أى لا نصيب (ولا يكلمهم الله) بما يسرهم

(وأيمانهم) عهودهم مع الانبياء (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من المأكلة (أولئك لا خلاق لهم) لا نصيب لهم (فى الآخرة) فى الجنة (ولا يكلمهم الله) يوم القيامة بكلام طيب

﴿ يعنى ﴾

القيامة أولا ينتفقون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ﴿ولاينظر اليهم يوم القيمة﴾ فأن من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما أن من أعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ﴿ولايزكيهم﴾ ولايثنى عليهم بالجميل ﴿ولهم عذاب أليم﴾ على مافعلوه قيل انها نزلت فى أحبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما وأخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل أقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل نزلت فى ترافع كان بين الاشعث بن قيس ويهودى فى بئر أو أرض وتوجه الحلف على اليهودى ﴿وأن منهم لفريقا﴾ يعنى المحرفين ككعب ومالك وحيي بن أخطب ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف أويعطفونها بشبه الكتاب * وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها

يعنى كلاما يسرهم به أو ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب ﴿ولاينظر اليهم يوم القيمة﴾ أى لايرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا ﴿ولايزكيهم﴾ أى ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثنى عليهم بجميل ﴿ولهم عذاب اليم﴾ يعنى فى الآخرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل مالم تعمل يداك (م) عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر اليهم ولايزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يارسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب * وللنسائى المنان بما أعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن أبى أمامة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقالوا يارسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك * قوله عز وجل ﴿وأن منهم﴾ يعنى من اليهود ﴿لفريقا﴾ يعنى طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر ﴿يلوون﴾ أى يعطفون ويميلون وأصل اللى الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها ﴿ألسنتهم بالكتاب﴾ يعنى بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوى لسانه عن سنن الصواب بما يأتى به من عند نفسه قال الواحدى ويحتمل أن يكون المعنى يلوون بألسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه

(ولا ينظر اليهم يوم القيمة) نظر رحمة (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم (وأن منهم) من أهل الكتاب (لفريقا) هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف واللى الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك

(ولاينظر اليهم يوم القيمة) بالرحمة (ولايزكيهم) لايبرئهم من اليهودية ولايصلح بالهم (ولهم عذاب أليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم ويقال نزلت فى عبدان بن الاشوع وامرئ القيس لخصومة كانت بينهما ونزل فى اليهود ايضا (وأن منهم) من اليهود (لفريقا) طائفة كعبا وأصحابه (يلوون ألسنتهم) يحرفون ألسنتهم (بالكتاب) بقراءة صفة الدجال فى الكتاب

والضمير فى (لتحسبوه) يرجع الى مادل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه (من الكتاب) أى التوراة (وما هو من الكتاب) وليس هو من التوراة (ويقولون هو من عندالله) تا كيدلقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم (وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجدلك قال لاينبغى أن يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهى السنة أوفصل القضاء (والنبوة ثم يقول) عطف على يؤتيه (للناس كونوا عبادا لى من دون الله

(لتحسبوه) لكى تظنه السفلة انه (من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عندالله) فى التوراة (وماهو من عندالله) فى التوراة (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) ان ليس ذلك فى كتابهم ويقال نزلت فى الحبرين الفقيرين اللذين غيرا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ثم نزل فى مقالتهم نحن على دين ابراهيم وأمرنا ابراهيم بهذا الدين فقال الله (ما كان لبشر) من الانبياء (أن يؤتيه الله) ﴿ كونوا ﴾ يعطيه الله (الكتاب والحكم) الفهم (والنبوة ثم يقول للناس كونو عبادا لى) عبيدا لى (من دون الله

﴿ لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ﴾ الضمير للمحرف المداول عليه بقوله يلوونه وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير أيضا للمسلمين ﴿ ويقولون هو من عندالله وماهو من عندالله ﴾ تأكيد لقوله وماهو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لاتعريضا أى ليس هو نازلا من عنده وهذا لايقتضى أن لايكون فعل العبد فعل الله سبحانه وتعالى ﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ﴾ تكذيب ورد على

ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها فى حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية فلما فعلوا ذلك فى الآت الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبى صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا ﴿ لتحسبوه من الكتاب ﴾ يعنى لتظنوا أن الذى حرفوه وبدلوه من الكتاب الذى أنزله الله على أنبيائه ﴿ وماهو من الكتاب ﴾ يعنى ذلك الذى يزعمون انه من الكتاب ما هو منه ﴿ ويقولون هو من عند الله وماهو من عندالله ﴾ يعنى الذى يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد ﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ يعنى انهم كاذبون وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل وألحقوا فى كتاب الله ماليس فيه * قوله عز وجل ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ﴾ قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام ان يؤتيه الله الكتاب يعنى الانجيل وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ما كان لبشر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعنى القرآن وذلك ان أبا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله أن آمر بعبادة غير الله ومابذلك أمرنى الله ومابذلك بعثنى فأنزل الله هذه الآية ما كان لبشر أى ماينبغى لبشر وهو جميع بنى آدم لاواحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع أن يؤتيه الله الكتاب والحكم يعنى الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعنى المنزلة الرفيعة ﴿ ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ﴾ ومعنى الآية انه لايجتمع لرجل نبوة مع القول للناس

عبدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان أبا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا يامحمد أتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذالله ان يعبد غيرالله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثنى ولابذلك أمرنى فنزلت وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلانسجدلك قال لاينبغى أن نسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾ ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل ﴿ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فأن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل * وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو ويعقوب تعلمون

كونوا عبادا لى من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقدآتاه الله ماآتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لايحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا يكون الابعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾ يعنى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب فى جواز الاضمار اذا كان فى الكلام مايدل عليه واختلفوا فى معنى الربانى فقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم وكباره وقيل الربانى العالم الذى يعمل بعلمه وقيل الربانى العالم بالحلال والحرام والامر والنهى وقيل الربانى الذى جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولمامات ابن عباس رضى الله عنهما قال محمد بن الحنيفة اليوم مات ربانى هذه الامة قال سيبويه الربانى المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذى يربى العلم ويربى الناس أى يعلمهم ويصلحهم والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الربانى منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الربانى مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لاأدعوكم الى أن تكونوا عبادا لى ولكن أدعوكم الى أن تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال أبوعبيدة أحسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هى عبرانية أوسريانية وسواء كانت عربية أوعبرانية فهى تدل على الذى علم وعمل بماعلم وعلم الناس طريق الخير * قوله عزوجل ﴿ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ أى كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل

ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات ربانى هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الربانى العالم العامل (بما كنتم تعلمون الكتاب) كوفى وشامى أى غيركم غيرهم بالتخفيف (وبما كنتم تدرسون) أى تقرؤن والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكدروحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولاتنفعه بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس

و لكن كونوا) و لكن أمرهم ان يكونوا (ربانيين) علماء فقهاء عاملين (بما كنتم تعلمون) الناس (الكتاب) من الكتاب ويقال تعلمون الكتاب (وبما كنتم تدرسون) تقرؤن من الكتاب

كقراءة ابن جبير (ولا يأمركم) بالنصب عطفا على ثم يقول ووجهه أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة و النبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي وبالرفع حجازي وأبو عمرو وعلى على ابتداء الكلام والهمزة فى (أيأمركم بالكفر) للانكار والضمير فى لا يأمركم وأيأمركم للبشر أو لله وقوله (بعد أذ أنتم مسلمون) يدل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له (وأذ أخذ الله ميثاق النبيين) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك أو المراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف

(ولا يأمركم) يا معشر قريش واليهود والنصارى (أن تتخذوا الملائكة) بنات الله (والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر) كيف أمركم ابراهيم بالكفر (بعد أذ أنتم مسلمون) بعد اذ أمركم بالاسلام فقال ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون يقول ما بعث الله رسولا الا أمر ذلك الرسول بالاسلام لا باليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام كما قال هؤلاء الكفار ويقال نزلت هذه الآية فى مقالة اليهود لمحمد تأمرنا أن نحبك ونعبدك كما عبدت النصارى المسيح وكذلك قالت النصارى ﴿ان﴾ والمشركون ثم بين الله ميثاقه يوم بلى على النبيين فى محمد ونعته وصفته فقال (وأذ أخذ الله ميثاق النبيين) يقول أخذ الميثاق

بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من أدرس بمعنى درس كاكرم وكرم يجوز ان تكون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان أى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا أو غير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه أربابا بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال * وقرأ أبو بكر على أصله برواية الدورى باختلاس الضم ﴿ أيأمركم بالكفر ﴾ انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله سبحانه وتعالى ﴿ بعد أذ أنتم مسلمون ﴾ دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له ﴿ وأذ أخذ الله ميثاق النبيين

بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه * قوله عز وجل ﴿ ولا يأمركم ﴾ قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار أن أى ولا ان يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء ﴿ أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾ يعنى كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر ﴿ أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ﴾ انما قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لا يقول هذا ولا يفعله * قوله عز وجل ﴿ وأذ أخذ الله ميثاق النبيين ﴾ قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذكر فى أقاصيصك اذ أخذ الله وقال الطبرى معناه واذكروا يا أهل الكتاب اذ أخذ الله يعنى حين أخذ الله ميثاق النبيين وأصل الميثاق فى اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وذكروا فى معنى أخذ الميثاق وجهين أحدهما انه مأخوذ من الانبياء والثانى انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا فى المعنى بهذه الآية فذهب قوم الى أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده أن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبى أن يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان أدركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان أدركوه فأخذ الميثاق من موسى

لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ قيل أنه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه سبحانه وتعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ أخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على أممهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل أو سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل

ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الميثاق من النبيين فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول على وابن عباس وقتادة والسدى رضى الله عنهم فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى أهل الكتاب دون النبيين وانما أطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل كتاب والنبيون منا وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين * قوله عز وجل ﴿ لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف فى القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذى آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعنى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة لتؤمنن به للذى عندكم فى التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من أخذ الميثاق كما يقال أخذت ميثاقك لتفعلن لان أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذا استحلف الله النبيين للذى آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه * قوله عز وجل ﴿ ثم جاءكم رسول ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ مصدق لما معكم ﴾ وذلك ان الله وصفه فى كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما فى كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولام قوله ﴿ لتؤمنن به ﴾ لام القسم تقديره والله لتؤمنن به ﴿ ولتنصرنه ﴾ قال البغوى قال الله عز وجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح أخذ عليهم الميثاق فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى الآية وقال الامام فخر الدين الرازى يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرر فى عقولهم من الدلائل الدالة

فى معنى الاستحلاف وفى لتؤمنن لام جواب القسم وما يجوز أن تكون متضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن سادمسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذى آتيتكموه لتؤمنن به (ثم جاءكم) معطوف على الصلة والعائد منه الى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به (رسول مصدق لما معكم) للكتاب الذى معكم (لتؤمنن به) بالرسول (ولتنصرنه) أى الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم لما آتيتكم حمزة وما بمعنى الذى أو مصدرية أى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجئ رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل أى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل أنى آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذى آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتيناكم مدنى

على النبيين ان يبين بعضهم لبعض صفة محمد ونعته وفضله (لما آتيتكم) يقول حين أعطيتكم (من كتاب وحكمة) فيه الحلال والحرام (ثم) تأخذون ايضا على أمتكم أن اذا (جاءكم رسول مصدق) موافق بالتوحيد (لما معكم) من الكتاب (لتؤمنن به) يقول لتقرن به وبفضله (ولتنصرنه) بالسيف على

(قال) أى الله (أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى) أى قبلتم عهدى وسمى اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار (وأنا معكم من الشاهدين) وأنا معكم على ذلك من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الايمان بالنبي الجائى (فأولئك هم الفاسقون) المتمرد دون من الكفار (أفغير دين الله يبغون)

اعدائه وبيان صفته (قال أأقررتم) قال الله لهم أقبلتم (وأخذتم على ذلكم) ماقلت (اصرى) عهدى (قالوا) أى النبيون (أقررنا) قبلنا (قال) الله (فاشهدوا) على ذلكم (وأنا معكم من الشاهدين) على ذلك فأشهد الله بعضهم على بعض بذلك وشهد هو بنفسه على ذلك فبين كل نبي لامته ذلك وأشهد كل نبي أمته بعضهم على بعض بذلك وشهد كل نبي بنفسه على ذلك (فمن تولى) من الامم (بعد ذلك) عن الميثاق (فأولئك هم الفاسقون) الناقضون الكافرون * ثم ذكر خصومة اليهود والنصارى وسؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم أينا على دين ابراهيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريئان (اختلفوا) من دين ابراهيم فقالوا لانرضى بذلك فقال الله (أفغير دين الله) الاسلام (يبغون) يطلبون عندك

الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية * وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية أى لاجل ايتائى أياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى أخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له * وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالادغام فحذف أحدى الميمات الثلاث استثقالا * وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا ﴿قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى﴾ أى عهدى سمى به لانى يؤصر أى يشد * وقرئ بالضم وهو امالغة فيه كعبر وعبر أو جمع آصار وهو مايشد به ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا﴾ أى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ وأنا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم ﴿فمن تولى بعد ذلك﴾ بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ المتمردون من الكفرة ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما

على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا أخبرهم بعد ذلك ان الله أمر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل فى عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق ﴿قال أأقررتم﴾ يعنى قال الله تعالى أأقررتم فأن فسرنا أن أخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصرله وان فسرنا بأن أخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى أضاف أخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون أخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار وأضافه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا فى اثبات هذا الميثاق وتأكيده على الامم وطالبوهم بالقبول وأكدوا ذلك بالاشهاد ﴿وأخذتم على ذلكم اصرى﴾ أى عهدى والاصر العهد الثقيل وقيل سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد ﴿قالوا أقررنا﴾ أى قال النبيون أقررنا بما ألزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك ﴿قال فاشهدوا﴾ يعنى قال الله عزوجل للنبيين فاشهدوا يعنى أنتم على أنفسكم وقيل على أممكم وأتباعكم الذين أخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ يعنى قال الله يامعشر الانبياء وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أتباعكم أوقال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم ﴿فمن تولى﴾ أى أعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته ﴿بعد ذلك﴾ الاقرار ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ أى الخارجون عن الايمان والطاعة * قوله عز وجل ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ وذلك ان أهل الكتاب

دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لانه أهم من حيث ان الانكار الذى هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل (وله أسلم من فى السموات) الملائكة (والارض) الانس والجن (طوعا) بالنظر فى الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف أو بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال أى طائعين ومكرهين (واليه ترجعون) فيجازيكم على الاعمال يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالتاء فى الثانى وفتح الجيم أبو عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وبالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما (قل آمنا بالله

للانكار أو محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم ﴿وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها﴾ أى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين أو مسخرين كالكفرة فأنهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم ﴿وأليه ترجعون﴾ وقرئ بالياء على أن الضمير لمن ﴿قل آمنا بالله

اختلفوا فادعى كل فريق منهم أنه على دين أبراهيم عليه الصلاة والسلام فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله أفغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعنى أفبعد أخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم أن دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر أى أفغير دين الله تطلبون يامعشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿ وله أسلم ﴾ أى خضع وانقاد ﴿من فى السموات والارض طوعا وكرها﴾ الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا فى معنى قوله طوعا وكرها فقيل أسلم أهل السموات طوعا وأسلم بعض أهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبى وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا فى يوم أخذ الميثاق حين قال ألست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل أسلم المؤمن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت فى وقت اليأس فلم ينفعه ذلك فى القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله فى مراده فأما المسلم فينقاد لله فيما أمره أو نهاه عنه طوعا وأما الكافر فينقاد لله كرها فى جميع ما يقضى عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه ﴿ وأليه ترجعون ﴾ قرئ بالتاء والياء والمعنى أن مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه فى الدنيا
* قوله عز وجل ﴿قل آمنا بالله﴾ لما ذكر الله عز وجل فى الآية المتقدمة أخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق الرسول الذى يأتى مصدقا لما معهم بين فى هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد الضمير فى قوله قل وجمع فى قوله آمنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه أصحابه فحسن الجمع فى قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا وألهنا لا أله لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل

(وله اسلم) أقر بالاسلام والتوحيد (من فى السموات) من الملائكة (والارض) من المؤمنين (طوعا) أهل السموات بالطوع (وكرها) اهل الارض بالكره ويقال المخلصون بالطوع والمنافقون بالكره ويقال الذين ولدوا فى الاسلام بالطوع والذين ادخلوا فى الاسلام بالسيف بالكره (واليه ترجعون) بعد الموت
* ثم بين حكم الايمان لكى يكون دلالة لهم الى الايمان فقال (قل) يا محمد (آمنا بالله) وحده

وما أنزل علينا) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذا وحد الضمير فى قل وجمع فى آمنا أو أمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك أجلالا من الله لقدر نبيه وعدى أنزل هنا بحرف الاستعلاء وفى البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين اذ الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسول فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر وقال صاحب اللباب الخطاب فى البقرة للامة لقوله قولوا فلم يصح الا الى لان الكتب منتهية الى الانبياء والى أممهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبى عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لان الكتب منزلة عليه لا شركة للامة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (وما أنزل على أبراهيم وأسمعيل وأسحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء (وما أوتى موسى وعيسى والنبيون) كرر فى البقرة وما أوتى موسى ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الايتاء حيث قال لما آتيتكم (من ربهم) من عند ربهم (لا نفرق بين أحد منهم) فى الايمان كما فعلت اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتنا (ومن يبتغ غير الاسلام) يعنى التوحيد والاسلام لوجه الله أو غير دين محمد عليه السلام (دينا) تمييز (فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) من الذين وقعوا فى الخسران ونزل فى رهط أسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة

وما أنزل علينا وما أنزل على أبراهيم وأسماعيل وأسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ﴾ أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وأيضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك أجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وأنما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه ﴿ لانفرق بين أحد منهم ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ منقادون أو مخلصون فى عبادته ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا ﴾ أى غير التوحيد والانقياد لحكم الله ﴿ فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ الواقعين فى الخسران والمعنى أن المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران

﴿ وما أنزل علينا ﴾ يعنى وقل يا محمد وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه أشرف الكتب وأنه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل ﴿ وما أنزل على أبراهيم وأسمعيل وأسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى ﴾ انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان أهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا فى نبوتهم والاسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا أنبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال ﴿ والنبيون ﴾ أى وما أوتى النبيون ﴿ من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ﴾ وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته أنه يؤمن بجميع الانبياء * فأن قلت لم عدى أنزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها فى البقرة بحرف الانتهاء * قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ أى موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتنا * قوله عز وجل ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ يعنى أن الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وأن كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه ﴿ وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ يعنى الذين وقعوا

لا شريك له (وما أنزل علينا) وبما أنزل علينا القرآن (وما أنزل على أبراهيم) بأبراهيم وكتابه (وأسمعيل) وكتابه ﴿فى﴾ (وأسحق) وكتابه (ويعقوب) وكتابه (والاسباط) أولاد يعقوب وكتابهم (وما أوتى) أعطى (موسى) بموسى وكتابه (وعيسى) بعيسى وكتابه (والنبيون) بجملة النبيين وكتابهم (من ربهم لا نفرق بين أحد منهم) لا نكفر بأحد من الانبياء ويقال لا نفرق بينهم وبين الله بالنبوة والاسلام (ونحن له مسلمون) مقرون له بالعبادة والتوحيد مخلصون له بالدين (ومن يبتغ) يطلب (غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) من المغبونين بذهاب الجنة

بأبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها * واستدل به على أن الايمان هو الاسلام اذلو كان غيره لم يقبل * والجوب أنه ينفي قبول كل دين يغايره لاقبول كل مايغايره ولعل الدين أيضا للاعمال ﴿ كيف يهدى الله قوما كفروا بعد أيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ﴾ استبعاد لان يهديهم الله فأن الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وأنكار له وذلك يقتضي أن لاتقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على مافي أيمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن أو حال بأضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على أن الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان ﴿ والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه ﴿ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنت الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق أنهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون أو العموم

في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه . قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا * قوله عز وجل ﴿ كيف يهدى الله قوما كفروا بعد أيمانهم ﴾ نزلت في اثنى عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الانصاري وطعمة بن أبيرق وحجوج بن الاسلت وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدى الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا أي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم أي تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه ﴿ وشهدوا أن الرسول حق ﴾ يعني وبعد أن أقروا وشهدوا أن محمدا رسول الله الى خلقه وأنه حق وصدق ﴿ وجاءهم البينات ﴾ يعني الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها تثبت النبوّة ﴿ والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ أي لايوفقهم الى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى أنهم ظالمون وقيل لايهديهم في الآخرة الى الجنة والثواب * فأن قلت كيف قال في أول الآية كيف يهدى الله قوما كفروا وقال في آخرها والله لايهدى القوم الظالمين وهذا تكرار * قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدى الله قوما كفروا انما هو مختص بأولئك المرتدين عن الاسلام ثم أنه تعالى عمم ذلك الحكم في آخر الآية فقال والله لايهدى القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلي وانما سمى الكافر ظالما لانه وضع العبادة في غير موضعها ﴿ أولئك جزاؤهم ﴾ يعني الذين كفروا بعد ايمانهم ﴿ أن عليهم لعنت الله والملائكة والناس أجمعين

(كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم) والواو في (وشهدوا أن الرسول حق) للحال وقد مضمرة أي كفروا وقد شهدوا ان الرسول أي محمدا حق أو للعطف على مافي ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد أن آمنوا (وجاءهم البينات) أي الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات (والله لا يهدى القوم الظالمين) أي ماداموا مختارين الكفر أو لايهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا (أولئك) مبتدأ (جزاؤهم) مبتدأ ثان خبره (أن عليهم لعنت الله) وهما خبر أولئك أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك (والملائكة والناس أجمعين

ومافيها ولزوم النار ومافيها (كيف يهدى الله) لدينه (قوما كفروا) بالله (بعد أيمانهم) بالله (وشهدوا أن الرسول) محمدا (حق وجاءهم البينات) البيان والكتاب (والله لايهدى القوم الظالمين) المشركين بدينه من لم يكن أهلا لذلك (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنت الله) عذاب الله (والملائكة) ولعنة الملائكة (والناس أجمعين) ولعنة

فأن الكافر أيضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لايعرف الحق بعينه ﴿ خالدين فيها ﴾ في اللعنة أو العقوبة أو النار وأن لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما ﴿ لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك ﴾ أي من بعد الارتداد ﴿ وأصلحوا ﴾ ماافسدوا ويجوز أن لايقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح ﴿ فأن الله غفور ﴾ يقبل توبته ﴿ رحيم ﴾ يتفضل عليه قيل أنها نزلت في الحارث ابن سويد حين ندم على ردته فأرسل الى قومه أن أسألوا هل لي من توبة فأرسل اليه أخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ﴿ أن الذين كفروا بعد أيمانهم ثم ازدادوا كفرا ﴾ كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أو كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون أو نرجع اليه وننافقه باظهاره ﴿ لن تقبل توبتهم ﴾ لانهم لايتوبون أو لايتوبون الا اذا أشرفوا

خالدين فيها ﴾ أي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة ﴿ لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون ﴾ أي لايؤخرون عن وقت العذاب ولايؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال ﴿ الا الذين تابوا من بعد ذلك ﴾ يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أن الحرث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل الى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فأنزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية فبعث بها اليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن أسلامه ﴿ وأصلحوا ﴾ أي وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين أن التوبة وحدها لاتكفي حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات ﴿ فأن الله غفور رحيم ﴾ أي غفور لقبائحهم في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو وقيل غفور بأزالة العذاب رحيم بأعطاء الثواب * قوله عز وجل ﴿ أن الذين كفروا بعد أيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ﴾ نزلت في اليهود وذلك أنهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك أنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني بأقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في أحد عشر رجلا من أصحاب الحرث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحرث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر مابدا لنا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا مثل مانزل في الحرث فلما فتح رسول الله صلى الله

الا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ماأفسدوا أو دخلوا في الصلاح (فأن الله غفور) لكفرهم (رحيم) بهم ونزل في اليهود (أن الذين كفروا) بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت أو نزل في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد

المؤمنين (خالدين فيها) في اللعنة (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) يؤجلون من العذاب (الا الذين تابوا) من الكفر والشرك (من بعد ذلك) من بعد الارتداد (وأصلحوا) وحدوا الله بالاخلاص (فأن الله غفور) لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة (أن الذين كفروا) بالله (بعد أيمانهم) بالله (ثم ازدادوا كفرا) ثم استقاموا

على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة أولان توبتهم لاتكون الانفاقا لالارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه ﴿ وأولئك هم الضالون ﴾ الثابتون على الضلال ﴿ أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ﴾ لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ مايملؤه وذهبا نصب على التميز * وقرئ بالرفع على البدل من ملء أو الخبر لمحذوف ﴿ ولو افتدى به ﴾ محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا أو معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الارض

عليه وسلم مكة فمن دخل منهم فى الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية * فأن قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم * قلت اختلف المفسرون فى معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدى لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن فأن الذى يموت على الكفر لاتقبل توبته كانه قال أن اليهود أو الكفار أو المرتدين الذين فعلوا مافعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر فى ضمائرهم وقال أبو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها فى حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فأن توبتهم فى حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبرى معنى لن تقبل توبتهم أى مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لامن كفرهم لان الله تعالى لما وعد أن يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فأن الله غفور رحيم علم أن المعنى الذى لاتقبل التوبة منه غير المعنى الذى تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذى لاتقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لايقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لان الله تعالى لايقبل عمل مشرك ما أقام على شركه فأذا تاب من شركه وكفره وأصلح فأن الله كما وصف نفسه غفور رحيم * قوله عز وجل ﴿ وأولئك هم الضالون ﴾ يعنى هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفراهم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطؤا منهاجه * قوله عز وجل ﴿ أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحرث بن سويد حيا فى الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع أصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالآية عامة فى جميع من مات على الكفر ﴿ فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ﴾ أى قدر مايملأ الارض من شرقها الى غربها ﴿ ولو افتدى به ﴾ قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقد مات على كفره

الموت قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (وأولئك هم الضالون أن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض) الفاء فى فلن يقبل يؤذن بأن الكلام بنى على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بأن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب (ذهبا) تميز (ولو افتدى به) أى فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أيسر من ذلك قيل

على الكفر (لن تقبل توبتهم) ما أقاموا على ذلك (وأولئك هم الضالون) عن الهدى والاسلام (أن الذين كفروا) بالله والرسول (وماتوا وهم كفار) بالله والرسول (فلن يقبل من أحدهم ملء الارض) وزن الارض (ذهبا ولو افتدى به) يقول لو فادوا به لتبقية أنفسهم

ذهبا لوتقرب به فى الدنيا ولوافتدى به من العذاب فى الآخرة أوالمراد ولوافتدى بمثله كقوله تعالى ولوأن للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد ﴿ أولئك لهم عذاب أليم ﴾ مبالغة فى التحذير واقناط لان من لايقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما ﴿ ومالهم من ناصرين ﴾ فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق

لم ينفعه ذلك وكذلك لوافتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد فى التغليظ لانه تصريح بنفى القبول من جميع الوجوه * فأن قلت الكافر لايملك شيأ فى الآخرة فاوجه قوله فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا * قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لوأن للكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله فى تخليص نفسه من العذاب ولكن لايقدر على شئ من ذلك وقيل معناه لوأن الكافر أنفق فى الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى من مات على الكفر ﴿ لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين ﴾ يعنى مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عزوجل لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لوأن لك مافى الارض من شئ أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لاتشرك بى شيأ فابيت الا الشرك لفظ مسلم

الواو لتأكيد النفى (أولئك لهم عذاب أليم) مؤلم (ومالهم من ناصرين) معينين دافعين للعذاب

لايقبل منهم (أولئك لهم عذاب اليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم (ومالهم من ناصرين) من مانعين من عذاب الله نزلت من قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا الى ههنا فى عشرة نفر من المنافقين طعمة وأصحابه رجعوا من المدينة الى مكة مرتدين عن دينهم الاسلام فمات بعضهم على ذلك وقتل بعضهم على ذلك وأسلم بعضهم بعد ذلك ثم حث المؤمنين على النفقة فى سبيل الله فقال

الجزء الرابع

يا ربّ اجعلنا من الابرار

﴿ لن تنالوا البر ﴾ أى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير أولن تنالوا بر الله سبحانه وتعالى الذى هو الرحمة والرضى والجنة ﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ أى من المال أومايعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله تعالى والمهجة فى سبيله سبحانه وتعالى. روى أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يارسول الله أن أحب أموالى

* قوله عز وجل ﴿ لن تنالوا البر ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع فى فعل الخير يقال بر العبد ربه أى توسع فى طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل فى الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصدق يهدى الى البر وأن البر يهدى الى الجنة وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وأن الكذب يهدى الى الفجور وأن الفجور يهدى الى النار وأن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا أبرارا وتدخلوا فى زمرة الابرار ومن قال أن لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدى الى الجنة ﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ يعنى من جيد أموالكم وأنفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو أن تنفق من مالك ما أنت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى

(لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر أولن تكونوا أبرارا أولن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التى تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله ممايحبه ولو تمرة فهو داخل فى هذه الآية قال الواسطى الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والى الرب بالتخلى عن الكونين وقال أبو بكر الوراق لن تنالوا برى بكم الا ببركم بأخوانكم والحاصل انه لاوصول الى المطلوب الا باخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يشترى اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لاتتصدق بثمنها قال لان السكر أحب الى فاردت أن انفق مما أحب

(لن تنالوا البر) يعنى ماعند الله من الثواب والكرامة والجنة حتى تنفقوا مماتحبون من المال ويقال لن تنالوا البر لن تبلغوا الى التوكل والتقوى (حتى تنفقوا مماتحبون

الى بيرحا فضعها حيث أراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رائح أو رابح وأنى أرى أن تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فقال زيد أنما أردت أن أتصدق بها فقال عليه الصلاة والسلام أن الله قد قبلها منك وذلك يدل على أن أنفاق أحب الاموال على أقرب الاقارب أفضل وأن الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب * وقرئ بعض ماتحبون

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله أى الصدقة أفضل قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الاوقد كان واختلفوا في هذا الانفاق فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة أموالكم فعلى هذا القول قيل ان الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر رضى الله عنهما المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شئ أنفقه المسلم من ماله مما يبتغى به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان أبو طلحة أكثر الانصار بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أن الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وأن أحب أموالى الى بيرحا وانها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح أو قال ذلك مال رايح أرى ان تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه * قوله بخ بخ هى كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للمبالغة وهى مبنية على السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ * قوله مال رابح أى ذو ربح وفي الرواية الاخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه * وبيرحا اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابى طلحة * وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الاشعرى ان يبتاع له جارية من سبى جلولاء يوم فتحت فلما جاءت أعجبته فقال عمر أن الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر رضى الله عنه * وعن حمزة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما أعطانى الله تعالى فما كان شئ أحب الى من فلانة فقلت هى حرة لوجه الله تعالى قال ولولا انى لا أعود في شئ جعلته لله لنكحتها * وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يارسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فقال يارسول الله انما أردت ان أتصدق بها فقال

(وماتنفقوامن شئ فأن الله به عليم) أى هو عليم بكل شئ تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الاولى للتبعيض لقراءة عبدالله حتى تنفقوا بعض ماتحبون والثانية للتبيين أى من أى شئ كان الانفاق طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه ولماقالت اليهود للنبي عليه السلام انك تدعى انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وألبانها فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم فنحن نحله فقالت اليهود انها لم تزل محرمة فى ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبالهم (كل الطعام) أى المطعومات التى فيها النزاع فأن منها ماهو حرام قبل ذلك كالميتة والدم (كان حلالبنى اسرائيل) أى حلالا وهو مصدر يقال حل الشئ حلا ولذا استوى فى صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لاهن حل لهم (الا ما حرم اسرائيل) أى يعقوب (على نفسه من قبل أن تنزل التورية) وبالتخفيف مكى وبصرى وهو لحوم الابل وألبانها وكانا أحب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالبنى اسرائيل من قبل انزال التوراة سوى ماحرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل وألبانها لتحريم اسرائيل ذلك على نفسه

وماتنفقوامن شئ) شيأمن المال (فأن الله به) وبنياتكم (عليم) يقول أى شئ تريدون به وجه الله او مدحة الناس (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل) كل طعام حلال اليوم على محمد وأمته كان حلالا على بنى اسرائيل أولاد يعقوب (الاماحرم اسرائيل) يعقوب (على نفسه) بالنذر (من قبل أن تنزل التورية) من قبل نزول التوراة على موسى حرم يعقوب لحم الابل وألبانها (الابل) على نفسه فلمانزلت هذه الآية سأل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود فقال ماالذى حرم اسرائيل على نفسه من الطعام فقالوا ماحرم اسرائيل على نفسه شيأ من الطعام وكل ماهو اليوم حرام علينا من نحو لحم الابل وألبانها وشحوم البقر والغنم وغير ذلك كان حراما على كل نبى من آدم الى موسى صلوات الله عليهم وتستحلونه أنتم وادعوا تحريم ذلك فى التوراة فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم

وهو يدل على أن من للتبعيض ويحتمل التبيين ﴿ وماتنفقوا من شئ ﴾ أى من أى شئ محبوب أوغيره ومن لبيان ما ﴿ فأن الله به عليم ﴾ فيجازيكم بحسبه ﴿ كل الطعام ﴾ أى المطعومات والمراد أكلها ﴿ كان حلالبنى أسرائيل ﴾ حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لاهن حل لهم ﴿ ألاماحرم أسرائيل ﴾ يعقوب ﴿ على نفسه ﴾ كلحوم الابل وألبانها قيل كان به عرق النسافنذر أن شفى لم يأكل أحب الطعام اليه وكان ذلك أحبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى بأشارة الاطباء * واحتج به من جوز للنبي أن يجتهد وللمانع أن يقول ذلك بأذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء ﴿ من قبل أن تنزل التورية ﴾ أى من قبل أنزالها مشتملة على تحريم ماحرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة عمانعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيتين بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه وأنما كانت محرمة على نوح وأبراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول عليه السلام موافقة أبراهيم عليه الصلاة والسلام بتحليله لحوم الابل وألبانها

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك * وفى رواية كان زيد أوجد فى نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال أما أن الله قد قبلها * وروى ان أباذر نزل به ضيف فقال للراعى ائتنى بخير ابلى فجاء بناقة مهزولة فقال للراعى خنتنى فقال الراعى وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتى اليه ليوم أوضع فى حفرتى * قوله عز وجل ﴿ وماتنفقوا من شئ ﴾ يعنى من أى شئ كان من طيب تحبونه أومن خبيث تكرهونه ﴿ فأن الله به عليم ﴾ أى يعلمه ويجازيكم به * قوله عز وجل ﴿ كل الطعام كان حلا لبنى أسرائيل الاماحرم أسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التورية ﴾ سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنك تزعم أنك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لايأكل لحوم الابل وألبانها وأنت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كل مانحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فأنزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبنى أسرائيل الاماحرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة يعنى ليس الامر على ماتدعيه اليهود من تحريم لحوم

الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده فانكر اليهود ذلك فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل أن اليهود أنكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا أن النسخ غير جائز فأبطل الله ذلك عليهم وأخبر أن كل الطعام كان حلالا بني اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فألزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض أنواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وأنهم ينسبون الى التوراة ماليس فيها وبطل قولهم بأن النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يعرف مافي التوراة فلما أخبر أن ذلك ليس في التوراة علم ان الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى * وقوله كل الطعام يعني كل أنواع الطعام أو سائر المطعومات كان حلا أي حلالا لبني اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل وألبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ياأبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روي عن الضحاك أن يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثني عشر ولدا وأتى بيت المقدس صحيحا أن يذبح أحدهم * وفي رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يايعقوب أنك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع أحدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال أما أني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان أتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسي ماقاله الملك فأتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس رضي الله عنهما في آخرين أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء

(قل فأتوا بالتورية فاتلوها أن كنتم صادقين) أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجرؤا على أخراج التوراة وبهتوا وفيه دليل بين على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه أن ذلك كان محرما في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام (من بعد ذلك) من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة (فأولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون الى البينات

(قل) لهم (فأتوا بالتورية فاتلوها) فاقرؤا تحريم ما ادعيتم فيها (أن كنتم صادقين) فيما تدعون فلم يأتوا بالتوراة وعلموا أنهم كانوا كاذبين ليس فيها ما يقولون فقال الله (فمن افترى) اختلق (على الله الكذب من بعد ذلك) من بعد البيان في التوراة أنهم كاذبون (فأولئك هم الظالمون) الكافرون الكاذبون على الله

﴿قل فأتوا بالتورية فاتلوها أن كنتم صادقين﴾ أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من أنه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم مالم يكن محرما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته ﴿فمن أفترى على الله الكذب﴾ ابتدعه على الله تعالى بزعمه أنه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني أسرائيل ومن قبلهم ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما ألزمهم الحجة ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ الذين لا ينصفون من أنفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم

ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله رغاء أي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما أصاب يعقوب ذلك وصف له الاطباء أن يجتنب لحوم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسأل ربه أن يجز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء أن يكون ذلك حراما على بني اسرائيل أما قوله من قبل أن تنزل التوراة فمعناه أن قبل أنزال التوراة كان كل أنواع الطعام حلالا لبني اسرائيل سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا يأكله ولدي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى أن قال ذلك جزيناهم ببغيهم وأنا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا أو صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على أنفسهم اتباعا لابيهم ثم أضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى ﴿قل فأتوا بالتورية﴾ يعني قل لهم يا محمد فأتوا بالتوراة ﴿فاتلوها﴾ أي فاقرؤها وما فيها حتى يتبين أن الامر كما قلتم ﴿أن كنتم صادقين﴾ يعني فيما ادعيتم فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى ﴿فمن افترى على الله الكذب﴾ الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد وأصله من فري الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد ظهور الحجة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ أي هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا

قل صدق الله) فى أخباره أنه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أى ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهى ملة الاسلام التى عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لابراهيم ولمن تبعه (حنيفا) حال من ابراهيم أى مائلا عن الاديان الباطلة (وما كان من المشركين)

﴿قل صدق الله﴾ تعريض بكذبهم أى ثبت أن الله سبحانه وتعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون ﴿فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا﴾ أى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة أبراهيم أو مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات أحلها الله لابراهيم ومن تبعه ﴿وما كان من المشركين﴾ فيه أشارة الى أن اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ﴿أن أول بيت وضع للناس﴾ أى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله سبحانه وتعالى ويدل عليه أنه قرئ على البناء للفاعل ﴿للذى ببكة﴾ للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكه كالنبيط والنميط وأمر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه أو من بكه اذا دقه فأنها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو أول بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما أهبط آدم أمر بأن يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه أول بيت بالشرف لا بالزمان

رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم فيما بقى عليهم مما نطق به القرآن من تعديد مساويهم التى كانوا يرتكبونها ﴿قل صدق الله﴾ يعنى قل صدق الله يا محمد فيما أخبر أن ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد أن كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله فى قوله ان لحوم الابل وألبانها كانت محللة لابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما حرمت على بنى اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله فى أن سائر الاطعمة كانت محللة على بنى اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح أفعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأخبر وأنتم كاذبون يا معشر اليهود ﴿فاتبعوا ملة أبراهيم حنيفا﴾ أى اتبعوا مايدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهى الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذى عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وما كان من المشركين﴾ أى لم يدع مع الله الها آخر ولا عبد سواه ❁ قوله عز وجل ﴿أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة﴾

ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (أن أول بيت وضع للناس) والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال أن أول متعبد للناس الكعبة وفى الحديث أن المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة قيل أول من بناه ابراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام فى الارض وقوله وضع للناس فى موضع جر صفة لبيت والخبر (للذى ببكة) أى للبيت الذى ببكة وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها

(قل) يا محمد (صدق الله) فى قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ويقال قل يا محمد صدق الله فيما قال من التحريم والتحليل (فاتبعوا ملة ابراهيم) دين ابراهيم (حنيفا) يعنى مسلما (وما كان من المشركين) على دينهم (أن أول بيت) مسجد (وضع للناس) بنى للمؤمنين (للذى ببكة) يقول الذى هو ببكة وبكة هو موضع الكعبة وانما سمى بكة لان الناس يبكون بعضهم على بعض من الزحام فى الطواف

سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فأنزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم أكذبهم الله تعالى وأخبر أن ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى فى الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من أعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر فى هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج * وقوله أن أول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ماسواه وقيل هو اسم للشئ الذى يوجد ابتداء سواء حصل عقيبه شئ آخر أو لم يحصل والمعنى أن أول بيت وضع للناس أى وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج وللطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعنى يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد * فأن قلت كيف اضافه الى نفسه مرة فى قوله وطهر بيتى وأضافه للناس أخرى بقوله وضع للناس * قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذى ببكة قيل هى مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفى اشتقاق بكة وجهان * أحدهما انه من البك الذى هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد ابن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها أى يزدحمون فى الطواف وهو قول محمد ابن على الباقر ومجاهد وقتادة * الوجه الثانى سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبدالله بن الزبير وأما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامتكه اذا مص كل مافيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب أى تزيلها وسميت مكة أم رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها أو لان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت أم القرى لانها أصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض * واختلف العلماء فى كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين * احدهما انه أول فى الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيأ من الارضين وفى رواية عنه ان الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بألفى عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بألفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدى وقيل هو أول بيت بنى على الارض وروى عن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين فى الارض أن يبنوا بيتا فى الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وأمر من فى الارض ان يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو أول بيت بناه

(آدم)

﴿مباركا﴾ كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف ﴿وهدى للعالمين﴾ لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال ﴿فيه آيات بينات﴾ كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وأن ضوارى السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وأن كل جبار قصده بسوء قهره كأصحاب

آدم في الارض قيل ان آدم لما أهبط الى الارض استوحش وشكا الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء الى زمان نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقي موضع البيت أكمة بيضاء الى أن بعث الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام فأمره ببنائه * القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا أول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذى ببكة مباركا وروى أن رجلا قام الى على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس يحج اليه وأول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن أبي ذر رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل * زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله ﴿مباركا﴾ يعني ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهى فيه وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ﴿وهدى للعالمين﴾ يعني انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بأن صلى اليه أو حجه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمته * قوله عز وجل ﴿فيه آيات بينات﴾ أى فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الآيات فقيل هي قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها أن الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل ينحرف عنها اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها أن الوحوش لا تؤذى بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها أن الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا أهلكه الله كما أهلك أصحاب الفيل وغيرهم ومن الآيات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الآيات ومنها أن الآمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباني هو ابراهيم الخليل والمساعد في بنائه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت

أو لانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله (مباركا) كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيآت (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ومباركا وهدى حالان من الضمير في وضع (فيه آيات بينات) علامات واضحات لا تلتبس على أحد

(مباركا) يعني موضع الكعبة فيه المغفرة والرحمة (وهدى للعالمين) قبلة لكل نبي ورسول وصديق ومؤمن (فيه آيات بينات) علامات مبينات وله

(مقام أبراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى حجر صلد أو لاشتماله على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على أن (ومن دخله كان آمنا) عطف بيان لآيات وأن كان جملة ابتدائية أو شرطية من حيث المعنى لانه يدل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله والاثنان فى معنى الجمع ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحو انمحاق الاحجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه فى طى الذكر قوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقرة عينى ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لانها ليست من الدنيا والثالث مطوى وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على انه لم يكن من شأنه أن يذكر شيأ من الدنيا فذكر شيأ هو من الدين وقيل فى سبب هذا الاثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه (هو)

وأمان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل فى الحل بقود أو ردة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل أمنا من النار لقوله عليه السلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام

(مقام أبراهيم) وحطيم اسمعيل والحجر الاسود (ومن دخله كان آمنا) من أن يهاج فيه

الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى ﴿مقام أبراهيم﴾ مبتدأ محذوف خبره أى منها مقام أبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وأبقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده أنه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ جملة ابتدائية أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى أمن من دخله أى ومنها أمن من دخله أو فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلاة والسلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما فى الدارين بقاء الاثر مدى الدهر

﴿ قوله عز وجل ﴿مقام أبراهيم﴾ يعنى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمى ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدى ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله أن أول بيت وضع للناس موجودة فى جميع الحرم علم أن المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه أيضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعنى من أن يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم أمن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل فى معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل

والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند أبى حنيفة رضى الله عنه من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما لم يتعرض له ولكن ألجئ الى الخروج ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ قصده للزيارة على الوجه المخصوص * وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد ﴿من استطاع اليه سبيلا﴾ بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعى رضى الله تعالى عنه أنها بالمال ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى أنها بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال أبو حنيفة أنها بمجموع الامرين والضمير فى اليه للبيت أو الحج وكل مأتى الى الشئ فهو سبيله

هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فأمنوه وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما حتى ذهب أبو حنيفة الى أن من وجب عليه القتل قصاصا كان أو حدا فالتجأ الى الحرم فأنه لا يستوفى منه القصاص أو الحد فى الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعى اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه فى الحرم وأجمعوا على انه لو قتل فى الحرم أو سرق أو زنى فأنه يستوفى منه الحد فى الحرم عقوبة له وقيل فى معنى الآية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك * قوله عز وجل ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ أى ولله على الناس فرض حج البيت والحج أحد أركان الاسلام (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبى صلى الله عليه وسلم الحج من أركان الاسلام الخمسة ﴿من استطاع اليه سبيلا﴾ يعنى وفرض الحج واجب على من استطاع من أهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

فصل فى فضل البيت والحج والعمرة

(ق) عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما * عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بنى آدم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق * وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذى وهذا يروى عن ابن عمرو موقوفا (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى عليه الصلاة والسلام

(ولله على الناس حج البيت) أى استقر له عليهم فرض الحج حج البيت كوفى غير أبى بكر وهو اسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان فى مصدر حج (من) فى موضع جر على انه بدل البعض من الكل (استطاع اليه سبيلا) فسرها النبى عليه السلام بالزاد والراحلة والضمير فى اليه للبيت أو للحج وكل مأتى الى الشئ فهو سبيل اليه ولما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فخطبهم فقال أن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحجه فنزل

(ولله على الناس) على المؤمنين (حج البيت) الذهاب الى البيت (من استطاع اليه سبيلا) بلاغا وسيرا بالزاد والراحلة وترك النفقة لعياله الى ان يرجع

قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم * عن ابن عمر رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة * وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل * وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه * وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فأنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * وله عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا وقال الترمذي هذا حديث غريب * وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال الترمذي هذا حديث غريب

فصل في أحكام تتعلق بالحج

قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل أو حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما أن يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام * والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون مستطيعا بغيره فأما المستطيع بنفسه فهو أن يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما المرفوع ما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيي بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان نستثني من ظاهر الآية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل بأي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة

(الصحة)

﴿ ومن كفر فأن الله غني عن العالمين ﴾ وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت أن شاء يهوديا أونصرانيا وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة

الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقتضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولايقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان أحدهما أن يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله مايبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثاني لايقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا أمره أن يحج عنه أوقادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج أما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد مايكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله أوأخروا الخروج الى وقت لايصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لايلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم أوكافر أورصدي يطلب الخفارة لايلزمه ويشترط أن تكون منازل الماء مأهولة معمورة يجد فيها ماجرت العادة بوجوده من الماء والزاد فأن تفرق أهلها لجدب أوغارت مياهها فلايلزمه الخروج ولولم يجد الراحلة وهوقادر على المشي أولم يجد الزاد وهوقادر على الاكتساب لايلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له أن يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك وأما المستطيع بغيره فهو أن يكون الرجل عاجزا بنفسه بأن كان زمنا أوبه مرض لايرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستأجر من يحج عنه فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده أوأجنبي الطاعة في أن يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند أبي حنيفة لايجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لايجب على من غصب ماله وحجة من أوجب الحج ببذل الطاعة ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر قالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لايستطيع ان يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع أخرجاه في الصحيحين * قوله عز وجل ﴿ ومن كفر فأن الله غني عن العالمين ﴾ يعني ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فأن الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع

(ومن كفر) أي جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز ان يكون من الكفران أي ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج (فأن الله غني عن العالمين) مستغن عنهم وعن طاعتهم وفي هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد منها اللام وعلى أي انه حق واجب لله في رقاب الناس ومنها الابدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له ولان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تاركي الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لامحالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع

(ومن كفر) بالله وبمحمد والقرآن وبفريضة الحج (فأن الله غني عن العالمين) عن ايمانهم وحجهم

الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية وأيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا ثم تخصيصه ثانيا فأنه كأيضاح بعد أبهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فأنه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وأتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله سبحانه وتعالى * روى أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب الملل فخطبهم رقال أن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر ﴿قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ أى بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح لان معرفتهم بالآيات أقوى وأنهم وأن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما ﴿والله شهيد على ماتعملون﴾ والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لاينفعكم التحريف والاستسرار ﴿قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن﴾ كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم وأشعارا بأن كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو

خلقه وقيل نزلت فيمن وجد مايحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك أن الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وفى اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف فى الحديث وقيل هو الذى ان حج لم يره برا وأن قعد لم يره اثما وقيل نزلت فى اليهود وغيرهم من أصحاب الملل حيث قالوا أنا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فأن الله غنى عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه الآية متعلقة بما قبلها وقيل أنه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فأن الله غنى عن العالمين * قوله عز وجل ﴿قل ياأهل الكتاب﴾ قيل الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوته ﴿لم تكفرون بآيات الله﴾ يعنى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿والله شهيد على ماتعملون﴾ أى والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها ﴿قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن﴾ يعنى لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بألقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد

عبارة عنه (قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون) الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال أن الله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قل ياأهل الكتاب لم تصدون) الصد المنع (عن سبيل الله من آمن) عن دين حق علم أنه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون من أراد الدخول فيه بجهدهم

(قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بمحمد والقرآن (والله شهيد على ماتعملون) فى الكفر من الكتمان والمعاصى (قل ياأهل الكتاب لم تصدون) تصرفون (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (من آمن) بالله وبمحمد والقرآن

الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الاوس والخزرج
فذكروهم مابينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه
﴿ تبغونها عوجا ﴾ حال من الواو أى باغين طالبين لها أعوجا جابأن تلبسوا على الناس
وتوهموا أن فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحوهما أو بأن تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم ﴿ وأنتم شهداء ﴾
أنها سبيل الله والصد عنها ضلال وأضلال أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون بأقوالكم
ويستشهدونكم فى القضايا ﴿ وماالله بغافل عما تعملون ﴾ وعيد لهم ولما كان المنكر
فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ماتعملون ولما كان
فى هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وماالله
بغافل عما تعملون ﴿ ياأيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب

صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ﴿تبغونها عوجا﴾ يعنى زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر
الزيغ والميل عن الاستواء فى الدين والقول والعمل وكل مالايرى فاما الشىء الذى يرى
كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء فى قوله تبغونها عائدة على السبيل
والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل فى سبيل الله بألقاء الشبه فى قلوب الضعفاء ﴿وأنتم شهداء﴾
قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى وأنتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
مكتوب فى التوراة وأن دين الله الذى لايقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون
المعجزات التى تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته ﴿ وماالله بغافل عما
تعملون ﴾ فيه وعيد وتهديد لهم وذلك أنهم كانوا يجتهدون ويحتالون بألقاء الشبهة
فى قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك
قال الله تعالى وماالله بغافل عما تعملون * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا أن
تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب ﴾ الآية قال زيد بن أسلم مر شاس بن قيس
اليهودى وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فر بنفر من الاوس والخزرج
وهم فى مجلس يتحدثون فيه فغاظه مارأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الاسلام بعد
الذى كان بينهم من العدواة فى الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد والله مالنا
معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم
ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ماكانوا يتقاولون فيه من الاشعار
وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج
ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب
وهما أوس بن قبطى أحد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بنى سلمة من الخزرج
فتقاولا فقال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا
وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس
والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم فى الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه

ومحل (تبغونها) تطلبون لها نصب على الحال (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك (وأنتم شهداء) أنها سبيل الله التى لايصد عنها الاضال مضل (وماالله بغافل عما تعملون) من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله (ياأيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب

(تبغونها عوجا) تطلبونها غيا وزيغا (وأنتم شهداء) تعلمون ذلك فى الكتاب (وماالله بغافل) بساه (عما تعملون) فى الكفر من الكتمان والمعاصى نزلت هذه الآية فى الذين دعوا عمارا وأصحابه الى دينهم اليهودية (ياأيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا) طائفة (من الذين أوتوا الكتاب) اعطوا التوراة

يردوكم بعد أيمانكم كافرين) قيل مر شاس بن قيس اليهودي على نفر من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتألفهم فأمر شابا من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي عليه السلام فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وألف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب أي من أين يتطرق اليكم الكفر (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية (وفيكم رسوله) وبين أظهركم رسول الله عليه الصلاة والسلام ينبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن تمسك بدينه

(يردوكم بعد أيمانكم) بالله وبمحمد (كافرين) حتى تكونوا كافرين بالله وبمحمد (وكيف تكفرون) بالله على وجه التعجب (وأنتم تتلى) تقرأ (عليكم آيات الله) القرآن بالامر والنهي (وفيكم) معكم (رسوله) محمد (ومن يعتصم بالله) ومن (العصمة)

يردوكم بعد أيمانكم كافرين﴾ نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ماقيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما أمر الرسول بأن يخاطب أهل الكتاب أظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بأنهم هم الاحقاء بأن يخاطبهم الله ويكلمهم ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾ انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ﴿ومن يعتصم بالله﴾ ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ اليه في مجامع أموره

وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يامعشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رأيت يوما أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم فأنزل الله عز وجل ياأيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي وأصحابه ﴿يردوكم بعد أيمانكم كافرين﴾ والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾ وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى وأما كتاب الله فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي * قوله عز وجل ﴿ومن يعتصم بالله﴾ أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل

﴿ فقد هدى الى صراط مستقيم ﴾ فقد اهتدى لا محالة ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو أن يتنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفى هذا الامر تأكيد للنهى عن طاعة أهل

العصمة الامتناع من الوقوع فى آفة وفيه حيث لهم فى الالتجاء الى الله تعالى فى دفع شر الكفار عنهم ﴿ فقد هدى الى صراط مستقيم ﴾ أى الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدى الى الجنة * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ قال مقاتل ابن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة فى الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسى منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الدبر ومنا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له ورضى الله بحكمه فى بنى قريظة وقال الخزرجى منا أربعة أحكموا القرآن أبى ابن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبى صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس رضى الله عنهما هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو أن تجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تأخذكم فى الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعنى واجب تقواه وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء فى هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين * أحدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى فى سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدى رضى الله عنهم * والقول الثانى انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتى العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل فى معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذى يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف فى تلك الحال

(فقد هدى الى صراط مستقيم) أرشد الى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى أو هو أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو بنيه أو أبيه وقيل لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد

تمسك بدين الله وكتابه (فقد هدى الى صراط مستقيم) فقد ارشد الى طريق قائم بيضاء وهو الاسلام ويقال فقد ثبت عليه نزلت هذه الآية فى معاذ وأصحابه * ثم نزل فى أوس وخزرج لخصومة كانت بينهم فى الاسلام افتخر فيهم ثعلبة ابن غنم وسعد بن أبى زيادة بالقتل والغارة فى الجاهلية فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أطيعوا الله (حق تقاته) وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى وان يشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى ويقال أطيعوا الله كما ينبغى

الكتاب وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء ألفا ﴿ولا تموتن الا وأنتم مسلمون﴾ أي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدركم الموت فأن النهي عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ بدينه الاسلام أو بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث أن التمسك به سبب للنجاة من الردى كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز ﴿ جميعا ﴾ مجتمعين عليه ﴿ ولا تفرقوا ﴾ ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أولا تتفرقوا تفرقكم

مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما أنعم الله به عليه بالبال وأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان * قوله عز وجل ﴿ولا تموتن الا وأنتم مسلمون﴾ لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فمتى جاء كم صادفكم وأنتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وأنتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله أموركم تحسنون الظن به عز وجل * عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * قوله عز وجل ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ﴾ اى تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به الى البغية وسمى الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يوصل اليه * وفي افراد مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا واني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث * عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سنده * وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي أمر به وأن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بأمر الله وطاعته ﴿ ولا تفرقوا ﴾ يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق

(ويزول)

(ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدركم الموت (واعتصموا بحبل الله) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (جميعا) حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله (ولا تفرقوا) أي ولا تتفرقوا يعني ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع أو ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب

(ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) مقرون له بالعبادة والتوحيد مخلصون بهما (واعتصموا بحبل الله) تمسكوا بدين الله وكتابه (جميعا ولا تفرقوا)

الجاهلى يحارب بعضكم بعضا أولاتذكروا مايوجب التفرق ويزيل الالفة ﴿واذكروا نعمت الله عليكم﴾ التى من جلتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التألف وزوال الغل ﴿اذ كنتم أعداء﴾ فى الجاهلية متقاتلين ﴿فألف بين قلوبكم﴾ بالاسلام ﴿فأصبحتم بنعمته أخوانا﴾ متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله سبحانه وتعالى وقيل كان الاوس والخزرج أخوين لابوين فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالاسلام وألف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم

ويزول معه الاجتماع والالفة التى أنتم عليها ففيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لايكون الا واحدا وماعداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنهوا عنه ﴿وروى البغوى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله أمركم ويسخط لكم قيل قال واضاعة المال وكثرة السؤال ﴿قوله عز وجل ﴿واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا﴾ قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار كان الاوس والخزرج أخوين لاب وأم فوقعت بينهما عداوة قتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك سويد بن الصامت أخى بنى عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجده ونسبه فقدم مكة حاجا أو معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له النبى حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال مجلد لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال أن هذا الكلام حسن ومعى أفضل من هذا قرآن أنزله الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال أن هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحيس أنس بن رافع ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس ابن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال أنا رسول الله قد بعثنى الله الى العباد أدعوهم الى أن لايشركوا بالله شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ أبو الحيس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ أن هلك فلما أراد الله =

بعضكم بعضا (واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا) كانوا فى الجاهلية بينهم العداوة والحروب فألف بين قلوبهم بالاسلام وقذف فى قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا أخوانا

فى الدين (واذكروا نعمت الله) منة الله (عليكم) بالاسلام (اذ كنتم أعداء) فى الجاهلية (فألف بين قلوبكم) بالاسلام (فأصبحتم) فصرتم (بنعمته) بدينه الاسلام (أخوانا) فى الدين

= عزوجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع فى كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلانى وقطبة بن عامر بن خريدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى اليهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عزوجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل أوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا أن نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عزوجل قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله أنه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا أنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم أسعد ابن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلانى وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف الآية فأن وفيتم فلكم الجنة وأن غشيتم شيأ من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فأمركم الى الله عزوجل أن شاء عذبكم وأن شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد ابن خالتى ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وهما بعد مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى مصعب وأسعد وهما جالسان فى الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب =

= هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ماجاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما في أنفسكما حاجة قال له مصعب أوتجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ماتكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم من أشراقه وتسهله ثم قال ماأحسن هذا وأجله كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد الى أسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف أسيد على النادي قال له سعد مافعلت قال كلمت الرجلين فوالله مارأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لانفعل الا ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا للذي ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ماأراك أغنيت شيأ فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا أنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليه متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك أحد منهم فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ماتكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام في وجهه قبل أن يتكلم من اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته واقبل عامدا الى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يابني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فأن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الامسلم ومسلمة ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل أسعد فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف ذلك انه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فوعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق وهي =

= بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا يا أبا جابر أنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وأنا نرغب بك عما أنت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فأسلم فأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة أحدى نساء بنى النجار وأسماء بنت عمرو بن عدى أم منيع أحدى نساء بنى سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلسنا أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم به من ذلك وأن كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فأنه فى عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يارسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناهما كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعنى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم منى وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين بعيسى بن مريم فأخرجوا اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا البيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل أنكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فأن كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزى فى الدنيا والآخرة وأن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فأنا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فمالنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال

(الجنه)

﴿وكنتم على شفا حفرة من النار﴾ مشفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم أذلوا دركم الموت فى تلك الحالة لوقعتم فى النار ﴿فأنقذكم منها﴾ بالاسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما أضيف اليه أو لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة وأصله شفو فقلبت الواو فى المذكر وحذفت فى المؤنث ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التبيين ﴿يبين الله لكم آياته﴾ دلائله ﴿لعلكم تهتدون﴾ ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ﴿ولتكن

الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت ماسمعته قط يا أهل الجباجب هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا أزب العقبة يعنى شيطان العقبة اسمع أى عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ماحى من العرب أبغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وماعلمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوه ياجابر أما تستطيع ان تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الى وقال والله لتنتعلنهما قال أبو جابر مه والله أحفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال فقلت لا أردهما قال والله ياأبا صالح لئن صدق الفأل لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموها أظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم أخوانا ودارا تأمنون فيها فأمرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق بأخوانهم من الانصار فأول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى ثم عامر ابن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل واذكروا يعنى يامعشر الانصار نعمة الله عليكم يعنى بالاسلام اذ كنتم أعداء يعنى قبل الاسلام فألف بين قلوبكم يعنى بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فأصبحتم بنعمته أخوانا يعنى فصرتم برحمته وبدينه الاسلام أخوانا فى الدين والولاية بعد العداوة ﴿وكنتم﴾ يامعشر الاوس والخزرج ﴿على شفا حفرة من النار﴾ يعنى على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع فى النار الا ان تموتوا على كفركم ﴿فأنقذكم منها﴾ أى فخلصكم بالايمان من الوقوع فى النار ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ * قوله عز وجل ﴿ولتكن

(وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على أن تقعوا فى نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فأنقذكم منها) بالاسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وأنث لاضافته الى الحفرة وشفا الحفرة حرفها ولامها واو فلهذا يثنى شفوان (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته) أى القرآن الذى فيه أمر ونهى ووعد ووعيد (لعلكم تهتدون) لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به الى الصواب وماينال به الثواب (ولتكن

(وكنتم على شفا حفرة من النار) على طرف هفوة من النار يعنى الشط وهو الكفر (فأنقذكم منها) فأنجاكم منها بالايمان (كذلك) هكذا (يبين الله لكم آياته) أمره ونهيه ومنته (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا من الضلالة * ثم أمر بالمعروف والصلح فقال (ولتكن

منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض من فروض الكفاية ولانه لايصلح له كل أحد اذ للتصدى له شروط لايشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية أقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ماهو فرض كفاية أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون بالمعروف كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى مافيه صلاح دينى أو دنيوى وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ المخصوصون بكمال الفلاح روى أنه عليه الصلاة والسلام

منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ اللام فى قوله ولتكن لام الامر أى لتكن منكم أمة دعاة الى الخير وقيل ان كلمة من فى قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عزوجل أوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الامة فى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أما بيده أو بلسانه أو بقلبه (م) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فأن لم يستطع فبلسانه فأن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان فى الامة من لايقدر على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن ادخال لفظ من فى قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير وقيل ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذى فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فأن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا والخير المذكور فى الآية هو كل شئ يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن أمة أى جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن فى الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان أحدهما الترغيب فى فعل ماينبغى وهو الامر بالمعروف والثانى الترغيب فى ترك مالاينبغى وهو النهى عن المنكر فذكر الحسن أولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة فى البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ماعرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾

(وينهون عن المنكر) عما استقبحه الشرع والعقل أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعرف الطاعة والمنكر المعاصى والدعاء الى الخير عام فى التكاليف من الافعال والتروك وماعطف عليه خاص ومن للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لايصلح له الامن علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر فى أقامته فأنه يبدأ بالسهل فأن لم ينفع ترقى الى الصعب قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا أو للتبيين أى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف (وأولئك هم المفلحون) أى هم الاخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن على رضى الله عنه

منكم) لاتزل منكم (أمة) جماعة (يدعون الى الخير) الى الصلح والاحسان (ويأمرون بالمعروف) بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المنكر) عن الكفر والشرك وترك اتباع الرسول (وأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (تقدم)

سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب مايؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ماأنكره الشرع حرام والاظهر أن العاصي يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ﴿ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾ كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ماعرفت ﴿من بعد ماجاءهم البينات﴾ الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف أمتي رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم

تقدم تفسيره ❊ قوله عز وجل ﴿ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾ يعني ولاتكونوا ياءمعشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الآية هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب وقال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال أبو أمامة هم الحرورية قال عبدالله بن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت أديم السماء وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم أخذ بيدي وقال ان بأرضي منهم كثيرا وفي رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله أكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى آخر الآية قلت لابي امامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبعا ماحدثتكموه وقال فيه هذا حسن ❊ قوله عز وجل ﴿ من بعد ماجاءهم البينات ﴾ يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ يعني لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والاختلاف ❊ عن أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق

أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولاتكونوا كالذين تفرقوا) بالعداوة (واختلفوا) في الديانة وهم اليهود والنصارى فأنهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا (من بعد ماجاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق (وأولئك لهم عذاب عظيم) ونصب

(ولاتكونوا) متفرقين في الدين (كالذين تفرقوا واختلفوا) في الدين كتفرق اليهود والنصارى في الدين (من بعد ماجاءهم البينات) بينات مافي كتابهم من الاسلام (وأولئك لهم) يعني اليهود والنصارى (عذاب عظيم) أعظم مايكون

﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ نصب بما فى لهم من معنى الفعل أو باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم ﴾ على ارادة القول أى فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه أو جميع الكفار كفروا بعدما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل والآيات ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ امر اهانة ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾

الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه أخرجه أبو داود أراد بربقة الاسلام عقد الاسلام وأصله أن الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها الغنم الواحدة من العرا ربقة * وروى البغوى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد * قوله عز وجل ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ يعنى اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفى بياض الوجوه وسوادها قولان * أحدهما أن البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعنى من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعنى من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعنى من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك أن المؤمن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله وأما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيآت حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة * والقول الثانى بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل فى الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة فى بياض الوجوه وسوادها ان أهل الموقف اذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة واذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ أى فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع * فان قلت كيف قال أكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم * قلت اختلف العلماء فى ذلك فروى عن أبى بن كعب أنه قال أراد به الايمان يوم أخذ

(يوم تبيض وجوه) أى وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم أو بعظيم أو باذكروا (وتسود وجوه) أى وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة (فأما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم (بعد ايمانكم) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبى وهو الظاهر أوهم المرتدون أو المنافقون أى أكفرتم باطنا بعد ايمانكم ظاهرا أو أهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

(يوم تبيض وجوه) فى يوم تبيض وجوه قوم (وتسود وجوه) فى يوم تسود وجوه قوم (فأما الذين اسودت وجوههم) تقول لهم الزبانية (أكفرتم) بالله (بعد ايمانكم) بالله (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بالله

بسبب كفركم أوجزاء لكفركم ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم

الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر فى الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالايمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا أهويت اليهم لانالهم اختلجوا دونى فأقول أى رب أصحابى فيقال انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك (ق) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن أى رب أصحابى أصحابى فيقال لى لاتدرى ماأحدثوا بعدك * زاد فى رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى أوقال من أمتى فيجلون عن الحوض فأقول يارب أصحابى فيقول أنه لاعلم لك بما أحدثوا بعدك أنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على على بن أبى طالب وقتلهم وهم الحرورية (م) عن زيد بن وهب رضى الله عنه انه كان فى الجيش الذين كانوا مع على لما ساروا الى الخوارج فقال على أيها الناس أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتى يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم الى صلاتهم بشئ ولا صيامكم الى صيامهم بشئ يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لاتجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية * وفى رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن القرآن لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فأن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو رضى الله عنه قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الخوارج شيأ قال سمعته يقول وأهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم فى الاعتقاد (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحرث الاعور سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول على المنبر أن الرجل ليخرج من أهله فما يؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وأن الرجل ليخرج من أهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة * قوله عز وجل ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ﴾ يعنى

وأما الذين ابيضت وجوههم

(واما الذين ابيضت وجوههم

ففي رحمة الله) في نعمته وهي الثواب المخلد ثم أستأنف فقال (هم فيها خالدون) لا يظعنون عنها
ولا يموتون (تلك آيات الله
الواردة في الوعد والوعيد
وغير ذلك (نتلوها عليك)
ملتبسة (بالحق) والعدل
من جزاء المحسن والمسيء
(وما الله يريد ظلما للعالمين)
أي لا يشاء أن يظلم هو
عباده فيأخذ أحدا بغير
جرم أو يزيد في عقاب مجرم
أو ينقص من ثواب محسن
(ولله ما في السموات وما
في الارض والى الله ترجع
الامور) فيجازي المحسن
باحسانه والمسيء باساءته
ترجع شامي وحمزة وعلي
كان عبارة عن وجود الشيء
في زمان ماض على سبيل
الابهام ولا دليل فيه على
عدم سابق ولا على انقطاع
طارئ ومنه قوله (كنتم
خير أمة) كأنه قيل وجدتم
خير أمة أو كنتم في علم الله أو
في اللوح خير أمة أو كنتم
في الامم قبلكم مذكورين
بأنكم خير أمة موصوفين به

ففي رحمة الله ﴾ يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على أن المؤمن وان أستغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة ألا برحمته وفضله وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم ﴿ هم فيها خالدون ﴾ أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون ﴿ تلك آيات الله ﴾ الواردة في وعده ووعيده ﴿ نتلوها عليك بالحق ﴾ ملتبسة بالحق لا شبهة فيها ﴿ وما الله يريد ظلما للعالمين ﴾ اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ﴿ ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور ﴾ فيجازي كلا بما وعد له وأوعد ﴿ كنتم خير أمة ﴾ دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله أو في اللوح المحفوظ أو فيما بين الامم المتقدمين

المؤمنين المطيعين لله عز وجل ﴿ ففي رحمة الله ﴾ يعني ففي جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى أن العبد وأن عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى ﴿ هم فيها خالدون ﴾ قيل انما كرر كلمة في لان في كل واحدة منهن معنى غير الاخرى المعنى أنهم في رحمة الله وأنهم في الرحمة خالدون ﴿ تلك آيات الله ﴾ يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت ﴿ نتلوها عليك بالحق ﴾ أي بالمعنى الحق لان المتلو حق ﴿ وما الله يريد ظلما للعالمين ﴾ يعني لا يعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أخبر أنهم انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وانه لا يظلم أحدا من خلقه ﴿ ولله ما في السموات وما في الارض ﴾ لما ذكر الله أنه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك أن الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا أو عزا أو سلطانا أو يتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال أخبر أن له ما في السموات وما في الارض وأن جميع ما فيهما ملكه وأهلهما عبيده واذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحدا من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ يعني واليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحدا منهم * قوله عز وجل ﴿ كنتم خير أمة ﴾ سبب نزول هذه الآية أن مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وأبي ابن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن أفضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فأنزل الله هذه الآية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بأنكم خير أمة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة وقيل معناه كنتم منذ أنتم خير أمة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله فأما الذين ابيضت

ففي رحمة الله) في جنة الله (هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون (تلك آيات الله) هذه آيات الله القرآن (نتلوها عليك) تنزل جبريل بها عليك (بالحق) لبيان الحق والباطل (وما الله يريد ظلما للعالمين) ان يكون منه ظلم على العالمين على الجن والانس (ولله ما في السموات وما في الارض) من الخلق والعجائب (والى الله ترجع الامور) في الآخرة (كنتم خير أمة (وجوههم)

وجوههم والتقدير أنه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم أى صرتم خير أمة فأما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال أنتم فكنا كلنا ولكن فى خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى به كانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد فى رواية ويحلفون ولا يستحلفون (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته * قوله خير الناس قرنى يعنى أصحابى والقرن أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدأحدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس فى رواية عطاء فى قوله كنتم خير أمة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام فى كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فأن كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام فى حق الكل كذا ههنا * عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وأصل الامة الجماعة المجتمعة على الشئ وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى * عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الله لا يجمع أمتى أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار أخرجه الترمذى * عن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمتى أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل أخرجه أبو داود * عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتى كمثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله أخرجه الترمذى * وله عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف

﴿أخرجت للناس﴾ أي أظهرت لهم ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ استئناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم ﴿وتؤمنون بالله﴾ يتضمن الايمان بكل ما يجب أن يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما أمر أن يؤمن به وانما أخره وحقه أن يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله سبحانه وتعالى وتصديقا به واظهارا لدينه * واستدل بهذه الآية على أن الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو أجمعوا

ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم * وله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه سير الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم يتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذى سألت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال خالد بن أبى بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره فى الحديث وهم شركاء الناس فى سائر الابواب * عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتى من يشفع فى الفئام من الناس ومنهم من يشفع فى القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد أخرجه الترمذى (خ) عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا أو سبعمائة ألف سماطين متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر * عن أبى أمامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى أن يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى أخرجه الترمذى * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتى * قوله عز وجل ﴿أخرجت للناس﴾ معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس فى جميع الاعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة أخرجت (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك ﴿وتؤمنون بالله﴾ أى وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة * فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الايمان بالله فى الذكر مع ان الايمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات * قلت الايمان بالله أمر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت

(أخرجت) أظهرت (للناس) اللام يتعلق بأخرجت (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم بينت بالاطعام والالباس وجه الكرم فيه (بالمعروف) بالايمان وطاعة الرسول (وتنهون عن المنكر) عن الكفر وكل محظور (وتؤمنون بالله) وتدومون على الايمان به ولان الواو لا تقتضى الترتيب

أنتم خير أمة (أخرجت للناس) كانت للناس ثم بين خيرهم فقال (تأمرون بالمعروف) بالتوحيد واتباع محمد (وتنهون عن المنكر) عن الكفر والشرك ومخالفة الرسول (وتؤمنون بالله) وبجملة الكتب والرسل

(ولو آمن أهل الكتاب) بمحمد عليه السلام (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم فيه لانهم انما آثروا دينهم عن دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوا على الايمان به من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبدالله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم ا فاسقون) المتمردون فى الكفر (لن يضروكم الأذى) الاضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين أو تهديد أو نحو ذلك (وأن يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر (ثم لاينصرون) ثم لايكن لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم اذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لاينصروا وانما استؤنف ليؤذن أن الله لاينصرهم قاتلوا أو لم يقاتلوا وتقدير الكلام أخبركم أنهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم انهم لاينصرون وثم للتراخى فى المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار

على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك ﴿ ولو آمن أهل الكتاب ﴾ ايمانا كما ينبغى ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه ﴿ منهم المؤمنون ﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿ وأكثرهم الفاسقون ﴾ المتمردون فى الكفر وهذه الجملة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد ﴿ لن يضروكم الا أذى ﴾ ضررا يسيرا كطعن وتهديد ﴿ وأن يقاتلوكم يولوكم الادبار ﴾ ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر ﴿ ثم لاينصرون ﴾ ثم لايكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم نفى أضرارهم سوى مايكون بقول وقرر ذلك بأنهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم أخبر بأنه يكون عاقبتهم العجز والخذلان * وقرئ لاينصروا عطفا على يولوا على أن ثم للتراخى فى الرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ كان كذلك حال

هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر فى هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأما الايمان بالله فهو شرط فى هذا الحكم لانه مالم يوجد الايمان لم يصر شئ من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ذكر الايمان * قوله عز وجل ﴿ ولو آمن أهل الكتاب ﴾ يعنى ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذى جاء به ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ يعنى مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة فى الدنيا والثواب العظيم فى الآخرة وهو دخول الجنة ﴿ منهم ﴾ يعنى من أهل الكتاب ﴿ المؤمنون ﴾ يعنى عبدالله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشى وأصحابه الذين أسلموا من النصارى ﴿ وأكثرهم الفاسقون ﴾ أى المتمردون فى الكفر وقيل ان الكفر قد يكون عدلا فى دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون * قوله عز وجل ﴿ لن يضروكم الا أذى ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم مثل عبدالله بن سلام وأصحابه فآذوهم لاسلامهم فأنزل الله تعالى لن يضروكم الا أذى يعنى لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود الا أذى يعنى باللسان من طعنهم فى دينكم أو تهديد أو القاء شبهة وتشكيك فى القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم ﴿ وأن يقاتلوكم يولوكم الادبار ﴾ يعنى منهزمين مخذولين ﴿ ثم لاينصرون ﴾ يعنى لايكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن أسلم من أهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فأعلمهم الله تعالى أنهم لايقدرون أن يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وأن

(ولو آمن أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (لكان خيرا لهم) مما هم عليه (منهم المؤمنون) عبدالله ابن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) الكافرون الناقضون العهد (لن يضروكم) لن ينقصوكم اليهود (الا أذى) باللسان بالشتم والطعن (وأن يقاتلوكم) فى الدين (يولوكم الادبار) منهزمين (ثم لاينصرون) لايمنعون من سيفكم وسبيكم

(ضربت) ألزمت (عليهم الذلة) أي على اليهود (أينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله) في محل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره الا معتصمين أو متمسكين بحبل من الله (وحبل من الناس) والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لاعز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) الفقر عقوبة لهم على قولهم أن الله فقير ونحن أغنياء أو خوف الفقر مع قيام اليسار (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) ذلك اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ثم قال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم

قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ﴿ ضربت عليهم الذلة ﴾ هدر النفس والمال والاهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية ﴿ أينما ثقفوا ﴾ وجدوا ﴿ الا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ استثناء من أعم عام الاحوال أي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين أو متلبسين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين أو بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين ﴿ وباؤا بغضب من الله ﴾ رجعوا به مستوجبين له ﴿ وضربت عليهم المسكنة ﴾ فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على أهله واليهود في غالب الامر فقراء ومساكين ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ﴾ بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع أنه كذلك في نفس الامر للدلالة على أنه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم أيضا ﴿ ذلك ﴾ أي الكفر والقتل ﴿ بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فأن الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه أن ضرب الذلة في الدنيا

عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى ﴿ ضربت عليهم الذلة ﴾ يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشئ يضرب على الشئ فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم أنك لاترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد ﴿ أينما ثقفوا ﴾ أي حيثما وجدوا وصودفوا ﴿ الا بحبل من الله ﴾ يعني الا بعهد من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة ﴿ وحبل من الناس ﴾ يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمى العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف ﴿ وباؤا بغضب من الله ﴾ يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى أنهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه ﴿ وضربت عليهم المسكنة ﴾ يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان الله تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على أنها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على أن المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو أن اليهودي يظهر من نفسه الفقر وأن كان غنيا موسرا ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿ بأنهم ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ أي ذلك الذي نزل بهم بسبب

اياهم (ضربت عليهم الذلة) جعلت عليهم مذلة الجزية (أينما ثقفوا) وجدوا لا يقدرون أن يقوموا مع المؤمنين (الا بحبل من الله) بالايمان بالله (وحبل من الناس) عهد من الامراء بالجزية (وباؤا بغضب) استوجبوا بلعنة (من الله وضربت عليهم المسكنة) جعل عليهم زي الفقر (ذلك) المذلة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) بمحمد والقرآن (ويقتلون الانبياء بغير حق) بلا جرم (ذلك) الغضب والمسكنة (بما عصوا) الله في السبت (وكانوا يعتدون) بقتل الانبياء واستحلال (عصيانهم)

واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث أنهم مخاطبون بالفروع أيضا ﴿ليسوا سواء﴾ فى المساوى والضمير لاهل الكتاب ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ استئناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين أسلموا منهم ﴿يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ يتلون القرآن فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ فى المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لايصلونها لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما أنه

عصيانهم لله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم مانزل * قوله عز وجل ﴿ليسوا سواء﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ماآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ماتركوا دين أبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وفى قوله ليسوا سواء قولان * أحدهما أنه كلام تام يوقف عليه والمعنى أن أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لايستوى اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله الثابتة على الحق * والقول الثانى أن قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولايوقف عليه * وقوله عز وجل ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب أن ذكر أحد الضدين يغنى عن ذكر الآخر قال أبو ذؤيب

دعانى اليها القلب أنى امرؤلها * مطيع فلا أدرى أرشد طلابها

أراد أم غير رشد فاكتفى بذكر أحد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لاحاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر أهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فأعلم الله أن منهم أمة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وأمة غير قائمة وانما ابتدأ بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم فى فعلهم فقال ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال ابن عباس رضى الله عنهما قائمة أى مهدية قائمة على أمر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة أى عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة فى الصلاة ﴿يتلون آيات الله﴾ أى يقرؤن كتاب الله عز وجل ﴿آناء الليل﴾ يعنى ساعاته ﴿وهم يسجدون﴾ يعنى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لاتكون فى السجود وقيل هى صلاة التهجد بالليل وقيل هى صلاة العشاء لان اليهود لايصلونها وقيل يحتمل أنه أراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمى الخشوع سجودا وقال عطاء فى قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يريد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم

لحدوده (ليسوا سواء) ليس أهل الكتاب مستوين (من أهل الكتاب) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة (أمة قائمة) جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام أى استقام وهم الذين أسلموا منهم (يتلون آيات الله) القرآن (آناء الليل) ساعاته واحدها أنى كمعى أو أنو كقنو أو أنى كنحى (وهم يسجدون) يصلون قيل يريد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لايصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود

المحارم (ليسوا سواء) أى ليس من آمن من أهل الكتاب كمن لم يؤمن (من أهل الكتاب أمة قائمة) يقول منهم أمة جماعة عدل مهتدية بتوحيد الله وهو عبدالله بن سلام وأصحابه (يتلون) يقرؤن (آيات الله) القرآن (آناء الليل) ساعات الليل فى الصلاة (وهم يسجدون) يصلون لله

(يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف) بالايمان وسائر أبواب البر (وينهون عن المنكر) عن الكفر ومنهيات الشرع (ويسارعون فى الخيرات) يبادرون اليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون فى محل الرفع صفتان لامة أى أمة قائمة تالون مؤمنون ووصفهم بخصائص ماكانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع بالقيام به (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من الصالحين) من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء فيهما كوفى غير أبى بكر وأبو عمرو مخير وغيرهم بالتاء وعدى يكفروه الى مفعولين وان كان شكر وكفر لايتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أى فلن

ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات﴾ صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ماكانت فى اليهود فأنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين فى الليل مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون فى الاحتساب متباطئون عن الخيرات ﴿وأولئك من الصالحين﴾ أى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه ﴿وما تفعلوا من خير فلن تكفروه﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا

كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ماكانت فى اليهود فقال ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وذلك لان ايمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير مايصفه المؤمنون وقيل أن الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع أنبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصى واليهود لايحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ يعنى غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ويسارعون فى الخيرات﴾ أى يبادرون اليها خوف الفوت وذلك أن من رغب فى أمر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون فى الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى ﴿وأولئك﴾ اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به ﴿من الصالحين﴾ أى من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضى عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له أعلى الدرجات وأكمل المقامات وقيل يحتمل أن يراد بالصالحين المسلمون والمعنى وأولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين * قوله عز وجل ﴿وما تفعلوا من خير فلن تكفروه﴾ قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنى أهل الكتاب وذلك

(يؤمنون بالله) وبجملة الكتب والرسل (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت ونعيم الجنة (ويأمرون بالمعروف) بالتوحيد واتباع محمد (وينهون عن المنكر) عن الكفر والشرك واتباع الجبت والطاغوت (ويسارعون فى الخيرات) ﴿ان﴾ يبادرون فى الطاعات (وأولئك من الصالحين) من صالحى أمة محمد ويقال مع صالحى أمة محمد فى الجنة مثل أبى بكر وأصحابه (وما يفعلوا) يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه (من خير) مما ذكرت ويقال من احسان الى محمد وأصحابه (فلن يكفروه) لن ينسى

وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان * وقرأ حفص وحمزة والكسائى ومايفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ بشارة لهم واشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وأن الفائز عند الله سبحانه وتعالى هوا أهل التقوى ﴿ أن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ ﴾ من العذاب أو من الغناء فيكون مصدرا ﴿ وأولئك أصحاب النار ﴾ ملازموها ﴿ هم فيها خالدون مثل ماينفقون ﴾ ماينفق الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء وخوفا ﴿ فى هذه الحيوة الدنيا

أن اليهود لما قالوا لعبدالله بن سلام وأصحابه أنكم خسرتم بسبب هذا الدين الذى دخلتم فيه فأخبر الله تعالى أنهم فازوا بالدرجات العلى ومافعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير * وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو أهل الكتاب أيضا ومعنى الآية وماتفعلوا من خير أيها المؤمنون فلن تكفروه أى فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه أو تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لايفوز عنده الا أهل الايمان والتقوى * قوله عز وجل ﴿ أن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد بنى قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغنى عنهم أموالهم وقيل نزلت فى مشركى قريش فأن أبا جهل كان كثير الافتخار بالاموال وأنفق أبو سفيان مالا كثيرا فى يومى بدر وأحد على المشركين وقيل أن الآية عامة فى جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية أن الذين كفروا لن تغنى أى تدفع عنهم أموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا أولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فأعلم الله تعالى أن الكافر لاينفعه شئ من ذلك فى الآخرة ولا مخلص له من عذاب الله وهو قوله ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لايخرجون منها ولا يفارقونها * قوله عز وجل ﴿ مثل ماينفقون فى هذه الحيوة الدنيا ﴾ قيل أراد نفقة أبى سفيان وأصحابه ببدر وأحد فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل أراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم فى الدنيا وقيل أراد نفقة المرائى الذى لايريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لان انفاقهم المال اما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وأن كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل أعمال البر فأن كان كافرا فأن الكفر محبط لجميع أعمال البر فلا ينتفع بما أنفق فى الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائى الذى لايريد بما أنفق وجه الله تعالى فأنه لاينتفع

تحرموا جزاءه (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب (أن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) أى من عذاب الله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ماينفقون فى هذه الحيوة الدنيا) فى المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو مايتقربون به الى الله مع كفرهم

ثوابه بل يثابوا (والله عليم بالمتقين) الكفر والشرك والفواحش عبدالله بن سلام وأصحابه (أن الذين كفروا) بمحمد والقرآن كعب وأصحابه (لن تغنى عنهم أموالهم) كثرة أموالهم (ولا أولادهم) كثرة أولادهم (من الله) من عذاب الله (شيأ وأولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون (مثل ماينفقون فى هذه الحيوة الدنيا) يقول مثل نفقة اليهود فى اليهودية

كمثل ريح فيها صر ﴾ برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد ﴿ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ فأهلكته ﴾ عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط أشد والمراد تشبيه ماأنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بأيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث ﴿ وماظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ أي ماظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتدبها أوماظلم أصحاب الحرث بأهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بأرتكاب مااستحقوا به العقوبة * وقرئ ولكن أي ولكن أنفسهم يظلمونها ولايجوز أن يقدر ضمير الشأن لانه لايحذف الا في ضرورة الشعر كقوله

« وماكنت ممن يدخل العشق قلبه » * ولكن من يبصر جفونك يعشق

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة ﴾ وليجة وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار

بنفقته في الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى ﴿ كمثل ريح فيها صر ﴾ فيه وجهان * أحدهما وهو قول أكثر المفسرين وأهل اللغة أن الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد * والوجه الثاني ان الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من أهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فهي مهلكة أوحر فهي مهلكة أيضا ﴿ أصابت ﴾ يعني الريح التي فيها صر ﴿ حرث قوم ﴾ أي زرع قوم ﴿ ظلموا أنفسهم ﴾ يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه ﴿ فأهلكته ﴾ يعني فأهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فاهلكته أو نار فاحرقته فلم ينتفع به أصحابه * فأن قلت الغرض تشبيه ماأنفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث * قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ماهو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان أحدهما ان يكون التقدير مثل الكفر في أهلاك ماينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ماينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ماينفقون بشئ يذهب بالكلية ولايبقى منه شئ * وقوله عز وجل ﴿ وماظلمهم الله ﴾ يعني بأن لم يقبل نفقاتهم ﴿ ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ يعني أنهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فأبطل نفقاتهم وأهلك حرثهم وقيل ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة ﴾ الآية قال ابن عباس

(فيهاصر) برد شديد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مبتدأ وخبر في موضع جر صفة لريح مثل (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر (فأهلكته) عقوبة على كفرهم (وماظلمهم الله) باهلاك حرثهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة أو يكون الضمير للمنفقين أي وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة المنافقين (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليجته خصيصته وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار

(كمثل ريح فيهاصر) حر أو برد (أصابت حرث قوم) زرع قوم (ظلموا أنفسهم) بمنع حق الله منه (فأهلكته) أحرقته كذلك الشرك يهلك النفقة كما أهلكت الريح الزرع (وماظلمهم الله) بذهاب منفعة زرعهم ونفقتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر ومنع حق الله من الزرع * ثم نهى الله المؤمنين الانصار وغيرهم عن محادثة اليهود وافشاء السر اليهم فقال (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا) يعني اليهود (بطانة) وليجة (رضى)

(من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لايألونكم خبالا) في موضع النصب صفة لبطانة يعني لايقصرون في فساد دينكم يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالا على التميز أو على حذف في أي في خبالكم (ودوا ماعنتم) أي عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كقوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) لانهم لايتمالكون مع ضبطهم أنفسهم ان ينفلت من ألسنتهم مايعلم به بغضهم للمسلمين (وما تخفي صدورهم) من البغض لكم (أكبر) مما بدا (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه (أن كنتم تعقلون) مابين لكم (هاأنتم

﴿من دونكم﴾ من دون المسلمين وهو متعلق بلاتتخذوا أو بمحذوف هو صفة بطانة أي بطانة كائنة من دونكم ﴿لايألونكم خبالا﴾ أي لايقصرون لكم في الفساد والالو التقصير وأصله أن يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولك لاآلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص ﴿ودوا ماعنتم﴾ تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي في كلامهم لانهم لايتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ﴿أن كنتم تعقلون﴾ مابين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات للتعليل ويجوز أن تكون الثلاث الاول صفات لبطانة ﴿هاأنتم

رضي الله عنهما كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لمابينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول أن الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول أن الله ذكر في سياق هذه الآية قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لاصفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع أصناف الكفار يدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لاتتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن أمره ويطلع منه على مالايطلع عليه غيره ﴿من دونكم﴾ قيل من صلة زائدة والتقدير لاتتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين أي لاتتخذوا بطانة من دون أهل ملتكم والمعنى لاتتخذوا أولياء ولاأصفياء من غير أهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى ﴿لايألونكم خبالا﴾ يعني لايقصرون ولايتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان أصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل ﴿ودوا ماعنتم﴾ أي يودون عنتكم وهو مايشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي ظهرت العداوة من أفواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على أسرار المؤمنين ﴿وماتخفي صدورهم﴾ يعني من العداوة والغيظ ﴿أكبر﴾ أي أعظم مما يظهرونه ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ﴿أن كنتم تعقلون﴾ يعني مابين لكم فتتعظون به * قوله عز وجل ﴿هاأنتم﴾ ها للتنبيه وأنتم كناية للمخاطبين

(من دونكم) من دون المؤمنين المخلصين (لايألونكم خبالا) لايتركون الجهد في فسادكم (ودوا ماعنتم) تمنوا أن اثمتم وأشركتم كما أشركوا (قد بدت) ظهرت (البغضاء من أفواههم) على ألسنتهم بالشتم والطعن (وماتخفي صدورهم) مايضمرون في قلوبهم من البغض والعداوة (أكبر) من ذلك (قد بينا لكم الآيات) أي علامة الحسد (أن كنتم تعقلون) مايقرأ عليكم ويقال قد بينا لكم الآيات يعني الامر والنهي أن كنتم تعقلون لكي تعلموا ما آمركم (هاأنتم

أولاء) هاللتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبر أى أنتم أولاء الخاطؤن فى موالاة منافقى أهل الكتاب (تحبونهم ولايحبونكم) بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وأولاء موصول صلته تحبونهم والواو فى (وتؤمنون بالكتاب كله) للحال وانتصابها من لايحبونكم أى لايحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بشئ من كتابكم وفيه توبيخ شديد لانهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم وقيل الكتاب للجنس (وأذا لقوكم قالوا آمنا) أظهروا كلمة التوحيد (وأذا خلوا) فارقوكم أو خلا بعضهم ببعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة مايغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله ومالهم فى ذلك من الذل والخزى (أن الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم مافى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء ومايكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل فى جملة المقول أى أخبرهم بمايسرونه من عضهم الانامل غيظا

أولاء تحبونهم ولا يحبونكم﴾ اى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولايحبونكم بيان لخطأهم فى موالاتهم وهو خبر ثان أو خبر لاولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلته أو حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز أن ينصب أولاء بفعل مضمر يفسره مابعده وتكون الجملة خبرا ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ بجنس الكتاب كله وهو حال من لايحبونكم والمعنى أنهم لايحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم ﴿وأذا لقوكم قالوا آمنا﴾ نفاقا وتغريرا ﴿وأذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ﴾ من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام وأهله حتى يهلكوا به ﴿أن الله عليم بذات الصدور﴾ فيعلم

من الذكور ﴿أولاء﴾ اسم للمشار اليهم فى قوله ﴿تحبونهم﴾ والمعنى أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التى بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف ﴿ولايحبونكم﴾ يعنى اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة فى الدين وقيل تحبونهم يعنى تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولايحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما أظهروا من الايمان وأنتم لاتعلمون مافى قلوبهم ولايحبونكم لان الكفر ثابت فى قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بأن تفشوا اليهم أسراركم ولايحبونكم أى لايفعلون مثل ذلك معكم ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ يعنى وهم لايؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم فى أيدى الناس والمعنى أنكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لايؤمنون بشئ من كتابكم ﴿وأذا لقوكم قالوا آمنا﴾ يعنى أن الذين وصفهم فى هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود ﴿وأذا خلوا﴾ أى خلا بعضهم الى بعض ﴿عضوا عليكم الانامل من الغيظ﴾ الانامل جمع أنملة وهى طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض أظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ هذا دعاء عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم ﴿أن الله عليم بذات الصدور﴾ يعنى به الخواطر القائمة بالقلب والدواعى والصوارف الموجودة فيه وهى لكونها حالة

أولاء) أنتم يامعشر المؤمنين (تحبونهم) يعنى اليهود لقبل المصاهرة والرضاعة (ولا يحبونكم) لقبل الدين (وتؤمنون بالكتاب كله) تقرون بجملة الكتاب والرسل وهم لايقرون بذلك (وأذا لقوكم) يعنى منافقى اليهود (قالوا آمنا) بمحمد والقرآن وان صفته ونعته فى كتابنا (وأذا خلوا) رجع بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل) أطراف الاصابع (من الغيظ) من الحنق (قل موتوا بغيظكم) بحنقكم (أن الله عليم بذات الصدور) بمافى القلوب من البغض

﴿فى﴾

اذا خلوا وقل لهم أن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيأ من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول أى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعى اياك على مايسرون فأنى أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم (أن تمسسكم حسنة) رخاء وخصب وغنيمة ونصرة (تسؤهم) تحزنهم اصابتها (وأن تصبكم سيئة) اضداد ما ذكرنا والمس مستعار من الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى الى قوله تعالى أن تصبك حسنة تسؤهم وأن تصبك مصيبة (يفرحوا بها) باصابتها (وأن تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه (لا يضركم كيدهم شيأ) مكرهم وكنتم فى حفظ الله وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء اذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك لا يضركم مكى وبصرى ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لانه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغى أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم الا أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد ياهذا (أن الله بما تعملون) بالتاء سهل أى من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ما أنتم أهله وبالياء غيره أى انه عالم بما يعملون فى عداوتكم

ما فى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أى وقل لهم أن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعى أياك على أسرارهم فأنى عليم بالاخفى من ضمائرهم ﴿أن تمسسكم حسنة تسؤهم وأن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة ﴿وأن تصبروا﴾ على عداوتهم أو على مشاق التكاليف ﴿وتتقوا﴾ موالاتهم أو ما حرم الله جل جلاله عليكم ﴿لا يضركم كيدهم شيأ﴾ بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد * وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ﴿أن الله بما تعملون﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما ﴿محيط﴾ أى محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله * وقرئ بالياء أى بما يعملون فى عداوتكم

فى القلب منتسبة اليه كنى عنها بذوات الصدور والمعنى أنه تعالى عالم بكل ما يحصل فى قلوبكم من الخواطر فأخبرهم أنه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه فى قلوبهم * قوله عز وجل ﴿أن تمسسكم﴾ أى تصبكم أيها المؤمنون وأصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى الشئ ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب أى أصابه ﴿حسنة﴾ المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معايشكم (تسؤهم) أى تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى ﴿وأن تصبكم سيئة﴾ أى مساءة من اخفاق سرية لكم أو اصابة عدو منكم أو اختلاف يقع بينكم أو غدر ونكبة ومكروه يصيبكم ﴿يفرحوا بها﴾ أى بما أصابكم من ذلك المكروه ﴿وأن تصبروا﴾ يعنى على أذاهم وقيل أن تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة ﴿وتتقوا﴾ أى تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتوكلوا عليه ﴿لا يضركم﴾ أى لا ينقصكم ﴿كيدهم﴾ أى عداوتهم ومكرهم ﴿شيأ﴾ أى لانكم فى عناية الله وحفظه ﴿أن الله بما يعملون﴾ قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم وأذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون أيها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه ﴿محيط﴾ أى عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شئ منه * قوله عز وجل

والعداوة (أن تمسسكم) تصبكم (حسنة) الفتح والغنيمة (تسؤهم) ساءهم ذلك يعنى اليهود والمنافقين (وأن تصبكم سيئة) القحط والجدوبة والقتل والهزيمة (يفرحوا بها) يعجبوا بها (وأن تصبروا) على اذاهم (وتتقوا) معصية الله (لا يضركم كيدهم شيأ) عداوتهم وصنيعهم شيأ (أن الله بما يعملون) من المخالفة

عالم فيعاقبهم عليه ﴿ وأذغدوت ﴾ أى واذكر أذغدوت ﴿ من أهلك ﴾ أى من حجرة عائشة رضى الله عنها ﴿ تبوئ المؤمنين ﴾ تنزلهم أو تسوى وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام ﴿ مقاعد للقتال ﴾ مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى فى مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك

﴿ وأذغدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ قال جمهور المفسرين أن هذا كان فى يوم أحد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهرى وقتادة والسدى والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن أيضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبرى الاول أصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبى والواقدى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدى عن رجالهما أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن أبى وأكثر الانصار يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يارسول الله فأن أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وأن رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأى وقال بعض أصحابه يارسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا أنا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى قد رأيت فى منامى بقرا فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولتها هزيمة ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان أقاموا أقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم فى الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ماصنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يارسول الله اصنع ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعدما صلى بأصحابه الجمعة وكان قدمات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله فى جانب الوادى وجعل ظهره وأصحابه الى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال

فيعاقبهم عليه (وأذغدوت من أهلك) واذكر يا محمد اذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة والمراد غدوه من حجرة عائشة رضى الله عنها الى أحد (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وهو حال (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة وللقتال يتعلق بتبوئ

والعداوة (محيط) عالم (وأذغدوت من أهلك) خرجت من المدينة يوم أحد (تبوئ المؤمنين) تتخذ للمؤمنين بأحد (مقاعد للقتال) أمكنة لقتال عدوهم

﴿والله سميع﴾ لاقوالكم ﴿عليم﴾ بنياتكم * روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه وقد دعا عبدالله ابن أبي ابن سلول ولم يدعه من قبل فقال هو وأكثر الانصار أقم يارسول الله بالمدينة ولاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو الا أصاب منا ولادخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فأن أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وأن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام أني رأيت في منامي بقرة مذبوحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فأن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يارسول الله مارأيت فقال صلى الله عليه وسلم لاينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى أحد وسوى صفهم وأمر عبدالله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا

ادفعوا عنا بالنبل حتى لايأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلاتطلبوا المدبرين ولاتخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبدالله بن أبي ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه أطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه أن محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه ان أعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم أعداءهم فانهزموا أنتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ماقاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين ألفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخذل عبدالله بن أبي ابن سلول بثلاثمائة من أصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من أصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا في أن تكون هذه الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله أن يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا أن ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم أن الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه منهم أبوبكر وعلي والعباس وطلحة وسعد رضي الله عنهم وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الشريف يومئذ وكان من أمر غزوة أحد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من أهلك أي واذكر اذ غدوت من أهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من أهلك فنص الله تعالى على أنها من أهله تبوئ المؤمنين أي تنزل المؤمنين مقاعد للقتال أي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكر الاقتتال ﴿والله سميع﴾ يعني لاقوالكم ﴿عليم﴾ يعني بنياتكم ومافي ضمائركم

(والله سميع عليم) سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبدالله ابن أبي فاستشاره فقال أقم بالمدينة فاخرجنا على عدو قط الا أصاب منا ومادخلوا علينا الا اصبنا منهم فقال عليه السلام أني رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلمة فأولتها هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فلم يزل به قوم ينشطون في الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الامر اليك يارسول الله فقال عليه السلام لاينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف

(والله سميع) لمقالتكم (عليم) بمايصيبكم ويتركم المركز

من شوال (اذهمت) بدل من اذ غدوت أو عمل فيه معنى عليم (طائفتان منكم) حيان من الانصار بنوسلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان عليه السلام خرج الى أحد في ألف والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخذل عبدالله بن أبي بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فضوا مع رسول الله (أن تفشلا) أي بأن تفشلا أي بأن تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور (والله وليهما) محبهما أو ناصرهما أو متولى أمرهما فالهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمرهم بأن لايتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا أمورهم الا اليه قال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة فقال (ولقد نصركم الله ببدر) وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به أو ذكر بدرا بعد أحد للجمع بين الصبر والشكر

﴿أذهمت﴾ متعلق بقوله سميع عليم أو بدل من اذغدوت ﴿طائفتان منكم﴾ بنوسلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ﴿أن تفشلا﴾ أن تجبنا وتضعفا وروى أنه عليه الصلاة والسلام خرج في زهاء ألف رجل ووعدهم النصر أن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلاثمائة رجل وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه ما كانت عزيمة لقوله تعالى ﴿والله وليهما﴾ أي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز أن يراد والله ناصرهما فالهما تفشلان ولا يتوكلان ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به

*قوله عز وجل ﴿أذهمت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ أي تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنوسلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد في ألف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبدالله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعه أبو جابر السلمي وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبدالله بن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبدالله بن أبي فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذهمت طائفتان منكم أن تفشلا ﴿والله وليهما﴾ أي ناصرهما وحافظهما ومتولي أمرهما بالتوفيق والعصمة * فان قلت الهم العزم على فعل الشئ والاية تدل على أن الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما * قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس هنا أولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس رضي الله عنهما أنهم أضمروا أن يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق) عن جابر رضي الله عنه قال نزلت فينا اذهمت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم آية ناطقة مفصحة بأن الله وليهم وأن تلك الهمة التي هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى * قوله عز وجل ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ التوكل تفعل من وكل أمره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين أن لا يتوكلوا الا عليه وأن لا يفوضوا أمرهم الا اليه * قوله عز وجل ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ بدر

(أذهمت طائفتان منكم) اضمرت من قبيلتان من المؤمنين بنوسلمة وبنو حارثة (أن تفشلا) أن تجبنا عن قتال العدو يوم أحد (والله وليهما) حافظهما ولاهما عن ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله في النصرة والفتح (ولقد نصركم الله ببدر) يوم بدر (اسم)

(وأنتم أذلة) لقلة العدد فأنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل والعدد فأنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الافرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم الله به عليكم من النصر (أذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم على أن تقول لهم ذلك يوم بدر أى نصركم الله وقت مقالتكم هذه أو بدل ثان من اذ غدوت على أن تقول لهم ذلك يوم أحد

(ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) منزلين شامى منزلين أبو حيوة أى للنصرة ومعنى ألن يكفيكم انكار أن لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجئ بلن الذى هو لتأكيد النفى للاشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر (بلى) ايجاب لما بعد لن أى يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (أن تصبروا) على القتال (وتتقوا) خلاف الرسول عليه السلام (ويأتوكم) يعنى المشركين (من فورهم هذا) هو من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث بها ولا تعريج على شئ من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخى الامر المطلق على الفور لا على التراخى والمعنى أن يأتوكم من ساعتهم هذه

﴿وأنتم أذلة﴾ حال من الضمير وانما قال أذلة ولم يقل ذلائل تنبيها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح ﴿فاتقوا الله﴾ فى الثبات ﴿لعلكم تشكرون﴾ ما أنعم به عليكم بتقواكم من نصره أو لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه ﴿أذ تقول للمؤمنين﴾ ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على أن قوله لهم كان يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ انكار أن لا يكفيهم ذلك وانما جئ بلن أشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف * وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج ﴿بلى﴾ ايجاب لما بعد لن أى بلى يكفيكم ثم وعدلهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ﴿أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم﴾ أى المشركون ﴿من فورهم هذا﴾ من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير

اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر ﴿وأنتم أذلة﴾ جمع ذليل وهو جمع قلة وأراد به قلة العدد فأن المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر * وفى رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك أنهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان أكثرهم رجالة ولم يكن معهم الافرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش فى حال الكثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم ﴿فاتقوا الله﴾ يعنى فى الثبات مع رسول الله صلى الله عليه ﴿لعلكم تشكرون﴾ يعنى بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته * قوله عز وجل ﴿أذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ اختلف المفسرون فى أن هذا الوعد بأنزال الملائكة هل حصل يوم بدر أو يوم أحد على قولين أحدهما أنه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر أمدهم الله بألف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكرهها هنا ﴿بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا

(وأنتم أذلة) قليلة ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (فاتقوا الله) فاخشوا الله فى أمر الحرب ولا تخالفوا السلطان الذى معكم (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نصرته ونعمته (أذ تقول للمؤمنين) يوم أحد (ألن يكفيكم) مع عدوكم (أن يمدكم ربكم) أن ينصركم ربكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من السماء لنصرتكم (بلى) يكفيكم (أن تصبروا) مع نبيكم فى الحرب (وتتقوا) معصيته ومخالفته (ويأتوكم) يعنى أهل مكة (من فورهم هذا) من وجه مكة

السرعة ثم أطلق للحال التى لاريث فيها ولاتراخى والمعنى أن يأتوكم فى الحال ﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ﴾ فى حال اتيانهم بلاتراخ ولاتأخير

يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ﴾ فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف كما وعد قال ابن عباس رضى الله عنهما لم تقاتل الملائكة فى معركة الايوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا أومددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى يريد أن يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى ألن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضا بالخمسة آلاف وكانوا قد أمدوا بألف من الملائكة وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول أيضا بأن الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وظاهر هذا يقتضى أن الله نصرهم حين قال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد أكثر * القول الثانى أن هذا الوعد بأنزال الملائكة كان يوم أحد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى سعد بن مالك يرمى وفتى شاب يتنبل له كلما فنى النبل أتاه به فنثره وقال ارم أبا اسحق ارم أبا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بأن المدد كان يوم بدر بألف من الملائكة كما نص عليه فى سورة الانفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وأيضا أن الكفار كانوا يوم بدر ألفا أو ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فأنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر فأنزل الله يوم بدر ألفا من الملائكة فى مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم أحد ألفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب أن يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما فى يوم بدر وأجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بأن الله تعالى أمدهم يوم بدر بألف كما ذكر فى سورة الانفال ثم لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بأن يمدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك * وأجيب عن الثانى وهو أن الكفار كانوا يوم بدر ألفا فأنزل الله ألفا وفى يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف فأنزل الله ثلاثة آلاف بأن هذا تقريب حسن ولله أن يزيد ما شاء فى أى وقت شاء ولهذا قال عكرمة فى قوله تعالى بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو

(يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم لايتأخرون نزولهم عن اتيانهم يعنى أن الله تعالى يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم

(يمددكم) ينصركم (ربكم) على عدوكم (بخمسة آلاف من الملائكة

(أمدوا)

أمدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فأمدهم الله بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى أين قال ههنا وأشار الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم (خ) عن أنس رضي الله عنه قال كأني أنظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال عبد الله بن أبي أوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ماشاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أوضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري وأولى الاقوال بالصواب أن الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف أن صبروا لاعدائهم واتقوا ولادلالة في الآية على أنهم أمدوا بهم ولا على أنهم لم يمدوا بهم فقد يجوز أن الله أمدهم وقد يجوز أن لايكون أمدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القرآن أنهم أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة كما في سورة الانفال وأما يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها بأنهم أمدوا وذلك أنهم لو أمدوا لم ينهزموا ولم ينل منهم مانيل منهم * فأن قلت فما تصنع بحديث سعد بن أبي وقاص المتقدم في يوم أحد وأنه رأى ملكين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله * قلت انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم أصحابه يوم أحد * وأما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم أحد يقول نظم الآية أن الله ذكر قصة أحد ثم أتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فكذلك هو قادر أن ينصركم في سائر المواطن ثم رجع الى قصة أحد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد أن يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة القوة والاعانة يقال له أمده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد في الشر والامداد في الخير بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انما وعدهم الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بلى تصديق لوعد الله أي بلى نمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد ألن يعني يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية أن تصبروا أي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم أراد ابتداء مخرجهم

﴿مسومين﴾ معلمين من التسويم الذى هو أظهار سيما الشئ لقوله عليه الصلاة والسلام لاصحابه تسوموا فأن الملائكة قد تسومت أو مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو ﴿ وماجعله الله ﴾ وماجعل امدادكم بالملائكة ﴿ الا بشرى لكم ﴾

يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتالهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فمن قال أن هذا الامداد كان يوم بدر قال أن الله تعالى أمدهم بألف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربى يريد أن يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم الآية على تقدير أن يجئ للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير ألف وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن جبير بن مطعم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها الا التى قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم أر اشد منها الا التى كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل فى ألفين من الملائكة وكانوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى ألفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل فى ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله أعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف فى سورة الانفال وذكرهنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة أحد فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة ﴿ مسومين ﴾ قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو أراد أن الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفونى أننى أنا ذلكم * شاك سلاح فى الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى أنهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة أو أعلموا خيلهم واختلفوا فى تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال على وابن عباس رضى الله عنهم كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبى كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلموا بالعهن يعنى بالصوف المصبوغ فى نواصى خيلهم وأذنابها وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فأن الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوى بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا أنفسهم بسيما القتال * قوله عز وجل ﴿ وماجعله الله ﴾ يعنى هذا الوعد والمدد ﴿ الا بشرى لكم ﴾ يعنى بشارة بأنكم تنصرون

(مسومين) بكسر الواو مكى وأبو عمرو وعاصم وسهل أى معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامة يعرف بها فى الحرب والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الابيض فى نواصى الدواب وأذنابها غيرهم بفتح الواو أى معلمين قال الكلبى معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت ألف فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف (وما جعله الله) الضمير يرجع الى الامداد الذى دل عليه أن يمدكم (الا بشرى لكم) أى وماجعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) كما كانت السكينة لبنى اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة

مسومين) معلمين ويقال متعممين بعمائم الصوف (وماجعله الله) ماذكر الله المدد (الا بشرى لكم)

(فتستبشرون)

لقلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لامن عند المقاتلة ولامن عند الملائكة ولكن ذلك ممايقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة (العزيز) الذى لايغالب فى أحكامه (الحكيم) الذى يعطى النصر لاوليـائه ويبتليهم بجهاد أعدائه واللام فى (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهوماكان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ﴿٥٨٣﴾ ولقد نصركم الله {سورة آل عمران} أوبقوله وما النصر الا من عند

الابشارة لكم بالنصر ﴿ ولتطمئن قلوبكم به ﴾ ولتسكن اليـه من الخوف ﴿وما النصر الا من عند الله﴾ لامن العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لاحاجة فى نصرهم الى مدد وانما أمدهم ووعدلهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث أن نظر العامة الى الاسباب أكثر وحث على أن لايبالوا عن تأخرعنهم ﴿ العزيز ﴾ الذى لايغالب فى اقضيته ﴿ الحكيم ﴾ الذى ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا ﴾ متعلق بنصركم أووما النصر أن كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم ﴿أويكبتهم﴾ أويخزيهم والكبت شدة الغيظ أووهن يقع فى القلب وأو للتنويع دون الترديد ﴿ فينقلبوا خائبين ﴾ فينهزموا منقطعى الآمال ﴿ ليس لك من الامر شئ ﴾ اعتراض ﴿ أويتوب عليهم أويعذبهم ﴾ عطف على قوله أويكبتهم والمعنى أن الله مالك أمرهم فأما أن يهلكهم أويكبتهم أويتوب عليهم أن اسلموا

فتستبشرون به ﴿ ولتطمئن ﴾ أى ولتسكن ﴿ قلوبكم به ﴾ أى فلاتجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم ﴿ وما النصر الا من عند الله ﴾ يعنى لاتحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لامن عند غيره والغرض أن يكون توكلهم على الله لاعلى الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسـباب ﴿ العزيز الحكيم ﴾ يعنى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلاتخفى عليه مصالح عباده ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا ﴾ هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى أن المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا أى ليهلك طـائفة من الذين كفروا وقيل معنـاه ليهدم ركنـا من أركان الشرك بالقتـل والاسر فقتـل يوم بدر من قادتهم وسـاداتهم سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة أحد قال قدقتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أويكبتهم﴾ أصل الكبت فى اللغـة صرع الشئ على وجهه والمعنى أنه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة أوالاهلاك أواللعن والخزى ﴿فينقلبوا خائبين ﴾ أى بالخيبة لم ينالوا شيأ من الذى أملوه من الظفر بكم * قوله عز وجل ﴿ ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أويعذبهم ﴾ اختلف فى سبب نزول هذه الآية

الله او يمددكم ربكم (أو يكبتهم) أويخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شـدة وهن تقع فى القلب فيصرع فى الوجه لاجله (فينقلبوا خائبين) فيرجعوا غيرظافرين بمبتغاهم (ليس لك من الامر شئ) اسم ليس شئ والخبر لك ومن الامر حال من شئ لانها صفة مقـدمة (أو يتوب عليهم) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم وليس لك من الامر شئ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليـه والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فأما أن يهلكهم أويهزمهم أو يتوب عليهم أن أسلموا (أو يعذبهم) أن أصروا

بالنصرة (ولتطمئن) لتسكن (قلوبكم به) بالمدد (وما النصر) بالملائكة (الا من عند الله) من الله (العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن به (الحكيم) بالنصرة والدولة لمن يشاء ويقال الحكيم بما أصابكم يوم أحد (ليقطع طرفا) يقول لوانزل المدد لم ينزل الاليقتل جمعا (من الذين كفروا) كفار مكة (أو يكبتهم) يهزمهم (فينقلبوا) يرجعوا (خائبين) من الدولة والغنيمة (ليس لك من الامر شئ) ليس بيدك التوبة والعـذاب أن تدع على المنهزمين يوم أحـد من الرماة وغيرهم (أو يتوب عليهم) يقول أن شاء الله أن يتوب عليهم فيتجاوز عنهم (أو يعذبهم)

أو يعذبهم أن أصروا وليس لك من أمرهم شئ وانما أنت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفا على الامر أو شئ بأضمار أن أى ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شئ أو ليس لك من أمرهم شئ أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وأن يكون أو بمعنى الأأن أى ليس لك من أمرهم شئ الا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتشفى منهم وروى أن عتبة بن أبى وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم أن يدعو عليهم فنهاه الله

فقيل أنها نزلت فى أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شئ الى قوله فأنهم ظالمون (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ه زاد فى رواية اللهم العن فلانا وفلانا الاحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية سماهم فى رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فأنهم ظالمون وقيل أنها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا فى سببها فقيل أن عتبة بن أبى وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج فى رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ وقيل أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه أن أكثرهم يسلمون وقيل أن النبى صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية فى النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من أمر مصالح عبادى شئ الا ما أوحى اليك فأن الله تعالى هو مالك أمرهم فأما أن يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم أن أصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خلقى شئ الا ما وافق أمرى انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل أن قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع

اعلى الكفر وليس لك من أمرهم شئ انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء أو بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى الاأن كقولك لالزمنك أو تعطينى حقى أى ليس لك من أمرهم شئ الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن

بترك المركز

لعلمه بأن فيهم من يؤمن ﴿فأنهم ظالمون﴾ قد استحقوا التعذيب بظلمهم ﴿ولله مافى السموات ومافى الارض﴾ خلقا وملكا فله الامر كله لا لك ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ صرح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له ﴿والله غفور رحيم﴾ لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة﴾ لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون * وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة ﴿واتقوا الله﴾ فيما نهيتم عنه ﴿لعلكم تفلحون﴾ راجين الفلاح

طرفا * وقوله ليس لك من الامر شئ كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فأنهم ظالمون ليس لك من الامر شئ بل الامر أمرى فى ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة فى منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم أن الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليه أو سيولد من بعضهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق فى علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم فى الدنيا وهو القتل والاسر وفى الآخرة وهو عذاب النار ﴿فأنهم ظالمون﴾ هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى ﴿ولله مافى السموات ومافى الارض﴾ هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس ذلك من الامر شئ والمعنى انما يكون لمن له مافى السموات ومافى الارض وليس لك الا الله تعالى وليس لاحد معه أمر ﴿يغفر لمن يشاء﴾ بفضله ورحمته ﴿ويعذب من يشاء﴾ بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له فى حكمه ولا معارض له فى فعله ﴿والله غفور رحيم﴾ يعنى أنه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو أدخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولو أدخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب * قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة﴾ أراد به ما كانوا يفعلونه فى الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على أنسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون ما يؤدى قال له صاحب الدين زد فى المال حتى أزيدك فى الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم أصل الربا ومضاعفته ﴿واتقوا الله﴾ يعنى فى أكل الربا فلا تأكلوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى لكى تسعدوا بثوابه فى الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلو أكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على أن أكل الربا من الكبائر ولهذا أعقبه بقوله تعالى

(فأنهم ظالمون) مستحقون للتعذيب (ولله مافى السموات ومافى الارض) أى الامر له لا لك لان مافى السموات ومافى الارض ملكه (يغفر لمن يشاء) للمؤمنين (ويعذب من يشاء) الكافرين (والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) مضعفة مكى وشامى هذا نهى عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول اما ان تقضى حقى أو تربى وأزيد فى الاجل (واتقوا الله) فى أكله (لعلكم تفلحون

(فأنهم ظالمون) بترك المركز ويقال نزلت فى الحيين عصية وذكوان دعا النبى صلى الله عليه وسلم عليهم حين قتلوا أصحابه (ولله مافى السموات وما فى الارض) من الخلق (يغفر لمن يشاء) لمن كان اهلا لذلك (ويعذب من يشاء) من كان اهلا لذلك (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (يا أيها الذين آمنوا) يعنى ثقيفا (لا تأكلوا الربوا أضعافا) على الدرهم (مضاعفة) فى الاجل (واتقوا الله) واخشوا الله فى أكل الربا (لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من

واتقوا النار التى أعدت للكافرين) كان أبوحنيفة رضى الله عنه يقول هى أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله (أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) وفيه رد على المرجئة فى قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة وفى ذكره تعالى لعل وعسى فى نحو هذه المواضع وان قال أهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى على العارف من دقة مسالك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة) سارعوا مدنى وشامى فمن أثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يوصل اليهما ثم قيل هى الصلوات الخمس أو التكبيرة الاولى أو الطاعة أو الاخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات (عرضها السموات والارض) أى عرضها عرض السموات

﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين ﴾ بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل وعسى فى أمثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبراله ﴿ وسارعوا ﴾ بادروا وأقبلوا ﴿ الى مغفرة من ربكم ﴾ الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص *وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو ﴿ وجنة عرضها السموات والارض ﴾

﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين ﴾ يعنى واتقوا أيها المؤمنون ان تستحلوا شيأ مما حرم الله فان من استحل شيأ مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما أوجب الله فيه النار قال بعضهم أن هذه الآية أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدى فى هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين ﴿ وأطيعوا الله ﴾ يعنى فيما أمركم به أونهاكم عنه من أكل الربا وغيره ﴿ والرسول ﴾ أى وأطيعوا الرسول أيضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق فى هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى لكى ترحموا ولا تعذبوا اذا أطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة * قوله عز وجل ﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم ﴾ يعنى وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهى الاعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس رضى الله عنهما الى الاسلام ووجهه أن الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الى أداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعنى تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص فى الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الهجرة وقيل الى الجهاد ﴿ وجنة ﴾ أى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وقيل اشعارا بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة ﴿ عرضها ﴾ أى عرض الجنة ﴿ السموات والارض ﴾ يعنى كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا

السخطة والعذاب (واتقوا النار) اخشوا النار فى أكل الربا (التى أعدت) خلقت (للكافرين) بالله وبتحريم الربا (وأطيعوا الله والرسول) فى تحريم الربا وفى تركه (لعلكم ترحمون) لكى ترحموا وتنجوا فلا تعذبوا (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) بادروا بالتوبة من الربا وسائر الذنوب الى تجاوز من ربكم (وجنة) والى جنة بعمل صالح وترك الربا (عرضها السموات والارض) لو وصل بعضها الى بعض (للجنة)

والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت باوسع

أى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض ﴿أعدت للمتقين﴾ هيئت لهم وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم ﴿الذين ينفقون﴾ صفة مادحة للمتقين أو مدح منصوب أو مرفوع ﴿فى السراء والضراء﴾ فى حالتى الرخاء والشدة أو الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة والمعنى لا يخلون فى حال ما بانفاق ما قدروا

للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول فى العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت باوسع شئ علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أى واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل أرسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب والليل فى ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده أصحابه فقالوا أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال عمر بن الخطاب أرأيتم اذا جاء الليل فأين يكون النهار واذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا أن لمثلها فى التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى * فأن قات قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى وعدنا به الجنة ومذهب أهل السنة انها فى السموات واذا كانت الجنة فى السموات فكيف يكون عرضها السموات والارض * قلت المراد من قولنا انها فى السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أفى السماء هى أم فى الارض فقال أى أرض وسماء تسع الجنة قيل له فأين هى قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة فى السماء وعرضها كعرض السموات والارض ﴿أعدت للمتقين﴾ أى هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن * قوله عز وجل ﴿الذين ينفقون فى السراء والضراء﴾ يعنى فى العسر واليسر لا يتركون الانفاق فى كلتا الحالتين

ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لانه فى العادة أدنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وما روى ان الجنة فى السماء السابعة أو فى السماء الرابعة فمعناه انها فى جهتها لانها فيها أو فى بعضها كما يقال فى الدار بستان وان كان يزيد عليها لان المراد أن بابه اليها (أعدت) فى موضع جر صفة لجنة أيضا أى جنة واسعة معدة (للمتقين) ودلت الآيتان على أن الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقى من يتقى الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله أو من يتقى المعاصى فان كان المراد الثانى فهى لهم بغير عقوبة وان كان الاول فهى لهم أيضا فى العاقبة ويوقف عليه ان جعل (الذين ينفقون فى السراء والضراء) فى حال اليسر والعسر مبتدأ وعطف عليه والذين اذا

(أعدت) خلقت (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش وأكل الربا * ثم بينهم فقال

(الذين ينفقون فى السراء والضراء) يقول ينفقون أموالهم فى سبيل الله فى اليسر والعسر

عليه من قليل أو كثير ﴿والكاظمين الغيظ﴾ الممسكين عليه الكافين عن أمضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على أنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ﴿والعافين عن الناس﴾

فى الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا فى حال فرح وسرور ولا فى حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم فى عرس أو حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس فأول ماذكر الله من أخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه أشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال فى ذلك الوقت أعظم الاحوال للحاجة اليه فى مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين * عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخى أحب الى الله تعالى من عابد بخيل أخرجه الترمذى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفت على جلده حتى تخفى ثيابه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك (ق) عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين فى سبيل الله تعالى دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فل هلم فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ذاك الذى لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجو أن تكون منهم * قوله أى فل يعنى يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعنى ذاك الذى لا هلاك عليه * وقوله عز وجل ﴿والكاظمين الغيظ﴾ يعنى والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشئ عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلئ غيظا فيرده فى جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية أنهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم فى أجوافهم وهذا الوصف من أقسام الصبر والحلم * عن سهل بن معاذ عن انس الجهنى عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء أخرجه الترمذى وأبو داود (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب * وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء ﴿والعافين عن الناس﴾ يعنى اذا جنى عليهم

فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك وان جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة أى أعدت للمتقين والتائبين فلا وقف فان قلت الآية تدل على أن الجنة معدة أعدت للمتقين وللتائبين دون المصرين قلت جاز أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال أعدت هذه المائدة للامير ثم قد يأكلها أتباعه ألا ترى انه قال واتقوا النار التى أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالانفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه أشق شئ على النفس وأدله على الاخلاص ولانه كان فى ذلك الوقت أعظم الاعمال للحاجة اليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق فى جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة (والكاظمين الغيظ) والممسكين الغيظ عن الامضاء يقال كظم القربة اذا ملأها وشدفاها ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما فى نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثر والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبى عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا (والعافين عن الناس) أى اذا جنى عليهم أحد

(والكاظمين الغيظ) الكافين غيظهم المردين حدتهم فى أجوافهم (والعافين عن الناس) عن المملوكين (أحد)

التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه الصلاة والسلام أن هؤلاء في أمتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم ﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة ﴾ فعلة بالغة في القبح كالزنا ﴿ أو ظلموا أنفسهم ﴾ بأن أذنبوا أي ذنب

أحد لم يؤاخذوه فتكون الآية على العموم وقيل أراد بالناس المماليك لسوء أدب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم وأساء اليهم وهو قريب من القول الاول ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ يحتمل أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين في الآية والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النفع اليه أو بدفع الضر عنه وقيل الاحسان ان تحسن لمن أساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل أحد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد أعظم درجات الثواب * قوله عز وجل ﴿والذين اذا فعلوا فاحشة﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان أحدهم اذا أذنب ذنبا أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع أنفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في تيهان التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية * وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين أحدهما أنصاري والآخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف أخاه الانصاري على أهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما أرادت المرأة ان تأخذه منه دخل على أثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فأتى به الى أبي بكر رضي الله عنه رجاء أن يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر رضي الله عنه ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي مالا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فأنزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما أذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا * وقوله عز وجل ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ ظلم النفس هو

لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه (والله يحب المحسنين) اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون أو للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء عن الثوري الاحسان أن تحسن الى المسيء فان الاحسان الى المحسن متاجرة (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة متزايدة القبح ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (أو ظلموا أنفسهم) قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة

(والله يحب المحسنين) الى المملوكين والاحرار ثم نزل في رجل من الانصار لاجل نظرة ولمسة وقبلة أصابها من امرأة الرجل الثقفي فقال (والذين اذا فعلوا فاحشة) معصية (أو ظلموا أنفسهم) بالنظرة

(فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الآية (ومن يغفر الذنوب الا الله) من مبتدأ ويغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل من الضمير فى يغفر والتقدير ولا أحد يغفر الذنوب الا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب واشعار بان الذنوب وان جلت فان عفوه أجل وكرمه أعظم (ولم يصروا على مافعلوا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الاقامة قال عليه السلام ماأصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار (وهم يعلمون) حال من الضمير فى ولم يصروا أى وهم يعلمون انهم أساؤا أو وهم يعلمون انه لايغفر

كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة مايتعدى وظلم النفس ماليس كذلك ﴿ ذكروا الله ﴾ تذكروا وعيده أو حكمه أو حقه العظيم ﴿ فاستغفروا لذنوبهم ﴾ بالندم والتوبة ﴿ ومن يغفر الذنوب الا الله ﴾ استفهام بمعنى النفى معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه سبحانه وتعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ﴿ ولم يصروا على مافعلوا ﴾ ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ماأصر من استغفر وأن عاد فى اليوم سبعين مرة ﴿ وهم يعلمون ﴾ حال من يصروا أى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به

مادون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هى الصغيرة وقيل الفاحشة مايكون فعله كاملا فى القبح وظلم النفس هو أى ذنب كان ﴿ ذكروا الله ﴾ يعنى ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب ❁ وهو قوله عز وجل ﴿ فاستغفروا لذنوبهم ﴾ يعنى لاجل ذنوبهم فتابوا منها وأقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على أن لايعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة ﴿ ومن يغفر الذنوب الا الله ﴾ وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لاذنب له وانه لامفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على أن العبد لايطلب المغفرة الا منه وأنه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لايجوز طلب المغفرة الا منه ﴿ ولم يصروا على مافعلوا ﴾ يعنى ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وأنابوا واستغفروا وقيل الاصرار هو ترك الاستغفار ❁ عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماأصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة أخرجه أبو داود وقال حديث حسن غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل ﴿ وهم يعلمون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما وهم يعلمون انها معصية وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب وقيل وهم يعلمون ان الله لايتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون أنهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البنانى بلغنى أن ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها

﴿ فصل فى فضل الاستغفار ﴾

عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه قال أنى كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعنى الله منه ماشاء ان ينفعنى واذا حدثنى أحد من الصحابة استحلفته فاذا حلف لى صدقته وانه حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد مؤمن أو قال مامن رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم صلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

واللمسة والقبلة (ذكروا الله) خافوا الله (فاستغفروا لذنوبهم) تابوا من ذنوبهم (ومن يغفر الذنوب) ذنوب التائب (الا الله ولم يصروا على مافعلوا) من المعصية (وهم يعلمون) انها معصية

﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها﴾ خبر الذين أن ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها أن عطفت على المتقين أو على الذين ينفقون ولا يلزم من أعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من

ذكروا الله الى آخر الآية أخرجه أبو داود والترمذى وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسماء الا هذا الحديث ❁ عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب أخرجه أبو داود (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (ق) عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى قال اذا أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لى ذنبى قال تبارك وتعالى اذنب عبدى ذنبا علم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى ان عبدى أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ❊ وفى رواية اعمل ماشئت قد غفرت لك قال عبد الاعلى لا أدرى أقال فى الثالثة أو الرابعة أعمل ماشئت ❁ عن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ❊ عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها أى ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروى بكسرها والضم أشهر وهو ما يقارب ملأها ❁ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وقال حديث حسن صحيح على شرط البخارى ومسلم ❁ عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره أو قال عسى ان يغفره الله الا من مات مشركا ومن قتل مؤمنا متعمدا أخرجه أبو داود انتهى ❁ قوله عز وجل ﴿أولئك﴾ اشارة الى من تقدم ذكره فى قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية ﴿جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار﴾ معنى الآية أن المطلوب بالتوبة أمران أحدهما الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثانى ايصال الثواب واليه الاشارة بقوله وجنات تجرى من تحتها الانهار أى ذلك ذخر لا يبخس وأجر لا يوكس ﴿خالدين فيها﴾ أى فى الجنات

ذنوبهم الا الله (أولئك) الموصوفون (جزاؤهم مغفرة من ربهم) بتوبته (وجنات) برحمته (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها

الله (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) لذنوبهم (وجنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) دائمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها

ونعم أجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف أي ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات نزلت في تمار قال لامرأة تريد التمر في بيتي تمر أجود فأدخلها بيته وضمها الى نفسه وقبلها فندم أو في أنصاري استخلفه ثقفي

وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبة غزوة فأتى أهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فساح في الارض صارخا فاستعتبه الله تعالى (قد خلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ماسنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائعه (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعتبروا بها (هذا) أي القرآن أو ماتقدم ذكره (بيان للناس وهدى) أي ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين) عن الشرك

أعداد النار للكافرين جزاء لهم أن لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على أن مالهم أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين أنه فصل آيتهم بأن بين أنهم محسنون مستوجبون لمحبة الله سبحانه وتعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ﴿ ونعم أجر العاملين ﴾ لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض مافوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات ﴿ قد خلت من قبلكم سنن ﴾ وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل أمم قال

ماعاين الناس من فضل كفضلكم * ولا رأوا مثله في سالف السنن

﴿ فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ اشارة الى قوله قد خلت أو مفهوم قوله فانظروا أي أنه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين أو الى ما لخص من أمر المتقين والتائبين وقوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان

﴿ ونعم أجر العاملين ﴾ أي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة * قوله عز وجل ﴿ قد خلت من قبلكم سنن ﴾ يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستئصال لانهم خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم أحد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل أمة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن أي شرائع وقيل سنن أي أمم والسنة الامة ومعنى الآية قدمضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لاهلاكهم ﴿ فسيروا في الارض ﴾ أمر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف أحوال الماضين بقوله ﴿ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ فرغب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه أيضا زجر للكافر عن كفره لانه اذا تأمل أحوال الكفار وأهلاكهم صار ذلك داعياله الى الايمان لان النظر الى آثار المتقدمين له أثر في النفس كما قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وفي هذه الآية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة أحد يقول فأني انما أمهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لهم في أهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم وأوليائه وهلاك أعدائه * قوله عز وجل ﴿ هذا ﴾ يعني القرآن وقيل هو اسم اشارة الى ماتقدم من أمره ونهيه ووعده ووعيده ﴿ بيان للناس ﴾ يعني عامة ﴿ وهدى ﴾ يعني من الضلالة ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ يعني خاصة وقيل

(ونعم أجر العاملين) ثواب التائبين الجنة وماذكر (قد خلت) قد مضت في الامم الذين مضوا (من قبلكم سنن) بالثواب والمغفرة لمن تاب والعذاب والهلاك لمن لم يتب (فسيروا في الارض فانظروا) وتفكروا (كيف كان عاقبة) كيف صار آخر أمر (المكذبين) بالرسل الذين لم يتوبوا من تكذيبهم (هذا بيان للناس) هذا القرآن بيان بالحلال والحرام للناس (وهدى) من الضلالة (وموعظة) عظة ونهي (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش * ثم عزاهم فيما أصابهم يوم أحد فقال (في)

(ولاتهنوا) ولاتضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة (ولاتحزنوا) على مافاتكم من الغنيمة أو على من قتل منكم أو جرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم (وأنتم الاعلون) وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الاعلون بالنصر والظفر فى العاقبة وهى بشارة لهم بالعلو والغلبة وان جندنا لهم الغالبون أو وأنتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر أو لان قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار (أن كنتم مؤمنين) متعلق بالنهى أى ولاتهنوا أن صح ايمانكم يعنى أن صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة باعدائه أو بالاعلون أى ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به من الغلبة (أن يمسسكم قرح) بضم القاف حيث كان كوفى غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم ألمها

والتوبة وقيل الى القرآن ﴿ ولاتهنوا ولاتحزنوا ﴾ تسلية لهم عما أصابهم يوم أحد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ولاتحزنوا على من قتل منكم ﴿ وأنتم الاعلون ﴾ وحالكم أنكم أعلى منهم شأنا فأنكم على الحق وقتالكم لله سبحانه وتعالى وقتلاكم فى الجنة وأنهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم فى النار أو لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم أو وأنتم الاعلون فى العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ متعلق بالنهى أى لاتهنوا أن صح ايمانكم فأنه يقتضى قوة القلب بالوثوق على الله سبحانه وتعالى أو بالاعلون ﴿ أن يمسسكم قرح

فى الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضى المغايرة البيان هو الدلالة التى تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغى والموعظة هى الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى فى طريق الدين فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان أحدهما الكلام الهادى الى ما ينبغى فى الدين وهو الهدى والثانى الكلام الزاجر عما لا ينبغى فى الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون بهما دون غيرهم * قوله عز وجل ﴿ ولاتهنوا ولاتحزنوا ﴾ نزلت يوم أحد حين أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم أحد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولاتهنوا أى ولاتضعفوا عن الجهاد ولاتحزنوا يعنى على من قتل منكم لانهم فى الجنة ﴿ وأنتم الاعلون ﴾ يعنى بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب فاقبل خالد بن الوليد فى خيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لايعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الاعلون وقيل وأنتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار وأنتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وأنتم الاعلون فى العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم ﴿ أن كنتم مؤمنين ﴾ أى اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه أن كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فأنه حق وصدق * قوله عز وجل ﴿ أن يمسسكم قرح ﴾ قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم ألم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الحزن والكآبة يقول أن يمسسكم أيها المسلمون قرح

(ولاتهنوا)لاتضعفوا مع عدوكم (ولاتحزنوا)على مافاتكم من الغنائم يوم أحد يثبكم فى الآخرة ولا على ما اصابكم من القتلى والجراحه (قا وغا ٧٥ ل) (وأنتم الاعلون) آخر الامر لكم بالنصرة والدولة (أن كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) أن النصرة والدولة من الله (أن يمسسكم قرح) ان أصابكم جرح يوم

فقد مس القوم قرح مثله﴾ قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى أن أصابوا منكم يوم أحد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فأنتم أولى بأن لاتضعفوا فأنكم ترجون من الله مالا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم أحد فأن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وتلك الايام نداولها بين الناس﴾ نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقوله

يوم أحد ﴿فقد مس القوم﴾ يعني الكفار ﴿قرح مثله﴾ يعني في يوم بدر وقيل أن الكفار قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم ﴿وتلك الايام نداولها بين الناس﴾ المداولة نقل الشئ من واحد الى آخر يقال تداولته الايدى اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول أى تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى أن أيام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا وأسروا سبعين وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرجوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين (خ) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبدالله بن جبير فقال أن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزمهم الله قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبدالله بن جبير الغنيمة أى قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبدالله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبين من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في أخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذى عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال أنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز «أعل هبل أعل هبل» فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا «الله أعلى وأجل» قال أبو سفيان

أن لنا عزى ولا عزى لكم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا

الله مولانا ولا مولى لكم

(فقد مس القوم قرح مثله) أى ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم الى القتال فأنتم أولى ان لاتضعفوا (وتلك) مبتدأ (الايام) صفة والخبر (نداولها) نصرفها (بين الناس) أى نصرف ما فيها من النعم والنقم نعطى لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب* فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر*

أحد (فقد مس القوم) فقد أصاب أهل مكة يوم بدر (قرح) جرح (مثله) مثل ما أصابكم يوم أحد (وتلك الايام) أيام الدنيا (نداولها بين الناس) بالدولة نديل المؤمنين على الكافرين والكافرين على

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر
والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها أوقات النصر والغلبة ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ﴾ عطف على علة محذوفة أى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بأن العلة فيه غير واحدة وأن مايصيب المؤمن فيه من المصالح مالايعلم أو الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد فى أمثاله ونقائضه ليس الى أثبات علمه تعالى ونفيه بل الى أثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشئ موجودا ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء أحد أو يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد ﴿ والله لايحب الظالمين ﴾ الذين

قال البغوى وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما وفى حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لاسواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وأن جندنا لهم الغالبون فكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ قوله عز وجل ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ﴾ يعنى انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا أصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أى ليعرفهم بأعيانهم الأ أن سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده ولايحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ماعلمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل معناه ليعلم أولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لايحصل الا بعد العلم ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ يعنى وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن أراد أن يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة ❊ والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار فى المعركة واختلفوا فى معنى الشهيد فقيل الشهيد الحى لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فأرواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وأرواح غيرهم لاتشهدها وقيل سمى شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية ﴿ والله لايحب الظالمين ﴾ يعنى المشركين وقيل هم الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصى وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بألسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لايحب من لايكون ثابتا على الايمان

(وليعلم الله الذين آمنوا) أى نداولها لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس (والله لايحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لايحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين فى سبيله وهم المنافقون

المؤمنين (وليعلم الله) لكى يرى الله (الذين آمنوا) فى زمن الجهاد (ويتخذ منكم شهداء) يكرم من يشاء منكم بالشهادة (والله لايحب الظالمين) المشركين ودينهم

والكافرون (وليمحص الله الذين آمنوا) التمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فالتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أي لاتحسبوا (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أي ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه تقول ماعلم الله في فلان خيرا أي مافيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع نحو لاتأكل السمك وتشرب اللبن أو جزم للعطف على يعلم الله وانما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ماقبلها (ولقد كنتم تمنون الموت

ودولتهم (وليمحص الله) لكي يغفر الله (الذين آمنوا) بما يصيبهم في الجهاد (ويمحق الكافرين) يهلك الكافرين في الحرب (أم حسبتم) أظننتم يامعشر المؤمنين (أن تدخلوا الجنة) بلاقتال (ولما يعلم الله) لم ير الله (الذين جاهدوا منكم) يوم أحد في سبيل الله (ويعلم الصابرين) ولم ير الصابرين على قتال عدوهم مع نبيهم يوم أحد (ولقد كنتم تمنون الموت) في الحرب (من)

يضمرون خلاف مايظهرون أو الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على أنه تعالى لاينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم أحيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب أن كانت الدولة عليهم ﴿ويمحق الكافرين﴾ ويهلكهم أن كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ بل أحسبتم ومعناه الانكار ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ ولما تجاهدوا وفيه دليل على أن الجهاد فرض كفاية * والفرق بين لما ولم أن فيه توقع الفعل فيما يستقبل * وقرئ يعلم بفتح الميم على أن اصله يعلمن فحذفت النون ﴿ويعلم الصابرين﴾ نصب باضمار أن على أن الواو للجمع * وقرئ بالرفع على أن الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ أي الحرب فانها من أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا مانال شهداء بدر من الكرامة فألحوا

صابرا على الجهاد ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ﴾ أي وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم وأصل المحص في اللغة التنقية والازالة ﴿ويمحق الكافرين﴾ أي يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم أنتم فهو محقهم واستئصالهم * قوله عزوجل ﴿ أم حسبتم ﴾ أي بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لاتحسبوا أيها المؤمنون ﴿ أن تدخلوا الجنة ﴾ وتنالوا كرامتي وثوابي ﴿ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ قال الامام فخر الدين الرازي ظاهر الآية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره أن العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدي النفي في الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز في انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذي أوجب عليكم فجرى النفي على العلم للايجاز على سبيل التوسع في الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين أي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبري يقول ولما يتبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم على ماأمرته به ﴿ ويعلم الصابرين ﴾ يعني في الحرب وعلى مانالهم في ذات الله عزوجل من جراح وألم ومكروه وفي هذه الآية معاتبة لمن انهزم يوم أحد والمعنى أم حسبتم أيها المنهزمون أن تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عزوجل وصبروا على ألم الجراح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم * قوله عزوجل ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت ﴾

من قبل أن تلقوه) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا و كانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى المشركين وكان رأيه فى الاقامة بالمدينة يعنى وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل أخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وانما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما يتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصرانى فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته لما رمى ابن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وخرج صارخ قيل هو الشيطان ألا أن محمدا قد قتل ففشا فى الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هزبهم فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل (وما محمد الا رسول قد خلت) مضت (من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما أن اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تمسكوا بدينه بعد خلوه لان المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه

يوم أحد على الخروج ﴿ من قبل أن تلقوه ﴾ من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته ﴿ فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ أى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من أخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها أو على تمنى الشهادة فأن فى تمنيها تمنى غلبة الكفار ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ فسيخلوا كما خلو بالموت أو القتل

من قبل أن تلقوه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون بأخوانهم فأراهم الله يوم أحد فلم يلبثوا أن انهزموا الا من شاء الله منهم فأنزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد ومعنى قوله تمنون الموت أى تطلبون أسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل أن تلقوه أى من قبل أن تلقوا يوم أحد ﴿ فقد رأيتموه ﴾ يعنى رأيتم ما كنتم تتمنون والهاء فى رأيتموه عائدة على الموت أى رأيتم أسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من أخوانكم بين أيديكم ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس فى عينك علة أى رأيته رؤية حقيقية وقيل معناه وأنتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم * قوله عز وجل ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ قال أهل المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد فى سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا أو علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى أرسل اليكم فأنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة ابن أبى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وكان النبى

(من قبل أن تلقوه) يوم أحد (فقد رأيتموه) القتال والحرب يوم أحد (وأنتم تنظرون) الى سيوف الكفار فانهزمتم منهم ولم تثبتوا مع نبيكم * ثم نزل فى مقالتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا يانبى الله أنك قد قتلت فلذلك انهزمنا فقال الله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله) قد مضت من قبل محمد (الرسل

صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فى مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها لمشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا فى هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله وحمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه فاثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال أنى قد قتلت محمدا وصاح صارخ ألا أن محمدا قد قتل ويقال أن الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الىّ عباد الله الىّ عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبى وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك أبى وأمى وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابى طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة ابن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت أحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبى بن خلف الجمحى وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يارسول الله ألا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان أبى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندى رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فيقول النبى صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك أن شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله وطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلنى محمد فاحتمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة

(بربيعة)

بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لى أنا أقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبى فى سبيل الله اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه نبى الله قالوا وفشا فى الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى فيأخذ لنا أمانا من أبى سفيان وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم وقال أناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما ياقوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك رضى الله عنه قال قد عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن اسكت فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم النبى صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو أنبيائهم فعليكم أنتم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعث الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهرانى قومه * ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذى كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل فى نفسه صلى الله عليه وسلم فأكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا وأحمد وفى ذلك يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

ألم تر أن الله أرسل عبده * ببرهانه والله أعلى وأمجد
أغر عليه بالنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا احمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وسماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة * قوله المقفى هو آخر الانبياء الذى لا نبى بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة

(أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) وانما ضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا (وما كان) وما جاز (لنفس أن تموت الا بأذن الله) أي بعلمه أو بأن يأذن ملك الموت في قبض روحه والمعنى أن موت الانفس محال أن يكون الا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو وأعلام بان الحذر لاينفع وأن أحدا لايموت قبل بلوغ أجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك

أفإن مات) محمد (أو قتل) في سبيل الله (انقلبتم على أعقابكم) أترجعون أنتم الى دينكم الاول (ومن ينقلب على عقبيه) يرجع الى دينه الاول (فلن يضر الله) فلن ينقص الله رجوعه (شيأ وسيجزي الله الشاكرين) المؤمنين بايمانهم وجهادهم (وما كان لنفس أن تموت) يقول لاتموت نفس (الا بأذن الله) بأرادة الله وقضائه (والمراد)

﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ انكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته روى أنه لما رمى عبدالله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل النبي عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا أن محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا امانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك ياقوم أن كان قتل محمد فأن رب محمد حي لايموت وماتصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ماقاتل عليه ثم قال اللهم أني اعتذر اليك ممايقولون وابرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ﴾ بارتداده بل يضر نفسه ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه ﴿وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله﴾ الا بمشيئته تعالى أو بأذنه لملك الموت عليه السلام في قبض روحه والمعنى أن لكل نفس أجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول

والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وأنك لمن المرسلين ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ يعني أتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام أن الله تعالى بين أن موت محمد صلى الله عليه وسلم أو قتله لايوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان أتباعهم ثبتوا على دين أنبيائهم بعد موتهم ﴿ومن ينقلب على عقبيه﴾ يعني فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر ﴿فلن يضر الله شيأ﴾ يعني بارتداده لان الله تعالى لايضره كفر الكافرين لانه تعالى غني عن العالمين وانما يضر المرتد والكافر نفسه ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لمافعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم أبابكر وأصحابه وكان علي يقول أبو بكر رضي الله عنه أمين الشاكرين وأمين أحبار الله وكان أشكرهم وأحبهم الى الله تعالى * قوله عزوجل ﴿وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله﴾ أي بأمر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك أن الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا بأذن الله تعالى وأمره

صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل ﴿كتابا﴾ مصدر مؤكد اذالمعنى كتب الموت كتابا ﴿مؤجلا﴾ صفةله أى موقتا لايتقدم ولايتأخر ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد فأن المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ أى من ثوابها ﴿وسنجزى الشاكرين﴾ الذين شكروا نعمة الله سبحانه وتعالى فلم يشغلهم شئ عن الجهاد ﴿وكأين﴾ أصله أى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت فى الخط على غير قياس* وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيئن ثم حذف الياء الثانية

والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بأعلامهم بان الجبن لاينفع وان الحذر لايدفع المقدور وان أحدا لايموت قبل أجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة فى الخوف والجبن وفى الآية أيضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام أصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شئ ﴿كتابا مؤجلا﴾ يعنى موقتا له أجل معلوم لايتقدم ولايتأخر والمعنى أن الله تعالى كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره أوتقديمه أوتأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ يعنى من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها مايكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها مانشاء على ماقدرناه له نزلت فى الذين تركوا المركز يوم أحد وطلبوا الغنيمة ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ يعنى من يرد بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت فى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد واعلم أن هذه الآية وان نزلت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الاعمال وذلك لان الاصل فى ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من أراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه أيضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفى رواية بالنية وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفى رواية ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه *وروى البغوى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله له *قوله عز وجل ﴿وسنجزى الشاكرين﴾ يعنى المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شئ عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى والدار الآخرة * قوله عز وجل ﴿وكأين

(كتابا) مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لايتقدم ولا يتأخر (ومن يرد) بقتاله (ثواب الدنيا) أى الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) من ثوابها (ومن يرد ثواب الآخرة) أى أعلاء كلمة الله والدرجة فى الآخرة (نؤته منها وسنجزى الشاكرين) وسنجزى الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد (وكأين) أصله أى دخل عليه كاف التشبيه وصار فى معنى كم التى للتكثير وكائن بوزن كاعن حيث كان مكى

(كتابا مؤجلا) مؤقتا كتابة أجله ورزقه سواء لايسبق أحدهما صاحبه (ومن يرد) بعمله وجهاده (ثواب الدنيا) منفعة الدنيا (نؤته منها) نعطه من الدنيا مايريد وماله فى الآخرة من نصيب (ومن يرد) بعمله وجهاده (ثواب الآخرة) منفعة الآخرة (نؤته منها) نعطه من الآخرة مايريد (وسنجزى الشاكرين) المؤمنين بايمانهم وجهادهم (وكأين

للتخفيف ثم أبدلت الياء الاخرى ألفا كما أبدلت من طائى ﴿من نبي﴾ بيان له ﴿قاتل معه ربيون كثير﴾ ربانيون علماء اتقياء أو عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة * وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول أنه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله﴾ فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم ﴿وما ضعفوا﴾ عن العدو أو في الدين ﴿وما استكانوا﴾ وما خضعوا للعدو وأصله أستكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من أشباع الفتحة أو استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام

من نبي﴾ أي وكم من نبي ﴿قتل معه﴾ وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله أوجه * أحدها أن يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا مثلهم * الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من أخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا كذلك * الوجه الثالث أن يكون القتل نال الربيين لا النبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما أصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي أصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد وحجة هذه القراءة ما روى عن سعيد بن جبير أنه قال ما سمعنا أن نبيا قتل في القتال * قوله عز وجل ﴿ربيون كثير﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل ألف وقيل ربيون يعنى فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع ﴿فما وهنوا﴾ أى فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله ﴿لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا﴾ يعنى عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من ألم الجراح وقتل الاصحاب ﴿وما استكانوا﴾ يعنى وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما أصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبدالله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء وأتباعهم لتقتدى هذه الامة بهم

(من نبي قاتل) قتل مكي وبصري ونافع (معه ربيون) حال من الضمير في قتل أي قتل كائنا معه ربيون (كثير) والربيون الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها فالفتح على القياس لانه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب (فما وهنوا) فما فتروا عند قتل نبيهم (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) وما خضعوا لعدوهم وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الارجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي في طلب الامان من أبي سفيان

من نبي) وكم من نبي (قاتل معه ربيون كثير) جموعا كثيرة من الكفار (فما وهنوا) ما ضعف المؤمنون (لما أصابهم في سبيل الله) من القتل والجراحة ويقال وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول كم من نبي قتل وكان معه جموع كثيرة من المؤمنين فما وهنوا فما ضعف المؤمنون لما أصابهم في سبيل الله من قتل نبيهم في طاعة الله (وما ضعفوا) عجزوا عن قتال عدوهم (وما استكانوا) ما ذلوا لعدوهم ويقال ما تضعضعوا

(والله يحب الصابرين) على جهاد الكافرين (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفرلنا ذنوبنا) أى وما كان قولهم الاهذا القول وهواضافة الذنوب الى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضمالها (وأسرافنافى أمرنا) تجاوزنا حدالعبودية (وثبت أقدامنا) فى القتال (وانصرنا على القوم الكافرين) بالغلبة وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الاقدام فى مواطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه أقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) أى النصرة والظفر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتدبه عنده (والله يحب المحسنين) أى هم محسنون والله يحبهم (ياأيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا

﴿والله يحب الصابرين﴾ فينصرهم ويعظم قدرهم ﴿وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفرلنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ أى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم ربانيين الاهذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى أنفسهم هضمالها واضافة لما أصابهم الى سوء أعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون أقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان أن قالوا أعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾ فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله سبحانه وتعالى النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وأنه المعتدبه عند الله ﴿ياأيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا

وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهاد ﴿والله يحب الصابرين﴾ يعنى فى الجهاد والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد فى طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع أوليائه وأصفيائه * ثم قال تعالى ﴿وما كان قولهم﴾ يعنى قول الربيين ﴿الا أن قالوا ربنا اغفرلنا ذنوبنا﴾ فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر ﴿واسرافنا فى أمرنا﴾ يعنى ما أسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط فى الشئ ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفرلنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر ﴿وثبت أقدامنا﴾ لكى لاتزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ لان النصر على الاعداء لايكون الامن عند الله بين الله تعالى أنهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه أن يقتدى بهم فى هذه الطريقة الحسنة أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل مافعلوا وقلتم مثل ما قالوا ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ يعنى النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ يعنى الجنة ومافيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على أجلاله وعظمته لانه غيرزائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع مايشوبه من التنغيص ﴿والله يحب المحسنين﴾ يعنى الذين يفعلون مثل مافعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهى أنهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين * قوله عزوجل ﴿ياأيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا﴾ يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك فى قولهم للمؤمنين عند

وماخضوا العدوهم (والله يحب الصابرين) على قتال عدوهم مع نبيهم (وما كان قولهم) قول المؤمنين بعد ماقتل نبيهم (الا أن قالوا ربنا) ياربنا (اغفرلنا ذنوبنا) دون الكبائر (واسرافنا فى أمرنا) بالعظائم من ذنوبنا يعنى الكبائر (وثبت أقدامنا) فى الحرب (وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله) أعطاهم الله (ثواب الدنيا) بالفتح والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) فى الجنة (والله يحب المحسنين) المؤمنين فى الجهاد (ياأيها الذين آمنوا) يعنى حذيفة وعمارا (أن تطيعوا الذين كفروا) يعنى كعبا وأصحابه

يردوكم على أعقابكم) يرجعوكم الى الشرك (فتنقلبوا خاسرين) قيل هوعام فى جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولايطيعوهم فى شئ حتى لايستجروهم الى موافقتهم وعن السدى ان تستكينوا لابى سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقال على رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى أخوانكم وادخلوا فى دينهم (بل الله مولاكم) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره (وهو خير الناصرين سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) الرعب شامى وعلى وهما لغتان قيل قذف الله فى قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة (بما أشركوا بالله) بسبب اشراكهم أى كان السبب فى ألقاء الله الرعب فى قلوبهم اشراكهم به (مالم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة ولم يرد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لايستقيم أن تقوم عليه حجة وانما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولاترى الضب بها ينجحر *

(يردوكم على أعقابكم) يرجعوكم الى دينكم الاول الكفر (فتنقلبوا) فترجعوا (خاسرين) مغبونين بذهاب الدنيا والآخرة والعقوبة من الله (بل الله مولاكم) حافظكم ولاكم على ذلك وينصركم عليهم (وهو خير الناصرين) أقوى الناصرين بالنصرة * ثم ذكر هزيمة الكفار يوم أحد فقال (سنلقى) سنقذف (فى قلوب الذين كفروا) كفار مكة (الرعب) المخافة منكم حتى انهزموا (بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) كتابا (وبرهانا)

يردوكم ﴿ أى الى الكفر ﴿ على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم وأخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل أن تستكينوا لابى سفيان وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فأنه يستجر الى موافقتهم ﴿ بل الله مولاكم ﴾ ناصركم * وقرئ بالنصب على تقدير بل أطيعوا الله مولاكم ﴿ وهو خير الناصرين ﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره ﴿ سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ يريد ماقذف فى قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى أبوسفيان يامحمد موعدنا موسم بدر لقابل أن شئت فقال عليه الصلاة والسلام أن شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب فى قلوبهم * وقرأ ابن عامر والكسائى ويعقوب بالضم على الاصل فى كل القرآن ﴿ بما أشركوا بالله ﴾ بسبب أشراكهم به ﴿ مالم ينزل به سلطانا ﴾ أى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل

الهزيمة يوم أحد ارجعوا الى أخوانكم وادخلوا فى دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد ﴿ يردوكم على أعقابكم ﴾ يعنى يرجعوكم الى أمركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم فى الدعوة الى الكفر كفر ﴿ فتنقلبوا خاسرين ﴾ يعنى مغبونين فى الدنيا والآخرة أما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار ﴿ بل الله مولاكم ﴾ أى وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به ﴿ وهو خير الناصرين ﴾ يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى أنكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين * قوله عز وجل ﴿ سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ وذلك ان أبا سفيان ومن معه ارتحلوا يوم أحد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ماصنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بألقاء الرعب فى قلوب الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله ﴿ بما أشركوا بالله ﴾ يعنى انما كان ألقاء الرعب فى قلوبهم بسبب أشراكهم بالله ﴿ مالم ينزل به سلطانا ﴾ يعنى حجة

عليهم به سلطان وهو كقوله

«لايفزع الارنب أهوالها» ‌‌• ولاترى الضب بها ينجحر

وأصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ﴿ ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴾ أي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ أي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فأن المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم ﴿ أذ تحسونهم بأذنه ﴾ تقتلونهم من حسه اذا أبطل حسه ﴿ حتى أذا فشلتم ﴾ جبنتم وضعف رأيكم أوملتم الى الغنيمة فأن الحرص من ضعف العقل ﴿ وتنازعتم فى الامر ﴾ يعنى اختلاف الرماة حين أنهزم المشركون فقال بعضهم فاموقفنا ههنا وقال آخرون لانخالف أمر الرسول فثبت مكانه أميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله ﴿ وعصيتم

وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو مايستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل ﴿ ومأواهم النار ﴾ لما بين الله تعالى حال الكفار فى الدنيا وهو ألقاء الرعب والخوف فى قلوبهم بين حالهم فى الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار أى مسكنهم ﴿ وبئس مثوى الظالمين ﴾ أى المسكن الذى يستقرون به ويقيمون فيه وكلة بئس تستعمل فى جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتساب ماأوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها ❊ قوله عز وجل ﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ قال محمد بن كعب القرظى لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أحد الى المدينة وقد أصابهم ماأصابهم قال ناس من الصحابة من أين أصبنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعنى بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين فى الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر بأحد فنصرهم فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا ﴿ أذ تحسونهم ﴾ يعنى اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل ﴿ بأذنه ﴾ يعنى بعلم الله وأمره وقيل بقضاء الله وقدره ﴿ حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم ﴾ قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم فى الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم أن الرماة الذين كانوا مع عبدالله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض أى قوم مانصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لاتجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبدالله بن جبير أمير القوم فى نفر يسير دون العشرة

أى ليس بها ضب فينجحر ولم يعن ان بها ضبا ولا ينجحر (ومأواهم) مرجعهم (النار وبئس مثوى الظالمين) النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الى المدينة قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) أى حقق (أذ تحسونهم) تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه أبطل حسه بالقتل (بأذنه) بأمره وعلمه (حتى أذا فشلتم) جبنتم (وتنازعتم فى الامر) أى اختلفتم (وعصيتم) أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة

ولارسولا (ومأواهم) منزلهم (النار وبئس مثوى الظالمين) منزل الكافرين النار ثم ذكر وعده المؤمنين يوم أحد فقال (ولقد صدقكم الله وعده) يوم أحد (اذ تحسونهم) تقتلونهم فى أول الحرب (بأذنه) بأمره ونصرته (حتى أذا فشلتم) جبنتم عن قتال العدو (وتنازعتم فى الامر) اختلفتم فى أمر الحرب (وعصيتم) الرسول

(من بعد ما أراكم ما تحبون) من الظفر وقهر الكفار ومتعلق اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجاز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم (منكم من يريد الدنيا) أى الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع أخوانكم وقال بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبدالله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله (ومنكم من يريد الآخرة) فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبدالله ابن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم) أى كف معونته عنكم فغلبوكم (ليبتليكم) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لانه يجازى على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه (ولقد عفا عنكم) حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) بالعفو عنهم وقبول توبتهم أو هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة

من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ وهم التاركون المركز للغنيمة ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول عليه السلام ﴿ثم صرفكم عنهم﴾ ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ﴿ليبتليكم﴾ على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ﴿ولقد عفا عنكم﴾ تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ يتفضل عليهم

ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبدالله بن جبير فقتلوا عبدالله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعنى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ يعنى الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ يعنى الذين ثبتوا مع أميرهم عبدالله بن جبير حتى قتلوا قال عبدالله بن مسعود ما شعرت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد نزلت هذه الآية ﴿ثم صرفكم عنهم﴾ يعنى يا معشر المسلمين يعنى عن المشركين بالهزيمة ﴿ليبتليكم﴾ يعنى ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو أعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة ﴿ولقد عفا عنكم﴾ يعنى ولقد عفا الله عنكم أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم أيها المخالفون ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفى الآية دليل على ان

﴿صاحب﴾

بترك المركز (من بعد ما أراكم ما تحبون) النصرة والغنيمة (منكم) من الرماة (من يريد الدنيا) بجهاده ووقوفه وهم الذين تركوا المركز لقبل الغنيمة (ومنكم) من الرماة (من يريد الآخرة) بجهاده ووقوفه وهو عبدالله ابن جبير وأصحابه الذين ثبتوا مكانهم حتى قتلوا (ثم صرفكم عنهم) بالهزيمة وقلبهم عليكم (ليبتليكم) ليختبركم بمعصية الرماة (ولقد عفا عنكم) لم يستأصلكم (والله ذو فضل) ذو من (على المؤمنين) اذ لم يستأصلهم يعنى الرماة * ثم ذكر اعراضهم عن النبى صلى الله عليه وسلم مخافة عدوهم

بالعفو أو فى الاحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم اذ الابتلاء أيضا رحمة ﴿ أذ تصعدون ﴾ متعلق بصرفكم أو ليبتليكم أو بمقدر كاذكر والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال أصعدنا من مكة الى المدينة ﴿ ولا تلوون على أحد ﴾ ولا يقف أحد لاحد ولا ينتظره ﴿ والرسول يدعوكم ﴾ كان يقول الى عباد الله الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة ﴿ فى أخراكم ﴾ فى ساقتكم أو جماعتكم الاخرى ﴿ فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم ﴾ عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم

صاحب الكبيرة من مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك ❁ قوله عز وجل ﴿ أذ تصعدون ﴾ قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لابد وان يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعنى هاربين فى الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب فى الارض والابعاد فيها وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من أسفل الى أعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين فى معنى الآية قولان أحدهما انه صعودهم فى الجبل عند الهزيمة والثانى أنه الابعاد فى الارض فى حال الهزيمة ووقت الهرب ﴿ ولا تلوون على أحد ﴾ أى لا تعرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب ﴿ والرسول يدعوكم فى أخراكم ﴾ أى فى آخركم ومن ورائكم يقول الى عباد الله أنا رسول الله من كر أى رجع فله الجنة ﴿ فأثابكم غما بغم ﴾ يعنى فجزاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التى عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل فى الاغلب الا فى الخير وقد يجوز استعماله فى الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فأصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا أو شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه ۞ أداهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هى القيود الثقال والمحدرجة هى السياط والباء فى قوله غما بغم بمعنى مع أو بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا فى معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثانى هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثانى هو ما سمعوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو أنهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره فجزاهم الله

فى صعيد الارض أو الابعاد فيه بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو باضمار اذكروا (ولا تلوون على أحد) ولا تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم (والرسول يدعوكم) يقول الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة فى موضع الحال (فى أخراكم) فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهى المتأخرة يقال جئت فى آخر الناس وأخراهم كما تقول فى أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى (فأثابكم) عطف على صرفكم أى فجزاكم الله (غما) حين صرفكم غنم وابتلاكم (بغم) بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم أمره أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما

فقال (أذ تصعدون) أى تبعدون فى الارض ويقال تصعدون الجبل بعد الهزيمة (ولا تلوون على أحد) لا تلتفتون الى محمد ولا تقفون له (والرسول) محمد (يدعوكم فى أخراكم) من خلفكم يا معشر المؤمنين أنا رسول الله فقوا فلم تقفوا (فأثابكم غما بغم) زادكم الله غما على غم اشراف خالد بن الوليد بغم القتل والهزيمة

أرجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لكيلا تحزنوا على مافاتكم) لتمرنوا على تجرع الغموم فلاتحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع (ولا ماأصابكم) ولا على مصيب من المضار (والله خبير بما تعملون) عالم بعملكم لايخفى عليه شيء من أعمالكم وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب على المعصية (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) ثم أنزل الله الامن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن ونعاسا بدل من أمنة أو هو مفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا والاصل أنزل عليكم نعاسا ذا أمنة اذ النعاس ليس هو الامن ويجوز أن يكون أمنة مفعولا له أو حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على انه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) يعني النعاس تغشى بالتاء والامالة حمزة وعلى أي الامنة (طائفة منكم) هم أهل الصدق

(لكيلا تحزنوا على مافاتكم) من الغنيمة (ولا ماأصابكم) ولكي لاتحزنوا على ما أصابكم من القتل والجراحة (والله خبير بما تعملون) في الجهاد والهزيمة ثم ذكر منته عليهم فقال (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة) من العدو (نعاسا يغشى طائفة) أخذ طائفة (منكم) النعاس فنام من كان منكم أهل الصدق (نحو)

بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلاتحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على مافاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ماأصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فأثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم أي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على مافاتكم من النصر ولا على ما أصابكم من الهزيمة ﴿والله خبير بما تعملون﴾ عليم بأعمالكم وبما قصدتم بها ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا﴾ أنزل الله عليكم الامن حتى أخذكم النعاس وعن أبي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها أو هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة أو مفعول له أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة * وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن ﴿يغشى طائفة منكم﴾ أي الناس * وقرأ حمزة والكسائي

بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب أشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين أشرف أبو سفيان عليهم وذلك أن أبا سفيان وأصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك * قوله عز وجل ﴿لكيلا﴾ في لفظة لا قولان أحدهما أنها باقية على أصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا ﴿تحزنوا على مافاتكم ولا ماأصابكم﴾ لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فأثابكم غما أنساكم الحزن على مافاتكم ولا ماأصابكم وقد روي انهم لما سمعوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ماأصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على مافاتكم وأصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس رضي الله عنهما الذي فاتهم الغنيمة والذي أصابهم القتل والهزيمة ﴿والله خبير بما تعملون﴾ أي هو عالم بجميع أعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها * قوله عز وجل ﴿ثم أنزل عليكم﴾ يامعشر المسلمين ﴿من بعد الغم﴾ الذي أصابكم ﴿أمنة نعاسا﴾ يعني أمنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس أخف من النوم والمعنى أعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان أمنكم أمنا تنامون معه لان الخائف لايكاد ينام فأمنهم بعد خوفهم ﴿يغشى طائفة منكم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما أمنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لاينام (خ) عن أنس عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال كنت فيمن تغشاهم النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط فآخذه * وأخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد وذكره

بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا ﴿ وطائفة ﴾ هم المنافقون ﴿ قد أهمتهم أنفسهم ﴾ أو قعتهم أنفسهم فى الهموم أو مايهمهم الاهمّ أنفسهم وطلب خلاصها ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهليه ﴾ صفة أخرى لطائفة أوحال أواستئناف على وجه البيان لماقبله وغير الحق نصب على المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق أن يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها ﴿ يقولون ﴾ أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون ﴿ هل لنا من الامر من شئ ﴾ هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل أخبر ابن أبى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى أنا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها بأختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ أوهل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ ﴿ قل أن الامر كله لله ﴾ أى الغلبة الحقيقية لله تعالى وأوليائه فأن حزب الله هم الغالبون أو القضاء له يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو اعتراض * وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء ﴿ يخفون فى أنفسهم مالايبدون لك ﴾ حال من ضمير يقولون أى يقولون مظهرين

نحو رواية البخارى وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق * وفى رواية أخرى له قال رفعت رأسى يوم أحد فجعلت أراهم ومامنهم يومئذ أحد الايميد تحت جحفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أشتد علينا الخوف أرسل الله تعالى علينا النوم والله أنى لاسمع قول معتب بن قشير والناس يغشانى ماأسمعه الا كالحلم يقول لوكان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعنى المؤمنين ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ﴾ يعنى المنافقين أراد الله أن يميز المؤمنين من المنافقين فأوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا فى الخوف وفى ألقاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب أمن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يعنى حملتهم أنفسهم على الهم لان أسباب الخوف وهى قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم ﴿ يظنون بالله غير الحق ﴾ يعنى يظنون ان الله لاينصر محمدا وأصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان أمره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير ظن الحق الذى يجب أن يظن به ﴿ ظن الجاهلية ﴾ أى كظن أهل الجاهلية ﴿ يقولون ﴾ يعنى المنافقين ﴿ هل لنا ﴾ أى مالنا ﴿ من الامر من شئ ﴾ وذلك انه لما شاور النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين فى هذه الواقعة وأشار عليه ان لايخرج من المدينة فلما خالفه النبى صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن أبى قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر شئ وهو استفهام على سبيل الانكار أى مالنا أمر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعنى مالنا من هذا الذى يعدنا محمد به من النصر والظفر من شئ انما هو للمشركين ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المنافقين ﴿ أن الامر كله لله ﴾ يعنى النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب ﴿ يخفون فى أنفسهم مالايبدون لك ﴾

الدين ولاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم (يظنون بالله غير الحق) فى حكم المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به وهو ان لاينصر محمدا صلى الله عليه وسلم (ظن الجاهلية) بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية أوظن أهل الجاهلية أى لايظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الامر من شئ) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قل أن الامر) أى النصر والغلبة (كله لله) ولاوليائه المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للامر ولله خبر ان كله بصرى وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) خوفا

واليقين (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) قد أخذتهم همة أنفسهم معتب بن قشير المنافق وأصحابه لم يأخذهم النوم (يظنون بالله غير الحق) أن لاينصر الله رسوله وأصحابه (ظن الجاهلية) كظنهم فى الجاهلة (يقولون هل لنا من الامر) من النصرة والدولة (من شئ قل) يا محمد (أن الامر)

الدولة والنصرة (كله لله) بيد الله (يخفون (قا وخا ٧٧ ل) فى أنفسهم) يسرون فيما بينهم (مالايبدون لك) مالايظهرون

من السيف (يقولون) في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (لوكان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا) اى لوكان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر لطائفة أو صفة أخرى أو حال أى قد أهمتهم أنفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل أن الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون بدل من يخفون أو استئناف (قل لو كنتم في بيوتكم) أى من علم الله منه انه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) مصارعهم بأحد ليكون ماعلم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ماينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم (وليبتلى الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم) وليمتحن مافي صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص مافي قلوبهم من وساوس الشيطان

لك مخافة القتل (يقولون لوكان لنا من الامر) من الدولة والنصرة (شئ ماقتلنا ههنا قل) يامحمد للمنافقين (لوكنتم في بيوتكم) في المدينة (لبرز) لخرج (العدو) (الذين كتب) قضى (عليهم القتل الى مضاجعهم) الى مقتلهم ومصارعهم بأحد (وليبتلى الله) ليختبر الله (مافي صدوركم) عما في قلوب المنافقين (وليمحص) ليبين (مافي قلوبكم) من النفاق

أنهم مسترشدون طالبون النصرة مبطنين الانكار والتكذيب ﴿يقولون﴾ أى في أنفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون أو استئناف على وجه البيان له ﴿لوكان لنا من الامر شئ﴾ كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم اوزعم أن الامر كله لله ولاوليائه أو لوكان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن أبي وغيره ﴿ماقتلنا ههنا﴾ لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة ﴿قل لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم﴾ أى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منه أحد فأنه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لامعقب لحكمه ﴿وليبتلى الله مافي صدوركم﴾ وليمتحن الله مافي صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف أى وفعل ذلك ليبتلى أو عطف على محذوف أى لبرز لنفاذ القضاء أو لمصالح جة وللابتلاء أو على قوله لكيلا تحزنوا ﴿وليمحص مافي قلوبكم﴾ وليكشفه ويميزه أو يخلصه من الوساوس

يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذى أخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم ﴿يقولون لوكان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا﴾ وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض لوكان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال أهل مكة ولم تقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون لوكنا على الحق ماقتلنا ههنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لوكان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا قيل ان الذى قال هل لنا من الامر من شئ هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق والذى قال لوكان لنا من الامر شئ هو معتب بن قشير ﴿قل﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء المنافقين ﴿لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل﴾ أى قضى عليهم القتل وقدر عليهم ﴿الى مضاجعهم﴾ يعني الى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لاينفع مع القدر والتدبير لايقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لابد وأن يقتلوا والمعنى لوجلستم في بيوتكم لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقدره الى حيث يقتلون فيه ﴿وليبتلى الله مافي صدوركم﴾ أى وليختبر مافي صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ماعلمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم وقيل معناه ليبتلى أولياء الله مافي صدوركم فأضاف الابتلاء اليه تعظيما لشأن أوليائه المؤمنين ﴿وليمحص مافي قلوبكم﴾ قال قتادة أى يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القاء الامنة وصرف

فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها (أن الذين تولوا منكم) انهزموا (يوم التقى الجمعان) جمع محمد عليه السلام وجمع أبي سفيان للقتال بأحد (انما استزلهم الشيطان) دعاهم الى الزلة وحملهم عليها (ببعض ما كسبوا) بتركهم المركز الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد الا ثلاثة عشر رجلا منهم أبو بكر وعلي وطلحة وابن عوف وسعد ابن أبي وقاص والباقون من الانصار (ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (أن الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) كابن أبي

﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾ بخفياتها قبل أظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمنين وأظهار حال المنافقين ﴿ أن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما أستزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾ يعني أن الذين انهزموا يوم أحد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة أو الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل أخلاص التوبة والخروج من المظلمة ﴿ ولقد عفا الله عنهم ﴾ لتوبتهم واعتذارهم ﴿ أن الله غفور ﴾ للذنوب ﴿ حليم ﴾ لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ﴾ يعني المنافقين

العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة ﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾ يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات * قوله عز وجل ﴿ أن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ﴾ أي انهزموا وهربوا منكم يامعشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الاثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم ﴿ انما استزلهم الشيطان ﴾ أي طلب زلتهم كما يقال استعجله أي طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة في قلوبهم لأنه أمرهم بها ﴿ ببعض ما كسبوا ﴾ يعني بمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا أن يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها ﴿ ولقد عفا الله عنهم ﴾ يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم أحد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية ﴿ أن الله غفور ﴾ يعني لمن تاب وأناب ﴿ حليم ﴾ لا يعجل بالعقوبة ولا يستأصلهم بالقتل * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ﴾

(والله عليم بذات الصدور) بما في القلوب من الخير والشر يعني المنافقين ويقال الرماة ثم ذكر المنهزمين يوم أحد فقال (أن الذين تولوا منكم) بالهزيمة عثمان بن عفان وأصحابه (يوم التقى الجمعان) جمع محمد وجمع أبي سفيان (انما استزلهم الشيطان) زين لهم الشيطان ان محمدا قتل فانهزموا مسافة فراسخ وكانوا ستة نفر (ببعض ما كسبوا) بتركهم المركز (ولقد عفا الله عنهم) اذ لم يستأصلهم (أن الله غفور) لمن تاب منهم (حليم) اذ لم يعجل لهم العقوبة ثم قال لاصحاب محمد (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (لا تكونوا) في الحرب (كالذين كفروا) في السر يعني عبد الله بن أبي وأصحابه رجع هو وأصحابه في

وأصحابه (وقالوا الاخوانهم) أى فى حق اخوانهم فى النسب أو فى النفاق (أذا ضربوا فى الارض) سافروا فيها للتجارة أوغيرها (أوكانوا غزا) جمع غاز كعاف وعفى واصابهم موت أوقتل (لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) اللام يتعلق بلاتكونوا أى لاتكونوا كهؤلاء فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم أو بقالوا أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب (والله يحي ويميت) رد لقولهم ان القتال يقطع الآجال أى الامر بيده قد يحي المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم يعملون مكى وحمزة وعلى أى الذين كفروا (ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم) متم وبابه بالكسر نافع وكوفى غير عاصم تابعهم حفص الا فى هذه السورة كانه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول مت (لمغفرة من الله ورحمة

الطريق الى المدينة (وقالوا لاخوانهم) المنافقين (أذا ضربوا فى الارض) اذا خرجوا مع أصحاب محمد فى سفر (أو كانوا غزا) أوخرجوا فى غزاة مع نبيهم (لوكانوا عندنا) فى المدينة (ماماتوا) فى سفرهم (وماقتلوا) فى غزاتهم (ليجعل الله (يعنى) ذلك) يقول ليجعل الله ذلك الظن (حسرة) حزنا (فى قلوبهم والله يحي) فى السفر (ويميت) فى الحضر (والله تعملون) تقولون (بصير ولئن قتلتم فى سبيل الله) يامعشر المنافقين (أومتم) فى بيوتكم وكنتم مخلصين (لمغفرة من الله) لذنوبكم (ورحمة) من العذاب

﴿ وقالوا لاخوانهم ﴾ لاجلهم وفيهم ومعنى أخوتهم اتفاقهم فى النسب أوالمذهب ﴿ أذا ضربوا فى الارض ﴾ اذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية ﴿ أو كانوا غزا ﴾ جمع غاز كعاف وعفى ﴿ اوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ﴾ مفعول قالوا وهو يدل على أن أخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ﴿ ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم ﴾ متعلق بقالوا على أن اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا أولاتكونوا أى لاتكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى مادل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى مادل عليه النهى أى لاتكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فأن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم ﴿والله يحي ويميت﴾ رد لقولهم أى هو المؤثر فى الحياة والممات لاالاقامة والسفر فأنه سبحانه وتعالى قد يحي المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد ﴿والله تعملون بصير﴾ تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم * وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على أنه وعيد للذين كفروا ﴿ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم﴾ أى متم فى سبيله * وقرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات ﴿لمغفرة من الله ورحمة

يعنى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه ﴿ وقالوا لاخوانهم ﴾ يعنى فى النفاق والكفر وقيل لاخوانهم فى النسب وكانوا مسلمين ﴿ أذا ضربوا فى الارض ﴾ يعنى اذا سافروا فى الارض لتجارة وغيرها ﴿ أوكانوا غزا ﴾ جمع غاز أى غزاة فى الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا فى الارض فماتوا أوكانوا غزا فقتلوا ﴿ لوكانوا عندنا ﴾ يعنى مقيمين ﴿ ماماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك ﴾ يعنى قولهم وظنهم ﴿حسرة فى قلوبهم﴾ يعنى غما وتأسفا ﴿ والله يحي ويميت ﴾ هذا رد لقول المنافقين لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا والمعنى أن الامر بيد الله وان المحي والمميت هو الله تعالى فقد يحي المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس فى البيت وهل يحمى أحد من الموت ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ يعنى انه تعالى مطلع على ماتعملون من خير أوشر فيجازيكم به فاتقوه ولاتكونوا مثل المنافقين لان مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا فان الله تعالى هو المحي المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان أقام ببيته عند أهله فلاتقولوا أنتم أيها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لاتخرج فتقتل فلان يموت فى الجهاد فيستوجب الثواب خير له من أن يموت فى بيته بلافائدة واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم لمغفرة من الله ورحمة ﴾

خير مما تجمعون) ما بمعنى الذي والعائد محذوف وبالياء حفص (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله في هذا الموضع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن غنى عن البرهان لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا في زعمهم ان من سافر من أخوانهم أو غزا ولو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا فان الدنيا زاد المعاد فاذا وصل العبد الى المراد لم يحتج الى الزاد (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لايبقى حولك أحد منهم (فاعف عنهم) ما كان منهم يوم أحد مما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) أي في أمر الحرب

خير مما تجمعون﴾ جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وأن وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا * وقرأ حفص بالياء ﴿ولئن متم أو قتلتم﴾ على أي وجه اتفق هلاككم ﴿لالى الله تحشرون﴾ لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لامحالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم * وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ أي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان الا برحمة من الله سبحانه وتعالى وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه ﴿ولو كنت فظا﴾ سيء الخلق جافيا ﴿غليظ القلب﴾ قاسيه ﴿لانفضوا من حولك﴾ لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك ﴿فاعف عنهم﴾ فيما يختص بك ﴿واستغفر لهم﴾ فيما لله سبحانه وتعالى ﴿وشاورهم في الامر﴾ أي في أمر الحرب اذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم

يعني في العاقبة ﴿خير مما تجمعون﴾ يعني من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله أو الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ﴿ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون﴾ يعني لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم * وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة أقسام فمن عبد الله خوفا من ناره أمنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله تعالى شوقا الى جنته أناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من أسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لايريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون * قوله عز وجل ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ أي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم أي سهلت لهم أخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم أحد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى ألقى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم ﴿ولو كنت فظا﴾ يعني جافيا ﴿غليظ القلب﴾ يعني قاسي القلب سيء الخلق قليل الاحتمال ﴿لانفضوا من حولك﴾ أي لنفروا عنك وتفرقوا حتى لايبقى منهم أحد عندك ﴿فاعف عنهم﴾ أي تجاوز عن زلاتهم وما أتوا يوم أحد ﴿واستغفر لهم﴾ أي واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم ﴿وشاورهم في الامر﴾ أي استخرج

(خير) لكم (مما تجمعون) في الدنيا من الاموال (ولئن متم) في حضر أو سفر (أو قتلتم) في غزاة (لالى الله تحشرون) بعد الموت (فبما رحمة) فبرحمة (من الله لنت لهم) جانبك وجناحك (ولو كنت فظا) باللسان (غليظ القلب) غليظا بالقلب (لانفضوا من حولك) لتفرقوا من عندك (فاعف عنهم) عن أصحابك في شيء يكون منهم (واستغفر لهم) من ذلك الذنب (وشاورهم في الامر)

وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة ﴿ فأذا عزمت ﴾ فأذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى ﴿ فتوكل على الله ﴾ فى امضاء أمرك على ما هو أصلح لك فأنه لا يعلمه سواه • وقرئ فأذا عزمت على التكلم أى فأذا عزمت لك على شئ وعينته لك فتوكل على ولا تشاور فيه أحدا ﴿ أن الله يحب المتوكلين ﴾ فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ﴿ أن ينصركم الله ﴾ كما نصركم يوم بدر ﴿ فلا غالب لكم ﴾ فلا أحد يغلبكم ﴿ وأن يخذلكم ﴾

آراءهم واعلم ماعندهم واختلف العلماء فى المعنى الذى من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما أحبوا أو كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك فى أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا فى الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى ان ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده من أمته وقيل انما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا ❊ وروى البغوى بسنده عن عائشة انها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الامة وانما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم فى أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شئ لان النبى صلى الله عليه وسلم شاورهم فى أسارى بدر وهو من أمر الدين قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الانسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب فى قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح أمره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم فى مدح المشاورة

وشاور اذا شاورت كل مهذب * لبيب أخى حزم لترشد فى الامر
ولا تك ممن يستبد برأيه * فتعجز أو لا تستريح من الفكر
ألم تر أن الله قال لعبده * وشاورهم فى الامر حتما بلا نكر

❊ قوله عز وجل ﴿ فأذا عزمت ﴾ يعنى على المشاورة ﴿ فتوكل على الله ﴾ أى فأستعن بالله فى أمورك كلها وثق به لا تعتمد الا عليه فانه ولى الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شئ الا على الله تعالى فى جميع أموره وان المشاورة لا تنافى التوكل ﴿ أن الله يحب المتوكلين ﴾ يعنى المتوكلين عليه فى جميع أمورهم ❊ قوله عز وجل ﴿ أن ينصركم الله ﴾ يعنى أن يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر ﴿ فلا غالب لكم ﴾ يعنى من الناس لان الله تعالى هو المتولى نصركم ﴿ وأن يخذلكم ﴾ كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ووكلكم الى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسوله صلى الله

ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم أو لتقتدى بك أمتك فيها فى الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد أمرهم وعن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت فلانا أظهرت ما عندى وما عنده من الرأى وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل أخذته من مآخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان ان القياس حجة (فأذا عزمت) فاذا قطعت الرأى على شئ بعد الشورى (فتوكل على الله) فى امضاء أمرك على الارشد لا على المشورة (أن الله يحب المتوكلين) عليه والتوكل الاعتماد على على الله والتفويض فى الامور اليه وقال ذو النون خلع الارباب وقطع الاسباب (أن ينصركم الله) كما نصركم

فى أمر الحرب (فأذا عزمت) صرفت على شئ (فتوكل على الله) بالنصر والدولة (أن الله يحب المتوكلين) عليه (أن ينصركم الله) مثل يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا يغلب عليكم أحد من عدوكم (وأن يخذلكم)

يوم بدر (فلاغالب لكم) فلا أحد يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته (وأن يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ﴿٦١٥﴾ ينصركم من بعده) من بعد ﴿سورة آل عمران﴾ خذلانه وهو ترك المعونة أو وهو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لاناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي ذلك (وما كان لنبي أن يغل) مكي وأبو عمرو وحفص وعاصم أي يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيأ من المغنم غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه في خفية ويقال اغله اذا وجده غالا والمعنى ماصح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى هذا لان معناه وماصح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها

كما خذلكم يوم أحد ﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله سبحانه وتعالى وتحذير عما يستجلب خذلانه ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لاناصر لهم سواه وآمنوا به ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ وماصح لنبي أن يخون في الغنائم فأن النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيأ من المغنم يغل غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وسلم عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها أوظن به الرماة أحد حين تركوا المركز للغنيمة قالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم وأما المبالغة في النهي للرسول صلى الله عليه وسلم على ماروى أنه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية * وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب أن يغل

عليه وسلم ﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ أي من بعد خذلانه ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد في كل الامور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل أن لا تعصى الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن هم يارسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام آخر فقال يانبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة * عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن * قوله عز وجل ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فانزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا

مثل يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم) على عدوكم (من بعده) من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله بالنصرة والدولة * ثم ذكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ان لايقسم لنا من الغنائم شيأ ولقبل ذلك تركوا المركز فقال (وما كان لنبي) ماجاز لنبي (ان يغل) ان يخون أمته في الغنائم وان قرأت ان يغل يقول

على البناء للمفعول والمعنى وماصح له ان يوجد غالا أو أن ينسب الى الغلول ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ﴾ يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث أو بما احتمل من وباله واثمه ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾ تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله أن يقال ثم يوفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فأنه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى

فنزلت الآية (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة) أى يأت بالشئ الذى غله بعينه حاملاله على ظهره كما جاء فى الحديث أو يأت بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزاء ها وافيا ولم يقل ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله ومن يغلل بل جئ بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا أو شرا مجزى فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع

ان تخونه أمته (ومن يغلل) من الغنائم شيأ (يأت بما غل يوم القيامة) حاملاله على عنقه (ثم توفى) توفر (كل نفس ما كسبت) بما عملت

نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له وأن لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا فى الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى قالوا تركنا بقية أخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل فلا نقسم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت فى طائفة غلت من أصحابه وقيل ان الاقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم فانزل الله تعالى ماكان لنبي أن يغل يعنى فيعطى قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظى ومحمد بن اسحق بن يسار هذا فى شأن الوحى يقول وما كان لنبي أن يكتم شيا من الوحى رغبة أو رهبة أو مداهنة والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشئ فى خفية يقال غل فلان يغل* قرئ بفتح الياء وضم الغين أى وما كان لنبي أن يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا تليق به الخيانة لانها فى نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمته فى شئ لا من الغنائم ولا من الوحى وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ماكان النبي ليغل على نفى الغلول عن الانبياء وقيل معناه ماكان لنبي الغلول أراد ما غل نبي قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول واذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة أنهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول فى بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي أن يغل* وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان أحدهما أن يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لنبي أن يخان أى تخونه أمته والثانى أن يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبي أن يخون أى ينسب الى الخيانة ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ﴾ يعنى بالشئ الذى غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشئ فى النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشئ فى النار فيكلف أن ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ماشاء الله وقيل معناه انه يأتى بأثم ما غله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾ يعنى من خير أو شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب أو شرا فهو مجزى به يوم القيامة وهو فى جزاء عمله

(وهم)

﴿ وهم لايظلمون ﴾ فلاينقص ثواب مطيعهم ولايزاد في عقاب عاصيهم

﴿ وهم لايظلمون ﴾ يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازي كل على عمله

﴿ فصل في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد الغال ﴾

وقد تقدم أن أصل الغلول هو أخذ الشئ في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لاألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك شيأ قد أبلغتك لاألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لاألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك شيأ قد أبلغتك لاألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك شيأ قد أبلغتك لاألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك شيأ قد أبلغتك لاألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك شيأ قد أبلغتك لفظ مسلم * الرغاء صوت البعير * والثغاء صوت الشاة * والرقاع الثياب * والصامت الذهب والفضة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولاورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئاله شملته الشهادة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال أصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار * وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم أهداه له أحد بني الضبيب وفيه اذجاءه سهم عائر الشراك سير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذي لايدرى من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها * عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لايساوي درهمين أخرجه أبو داود والنسائي * عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن

عظم ما اكتسب (وهم لايظلمون) أي جزاء كل على قدر كسبه

من الغلول وغيره (وهم لا يظلمون) لاينقص من حسناتهم ولايزاد على سيآتهم

(أفمن اتبع رضوان الله) أى رضا الله قيل هم المهاجرون والانصار (كمن باء بسخط من الله) وهم المنافقون والكفار (ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع (هم درجات عند الله) هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات او ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه (أذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من جنسهم عربيا مثلهم أو من ولد اسمعيل كما أنهم من ولده والمنة فى ذلك من حيث انه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله فى الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفى قراءة رسول الله من أنفسهم أى من

﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ بالطاعة ﴿كمن باء﴾ رجع ﴿بسخط من الله﴾ بسبب المعاصى ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ الفرق بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع ﴿هم درجات عند الله﴾ شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب أوهم ذوو درجات ﴿والله بصير بما يعملون﴾ عالم بأعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾ انعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها * وقرئ لمن من الله على أنه خبر مبتدأ محذوف مثل منه أو بعثه ﴿أذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه أخرجه أبو داود والترمذى * عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه زاد فى رواية ومنعوه سهمه أخرجه أبو داود * قوله عز وجل ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ يعنى فترك الغلول فلم يغل ﴿كمن باء﴾ أى رجع ﴿بسخط من الله﴾ يعنى بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المفضى للعقوبة وهو من الله أنزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل فى معنى الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فأخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله أفمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كمن باء بسخط من الله ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ يعنى الغال أو المتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴿هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾ يعنى هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب أعمالهم وقيل الضمير فى قوله هم درجات عائد على قوله أفمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب فى العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله أن مأواهم جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير فى قوله هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه * قوله عز وجل ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾ يعنى أحسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك فى الحقيقة لا يكون الا من الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين ﴿أذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ يعنى من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حى من أحياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بنى تغلب فأنهم كانوا نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من أن يكون له فيهم نسب

(أفمن اتبع رضوان الله) فى أخذ الخمس وترك الغلول (كمن باء بسخط من الله) كمن استوجب عليهم سخط الله بالغلول (ومأواه) مصير الغال (جهنم وبئس المصير) صاروا اليه (هم درجات عند الله) يقول لهم درجات عند الله فى الجنة لمن ترك الغلول ودركات لمن غل (والله بصير بما يعملون) من الغلول (وقيل) وغيره ثم ذكر منته عليهم فقال (لقد من الله على المؤمنين أذ بعث فيهم) اليهم (رسولا) آدميا معروف النسب (من أنفسهم) قرشيا

ويكرنوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من أنفسهم أى من أشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ أى القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ أى القرآن والسنة ﴿وأن كانوا من قبل فى ضلال مبين﴾ أن هى المخففة واللام هى الفارقة أى وأن الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها

وقيل أراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أى بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد من غير بنى آدم وقيل من أنفسهم يعنى انه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب فى جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع أحواله وأعماله يعرفون صدقه وأمانته فكان ذلك أقرب الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من أنفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به أبو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنوهاشم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابنى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل فى وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وأنعم عليهم وأحسن اليهم بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم أنقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ يعنى يقرأ عليهم كتابه الذى أنزل عليه بعد ان كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شئ من الوحى السماوى ﴿ويزكيهم﴾ أى ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ يعنى القرآن والسنة التى سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وأن كانوا من قبل﴾ يعنى من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لفى ضلال مبين﴾ يعنى لفى جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى ﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾ يعنى ما أصابهم يوم أحد ﴿قد أصبتم مثليها﴾ يعنى ببدر وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل أن المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم فى أول الامر يوم أحد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة

أشرفهم (يتلوا عليهم آياته) أى القرآن بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى (ويزكيهم) ويطهرهم بالايمان من دنس الكفر والطغيان أو يأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة (وأن كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال) عمى وجهالة (مبين) ظاهر لا شبهة فيه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وان الشان والحديث كانوا من قبل فى ضلال مبين (أو لما أصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين وهو فى موضع رفع صفة لمصيبة

عربيا مثلهم (يتلو) يقرأ (عليهم آياته) القرآن بالامر والنهى (ويزكيهم) يطهرهم بالتوحيد من الشرك ويأخذ الزكاة من الذنوب (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الحلال والحرام (وأن كانوا من قبل) وقد كانوا من قبل مجئ محمد والقرآن (لفى ضلال مبين) لفى كفر بين ثم ذكر مصيبتهم يوم أحد فقال (أولما أصابتكم مصيبة) يقول حين أصابتكم مصيبة يوم أحد (قد أصبتم) أهل مكة يوم بدر (مثليها) مثلى

(قلتم أنى هذا) من أين هذا (قل هو من عند أنفسكم) لاختياركم الخروج من المدينة أو لترككم المركز لما نصب بقلتم وأصابتكم في محل الجر باضافة

لما اليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وأنى هذا نصب لانه مقول

والهمزة للتقرير والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده أو على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا (أن الله على كل شئ قدير) يقدر على النصر وعلى منعه (وما أصابكم) ما بمعنى الذى وهو مبتدأ (يوم التقى الجمعان) جمعكم وجمع المشركين بأحد والخبر (فبأذن الله) فكائن بأذن الله أى بعلمه وقضائه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء

قلتم أنى هذا﴾ الهمز للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة أحد أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى أصابتكم أى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم أحد والحال أنكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أى مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فأن الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة أو اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر ﴿أن الله على كل شئ قدير﴾ فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم أحد ﴿فبأذن الله﴾ فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها أذنا لانها من لوازمه ﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء

واحدة ﴿قلتم أنى هذا﴾ أى من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ يعنى انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة فى المدينة على الخروج الى العدو واختاروا هم الخروج اليه وأيضا أمر الرماة بالاقامة فى الوضع الذى عينه لهم فخالفوا وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة ❁ وروى عبيدة السلمانى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك فى أخذهم الفداء من الاسارى وقد أمرك ان تخيرهم بين ان يضربوا أعناق الاسارى وبين ان يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا وأخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر لم يسنده البغوى وأسنده ابن جرير الطبرى فذلك معنى قوله قل هو من عند أنفسكم يعنى بأخذكم الفداء واختياركم القتل لانفسكم ﴿أن الله على كل شئ قدير﴾ يعنى من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة ❁ قوله عز وجل ﴿وما أصابكم﴾ يعنى من القتل والجراح والهزيمة ﴿يوم التقى الجمعان﴾ يعنى جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد ﴿فبأذن الله﴾ يعنى فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا أن ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم ﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ أى ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز أحدهما من الآخر والمنافق هو الذى أظهر الايمان

ما أصابكم يوم أحد (قلتم أنى هذا) من أين أصابنا هذا ونحن له مسلمون (قل) يا محمد (هو من عند أنفسكم) بذنب أنفسكم بترككم المركز (أن الله على كل شئ) من العقوبة وغيرها (قدير وما أصابكم) الذى أصابكم من القتل والجراحة (يوم التقى الجمعان) جمع محمد وجمع أبى سفيان (فبأذن الله) فبأرادته وقضائه (وليعلم المؤمنين) لكى يرى المؤمنين فى الجهاد (وليعلم الذين نافقوا) لكى يرى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه فى رجوعهم الى المدينة

(وقيل لهم) للمنافقين وهو كلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا في سبيل الله) أي جاهدوا للآخرة كما تقاتل المؤمنون (أو ادفعوا) أي قاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم تقاتلوا للآخرة وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أي لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما أنتم فيه لخطأ رأيكم ليس بشئ ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء النفس في التهلكة (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) يعني انهم كانوا يتظاهرون بالايمان قبل ذلك وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) أي يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان وغيره والتقييد بالافواه للتأكيد ونفي المجاز

﴿وقيل لهم﴾ عطف على نافقوا داخل في الصلة أو كلام مبتدأ ﴿تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾ تقسيم للامر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه ﴿قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة أو لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان﴾ لانخزالهم وكلامهم هذا فأنهما أول أمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان وأضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير

بلسانه وأضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لان له جحرا في الارض له بابان اذا طلب من أحدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين أحدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه من أيهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق اسم أسلامي لم تك العرب تعرفه قبل الاسلام ﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾ المقول له عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى أحد في ألف رجل حتى اذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عبدالله بن أبي ابن سلول بثلث الناس وقال ما ندري علام نقتل أنفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الانصاري أخو بني سلمة وهو يقول ياقوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي لاجل دين الله وطاعته أو ادفعوا يعني عن أموالكم وأهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو ﴿قالوا﴾ يعني المنافقين ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ أي لو نعلم أن اليوم يجري فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما تبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم ﴿هم للكفر﴾ يعني المنافقين الى الكفر ﴿يومئذ أقرب منهم للايمان﴾ أي الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما أظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ يعني يظهرون بألسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطأة القلب للسان على شئ واحد وهو التوحيد

(وقيل لهم) قال لهم عبدالله ابن جبير (تعالوا) الى أحد (قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) العدو عن حريمكم وذريتكم او كثروا المؤمنين (قالوا لو نعلم) ثمة (قتالا لاتبعناكم) الى أحد (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) والمؤمنين ويقال رجوعهم الى الكفر والكفار يومئذ أقرب من رجوعهم الى الايمان والمؤمنين (يقولون بأفواههم) بألسنتهم (ما ليس في قلوبهم) صدق ذلك

(والله أعلم بما يكتمون) من النفاق (الذين قالوا) أى ابن أبى وأصحابه وهو فى موضع رفع على هم الذين قالوا أو على الابدال من واو يكتمون أو نصب باضمار أعنى أو على البدل من الذين نافقوا أو جر على البدل من الضمير فى أفواههم أو (لاخوانهم) لاجل أخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد (وقعدوا) أى قالوا وقد قعدوا عن القتال (لو أطاعونا ماقتلوا) لو أطاعنا أخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كالم نقتل (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين) بان الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت أو معناه قل أن كنتم صادقين فى انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فخذوا الى دفع الموت سبيلا وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل فى قتلى أحد (ولاتحسبن) شامى وحمزة وعلى وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (الذين قتلوا) قتلوا شامى (فى سبيل الله أمواتا

﴿ والله أعلم بما يكتمون ﴾ من النفاق ومايخلوبه بعضهم الى بعض فأنه يعلمه مفصلا بعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملا بأمارات ﴿ الذين قالوا ﴾ رفع بدلا من واو يكتمون أو نصب على الذم أو الوصف للذين نافقوا أو جر بدلا من الضمير فى بأفواههم أو قلوبهم كقوله

« على حالة لو أن فى القوم حاتما » * على جوده لضن بالماء حاتم

﴿ لاخوانهم ﴾ أى لاجلهم يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم أو من جنسهم ﴿ وقعدوا ﴾ حال مقدرة بقد أى قالوا قاعدين عن القتال ﴿ لو أطاعونا ﴾ فى القعود ﴿ ماقتلوا ﴾ كما لم نقتل * وقرأ هشام ماقتلوا بالتشديد فى التاء ﴿ قل فادرؤا عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين ﴾ أى أن كنتم صادقين أنكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه فأنه أحرى بكم والمعنى أن القعود غير مغن عن الموت فأن أسباب الموت كثيرة وكما أن القتال يكون سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ﴾ نزلت فى شهداء أحد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل احد * وقرئ بالياء على أسناده الى ضمير الرسول أو من يحسب أو الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة * وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين

﴿ والله أعلم بما يكتمون ﴾ يعنى من النفاق ﴿ الذين قالوا لاخوانهم ﴾ نزلت فى عبدالله ابن أبى المنافق وأصحابه وفى المراد بأخوانهم قولان أحدهما ان المراد بأخوانهم الذين استشهدوا بأحد فيكون أخوانهم فى النسب لا فى الدين والقول الثانى ان المراد بأخوانهم المنافقون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا فى أخوانهم أو عن أخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا ماقتلوا لانهم بعد ان قتلوا لايخاطبون وعلى القول الثانى يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبدالله بن أبى وأصحابه لاخوانهم يعنى فى النفاق ﴿ وقعدوا ﴾ يعنى عن الجهاد ﴿ لو أطاعونا ﴾ يعنى هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أطاعونا يعنى فى القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانصراف عنه ﴿ ماقتلوا ﴾ يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿ قل ﴾ يعنى قل لهم يا محمد ﴿ فادرؤا ﴾ أى فأدفعوا ﴿ عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين ﴾ يعنى أن الحذر لاينفع من القدر وفى الآية دليل على ان المقتول يموت بأجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول أجله ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ﴾ قيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من =

(والله أعلم بما يكتمون) من الكفر والنفاق هم (الذين قالوا لاخوانهم) المنافقين بالمدينة (وقعدوا) عن الجهاد (لوأطاعونا) يعنون محمدا وأصحابه بالقعود فى المدينة (ماقتلوا) فى غزاتهم (قل) يا محمد للمنافقين (فادرؤا) ادفعوا (عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين) فى مقالتكم (ولا تحسبن) لاتظنن (الذين قتلوا فى سبيل الله) يوم بدر ويوم أحد (أمواتا) كسائر الاموات

{المهاجرين}

= المهاجرين وثمانية من الانصار وقال أكثر المفسرين انها نزلت في شهداء أحد ويدل على ذلك ماروى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما أصيب أخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ أخواننا عنا أننا أحياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولاينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية أخرجه أبو داود (م) عن مسروق رضي الله عنه قال سألنا عبدالله عن هذه الآية ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما أنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا أى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا

﴿ ذكر مايتعلق بهذا الحديث ﴾

قول مسروق سألنا عبدالله كذا جاء عبدالله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبدالله بن عمر وقد ذكره أبو مسعود الدمشقي والحميدى في مسنده عن عبدالله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب أهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لاتفنى بفناء الجسد وأن المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسئ يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب أهل السنة أيضا ، قوله أرواحهم في جوف طير خضر أى يجعل الله أرواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لاسيما مع القول بان الارواح أجسام لطيفة وقيل أن المنعم والمعذب من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذى يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتأوى الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ماجاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث مايرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعنى يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله أعلم * عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مهتم فقال مالى أراك منكسرا قلت يارسول الله استشهد أبي يوم =

= أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك وكلمه كفاحا وقال ياعبدي تمن على أعطيك قال يارب تحييني فأقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني أنهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهي بئر بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن اسحق عن أشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال اني لا أقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام وأخبره بماله فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد أن الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنهم وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة بعد أحد باربعة أشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة أني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم وأني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوا فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فأنهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الانصار أحد بني عمرو بن عوف فلم يعلمهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله أن لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن أمية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصاري لكني لا أرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو بن أمية الضمري أسيرا فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم

(انها)

﴿ بل أحياء ﴾ أى بل هم أحياء * وقرئ بالنصب على معنى

انها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبى براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر ابن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن أبى براء أن عامر بن الطفيل أخفر ذمة أبيه فحمل على على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزرى فى كتاب جامع الاصول له فى قسم الاسماء فى ترجمة عامر بن الطفيل أن عامر بن الطفيل قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج فى أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن أنس رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواما من بنى سليم الى بنى عامر فى سبعين وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله *أخا لام سليم واسمه حرام فى سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالى أتقدمكم فأن أمنونى حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم منى قريبا فتقدم فأمنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أومؤا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم الا رجلا أعرج صعد الجبل قال همام وأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم قال فكنا نقرأ ان بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبنى عصية الذين عصوا الله ورسوله * وفى رواية ان رعلا وذكوان وبنى لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو فى الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا * ولمسلم قال جاء ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان أولياء الشهداء وأهليهم كانوا اذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن فى النعمة والرخاء وآباؤنا وابناؤنا واخواننا فى القبور فانزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أى ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من أمته والمعنى لا يظن ظان أن الذين قتلوا فى سبيل الله أموات يعنى كأموات غيرهم ممن لم يقتل فى سبيل الله ﴿ بل أحياء ﴾ أى بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على

بل أحياء) بل هم أحياء

(بل أحياء) بل هم

بل أحسبهم أحياء ﴿ عند ربهم ﴾ ذوو زلفى منه ﴿ يرزقون ﴾ من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله سبحانه وتعالى والتمتع بنعيم الجنة ﴿ ويستبشرون ﴾ يسرون بالبشارة ﴿ بالذين لم يلحقوا بهم ﴾ أى بأخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿ من خلفهم ﴾

كون من قتل فى سبيل حيا فأما ان يكون المراد أنهم سيصيرون أحياء فى الآخرة أو يكون المراد أنهم أحياء فى الحال وعلى تقدير أنهم أحياء فى الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية أو اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة أوجه فى معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو أنهم سيصيرون أحياء فى الآخرة قال معنى الآية بل هم أحياء فى الذكر وأنهم يذكرون بخير أعمالهم وأنهم استشهدوا فى سبيل الله وقيل بل هم أحياء فى الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى أثبت لهم الحياة فى الحال بقوله بل أحياء يعنى فى حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثانى واختلفوا فى معنى هذه الحياة هل هى للروح أو للجسم والروح معا فمن أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين أن أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن أثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لا يبلى فى قبره ولا تأكله الارض كغيره وروى انه لما أراد معاوية أن يجرى الماء على قبور الشهداء أمر أن ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما ❁ وذكر البغوى بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب ابن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الاردوا عليه ❁ وقوله عز وجل ﴿ عند ربهم ﴾ يعنى فى محل كرامته وفضله ﴿ يرزقون ﴾ يعنى من ثمار الجنة وتحفها ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ يعنى بما أعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال فى دار النعيم ﴿ ويستبشرون ﴾ أى يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذى يحصل للانسان عند البشارة ﴿ بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ يعنى من أخوانهم الذى تركوهم أحياء فى الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بأنهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل أن الشهداء سألوا الله عز وجل أن يخبر أخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا فى الجهاد

(عند ربهم) مقربون (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله (فرحين) حال من الضمير فى يرزقون (بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق فى الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبى عليه السلام لما أصيب أخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر تدور فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش وقيل هذا الرزق فى الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لانه لا يبقى للتخصيص فائدة (ويستبشرون بالذين) بأخوانهم المجاهدين الذين (لم يلحقوا بهم) لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أو لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم

كالاحياء (عند ربهم يرزقون) التحف (فرحين) معجبين (بما آتاهم الله) بما أعطاهم الله (من فضله) من كرامته (ويستبشرون) بعضهم ببعض (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) من اخوانهم الذين فى الدنيا ان يلحقوا بهم لان الله (فاخبرهم)

أى الذين من خلفهم زمانا أو رتبة ﴿ ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ بدل من الذين والمعنى أنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم اذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على أن الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه أدراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن أنكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم أحياء يوم القيامة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه أو أحياء بالذكر أو بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على أزدياد الطاعة وأحاد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما أنعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح ﴿ يستبشرون ﴾ كرره للتأكيد وليعلق به ماهو بيان لقوله ألا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال أخوانهم وهذا بحال أنفسهم ﴿ بنعمت من الله ﴾ ثوابا لاعمالهم ﴿ وفضل ﴾ زيادة عليه كقوله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم ﴿ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ من جملة المستبشر به عطف على فضل * وقرأ الكسائى بالكسر على أنه استئناف معترض دال على ان ذلك أجرلهم على ايمانهم مشعر بأن من لا ايمان له

فأخبرهم الله عز وجل أنى قد أنزلت على نبيى محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا ﴿ ألا خوف عليهم ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ يعنى على مافاتهم من نعيم الدنيا ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾ لما بين الله تعالى أن الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر أنهم أيضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار الثانى لانفسهم خاصة ﴿ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ يعنى كما أنه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين

فصل فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله

(ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهادا فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسلى فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده مامن كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله

ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم عن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء (ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمت من الله وفضل) يسرون بما أنعم الله عليهم وماتفضل عليهم من زيادة الكرامة (وأن الله) عطف على النعمة والفضل وأن الله على بالكسر على الاستئناف وعلى ان الجملة اعتراض (لا يضيع أجر المؤمنين)

بشرهم بذلك (ألا خوف عليهم) اذا خاف غيرهم (ولا هم يحزنون) اذا حزن غيرهم (يستبشرون بنعمت من الله) بثواب من الله (وفضل) وكرامة (وأن الله لا يضيع) لا يبطل (أجر المؤمنين) فى الجهاد بما يصيبهم فى الجهاد ثم ذكر موافاتهم مع النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر

أعماله محبطة وأجوره مضيعة ﴿ الذين استجابوا لله والرسول

فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها ﷺ عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر أخرجه أبو داود والترمذي ﷺ عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهداء أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الترمذي مفرقا في موضعين (ق) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحد يدخل الجنة فيحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ٭ وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد أحدكم من القرصة أخرجه الترمذي وللنسائي نحوه ﷺ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته أخرجه أبو داود ﷺ قوله عز وجل ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾ الآية قال أكثر المفسرين ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من ألم الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجن معنا أحد الا من حضرنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان أبي كان

بل يوفر عليهم (الذين استجابوا لله والرسول) مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح

الصغرى فقال (الذين استجابوا لله) اجابوا الله بالطاعة (والرسول) بالموافاة الى بدر الصغرى

خلفنى على أخوات لى سبع وقال لى يابنى أنه لا ينبغى لى ولك ان نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذى أوثرك على نفسى بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ابن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان فى سبعين رجلا من أصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال (ق) عن عائشة رضى الله عنها فى قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم قالت لعروة يا ابن أختى كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب فى أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير قال فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعى بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك واوددنا أن الله كان قد أعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبنا جل أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال أبو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله انى أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملنى ما رأيت على ان قلت أبياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردى بأسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من اتمائكمو * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
أنى نذير لاهل السبل ضاحية * لكل ذى اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وحش يقابله * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قالوا فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنا محمدا رسالة وأحمل لكم آبالكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا وافيتموه فأخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من بعدما أصابهم القرح﴾ صفة للمؤمنين أو نصب على المدح أو مبتدأ خبره ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون * روى أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء فندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام

وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية فى غزوة بدر الصغرى وذلك أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران ثم ألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان يا نعيم أنى قد واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقى بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لى أن لا أخرج اليها وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم انا فى جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندى عشرة من الابل أضعها لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أتضمن لى هذه القلائص وأنطلق الى محمد فأثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى أتى الى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال نعيم أين تريدون قالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقى بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأى رأيتم أتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد أفتريدون أن تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فاما الجبان فأنه رجع وأما الشجاع فأنه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول أى أجابوا الله وأطاعوه فى جميع أوامره وأطاعوا الرسول أيضا ﴿من بعد ما أصابهم القرح﴾ يعنى من بعد ما نالهم من ألم الجراح ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا﴾ يعنى أحسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه ﴿أجر عظيم﴾ يعنى لهم

(ثواب)

(من بعدما أصابهم القرح) الجرح روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبي أصحابه للخروج فى طلب أبي سفيان فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فالقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (للذين أحسنوا منهم واتقوا) من للتبيين ومثلها فى قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم (أجر عظيم) فى

(من بعدما أصابهم القرح) الجرح يوم أحد (للذين احسنوا) وافوا (منهم) مع النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر الصغرى (واتقوا) معصية الله ومخالفة الرسول (أجر عظيم) ثواب وافر فى الجنة ونزل فيهم

الآخرة (الذين قال لهم الناس) بدل من الذين استجابوا (أن الناس قد جمعوا لكم) روى أن أباسفيان نادى عند انصرافه من أحد يامحمد موعدنا موسم بدر القابل فقال عليه السلام أن شاء الله فلما كان القابل خرج أبوسفيان في أهل مكة فألقى الله الرعب في قلبه فبداله أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يانعيم أني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وقد بدالي ان أرجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لايفلت منكم أحد فقال عليه السلام والله لاخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثمان ليال وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع أبوسفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتأكلوا السويق فالناس الاول نعيم وهو جمع أريد به الواحد أو كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه والثاني أبوسفيان وأصحابه (فاخشوهم) فخافوهم (فزادهم) أي المقول الذي هو أن الناس قدجمعوا لكم فاخشوهم أوالقول أو نعيم (أيمانا)

مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية أميال من المدينة وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لايفوتهم الاجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ يعني الركب الذين استقبلهم من عبدقيس أو نعيم ابن مسعود الاشجعي وأطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الافرس واحد أولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ﴿ أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ يعني أباسفيان وأصحابه روي انه نادى عند انصرافه من أحد يامحمد موعدنا موسم بدر لقابل أن شئت فقال عليه الصلاة والسلام أن شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل بمر الظهران فأنزل الله الرعب في قلبه وبداله ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد الا شريد أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ﴿فزادهم ايمانا﴾ الضمير المستكن للمقول أو لمصدر قال أو لفاعله أن أريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى أنهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله سبحانه وتعالى وازداد ايمانهم وأظهروا حمية الاسلام

ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ هذه الآية متعلقة بالآية التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه أحدها انه نعيم بن مسعود الاشجعي فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا أوقال قولا ورضي به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد * والوجه الثاني ان المراد بالناس الركب من عبدالقيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق * الوجه الثالث أن المراد بالناس المنافقون وذلك أنهم لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد أبي سفيان نهوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم أن القوم قد أتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فأن خرجتم اليهم لم يبق أحد منكم ﴿أن الناس﴾ يعني أباسفيان وأصحابه من رؤساء المشركين ﴿ قد جمعوا لكم ﴾ يعني الجموع الكثيرة لان العرب تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا ﴿ فاخشوهم ﴾ أي فخافوهم واحذروهم فأنه لاطاقة لكم بهم ﴿ فزادهم أيمانا ﴾ يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا

أيضا (الذين قال لهم الناس) نعيم بن مسعود الاشجعي (أن الناس) أباسفيان وأصحابه (قدجمعوا لكم) باللطيمة واللطيمة سوق في قرب مكة (فاخشوهم) بالخروج اليهم (فزادهم ايمانا) جراءة بالخروج

بصيرة وايقانا (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله أى الذى يكفينا الله يقال احسبه الشئ اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لكونه فى معنى اسم الفاعل (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا بنعمت من الله) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) وهو الربح فى التجارة فاصابوا بالدرهم درهمين (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير فى انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء (واتبعوا رضوان الله) بجراءتهم وخروجهم الى وجه العدو على أثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (أنما ذلكم الشيطان) هو خبر ذلكم أى انما ذلكم المثبط هو الشيطان وهو

اليهم (وقالوا حسبنا الله) ثقتنا بالله (ونعم الوكيل) الكفيل بالنصرة (فانقلبوا) رجعوا (بنعمت من الله) بثواب من الله (وفضل) ربح مما تسوقوا به من السوق ويقال غنيمة (لم يمسسهم) لم يصبهم فى الذهاب والمجئ (سوء) قتال وهزيمة (واتبعوا رضوان الله) فى الموافاة مع النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر الصغرى (والله ذو فضل) ذو من (عظيم) بدفع العدو عنهم (أنما ذلكم الشيطان) الذى خوفكم الشيطان يعنى نعيم بن مسعود سماه الله شيطانا لانه كان تابعا للشيطان (يخوف)

وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يارسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا أن لم تجعل فأن اليقين يزداد بالالف وكثر التأمل وتناصر الحجج ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ محسبنا وكافينا من أحسبه اذا كفاه ويدل على أنه بمعنى المحسب انه لايستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك ﴿ونعم الوكيل﴾ ونعم الموكول اليه هو ﴿فانقلبوا﴾ فرجعوا من بدر ﴿بنعمت من الله﴾ عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه ﴿وفضل﴾ ربح فى التجارة فانهم لما أتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا ﴿لم يمسسهم سوء﴾ من جراحة وكيد عدو ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل مايسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله تعالى وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه مافازوا به ﴿أنما ذلكم الشيطان﴾ يريد به المثبط نعيما

وقوة فى دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة فى الايمان ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ أى كافينا الله هو الذى يكفينا أمرهم فهو كقول امرئ القيس

وحسبك من غنى شبع ورى

أى يكفيك الشبع والرى ونعم الوكيل يعنى ونعم الموكول اليه فى الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافى والمعنى يكفينا الله ونعم الكافى هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل فى ماله هو الذى كفله وقام به والوكيل فى صفة الله تعالى هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم وانه الذى يستقل بأمورهم كلها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى أن الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم * قوله عز وجل ﴿فانقلبوا﴾ أى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه ﴿بنعمت من الله﴾ أى بعافية لم يلقوا عدوا ﴿وفضل﴾ أى تجارة وربح وهو ما أصابوا فى سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة ﴿لم يمسسهم سوء﴾ أى لم يصبهم أذى ولا مكروه من قتل وجراح ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ يعنى فى طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب فى قلوب المشركين حتى رجعوا * قوله عز وجل ﴿أنما ذلكم الشيطان

نعيم (يخوف أولياءه) أى المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر

(فلا تخافوهم) أى أولياءه (وخافون أن كنتم مؤمنين) لان الايمان يقتضى

أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافونى فى الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما أبو عمرو فى الوصل (ولا يحزنك) يحزنك فى كل القرآن نافع الا فى سورة الانبياء لايحزنهم الفزع الاكبر (الذين يسارعون فى الكفر) يعنى لا يحزنوك لخوف أن يضروك ألاترى الى قوله (أنهم لن يضروا الله شيأ) أى أولياء الله يعنى انهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله أن لايجعل لهم حظا فى الآخرة) أى نصيبا من الثواب

ولوسوسته (يخوف أولياءه) يقول يخوفكم بأوليائه الكفار (فلاتخافوهم) بالخروج (وخافون) بالجلوس (أن كنتم مؤمنين) اذ كنتم مصدقين باحيائه ثم ذكر مسارعة المنافقين فى الولاية مع اليهود فقال (ولايحزنك) يامحمد ولا يغمك (الذين يسارعون) يبادرون (فى الكفر) أى مسارعة المنافقين فى الولاية مع اليهود (أنهم (قا وخا ٨٠ ل) لن يضروا الله) لن ينقصوا الله بمسارعتهم فى الولاية مع اليهود (شيأ يريد الله) اراد الله (أن لايجعل لهم) لليهود والمنافقين (حظا) نصيبا (فى الآخرة) فى الجنة

أو أبا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته أو صفته وما بعده خبره ويجوز أن تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف أى انما ذلكم قول الشيطان يعنى أبليس عليه اللعنة ﴿يخوف أولياءه﴾ القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه ﴿فلاتخافوهم﴾ الضمير للناس الثانى على الاول والى الاولياء على الثانى ﴿وخافون﴾ فى مخالفة أمرى فجاهدوا مع رسولى ﴿أن كنتم مؤمنين﴾ فأن الايمان يقتضى أيثار خوف الله تعالى على خوف الناس ﴿ولايحزنك الذين يسارعون فى الكفر﴾ يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين أو قوم أرتدوا عن الاسلام والمعنى ولايحزنك خوف أن يضروك ويعينوا عليك لقوله ﴿أنهم لن يضروا الله شيأ﴾ أى لن يضروا أولياء الله شيأ بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها أنفسهم وشيأ يحتمل المفعول والمصدر * وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء حيث وقع ماخلا قوله فى الانبياء لايحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاء فيه والباقون كذلك فى الكل ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة﴾ نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بأن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لايكون لهم حظ من رحمته وأن

يخوف أولياءه﴾ يعنى انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان ألقى ذلك فى أفواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم * وقوله أولياءه يعنى الشيطان يخوفكم يامعشر المؤمنين بأولياءه وقيل معناه يعظم أولياءه فى صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون أمره وأولياء الله هم المؤمنون الذين لايخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا أمرهم ﴿فلاتخافوهم﴾ يعنى فلاتخافوا أولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولاتجبنوا عنهم ﴿وخافون﴾ أى فجاهدوا فى سبيلى مع رسولى فأنى وليكم وناصركم ﴿أن كنتم مؤمنين﴾ أى مصدقين بوعدى أنى متكفل لكم بالنصر والظفر * قوله عز وجل ﴿ولايحزنك الذين يسارعون فى الكفر﴾ قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولايحزنك يامحمد من يسارع فى الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لايحصل لهم وقيل مسارعتهم فى الكفر مظاهرتهم الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون فى نصرة الكفر فلايحزنك فعالهم فانك منصور عليهم ﴿أنهم لن يضروا الله شيأ﴾ يعنى بمسارعتهم فى الكفر انما يضرون أنفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أولياء الله شيأ ﴿يريد الله ألايجعل لهم حظا فى الآخرة﴾ يعنى لايجعل لهم نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا فى الكفر وفى الآية دليل على أن الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على

(ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك أبلغ ماضربه الانسان نفسه والآية تدل على ارادة الكفر والمعاصي لان ارادته ان لا يكون لهم ثواب في الآخرة لاتكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم (أن الذين اشتروا الكفر بالايمان) أي استبدلوه به (لن يضروا الله شيأ) هو نصب على المصدر أي شيأ من الضرر الآية الاولى فيمن نافق من المتخلفين اوارتد عن الاسلام والثانية في جميع الكفار أو على العكس (ولهم عذاب أليم ولا يحسبن) وثلاثة بعدها مع ضم الباء في يحسبنهم بالياء مكي وأبو عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدني وشامي الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء الباقون الاوليان بالياء والاخريان بالتاء (الذين كفروا) فيمن قرأ بالياء رفع أي ولا يحسبن الكافرون وان مع اسمه وخبره في قوله (أنما نملي لهم خير لانفسهم) في موضع المفعولين ليحسبن والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خير الانفسهم وما مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وفيمن قرأ بالتاء نصب أي ولا تحسبن الكافرين وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين أي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين والاملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم (أنما نملي لهم ليزدادوا اثما) ماهذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل مابالهم لا يحسبون

مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ مع الحرمان عن الثواب ﴿ أن الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم ﴾ تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين أو ارتد من العرب ﴿ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الاملاء خير لانفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها أن تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على أن الذين فاعل وأن مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال وأطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه اذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء ﴿ أنما نملي لهم ليزدادوا أثما ﴾ استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند

القدرية والمعتزلة ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ أن الذين اشتروا الكفر بالايمان ﴾ يعني المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان وكأنهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر كما فعل المشتري من اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه ﴿ لن يضروا الله شيأ ﴾ يعني باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا أنفسهم بذلك ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة * قوله عز وجل ﴿ ولا تحسبن الذين كفروا ﴾ قرئ تحسبن بالتاء والياء فمن قرأ بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير ﴿ أنما نملي لهم ﴾ الاملاء الامهال والتأخير وأصله من الملاوة وهي المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا أن امهالنا أياهم بطول العمر والانساء في الاجل ﴿ خير لانفسهم ﴾ ثم قال تعالى ﴿ أنما نملي لهم ليزدادوا أثما ﴾ يعني انما نمهلهم ونؤخر في أجالهم ليزدادوا اثما

(ولهم)

(ولهم عذاب عظيم) شديد أشد مايكون (أن الذين اشتروا الكفر بالايمان) اختاروا الكفر على الايمان هم المنافقون (لن يضروا الله) لن ينتقصوا الله باختيارهم الكفر (شيأ ولهم عذاب أليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم ثم ذكر امهاله لهم في الكفر فقال (ولا يحسبن الذين كفروا) لا يظنن اليهود (أنما نملي لهم) نمهلهم ونعطيهم من الاموال والاولاد (خير لانفسهم أنما نملي لهم) ونعطيهم من الاموال والاولاد (ليزدادوا أثما) ذنبا في الدنيا ودركات في الآخرة

المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن أملاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض معناه أن أملاءنا لهم خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه مافرط منهم ﴿ ولهم عذاب مهين ﴾ على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو أى لزدادوا أثما معدا لهم عذاب مهين ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه بأحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر النبى به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم ٭ وقرأ حمزة والكسائى حتى يميز هنا وفى الانفال بضم

﴿ ولهم عذاب مهين ﴾ يعنى فى الآخرة ٭ روى البغوى بسنده عن عبدالرحمن بن أبى بكر عن أبيه رضى الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله ٭ وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن الاسود قال قال عبدالله مامن نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار قال ابن الانبارى قال جماعة من أهل العلم أنزل الله عزوجل هذه الآية فى قوم يعاندون الحق سبق فى علمه أنهم لا يؤمنون فقال انما نملى لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى على المعاصى فان ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون أبدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث أخبر الله تعالى انه يطيل أعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا واثما وغيا ٭ قوله عزوجل ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال الكلبى قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان وأن من أطاعك وتبعك على دينك فهو فى الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتى فى صورها فى الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بى ومن يكفر بى فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا فى علمى لا تسألونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة الا نبأتكم به فقام عبدالله بن حذافة السهمى فقال من أبى يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبى صلى الله عليه

الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملى لهم والآية حجة لنا على المعتزلة فى مسئلتى الاصلح وارادة المعاصى (ولهم عذاب مهين) واللام فى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين لتأكيد النفى (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز حمزة وعلى والخطاب فى أنتم للمصدقين من أهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحى الى نبيه

(ولهم عذاب مهين) يهانون به يوما فيوما وساعة بعد ساعة ويقال شديد ويقال نزلت من قوله ولا يحزنك الى ههنا فى مشركى أهل مكة يوم أحد ثم ذكر مقالة المشركين لمحمد أنت تقول لنا منكم كافر ومنكم مؤمن فبين لنا يا محمد من يؤمن منا ومن لا يؤمن فقال الله (ما كان الله ليذر المؤمنين) والكافرين (على ما أنتم عليه) من الدين حتى يصير المؤمن كافرا والكافر مؤمنا أن كان فى قضائه كذلك (حتى يميز الخبيث من الطيب) الشقى من السعيد والكافر من المؤمن والمنافق

الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ وما كان الله ليؤتى أحدكم علم الغيب فيطلع على ما فى القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ بصفة الاخلاص أو بأن تعلموا الله وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله سبحانه وتعالى ولا يقولون الا ما أوحى اليهم * روى أن الكفرة قالوا أن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى أنه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على أمتى وأعلمت من

وسلم فهل أنتم منتهون فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا أن ايمانهم كايمان المؤمنين فأظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا فى معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى المنافق من المؤمن الخالص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فأظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم أحد بالقاء الجميع فى الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا أظهر نفاقه وكفره وقيل فى معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل فى معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين فى أصلاب الرجال المشركين وأرحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليدع أولادكم الذى جرى لهم الحكم بالايمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى يفرق بينكم وبين من فى اصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ الخطاب فى قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد أخبرنا عمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر أو منافق لانه لا يعلم الغيب أحد غيره وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه آحاد الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل فى معنى الآية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ يعنى ولكن الله يصطفى ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ يعنى انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله

(عليه)

واخباره بأحوالكم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) وما كان الله ليؤتى أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما فى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) أى ولكن الله يرسل الرسول فيوحى اليه ويخبره بان فى الغيب كذا وان فلانا فى قلبه النفاق وفلانا فى قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والآية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول وان أثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين (فآمنوا بالله ورسله) بصفة

من المخلص (وما كان الله ليطلعكم) يا أهل مكة (على الغيب) على ذلك حتى تعلموا من يؤمن ومن لا يؤمن (ولكن الله يجتبي) يصطفى (من رسله من يشاء) يعنى محمدا فيطلعه على بعض ذلك بالوحى (فآمنوا بالله ورسله) وبجملة ارسل

الاخلاص (وأن تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) في الآخرة ونزل في مانعي الزكاة (ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرالهم) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرالهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل تحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير ولايحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرالهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان (بل هو) أي البخل (شرلهم) لان اموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل (سيطوقون مابخلوا به يوم القيمة) تفسير لقوله بل هو شرلهم أي سيجعل مالهم الذي منعوه عن الحق طوقا

يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون أنه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت ﴿ وأن تؤمنوا ﴾ حق الايمان ﴿وتتقوا﴾ النفاق ﴿ فلكم أجرعظيم ﴾ لايقادر قدره ﴿ ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هوخيرالهم ﴾ القراآت فيه ماسبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه أي ولاتحسبن بخل الذين يبخلون هوخيرالهم وكذا من قرأ بالياء أن جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم أو من يحسب وأن جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه أي ولايحسبن البخلاء بخلهم هوخيرالهم ﴿ بل هو ﴾ أي البخل ﴿ شرلهم ﴾ لاستجلاب العقاب عليهم ﴿ سيطوقون مابخلوابه يوم القيمة ﴾ بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال مابخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام مامن رجل لايؤدي زكاة ماله

عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا أقر بجميع الرسل كان مقرا بأحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل ﴿ وأن تؤمنوا وتتقوا ﴾ يعني وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي وأطلعته على ما أشاء من غيبي وأعلمته بالمنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ فلكم أجر عظيم ﴾ يعني فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة ❊ قوله عزوجل ﴿ ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرالهم ﴾ يعني ولايحسبن الذين يبخلون البخل خيرالهم ﴿ بل هو ﴾ يعني البخل ﴿ شرلهم ﴾ والبخل هو امساك المقتنيات عما لايستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل ❊ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا أخرجه أبوداود ❊ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لايجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبدالله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهم في رواية أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول ان أكثر العلماء ذهبوا الى أن البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لايكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون مابخلوا به وهذا لايكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره ❊ وقوله ﴿ سيطوقون مابخلوا به يوم القيمة ﴾ أي سيلزمون وبال مابخلوا به الزام الطوق

والكتب (وأن تؤمنوا) بالله وبجملة الكتب والرسل (وتتقوا) الكفر والشرك (فلكم أجرعظيم) ثواب وافر في الجنة ثم ذكر بخلهم يعني اليهود والمنافقين عما أعطاهم الله فقال (ولاتحسبن) لاتظنن (الذين يبخلون بما آتاهم الله) أعطاهم الله (من فضله) من المال (هوخيرالهم بل هوشرلهم سيطوقون) سيجعل (مابخلوا به) من المال يعني الذهب والفضة طوقا من النار في عنقهم (يوم القيمة

الا جعل الله له شجاعا فى عنقه يوم القيامة ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ وله مافيهما مما يتوارث فالهؤلاء يبخلون عليه بماله ولاينفقونه فى سبيله أوأنه يرث منهم مايمسكونه ولاينفقونه فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة

فان حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل مامنعه من الزكاة حية تطوق فى عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية أخرجه البخارى * قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السوداوان فوق عينى الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان فى شدقيها وقد جاء فى الحديث تفسير لهزمتيه بانهما شدقاه وقيل انهما مضغتان فى أصل الحنك وقيل هما منحنى اللحيين أسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن أبى ذر رضى الله عنه قال انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار ان قمت فقلت يارسول الله فداك أبى وامى من هم قال هم الاكثرون أموالا الامن قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم مامن صاحب ابل ولابقر ولاغنم لايؤدى زكاتها الاجاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخارى بمعناه فى موضعين وقيل فى معنى الآية انه يجعل فى أعناقهم أطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم فى الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة أى يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته فى عنقك وقيل يجعل فى رقابهم طوق من نار ويدل عليه ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذى وفى رواية أبى داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل فى معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بألسنتهم ولم يخرجوه من أفواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار فى أفواههم عقوبة لهم والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى الباقى الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون وتبقى أملاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل فى معنى الآية وله مافيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وعلم وغير ذلك فالهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولاينفقونه فى سبيله

فى أعناقهم كما جاء فى الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان فيطوق فى عنقه فينهشه ويدفعه الى النار (ولله ميراث السموات والارض) وله مافيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فمالهم يبخلون عليه بملكه ولاينفقونه فى سبيل الله والاصل فى ميراث موراث فقلبت الواو ياء

ولله ميراث السموات والارض) خزائن السموات المطر والارض النبات ويقال يموت أهل السموات والارض ويبقى الملك لله

﴿والله بما يعملون﴾ من المنع والاعطاء ﴿خبير﴾ فيجازيكم * وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات وهو أبلغ فى الوعيد ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبى بكر رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام وأقام الصلاة وأيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء أن الله فقير حتى سأل القرض فلطمه أبو بكر رضى الله تعالى عنه على وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ماقاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه أعد لهم العقاب عليه ﴿سنكتب ماقالوا

﴿والله بما يعملون خبير﴾ قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهى أبلغ فى الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعنى البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين * قوله عز وجل ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حيى بن أخطب وقال عكرمة والسدى ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال اشيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ماتقول حقا فان الله اذا فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت عنقك ياعدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت فقال يارسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابى بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلو أن يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول أو قالوها استهزاء وأيهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد فى كفره وضلاله ﴿سنكتب ماقالوا﴾ يعنى قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عليهم ماقالوا وقيل سنثبت ذلك القول فى صحائف أعمالهم التى تكتبها

لانكسار ماقبلها (والله بما تعملون خبير) وبالياء مكى وأبو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الوعيد والياء على الظاهر (لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء) قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقالوا أن اله محمد يستقرض منا فنحن اذا أغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه أعد له كفأه من العقاب (سنكتب ماقالوا) سنأمر الحفظة بكتابة ماقالوا فى الصحائف أو سنحفظه اذ الكتاب من الخلق ليحفظ مافيه فسمى به مجازا وما مصدرية

الواحد القهار (والله بما تعملون) من البخل والسخاء (خبير) ثم ذكر مقالة اليهود فنحاص بن عازوراء وأصحابه حين قالوا يا محمد أن الله فقير يطلب منا القرض فقال (لقد سمع الله قول الذين قالوا) يعنى فنحاص ابن عازوراء وأصحابه (أن الله فقير) محتاج يطلب منا القرض (ونحن اغنياء) ولا نحتاج الى قرضه (سنكتب ماقالوا) سنحفظ عليهم ماقالوا

أو بمعنى الذى (وقتلهم الانبياء بغير حق) معطوف على ماجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما فى العظم أخوان وان من
قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول (ونقول) لهم يوم القيامة (ذوقوا

عذاب الحريق) أى عذاب النار كما أذقتم المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وانما أضيف الى الله تعالى لانه بأمره كما فى قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة (ذلك) اشارة الى ماتقدم من عقابهم (بما قدمت أيديكم) أى ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصى والاضافة الى اليد لان أكثر الاعمال يكون بالايدى فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب ولانه يقال للآمر بالشئ فاعله فذكر الايدى للتحقيق يعنى انه فعل نفسه لاغيره بأمره (وأن الله ليس بظلام للعبيد) وبأن الله لا يظلم عباده فلايعاقبهم بغير جرم (الذين قالوا) فى موضع جر على البدل من الذين قالوا أو نصب باضمار أعنى أو رفع باضمارهم (أن الله عهد الينا) أمرنا

وقتلهم الانبياء بغير حق﴾ أى سنكتبه فى صحائف الكتبة أو سنحفظه فى علمنا لانهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس أول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول * وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ أى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله به للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ﴿ذلك﴾ اشارة الى العذاب ﴿بما قدمت أيديكم﴾ من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان أكثر أعمالها بهن ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ عطف على ماقدمت وسببيته للعذاب من حيث أن نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسئ ﴿الذين قالوا﴾ هم كعب بن الاشرف ومالك وحيى وفنحاص ووهب بن يهوذا ﴿أن الله عهد الينا﴾ أمرنا فى التوراة وأوصانا

الحفظة عليهم حق يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم ﴿وقتلهم الانبياء بغير حق﴾ قيل معناه سنكتب ماقال هؤلاء اليهود ونكتب مافعله أسلافهم فنجازى كلا الفريقين بما هو أهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانما فعله أسلافهم وأوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل فى معنى الآية سنكتب على هؤلاء ماقالوا بأنفسهم ونكتب عليهم أيضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء والفائدة فى ضم قتلهم الانبياء الى ماوصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهما أخوان فى العظم وان هذا القول منهم ليس بأول ماارتكبوه من العظائم وانهم أصلاء فى الكفر والجهل والضلال ولهم فى ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لايبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح ﴿ونقول﴾ يعنى لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ أى ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص فى الدنيا ﴿ذلك﴾ أى ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر وأقدمتم على قتل الانبياء ﴿بما قدمت أيديكم﴾ انما ذكر الايدى على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لااليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان أكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسئ ويثيب المحسن * قوله عز وجل ﴿الذين قالوا أن الله عهد الينا﴾ قال الكلبى نزلت فى كعب بن الاشرف

فى الآخرة (وقتلهم الانبياء) ونحفظ عليهم قتلهم الانبياء (بغير حق) بلاجرم
(ونقول ذوقوا عذاب الحريق) الشديد (ذلك) العذاب (بما قدمت) عملت (أيديكم) فى اليهودية (ومالك)
(وأن الله ليس بظلام للعبيد) أن يأخذهم بلاجرم (الذين قالوا) هم الذين قالوا يعنى اليهود (أن الله عهد الينا)

﴿ ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله أى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع فى ذلك ﴿ قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم

ومالك بن صيفى ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب من اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا وان الله عهد الينا فى التوراة ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فأنزل الله تعالى الذين قالوا يعنى قد سمع الله قول الذين قالوا أن الله عهد الينا يعنى أمرنا وأوصانا فى كتبه ﴿ أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ يعنى فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدى عن السدى أنه قال أن الله تعالى أمر بنى اسرائيل فى التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدى عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود فى الدلالة على صدق النبى هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاى معجزة أتى بها النبى قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبى صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من أعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعنى انها مما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبنى اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا أو غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوى وحفيف فتأكل ذلك القربان أو الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقى على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها فى وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام فى البيت ويناجى ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوى وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التى ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم ﴿ قل ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود ﴿ قد جاءكم ﴾ يعنى يا معشر اليهود ﴿ رسل من قبلى ﴾ يعنى مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ﴿ بالبينات ﴾ يعنى بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم ﴿ وبالذى قلتم ﴾ يعنى ما طلبوا من القربان ﴿ فلم قتلتموهم ﴾ يعنى فلم قتلتم

فى التوراة وأوصانا (ألا نؤمن) بان لا نؤمن (لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) أى يقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فان جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان أكل النار القربان سبب الايمان للرسول الآتى به لكونه معجزة فهو اذا وسائر المعجزات سواء (قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) بالمعجزات سوى القربان (وبالذى قلتم) أى بالقربان يعنى قد جاء أسلافكم الذين أنتم على ملتهم وراضون بفعلهم (فلم قتلتموهم) أى ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذين

أمرنا فى الكتاب (ألا نؤمن لرسول) ان لا نصدق أحدا بالرسالة (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعنون حتى يأتينا بنار تأكله تأكل القربان كما كانت فى زمن الانبياء (قل) يا محمد (قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (وبالذى قلتم) من القربان ذكريا ويحيى وعيسى (فلم قتلتموهم) يحيى وذكريا وقد كان

أثوابه ولم قتلتموهم (أن كنتم صادقين) في قولكم انما نؤخر الايمان لهذا (فأن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك)
فان كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الامم بانبيائها كذلك (جاؤا بالبينات) بالمعجزات
الظاهرات (والزبر) الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة وبالزبر شامي (والكتاب) جنسه (المنير) المضيء قيل هما واحد في الاصل وانما ذكر لاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير هو الكتاب الهادي (كل نفس) مبتدأ والخبر (ذائقة الموت) وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم اياك فرجع الخلق الى فأجازيهم على التكذيب وأجازيك على الصبر وذلك قوله (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) أي تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة

القربان في زمانهم (أن كنتم صادقين) في مقالتكم فقالوا ما قتل آباؤنا الانبياء زورا فقال الله (فأن كذبوك) يا محمد بما قلت لهم فلا تحزن بذلك (فقد كذب رسل من قبلك) كذبهم قومهم (جاؤا بالبينات) بالامر والنهي وعلامات النبوة (والزبر) وبخبر كتب الاولين (والكتاب المنير) المبين للحلال والحرام ثم ذكر موتهم وما بعد الموت فقال (كل نفس) منفوسة (ذائقة الموت) تذوق الموت (وانما توفون) توفرون (أجوركم) ثواب أعمالكم (يوم القيمة) (خيرا)

أن كنتم صادقين ﴾ تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيي في معجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجترؤا على قتله ﴿ فأن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حبسته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته * وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وعد ووعيد للمصدق والمكذب * وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله

« فألفيته غير مستعتب » * ولا ذاكر الله الا قليلا

﴿ وانما توفون أجوركم ﴾ تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا ﴿ يوم القيمة ﴾

الانبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيي وسائر من قتلوا من الانبياء وأراد بذلك فعل أسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل أسلافهم ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم أياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فأن كذبوك ﴾ يعني هؤلاء اليهود ﴿ فقد كذب رسل من قبلك ﴾ يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل ﴿ جاؤا بالبينات ﴾ يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات ﴿ والزبر ﴾ أي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور وأصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر أي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق ﴿ والكتاب المنير ﴾ أي الواضح المضيء وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل * قوله عز وجل ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ يعني أن كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في بني آدم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عز وجل مما أخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما أخذ منها فما أحد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها * فأن قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائقة الموت * قلت لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل أن يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى ﴿ وانما توفون أجوركم ﴾ يعني توفون جزاء أعمالكم ﴿ يوم القيمة ﴾ ان كان

فان الدنيا ليست بدار الجزاء (فمن زحزح) بعد والزحزحة الابعاد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فامامن طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لاحاصل لها (لتبلون) والله لتبلون أى لتختبرن (فى أموالكم) بالانفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات (وانفسكم) بالقتل والاسر والجراح ومايرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على ان النفس هى الجسم المعاين دون

فمن زحزح) عزل ونحى وأبعد (عن النار) بالتوحيد والعمل الصالح (وأدخل الجنة فقد فاز) بالجنة وما فيها ونجا من النار ومافيها (وما الحيوة الدنيا) ليس مافى الدنيا من النعيم (الا متاع الغرور) الا كمتاع البيت فى بقائه مثل الخزف والزجاجة وغير ذلك ثم ذكر أذى الكفار لنبيه ولاصحابه فقال (لتبلون) لتختبرن (فى أموالكم) فى ذهاب أموالكم (وأنفسكم) وفيما يصيب أنفسكم من الامراض والاوجاع والقتل والضرب وسائر

يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار ﴿ فمن زحزح عن النار ﴾ بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة ﴿ وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس مايحب أن يؤتى اليه ﴿ وما الحيوة الدنيا ﴾ أى لذاتها وزخارفها ﴿ الا متاع الغرور ﴾ شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار ﴿ لتبلون ﴾ أى والله لتختبرن ﴿ فى أموالكم ﴾ بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات ﴿ وأنفسكم ﴾ بالجهاد والقتل والاسر والجراح

خيرا فخير وان كان شرا فشر ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ يعنى فمن نجا وأبعد عن النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف ﴿ وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ﴾ يعنى ان العيش فى هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان أنه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفأس والقدر والقصعة ونحوها والغرور مايغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التى يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هى متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فأما من اشتغل بطلب الآخرة فهى له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا أن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين * زاد الترمذى وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا أن شئتم وظل ممدود وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها واقرؤا أن شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور * قوله عز وجل ﴿ لتبلون ﴾ اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أى لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردئ وذلك فى وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار فى وصف الله تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر ﴿ فى أموالكم ﴾ يعنى بالابتلاء فى الاموال بالنقصان منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق ﴿ وأنفسكم ﴾ يعنى بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر

وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ﴾ من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في الدين وأغراء الكفرة على المسلمين أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم

خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ﴾ قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفنحاص بن عازوراء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابي بكر لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب ابن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله قال نعم قال ائذن لي فلاقل قال فأتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر الى أي شئ يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفا قال فما ترهنني أترهنني نساءكم قال أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا قال له ترهنون أولادكم قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده ان يأتيه بالحرث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امرأته اني لاسمع صوتا كأنه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جاء فسوف أمد يدي الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان أشم منه قال نعم فشم ثم قال أتأذن لي ان أعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزاد أصحاب السير والمغازي فاختلف عليه أسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحرث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا فحملنا وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فأخبرناه بقتل

ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا في شرح التأويلات (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) كالطعن في الدين وصد من أراد الايمان وتخطئة من آمن ونحو

البلايا (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب) أعطوا الكتاب (من قبلكم) يعني اليهود والنصارى الشتم والطعن والكذب والزور على الله (ومن الذين أشركوا) يعني مشركي العرب أيضا (أذى كثيرا) بالشتم والضرب والطعن والقتل والكذب والزور

ذلك (وأن تصبروا) على أذاهم وتتقوا مخالفة أمر الله (فأن ذلك) فان الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور أى مما يجب العزم عليه من الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ماسيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى اذا القوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه (وأذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن وبالياء مكى وأبو عمرو وأبو بكر لانهم غيب والضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أى لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك

على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها ﴿وأن تصبروا﴾ على ذلك ﴿وتتقوا﴾ مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى ﴿فأن ذلك﴾ يعنى الصبر والتقوى ﴿من عزم الامور﴾ من معزومات الامور التى يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أى أمر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه ﴿وأذ أخذ الله﴾ أى اذكر وقت أخذه ﴿ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ يريد به العلماء ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ حكاية لمخاطبتهم * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله أخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب ﴿فنبذوه﴾ أى الميثاق ﴿وراء ظهورهم﴾ فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه * والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين

كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى أهلنا وأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وأنزل الله عز وجل فى شأن كعب بن الاشرف اليهودى لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعنى مشركى العرب أذى كثيرا يعنى بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء وما أشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب ابن الاشرف يهجوبه النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير ﴿وأن تصبروا وتتقوا﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعنى وان تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى ﴿فأن ذلك من عزم الامور﴾ أى من صواب التدبير الذى لاشك ان الرشد فيه ولا ينبغى لعاقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أى ألزمتك أن تفعله لامحالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله أى ألزمتم الاخذ به * قوله عز وجل ﴿وأذ أخذ الله﴾ أى واذكر يا محمد وقت اذ أخذ الله ﴿ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ يعنى اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى ﴿لتبيننه للناس﴾ يعنى ليبينن ما فى الكتاب وليظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله أوجب على علماء التوراة والانجيل أن يشرحوا للناس ما فى هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ولا يكتمونه﴾ يعنى ولا يخفون ذلك عن الناس ﴿فنبذوه﴾ يعنى الكتاب وقيل الميثاق ﴿وراء ظهورهم﴾ أى

على الله (وأن تصبروا) على أذاهم (وتتقوا) معصية الله فى الاذى (فأن ذلك) الصبر والاحتمال (من عزم الامور) من خير الامور وحزم أمورهم يعنى المؤمنين * ثم ذكر ميثاقه على أهل الكتاب فى الكتاب ببيان صفة نبيه ونعته فقال (وأذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) أعطوا الكتاب يعنى التوراة والانجيل (لتبيننه) صفة محمد ونعته (للناس ولا تكتمونه) لا تكتمون صفة محمد ونعته فى الكتاب (فنبذوه) فطرحوا كتاب الله وعهده (وراء) خلف (ظهورهم) ولم يعملوا به

عينيه ﴿واشتروا به﴾ واخذوا بدله ﴿ثمنا قليلا﴾ من حطام الدنيا واغراضها ﴿فبئس مايشترون﴾ يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من النار وعن علي رضى الله تعالى عنه ماأخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا ﴿لاتحسبن الذين يفرحون

فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به ﴿واشتروا به ثمنا قليلا﴾ يعني المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم ﴿فبئس مايشترون﴾ ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك * واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه وأياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أيضا مثل علم لايقال به كمثل كنز لاينفق منه ومثل حكمة لاتخرج كمثل صنم لايأكل ولايشرب وقال أيضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه * عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي * ولابي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة لولا ماأخذ الله عزوجل على أهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية وقال الحسن ابن عمارة أتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت أريد أن تحدثني فقال أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما أن أحدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيي بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول ماأخذ الله على أهل جهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين حديثا * قوله عزوجل ﴿لاتحسبن الذين يفرحون﴾ * قرئ بالتاء على الخطاب أي لاتحسبن يامحمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولايحسبن الفارحون والمعنى لايحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية في المنافقين (ق) عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لايحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن حميد بن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه ان مروان قال لبوابه اذهب يارافع الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون قال ابن عباس مالكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتلا ابن عباس لايحسبن الذين يفرحوا بما أتوا ويحبون

الاعتداد وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لايكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم أولجر منفعة أو دفع أذية أولبخل بالعلم وفي الحديث من كتم علما عن أهله ألجمه الله بلجام من نار (وشتروا به ثمنا قليلا) عرضا يسيرا (فبئس مايشترون) والخطاب في (لاتحسبن) لرسول الله وأحد المفعولين (الذين يفرحون) والثاني بمفازة وقوله فلاتحسبنهم تأكيد تقديره لاتحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين

(واشتروا به) بكتمان صفة محمد ونعته في الكتاب (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من المأكلة (فبئس مايشترون) يختارون لانفسهم اليهودية وكتمان صفة محمد ونعته * ثم ذكر طلبهم الثناء والمحمدة بما لم يكن فيهم يعني اليهود فقال (لاتحسبن) لاتظنن يامحمد (الذين يفرحون

(بما أتوا) بما فعلوا وهى قراءة أبى رجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا وقرأ النخعى بما آتوا أى أعطوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) بمنجاة منه

بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتم الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق وأظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب أى فائزين بالنجاة منه * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى على أن الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة أو المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ﴿ولهم عذاب أليم﴾ بكفرهم وتدليسهم روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل اليهود عن شئ مما فى التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيها وأروه أنهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم

ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه ﴿بما أتوا﴾ يعنى يفرحون بما فعلوا ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ أى ويحبون أن يحمدهم الناس على شئ لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من احبار اليهود كانوا يفرحون بأضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعنى فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أى يقول الناس لهم علماء وليسوا بأهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود فى الارض كلها ان محمدا ليس بنبى فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن أهل الصوم والصلاة وأحبوا أن يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما أتوا من تبديلهم التوراة وأحبوا أن يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر أتت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردء وليس ذلك فى قلوبهم وأحبوا أن يحمدهم النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ أى فلا تظنهم بمنجاة من العذاب الذى أعده الله لهم فى الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يعنى فى الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت فى اليهود أو المنافقين خاصة فان حكمها عام فى كل من أحب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح وينسب الى العلم وليس هو

(ولهم عذاب أليم) مؤلم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شئ مما فى التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين وتوصلهم بذلك الى أغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتى بحسنة فيفرح بها فرح أعجاب ويحب أن يحمده الناس

بما أوتوا) بما غيروا واصفة محمد ونعته فى الكتاب (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) يحبون أن يقال فيهم الخير ولا خير فيهم ان يقولوا هم على دين ابراهيم ويحسنون الى الفقراء (فلا تحسبنهم) يا محمد (بمفازة) بمباعدة (من العذاب ولهم عذاب أليم) وجيع

ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة ﴿ ولله ملك السموات والارض ﴾ فهو يملك أمرهم ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم أن الله فقير ﴿ أن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ﴾ لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة فى هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فأنه أما أن يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل أوضاعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل

كذلك * قوله عز وجل ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ يعنى انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن أغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شئ كيف يكون فقيرا ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ يعنى انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بأمهالهم * قوله عز وجل ﴿ أن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ان أهل مكة سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا أيها الناس فيما خلقته وأنشأته من السموات والارض لمعاشكم وأرزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما فى الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكى تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون أرزاقكم فى النهار وتسكنون فى الليل لراحة أجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا أولى الالباب يعنى ياذوى العقول الصافية يعنى الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهى خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت فى عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله فى طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلى قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح * وفى رواية فقمت عن يساره فأخذنى فجعلنى عن يمينه * وفى رواية قال بت فى بيت خالتى ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر الى السماء فقال أن فى خلق السموات

لمن قال ان الله فقير (والله على كل شئ قدير) فهو يقدر على عقابهم (أن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات) لادلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر (لاولى الالباب) لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى ان العرض المحدث فى الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى محدث آخر الى ما لا يتناهى

(ولله ملك السموات والارض) خزائن السموات بالمطر والارض بالنبات (والله على كل شئ) من أهل السموات والارض وخزائنهما (قدير) ثم بين علامة قدرته لكفار مكة لقولهم ائتنا بآية يا محمد على ما تقول فقال (أن فى خلق السموات) ان فيما خلق فى السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والسحاب (والارض) وفى خلق الارض وما فى الارض من الجبال والبحور والشجر والدواب (واختلاف الليل والنهار) وفى تقلب الليل والنهار (لآيات) لعلامات لوحدانيته (لاولى الالباب) لذوى

لى مالا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكى أن فى بنى اسرائيل من اذا عبدالله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك فى مدتك قال ماأذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أوتيت الا من ذلك (الذين) فى موضع جر نعت لاولى أو نصب باضمار أعنى أو رفع باضمارهم (يذكرون الله) يصلون (قياما) قائمين عند القدرة (وقعودا) قاعدين (وعلى جنوبهم) أى مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل فى يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا أو المراد الذكر على كل حال لان الانسان لايخلو عن هذه الاحوال وفى الحديث من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها ومادبر فيها مماتكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبى عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفرلى فنظر الله اليه فغفر له وقال عليه السلام

لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ أى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيآت الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فأن لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء فهو حجة للشافعى رضى الله عنه فى أن المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ﴿ويتفكرون فى خلق السموات والارض﴾ استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه

والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب وذكره * قوله عز وجل ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ قال على بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا فى الصلاة يعنى الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لايتركون الصلاة فى حال من الاحوال بل يصلون فى كل حال (خ) عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال كانت بى بواسير فسألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب أخرجه الترمذى وقال فيه سألته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعى رحمه الله تعالى اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه أن يصلى على جنب ويومئ برأسه ايماء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلى مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعى ظاهر الآية وهو قوله تعالى وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال أكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر فى غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من أحدى هذه الثلاث حالات وهى القيام والقعود وكونه نائما على جنبه (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل فى كل أحيانه * عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لايذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومامشى أحد ممشى لايذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود * والترة النقص وقيل هى هنا التبعة * قوله عز وجل ﴿ويتفكرون فى خلق السموات والارض﴾ أصل الفكر اعمال الخاطر فى الشئ وتردد القلب فى ذلك الشئ وهو قوة متطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولايمكن التفكر الا فيما له صورة فى القلب ولهذا قيل تفكروا

العقول من الناس ثم نعتهم فقال (الذين يذكرون الله) (قا وخا ٨٢ ل) يصلون لله (قياما) اذا استطاعوا (وقعودا) اذا لم يستطيعوا قياما (وعلى جنوبهم) اذا لم يستطيعوا قياما وقعودا (ويتفكرون فى خلق السموات والارض)

على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفرلى فنظر الله اليه فغفرله وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل أهله ﴿ربنا ماخلقت هذا باطلا﴾ على ارادة القول أى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه أوالخلق على انه أريدبه المخلوق من السموات والارض أواليهما لانهما فى معنى المخلوق والمعنى ماخلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جلتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهواعتراض ﴿فقنا عذاب النار﴾ للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على أن علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ﴿ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ فقد أخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم

فى آلاء الله ولاتفكروا فى الله اذ الله منزه ان يوصف بصورة فلذلك أخبر عن عباده الصالحين بأنهم يتفكرون فى خلق السموات والارض وماأبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا أن لهما خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل فى المعانى وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وماجليت القلوب بمثل الاحزان ولااستنارت بمثل الفكرة ﴿ربنا﴾ أى ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون فى خلق السموات والارض قائلين ربنا ﴿ماخلقت هذا باطلا﴾ يعنى عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك عن أن تخلق شيأ عبثا لغير حكمة ﴿فقنا عذاب النار﴾ يعنى انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعاء فمن أراد أن يدعو فليقدم الثناء على الله أولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء يأتى بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار ﴿ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أى أهنته وأذللته وقيل أهلكته وقيل فضحته وأبلغت فى ابذائه والخزى ضرب من الاستخفاف أوانكسار يلحق الانسان وهو الحياء المفرط * فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد أخبر الله انه لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لايكون مؤمنا لقوله أنك من تدخل النار فقد أخزيته والمؤمن لايخزى * قلت قد ذكر العلماء فى الجواب وجوها أحدها ماروى عن أنس رضى الله عنه فى تفسير قوله

(تعالى)

الاحزان ولااستنارت بمثل الفكر (ربنا ماخلقت هذا باطلا) أى يقولون ذلك وهو فى محل الحال أى يتفكرون قائلين والمعنى ماخلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك وهذا اشارة الى الخلق على أن المراد به المخلوق أوالى السموات والارض لانها فى معنى المخلوق كأنه قيل ماخلقت هذا المخلوق العجيب باطلا (سبحانك) تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره اذا نزهناك فقنا (ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيته) أهنته أوأهلكته أوفضحته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه فى أن من يدخل النار لايكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تأديبه

من العجائب (ربنا) يقولون يا ربنا (ماخلقت هذا باطلا) جزافا (سبحانك) نزهوا الله (فقنا عذاب النار) ادفع عنا عذاب النار (ربنا) يقولون يا ربنا (أنك من تدخل النار فقد أخزيته) أهنته

وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحانى أفظع ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ أراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها ولا يلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ﴿ ربنا أننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ﴾ أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست فى ايقاعه على نفس المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن

تعالى أنك من تدخل النار فقد أخزيته قال من تخلده وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال هى خاصة لمن لايخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب أهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار أما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد فى النار فهو داخل فى قوله تعالى فقد أخزيته * الوجه الثانى فى الجواب أن المدخل فى النار مخزى فى حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد أخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ماروى عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبدالله فى عمرة فانتهيت اليه أنا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيته فقال وما أخزاه حين أحرقه بالنار ان دون ذا لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبرى لان من أدخل النار فقد أخزى بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك الخزى هو هتك المخزى وفضيحته وقال ابن الانبارى حمل الآية على العموم أولى من نقلها الى الخصوص اذلا دليل عليه * الوجه الثالث فى الجواب ماقاله أهل المعانى وهو ان الخزى يحتمل معانى منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزى خزاية اذا استحى واذا عمل عملا يستحى منه ويخجل فيكون خزى المؤمن الذى يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزى الكافر الهلاك بالخلود فى النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لايمكن حمله فى طرفى النفى والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال * الوجه الرابع فى الجواب وهو الذى اختاره الفخر الرازى وصححه أن قوله تعالى يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه لايقتضى نفى الاخزاء مطلقا وانما يقتضى أن لايحصل الاخزاء حال مايكونون مع النبى وهذا النفى لايناقضه اثبات الاخزاء فى الجملة لاحتمال أن يحصل ذلك الاثبات فى وقت آخر والله أعلم * وقوله عزوجل ﴿ وما للظالمين ﴾ يعنى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها ﴿ من أنصار ﴾ يعنى ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب * قوله عزوجل ﴿ ربنا أننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر المفسرين المنادى هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظى

وان فوق ذلك لخزيا (وما للظالمين) اللام اشارة الى من يدخل النار والمراد الكفار (من أنصار) من أعوان وشفعاء يشفعون لهم كالمؤمنين (ربنا أننا سمعنا مناديا) تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع فاغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان والمنادى هو الرسول عليه السلام أو القرآن (ينادى للايمان) لاجل الايمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادى اذ لا منادى أعظم من مناد ينادى

(وما للظالمين) للمشركين (من أنصار) من مانع مما يراد بهم فى الآخرة والدنيا (ربنا) ويقولون ياربنا (أننا سمعنا مناديا) يعنون محمدا (ينادى للايمان) يدعو الى

للايمان (أن آمنوا) بان آمنوا أو أى آمنوا (بربكم فآمنا) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء فى الايمان (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا (وكفر عنا سيآتنا) صغائرنا (وتوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم والابرار المتمسكون بالسنة جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب واصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أى على تصديق رسلك أو ما وعدتنا منزلا على رسلك أو على ألسنة رسلك وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب أو النصرة على الاعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لان معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد أو المراد اجعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد غير مبين لمن هو أو المراد ثبتنا على ما يوصلنا الى عدتك يؤيده قوله (ولا تخزنا يوم القيمة) أو هو اظهار للخضوع

والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ﴿أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ أى بأن آمنوا فامتثلنا ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ كبائرنا فانها ذات تبعة ﴿وكفر عنا سيآتنا﴾ صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر ﴿وتوفنا مع الابرار﴾ مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على أنهم يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . والابرار جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ أى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما أظهر امتثاله لما أمر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة أن لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة أو قصور فى الامتثال أو تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك ﴿ولا تخزنا يوم القيمة﴾

المنادى هو القرآن قال اذ ليس كل أحد لقى النبى صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن كل أحد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى وأنواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعى اليها واللام فى للايمان بمعنى الى يعنى ينادى الى الايمان ﴿أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ أى فصدقنا ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ أى كبائر ذنوبنا ﴿وكفر عنا سيآتنا﴾ أى صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد لان الالحاح فى الدعاء والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا فى المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب ﴿وتوفنا مع الابرار﴾ يعنى فى جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون فى درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا فى جملة أتباعهم وأشياعهم ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ يعنى على ألسنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك * فان قلت كيف سألوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد * قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجأ الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجأ اليه الذى هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على ألسنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء قالوا قد علمنا أنك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم ﴿ولا تخزنا يوم القيمة﴾ يعنى ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا فى ذلك اليوم * فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب

لتوحيد (أن آمنوا بربكم آمنا ربنا) بك وبكتابك ورسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) الكبائر (وكفر) تجاوز (عنا سيآتنا) دون الكبائر (وتوفنا مع الابرار) اقبض أرواحنا على الايمان واجمعها مع ارواح النبيين والصالحين (ربنا) ويقولون يا ربنا (وآتنا) اعطنا (ما وعدتنا على رسلك) على لسان رسولك يعنى محمدا (ولا تخزنا) لا تعذبنا (يوم القيمة) كما تعذب الكفار (ومتى)

والضراعة (أنك لاتخلف الميعاد) هو مصدر بمعنى الوعد (فاستجاب لهم ربهم) أى أجاب يقال استجاب له واستجابه (أنى) بانى (لاأضيع عمل عامل منكم) منكم صفة لعامل (من ذكر أو أنثى) بيان لعامل (بعضكم من بعض) الذكر من الانثى والانثى من الذكر كلكم بنو آدم أو بعضكم من بعض فى النصرة والدين وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعدالله عباده العاملين عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ الآيات (فالذين هاجروا) مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن أوطانهم فارين الى الله بدينهم الى حيث يأمنون عليه فالهجرة كائنة فى آخر الزمان كما كانت فى أول الاسلام (وأخرجوا من ديارهم) التى ولدوا فيها ونشؤا (وأوذوا فى سبيلى) بالشتم والضرب ونهب المال

بان تعصمنا عما يقتضيه ﴿أنك لاتخلف الميعاد﴾ باثابة المؤمن وأجابة الداعى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفى الآثار من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ الى طلبتهم وهو أخص من أجاب ويعدى بنفسه وباللام ﴿أنى لاأضيع عمل عامل منكم﴾ أى بانى لاأضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول ﴿من ذكر أو أنثى﴾ بيان عامل ﴿بعضكم من بعض﴾ لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر أو لانهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال والاتحاد أو للاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال * روى أن أم سلمة رضى الله عنها قالت يارسول الله أنى أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولايذكر النساء فنزلت ﴿فالذين هاجروا﴾ الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما أعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك أو الاوطان والعشائر للدين ﴿وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى﴾ أى بسبب ايمانهم بالله ومن أجله

ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لامحالة فامعنى قوله ولاتخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم * قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كأنهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل مايبطلها ويوقعنا فى الخزى وهو الهلاك ويحتمل أن يكون قوله ولاتخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة فى موقف القيامة فسألوا الله تعالى أن يزيل ذلك عنهم فقالوا ولاتخزنا يوم القيامة ﴿أنك لاتخلف الميعاد﴾ * قوله عز وجل ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ يعنى أجاب دعاءهم وأعطاهم ماسألوه ﴿أنى﴾ أى وقال لهم أنى ﴿لاأضيع عمل عامل منكم﴾ يعنى لاأحبط عملكم أيها المؤمنون بل أثيبكم عليه ﴿من ذكر أو أنثى﴾ يعنى لاأضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو أنثى * عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله ماأسمع الله تعالى ذكر النساء فى الهجرة بشئ فأنزل الله تعالى أنى لاأضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب أخرجه الترمذى وغيره * قوله عز وجل ﴿بعضكم من بعض﴾ يعنى فى الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل من بمعنى الكاف أى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان منى يعنى على خلقى وسيرتى وقيل ان الرجال والنساء فى الطاعة على شكل واحد ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى﴾ يعنى المهاجرين الذين هجروا

(أنك لاتخلف الميعاد) البعث بعد الموت وماوعدت المؤمنين (فاستجاب لهم ربهم) فيما سألوه فقال (أنى لاأضيع) لاأبطل (عمل عامل منكم) ثواب عمل عامل منكم (من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) اذا كان بعضكم على دين بعض وأولياء بعض ثم بين كرامته للمهاجرين فقال (فالذين هاجروا) من مكة الى المدينة مع النبى عليه السلام وبعد النبى (وأخرجوا من ديارهم) اخرجوهم كفار مكة من منازلهم بمكة (وأوذوا فى سبيلى) فى طاعتى

يريد سبيل الدين (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا وقتلوا مكي وشامي وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتأخير حمزة وعلي وفيه دليل على ان الواو

لا توجب الترتيب والخبر (لا كفرن عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار) وهو جواب قسم محذوف (ثوابا) في موضع المصدر المؤكد يعني اثابة أو تثويبا (من عند الله) لان قوله لا كفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لأثيبنهم (والله عنده حسن الثواب) أي يختص به ولا يقدر عليه غيره وروى ان طائفة من المؤمنين قالوا ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) والخطاب لكل أحد أو للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولان مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشئ فيقوم خطابه مقام

(وقاتلوا) العدو في سبيل الله (وقتلوا) حتى قتلوا في الجهاد مع نبي الله (لا كفرن عنهم سيآتهم) ذنوبهم في الجهاد (ولادخلنهم جنات) بساتين (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (ثوابا من عند الله) جزاء لهم من الله (والله عنده حسن الثواب) المرجع الصالح أحسن من جزائهم ثم ذكرهم فناء الدنيا ورغبهم عنها وبقاء الآخرة وحثهم على طلبها

﴿وقاتلوا﴾ الكفار ﴿وقتلوا﴾ في الجهاد * وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني أفضل أو لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير ﴿لا كفرن عنهم سيآتهم﴾ لامحونها ﴿ ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله ﴾ أي لأثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد ﴿والله عنده حسن الثواب﴾ على الطاعات قادر عليه ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أو تثبيته

أوطانهم وأهليهم وآذاهم المشركون بسبب أسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا أوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين ﴿ وقاتلوا وقتلوا ﴾ يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار ﴿ لا كفرن عنهم سيآتهم ﴾ يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم ﴿ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله ﴾ يعني ذلك الذي أعطاهم من تكفير سيآتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم ﴿ والله عنده حسن الثواب ﴾ وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذي أعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم * روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ثلة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولاحساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم في هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا نجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآيات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر انه استجاب لهم * قوله عز وجل ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ﴾ نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخاء ولين

فقال (لا يغرنك) يا محمد خاطب به محمدا وعنى أصحابه (تقلب الذين كفروا في البلاد) ذهاب اليهود والمشركين ومجيئهم (من)

خطابهم جميعا فكانه قيل لايغرنكم ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا فى النهى نظير قوله فى الامر اهدنا الصراط المستقيم ياأيها الذين آمنوا آمنوا (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أى تقلبهم فى البلاد متاع قليل وأراد قلته فى جنب مافاتهم من نعيم الآخرة أو فى جنب ماأعـد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد انه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وساء مامهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم) عن الشرك (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) النزل والنزل مايقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام فى لهم أو هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا أو عطاء (من عند الله) صفة له (وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك أى لابقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت فى ابن سلام وغيره من مسلمى أهل الكتاب أو فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا

على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين أو لكل أحد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لاتنظر الى ما كان الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ماترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم * روى أن بعض المسلمين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون أن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت ﴿ متاع قليل ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته فى جنب ماأعد الله للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ماالدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ﴿ ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ أى مامهدوا لانفسهم ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله ﴾ النزل والنزل مايعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبى

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل أنه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا ﴿ وما عند الله ﴾ لكثرته ودوامه ﴿ خير للابرار ﴾ مما يتقلب فيه الفجار

من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد فأنزل الله تعالى هذه الآية لايغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لايغرنك أيها السـامع تقلب الذين كفروا فى البلاد يعنى ضربهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب ﴿ متاع قليل ﴾ أى ذلك متـاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة ﴿ ثم مأواهم ﴾ يعنى مصـيرهم فى الآخرة ﴿ جهنم وبئس المهاد ﴾ أى وبئس الفراش هى * قوله عز وجل ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم ﴾ فيما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب مانهاهم عنه من معاصيه ﴿ لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا ﴾ أى جزاء وثوابا والنزل مايهيأ للضيف عند قدومه ﴿ من عند الله ﴾ يعنى من فضل الله وكرمه وأحسانه ﴿ وما عند الله ﴾ يعنى من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذى لاينقطع ﴿ خير للابرار ﴾ يعنى ذلك

فى التجارة (متاع قليل) منفعة يسيرة فى الدنيا (ثم مأواهم) مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) الفراش والمصير (لكن الذين اتقوا ربهم) يقول والذين وحدوا ربهم بالتوبة من الكفر (لهم جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لايموتون ولايخرجون (نزلا) ثوابا (من عنـد الله وما عند الله) من الثواب (خـير للابرار) للموحدين مما أعطى الكفار فى الدنيا ثم نعت من آمن من أهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه فقـال

لقلته وسرعة زواله ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين أن بالظرف ﴿وما أنزل اليكم﴾ من القرآن ﴿وما أنزل اليهم﴾ من الكتابين ﴿خاشعين لله﴾ حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى ﴿لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا﴾ كما يفعله المحرفون من أحبارهم ﴿أولئك لهم أجرهم عند ربهم﴾ ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى أولئك

الفضل والنعمة التي أعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فأنه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي * قوله عز وجل ﴿وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمني أهل الكتاب وهذا القول أولى لانه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من أهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما أنزل اليكم يعني ويؤمن بما أنزل اليكم أيها المؤمنون يعني القرآن وما أنزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور ﴿خاشعين لله﴾ يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين ﴿لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا﴾ يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشا كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود ﴿أولئك﴾ اشارة الى من هذه صفته من أهل الكتاب ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ يعني لهم ثواب أعمالهم التي

(وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أي غير مشترين (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين

(وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم) القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتاب التوراة (خاشعين لله) متواضعين ذليلين لله في الطاعة (لا يشترون بآيات الله) بكتمان صفة محمد ونعته في الكتاب (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا من المأكلة (أولئك لهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) في الجنة

يؤتون أجرهم مرتين ﴿ أن الله سريع الحساب ﴾ لعلمه بالاعمال ومايستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد أن الاجر الموعود سريع الوصول فأن سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴾ على مشاق الطاعات ومايصيبكم من الشدائد ﴿ وصابروا ﴾ وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد الحرب أو أعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ﴿ ورابطوا ﴾ أبدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه

عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة ﴿ أن الله سريع الحساب ﴾ يعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات لايخفى عليه شئ من أعمال عباده فيجازى كل أحد على قدر عمله لانه سريع الحساب * قوله عزوجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴾ يعنى على دينكم الذى أنتم عليه ولاتدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لايقتضيه شرع ولاعقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعانى قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل فى معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة ﴿ وصابروا ﴾ يعنى الكفار والاعداء وجاهدوهم ﴿ ورابطوا ﴾ يعنى وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وماعليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وماعليها (م) عن سلمان الخير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط أخرجه مسلم

(أن الله سريع الحساب) لنفوذ علمه فى كل شئ (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على الدين وتكاليفه قال الجنيد رضى الله عنه الصبر حبس النفس على المكروه بنفى الجزع (وصابروا) اعداء الله فى الجهاد أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لاتكونوا أقل صبرا منهم وثباتا (ورابطوا) واقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين

(أن الله سريع الحساب) اذا حاسب فحسابه سريع ثم حثهم على الصبر فى الجهاد والمرازى فقال (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (اصبروا) على الجهاد مع نبيكم (وصابروا) كاثروا وغالبوا على عدوكم (ورابطوا) أنفسكم على عدوكم مع نبيكم ما أقاموا لكم ويقال اصبروا على أداء الفرائض واجتناب المعاصى وصابروا غالبوا وكاثروا أهل الاهواء والبدع ورابطوا الخيول فى سبيل الله

لايفطر ولاينفتل عن صلاته الا لحاجة ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ فاتقوه بالتبرى مماسواه لكى تفلحوا غاية الفلاح أو واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة

عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ قال محمد بن كعب القرظى يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بينى وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتمونى وقال أهل المعانى فى معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على بلائى وصابروا على نعمائى ورابطوا على مجاهدة أعدائى واتقوا محبة سوائى لعلكم تفلحون بلقائى وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا فى دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون فى دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا مايعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا فى دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تم بحمد الله تعالى الجلد الاول ويليه ان شاء الله تعالى الجلد الثانى

أول سورة النساء

الحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا وخفيا وجهرا على اتمام طبع الجلد الاول لقد بذلنا جهدنا وطاقتنا على حسب القوى البشرية فى تصحيحه وتهذيبه وتنقيحه * مع رفيق المصحح فى دار الطباعة العثمانية أعنى الحاج طاهر افندى القنوى * المدرس بجامع سلطان بايزيد ولى * فرحم الله امرأ نظر اليه بعين الانصاف فسامح * ووقف فى التصحيح على خطأ فأصلح * وأعوذ بالله من حاسد اذا حسد وبغى * وأستغفره جل اسمه من قلم زل وسهى * أو حرّف شيأ عن موضعه وطغى وهو حسبى ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

للغزو (واتقوا الله لعلكم تفلحون) الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه ولعل لتغييب المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الاعمال وقيل اصبروا فى محبتى وصابروا فى نعمتى ورابطوا أنفسكم فى خدمتى لعلكم تفلحون تظفرون بقربتى قال النبى صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيمة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(واتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم فلاتتركوه (لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخطة والعذاب

قال فى السراج المنير ومارواه البيضاوى تبعا للزمخشرى وتبعهما ابن عادل من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم فهو من الاحاديث الموضوعة على أبى بن كعب فى فضائل السور فليتنبه لذلك ويحذر منه وقد نبه ائمة الحديث قديما وحديثا على ذلك وعاب من اورده من المفسرين فى تفاسيرهم اه بعبارة مصححه